



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



الرمضان  
عليكم يا صابرين

WWW. **Ghaemiyeh** .com  
WWW. **Ghaemiyeh** .org  
WWW. **Ghaemiyeh** .net  
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجْلَدُ الْفَتْوَى

الْمَجْلَدُ الْخَامِسُ

المجلد السادس



دار الفکر للطباعة والنشر

بغداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مختصر الميزان فى تفسير القرآن

كاتب:

محمد حسين طباطبايى

نشرت فى الطباعة:

سازمان حج و اوقاف امور خيريه - اسوه

رقمى الناشر:

مركز القائميئ باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
٢٠	مختصر الميزان فى تفسير القرآن المجلد ٦
٢٠	اشاره
٢٠	اشاره
٢٦	سوره الحجرات مدنيه و هى ثمان عشره آيه
٢٦	اشاره
٢٦	[سوره الحجرات (٤٩): الآيات ١ الى ١٠]
٢٦	اشاره
٢٧	بيان:
٣٥	[سوره الحجرات (٤٩): الآيات ١١ الى ١٨]
٤٧	سوره ق مكيه و هى خمس و أربعون آيه
٤٧	اشاره
٤٧	[سوره ق (٥٠): الآيات ١ الى ١٤]
٤٧	اشاره
٤٨	بيان:
٥٤	[سوره ق (٥٠): الآيات ١٥ الى ٣٨]
٦٧	[سوره ق (٥٠): الآيات ٣٩ الى ٤٥]
٧٠	سوره الناريات مكيه و هى ستون آيه
٧٠	اشاره
٧٠	[سوره الناريات (٥١): الآيات ١ الى ١٩]
٧٠	اشاره
٧١	بيان:
٧٨	[سوره الناريات (٥١): الآيات ٢٠ الى ٥١]
٨٩	[سوره الناريات (٥١): الآيات ٥٢ الى ٦٠]

٩٥	سوره الطور مكيه و هي تسع و أربعون آيه
٩٥	اشاره
٩٥	[سوره الطور (٥٢): الآيات ١ الى ١٠]
٩٥	اشاره
٩٦	بيان:
٩٨	[سوره الطور (٥٢): الآيات ١١ الى ٢٨]
١٠٦	[سوره الطور (٥٢): الآيات ٢٩ الى ٤٤]
١١٢	[سوره الطور (٥٢): الآيات ٤٥ الى ٤٩]
١١٥	سوره النجم مكيه و هي اثنان و ستون آيه
١١٥	اشاره
١١٥	[سوره النجم (٥٣): الآيات ١ الى ١٨]
١١٥	اشاره
١١٦	بيان:
١١٦	اشاره
١٢٣	بحث روائي:
١٢٧	[سوره النجم (٥٣): الآيات ١٩ الى ٣٢]
١٣٦	[سوره النجم (٥٣): الآيات ٣٣ الى ٦٢]
١٤٥	سوره القمر مكيه و هي خمس و خمسون آيه
١٤٥	اشاره
١٤٥	[سوره القمر (٥٤): الآيات ١ الى ٨]
١٤٥	اشاره
١٤٦	بيان:
١٥٠	[سوره القمر (٥٤): الآيات ٩ الى ٤٢]
١٦٠	[سوره القمر (٥٤): الآيات ٤٣ الى ٥٥]
١٦٧	سوره الرحمن مكيه أو مدنيه و هي ثمان و سبعون آيه
١٦٧	اشاره

- ١٦٧ ..... [سوره الرحمن (٥٥): الآيات ١ الى ٣٠]
- ١٦٧ ..... اشاره
- ١٦٩ ..... بيان:
- ١٧٩ ..... [سوره الرحمن (٥٥): الآيات ٣١ الى ٧٨]
- ١٩١ ..... سوره الواقعه مكيه و هي ست و تسعون آيه
- ١٩١ ..... اشاره
- ١٩١ ..... [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ١ الى ١٠]
- ١٩١ ..... اشاره
- ١٩٢ ..... بيان:
- ١٩٤ ..... [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ١١ الى ٥٦]
- ٢٠٥ ..... [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ٥٧ الى ٩٦]
- ٢١٨ ..... سوره الحديد مدنيه و هي تسع و عشرون آيه
- ٢١٨ ..... اشاره
- ٢١٨ ..... [سوره الحديد (٥٧): الآيات ١ الى ٦]
- ٢١٨ ..... اشاره
- ٢١٩ ..... بيان:
- ٢٢٣ ..... [سوره الحديد (٥٧): الآيات ٧ الى ١٥]
- ٢٣٤ ..... [سوره الحديد (٥٧): الآيات ١٦ الى ٢٤]
- ٢٤٤ ..... [سوره الحديد (٥٧): الآيات ٢٥ الى ٢٩]
- ٢٥١ ..... سوره المجادله مدنيه و هي اثنتان و عشرون آيه
- ٢٥١ ..... اشاره
- ٢٥١ ..... [سوره المجادله (٥٨): الآيات ١ الى ٦]
- ٢٥١ ..... اشاره
- ٢٥٢ ..... بيان:
- ٢٥٦ ..... [سوره المجادله (٥٨): الآيات ٧ الى ١٣]
- ٢٦٥ ..... [سوره المجادله (٥٨): الآيات ١٤ الى ٢٢]

- سوره الحشر مدنيه و هى أربع و عشرون آيه ..... ٢٧٣
- اشاره ..... ٢٧٣
- [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١ الى ١٠] ..... ٢٧٣
- اشاره ..... ٢٧٣
- بيان: ..... ٢٧٥
- [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١١ الى ١٧] ..... ٢٨٢
- [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١٨ الى ٢٤] ..... ٢٨٧
- سوره الممتحنه مدنيه و هى ثلاث عشره آيه ..... ٢٩٦
- اشاره ..... ٢٩٦
- [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١ الى ٩] ..... ٢٩٦
- اشاره ..... ٢٩٦
- بيان: ..... ٢٩٧
- [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١٠ الى ١٣] ..... ٣٠٧
- سوره الصف مدنيه و هى أربع عشره آيه ..... ٣١٣
- اشاره ..... ٣١٣
- [سوره الصف (٦١): الآيات ١ الى ٩] ..... ٣١٣
- اشاره ..... ٣١٣
- بيان: ..... ٣١٤
- [سوره الصف (٦١): الآيات ١٠ الى ١٤] ..... ٣٢٥
- سوره الجمعه مدنيه و هى إحدى عشره آيه ..... ٣٢٩
- اشاره ..... ٣٢٩
- [سوره الجمعه (٦٢): الآيات ١ الى ٨] ..... ٣٢٩
- اشاره ..... ٣٢٩
- بيان: ..... ٣٣٠
- [سوره الجمعه (٦٢): الآيات ٩ الى ١١] ..... ٣٣٦
- سوره المنافقون مدنيه و هى إحدى عشره آيه ..... ٣٣٩





- ٤٠٣ ..... [سوره الملك (٦٧): الآيات ١٥ الى ٢٢] -
- ٤٠٨ ..... [سوره الملك (٦٧): الآيات ٢٣ الى ٣٠] -
- ٤١٣ ..... سوره القلم مكيه و هي اثنتان و خمسون آيه -
- ٤١٣ ..... اشاره -
- ٤١٣ ..... [سوره القلم (٦٨): الآيات ١ الى ٣٣] -
- ٤١٣ ..... اشاره -
- ٤١٥ ..... بيان: -
- ٤٢٤ ..... [سوره القلم (٦٨): الآيات ٣٤ الى ٥٢] -
- ٤٣٤ ..... سوره الحاقه مكيه و هي اثنتان و خمسون آيه -
- ٤٣٤ ..... اشاره -
- ٤٣٤ ..... [سوره الحاقه (٦٩): الآيات ١ الى ١٢] -
- ٤٣٤ ..... اشاره -
- ٤٣٥ ..... بيان: -
- ٤٣٨ ..... [سوره الحاقه (٦٩): الآيات ١٣ الى ٣٧] -
- ٤٤٤ ..... [سوره الحاقه (٦٩): الآيات ٣٨ الى ٥٢] -
- ٤٤٩ ..... سوره المعارج مكيه و هي أربع و أربعون آيه -
- ٤٤٩ ..... اشاره -
- ٤٤٩ ..... [سوره المعارج (٧٠): الآيات ١ الى ١٨] -
- ٤٤٩ ..... اشاره -
- ٤٥٠ ..... بيان: -
- ٤٥٦ ..... [سوره المعارج (٧٠): الآيات ١٩ الى ٣٥] -
- ٤٥٩ ..... [سوره المعارج (٧٠): الآيات ٣٦ الى ٤٤] -
- ٤٦٤ ..... سوره نوح مكيه و هي ثمان و عشرون آيه -
- ٤٦٤ ..... اشاره -
- ٤٦٤ ..... [سوره نوح (٧١): الآيات ١ الى ٢٤] -
- ٤٦٤ ..... اشاره -

٤٦٦ ..... بيان:

٤٧٣ ..... [سوره نوح (٧١): الآيات ٢٥ الى ٢٨]

٤٧٦ ..... سوره الجن مكيه و هي ثمان و عشرون آيه

٤٧٦ ..... اشاره

٤٧٦ ..... [سوره الجن (٧٢): الآيات ١ الى ١٧]

٤٧٦ ..... اشاره

٤٧٧ ..... بيان:

٤٨٥ ..... [سوره الجن (٧٢): الآيات ١٨ الى ٢٨]

٤٩٣ ..... سوره المزمل مكيه و هي عشرون آيه

٤٩٣ ..... اشاره

٤٩٣ ..... [سوره المزمل (٧٣): الآيات ١ الى ١٩]

٤٩٣ ..... اشاره

٤٩٤ ..... بيان:

٥٠٤ ..... [سوره المزمل (٧٣): آيه ٢٠]

٥٠٩ ..... سوره المدثر مكيه و هي ست و خمسون آيه

٥٠٩ ..... اشاره

٥٠٩ ..... [سوره المدثر (٧٤): الآيات ١ الى ٧]

٥٠٩ ..... اشاره

٥٠٩ ..... بيان:

٥١٣ ..... [سوره المدثر (٧٤): الآيات ٨ الى ٣١]

٥٢١ ..... [سوره المدثر (٧٤): الآيات ٣٢ الى ٤٨]

٥٢٦ ..... [سوره المدثر (٧٤): الآيات ٤٩ الى ٥٦]

٥٣٠ ..... سوره القيامه مكيه و هي اربعون آيه

٥٣٠ ..... اشاره

٥٣٠ ..... [سوره القيامه (٧٥): الآيات ١ الى ١٥]

٥٣٠ ..... اشاره

- ٥٣١ ..... بيان:
- ٥٣٥ ..... [سوره القيامه (٧٥): الآيات ١٦ الى ٤٠]
- ٥٤٣ ..... سوره الدهر مدنيه و هي إحدى و ثلاثون آيه
- ٥٤٣ ..... اشاره
- ٥٤٣ ..... [سوره الإنسان (٧٦): الآيات ١ الى ٢٢]
- ٥٤٣ ..... اشاره
- ٥٤٤ ..... بيان:
- ٥٤٤ ..... اشاره
- ٥٥٥ ..... بحث روائى:
- ٥٦٣ ..... [سوره الإنسان (٧٦): الآيات ٢٣ الى ٣١]
- ٥٦٩ ..... سوره المرسلات مكيه و هي خمسون آيه
- ٥٦٩ ..... اشاره
- ٥٦٩ ..... [سوره المرسلات (٧٧): الآيات ١ الى ١٥]
- ٥٦٩ ..... اشاره
- ٥٧٠ ..... بيان:
- ٥٧٥ ..... [سوره المرسلات (٧٧): الآيات ١٦ الى ٥٠]
- ٥٨٤ ..... سوره النبأ مكيه و هي أربعون آيه
- ٥٨٤ ..... اشاره
- ٥٨٤ ..... [سوره النبأ (٧٨): الآيات ١ الى ١٦]
- ٥٨٤ ..... اشاره
- ٥٨٥ ..... بيان:
- ٥٩٠ ..... [سوره النبأ (٧٨): الآيات ١٧ الى ٤٠]
- ٦٠١ ..... سوره النزعات مكيه و هي ست و أربعون آيه
- ٦٠١ ..... اشاره
- ٦٠١ ..... [سوره النزعات (٧٩): الآيات ١ الى ٤١]
- ٦٠١ ..... اشاره

بيان: ..... ٦٠٣

[سوره النزعات (٧٩): الآيات ٤٢ الى ٤٦] ..... ٦١٦

سوره عبس مكيه و هي اثنان و اربعون آيه ..... ٦٢٠

اشاره ..... ٦٢٠

[سوره عبس (٨٠): الآيات ١ الى ١٦] ..... ٦٢٠

اشاره ..... ٦٢٠

بيان: ..... ٦٢١

[سوره عبس (٨٠): الآيات ١٧ الى ٤٢] ..... ٦٢٥

سوره التكوير مكيه و هي تسع و عشرون آيه ..... ٦٣٣

اشاره ..... ٦٣٣

[سوره التكوير (٨١): الآيات ١ الى ١٤] ..... ٦٣٣

اشاره ..... ٦٣٣

بيان: ..... ٦٣٤

[سوره التكوير (٨١): الآيات ١٥ الى ٢٩] ..... ٦٣٧

سوره الانفطار مكيه و هي تسع عشره آيه ..... ٦٤٣

اشاره ..... ٦٤٣

[سوره الانفطار (٨٢): الآيات ١ الى ١٩] ..... ٦٤٣

اشاره ..... ٦٤٣

بيان: ..... ٦٤٤

سوره المطففين مكيه أو مدنيه و هي ست و ثلاثون آيه ..... ٦٥١

اشاره ..... ٦٥١

[سوره المطففين (٨٣): الآيات ١ الى ٢١] ..... ٦٥١

اشاره ..... ٦٥١

بيان: ..... ٦٥٢

[سوره المطففين (٨٣): الآيات ٢٢ الى ٣٦] ..... ٦٥٧

سوره الانشقاق مكيه و هي خمس و عشرون آيه ..... ٦٦٢

٦٦٢ ..... اشارة

٦٦٢ ..... [سوره الانشقاق (٨٤): الآيات ١ الى ٢٥]

٦٦٢ ..... اشارة

٦٦٣ ..... بيان:

٦٦٨ ..... سورة البروج مكيه و هي اثنتان و عشرون آيه

٦٦٨ ..... اشارة

٦٦٨ ..... [سوره البروج (٨٥): الآيات ١ الى ٢٢]

٦٦٨ ..... اشارة

٦٦٩ ..... بيان:

٦٧٦ ..... سورة الطارق مكيه و هي سبع عشره آيه

٦٧٦ ..... اشارة

٦٧٦ ..... [سوره الطارق (٨٦): الآيات ١ الى ١٧]

٦٧٦ ..... اشارة

٦٧٧ ..... بيان:

٦٨١ ..... سورة الأعلى مكيه و هي تسع عشره آيه

٦٨١ ..... اشارة

٦٨١ ..... [سوره الأعلى (٨٧): الآيات ١ الى ١٩]

٦٨١ ..... اشارة

٦٨٢ ..... بيان:

٦٨٩ ..... سورة الغاشيه مكيه و هي ست و عشرون آيه

٦٨٩ ..... اشارة

٦٨٩ ..... [سوره الغاشيه (٨٨): الآيات ١ الى ٢٦]

٦٨٩ ..... اشارة

٦٩٠ ..... بيان:

٦٩٦ ..... سورة الفجر مكيه و هي ثلاثون آيه

٦٩٦ ..... اشارة

٦٩٦ ..... [سوره الفجر (٨٩): الآيات ١ الى ٣٠]

٦٩٦ ..... اشاره

٦٩٨ ..... بيان:

٧٠٧ ..... سوره البلد مكيه و هي عشرون آيه

٧٠٧ ..... اشاره

٧٠٧ ..... [سوره البلد (٩٠): الآيات ١ الى ٢٠]

٧٠٧ ..... اشاره

٧٠٨ ..... بيان:

٧١٣ ..... سوره الشمس مكيه و هي ست عشره آيه

٧١٣ ..... اشاره

٧١٣ ..... [سوره الشمس (٩١): الآيات ١ الى ١٥]

٧١٣ ..... اشاره

٧١٤ ..... بيان:

٧١٩ ..... سوره الليل مكيه و هي احدى و عشرون آيه

٧١٩ ..... اشاره

٧١٩ ..... [سوره الليل (٩٢): الآيات ١ الى ٢١]

٧١٩ ..... اشاره

٧٢٠ ..... بيان:

٧٢٧ ..... سوره الضحى مكيه أو مدنيه و هي احدى عشره آيه

٧٢٧ ..... اشاره

٧٢٧ ..... [سوره الضحى (٩٣): الآيات ١ الى ١١]

٧٢٧ ..... اشاره

٧٢٨ ..... بيان:

٧٣٠ ..... سوره ألم نشرح مكيه أو مدنيه و هي ثمان آيات

٧٣٠ ..... اشاره

٧٣٠ ..... [سوره الشرح (٩٤): الآيات ١ الى ٨]

٧٣٠ ..... اشاره

٧٣٠ ..... بيان:

٧٣٤ ..... سورة التين مكيه و هي ثمان آيات

٧٣٤ ..... اشاره

٧٣٤ ..... [سوره التين (٩٥): الآيات ١ الى ٨]

٧٣٤ ..... اشاره

٧٣٤ ..... بيان:

٧٣٨ ..... سورة العلق مكيه و هي تسع عشره آيه

٧٣٨ ..... اشاره

٧٣٨ ..... [سوره العلق (٩٦): الآيات ١ الى ١٩]

٧٣٨ ..... اشاره

٧٣٩ ..... بيان:

٧٤٤ ..... سورة القدر مكيه و هي خمس آيات

٧٤٤ ..... اشاره

٧٤٤ ..... [سوره القدر (٩٧): الآيات ١ الى ٥]

٧٤٤ ..... اشاره

٧٤٤ ..... بيان:

٧٤٨ ..... سورة البينه مدنيه و هي ثمان آيات

٧٤٨ ..... اشاره

٧٤٨ ..... [سوره البينه (٩٨): الآيات ١ الى ٨]

٧٤٨ ..... اشاره

٧٤٩ ..... بيان:

٧٥٥ ..... سورة الزلزال مدنيه و هي ثمان آيات

٧٥٥ ..... اشاره

٧٥٥ ..... [سوره الزلزاله (٩٩): الآيات ١ الى ٨]

٧٥٥ ..... اشاره



٧٥٥ ..... بيان:

٧٥٩ ..... سورة العاديات مدنيه و هي إحدى عشره آيه -

٧٥٩ ..... اشاره

٧٥٩ ..... [سوره العاديات (١٠٠): الآيات ١ الى ١١]

٧٥٩ ..... اشاره

٧٦٠ ..... بيان:

٧٦٣ ..... سورة القارعه مكيه و هي إحدى عشره آيه -

٧٦٣ ..... اشاره

٧٦٣ ..... [سوره القارعه (١٠١): الآيات ١ الى ١١]

٧٦٣ ..... اشاره

٧٦٤ ..... بيان:

٧٦٦ ..... سورة التكاثر مكيه و هي ثمان آيات -

٧٦٦ ..... اشاره

٧٦٦ ..... [سوره التكاثر (١٠٢): الآيات ١ الى ٨]

٧٦٦ ..... اشاره

٧٦٦ ..... بيان:

٧٧٠ ..... سورة العصر مكيه و هي ثلاث آيات -

٧٧٠ ..... اشاره

٧٧٠ ..... [سوره العصر (١٠٣): الآيات ١ الى ٣]

٧٧٠ ..... اشاره

٧٧٠ ..... بيان:

٧٧٤ ..... سورة الهمزه مكيه و هي تسع آيات -

٧٧٤ ..... اشاره

٧٧٤ ..... [سوره الهمزه (١٠٤): الآيات ١ الى ٩]

٧٧٤ ..... اشاره

٧٧٥ ..... بيان:

- ٧٧٨ ..... سورة الفيل مكيه و هي خمس آيات
- ٧٧٨ ..... اشاره
- ٧٧٨ ..... [سوره الفيل (١٠٥): الآيات ١ الى ٥]
- ٧٧٨ ..... اشاره
- ٧٧٨ ..... بيان:
- ٧٨٠ ..... سورة قريش مكيه و هي أربع آيات
- ٧٨٠ ..... اشاره
- ٧٨٠ ..... [سوره قريش (١٠٦): الآيات ١ الى ٤]
- ٧٨٠ ..... اشاره
- ٧٨٠ ..... بيان:
- ٧٨٤ ..... سورة الماعون مدنيه او مكيه و هي سبع آيات
- ٧٨٤ ..... اشاره
- ٧٨٤ ..... [سوره الماعون (١٠٧): الآيات ١ الى ٧]
- ٧٨٤ ..... اشاره
- ٧٨٤ ..... بيان:
- ٧٨٧ ..... سورة الكوثر مكيه و هي ثلاث آيات
- ٧٨٧ ..... اشاره
- ٧٨٧ ..... [سوره الكوثر (١٠٨): الآيات ١ الى ٣]
- ٧٨٧ ..... اشاره
- ٧٨٧ ..... بيان:
- ٧٩٠ ..... سورة الكافرون مكيه و هي ست آيات
- ٧٩٠ ..... اشاره
- ٧٩٠ ..... [سوره الكافرون (١٠٩): الآيات ١ الى ٦]
- ٧٩٠ ..... اشاره
- ٧٩٠ ..... بيان:
- ٧٩٣ ..... سورة النصر مدنيه و هي ثلاث آيات

٧٩٣ ..... اشارة

٧٩٣ ..... [سوره النصر (١١٠): الآيات ١ الى ٣]

٧٩٣ ..... اشارة

٧٩٣ ..... بيان:

٧٩٦ ..... سورة تبت مكيه و هي خمس آيات

٧٩٦ ..... اشارة

٧٩٦ ..... [سوره المسد (١١١): الآيات ١ الى ٥]

٧٩٦ ..... اشارة

٧٩٦ ..... بيان:

٨٠٠ ..... سورة الإخلاص مكيه و هي أربع آيات

٨٠٠ ..... اشارة

٨٠٠ ..... [سوره الإخلاص (١١٢): الآيات ١ الى ٤]

٨٠٠ ..... اشارة

٨٠٠ ..... بيان:

٨٠٥ ..... سورة الفلق مكيه و هي خمس آيات

٨٠٥ ..... اشارة

٨٠٥ ..... [سوره الفلق (١١٣): الآيات ١ الى ٥]

٨٠٥ ..... اشارة

٨٠٥ ..... بيان:

٨٠٨ ..... سورة الناس مدنيه و هي ست آيات

٨٠٨ ..... اشارة

٨٠٨ ..... [سوره الناس (١١٤): الآيات ١ الى ٦]

٨٠٨ ..... اشارة

٨٠٨ ..... بيان:

٨١٢ ..... تعريف مركز

سرشناسه : طباطبائی، محمدحسین، ۱۳۶۰ - ۱۲۴۱

عنوان قراردادى : [الميزان في تفسير القرآن. برگزیده]

عنوان و نام پدیدآور : مختصر الميزان في تفسير القرآن / [محمدحسین الطباطبائی]؛ تالیف الیاس کلانتری

مشخصات نشر : تهران: سازمان اوقاف و امور خیریه، انتشارات اسوه، ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری : ج ۶

شابک : ۹۶۴-۶۰۶۶-۰۲-۱۵۰۰۰Xریال: (دوره)؛ ۹۶۴-۶۰۶۶-۰۳-۰۸ (ج.۱)؛ ۹۶۴-۶۰۶۶-۰۴-۰۶ (ج.۲)؛ ۹۶۴-۶۰۶۶-۰۵-۰۵-۰۵ (ج.۳)؛ ۹۶۴-۶۰۶۶-۰۶-۰۲ (ج.۴)؛ ۹۶۴-۶۰۶۶-۰۷-۰۰ (ج.۵)؛ ۹۶۴-۶۰۶۶-۰۸-۰۹ (ج.۶)

وضعیت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلی

یادداشت : عربی

عنوان دیگر : الميزان في تفسير القرآن. برگزیده

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : کلانتری، الیاس، ۱۳۳۰ - ، خلاصه کننده

شناسه افزوده : سازمان اوقاف و امور خیریه. انتشارات اسوه

رده بندی کنگره : BP۹۸/ط۲۵م۹۰۱۶ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۲۶

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۹-۵۸۷۹

ص : ۱













بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا  
 الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَزْفَعُوا أَدْوَاتِكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا  
 تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ  
 الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
 (٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُكُمْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَإِعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ  
 رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَزَيْنُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَ  
 الْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضَلَّ مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاضْتَلَّتَا فَاضْتَلَّتَا بَيْنَهُمَا  
 فَمَا بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تِلْكَ الْأُمَّةِ قَدْ فُتِنَتْ فَاذِلَّهَا بِالْأَعْيُنِ وَالْأَفْسَادِ إِنَّ اللَّهَ  
 يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)

تتضمن السوره مسائل من شرائع الدين بها تتم الحياه السعيده للفرد و يستقرّ النظام الصالح الطيب فى المجتمع منها ما هو أدب جميل للعبد مع الله سبحانه و مع رسوله كما فى الآيات الخمس فى مفتح السوره، و منها ما يتعلق بالإنسان مع أمثاله من حيث وقوعهم فى المجتمع الحيوى، و منها ما يتعلق بتفاضل الأفراد و هو من أهم ما ينتظم به الاجتماع المدنى و يهدى الإنسان الى الحياه السعيده و العيش الطيب الهنىء و يتميز به دين الحق من غيره من السنن الاجتماعيه القانونيه و غيرها و تختتم السوره بالإشاره الى حقيقه الإيمان و الإسلام و امتنانه

تعالى بما يفيضه من نور الإيمان.

و السوره مدنيه بشهاده مضامين آياتها سوى ما قيل فى قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى» الآية؛ وسيجىء.

قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» بين يدي الشىء أمامه و هو استعمال شائع مجازى أو استعارى و إضافته الى الله و رسوله معا لا الى الرسول دليل على أنه أمر مشترك بينه تعالى و بين رسوله و هو مقام الحكم الذى يختص بالله سبحانه و برسوله بإذنه كما قال تعالى: «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ (يوسف ٤٠)»، و قال: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ (النساء ٦٤)».

و من الشاهد على ذلك تصدير النهى بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و تذييله بقوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» الظاهر فى أن المراد بما بين يدي الله و رسوله هو المقام الذى يربط المؤمنين المتقين بالله و رسوله و هو مقام الحكم الذى يأخذون منه أحكامهم الاعتقادييه و العمليه.

و الظاهر أن تفسير «لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» بالنهى عن التقديم بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقط فى هذه الوجوه الثلاثه الأخيره مبنى على حملهم ذكر الله تعالى مع رسوله فى الآية على نوع من التشريف كقوله: أعجبنى زيد و كرمه فيكون ذكره تعالى للإشارة الى أن السبقه على النبي صلى الله عليه و آله و سلم على أى حال فى معنى السبقه على الله سبحانه.

و لعل التأمل فيما قدّمناه من الوجه يكفيك فى المنع عن المصير الى شىء من هذه الوجوه.

و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» أمر بالتقوى فى موقف الاتباع و العبوديه و لا ظرف للانسان إلا ظرف العبوديه و لذلك أطلق التقوى.

و فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» تعليل للنهى و التقوى فيه أى اتقوه بالانتهاء عن هذا النهى فلا تقدموا قولاً بلسانكم و لا فى سركم لأن الله سميع يسمع أقوالكم عليم يعلم

ظاهرکم و باطنکم و علانیتکم و سرکم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ الخ؛ و ذلك بأن تكون أصواتهم عند مخاطبته و تكليمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أرفع من صوته و أجهر لأن في ذلك كما قيل أحد شيئين: إما نوع استخفاف به و هو الكفر، و إما إساءة الأدب بالنسبة الى مقامه و هو خلاف التعظيم و التوقير المأمور به.

و قوله: ﴿لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ فَإِن مِّنَ التَّعْظِيمِ عند التخاطب أن يكون صوت المتكلم أخفض من صوت مخاطبه فمطلق الجهر بالخطاب فاقد لمعنى التعظيم فخطاب العظماء بالجهر فيه كخطاب عامه الناس لا يخلو من إساءة الأدب و الوقاحه.

و قوله: ﴿أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَى لثلا- تحبط أو كراهه أن تحبط أعمالكم، و هو متعلق بالنهيين جميعا أى إنما نهيناكم عن رفع الصوت فوق صوته و الجهر له بالقول كجهر بعضكم لبعض لثلا تبطل أعمالكم بذلك من حيث لا تشعرون فإن فيهما الحبط، و قد تقدم القول فى الحبط فى الجزء الثانى من الكتاب.

و جوّز بعضهم كون «أَنْ تَحْبِطَ» الخ؛ تعليلا- للمنهى عنه و هو الرفع و الجهر، و المعنى: فعلكم ذلك لأجل الحبوط منهى عنه، و الفرق بين تعليله للنهى و تعليله للمنهى عنه أن الفعل المنهى عنه معلّل على الأول و الفعل المعلّل منهى عنه على الثانى، و فيه تكلف ظاهر.

و ظاهر الآيه أن رفع الصوت فوق صوت النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و الجهر له بالقول معصيتان موجبتان للحبط فيكون من المعاصى غير الكفر ما يوجب الحبط (١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ

ص: ١٠

إِمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى الخ؛ غَضَّ الصَّوْتِ خِلاَفَ رَفْعِهِ، وَ مَعْنَى الْاِمْتِحَانِ الْاِبْتَلَاءُ وَ الْاِخْتِبَارُ وَ اِنَّمَا يَكُونُ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ بِحَالِ الشَّيْءِ الْمَجْهُولِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَ اِذْ يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ فِى حَقِّهِ تَعَالَى فَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا التَّمْرِينُ وَ التَّعْوِيدُ - كَمَا قِيلَ - أَوْ حَمْلُ الْمُحَنَةِ وَ الْمَشَقَّةِ عَلَى الْقَلْبِ لِيَعْتَادَ بِالتَّقْوَى.

وَ الْآيَةُ مَسْوُوقَةٌ لِلْوَعْدِ الْجَمِيلِ عَلَى غَضِّ الصَّوْتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بَعْدَ تَوْصِيْفِهِمْ بِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مَمْتَحَنَةٌ لِلتَّقْوَى وَ الَّذِى اِمْتَحَنَهُمْ لِذَلِكَ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، وَ فِيهِ تَأْكِيدٌ وَ تَقْوِيَةٌ لِمُضْمُونِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَ تَشْوِيقٌ لِلانْتِهَاءِ بِمَا فِيهَا مِنَ النِّهْيِ.

وَ فِى التَّعْبِيرِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فِى هَذِهِ الْآيَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ بَعْدَ التَّعْبِيرِ عَنْهُ فِى الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِالنَّبِيِّ اِشَارَةٌ إِلَى مَلَائِكَةِ الْحَكْمِ فَإِنَّ الرَّسُولَ بِمَا هُوَ رَسُولٌ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ فَمَا لَهُ فَلِمُرْسَلِهِ، وَ تَعْظِيمُهُ وَ تَوْقِيرُهُ تَعْظِيمٌ لِمُرْسَلِهِ وَ تَوْقِيرٌ لَهُ فَغَضُّ الصَّوْتِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ تَعْظِيمٌ وَ تَكْبِيرٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَ الْمُدَاوِمَةُ وَ الْاِسْتِمْرَارُ عَلَى ذَلِكَ - كَمَا يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «يَغُضُّونَ» الْمَفِيدُ لِلْاِسْتِمْرَارِ - كَاشَفٌ عَنْ تَخَلُّقِهِمْ بِالتَّقْوَى وَ اِمْتِحَانِهِ تَعَالَى قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى.

وَ قَوْلُهُ: لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ وَ عِدٌّ جَمِيلٌ لَهُمْ بِإِزَاءِ مَا فِى قُلُوبِهِمْ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ، وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَّرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سِيَاقُ الْآيَةِ يُؤَدِّى أَنَّهُ وَاقِعٌ وَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا مِنَ الْجَفَاهِ يَنَادُونَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مِنْ وَّرَاءِ حُجُرَاتِ بَيْتِهِ مِنْ غَيْرِ رِعَايَةٍ لِمَقْتَضَى الْأَدَبِ وَ وَاجِبِ التَّعْظِيمِ وَ التَّوْقِيرِ فَذَمُّهُمْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَيْثُ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ كَالْبَهَائِمِ مِنَ الْحَيَوَانِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَى وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا عَنْ نِدَائِكَ فَلَمْ يَنَادُوكَ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ رِعَايَةُ التَّعْظِيمِ وَ التَّوْقِيرِ لِمَقَامِ الرِّسَالَةِ، وَ كَانَ ذَلِكَ مُقْرَبًا لَهُمْ إِلَى مَغْفِرَتِهِ

اللّٰه ورحمته لأنه غفور رحيم.

فقوله: وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ كالناظر الى ما ذكر من الصبر و يمكن أن يكون ناظرا الى كون أكثرهم لا يعقلون و المعنى: أن ما صدر عنهم من الجهالة و سوء الأدب معفو عنه لأنه لم يكن عن تعقل و فهم منهم بل عن قصور في ذلك و اللّٰه غفور رحيم.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا الخ؛ الفاسق - كما قيل - الخارج عن الطاعة الى المعصية، و النبأ الخبر العظيم الشأن، و التبين و الاستبانة و الإبانة - على ما في الصحاح - بمعنى واحد و هي تتعدى و لا تتعدى فإذا تعدت كانت بمعنى الإيضاح و الإظهار يقال: تبينت الأمر و استتبته و أبنته أى أوضحتها و أظهرته، و إذا لزمتم كانت بمعنى الاتضاح و الظهور يقال: أبان الأمر و استبان و تبين أى اتضح و ظهر.

و معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بخبر ذى شأن فتبينوا خبره بالبحث و الفحص للوقوف على حقيقته حذر أن تصيبوا قوما بجهالة فتصيروا نادمين على ما فعلتم بهم.

و قد أمضى اللّٰه سبحانه في هذه الآية أصل العمل بالخبر و هو من الاصول العقلانية التى يبتنى عليه أساس الحياه الاجتماعيه الإنسانية، و أمر بالتبين فى خبر الفاسق و هو فى معنى النهى عن العمل بخبره، و حقيقته الكشف عن عدم اعتبار حجيته و هذا أيضا كالإمضاء لما بنى عليه العقلاء من عدم حجيه الخبر الذى لا يوثق بمن بخبر به و عدم ترتيب الأثر على خبره.

قوله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ الخ؛ العنت الإثم و الهلاك، و الطوع و الطاعة الانقياد لكن أكثر ما يقال الطاعة فى الائتمار لما أمر و الارتسام لما رسم على ما ذكره الراغب لكن ربما يعكس الأمر فىسمى جرى المتبوع على ما يريد التابع و يهواه طاعه من المتبوع للتابع و منه قوله تعالى فى الآية: «لَوْ يُطِيعُكُمْ» حيث سمي عمل الرسول على ما يراه و يهواه المؤمنون طاعه منه لهم.

و الآيه على ما يفيدده السياق من تتمه الكلام فى الآيه السابقه تعمم ما فيها من الحكم و تؤكد ما فيها من التعليل فمضمون الآيه السابقه الحكم بوجوب التبين فى خبر الفاسق و تعليله بوجوب التحرز عن بناء العمل على الجهاله، و مضمون هذه الآيه تنبيه المؤمنين على أن الله سبحانه أورد لهم شرع الرشد و لذلك حَبَّب اليهم الإيمان و زَيَّنَه فى قلوبهم و كَرَّه اليهم الكفر و الفسوق و العصيان فعليهم أن لا يغفلوا عن أن فيهم رسول الله و هو مؤيد من عند الله و على يَئنه من ربه لا يسلك إلا سبيل الرشد دون الغي فعليهم أن يطيعوا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فيما يأمرهم به و يريدوا ما أَرَادَه و يختاروا ما اختاره، و لا يصروا على أن يطيعهم فى آرائهم و أهوائهم فإنه لو يطيعهم فى كثير من الأمر جهدوا و هلكوا.

فقوله: وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ عطف على قوله فى الآيه السابقه:

«فَتَبَيَّنُوا» و تقديم الخبر للدلاله على الحصر، و الإشاره الى ما هو لازمه فإن اختصاصهم بكون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فيهم لازمه أن يتعلقوا بالرشد و يتجنبوا الغي و يرجعوا الامور اليه و يطيعوه و يتبعوا أثره و لا يتعلقوا بما تستدعيه منهم أهواؤهم.

فالمعنى: و لا تنسوا أن فيكم رسول الله، و هو كناية عن أنه يجب عليهم أن يرجعوا الامور و يسيروا فيما يواجهونه من الحوادث على ما يراه و يأمر به من غير أن يتبعوا أهواء أنفسهم.

و قوله: لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ أَى جهدتم و هلكتم، و الجملة كالجواب لسؤال مقدر كأن سائلا يسأل فيقول: لما ذا نرجع اليه و لا يرجع الينا و لا يوافقنا؟ فأجيب بأنه «لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ» .

و قوله: وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ استدراك عما يدل عليه الجملة السابقه «لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ» من أنهم مشرفون بالطبع على الهلاك و الغي فاستدرك أن الله سبحانه أصلح ذلك بما أنعم عليهم من تحبيب الإيمان و تكرية الكفر و الفسوق و العصيان.



و المراد بتحبيب الإيمان اليهم جعله محبوبا عندهم و بتزيينه فى قلوبهم تحليته بجمال يجذب قلوبهم الى نفسه فيتعلقون به و يعرضون عما يلهيهم عنه.

و قوله: وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيَانَ عطف على «حَبَّبَ» و تكرية الكفر و ما يتبعه اليهم جعلها مكروهه عندهم تتنفر عنها نفوسهم، و الفرق بين الفسوق و العصيان-على ما قيل- أن الفسوق هو الخروج عن الطاعة الى المعصية، و العصيان نفس المعصية و إن شئت فقل: جميع المعاصى، و قيل: المراد بالفسوق الكذب بقريته الآيه السابقه و العصيان سائر المعاصى.

و قوله: أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ بيان أن حب الإيمان و الانجذاب اليه و كراهه الكفر و الفسوق و العصيان هو سبب الرشد الذى يطلبه الإنسان بفطرته و يتنفر عن الغى الذى يقابله فعلى المؤمنين أن يلزموا الإيمان و يتجنبوا الكفر و الفسوق و العصيان حتى يرشدوا و يتبعوا الرسول و لا يتبعوا أهواءهم.

و لما كان حب الإيمان و الانجذاب اليه و كراهه الكفر و نحوه صفه بعض من كان الرسول فيهم دون الجميع كما يصرح به الآيه السابقه، و قد وصف بذلك جماعتهم تحفظا على وحدتهم و تشويقا لمن لم يتصف بذلك منهم غير السياق و التفت عن خطابهم الى خطاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: «أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ» و الإشارة الى من اتصف بحب الإيمان و كراهه الكفر و الفسوق و العصيان، ليكون مدحا للمتصفين بذلك و تشويقا لغيرهم.

و اعلم أن فى قوله: «وَ اعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ» إشعارا بأن قوما من المؤمنين كانوا مصرين على قبول نبي الفاسق الذى تشير اليه الآيه السابقه، و هو الوليد بن عقبه أرسله النبي صلى الله عليه و آله و سلم الى بنى المصطلق لأخذ زكواتهم فجاء اليهم فلما رأهم هابهم و رجع الى المدينة و أخبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنهم ارتدوا فعزم النبي صلى الله عليه و آله و سلم على قتالهم فنزلت الآيه فانصرف و فى القوم بعض من يصر على أن يغزوههم. و سيجىء القصة فى

قوله تعالى: فَضَلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [١] [٢] لما تقدم من فعله تعالى بالمؤمنين من تحبيب الإيمان و تزيينه و تكريه الكفر و الفسوق و العصيان أى إن ذلك منه تعالى مجرد عطيه و نعمه لا- الى بدل يصل اليه منهم لكن ليس فعلا- جزافا فإنه تعالى عليهم بمورد عطيته و نعمته حكيم لا- يفعل ما يفعل جزافا كما قال: وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (الفتح ٢٦).

قوله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصِلْتُمَا بَيْنَهُمَا إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ الْاِقْتِتَالِ وَالتَّقَاتِلِ بِمعنى واحد كالاستباق و التسابق، و رجوع ضمير الجمع فى «اقتتلوا» الى الطائفتين باعتبار المعنى فإن كلا من الطائفتين جماعه و مجموعهما جماعه كما أن رجوع ضمير التثنيه اليهما باعتبار المعنى.

و نقل عن بعضهم فى وجه التفرقه بين الضميرين: أنهم أولا فى حال القتال مختلطون فلذا جمع أولا ضميرهم، و فى حال الصلح متميزون متفارقون فلذا ثنى الضمير.

و قوله: فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ الْبَغَىٰ الظلم و التعدى بغير حق، و الفىء الرجوع، و المراد بأمر الله ما أمر به الله، و المعنى: فإن تعدت إحدى الطائفتين على الاخرى بغير حق فقاتلوا الطائفة المتعديه حتى ترجع الى ما أمر به الله و تنقاد لحكمه.

و قوله: فَإِنْ فَاءَتْ فَاصِلْتُمَا بِالْعَدْلِ أى فإن رجعت الطائفة المتعديه الى أمر الله فأصلحا بينهما لكن لا إصلاحا بوضع السلاح و ترك القتال فحسب بل إصلاحا متلبسا بالعدل بإجراء أحكام الله فيما تعدت به المتعديه من دم أو عرض أو مال أو أى حق آخر ضيعته.

و قوله: وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ الْاِقْسَاطُ إعطاء كل ما يستحقه من

القسط و السهم و هو العدل فعطف قوله: «وَ أَقْسَطُوا» على قوله: «فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ» من عطف المطلق على المقيد للتأكيد، و قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ» تعليل يفيد تأكيداً على تأكيد أنه قيل: أصلحوا بينهما بالعدل و اعدلوا دائماً و فى جميع الامور لأن الله يحب العادلين لعدالتهم.

قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ استئناف مؤكداً لما تقدم من الإصلاح بين الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين، و قصر النسبه بين المؤمنين فى نسبه الاخوه مقدمه ممهده لتعليل ما فى قوله: «فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» من حكم الصلح يفيد أن الطائفتين المتقاتلتين لوجود الاخوه بينهما يجب أن يستقر بينهما الصلح، و المصلحون لكونهم إخوه للمتقاتلتين يجب أن يسعوا فى إصلاح ما بينهما.

و قوله: فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ و لم يقل: فأصلحوا بين الأخوين من أوجز الكلام و أطفه حيث يفيد أن المتقاتلتين بينهما اخوة فمن الواجب أن يستقر بينهما الصلح و سائر المؤمنين إخوان للمتقاتلتين فيجب عليهم أن يسعوا فى الإصلاح بينهما.

و قوله: وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ موعظه للمتقاتلتين و المصلحين جميعاً (١).

### [سورة الحجرات (٤٩): الآيات ١١ الى ١٨]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَشْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بَنَسِ الْأِسْمِ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِعِدَّتِكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)

ص: ١٦



قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ الخ؛ السخرية الاستهزاء وهو ذكر ما يستحقق ويستهان به الإنسان بقول أو إشاره أو فعل تقليدا بحيث يضحك منه بالطبع، والقوم الجماعه وهو فى الأصل الرجال دون النساء لقيامهم بالأمور المهمه دونهن، وهذا المعنى هو المراد بالقوم فى الآيه بما قوبل بالنساء.

وقوله: عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ و«عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ» حكمه النهى.

والمستفاد من السياق أن الملا-ك رجاء كون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر سواء كان الساخر رجلا أو امرأه و كذا المسخور منه فتخصيص النهى فى اللفظ بسخرية القوم من القوم و سخرية النساء من النساء لمكان الغلبه عاده.

وقوله: وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ اللمز-على ما قيل-التنبيه على المعاييب، وتعليق اللمز بقوله: «أَنفُسَكُمْ» للإشاره الى أنهم مجتمع واحد بعضهم من بعض فلمز الواحد منهم غيره فى الحقيقه لمز نفسه فليجتنب من أن يلمز غيره كما يكره أن يلمزه غيره، ففى قوله:

«أَنفُسَكُمْ» إشاره الى حكمه النهى.

وقوله: وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ النبز بالتحريك هو اللقب، ويختص-على ما قيل-بما يدل على ذم فالتنابز بالألقاب ذكر بعضهم بعضا بلقب السوء مما يكرهه كالفاسق و السفیه و نحو ذلك.

و المراد بالاسم فى «بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ» الذكر كما يقال: شاع اسم فلان بالسخاء و الجود، و على هذا فالمعنى: بئس الذكر ذكر الناس-بعد إيمانهم-بالفسوق فإن الحرى

بالمؤمن بما هو مؤمن أن يذكر بالخير و لا يطعن فيه بما يسوؤه نحو يا من أبوه كان كذا و يا من أمه كانت كذا.

و يمكن أن يكون المراد بالاسم السمه و العلامه و المعنى: بثت السمه أن يوسم الإنسان بعد الإيمان بالفسوق بأن يذكر بسمه السوء كأن يقال لمن اقترف معصيه ثم تاب: يا صاحب المعصيه الفلانيه، أو المعنى: بثس الاسم أن يسم الإنسان نفسه بالفسوق بذكر الناس بما يسوؤهم من الألقاب، و على أى معنى كان ففي الجملة إشاره الى حكمه النهى.

و قوله: «وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» أى و من لم يتب عن هذه المعاصى التى يقتربها بعد ورود النهى فلم يندم عليها و لم يرجع الى الله سبحانه بتركها فاولئك ظالمون حقا فإنهم لا يرون بها بأسا و قد عدها الله معاصى و نهى عنها.

و فى الجملة أعنى قوله: «وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ» الخ؛ إشعار بأن هناك من كان يقترب هذه المعاصى من المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ إِلَى آخِرِ آيَةِ الْمَرَادِ بِالظَّنِّ الْمَأْمُورِ بِالاجْتِنَابِ عَنْهُ ظَنُّ السُّوءِ فَإِنَّ ظَنَّ الْخَيْرِ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (النور/١٢).

و المراد بالاجتناب عن الظن الاجتناب عن ترتيب الأثر عليه كأن يظن بأخيه المؤمن سوء فيرميه به و يذكره لغيره و يرتب عليه سائر آثاره، و أما نفس الظن بما هو نوع من الإدراك النفسانى فهو أمر يفاجئ النفس لا عن اختيار فلا يتعلق به النهى اللهم إلا إذا كان بعض مقدماته اختياريا.

و على هذا فكون بعض الظن إثما من حيث كون ما يترتب عليه من الأثر إثما كإهانته المظنون به و قذفه و غير ذلك من الآثار السيئه المحرمه، و المراد بكثير من الظن - و قد جىء به نكره

ليدل على كثرته في نفسه لا- بالقياس الى سائر أفراد الظن-هو بعض الظن الذى هو إثم فهو كثير في نفسه و بعض من مطلق الظن، و لو أريد بكثير من الظن أعم من ذلك كأن يراد ما يعلم أن فيه إثما و ما لا يعلم منه ذلك كان الأمر بالاجتناب عنه أمرا احتياطيا توقيا من الوقوع فى الإثم.

□ وقوله: وَلَا تَجَسَّسُوا التَّجَسُّسَ بِالْجِيمِ تَبِعَ مَا اسْتَرَّ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ لِلإِطْلَاقِ عَلَيْهَا، وَ مِثْلُهُ التَّحَسُّسُ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ إِلَّا أَنْ التَّجَسُّسَ بِالْجِيمِ يَسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ وَ التَّحَسُّسُ بِالْحَاءِ يَسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ، وَ لَذَا قِيلَ: مَعْنَى الْآيَةِ لَا تَتَّبِعُوا عِيُوبَ الْمُسْلِمِينَ لِتَهْتَكُوا الْأُمُورَ الَّتِي سَتَرَهَا أَهْلِهَا.

□ وقوله: وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ الْغَيْبِ عَلَى مَا فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ ذَكَرَ الْعَيْبَ بظهر الغيب على وجه يمنع الحكمه منه، و قد فسرت بتفاسير مختلفه حسب الاختلاف في مصاديقها سعه و ضيقا فى الفقه، و يؤول الى أن يذكر من الإنسان فى ظهر الغيب ما يسوؤه لو ذكر به و لذا لم يعدوا من الغيب ذكر المتجاهر بالفسق بما تجاهر به.

و الغيبه تفسد أجزاء المجتمع واحدا بعد واحد فتسقطها عن صلاحية التأثير الصالح المرجو من الاجتماع و هو أن يخالط كل صاحبه و يمازجه فى أمن و سلامه بأن يعرفه إنسانا عدلا سويا يأنس به و لا يكرهه و لا يستقدره، و أما إذا عرفه بما يكرهه و يعيبه به انقطع عنه بمقدار ذلك و ضعفت رابطة الاجتماع فهى كالآل- كله التى تأكل جثمان من ابتلى بها عضوا بعد عضو حتى تنتهى الى بطلان الحياه.

و الإنسان إنما يعقد المجتمع ليعيش فيه بهويه اجتماعيه أعنى بمنزله اجتماعيه صالحه لأن يخالطه و يمازج فيفيد و يستفاد منه، و غيبته بذكر عيبه لغيره تسقطه عن هذه المنزله و تبطل منه هذه الهويه، و فيه تنقيص واحد من عدد المجتمع الصالح و لا يزال ينتقص بشيوع الغيبه

حتى يأتي على آخره فيتبدل الصلاح فسادا و يذهب الانس و الأمن و الاعتماد و ينقلب الدواء داء.

فهى فى الحقيقه إبطال هويه اجتماعيه على حين غفله من صاحبها و من حيث لا- يشعر به، و لو علم بذلك على ما فيه من المخاطره لتحرّز منه و توقى انتهاك ستره و هو الستر ألقاه الله سبحانه على عيوب الإنسان و نواقصه ليتّم به ما أراد من طريق الفطره من تألّف أفراد الإنسان و تجمّعهم و تعاونهم و تعاضدهم، و أين الإنسان و النزاهه من كل عيب.

و الى هذه الحقيقه أشار تعالى فيما ذكره من التمثيل بقوله: «أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ» و قد أتى بالاستفهام الإنكارى و نسب الحب المنفى الى أحدهم و لم يقل:

بعضكم و نحو ذلك ليكون النفى أوضح استيعابا و شمولاً و لذا أكّده بقوله بعد: «فَكَرِهْتُمُوهُ» فنسب الكراهه الى الجميع و لم يقل: فكرهه.

و بالجمله محصّله أن اغتياب المؤمن بمنزله أن يأكل الإنسان لحم أخيه حال كونه ميتاً، و إنما كان لحم أخيه لأنه من أفراد المجتمع الإسلامى المؤلف من المؤمنين و إنما المؤمنون إخوه، و إنما كان ميتاً لأنه لغيبته غافل لا يشعر بما يقال فيه.

و فى قوله: فَكَرِهْتُمُوهُ و لم يقل: فتكرهونه إشعار بأن الكراهه أمر ثابت محقق منكم فى أن تأكلوا إنساناً هو أخوكم و هو ميت فكما أن هذا مكروه لكم فليكن مكروها لكم اغتياب أخيكم المؤمن بظهر الغيب فإنه فى معنى أكل أحدكم أخاه ميتاً.

و اعلم أن ما فى قوله: «أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ» الخ؛ من التعليل جار فى التجسس أيضا كالغيبه، و إنما الفرق أن الغيبه هو إظهار عيب الغير للغير أو التوصل الى الظهور عليه من طريق نقل الغير، و التجسس هو التوصل الى العلم بعيب الغير من طريق تتبع آثاره و لذلك لم يبعد أن يكون الجمله أعنى قوله: «أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا» الخ؛ تعليلاً لكل من الجملتين أعنى «وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا» .



و اعلم أن في الكلام إشعاراً أو دلالة على اقتصار الحرمة في غيبه المسلمين، و من القرينه عليه قوله في التعليل: «لَحَمَ أَخِيهِ» فالأخوه إنما هي بين المؤمنين.

و قوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ» ظاهره أنه عطف على قوله: «اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ» إن كان المراد بالتقوى هو التجنب عن هذه الذنوب التي كانوا يقتربونها بالتوبه الى الله سبحانه فالمراد بقوله: «إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ» أن الله كثير القبول للتوبه رحيم بعباده التائبين اليه اللاتئين به.

و إن كان هو التجنب عنها و التورع فيها و إن لم يكونوا يقتربونها فالمراد بقوله: «إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ» أن الله كثير الرجوع الى عباده المتقين بالهدايه و التوفيق و الحفظ عن الوقوع في مهالك الشقوه رحيم بهم».

و ذلك أن التوبه من الله توبتان: توبه قبل توبه العبد بالرجوع اليه بالتوفيق للتوبه كما قال تعالى: ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا (التوبه ١١٨)، و توبه بعد توبه العبد بالرجوع اليه بالمغفره و قبول التوبه كما في قوله: فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ اصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ (المائد ٣٩).

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ الخ؛ الشعوب جمع شعب بالكسر فالسكون و هو على ما في المجمع الحى العظيم من الناس كربيعه و مضر، و القبائل جمع قبيله و هي دون الشعب كتميم من مضر.

و قوله: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ استئناف مبين لما فيه الكرامه عند الله سبحانه، و ذلك أنه نبههم في صدر الآيه على أن الناس بما هم ناس يساوى بعضهم بعضاً لا اختلاف بينهم و لا فضل لأحدهم على غيره، و أن الاختلاف المترئى في الخلقه من حيث الشعوب و القبائل إنما هو للتوصل به الى تعارفهم ليقوم به الاجتماع المنعقد بينهم إذ لا يتم

ائتلاف و لا تعاون و تعاضد من غير تعرف فهذا هو غرض الخلقه من الاختلاف المجعول لا أن تتفاخروا بالأنساب و تتفاضلوا بأمثال البياض و السواد فيستعبد بذلك بعضهم بعضا و يستخدم إنسان إنسانا و يستعلى قوم على قوم فينجر الى ظهور الفساد فى البر و البحر و هلاك الحرث و النسل فينقلب الدواء داء.

ثم تبه سبحانه فى ذيل الآيه بهذه الجملة أعنى قوله: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» على ما فيه الكرامه عنده، و هى حقيقه الكرامه.

و قوله: إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ فيه تأكيد لمضمون الآيه و تلويح الى أن الذى اختاره الله كرامه للناس كرامه حقيقه اختارها الله بعلمه و خبرته بخلاف ما اختاره الناس كرامه و شرفا لأنفسهم فإنها وهميه باطله فإنها جميعا من زينه الحياه الدنيا قال تعالى: وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (العنكبوت / ٦٤).

و فى الآيه دلالة على أن من الواجب على الناس أن يتبعوا فى غايات الحياه أمر ربهم و يختاروا ما يختاره و يهدى اليه و قد اختار لهم التقوى كما أن من الواجب عليهم أن يختاروا من سنن الحياه ما يختاره لهم من الدين.

قوله تعالى: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمُ الْخُصَاءُ و ما يليها الى آخر السوره متعرضه لحال الأعراب فى دعواهم الإيمان و منهم على النبى صلى الله عليه و آله و سلم بآيمانهم، و سياق نقل قولهم و أمر النبى صلى الله عليه و آله و سلم أن يجيبهم بقوله: «لَمْ تُؤْمِنُوا» يدل على أن المراد بالأعراب بعض الأعراب البادين دون جميعهم، و يؤيده قوله: وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ (التوبه / ٩٩).

و قوله: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَى قالوا لك آمنا و ادعوا الإيمان

قل لم تؤمنوا و كذبهم في دعواهم، و قوله: «وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا» استدراك مما يدل عليه سابق الكلام، و التقدير: فلا تقولوا آمنا و لكن قولوا: أسلمنا.

و قوله: «وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ لِنَفِي دُخُولِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ مَعَ انْتِظَارِ دُخُولِهِ، و لذلك لم يكن تكرارا لنفي الإيمان المدلول عليه بقوله: «لَمْ تُؤْمِنُوا» .

و قد نفي في الآيه الإيمان عنهم و أوضحه بأنه لم يدخل في قلوبهم بعد و أثبت لهم الإسلام، و يظهر به الفرق بين الإيمان و الإسلام بأن الإيمان معنى قائم بالقلب من قبيل الاعتقاد، و الإسلام أمر قائم باللسان و الجوارح فإنه الاستسلام و الخضوع لسانا بالشهادة على التوحيد و النيّوه و عملا- بالمتابعه العمليه ظاهرا سواء قارن الاعتقاد بحقيقته ما شهد عليه و عمل به أو لم يقارن، و بظاهر الشهادتين تحقن الدماء و عليه تجرى المناكح و المواريث.

و قوله: «وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا لَلِيتِ النِّقْصُ يُقَالُ: لَا تَه يَلِيْتُهُ لِيْتَا إِذَا نَقَصَهُ، و المراد بالإطاعه الإخلاص فيها بموافقه الباطن للظاهر من غير نفاق، و طاعه الله استجابته ما دعا اليه من اعتقاد و عمل، و طاعه رسوله تصديقه و اتباعه فيما يأمر به فيما له الولاية عليه من امور الامه، و المراد بالأعمال جزاؤها المراد بنقص الأعمال نقص جزائها.

و المعنى: و إن تطيعوا الله فيما يأمركم به من اتباع دينه اعتقادا، و تطيعوا الرسول فيما يأمركم به لا- ينقص من اجور أعمالكم شيئا، و قوله: «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» تعليل لعدم نقصه تعالى أعمالهم إن أطاعوه و رسوله.

قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزُواْ أَوْ وَاَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» تعريف تفصيلي للمؤمنين بعد ما عرفوا إجمالا بأنهم الذين دخل الإيمان في قلوبهم كما هو لازم قوله:

«لَمْ تُؤْمِنُوا»

«وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» .

ف قوله: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، الخ؛ فتفيد تعريفهم بما ذكر من الأوصاف تعريفًا جامعًا مانعًا فمن اتَّصف بها مؤمن حقا كما أن من فقد شيئا منها ليس بمؤمن حقا.

و الإيمان بالله و رسوله عقد القلب على توحيدهِ تعالى و حقيقه ما أرسل به رسوله و على صحه الرساله و اتباع الرسول فيما يأمر به.

و قوله: ثُمَّ لَمْ يَزِدْ أَبُؤُا أَى لَمْ يَشْكُوا فِى حَقِيهِ مَا آمَنُوا بِهِ وَ كَانَ إِيمَانُهُمْ ثَابِتًا مُسْتَقْرًا لَا يَزَلْزَلُهُ شَكٌّ، و التعبير بثم دون الواو- كما قيل- للدلاله على انتفاء عروض الريب حيننا بعد حين كأنه طرئ جديد دائما فيفيد ثبوت الإيمان على استحكامه الأولى و لو قيل: و لم يرتابوا كان من الجائز أن يصدق مع الإيمان أولا مقارنا لعدم الارتياب مع السكوت عما بعد.

و قوله: وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمَجَاهِدَةَ بِذَلِ الْجُهْدِ وَالطَّاقَةِ وَ سَبِيلَ اللَّهِ دِينَهُ، و المراد بالمجاهده بالأموال و الأنفس العمل بما تسعه الاستطاعه و تبلغه الطاقه فى التكاليف الماليه كالزكاه و غير ذلك من الإنفاقات الواجبه، و التكاليف البدنيه كالصلاه و الصوم و الحج و غير ذلك.

و المعنى: و يجدون بإتيان التكاليف الماليه و البدنيه حال كونهم أو حال كون عملهم فى دين الله و سبيله.

و قوله: أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ تصديق فى إيمانهم إذا كانوا على الصفات المذكوره.

قوله تعالى: قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ توبيخ للأعراب حيث قالوا: آمنا و لازمه دعوى الصدق فى قولهم و الإصرار على ذلك، و قيل: لما نزلت الآيه السابقه حلفت الأعراب أنهم مؤمنون صادقون فى قولهم: آمنا، فنزل «قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ» الآيه، و معنى الآيه



بمضمونها جميع ذلك.

و المراد بغيب السماوات و الأرض ما فيها من الغيب أو الأعم مما فيهما و من الخارج منهما (١).

ص: ٢٧

---

١-١). الحجرات ١١-١٨: بحث روائى فى: النهى عن الغيبه، و النبز باللقاب؛ التقوى؛ الايمان و الاسلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢)  
أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ  
فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (٥) أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا  
رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبَصَّرْتَهُ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ  
حَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ  
نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ  
(١٤)

السوره تذكر الدعوه و تشير الى ما فيها من الإنذار بالمعاد و جحد المشركين به و استعجابهم ذلك بأن الموت يستعقب بطلان الشخصيه الإنسانيه بصيرورته ترابا لا يبقى معه أثر مما كان عليه فكيف يرجع ثانيا الى ما كان عليه قبل الموت فتدفع ما أظهره من الاستعجاب و الاستبعاد بأن العلم الإلهي محيط بهم و عنده الكتاب الحفيظ الذي لا يعزب عنه شيء مما دق و جل من أحوال خلقه ثم توعدهم بإصابه مثل ما أصاب الامم الماضيه الهالكه.

و تنبه ثانيا على علمه و قدرته تعالى بالإشاره الى ما جرى من تدبيره تعالى في خلق السماوات و ما زينها به من الكواكب و النجوم و غير ذلك، و في خلق الأرض من حيث مدّها و إلقاء الرواسي عليها و إنبات الأزواج النباتيه فيها ثم بإنزال الماء و تهيئه أرزاق العباد و إحياء الأرض به.

ثم بيان حال الإنسان من أول ما خلق و أنه تحت المراقبه الشديده المدقيقه حتى ما يلفظ به من لفظ و حتى ما يخطر بباله و توسوس به نفسه ما دام حيا ثم إذا أدركه الموت ثم إذا بعث لفصل



القضاء ثم إذا فرغ من حسابه فادخل النار إن كان من المكذبين أو الجنة المزيفه إن كان من المتقين.

و بالجمله مصب الكلام فى السوره هو المعاد، و من غرر الآيات فيها قوله: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَ كَفِّبَصْرِكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ، و قوله: يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ و قوله: لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ .

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها إلا ما قيل فى قوله: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ الْآيَه أو الآيتين، و لا شاهد عليه من اللفظ. و ما أوردناه من الآيات فيه إجمال الإشاره الى المعاد و استبعادهم له، و إجمال الجواب و التهديد أولا ثم الإشاره الى تفصيل الجواب و التهديد ثانيا.

قوله تعالى: ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، قال فى المجمع:المجد فى كلامهم الشرف الواسع يقال:مجد الرجل و مجد-بضم العين و فتحها-مجدا إذا عظم و كرم، و أصله من قولهم:مجدت الإبل مجودا إذا عظمت بطونها من كثره أكلها من كلاء الربيع.انتهى.

و قوله: وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ قسم و جوابه محذوف يدل عليه الجمل التاليه و التقدير و القرآن المجيد إن البعث حق أو إنك لمن المنذرين أو الانذار حق، و قيل:جواب القسم مذكور و هو قوله: «يَلْ عَجِبُوا» الخ؛ و قيل:هو قوله: «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ» الخ؛ و قيل:قوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ الْخ؛ و قيل:قوله: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ الْخ؛ و قيل:قوله: مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَى الْخ؛ و هذه أقوال سخيغه لا يصار إليها.

قوله تعالى: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ إضراب عن مضمون جواب القسم المحذوف فكأنه قيل:إننا أرسلناك نذيرا فلم يؤمنوا بك بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم، أو قيل إن البعث الذى أنذرتهم به حق و لم يؤمنوا به بل عجبوا منه و استبعدوه.

و ضمير «منهم» في قوله: «بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» راجع اليهم بما هم بشر أى من جنسهم و ذلك أن الوثنيين ينكرون نبوه البشر كما تقدمت الاشارة اليه مرارا أو راجع اليهم بما هم عرب و المعنى: بل عجبوا أن جاءهم منذر من قومهم و بلسانهم يبين لهم الحق أو في بيان فيكون أبلغ في تقريرهم.

و قوله: فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ وصفهم بالكفر و لم يقل: و قال المشركون و نحو ذلك للدلاله على سترهم للحق لما جاءهم، و الاشارة في قولهم: «هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ»، الى البعث و الرجوع الى الله كما يفسره قوله بعد: «أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا» الخ.

قوله تعالى: أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ الرجوع بمعنى و المراد بالبعد البعد عن العقل.

و جواب إذا في قولهم: «أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا» محذوف يدل عليه قولهم: «ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ» و التقدير أ إذا متنا و كنا ترابا نبعث و نرجع؟ و الاستفهام للتعجب، و إنما حذف للاشارة الى أنه عجيب بحيث لا ينبغي أن يذكر، إذ لا يقبله عقل ذى عقل و الآيه في مساق قوله: وَقَالُوا أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (الم السجده ١٠).

و المعنى: إنهم يتعجبون و يقولون: أ إذا متنا و كنا ترابا- و بطلت ذواتنا بطلانا لا أثر معه منها- نبعث و نرجع؟ ثم كأنه قائلا يقول لهم: مم تعجبون؟ فقالوا: ذلك رجوع بعيد يستعبده العقل و لا يسلمه.

قوله تعالى: قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ رد منه تعالى لاستبعادهم البعث و الرجوع مستنديين في ذلك الى أنهم ستتلاشى أبدانهم بالموت فتصير ترابا متشابه الأجزاء لا تمايز لجزء منها من جزء و الجواب أننا نعلم بما تأكله الأرض من أبدانهم و تنقصه منها فلا يفوت علمنا جزء من أجزائهم حتى يتعسر علينا إرجاعه أو يتعذر بالجهل.

أو أنا نعلم من يموت منهم فيدفن في الأرض فتنقصه الأرض من جمعهم، و«من» على أول الوجهين تبعيضية و على الثاني تبينيه.

وقوله: وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ أى حافظ لكل شىء و لآثاره و أحواله، أو كتاب ضابط للحوادث محفوظ عن التغيير و التحريف، و هو اللوح المحفوظ الذى فيه كل ما كان و ما يكون و ما هو كائن الى يوم القيامة.

و محصل جواب الآيه أنهم زعموا أن موتهم و صيرورتهم ترابا متلاشى الذرات غير متمايز الأجزاء يصيرهم مجهولى الأجزاء عندنا فيمتنع علينا جمعها و إرجاعها لكنه زعم باطل فإننا نعلم بمن مات منهم و ما يتبدل الى الأرض من أجزاء أبدانهم و كيف يتبدل و الى أين يصير؟ و عندنا كتاب حفيظ فيه كل شىء و هو اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: يَلِ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ المرح الاختلاط و الالتباس، و فى الآيه إضراب عما تلوح اليه الآيه السابقه فإن اللائح منها أنهم إنما تعجبوا من أمر البعث و الرجوع و استبعدوه لجهلهم بأن الله سبحانه عليم لا يعزب عنه شىء من أحوال خلقه و آثارهم و أن جميع ذلك مستطر فى اللوح المحفوظ عند الله بحث لا يشد عنه شاذ.

فاضرب فى هذه الآيه أن ذلك ليس من جهلهم و إن تجاهلوا بل كذبوا بالحق لما جاءهم فاستبان لهم أنه حق فهم جاحدون للحق معاندون له و ليسوا بجاهلين به قاصرين عن إدراكه فهم فى أمر مريح مختلط غير منتظم يدركون الحق و يكذبون به مع أن لازم العلم بشىء تصديقه و الإيمان به.

وقيل: المراد بكونهم فى أمر مريح أنهم متحيرون بعد إنكار الحق لا يدرون ما يقولون فتاره يقولون: افتراء على الله، و تاره: سحر، و تاره: شعر، و تاره: كهانه و تاره: زجر.

و لذلك عقب الكلام بذكر آيات علمه و قدرته تويخا لهم ثم بالإشارة الى تكذيب الامم

الماضيهِ الهالكه الذى ساقهم الى عذاب الاستئصال، تهديدا لهم.

قوله تعالى: أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ الْفُرُوجِ جمع فرجه: الشقوق و الفتوق، و تقييد السماء بكونها فوقهم للدلالة على أنها برأى منهم لا- تغيب عن أنظارهم، و المراد بتزيينها خلق النجوم اللامعه فيها بما لها من الجمال البديع، فبناء هذا الخلق البديع بما لها من الجمال الرائع من غير شقوق و فتوق أصدق شاهد على قدرته القاهره و علمه المحيط بما خلق.

قوله تعالى: وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ مَد الْأَرْضَ بسطها لتلائم عيشه الإنسان، و الرواسى جمع الراسيه بمعنى الثابته صفه محدوفه فالموصوف و هو الجبال، و المراد جعل الجبال الثابته على ظهرها، و البهيج من البهجه، قال فى المجمع: البهجه الحسن الذى له روعه عند الرؤيه كالزهرة و الأشجار النضرة و الرياض الخضرة. انتهى. و قيل: المراد بالبهيج الذى من رآه بهج و سرّ به فهو بمعنى المبهور به.

و المراد بإنبات كل زوج بهيج إنبات كل صنف حسن المنظر من النبات.

فخلق الأرض و ما جرى فيها من التدبير الإلهى العجيب أحسن دليل يدلّ العقل على كمال قدره و العلم.

قوله تعالى: تَبَصَّرَهُ وَ ذَكَرَى لِكُلِّ عَيْدٍ مُنِيبٍ مَفْعُول له أى فعلنا ما فعلنا من بناء السماء و مد الأرض و عجائب التدبير التى أجريناها فيهما ليكون تبصره يتبصر بها و ذكرى يتذكر بها كل عبد راجع الى الله سبحانه.

قوله تعالى: وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ السَّمَاءِ جهه العلو و الماء المبارك المطر، و وصف بالمباركه لكثرة خيراته العائده الى الأرض و أهلها، و حب الحصيد المحصود من الحب و هو من إضافه الموصوف الى الصفه،

قوله تعالى: وَ النَّخْلَ بِاسْتِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ جَمْعُ بَاسِقَةٍ وَ هِيَ الطَّوِيلَةُ الْعَالِيَةُ، وَ الطَّلْعُ أَوَّلُ مَا يُطْلَعُ مِنْ ثَمَرِ النَّخِيلِ، وَ النُّضِيدُ بِمَعْنَى الْمَنْضُودِ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَ الْمَعْنَى ظَاهِرٌ.

قوله تعالى: رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مِثْلًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ الرِّزْقُ مَا يَمُدُّ بِهِ الْبَقَاءُ، وَ «رِزْقًا لِلْعِبَادِ» مَفْعُولٌ لَهُ أَيْ أَنْبَتْنَا هَذِهِ الْجَنَاتِ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ وَ النَّخْلَ بِاسْتِقَاتٍ بِمَا لَهَا مِنَ الطَّلْعِ النَّضِيدِ لِيَكُونَ رِزْقًا لِلْعِبَادِ فَمِنْ خَلَقَ هَذِهِ النَّبَاتَاتِ لِيُرِزَّقَ بِهِ الْعِبَادُ بِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّدْبِيرِ الْوَسِيعِ الَّذِي يَدْهَشُ اللَّبَّ وَ يَحْزِرُ الْعَقْلَ هُوَ ذُو عِلْمٍ لَا يَتَنَاهَى وَ قَدْرُهُ لَا تَعْبَى لَا يَشْقُ عَلَيْهِ إِحْيَاءُ الْإِنْسَانِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَ إِنْ تَلَاشَتْ ذَرَّاتُ جِسْمِهِ وَ ضَلَّتْ فِي الْأَرْضِ أَجْزَاءَ بَدَنِهِ.

و قوله: وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مِثْلًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ بَرَهَانٌ آخَرٌ عَلَى الْبَعْثِ غَيْرُ مَا تَقَدَّمَ اسْتَنْتَجَ مِنْ طَيِّ الْكَلَامِ فَإِنَّ الْبَيَانَ السَّابِقَ فِي رَدِّ اسْتِبْعَادِهِمْ لِلْبَعْثِ مُسْتَنْدِينَ إِلَى صَيُورَتِهِمْ تَرَابًا غَيْرَ مَتَمَايِزِ الْأَجْزَاءِ كَانَ بَرَهَانًا مِنْ مَسَلِكِ إِثْبَاتِ عِلْمِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ وَ قُدْرَتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَ هَذَا الْبَرَهَانُ الَّذِي يَتَضَمَّنُهُ قَوْلُهُ: «وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مِثْلًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ» مِنْ مَسَلِكِ إِثْبَاتِ إِمْكَانِ الشَّيْءِ بِوُقُوعِ مِثْلِهِ فَلَيْسَ الْخُرُوجُ مِنَ الْقُبُورِ بِالْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَّا- مِثْلَ خُرُوجِ النَّبَاتِ الْمَيِّتِ مِنَ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ وَقُوفِ قَوَاهِ عَنِ النَّمَاءِ وَ النُّشُوءِ.

و قد قررنا هذا البرهان في ذيل الآيات المستدله بإحياء الأرض بعد موتها على البعث غير مره فيما تقدم من أجزاء الكتاب.

قوله تعالى: كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ -إلى قوله- كُلُّ كَذَّابٍ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعَمِيدٍ، تهديد و إنذار لهم بما كذبوا بالحق لما جاءهم و تبين لهم عنادا كما أشرنا إليه قبل.

و قد تقدم ذكر أصحاب الرس في تفسير سورة الفرقان، و ذكر أصحاب الأيكة و هو قوم شعيب في سورة الحجر و الشعراء و ص، و ذكر قوم تبع في سورة الدخان.

و في قوله: «كَلَّ كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ» إشاره الى أن هناك وعيدا بالهلاك ينجز عند تكذيب الرسل قال تعالى: فَسَيَرُوا فِي  
الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (النحل ٣٦).

### [سوره ق (٥٠): الآيات ١٥ الى ٣٨]

أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ  
حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَائِلِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَ جَاءَتْ  
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَ نَفَخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ (٢٠) وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ  
شَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَ كَفَبَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَ قَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا  
فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتِيدٍ مُرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ  
قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتَهُ وَ لَكِنْ كَانُ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ  
مَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠) وَ أَرْزَلْنَا الْجِنَّهُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا  
تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَ جَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) أُدْخِلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا  
يَشَاؤُونَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ (٣٧) وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتِّهِ أَيَّامٍ وَ مَا مَسَّنَا مِنْ  
لُغُوبٍ (٣٨)

قوله تعالى: أَفَعَيَّيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ العى عجز يلحق من تولى الأمر و الكلام كذا، قال الراغب: يقال: أعيانى كذا و عييت بكذا أى عجزت عنه و الخلق الأول خلق هذه النشأه الطبيعیه بنظامها الجارى و منها الإنسان فى حياته الدنيا فلا وجه لقصر الخلق الأول فى خلق السماء و الأرض فقط كما مال اليه الرازى فى

التفسير الكبير و لا لقصره فى خلق الإنسان كما مال اليه بعضهم و ذلك لأن الخلق الجديد يشمل السماء و الأرض و الإنسان جميعا كما قال تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (إبراهيم ٤٨). و الخلق الجديد خلق النشأ الثانية و هى النشأ الآخرة، و الاستفهام للإنكار.

و المعنى: أعجزنا عن الخلق الأول حتى نعجز عن الخلق الجديد؟ أى لم نعجز عن الخلق الأول و هو إبدائه فلا نعجز عن الخلق الجديد و هو إعادته.

و قوله: بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ اللبس هو الالتباس، و المراد بالخلق الجديد تبديل نشأتهم الدنيا من نشأ اخرى ذات نظام آخر وراء النظام الطبيعى الحاكم فى الدنيا فإن فى النشأ الاخرى و هى الخلق الجديد بقاء من غير فناء و حياه من غير موت ثم إن كان الإنسان من أهل السعادة فله نعمه من غير نقمه و إن كان من أهل الشقاء ففى نقمه لا نعمه معها، و النشأ الاولى و هى الخلق الأول و النظام الحاكم فيها على خلاف ذلك.

و المعنى: إذا كنا خلقنا العالم بسمائه و أرضه و ما فيهما و دبّرناه أحسن تدبير لأول مره بقدرتنا و علمنا و لم نعجز عن ذلك علما و قدره فنحن غير عاجزين عن تجديد خلقه و هو تبديله خلقا جديدا فلا ريب فى قدرتنا و لا التباس بل هم فى التباس لا سبيل لهم مع ذلك الى الإيمان بخلق جديد.

قوله تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ قال الراغب: الوسوسة الخطره الرديئه و أصله من الوسواس و هو صوت الحلى و الهمس الخفى. انتهى.

و المراد بخلق الإنسان وجوده المتدرج المتحول خلقا بعد خلق لا أول تكوينه إنسانا و إن عبّر عنه بالماضى إذ قال: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ» إذ الإنسان -و كذا كل مخلوق له حظ من البقاء- كما يحتاج الى عطيه ربه فى أول وجوده كذلك يحتاج اليه فى بقائه.



و لما ذكر من النكته عطف قوله: «وَ نَعْلَمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ» و هو فعل مضارع مسوق للدلاله على الاستمرار على قوله: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ» و هو فعل ماض لكنه مستمر المعنى، و كذا قوله: «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» مفيد للثبوت و الدوام و الاستمرار باستمرار وجود الإنسان.

و للآيه اتصال بما تقدم من الاحتجاج على علمه و قدرته تعالى فى الخلق الأول بقوله:

«أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ» و اتصال أيضا بقوله تعالى فى الآيه السابقه: «بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ» فهى فى سياق يذكر قدرته على الإنسان بخلقه، و علمه به بلا واسطه و بواسطه الملائكه الحفظه الكتبه.

فقوله: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ -و اللام للقسم- دالّ على القدره عليه بإثبات الخلق.

و قوله: «وَ نَعْلَمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ» فى ذكر أخفى أصناف العلم و هو العلم بالخطور النفسانى الخفى إشاره الى استيعاب العلم له كأنه قيل: و نعلم ظاهره و باطنه حتى ما توسوس به نفسه و ما توسوس به الشبهه فى أمر المعاد: كيف يبعث الإنسان و قد صار بعد الموت ترابا متلاشى الأجزاء غير متميز بعضها من بعض.

و قد بان أن «م» فى «مَا تُوسِسُ بِهِ» موصوله و ضمير «بِهِ» عائد اليه و الباء للآله أو للسببيه، و نسب الوسوسه الى النفس دون الشيطان و إن كانت منسوبه اليه أيضا لأن الكلام فى إحاطه العلم بالإنسان حتى بما فى زوايا نفسه من هاجس و وسوسه.

و قوله: «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» عرق متفرق فى البدن فيه مجارى الدم، و قيل: هو العرق الذى فى الحلق، و كيف كان فتسميته حبلًا لتشبيهه به، و إضافه حبل الوريد بيانیه.

و المعنى: نحن أقرب الى الإنسان من حبل وريده المخالط لأعضائه المستقر فى داخل بدنه

فكيف لا نعلم به و بما فى نفسه؟

و هذا تقريب للمقصود بجمله ساذجه يسهل تلقيها لعامه الأفهام و إلا فأمر قربه تعالى اليه أعظم من ذلك و أعظم فهو سبحانه الذى جعلها نفسا و رتب عليها آثارها فهو الواسطه بينها و بين نفسها و بينها و بين آثارها و أفعالها فهو أقرب الى الإنسان من كل أمر مفروض حتى فى نفسه، و لكون هذا المعنى دقيقا يثبت تصوره على أكثر الأفهام عدل سبحانه الى بيانه بنحو قوله: «و نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» و قريب منه بوجه قوله: «أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ» .

قوله تعالى: إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشُّمَالِ قَعِيدٌ التلقى الأخذ و التلقن، و المراد بالمتلقين على ما يفيد السباق الملكان الموكلان على الإنسان اللذان يتلقيان عمله فيحفظانه بالكتابة.

و قوله: عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشُّمَالِ قَعِيدٌ تقديره عن اليمين قعيد و عن الشمال قعيد، و المراد باليمين و الشمال يمين الإنسان و شماله، و القعيد القاعد.

و الظرف فى قوله: «إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِينَ» الظاهر أنه متعلق بمحذوف و التقدير اذكر إذ يتلقى المتلقين، و المراد به الإشارة الى علمه تعالى بأعمال الإنسان من طريق كتاب الأعمال من الملائكة و راء علمه تعالى بذاته من غير توسط الوسائط.

و قوله: عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشُّمَالِ قَعِيدٌ تمثيل لموقعهما من الإنسان، و اليمين و الشمال جانبا الخير و الشر ينتسب اليهما الحسنه و السيئه.

قوله تعالى: مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ اللفظ الرمى سمي به التكلم بنوع من التشبيه، و الرقيب المحافظ، و العتيد المعد المهيا للزوم الأمر.

و الآيه تذكر مراقبه الكتبه للإنسان فيما يتكلم به من كلام، و هى بعد قوله: «إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِينَ» الخ؛ من ذكر الخاص بعد العام لمزيد العناية به.

قوله تعالى: وَجَاءَتْ سَيِّكْرَهُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ الْحِيدَ الْعَدُولَ وَ الْمِيلَ عَلَى سَبِيلِ الْهَرَبِ، وَ الْمَرَادُ بِسَكْرِهِ الْمَوْتُ مَا يَعْرِضُ الْإِنْسَانَ حَالَ النَّزْعِ إِذْ يَشْتَغَلُ بِنَفْسِهِ وَ يَنْقَطِعُ عَنِ النَّاسِ كَالسَّكَرَانِ الَّذِي لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ وَ لَا مَا يَقَالُ لَهُ.

وَ فِي تَقْيِيدِ مَجِيءِ سَكْرِهِ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَوْتَ دَاخِلٌ فِي الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ مَرَادٌ فِي نَفْسِهِ فِي نِظَامِ الْكُونِ كَمَا يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبَلُّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِنَّا تُرْجِعُوْنَ (الأنبياء ٣٥)، وَ قَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهُ فَالْمَوْتُ - وَ هُوَ الْإِنْتِقَالُ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ إِلَى دَارٍ بَعْدَهَا - حَقٌّ كَمَا أَنَّ الْبَعْثَ حَقٌّ وَ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَ النَّارَ حَقٌّ، وَ فِي مَعْنَى كَوْنِ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ أَقْوَالٌ أُخْرَى لَا جَدْوَى فِي نَقْلِهَا وَ التَّعَرُّضِ لَهَا.

وَ فِي قَوْلِهِ: ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ بِالطَّبَعِ وَ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ زَيَّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ التَّعْلُقَ بِزَخَارِفِهَا لِلإِنْسَانِ ابْتِلَاءً وَ امْتِحَانًا، قَالَ تَعَالَى:

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ إِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (الكهف ٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ هَذِهِ نَقْلُهُ ثَانِيَةً إِلَى عَالَمِ الْخُلُودِ بِنْفِخِ الصُّورِ بَعْدَ النَّقْلِ الْأَوَّلِيِّ، وَ الْمَرَادُ بِنْفِخِ الصُّورِ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ الْمَقِيْمَةُ لِلسَّاعَةِ أَوْ مَجْمُوعُ النَّفْخَتَيْنِ بِإِرَادَةِ مَطْلُوقِ النَّفْخِ.

وَ الْمَرَادُ بِيَوْمِ الْوَعِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَنْجِزُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ وَعِيدَهُ عَلَى الْمَجْرِمِينَ مِنْ عِبَادِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ السِّيَاقَةُ حِثُّ الْمَاشِيَةِ عَلَى الْمَسِيرِ مِنْ خَلْفِهَا بِعَكْسِ الْقِيَادَةِ فَهِيَ جَلْبُهَا مِنْ أَمَامِهَا.

فَقَوْلُهُ: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ أَيَّ جَاءَتْ إِلَى اللَّهِ وَ حَضَرَتْ عِنْدَهُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِلَيَّ رُبُّكُمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّائِقُ (القيامة ٣٠).

وَ الْمَعْنَى: وَ حَضَرَتْ عِنْدَهُ تَعَالَى كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ يَسُوقُهَا وَ شَهِيدٌ يَشْهَدُ بِأَعْمَالِهَا وَ لَمْ

يصرّح تعالى بكونهما من الملائكة أو بكونهما هما الكاتبتين أو من غير الملائكة، غير أن السابق الى الذهن من سياق الآيات أنهما من الملائكة، وسيجيء الروايات في ذلك.

و كذا لا تصرّح بكون الشهاده منحصره فى هذا الشاهد المذكور فى الآيه بل الآيات الوارده فى شهاده يوم القيامه تقضى بعدم الانحصار، وكذا الآيات التاليه الذاكره لاختصاص الإنسان و قرينه داله على أن مع الإنسان يومئذ غير السائق و الشهيد.

قوله تعالى: لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَ كَيْفَ بَصَرِكُمْ الْيَوْمَ حَدِيدٌ وقوع الآيه فى سياق آيات القيامه و احتفافها بها يقضى بكونها من خطابات يوم القيامه، و المخاطب بها هو الله سبحانه، و الذى خوطب بها هو الإنسان المذكور فى قوله:

«وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ» ، و عليه فالخطاب عام متوجه الى كل إنسان إلا أن التوبيخ و التقرّيع اللائح من سياق الآيه ربما استدعى اختصاص الخطاب بمنكرى المعاد، أضف الى ذلك، كون الآيات مسوقه لرد منكرى المعاد فى قولهم: «أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ» .

و الإشاره بقوله: «هذا» الى ما يشاهده يومئذ و يعاينه من تقطع الأسباب و بوار الأشياء و رجوع الكل الى الله الواحد القهار، و قد كان تعلق الإنسان فى الدنيا بالأسباب الظاهريه و ركونه إليها أغفله عن ذلك حتى إذا كشف الله عنه حجاب الغفله فبدت له حقيقه الأمر فشاهد ذلك مشاهده عيان لا علما و لا فكريا.

و لذا خوطب بقوله: «لَقَدْ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا فِي غَفْلَةٍ» أحاطت بك «مِنْ هَذَا» الذى تشاهده و تعاينه و إن كان فى الدنيا نصب عينيك لا يغيب لكن تعلقك بذيل الأسباب أذهلك و أغفلك عنه «فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَ كَيْفَ بَصَرِكُمْ» و هو البصيره و عين القلب «الْيَوْمَ» و هو يوم القيامه «حَدِيدٌ» أى نافذ يبصر ما لم يكن يبصره فى الدنيا.

قوله تعالى: وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ لا يخلو السياق من ظهور فى أن المراد بهذا القرين الملك الموكل به فإن كان هو السائق كان معنى قوله: «هذا ما لَدَىٰ عَتِيدٍ» هذا

الانسان الذى هو عندى حاضر، و ان كان هو الشهيد كان المعنى هذا-و هو يشير الى أعماله التى حمل الشهاده عليها-ما عندى من أعماله حاضر مهياً.

وقيل:المراد بالقرين الشيطان الذى يصاحبه و يغويه،و معنى كلامه على هذا الإنسان هو الذى توليت أمره و ملكته حاضر مهياً لدخول جهنم.

قوله تعالى: **الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مِّنَ الْخَيْرِ مُعْتَدٍ مِّنَ الْكُفْرِ، وَ الْعَنِيدِ الْمَعَانِدِ لِلْحَقِّ الْمُسْتَمِرِّ عَلَىٰ عُنَاةٍ، وَ الْمُعْتَدِي الْمَتَّخِطِ لِلْحَقِّ، وَ الْمُرِيبِ الشَّاكِّ أَوْ الْمَشْكُوكِ فِي أَمْرِ الْبَعْثِ.**

و بين هذه الصفات المعدوده شبه الاستلزام فإن كثره الكفر بردّ الإنسان كل حق يواجهه تنتج العناد مع الحق و الإصرار عليه،و الإصرار على العناد يوجب المنع عن أكثر الخيرات إذ لا خير إلا فى الحق و من ناحيته،و هو يستلزم الخروج عن حد الحق الى الباطل و تجاوز الإنسان عن حد العبوديه الى الاستكبار و الطغيان و يستلزم تشكيك الناس فى ما يرومونه من دين الحق.

و الخطاب فى الآيه منه تعالى،و ظاهر سياق الآيات أن المخاطب به هما الملكان الموكلان السائق و الشهيد،و احتمال بعضهم أن يكون الخطاب الى ملكين من ملائكة النار و خزنتها.

قوله تعالى: **الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ الْعَدُولِ فِي ذِكْرِ صِفَةِ الشَّرْكَ عَنِ الْإِيجَازِ إِلَى الْإِطْنَابِ حَيْثُ لَمْ يَقُلْ: مُشْرِكٌ وَ قَالَ: «الَّذِي جَعَلَ» الْخ؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ أَكْبَرُ الْمَعَاصِي وَ أَمَّ الْجَرَائِمِ الَّتِي أَتَى بِهَا وَ الصِّفَاتِ الرَّذِيلَةِ الَّتِي عَدَّتْ لَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَ الْعِنَادِ وَ مَنَعَ الْخَيْرِ وَ الْإِعْتِدَاءِ وَ الْإِرَابَةِ.**

و قوله: **فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ** تأكيد لما تقدم من الأمر بقوله: **«الْقِيَا»** الخ؛ و يلوّح الى تشديد الأمر من جهه الشرك،و لذا عقبه بقوله: **«فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ»**.

قوله تعالى: **قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعْتَهُ وَ لَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** المراد

بهذا القرين قرينه من الشياطين بلا شك، وقد تكرر في كلامه تعالى ذكر القرين من الشيطان و هو الذى يلزم الإنسان و يوحى إليه ما يوحى من الغوايه و الضلال، قال تعالى: وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصِيدُونَ لِيَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (الزخرف / ٣٨).

فقوله: «قَالَ قَرِينُهُ» أى شيطانه الذى يصاحبه و يغويه «رَبِّدًا» اضااف الرب الى نفسه و الإنسان الذى هو قرينه لأنهما فى مقام الاختصاص «مَا أَطَعْتَهُ» أى ما أجبرته على الطغيان «وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ» أى متهيئا مستعدا لقبول ما ألقىته اليه تلقاه باختياره فما أنا بمسئول عن ذنبه فى طغيانه.

و قد تقدم فى سوره الصافات تفصيل اختصاص الظالمين و أزواجهم فى قوله: أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوَاجَهُمْ (الصافات ٢٢)، الى آخر الآيات.

قوله تعالى: قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ القائل هو الله سبحانه يخاطبهم و كأنه خطاب واحد لعامة المشركين الطاغين و قرنائهم ينحلّ الى خطابات جزئيه لكل إنسان و قرينه بمثل قولنا: لا تختصما لدى، الخ.

و قوله: وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ حال من فاعل «لَا تَخْتَصِمُوا» و «بِالْوَعِيدِ» مفعول «قَدَّمْتُ» و الباء للوصله.

و المعنى: لا تختصموا لدىّ فلا نفع لكم فيه بعد ما أبلغتكم وعيدى لمن أشرك و ظلم، و الوعيد الذى قدّمه اليهم مثل قوله تعالى لإبليس: اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (الإسراء ٦٣)، و قوله: فَالْحَقُّ وَ الْحَقُّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (ص ٨٥). أو قوله: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (السجده / ١٣).

قوله تعالى: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ وَ ﴿مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ الذى يعطيه السياق أن تكون الآية استثناءً بمنزلة الجواب عن سؤال مقدر كأن قائلًا يقول: هب إنك قد قدمت فهلًا - غيرته و عفوت؟ فاجيب بقوله: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ و المراد بالقول مطلق القضاء المحتوم الذى قضى به الله، و قد قضى لمن مات على الكفر بدخول جهنم و ينطبق بحسب المورد على الوعيد الذى أوعده الله لإبليس و من تبعه.

فقد بان أن الجملة مستأنفة، و المراد بتبديل القول تغيير القضاء المحتوم، و «لَدَيَّ» متعلق بالتبديل، هذا ما يعطيه السياق، و قد ذكر بعضهم فى هذه الجملة و إعراب مفرداتها و معنى تبديل القول وجوها و احتمالات كثيرة بعيدة عن الفهم لا تزيد فى الكلام إلا تعقيدا فأغضنا عن إيرادها.

و قوله: وَ ﴿مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ متمم لمعنى الجملة السابقه أى لا يبديل قولى فأنتم معذبون لا محاله و لست أظلم عبیدی فى عذابهم على طبق ما قدمت اليهم بالوعيد لأنهم مستحقون لذلك بعد إتمام الحججه.

و من وجه آخر: لا - ظلم فى مجازاتهم بالعذاب فإنهم إنما يجوزون بأعمالهم التى قدموها فى أعمالهم ردت اليهم كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التحریم ٧).

و ما فى قوله: وَ ﴿مَا أَنَا بِظَلَّامٍ﴾ من نفى الظلم الكثير لا يستوجب جواز الظلم اليسير فإنه تعالى لو ظلم فى شىء من الجزاء كان ظلما كثيرا لكثرة أمثاله فإن الخطاب لكل إنسان مشرك ظالم مع قرينه، و هم كثيرون فهو سبحانه لو ظلم فى شىء من الجزاء لكان ظلما.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ خطاب منه تعالى لجهنم و جواب منها، و قد اختلف فى حقيقه هذا التكليم و التكلم فقليل: الخطاب و الجواب بلسان الحال و يردده أنه لو كان بلسان الحال لم يختص به تعالى بل كان لكل من

يشاهدها على تلك الحال أن يسألها عن امتلائها فتجيبه بقولها: هل من مزيد؟ فليس لتخصيص الخطاب به تعالى نكته ظاهره.

وقوله: هَلِ امْتَلَأَتْ استفهام تقريرى، وكذا قوله حكاية عنها: «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» و لعل إيراد هذا السؤال و الجواب للإشارة الى أن قهره و عذابه لا يقصر عن الإحاطه بالمجرمين و إيفاء ما يستحقونه من الجزاء قال تعالى: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (التوبه ٤٩).

و استشكل بأنه مناف لصريح قوله تعالى: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ» الآية و أجيب بأن الامتلاء قد يراد به أنه لا يخلو شىء من طبقاتها من السكنه كما يقال: البلد ممتلئ بأهله. على أنه يمكن أن يكون هذا القول منها قبل دخول جميع أهل النار فيها.

و قيل: الاستفهام فى قوله: «هَلِ امْتَلَأَتْ» للإنكار و المعنى: لا مزيد أى لا مكان فى مزيد على من ألقى فى من المجرمين فقد امتلأت فيكون إشاره الى ما قضى به فى قوله: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (السجده ١٣)، و قوله: «هَلِ امْتَلَأَتْ» فى معنى أن يقال: «لَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ»، و قوله: «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» تقرير و تصديق له.

و ربما أيد هذا الوجه قوله تعالى قبل: «مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ» على تقدير أن يراد بالقول قوله تعالى: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» .

قوله تعالى: وَ أُرْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ شروع فى وصف حال المتقين يوم القيامة، و الإزلاف التقريب، و «غَيْرَ بَعِيدٍ» على ما قيل صفة لظرف محذوف و التقدير فى مكان غير بعيد.

و المعنى: و قربت الجنة يومئذ للمتقين حال كونها فى مكان غير بعيد أى هى بين أيديهم لا تكلف لهم فى دخولها.

قوله تعالى: هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ الإشاره الى ما تقدم من



الثواب الموعود، والأواب من الأوب بمعنى الرجوع، والمراد كثره الرجوع الى الله بالتوبه و الطاعه، و الحفيظ هو الذى يدوم على حفظ ما عهد الله اليه من أن يترك فيضيع، وقوله:

«لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِيزٌ» خبر بعد خبر لهذا أو حال.

قوله تعالى: مَنْ حَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ بَيَانٌ لِكُلِّ أَوَابٍ وَ الخشيه بالغيب الخوف من عذاب الله حال كونه غائبا غير مرئى له، و الإنابه هو الرجوع، و المجرى الى ربه بقلب منيب أن يتم عمره بالإنابه فيأتى ربه بقلب متلبس بالإنابه.

قوله تعالى: أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ خطاب للمتقين أى يقال لهم:

ادخلوا بسلام أى بسلامه و أمن من كل مكروه و سوء، أو بسلام من الله و ملائكته عليكم، و قوله: «ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ» بشرى يبشرون بها.

قوله تعالى: لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ يمكن أن يكون «فِيهَا» متعلقا بيشاءون أو بمحذوف هو حال من الموصول، و التقدير: حال كون ما يشاءون فيها أو من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول، و التقدير: ما يشاءونه حال كونه فيها، و الأول أوفق لسعه كرامتهم عند الله سبحانه.

و المحصل: أن أهل الجنه و هم فى الجنه يملكون كل ما تعلقت به مشيتهم و إرادتهم كائنا ما كان من غير تقييد و استثناء فلهم كل ما أمكن أن يتعلق به الإراده و المشيه لو تعلق.

و قوله: وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ أى و لهم عندنا ما يزيد على ذلك-على ما يفيدہ السياق-و إذ كان لهم كل ما أمكن أن تتعلق به مشيتهم مما يتعلق به علمهم من المطالب و المقاصد فالمزيد على ذلك أمر أعظم مما تتعلق به مشيتهم لكونه فوق ما يتعلق به علمهم من الكمال.

و قيل: المراد بالمزيد الزيادة على ما يشاءون من جنس ما يشتهون فاذا شاءوا رزقا أعطوا منه أكثر مما شاءوا و أفضل و أعجب كما ورد عن بعضهم أنه تمرّ بهم السحابه فتقول: ما ذا تريدون فامطره عليكم فلا يريدون شيئا إلا أمطرته عليهم.

و فيه أنه تقييد لإطلاق الكلام من غير مقيد فإن ظاهر قوله: «لَهُمْ مِمَّا يَشَاءُونَ فِيهَا» أنهم يملكون كل ما يمكنهم أن يشاءوا ولا تملكهم ما شاءه بالفعل فالمزيد وراء ما يمكن أن تتعلق به مشيتهم.

وقيل: المراد أنه يضاعف لهم الحسنه بعشر أمثالها و فيه ما فى سابقه.

قوله تعالى: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ التَّنْقِيبِ السَّيْرِ، المَحِيصِ المَحِيدِ و المنجاء.

و فى الآيه تذييل الاحتجاج بخلق الإنسان و العلم به و بيان سيره الى الله بالتخويف و الإنذار نظير ما جرى عليه الكلام فى صدر السوره من الاحتجاج على المعاد و تذييله بالتخويف و الإنذار فى قوله: «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَ ثَمُودُ» الخ.

و المعنى: و كثيرا ما أهلكتنا قبل هؤلاء المشركين من قرن هم أى أهل ذلك القرن أشد بطشا منهم أى من هؤلاء المشركين فساروا ببطشهم فى البلاد ففتحوها و تحكّموا عليها هل من محيد و منجى من إهلاك الله و عذابه؟

قوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِذْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ الْقَلْبُ مَا يَعْقِلُ بِهِ الْإِنْسَانُ فَيُمِيزُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ وَ النَّافِعَ مِنَ الضَّارِّ، فإذا لم يعقل و لم يميز فوجوده بمنزله عدمه إذ ما لا أثر له فوجوده و عدمه سواء، و إلقاء السمع هو الاستماع كأن السمع شىء يلقى الى المسموع فيناله و يدركه و الشهيد الحاضر المشاهد.

و المعنى: إن فيما أخبرنا به من الحقائق و أشرنا اليه من قصص الامم الهالكه لذكرى يتذكر بها من كان يتعقل فيدرك الحق و يختار ما فيه خيره و نفعه أو استمع الى حق القول و لم يشتغل عنه بغيره و الحال أنه شاهد حاضر يعى ما يسمعه.

و التريديد بين من كان له قلب و من استمع شهيدا لمكان أن المؤمن بالحق أحد رجلين إما

رجل ذو عقل يمكنه أن يتناول الحق فيتفكر فيه و يرى ما هو الحق فيذعن به،و إما رجل لا يقوى على التفكير حتى يميز الحق و الخير و النافع فعليه أن يستمع القول فيتبعه،و أما من لا قلب له يعقل به و لا يسمع شهيدا على ما يقال له و يلقي اليه من الرساله و الإنذار فجاهل متعنت لا قلب له و لا سمع،قال تعالى: وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (الملك ١٠).

قوله تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ اللَّغُوبِ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ،و المعنى ظاهر (١).

### [سوره ق (٥٠): الآيات ٣٩ الى ٤٥]

فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (٤٠) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (٤٥)

ص: ٤٨

١ - ١. ق ١٥-٣٨: بحث روائى حول خلق العالم و آدم؛ اصحاب اليمين و اصحاب الشمال، اهل الجنة و اهل النار؛ الملائكة الموكلون للانسان؛ جهنم؛ نعم الجنة.

قوله تعالى: فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ تَفْرِيعَ عَلَىٰ جَمِيعِ مَا تَقْدِمُ مِنْ إِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ لِلْبَعْثِ، و من تفصيل القول فى البعث و الحججه عليه، و من وعيد المنكرين له المكذبين للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و تهديدهم بمثل ما جرى على المكذبين من الامم الماضيه.

و قوله: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْخَبْرُ؛ أمر بتنزيهه تعالى عما يقولون مصاحبا للحمد و محصله إثبات جميل الفعل له و نفي كل نقص و شين عنه تعالى، و التسبيح قبل طلوع الشمس يقبل الانطباع على صلاه الصبح، و التسبيح قبل الغروب يقبل الانطباع على صلاه العصر أو عليها و على صلاه الظهر.

قوله تعالى: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ أَدْبَارَ السُّجُودِ أَى و من الليل فسبحه فيه، و يقبل الانطباع على صلاتى المغرب و العشاء.

و قوله: «وَ أَدْبَارَ السُّجُودِ» الأدبار جمع دبر و هو ما ينتهى اليه الشىء و بعده، و كأن المراد بأدبار السجود بعد الصلوات فإن السجود آخر الركعه من الصلاه فينطبق على التعقيب بعد الصلوات، و قيل: المراد به النوافل بعد الفرائض، و قيل: المراد به الركعتان أو الركعات بعد المغرب و قيل: ركعه الوتر فى آخر الليل.

قوله تعالى: وَ اسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ فَسِرُّوا لِاسْتِمَاعِ بِمَعَانٍ مُخْتَلَفَةٍ وَ الْأَقْرَبُ أَنْ يَكُونَ مِزْمَنًا مَعْنَى الْإِنْتِظَارِ وَ «يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ» مفعوله و المعنى: و انتظر يوما ينادى فيه المنادى ملقيا سمعك لاستماع ندائه، و المراد بنداء المنادى نفخ صاحب الصور فى الصور على ما تفيداه الآيه التاليه.

و كون النداء من مكان قريب لإحاطته بهم فيقع فى سمعهم على نسبه سواء لا تختلف

بالقرب و البعد فإنما هو نداء البعث و كلمه الحياه.

قوله تعالى: يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ بيان ليوم ينادى المنادى، و كون الصيحه بالحق لأنها مقضيه قضاء محتوما كما مر فى قوله: «وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» الآية.

و قوله: ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ أى يوم الخروج من القبور كما قال تعالى: يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَّاعًا (المعارج ٤٣).

قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ إِنَّا الْمَصِيرُ المراد بالإحياء إفاضه الحياه على الأجساد الميتة فى الدنيا، و بالإماتة الإماتة فى الدنيا و هى النقل الى عالم القبر، و بقوله: «وَ إِنَّا الْمَصِيرُ» الإحياء بالبعث فى الآخرة على ما يفيدہ السياق.

قوله تعالى: يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَّاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ أصل «تَشَقَّقُ» تتشقق أى تتصدع عنهم فيخرجون منها مسارعين الى الداعى.

و قوله: ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ أى ما ذكرنا من خروجهم من القبور المنشقه عنهم سراعاً جمع لهم علينا يسير.

قوله تعالى: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَ عِيدِ فى مقام التعليل لقوله: «فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ» الآية، و الجبار المتسلط الذى يجبر الناس على ما يريد.

و المعنى: فاصبر على ما يقولون و سبِّح بحمد ربك و انتظر البعث فنحن أعلم بما يقولون سنجزئهم بما عملوا و لست أنت بمتسلط جبار عليهم حتى تجبرهم على ما تدعوهم اليه من الإيمان بالله و اليوم الآخر و إذا كانت حالهم هذه الحال فذكر بالقرآن من يخاف و عيذى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا (۱) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (۲) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (۳) فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا (۴) إِنَّمَا  
تُوَعَّدُونَ لِصَادِقٍ (۵) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (۶) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوكِ (۷) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (۸) يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَافِكَ (۹) قَتَلَ  
الْخِرَاصُونَ (۱۰) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرِهِ سَاهُونَ (۱۱) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ (۱۲) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (۱۳) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا  
الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (۱۴) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (۱۵) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (۱۶)  
كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (۱۷) وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (۱۸) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (۱۹)

كانت الدعوه النبويه تدعو الوثنيه الى توحيد الربوبيه و أن الله تعالى هو ربهم و رب كل شىء، و كانت الدعوه من طريق الإنذار و التبشير و خاصه بالإنذار و كان الإنذار بعذاب الله فى الدنيا للمكذبين عذاب الاستئصال، و فى الآخره بالعذاب الخالد يوم القيامه و هو العمده فى نجاح الدعوه إذ لو لا الحساب و الجزاء يوم القيامه كان الإيمان بالوحدانيه و النبوه لغى لا أثر له.

و المشركون باتخاذهم آلهه دون الله سبحانه شديدا و الإنكار لاصول التوحيد و النبوه و المعاد، و كانوا يتعنتون بإنكار المعاد و الإصرار على نفيه و الاستهزاء به من أى طريق ممكن لما يرون أن فى بطلانه بطلان الأصلين الآخرين.

و السوره تذكر المعاد و إنكارهم له فتبدأ به و تختتم عليه لكن لا من حيث نفسه كما جرى عليه الكلام فى مواضع من كلامه بل من حيث إنه يوم الجزاء و أن الله الذى وعدهم به هو ربهم

و هو الذى وعدهم به و وعده صدق لا ريب فيه.

و لذلك لما انساق الكلام الى الاحتجاج عليه احتجت بأدله التوحيد من آيات الأرض و السماء و الأنفس و ما عاقب الله به الامم الماضين إثر دعوتهم الى التوحيد و تكذيبهم لرسله، و ليس إلا ليثبت بها التوحيد فيثبت به يوم الجزاء الذى وعده الله و الله لا يخلف الميعاد و أخبرت به الدعوه النبويه فيندفع بذلك إنكارهم للجزاء و قد توسلوا بذلك الى إبطال دين التوحيد و رساله الرسول لصيروره الايمان به لغوا لا أثر له كما تقدمت الإشارة اليه.

و السوره مكيه لشهاده سياق آياتها عليه و لم يختلف فى ذلك أحد، و من غرر آياتها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

و الفصل الذى أوردناه من الآيات مفتوح الكلام يذكر فيه أن الجزاء الذى وعده صدق و إنكارهم له و تعنتهم بذلك تخرص ثم يصف يوم الجزاء و حال المتقين و المنكرين فيه.

قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا الذَّارِيَاتِ جَمْعُ الذَّارِيَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: ذَرَّتِ الرِّيحُ التُّرَابَ تَذَرُوهُ ذُرُوءًا إِذَا أَطَارَتْهُ وَ الْوَقْرُ بِالْكَسْرِ فَالسُّكُونُ ثَقُلَ الْحَمْلُ فِي الظَّهْرِ أَوْ فِي الْبَطْنِ.

و فى الآيات إقسام بعد إقسام يفيد التأكيد بعد التأكيد للمقسم عليه و هو الجزاء على الأعمال فقوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ إقسام بالرياح المثيره للترب، و قوله: ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ بالفاء المفيدة للتأخير و الترتيب معطوف على الذاريات و إقسام بالسحب الحامله لثقل الماء، و قوله: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ عطف عليه و إقسام بالسفن الجاربه فى البحار بيسر و سهوله.

و قوله: ﴿فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا عَطْفٌ عَلَى مَا سَبَقَهُ وَ إِقْسَامٌ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِأَمْرِهِ فَيُقَسِّمُونَهُ بِاخْتِلَافِ مَقَامَاتِهِمْ فَإِنْ أَمَرَ ذِي الْعَرْشِ بِالْخَلْقِ وَ التَّسْبِيحِ وَاحِدًا فَإِذَا حَمَلَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَعْمَالِهِمْ انشعب الأمر و تقسم بتقسيمهم ثم إذا حمله طائفه هي



دون الطائفة الاولى تقسم ثانيا بتقسيمهم و هكذا حتى ينتهى الى الملائكة المباشرين للحوادث الكونيه الجزئيه فينقسم بانقسامهم و يتكثر بتكثرها.

و الآيات الأربع- كما ترى- تشير الى عامه التدبير حيث ذكرت انموذجا مما يدبر به الأمر فى البر و هو الذاريات ذروا، و انموذجا مما يدبر به الأمر فى البحر و هو الجاريات يسرا و انموذجا مما يدبر به الأمر فى الجو و هو الحاملات وقرا، و تمم الجميع بالملائكة الذين هم وسائط التدبير و هم المقسمات أمرا.

فالآيات فى معنى أن يقال: أقسم بعامه الأسباب التى يتمم بها أمر التدبير فى العالم إن كذا كذا، و قد ورد من طرق الخاصه و العامه عن على عليه أفضل السلام تفسير الآيات الأربع بما تقدم.

و عن الفخر الرازى فى التفسير الكبير أن الأقرب حمل الآيات الأربع جميعا على الرياح فإنها كما تذر و التراب ذروا تحمل السحب الثقال و تجرى فى الجو بيسر و تقسم السحب على الأقطار من الأرض.

و الحق أن ما استقر به بعيد، و ما تقدم من المعنى أبلغ مما ذكره.

قوله تعالى: **إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ** «ما» موصوله، و الضمير العائد إليها محذوف أى الذين توعدونه، أو مصدرية، و «تُوعَدُونَ» من الوعد كما يؤيده قوله: **«وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ»** الشامل لمطلق الجزاء، و قيل: من الایعاد كما يؤيده قوله:

**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ** (ق ٤٥).

وعد الوعد صادقا من المجاز فى النسبه كما فى قوله: **فِي عَيْشِهِ رَاضِيَةٌ** (الحاقه ٢١) أو الصادق بمعنى ذو صدق كما قيل بمثله فى قوله: **فِي عَيْشِهِ رَاضِيَةٌ** و الدين الجزاء.

و كيف كان فقوله: **«إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ»** جواب القسم، و قوله: **«وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ»** معطوف عليه بمنزله التفسير، و المعنى أقسم بكذا و كذا أن الذى توعدونه- و هو الذى يعدهم

القرآن أو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بما أنزل إليه-من يوم البعث و أن الله سيجزيهم فيه بأعمالهم إن خيرا فخيروا و إن شرا فشرالصادق،و إن الجزاء لواقع.

قوله تعالى: وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ الْحَبْكُ بمعنى الحسن و الزينه،و بمعنى الخلق المستوى،و يأتي جمعا لحبيكه أو حباك بمعنى الطريقه كالطرائق التي تظهر على الماء إذا تشنى و تكسر من مرور الرياح عليه.

و المعنى على الأول: أقسم بالسماء ذات الحسن و الزينه نظير قوله تعالى: إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزَيْنِهِ الْكُوكَبِ (الصافات ٦)،و على الثانى: أقسم بالسماء ذات الخلق المستوى نظير قوله: وَ السَّمَاءِ بَنِينَهَا بِأَيْدٍ (الآيه ٤٧ من السوره)و على الثالث أقسم بالسماء ذات الطرائق نظير قوله: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ (المؤمنون ١٧).

و لعل المعنى الثالث أظهر لمناسبته لجواب القسم الذى هو اختلاف الناس و تشتت طرائقهم كما أن الاقسام السابقه «وَ الدَّارِيَّاتِ ذَرَوًا» الخ؛ كانت مشتركه فى معنى الجرى و السير مناسبه لجوابها «إِنَّمَا تُوعَدُونَ» الخ؛ المتضمن لمعنى الرجوع الى الله و السير اليه.

قوله تعالى: إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ الْقَوْلِ الْمُخْتَلِفِ مَا يَتَنَاقَضُ و يدفع بعضه بعضا و حيث إن الكلام فى إثبات صدق القرآن أو الدعوه أو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيما وعدهم من أمر البعث و الجزاء فالمراد بالقول المختلف-على الأقرب-قولهم المختلف فى أمر القرآن لغرض إنكار ما يثبتته فتاره يقولون: إنه سحر و الجائى به ساحر،و تاره يقولون: زجر و الجائى به مجنون،و تاره يقولون: القاء شياطين الجن و الجائى به كاهن،و تاره يقولون: شعر و الجائى به شاعر،و تاره إنه افتراء،و تاره يقولون إنما يعلمه بشر،و تاره يقولون: أساطير الأولين اكتتبها.

و قوله: يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنِ أُوْفِكَ الْإِفْكَ الصَّرف،و ضمير «عَنْهُ» الى الكتاب من حيث اشتماله على وعد البعث و الجزاء،و المعنى: يصرف عن القرآن من صرف،و قيل:

الضمير للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالمعنى: يصرف عن الإيمان به من صرف، وقد عرفت أن المعنى السابق أوفق للسياق و إن كان مآل المعنيين واحداً.

و حكى عن بعضهم أن ضمير «عَنْهُ» لما توعدون أو للدين أقسم تعالى أولاً بالذاريات و غيرها على أن البعث و الجزاء حق ثم أقسم بالسماء على أنهم فى قول مختلف فى وقوعه فمنهم شاك و منهم جاحد ثم قال تعالى: يُؤفك عن الإقرار بأمر البعث و الجزاء من هو مأفوك. و هذا الوجه قريب من الوجه السابق.

و عن بعضهم: أن الضمير لقوله مختلف و«عن» للتعليل كما فى قوله تعالى: وَ مَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ (هود ٥٣)، فىكون الجملة صفة لقول و المعنى: إنكم لفى قول مختلف يؤفك بسببه من أفك، و هو وجه حسن.

قوله تعالى: قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرِهِمْ سَاهُونَ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ أَصْلُ الْخَرَّاصُونَ الْقَوْلُ بِالظَّنِّ وَ التَّخْمِينِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ، و لكون القول بغير علم فى خطر من الكذب يسمى الكذاب خَرَّاصاً، و الأشبه أن يكون المراد بالخراصين فى الآيه القوالين من غير علم و دليل و هم الخائضون فى أمر البعث و الجزاء المنكرون له بغير علم.

و فى قوله: قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ دَعَاءَ عَلَيْهِم بِالْقَتْلِ وَ هُوَ كُنْيَاةٌ عَنْ نَوْعٍ مِنَ الطَّرْدِ وَ الْحَرْمَانِ مِنَ الْفَلَاحِ وَ إِلَيْهِ يَثُولُ قَوْلٌ مِنْ فِسْرِهِ بِاللَّعْنِ.

و قوله: الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرِهِمْ سَاهُونَ الغمره- كما ذكر الراغب- معظم الماء الساتر لمقرها، و جعل مثلاً للجهاله التى تغمر صاحبها، و المراد بالسهو- كما قيل- مطلق الغفله.

و معنى الآيه و هى تصف الخراصين: الذين هم فى جهاله أحاطت بهم غافلون عن حقيقه ما أخبروا به.

و قوله: يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ضمير الجمع للخراصين قول قالوه على طريق

الاستعجال استهزاء كقولهم: مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (يس ٤٨).

و السؤال بآيان-الموضوعه للسؤال عن زمان مدخولها-عن يوم الدين و هو ظاهر فى الزمان إنما هو بعنايه أن يوم الدين لكونه موعودا ملحق بالزمانيات فيسأل عنه كما يسأل عن الزمانيات بآيان و متى كما يقال: متى يوم العيد لكونه ذا شأن ملحقا لذلك بالزمانيات كذا قيل.

و يمكن أن يكون من التوسع فى معنى الظرفيه بأن يعدّ أوصاف الظرف الخاصه به ظرفا توسعا فيكون السؤال عن زمان الزمان سؤالا عن أنه بعد أى زمان أو قبل أى زمان؟ كما يقال: متى يوم العيد؟ فيجواب بأنه بعد عشره أيام مثلا أو قبل يوم كذا، و هو توسع جار فى العرف غير مختصّ بكلام العرب، و فى القرآن منه شىء كثير.

قوله تعالى: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ضمير الجمع الخراصين، و الفتن فى الأصل إدخال الذهب النار ليظهر جودته ثم استعمل فى مطلق الإحراق و التعذيب، و الظرف متعلق بفعل محذوف أو مبتدأ، و الآيه جواب من سؤالهم عدل فيه عن بيان وقت يوم الدين الى بيان صفته و الإشاره الى حالهم فيه لما أن وقته من الغيب الذى لا يعلمه إلا الله قال تعالى:

لَا يُجَلِّئُهَا لِوَفْتِهَا إِلَّا هُوَ .

و تقدير الآيه و معناها: يقع يوم الدين أو هو واقع يوم هم أى الخراصون فى النار يعذبون أو يحرقون.

قوله تعالى: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ حكايه خطاب منه تعالى أو من الملائكه بأمره للخراصين و هم يفتنون على النار يومئذ.

و المعنى: يقال لهم ذوقوا العذاب الذى يخصصكم. هذا العذاب هو الذى كنتم تستعجلون به إذ تقولون استعجالا و استهزاء: آيان يوم الدين.

قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ بيان لحال المتقين يوم الدين بعد

وصف حال أولئك الخراصين.

و تنكير جنات و عيون للإشارة الى عظم قدرها كأنها بحيث لا يقدر الواصفون على وصفها، و قد ألحقت العيون بالجنات فى ظرفيتها توسعا.

قوله تعالى: **مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبِيلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ** أى قابلين ما أعطاهم ربهم الرءوف بهم راضين عنه و بما أعطاهم كما يفيدہ خصوص التعبير بالأخذ و الإيتاء و نسبه الإيتاء الى ربهم.

و قوله: **إِنَّهُمْ كَانُوا قَبِيلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ** تعليل لما تقدمه أى إن حالهم تلك الحال لأنهم كانوا قبل ذلك أى فى الدنيا ذوى إحسان فى أعمالهم أى ذوى أعمال حسنه.

قوله تعالى: **كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** الآيات تفسیر لإحسانهم، و الهجوع النوم فى الليل و قيل: النوم القليل.

و يمكن أن تكون: ما زائده و «يَهْجَعُونَ» خبر كانوا، و «قَلِيلًا» ظرفا متعلقا به أى فى زمان قليل أو صفه لمفعول مطلق محذوف أى هجوعا قليلا و «مِنَ اللَّيْلِ» متعلقا بقليلًا و المعنى:

كانوا ينامون فى زمان قليل من الليل أو ينامون الليل نوما قليلا.

و أن تكون موصوله و الضمير العائد إليها محذوفًا و «قَلِيلًا» خبر كانوا و الموصول فاعله و المعنى: كانوا قليلا من الليل الذى يهجعون فيه.

و أن تكون مصدرية و المصدر المسبوك منها و من مدخولها فاعلا لقوله: «قَلِيلًا» و هو خبر «كَانُوا» .

و على أى حال فالقليل من الليل إما مأخوذ بالقياس الى مجموع زمان كل ليله فيفيد أنهم يهجعون كل ليله زمانا قليلا منها و يصلون أكثرها، و إما مأخوذ بالقياس الى مجموع الليالى فيفيد أنهم يهجعون فى قليل من الليالى و يقومون للصلاه فى أكثرها أى لا يفوتهم صلاه الليل إلا فى قليل من الليالى.

قوله تعالى: وَ بِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ أى يسألون الله المغفرة لذنوبهم، وقيل:

المراد بالاستغفار الصلاة و هو كما ترى.

قوله تعالى: وَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ الْآيَاتِ السَّابِقَاتِ تبيين خاصه سيرتهم فى جنب الله سبحانه و هى قيام الليل و الاستغفار بالأشجار و هذه الآيه تبيين خاصه سيرتهم فى جنب الناس و هى إيتاء السائل و المحروم.

و تخصيص حق السائل و المحروم بأنه فى أموالهم-مع أنه لو ثبت فإنما يثبت فى كل مال- دليل على أن المراد أنهم يرون بصفاء فطرتهم أن فى أموالهم حقا لهم فيعملون بما يعملون نشرا للرحمه و إثارا للحسنه.

و السائل هو الذى يسأل العطيه بإظهار الفاقه و المحروم هو الذى حرم الرزق فلم ينجح سعيه فى طلبه و لا يسأل تعففا.

### [سوره الذاريات (٥١): الآيات ٢٠ الى ٥١]

وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تَوْعَدُونَ (٢٢) فَو رَبِّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَعِيمٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرِّهِ فَصَكَتْ وَ جَهَّهَا وَ قَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ طِينٍ (٣٣) مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧) وَ فِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بُرْكَانَهُ قَالٌ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٣٩) فَأَخْرَجْنَا فِتْنَةً مِنْهُمْ فِرْعَوْنَ وَ جُنُودَهُ فَتَرَدَّدُوا فِي الْأَيْمِ وَ هُوَ مُلِيمٌ (٤٠) وَ فِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ (٤٢) وَ فِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ (٤٤) فَمَا اسْتَبَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَ مَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤٦) وَ السَّمَاءَ بَيْنِنَاهَا بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَ الْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) وَ لَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١)



قوله تعالى: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ الاستنتاج الآتي في آخر هذه الآيات في قوله: «فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ - إلى أن قال - وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» الآية، يشهد على أن سوق هذه الآيات و الدلائل لإثبات وحدانيته تعالى في الربوبية لا لإثبات أصل وجوده أو انتهاء الخلق اليه و نحو ذلك.

و في الآية إشارة الى ما تتضمنه الأرض من عجائب الآيات الداله على وحده التدبير القائمه بوحدانيه مدبره من بر و بحر و جبال و تلال و عيون و أنهار و معادن و منافعها المتصله بعضها ببعض الملائمه بعضها لبعض ينتفع بها ما عليها من النبات و الحيوان في نظام واحد مستمر من غير اتفاق و صدفة،لائح عليها آثار القدره و العلم و الحكمة دالّ على أن خلقها و تدبير أمرها ينتهى الى خالق مدبر قادر عليم حكيم.

فأى جانب قصد من جوانبها و آيه وجهه و ليت من جهات التدبير العالم الجارى فيها كانت آيه بيّنه و برهانا ساطعا على وحدانيه ربها لا شريك له ينجلي فيه الحق لأهل اليقين ففيها آيات للموقنين.

قوله تعالى: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ معطوف على قوله: «فِي الْأَرْضِ» أى



و فى أنفسكم آيات ظاهره لمن أبصر إليها و ركز النظر فيها أ فلا تبصرون.

و الآيات التى فى النفوس منها ما هى فى تركب الأبدان من أعضائها و أعضاء أعضائها حتى ينتهى الى البسائط و ما لها من عجائب الأفعال و الآثار المتحدده فى عين تكثرها المدبره جميعا لمدبر واحد، و ما يعرضها من مختلف الأحوال كالجنييه و الطفوليه و الرهاق و الشباب و الشيب.

و منها ما هى من حيث تعلق النفوس أعنى الأرواح بها كالحواس من البصر و السمع و الذوق و الشمّ و اللمس التى هى الطرق الأوليه لأطلاع النفوس على الخارج لتميز بذلك الخير من الشر و النافع من الضار لتسعى الى ما فيه كما لها و تهرب مما لا يلائمها، و فى كل منها نظام و سيع جار فيه منفصل بذاته عن غيره كالبصر لا خبر عنده عما يعمله السمع بنظامه الجارى فيه و هكذا، و الجميع مع هذا الانفصال و التقطع مؤتلفه تعمل تحت تدبير مدبر واحد هو النفس المدبره و الله من ورائهم محيط.

و من هذا القبيل سائر القوى المنبعثه عن النفوس فى الأبدان كالقوه الغضبيه و القوه الشهويه و ما لها من اللواحق و الفروع فإنها على ما للواحد منها بالنسبه الى غيره من البينونه و انفصال النظام الجارى فيه عن غيره واقعه تحت تدبير مدبر واحد تتعاضد جميع شعبها و تأتلف لخدمته.

و نظام التدبير الذى لكل من هذه المدبرات إنما وجد له حينما وجد و أول ما ظهر من غير فصل فليس مما عملت فيه خيرته و أوجده هو لنفسه عن فكر و رويه أو بغيره فنظام تدبيره كمنفسه من صانع صنعه و ألزمه نظامه بتدبيره.

و منها الآيات الروحانيه الواقعه فى عالم النفوس الظاهره لمن رجع إليها و راقب الله سبحانه فيها من آيات الله التى لا يسعها وصف الواصفين و يفتح بها باب اليقين و تدرج المتطلع عليها فى زمرة الموقنين فيرى ملكوت السماوات و الأرض كما قال تعالى: **وَ كَذَلِكَ نُرى إِبراهيمَ**

مَلَكَوَتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (الأنعام ٧٥).

قوله تعالى: وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ قيل: المراد بالسمااء جهه العلو فإن كل ما علاك و أظلك فهو سماء لغه، و المراد بالرزق المطر الذى ينزله الله على الأرض فيخرج به أنواع ما يقتاتونه و يلبسونه و ينتفعون به و قد قال تعالى: وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (الباقية ٥)، فسمى المطر رزقا فالمراد بالرزق سببه أو بتقدير مضاف أى سبب رزقكم.

و يمكن أن يكون المراد به عالم الغيب فإن الأشياء و منها الأرزاق تنزل من عند الله سبحانه و قد صرح بذلك فى أشياء كقوله تعالى: وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَلَاثِينَ أَزْوَاجًا (الزمر ٦)، و قوله: وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ (الحديد ٢٥)، و قوله على نحو العموم: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (الحجر ٢١)، و المراد بالرزق كل ما ينتفع به الإنسان فى بقائه من مأكلا و مشرب و ملبس و مسكن و منكح و ولد و علم و قوه و غير ذلك.

و قوله: وَ مَا تُوعَدُونَ عطف على «رِزْقُكُمْ» الظاهر أن المراد به الجنة لقوله:

تعالى: عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (النجم ١٥)، و قوله بعضهم: إن المراد به الجنة و النار أو الثواب و العقاب لا- يلائمه قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ (الأعراف ٤٠).

نعم تكرر فى القرآن نسبة نزول العذاب الدنيوى الى السماء كقوله: فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ (البقره ٥٩)، و غير ذلك.

قوله تعالى: فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ النطق التكلم و ضمير «إِنَّهُ» راجع الى ما ذكر من كون الرزق و ما توعدون فى السماء و الحق هو الثابت المحتوم فى القضاء الإلهى دون أن يكون أمرا تبعا أو اتفاقيا.

و المعنى: أقسم برب السماء و الأرض إن ما ذكرناه من كون رزقكم و ما توعدونه من الجنة - و هو أيضا من الرزق فقد تكرر في القرآن تسميه الجنة رزقا كقوله: لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (الأنفال ٧٤)، و غير ذلك - في السماء لثابت مقضى مثل نطقكم و تكلمكم الذى هو حق لا ترتابون فيه (١).

قوله تعالى: هَيْلٌ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إشاره الى قصه دخول الملائكه المكرمين على إبراهيم عليه السلام و تبشيرهم له و لزوجه ثم إهلاكهم قوم لوط، و فيها آيه على و حدانيه الربوبيه كما تقدمت الإشاره اليه.

و فى قوله: هَيْلٌ أَتَاكَ حَدِيثٌ تَفْخِيمٌ لِأَمْرِ الْقِصَّةِ وَ «الْمُكْرَمِينَ» - و هم الملائكه الداخلون على إبراهيم - صفه «ضَيْفٍ» و إفراده لكونه فى الأصل مصدرا لا يثنى و لا يجمع.

قوله تعالى: إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامًا قَوْمٌ مُنْكَرُونَ الظرف متعلق بقوله فى الآيه السابقه: «حَدِيثٌ» و «سَلَامًا» مقول القول و العامل فيه محذوف أى قالوا: نسلّم عليك سلاما.

و قوله: قَالَ سَلَامًا قَوْلٌ وَ مَقُولٌ وَ «سَلَامًا» مبتدأ محذوف الخبر و التقدير سلام عليكم، و فى إتيانه بالجواب جمله اسميه داله على الثبوت تحيه منه عليه السلام بما هو أحسن من تحيتهم بقولهم: سلاما فإنه جمله فعليه داله على الحدوث.

و قوله: قَوْمٌ مُنْكَرُونَ الظاهر أنه حكاية قول إبراهيم فى نفسه، و معناه أنه لما رآهم استنكرهم و حدّث نفسه أن هؤلاء قوم منكرون، و لا - ينافى ذلك ما وقع فى قوله تعالى: فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ (هود ٧٠) حيث ذكر نكره بعد تقريب العجل الحنيد اليهم فإن ما فى هذه السوره حديث نفسه به و ما فى سوره هود ظهوره فى وجهه بحيث يشاهد

ص: ٦٤

منه ذلك.

و هذا المعنى أوجه من قول جمع من المفسرين: إنه حكاية قوله عليه السلام لهم و التقدير أنتم قوم منكرون.

قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَأَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ الرِّوَاغَ الذَّهَابَ عَلَى سَبِيلِ الْاِحْتِيَالِ عَلَى مَا قَالَه الرَّاغِبُ وَ قَالَ غَيْرُه: هُوَ الذَّهَابُ إِلَى الشَّيْءِ فِي خَفِيهِ، وَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ يَرْجِعُ إِلَى الثَّانِي.

و المراد بالعجل السمين المشوى منه بدليل قوله: «فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ» أو الفاء فصيحه و التقدير فجاء بعجل سمين فذبحه و شواه و قرّبه اليهم.

قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ عَرَضَ الْأَكْلِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَ هُوَ يَحْسِبُهُمْ بَشَرًا.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ الخ؛ الفاء فصيحه و التقدير فلم يمدوا اليه أيديهم فلما رأى ذلك نكرهم و أوجس منهم خيفه، و الايجاس الإحساس فى الضمير و الخيفه بناء نوع من الخوف أى أضمر منهم فى نفسه نوعا من الخوف.

و قوله: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ جِئَ بِالْفَصْلِ لَا بِالْعَطْفِ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى جَوَابِ سُؤَالِ مُقَدَّرٍ كَأَنَّهُ قِيلَ: فَمَاذَا كَانَ بَعْدَ ائِجَاسِ الْخِيفَةِ فَقِيلَ: قَالُوا: لَا تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغَلَامٍ عَلِيمٍ فَبَدَلُوا خَوْفَهُ أَمْنَهُ وَ سُرُورًا وَ الْمُرَادُ بِغَلَامٍ عَلِيمٍ إِسْمَاعِيلُ أَوْ إِسْحَاقُ وَ قَدْ تَقَدَّمَ الْخِلَافُ فِيهِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَبْرِهَا فَرِيضَةً وَ جَهَّزَهَا وَ قَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ فِي الْمَجْمَعِ الصَّبْرُ شِدَّةُ الصِّيَاحِ وَ هُوَ مِنْ صَرِيرِ الْبَابِ وَ يُقَالُ لِلْجَمَاعَةِ صَبْرٌ أَيْضًا. قَالَ:

و الصك الضرب باعتماد شديد انتهى.

و المعنى فأقبلت امرأه إبراهيم عليه السلام- لما سمعت البشارة- فى ضجه و صياح فلطمت وجهها و قالت: أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟ أو المعنى هل عجوز عقيم تلد غلاما؟.

ص: ٦٥



الْأَلِيمِ» من الناس.

قوله تعالى: وَ فِي مُوسَى إِذِ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ عطف على قوله: «وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً» و التقدير و فى موسى آيه، و المراد بسُلطان مبین الحجج الباهره التى كانت معه من الآيات المعجزه.

قوله تعالى: فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَ قَالَ لِسَاحِرٍ أَوْ مَجْنُونٍ التولى الإعراض و الباء فى قوله: «بِرُكْنِهِ» للمصاحبه، و المراد بركنه جنوده كما تؤيده الآيه التاليه، و المعنى: أعرض مع جنوده، و قيل: الباء للتعديه، و المعنى: جعل ركنه متولين معرضين.

و قوله: «وَ قَالَ لِسَاحِرٍ أَوْ مَجْنُونٍ» أى قال تاره هو مجنون كقوله: إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (الشعراء ٢٧)، و قال اخرى: هو ساحر كقوله: إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (الشعراء ٣٤).

قوله تعالى: فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَ هُوَ مُلِيمٌ النبذ طرح الشىء من غير أن يعتد به، و اليم البحر، و المليم الآتى بما يلام عليه من ألام بمعنى أتى بما يلام عليه كأغرب إذا أتى بأمر غريب.

و المعنى: فأخذناه و جنوده و هم ركنه و طرحناهم فى البحر و الحال أنه أتى من الكفر و الجحود و الطغيان بما يلام عليه، و إنما خص فرعون بالملامه مع أن الجميع يشاركونه فيها لأنه إمامهم الذى قادهم الى الهلاك، قال تعالى: يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ (هود / ٩٨).

و فى الكلام من الإيماء الى عظمه القدره و هول الأخذ و هوان أمر فرعون و جنوده ما لا يخفى.

قوله تعالى: وَ فِي عَادٍ إِذِ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ عطف على ما تقدمه أى و فى عاد أيضا آيه إذ أرسلنا عليهم أى أطلقنا عليهم الريح العقيم.

و الريح العقيم هي الريح التي عقت و امتنعت من أن يأتي بفائده مطلوبه من فوائده الرياح كتنشئه سحب أو تلقيح شجر أو تدرية طعام أو نفع حيوان أو تصفيه هواء كما قيل و إنما أثرها الإهلاك كما تشير اليه الآيه التاليه.

قوله تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ﴾ (ما تَذَرُ) أى ما تترك، و الرميم الشئ الهالك البالى كالعظم البالى السحيق، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: وَ فِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ -الى قوله- مُنْتَصِرِينَ عطف على ما تقدمه أى و فى ثمود أيضا آيه إذ قيل لهم: تمتعوا حتى حين، و القائل نبيهم صالح عليه السلام إذ قال لهم: تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكُمْ وَعِيدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ (هود ٦٥) قال لهم ذلك لما عقروا الناقه فأمهلم ثلاثه أيام ليرجعوا فيها عن كفرهم و عتوهم لكن لم ينفعهم ذلك و حق عليهم كلمه العذاب.

و قوله: فَاعْتَبُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ العتو-على ما ذكره الراغب- النبؤ عن الطاعه فينطبق على التمرد، و المراد بهذا العتو العتو عن الأمر و الرجوع الى الله أيام المهله فلا يستشكل بأن عتوهم عن أمر الله كان مقدا على تمتعهم- كما يظهر من تفصيل القصة- و الآيه تدل على العكس.

و قوله: فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ هذا لا- ينافى ما فى موضع آخر من ذكر الصيحه بدل الصاعقه كقوله: وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ (هود ٦٧) لجواز تحققهما معا فى عذابهم.

و قوله: فَمَا اسْتِطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَ مَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ لا يبعد أن يكون «اسْتِطَاعُوا» مضمنا معنى تمكنوا، و «مِنْ قِيَامٍ» مفعوله أى ما تمكنوا من قيام من مجلسهم ليفروا من عذاب الله و هو كناية عن أنهم لم يمهلوا حتى بمقدار أن يقوموا من مجلسهم.

و قوله: وَ مَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ عطف على «فَمَا اسْتِطَاعُوا» أى ما كانوا منتصرين

بنصره غيرهم ليدفعوا بها العذاب عن أنفسهم، و محصل الجملتين أنهم لم يقدرُوا على دفع العذاب عن أنفسهم لا بأنفسهم و لا بناصر ينصرهم.

قوله تعالى: وَ قَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ عطف على القصص السابقه، و «قَوْمَ نُوحٍ» منصوب بفعل محذوف و التقدير و أهلكتنا قوم نوح من قبل عاد و ثمود إنهم كانوا فاسقين عن أمر الله.

فهناك أمر و نهى كلف الناس بهما من قبل الله سبحانه و هو ربههم و رب كل شيء دعاهم الى الدين الحق بلسان رسله فما جاء به الأنبياء عليهم السلام حق من عند الله و مما جاءوا به الوعد بالبعث و الجزاء.

قوله تعالى: وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ رجوع الى السياق السابق فى قوله: «وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ» الخ؛ و الأيدى القدره و النعمه، و على كل من المعنيين يتعين لقوله: «وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ» ما يناسبه من المعنى.

فالمعنى على الأول: و السماء بنيناها بقدره لا يوصف قدرها و إنا لذو واسعته فى القدره لا يعجزها شيء، و على الثانى: و السماء بنيناها مقارنا بناؤها لنعمه لا تقدر بقدر و إنا لذو واسعته و غنى لا تنفذ خزائنا بالإعطاء و الرزق نرزق من السماء من نشاء فنوسع الرزق كيف نشاء.

و من المحتمل أن يكون «لَمُوسِعُونَ» من أوسع فى النفقه أى كثرها فيكون المراد توسعه خلق السماء كما تميل اليه الأبحاث الرياضيه اليوم.

قوله تعالى: وَ الْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ الفرش البسط و كذا المهد أى و الأرض بسطناها و سطحنها لتستقروا عليها و تسكنوها فنعم الباسطون نحن، و هذا الفرش و البسط لا ينافى كرويه الأرض.

قوله تعالى: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ الزوجان المتقابلان. يتم أحدهما بالآخر: فاعل و منفعل كالذكر و الانثى، و قيل: المراد مطلق المتقابلات



كالذكر والانثى والسماء والأرض والليل والنهار والبر والبحر والإنس والجن وقيل: الذكر والانثى.

وقوله: لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ أى تتذكرون أن خالقها منزه عن الزوج والشريك واحد موحد.

وقوله: فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ فى الآيتين تفریع على ما تقدم من الحجج على وحدانيته فى الربوبية والالوهية، وفيها قصص عدة من الامم الماضين كفروا بالله ورسله فانتهى بهم ذلك الى عذاب الاستئصال.

فالمراد بالفرار الى الله الانقطاع اليه من الكفر والعقاب الذى يستتبعه، بالإيمان به تعالى وحده و اتخاذه إلهًا معبودًا لا شريك له.

وقوله: وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ كالتفسير لقوله: «فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ» أى المراد بالإيمان به الإيمان به وحده لا شريك له فى الالوهية والمعبودية.

وقد كرر قوله: «إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» لتأكيد الإنذار، والآيتان محكيتان عن لسان النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### [سوره الذاريات (٥١): الآيات ٥٢ الى ٦٠]

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَلَمْ نَأْصُرْ بِهٖ يَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكَرْ فَإِنَّ الدُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ (٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)

قوله تعالى: كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَى الأمر كذلك، فقوله: «كَذَلِكَ» كالتلخيص لما تقدم من إنكارهم و اختلافهم فى القول.

و قوله: مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ الخ؛ بيان للمشبه.

قوله تعالى: أَلَمْ نَوَاصِرْ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ التواصى إىصاء القوم بعضهم بعضا بأمر، و ضمير «بِهِ» للقول، و الاستفهام للتعجب، و المعنى: هل وصّى بعض هذه الامم بعضا-هل السابق وصّى اللاحق؟-على هذا القول؟ لا بل هم قوم طاغون يدعوهم الى هذا القول طغيانهم.

قوله تعالى: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ تفرّيع على طغيانهم و استكبارهم و إصرارهم على العناد و اللجاج، فالمعنى: فإذا كان كذلك و لم يجيبوك إلا بمثل قولهم ساحر أو مجنون و لم يزدهم دعوتك إلا عنادا فأعرض عنهم و لا تجادلهم على الحق فما أنت بملوم فقد أريت المحججه و أتمت الحججه.

قوله تعالى: وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ تَفْرِيعٌ عَلَى الْأَمْرِ بِالتَّوَلَّى عَنْهُمْ فَهُوَ أَمْرٌ بِالتَّذْكِيرِ بَعْدَ النِّهْيِ عَنِ الْجِدَالِ مَعَهُمْ، وَ الْمَعْنَى: وَ اسْتَمَرَّ عَلَى التَّذْكِيرِ وَ الْعِظَةِ فَذَكَرَ كَمَا كُنْتَ تَذَكَّرُ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ بِخِلَافِ الْاِحْتِجَاجِ وَ الْجِدَالِ مَعَ اَوْلِيَاكَ الطَّاعِينَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُهُمْ شَيْئًا وَ لَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا وَ كُفْرًا.

□  
قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فِيهِ التَّفَاتُ مِنْ سِيَاقِ التَّكْلِيمِ بِالْغَيْرِ إِلَى التَّكْلِيمِ وَحَدَهُ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ الْمَذْكُورَةَ سَابِقًا الْمَنْسُوبَةَ إِلَيْهِ تَعَالَى كَالْخَلْقِ وَ إِرْسَالِ الرِّسَالِ وَ إِنْزَالِ الْعِزَابِ كُلِّ ذَلِكَ مِمَّا يَقْبَلُ تَوْسِيطَ الْوَسَائِطِ كَالْمَلَائِكَةِ وَ سَائِرِ الْأَسْبَابِ بِخِلَافِ الْغُرُضِ مِنَ الْخَلْقِ وَ الْإِبْجَادِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ يَخْتَصُّ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ.

□  
وَ قَوْلُهُ: إِلَّا لِيَعْبُدُونِ اسْتِثْنَاءٌ مِنَ النِّفْيِ لَا- رَيْبٌ فِي ظُهُورِهِ فِي أَنَّ لِلْخَلْقِ غُرُضًا وَ أَنَّ الْغُرُضَ الْعِبَادَةَ بِمَعْنَى كَوْنِهِمْ عَابِدِينَ لِلَّهِ لَا كَوْنَهُ مَعْبُودًا فَقَدْ قَالَ: لِيَعْبُدُونَ وَ لَمْ يَقُلْ: لَا عِبْدٌ أَوْ لَا كَوْنٌ مَعْبُودًا لَهُمْ.

عَلَى أَنَّ الْغُرُضَ كَيْفَمَا كَانَ أَمْرٌ يَسْتَكْمِلُ بِهِ صَاحِبَ الْغُرُضِ وَ يَرْتَفِعُ بِهِ حَاجَتُهُ وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا- نَقْصَ فِيهِ وَ لَا- حَاجَةَ لَهُ حَتَّى يَسْتَكْمِلَ بِهِ وَ يَرْتَفِعُ بِهِ حَاجَتُهُ، وَ مِنْ جِهَةِ الْاِخْرَى الْفِعْلُ الَّذِي لَا يَنْتَهِي إِلَى غُرُضٍ لِفَاعِلِهِ لِعَوِ سَفَهِيٍّ وَ يَسْتَنْتِجُ مِنْهُ أَنَّ لَهُ سُبْحَانَهُ فِي فِعْلِهِ غُرُضًا هُوَ ذَاتَهُ لَا- غُرُضَ خَارِجَ مِنْهُ، وَ أَنَّ لِفِعْلِهِ غُرُضًا يَعُودُ إِلَى نَفْسِ الْفِعْلِ (١) وَ هُوَ كِمَالٌ لِلْفِعْلِ لَا لِفَاعِلِهِ، فَالْعِبَادَةُ غُرُضٌ لَخَلْقِهِ الْإِنْسَانَ وَ كِمَالٌ عَائِدٌ إِلَيْهِ هِيَ وَ مَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْآثَارِ كَالرَّحْمَةِ وَ الْمَغْفِرَةِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ، وَ لَوْ كَانَ لِلْعِبَادَةِ غُرُضٌ كَالْمَعْرِفَةِ الْحَاصِلَةِ بِهَا وَ الْخُلُوصِ لِلَّهِ كَانَ هُوَ الْغُرُضَ الْأَقْصَى وَ الْعِبَادَةَ غُرُضًا مَتَوَسِّطًا.

ص: ٧٢

---

١- ١). فَاللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ لِيَشْبِهَهُ وَ الثَّوَابَ عَائِدًا إِلَى الْإِنْسَانِ وَ هُوَ الْمُنْتَفِعُ بِهِ وَ اللَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُ، وَ أَمَّا غُرُضُهُ تَعَالَى فَهُوَ ذَاتَهُ الْمَتَعَالِيَّةُ وَ إِنَّمَا خَلَقَهُ لِأَنَّهُ اللَّهُ عَزَّ اسْمُهُ مِنْهُ.

فالحق أن اللام فى «الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ» للجنس دون الاستغراق، و المراد بالعباده ذلك غرضا نفسها دون الصلوح و الاستعداد، و لو كان المراد هو الصلوح و الاستعداد للعباده لكان أدنى ذلك غرضا أدنى مطلوباً لأجل غرض أعلى هو العباده كما أن نفس العباده بمعنى ما يأتى به العبد من الأعمال بالجوارح من قيام و ركوع و سجود و نحوها غرض مطلوب لأجل غرض آخر هو المثول بين يدى رب العالمين بذله العبوديه و فقر المملوكيه المحضه قبال العزه المطلقه و الغنى المحض كما ربما استفيد من قوله تعالى: قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ (الفرقان ٧٧)، حيث بدل العباده دعاء.

فحقيقه العباده نصب العبد نفسه فى مقام الذله و العبوديه و توجيه وجهه الى مقام ربه، و هذا هو مراد من فسّر العباده بالمعرفه يعنى المعرفه الحاصله بالعباده.

فحقيقه العباده هى الغرض الأقصى من الخلقه و هى أن ينقطع العبد عن نفسه و عن كل شىء و يذكر ربه.

هذا ما يعطيه التدبر فى قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» و لعل تقديم الجن على الإنس لسبق خلقهم على خلق الإنس قال تعالى: وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (الحجر ٢٧)، و العباده هى غرض الفعل أى كمال عائد اليه لا الى الفاعل على ما تقدم.

و يظهر من القصر فى الآيه بالنفى و الاستثناء أن لا-عنايه لله بمن لا-يعبده كما يفيدته أيضا قوله: «قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ». .

قوله تعالى: مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِلَّا بِمَا أُعْطُوا لِيُحْسِنُوا الصَّالَاتِ لِيَذَكَّرُوا عَلَىٰ الْآيَاتِ (الشعراء ٧٩)، و قال:

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ (قريش ٤)، فيكون ذكر الإطعام بعد الرزق من قبيل ذكر الخاص بعد العام لتعلق عنايه خاصه به و هى أن التغذى أوسع حوائج الإنسان و غيره

و أخسها لكونه مسبوqa بالجوع و ملحوقا بالدفع.

و قيل: المراد بالرزق رزق العباد و المعنى: ما أريد منهم أن يرزقوا عبادى الذين أرزقهم و ما أريد أن يعموني نفسى.

و قيل: المراد بالإطعام تقديم الطعام اليه كما يقدم العبد الطعام الى سيده و الخادم الى مخدومه فيكون المراد بالرزق تحصيل أصل الرزق و بالإطعام تقديم ما حصلوه و المعنى: ما أريد منهم رزقا يحصلونه لى فأرتزق به و ما أريد منهم أن يقدموا إلى ما أرتزق و أطعمه.

قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ تعليل لقوله: «مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ» الخ؛ و الالتفات فى الآية من التكلم وحده الى الغيبة لإنهاء التعليل الى اسم الجلاله الذى منه يتددى كل شىء و اليه يرجع كأنه قال: ما أريد منهم رزقا لأنى أنا الرزاق لأنى أنا الله تبارك اسمه.

و التعبير بالرزاق -اسم مبالغه- و كان الظاهر أن يقال: إن الله هو الرزاق للاشاره الى أنه تعالى إذا كان رازقا وحده كان رازقا لكثره من يرزقه فالآيه نظير قوله: «وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» .

و ذو القوه من أسمائه تعالى بمعنى القوى لكنه أبلغ من القوى، و المتين أيضا من أسمائه تعالى بمعنى القوى.

و التعبير بالأسماء الثلاثة للدلاله على انحصار الرزق فيه تعالى و أنه لا- يأخذه ضعف فى إيصال الرزق الى المرتزقين على كثرتهم.

قوله تعالى: فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ الذنوب النصيب، و الاستعجال طلب العجله و الحث عليها، و الآيه متفرعه على قوله: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» بلازم معناه.

و المعنى: فإذا كان هؤلاء الظالمون لا يعبدون الله و لا عناية له بهم و لا سعادته من قبله

تشملهم فإن لهم نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم من الأمم الماضية الهالكة فلا يطلبوا منى أن أعجل لهم العذاب ولا يقولوا متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، وأيان يوم الدين.

وفي آية التفتت من الغيبة إلى التكلم وحده وهو في الحقيقة رجوع من سياق الغيبة الذي في قوله: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ» الخ؛ إلى التكلم وحده الذي في قوله: «وَمَا خَلَقْتُ» الخ؛ لتفرع الكلام عليه.

قوله تعالى: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ تفریع علی قوله:

«فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا» الخ؛ وتنبیه علی أن هذا الذنوب محقق لهم يوم القيامة وإن أمكن أن يجعل لهم بعضه، وهو يوم ليس لهم فيه إلا الويل والهلاك وهو يومهم الموعود.

وفي تبديل قوله في الآية السابقة للذين ظلموا من قوله في هذه الآية: «الَّذِينَ كَفَرُوا» تنبيه على أن المراد بالظلم ظلم الكفر (1).

ص: ٧٥

١-١). الذاريات ٥٢-٦٠: بحث روائي في العبادة وما يترتب عليها.

## سوره الطور مكيه و هي تسع و أربعون آيه

اشاره

[سوره الطور (۵۲): الآيات ۱ الى ۱۰]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
(۱) وَ الطُّورِ (۱) وَ كِتَابِ مَسْطُورٍ (۲) فِي رَقٍّ مَنشُورٍ (۳) وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (۴) وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ  
(۵) وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (۶) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (۷) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (۸) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (۹) وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (۱۰)

ص: ۷۶

غرض السوره إنذار أهل التكذيب و العناد من الكفار بالعذاب الذى أعدّ لهم يوم القيامة فتبدأ بالإنباء عن وقوع العذاب الذى أنذروا به و تحققه يوم القيامة بأقسام مؤكده و أيمان مغلظه، و أنه غير تاركهم يومئذ حتى يقع بهم و لا مناص.

ثم تذكر نبذه من صفه هذا العذاب و الويل الذى يعمهم و لا يفارقهم ثم تقابل ذلك بشمه من نعيم أهل النعيم يومئذ و هم المتقون الذين كانوا فى الدنيا مشفقين فى أهلهم يدعون الله مؤمنين به موحدين له.

ثم تأخذ فى توبيخ المكذبين على ما كانوا يرمون النبى صلى الله عليه و آله و سلم و ما أنزل عليه من القرآن و ما أتى به من الدين الحق.

و تختم الكلام بتكرار التهديد و الوعيد و أمر النبى صلى الله عليه و آله و سلم بتسييح ربه. و السوره مكيه كما يشهد بذلك سياق آياتها.

قوله تعالى: وَ الطُّورِ قِيلَ: الطُّورِ مَطْلُقِ الْجَبَلِ وَ قَدْ غَلَبَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ الْأَنْسَبُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ فِي الْآيَةِ جَبَلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ لَمَّا قَدَّسَهُ وَ بَارَكَ فِيهِ كَمَا أَقْسَمَ بِهِ فِي قَوْلِهِ: وَ طُورِ سَيْنِينَ (التين ٢)، وَ قَالَ: وَ نَادَيْتَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ (مريم ٥٢)، وَ قَالَ فِي خُطَابِهِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (طه ١٢)، وَ قَالَ: نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ (القصص ٣٠).

و قيل: المراد مطلق الجبل أقسم الله تعالى به لما أودع فيه من أنواع نعمه قال تعالى:

وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا (حم السجده ١٠).

قوله تعالى: وَ كِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ قيل: الرق مطلق ما يكتب فيه و قيل: هو



الورق، وقيل: الورق المأخوذ من الجلد، والنشر هو البسط، والتفريق.

و المراد بهذا الكتاب قيل: هو اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه ما كان و ما يكون و ما هو كائن تقرأه ملائكة السماء، و قيل: المراد به صحائف الأعمال تقرأه حفظة الأعمال من الملائكة، و قيل: هو القرآن كتبه الله فى اللوح المحفوظ، و قيل: هو التوراه و كانت تكتب فى الرق و تنشر للقراءه.

و الأنسب بالنظر الى الآيه السابقه هو القول الأخير.

قوله تعالى: **وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ** قيل: المراد به الكعبه المشرفه فإنها أول بيت وضع للناس و لم يزل معمورا منذ وضع الى يومنا هذا قال تعالى: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بَيْنَكَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ** (آل عمران ٩٦).

و فى الروايات المأثوره أن البيت المعمور بيت فى السماء بحذاء الكعبه تزوره الملائكه.

و تنكير «**كِتَابٍ**» للإيماء الى استغنائه عن التعريف فهو تنكير يفيد التعريف و يستلزمه.

قوله تعالى: **وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ** هو السماء.

قوله تعالى: **وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ** قال الراغب: السجر تهيج النار، و فى المجمع:

المسجور المملوء يقال: سجرت التنور أى ملأتها نارا، و قد فسرت الآيه بكل من المعنين و يؤيد المعنى الأول قوله: **وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** (التكوير ١٦)، أى سعرت و قد ورد فى الحديث أن البحار تسعّر نارا يوم القيامة، و قيل: المراد أنها تغيض مياهها بتسجير النار فيها.

قوله تعالى: **إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ** جواب القسم السابق و المراد بالعذاب المخبر بوقوعه عذاب يوم القيامة الذى أوعده الله به الكفار المكذبين كما تشير اليه الآيه التاليه، و فى قوله: «**مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ**» دلالة على أنه من القضاء المحتوم الذى لا محيص عن وقوعه قال تعالى: **وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ** (الحج ٧).

و في قوله: عَذَابُ رَبِّكَ بنسبه العذاب الى الرب المضاف الى ضمير الخطاب دون أن يقال: عذاب الله تأييد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على مكذبي دعوته و تطيب لنفسه أن ربه لا- يخزيه يومئذ كما قال: يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ (التحریم/٨).

قوله تعالى: يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ظرف لقوله: «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ» .

و المور-على ما فى المجمع-تردد الشىء بالذهاب و المجرىء كما يتردد الدخان ثم يضمحل، و يقرب منه قول الراغب: إنه الجريان السريع.

و على أى حال فيه إشاره الى انطواء العالم السماوى كما يذكره تعالى فى مواضع من كلامه كقوله: إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ وَ إِذَا الْكُوْكُبُ انْتَثَرَتْ (الانفطار ٢)، و قوله: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِكُتُبٍ (الأنبياء ١٠٤)، و قوله: وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ (الزمر ٦٧).

كما أن قوله: وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا إشاره الى زلزه الساعه فى الأرض التى يذكرها تعالى فى مواضع من كلامه كقوله: إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَثًا (الواقعه ٦)، و قوله: وَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (النبا ٢٠).

### [سوره الطور (٥٢): الآيات ١١ الى ٢٨]

فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَىٰ ذَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٣) هَٰذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ (١٤) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اضْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ (١٧) فَآكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مَا أَلْتَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَ أَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَ لَا تَأْتِيمٌ (٢٣) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وُعْلَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٤) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)

بيان:

قوله تعالى: فَوَيْلٌ لِلْمُكَدِّبِينَ تفریع علی ما دلت علیہ الآیات السابقه من

ص: ٨٠

تحقق وقوع العذاب يوم القيامة أى إذا كان الأمر كما ذكر و لم يكن محيىص عن وقوع العذاب فويل لمن يقع عليه و هم المكذبون لا محاله فالجملة تدل على كون المعذبين هم المكذبين بالاستلزام و على تعلق الويل بهم بالمطابقه.

أو التقدير إذا كان العذاب واقعا لا محاله و لا محاله لا يقع إلا على المكذبين لأنهم الكافرون بالله المكذبون ليوم القيامة فويل يومئذ لهم، فالدال على تعلق العذاب بالمكذبين هو قوله:

«عَذَابَ رَبِّكَ» لأن عذاب الله إنما يقع على من دعاه فلم يجبه و كذب دعوته.

قوله تعالى: الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ الخوض هو الدخول فى باطل القول قال الراغب: الخوض هو الشروع فى الماء و المرور فيه، و يستعار فى الامور و أكثر ما ورد فى القرآن ورد فيما يذم الشروع فيه انتهى، و تنوين التنكير فى «خَوْضٍ» يدل على صفه محذوفه أى فى خوض عجيب.

و لما كان الاشتغال بباطل القول لا يفيد نتيجة حقه إلا نتيجة خياليه يزينها الوهم للخائض سماه لعبا و اللعب من الأفعال ما ليس له إلا الأثر الخيالى-.

و المعنى: الذين هم مستمرون فى خوض عجيب يلعبون بالمجادله فى آيات الله و إنكارها و الاستهزاء بها.

قوله تعالى: يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا الدَّعِىِّ هُوَ الدَّفْعُ الشَّدِيدُ، و الظاهر أن «يَوْمَ» بيان لقوله: «يَوْمَئِذٍ» .

قوله تعالى: هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ أى يقال لهم: هذه النار التى كنتم بها تكذبون، و المراد بالتكذيب بالنار التكذيب بما أخبر به الأنبياء عليهم السلام بوحي من الله من وجود هذه النار و أنه سيعذب بها المجرمون و محصل المعنى: هذه مصداق ما أخبر به الأنبياء فكذبتم به.

قوله تعالى: أَفَسِحَّرَ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ تفریع على قوله: «هَذِهِ النَّارُ الَّتِي

كُنتُمْ بِهَا تُكذِبُونَ» و الاستفهام للإنكار تفريعا لهم أى إذا كانت هذه هى تلك النار التى كنتم تكذبون بها فليس هذا سحرا كما كنتم ترمون إخبار الأنبياء بها أنه سحر و ليس هذا أمرا موهوما خرافيا كما كنتم تتفوهون به بل أمر مبصر معاين لكم فالآيه فى معنى قوله تعالى:

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ (الأحقاف ٣٤).

و بما مر من المعنى يظهر أن «أَمْ» فى قوله: «أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ» متصله و قيل: منقطعه و لا يخلو من بعد.

قوله تعالى: إِصِيلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ، الصلى بالفتح فالسكون مقاساه حراره النار فمعنى اصلوها قاسوا حراره نار جهنم.

و قوله: فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا تفریع على الأمر بالمقاساه، والترديد بين الأمر و النهى كناية عن مساواه الفعل و الترك و لذا أتبعه بقوله: «سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ» أى هذه المقاساه لازمه لكم لا تفارقكم سواء صبرتم أو لم تصبروا فلا الصبر يرفع عنكم العذاب أو يخففه و لا الجزع و ترك الصبر ينفع لكم شيئا.

و قوله: سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ خبر مبتدأ محذوف أى هما سواء و أفراد «سَوَاءٌ» لكونه مصدرا فى الأصل.

و قوله: إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فى مقام التعليل لما ذكر من ملازمه العذاب و مساواه الصبر و الجزع.

و المعنى: إنما يلازمكم هذا الجزاء السيئ و لا يفارقكم لأنكم تجزون بأعمالكم التى كنتم تعملونها و لا تسلب نسبه العمل عن عامله فالعذاب يلازمكم أو إنما تجزون بتبعات ما كنتم تعملون و جزائه.

قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ الْجَنَّةِ الْبَسْتَانِ تَجْنِبُهُ الْأَشْجَارُ

و تستره، و النعيم النعمه الكثيره أى إن المتصفين بتقوى الله يومئذ فى جنات يسكنون فيها و نعمه كثيره تحيط بهم.

قوله تعالى: فَأَكْهَيْنَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ الفاكهه مطلق الثمره، و قيل: هى الثمره غير العنب و الرمان، و يقال: تفكّه و فكه إذا تعاطى الفكاهه، و تفكّه و فكه إذا تناول الفاكهه، و قد فسّرت الآيه بكل من المعنيين فقيل: المعنى:

يتحدثون بما آتاهم ربهم من النعيم، و قيل: المعنى: يتناولون الفواكه و الثمار التى آتاهم ربهم، و قيل: المعنى: يتلذذون بإحسان ربهم و مرجعه الى المعنى الأول، و قيل: معناه فاكهين معجبين بما آتاهم ربهم، و لعل مرجعه الى المعنى الثانى.

و تكرار «رَبُّهُمْ» فى قوله: «وَ وَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ» لإفاده مزيد العنايه بهم.

قوله تعالى: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أى يقال لهم: كلوا و اشربوا أكلا و شربا هنيئا أو طعاما و شرابا هنيئا، فهنيئا وصف قائم مقام مفعول مطلق أو مفعول به.

و قوله: بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ متعلق بقوله: «كُلُوا وَ اشْرَبُوا» أو بقوله: «هَنِيئًا» .

قوله تعالى: مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصِيفُوفَةٍ وَ زَوَاجِدًا لَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ الاتكاء الاعتماد على الوساده و نحوها، و السرر جمع سرير، و مصفوفه من الصف أى مصطفه موصوله بعضها ببعض، و المتكئين على الوسائد و النمارق قاعدين على سرر مصطفه.

و قوله: وَ زَوَاجِدًا لَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ المراد بالتزويج القرن أى قرنائهم بهنّ دون النكاح بالعقد، و الدليل عليه تعدّيه بالباء فإن التزويج بمعنى النكاح بالعقد متعدّد بنفسها، قال تعالى: زَوَّجْنَا كُهَا (الأحزاب ٣٧)، كذا قيل.

قوله تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ الخ؛ قيل: الفرق بين الاتباع و اللحق مع اعتبار التقدم

و التأخر فيهما جميعا أنه يعتبر في الاتباع اشتراك بين التابع و المتبوع في مورد الاتباع بخلاف اللحق فاللاحق لا- يشارك الملحق في ما لحق به فيه.

ولات و آلات بمعنى نقص فمعنى ما ألتناهم ما نقصناهم شيئا من عملهم بالإلحاق.

و ظاهر الآيه أنها في مقام الامتنان فهو سبحانه يمتنّ على الذين آمنوا أنه سيلحق بهم ذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان فتقرّ بذلك أعينهم، وهذا هو القرينه على أن التنوين في «بِإِيمَانٍ» للتكثير دون التعظيم.

و المعنى: اتبعوهم بنوع من الإيمان و إن قصر عن درجه إيمان آبائهم إذ لا- امتنان لو كان إيمانهم أكمل من إيمان آبائهم أو مساويا له.

و إطلاق الاتباع في الإيمان منصرف الى اتباع من يصح منه في نفسه الإيمان ببلوغه حدا يكلف به فالمراد بالذرية الأولاد الكبار المكلفون بالإيمان فالآيه لا تشمل الأولاد الصغار الذين ماتوا قبل البلوغ، و لا ينافى ذلك كون صغار أولاد المؤمنين محكومين بالإيمان شرعا.

اللهم إلّا- أن يستفاد العموم من تكثير الإيمان و يكون المعنى: و اتبعتم ذريتهم بإيمان ما سواء كان إيماننا في نفسه أو إيماننا بحسب حكم الشرع.

و كذا الامتنان قرينه على أن الضمير في قوله: «وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» للذين آمنوا كالضميرين في قوله: «وَأَتَّبَعْتُهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» إذ قوله: «وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» مسوق حينئذ لدفع توهم ورود النقص في الثواب على تقرير الإلحاق و هو ينافى الامتنان و من المعلوم أن الذى ينافى الامتنان هو النقص في ثواب الآباء الملحق بهم دون الذرية.

فتحصّل أن قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» الخ؛ استئناف يمتنّ تعالى فيه على الذين آمنوا بأنه سيلحق بهم أولادهم الذين اتبعوهم بنوع من الإيمان و إن كان قاصرا على درجه إيمانهم لتقرّ به أعينهم، و لا ينقص مع ذلك من ثواب عمل الآباء بالإلحاق شيء بل يؤتيهم مثل ما آتاهم أو بنحو لا تراحم فيه على ما هو أعلم به.

و فى معنى الآيه أقوال آخر لا- تخلو من سخافه كقول بعضهم إن قوله: «وَالَّذِينَ آمَنُوا» معطوف على «بِحُورٍ عِينٍ» و المعنى: و زوجاتهم بحور عين و بالذين آمنوا يتمتعون من الحور العين بالنكاح و بالذين آمنوا بالرفاقه و الصحبه، و قول بعضهم: إن المراد بالذريه صغار الأولاد فقط، و قول بعضهم: إن الضميرين فى «وَمَا أَكْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» للذريه و المعنى: و ما نقصنا الذريه من عملهم شيئاً بسبب إلحاقهم بأبائهم بل نوفيهم أعمالهم من خير أو شر ثم نلحقهم بأبائهم.

و قوله: كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ تعليل لقوله: «وَمَا أَكْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» على ما يفيدہ السياق، و الرهن و الرهين و المرهون ما يوضع وثيقه للدين على ما ذكره الراغب قال: و لما كان الرهن يتصور منه حبسه استعير ذلك لحبس أى شىء كان. انتهى.

و لعل هذا المعنى الاستعارى هو المراد فى الآيه و المرء رهن مقبوض و محفوظ عند الله سبحانه بما كسبه من خير أو شر حتى يوفيه جزاء ما عمله من ثواب أو عقاب فلو نقص شيئاً من عمله و لم يوفه ذلك لم يكن رهين ما كسب بل رهين بعض ما عمل و امتلك بعضه الآخر غيره كذريته الملحقين به.

و أما قوله تعالى: كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ (المدثر ٣٩)، فالمراد كونها رهينه العذاب يوم القيامة كما يشهد به سياق ما بعده من قوله: فِي جَنَاتٍ يَنْسَاءُونَ عَنِ الْمُجْرِمِيْنَ (المدثر ٤١).

قوله تعالى: وَ أَمِيدُ ذُنُوبِهِمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ بيان لبعض تتماتهم و تمتعاتهم فى الجنة المذكوره إجمالاً فى قوله السابق: «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا» الخ.

و الإمداد الإتيان بالشىء وقتاً بعد وقت و يستعمل فى الخير كما أن المد يستعمل فى الشر قال تعالى: وَ تُمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (مريم ٧٩).

و المعنى: انا نرزقهم بالفاكهه و ما يشتهونه من اللحم رزقا بعد رزق و وقتاً بعد وقت من



غير انقطاع.

قوله تعالى: يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمُ التَّنَازَعُ فِي الكَأْسِ تَعَاطِيهَا وَاجْتِمَاعَ عَلَى تَنَاوُلِهَا، وَالكَأْسِ القَدْحُ وَ لَا يَطْلُقُ الكَأْسُ إِلَّا فِيمَا كَانَ فِيهَا الشَّرَابُ.

وَالمَرَادُ بِاللَّغْوِ لَغْوُ القَوْلِ الَّذِي يَصْدُرُ مِنْ شَارِبِي الخَمْرِ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّائِيْمُ جَعَلَ الشَّخْصَ ذَا إِثْمٍ وَهُوَ أَيْضًا مِنْ آثَارِ الخَمْرِ فِي الدُّنْيَا، وَنَفَى اللِّغْوِ وَالتَّائِيْمِ هُوَ القَرِينَةُ عَلَى أَنَّ المَرَادَ بِالكَأْسِ التِّي يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسِ الخَمْرِ.

قوله تعالى: وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ المَرَادُ بِهِ طَوَافِهِمْ عَلَيْهِمْ لِلسَّخْمَةِ قَالَ بَعْضُهُمْ: قِيلَ «غِلْمَانٌ لَهُمْ» بِالتَّنْكِيرِ وَ لَمْ يَقُلْ: غِلْمَانُهُمْ لِثَلَايِتِهِمْ أَنَّ المَرَادَ بِهِمْ غِلْمَانُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَخْدُمُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَهِيَ كَالْحَوَرِ مِنْ مَخْلُوقَاتِ الجَنَّةِ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ مَخْزُونٌ فِي الحَسَنِ وَ الصَّبَاحَةِ وَ الصَّفَا.

قوله تعالى: وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ أَي يَسْأَلُ كُلُّ مِنْهُمْ غَيْرَهُ عَنْ حَالِهِ فِي الدُّنْيَا وَ مَا الَّذِي سَاقَهُ إِلَى الجَنَّةِ وَ النِّعَمِ؟

قوله تعالى: قَالُوا إِذَا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ قَالَ الرَّاعِبُ: وَ الإِشْفَاقُ عَنَايَةُ مَخْتَلِطُهُ بِخَوْفٍ لِأَنَّ المَشْفِقَ يَحِبُّ المَشْفُوقَ عَلَيْهِ وَ يَخَافُ مَا يَلْحَقُهُ قَالَ تَعَالَى: «وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ» فَإِذَا عَدَى بِمَنْ فَمَعْنَى الخَوْفِ فِيهِ أَظْهَرَ، وَ إِذَا عَدَى بِفِي فَمَعْنَى العَنَايَةِ فِيهِ أَظْهَرَ قَالَ تَعَالَى: «إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ»، انْتَهَى.

فَالْمَعْنَى: إِنَّا كُنَّا فِي الدُّنْيَا ذَوِي إِشْفَاقٍ فِي أَهْلِنَا نَعْتَنِي بِسَعَادَتِهِمْ وَ نَجَاتِهِمْ مِنْ مَهْلِكَةِ الضَّلَالِ فَعَاشَرَهُمْ بِجَمِيلِ المَعَاشِرَةِ وَ نَسِيرٍ فِيهِمْ بَثَّ النِّصِيحَةِ وَ الدَّعْوَةَ إِلَى الحَقِّ.

قوله تعالى: فَمَنْ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَ وَفَاذًا عَذَابَ السَّمُومِ المَنْ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الرَّاعِبُ الإِنْعَامَ بِالنِّعْمَةِ الثَّقِيلَةَ وَ يَكُونُ بِالفِعْلِ وَ هُوَ حَسَنٌ، وَ بِالقَوْلِ وَ هُوَ قَبِيحٌ مِنْ غَيْرِهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ

ص: ٨٦

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (الحجرات ١٧).

وَمَنْ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ إِسْعَادَهُ إِيَّاهُمْ لِدُخُولِهَا بِالرَّحْمَةِ وَتَمَامِهِ بِوَقَايَتِهِمْ عَذَابَ السَّمُومِ وَالسَّمُومِ - عَلَى مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرَسِيُّ -  
الْحَرُّ الَّذِي يَدْخُلُ فِي مَسَامِّ الْبَدَنِ يَتَأَلَّمُ بِهِ وَ مِنْهُ رِيحُ السَّمُومِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: «فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا» الخ؛ كما أن قوله: «إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ» تَعْلِيلٌ لَهُ.

و تَفِيدُ هَذِهِ الْآيَةَ مَعَ الْآتِينَ قَبْلَهَا أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِتَوْحِيدِهِ لِلْعِبَادَةِ وَ التَّسْلِيمِ لِأَمْرِهِ وَ كَانُوا مَشْفِقِينَ فِي أَهْلِهِمْ  
يَقْرَبُونَهُمْ مِنَ الْحَقِّ وَ يَجْنُبُونَهُمُ الْبَاطِلَ فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِم بِالْجَنَّةِ وَ وَقَايَتِهِمْ مِنْ عَذَابِ السَّمُومِ، وَ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا  
لِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى بَرٌّ رَحِيمٌ فَيُحْسِنُ لِمَنْ دَعَاهُ وَ يَرْحَمُهُ.

فَالآيَاتُ الثَّلَاثُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ  
(العصر ٣).

و البر من أسماء الله تعالى الحسن، و هو من البر بمعنى الإحسان، و فسره بعضهم باللطيف (١).

### [سوره الطور (٥٢): الآيات ٢٩ الى ٤٤]

فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَ لَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ  
الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهِذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ  
كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ  
خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَيْمٌ يَسْتَتِمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَ لَكُمْ الْبَنُونَ  
(٣٩) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ  
الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤)

ص: ٨٧

بيان:

قوله تعالى: فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ تفرّيع على ما مرّ من الأخبار المؤكّد بوقوع العذاب الإلهي يوم القيامة، و أنه سيغشى المكذّبين و المتقون في وقايه منه متلذذون بنعيم الجنة.

فالآيه في معنى أن يقال: إذا كان هذا حقاً فذكر فإنما تذكر و تنذر بالحق و ليست كما يرمونك كاهناً أو مجنوناً.

و تقييد النفي بقوله: «بِنِعْمَةِ رَبِّكَ» يفيد معنى الامتنان على النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم خاصه و ليس هذا الامتنان الخاص من جهه مجرد انتفاء الكهانه و الجنون فأكثر الناس على هذه الصفه بل من

ص: ٨٨



«تَقَوْلُهُ» بأنه لو كان كلاما للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان كلاما بشريا مماثلا لسائر الكلام و يماثله سائر الكلام فكان يمكنهم أن يأتوا بحديث مثله فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين في دعواهم التقول بل هو كلام إلهي لائحه عليه دلائل الإعجاز يعجز البشر عن إتيان مثله، وقد تقدم الكلام في وجوه إعجاز القرآن في تفسير سورة البقره الآيه ٢٣ تفصيلا.

ويمكن أن تؤخذ الآيه ردا لجميع ما تقدم من قولهم المحكى أنه كاهن أو مجنون أو شاعر أو متقول لأن عجز البشر عن الإتيان بمثله يأبى إلا أن يكون كلام الله سبحانه لكن الأظهر ما تقدم.

قوله تعالى: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ إتيان «شَيْءٍ» منكرًا بتقدير صفه تناسب المقام و التقدير من غير شىء خلق منه غيرهم من البشر.

و المعنى: بل أخلق هؤلاء المكذبون من غير شىء خلق منه غيرهم من البشر فصلاح لإرسال الرسول و الدعوه الى الحق و التلبس بعبوديته تعالى فهؤلاء لا يتعلق بهم تكليف و لا يتوجه اليهم أمر و لا نهى و لا تستتبع أعمالهم ثوابا و لا عقابا لكونهم مخلوقين من غير ما خلق منه غيرهم.

و قوله: أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أى لأنفسهم فليسوا مخلوقين لله سبحانه حتى يربهم و يدبر أمرهم بالأمر و النهى.

قوله تعالى: أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أى أم أخلقوا العالم حتى يكونوا أربابا آلهه و يجلوا من أن يستعبدوا و يكلفوا بتكليف العبوديه بل هم قوم لا يوقنون.

قوله تعالى: أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُضَيِّطُونَ أى بل أ عندهم خزائن ربك حتى يرزقوا النبوه من شاءوا و يمسكوها عن شاءوا فيمنعوك النبوه و الرساله.

و قوله: أَمْ هُمُ الْمُضَيِّطُونَ السيطره- و ربما يقلب سينها صادا-الغلبه و القهر

و المعنى: بل أهم الغالبون القاهرون على الله سبحانه حتى يسلبوا عنك ما رزقك الله من النبوه و الرساله.

قوله تعالى: أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ السلم المرقاه ذات الدرج التى يتوسل بالصعود فيه الى الأمكنه العاليه، و الاستماع مضمن معنى الصعود، و السلطان الحججه و البرهان.

و المعنى: بل أ عندهم سلم يصعدون فيه الى السماء فيستمعون بالصعود فيه الوحي فيأخذون ما يوحى اليهم و يردّون غيره؟ فليأت مستمعهم أى المدعى للاستماع منهم بحججه ظاهره.

قوله تعالى: أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَ لَكُمْ الْبُنُونَ قِيلَ: فيه تسفيه لعقولهم حيث نسبوا اليه تعالى ما أنفوا منه.

قوله تعالى: أَمْ تَشْتَكُلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ قَالَ الراغب: الغرم -بالضم فالسكون- ما ينوب الإنسان فى ماله من ضرر لغير جنايه منه أو خيانه انتهى و الإثقال تحميل الثقل و هو كناية عن المشقه.

و المعنى: بل أ تسألهم أجرا على تبليغ رسالتك فهم يتخرجون عن تحمل الغرم الذى ينوبهم بتأديه الأجر؟

قوله تعالى: أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ذكر بعضهم أن المراد بالغيب اللوح المحفوظ المكتوب فيه الغيوب و المعنى: بل أ عندهم اللوح المحفوظ يكتبون منه و يخبرون به الناس فما أخبروا به عنك من الغيب الذى لا ريب فيه.

و قيل: المراد بالغيب علم الغيب، و بالكتابه الإثبات و المعنى: بل أ عندهم علم الغيب فهم يثبتون ما علموه شرعا للناس عليهم أن يطيعوهم فيما أثبتوا، و قيل: يكتبون بمعنى يحكمون.

قوله تعالى: أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ الكيد ضرب من الاحتيال على ما ذكره الراغب، و في المجمع: الكيد هو المكر، و قيل: هو فعل ما يوجب الغيظ في خفيه. انتهى.

ظاهر السياق أن المراد بكيدهم هو مكرهم بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بما رموه به من الكهانه و الجنون و الشعر و التقول ليعرض عنه الناس و يتعدوا عنه فتبطل بذلك دعوته و ينطفئ نوره، و هذا كيد منهم و مكر بأنفسهم حيث يحرمون لها السعاده الخالده و الركوب على صراط الحق بذلك بل كيد من الله بقطع التوفيق عنهم و الطبع على قلوبهم.

و قلى: المراد بالكيد الذى يريدونه هو ما كان منهم فى حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فى دار الندوه و المراد بالذين كفروا المذكورون من المكذبين و هم أصحاب دار الندوه، و قد قلب الله كيدهم الى أنفسهم فقتلهم يوم بدر، و الكلام على هذا من الإخبار بالغيب لنزول السوره قبل ذلك بكثير، و هو بعيد من السياق.

قوله تعالى: أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ إِذَا كَانَ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ كَانَ هُوَ الْخَالِقُ لَهُمْ وَ الْمَدِيرُ لَأَمْرِهِمْ فَاسْتَغْنَوْا بِذَلِكَ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ اسْتَجَابَهُ دَعْوَهُ رَسُولَهُ وَ نَصَرَهُمْ إِلَهُهُمْ وَ دَفَعَ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ الَّذِى أَوْعَدَ بِهِ الْمَكْذِبِينَ وَ أَنْذَرَهُمْ بِهِ رَسُولَهُ.

و قوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» تنزيه له تعالى أن يكون له شريك كما يدعون، و ما فى قوله: «عَمَّا يُشْرِكُونَ» مصدرية أى سبحانه عن شركهم.

قوله تعالى: وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ الكسف بالكسر فالسكون القطعه، و الماركوم المتراكم الواقع بعضه على بعض.

و المعنى: أن كفرهم و إصرارهم على تكذيب المدعوه الحقه بلغ الى حيث لو رأوا قطعه من السماء ساقطا عليهم لقالوا سحاب متراكم ليست من آيه العذاب فى شىء فهو كقوله:

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا (الحجر / ١٥).

### [سوره الطور (٥٢): الآيات ٤٥ الى ٤٩]

فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَإِصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)

بيان:

قوله تعالى: فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ «فَذَرَهُمْ» أمر بمعنى اتركهم و هو فعل لم يستعمل من تصريفاته إلا المستقبل والأمر، و «يُصْعَقُونَ» من الإصعاق بمعنى الإماته وقيل: من الصعق بمعنى الإماته.

لما أنذر سبحانه المكذبين لدعوته بعذاب واقع لا ريب فيه ثم رد جميع ما تعلق به أو يفرض أن يتعلل به أولئك المكذبون، و ذكر أنهم فى الإصرار على الباطل بحيث لو عاينوا أوضح آية للحق أولوه و ردّوه، أمر نبيه صلى الله عليه و آله و سلم أن يتركهم و شأنهم، و هو تهديد كئيب بشمول العذاب لهم و حالهم هذه الحال.

و المراد باليوم الذى فيه يصعقون يوم نفخ الصور الذى يصعق فيه من فى السماوات

ص: ٩٣



و الأرض و هو من أشراط الساعة قال تعالى: وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ (الزمر ٦٨).

و يؤيد هذا المعنى قوله فى الآيه التاليه: «يَوْمَ لَا يُعْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَ لَا هُمْ يُنصِرُونَ» فإن انتفاء إغناء الكيد و النصر من خواص يوم القيامة الذى يسقط فيه عامه الأسباب و الأمر يومئذ لله.

قوله تعالى: وَ إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لا يبعد أن يكون المراد به عذاب القبر، و قوله: «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» مشعر بأن فيهم من يعلم ذلك لكنه يصرّ على كفره و تكذيبه عنادا و قيل: المراد به يوم بدر لكن ذيل الآيه لا يلائمه تلك الملاءمه.

قوله تعالى: وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا عطف على قوله: «فَدَرَهُمْ» و ظاهر السياق أن المراد بالحكم حكمه تعالى فى المكذبين بالإمهال و الإملاء و الطبع على قلوبهم، و فى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أن يدعو الى الحق بما فيه من الأذى فى جنب الله فالمراد بقوله: «فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا» أنك بمرأى منا نراك بحيث لا يخفى علينا شىء من حالك و لا تغفل عنك ففى تعليل الصبر بهذه الجملة تأكيد للأمر بالصبر و تشديد للخطاب.

و قيل: المراد بقوله: «فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا» أنك فى حفظنا و حراستنا فالعين مجاز عن الحفظ، و لعل المعنى المتقدم أنسب للسياق.

قوله تعالى: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِذْبَارَ النُّجُومِ البات فى «بِحَمْدِ» للمصاحبه أى سبح ربك و نزهه حال كونه مقارنا لحمده.

و المراد بقوله: «حِينَ تَقُومُ» قيل هو القيام من النوم، و قيل: هو القيام من القائله، فهو صلاه الظهر، و قيل: هو القيام من المجلس، و قيل: هو كل قيام، و قيل: هو القيام الى الفريضة و قيل: هو القيام الى كل صلاه، و قيل: هو الركعتان قبل فريضة الصبح سبعة أقوال كما ذكره

و قوله: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ أَى من الليل فسبح ربك فيه، و المراد به صلاة الليل، و قيل: المراد صلاتا المغرب و العشاء الآخرة.

و قوله: وَ إِدْبَارَ النُّجُومِ قيل: المراد به وقت إدبار النجوم و هو اختفاؤها بسوء الصبح، و هو الركعتان قبل فريضة الصبح، و قيل: المراد فريضة الصبح، و قيل: المراد تسيحه تعالى صباحا و مساء من غير غفله عن ذكره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَ النُّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَ يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا  
وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩)  
فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَ لَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ  
سِدْرِهِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصِيرُ وَ مَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ  
رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)

غرض السوره تذڪير الاصول الثلاثه: وحدانيته تعالى فى ربوبيته و المعاد و النبوه فتبدأ بالنبوه فتصدق الوحي الى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و تصفه ثم تتعرض للوحدانيه فتنفى الأوثان و الشركاء أبلغ النفي ثم تصف انتهاء الخلق و التدبير اليه تعالى من إحياء و إمامته و إضحاك و إبكاء و إغناء و إقناء و إهلاك و تعذيب و دعوه و إنذار، و تختتم الكلام بالإشاره الى المعاد و الأمر بالسجده و العباده.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها و لا يصغى الى قول بعضهم بكون بعض آياتها أو كلها مدنيه، و قد قيل: إنها أول سوره أعلن النبي صلى الله عليه و آله و سلم بقراءتها فقرأها على المؤمنين و المشركين جميعاً، و من غرر الآيات فيها قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْمُتَّهَىٰ وَ قَوْلُهُ: وَ أَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ .

و ما أوردناه من الآيات هى الفصل الأول من فصول السور الثلاثه و هى الآيات اللاتى تصدق الوحي الى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و تصفه، لكن هناك روايات مستفيضه عن أئمه أهل البيت عليهم السلام

ناصه على أن المراد بالآيات ليس بيان صفه كل وحى بل بيان وحى المشافهه الذى أوحاه الله سبحانه الى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم ليله المعراج فالآيات متضمنه لقصه المعراج و ظاهر الآيات لا يخلو من تأييد لهذه الروايات و هو المستفاد أيضا من أقوال بعض الصحابه كابن عباس و أنس و أبى سعيد الخدرى و غيرهم على ما روى عنهم و على ذلك جرى كلام المفسرين و إن اشد الخلاف بينهم فى تفسير مفرداتها و جملها.

قوله

تعالى: وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۗ مَا ظَهَرَ الْآيَةَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّجْمِ هُوَ مُطْلَقُ الْجُرْمِ السَّمَاوِيِّ الْمَضِيءِ وَ قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِكَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ وَ مِنْهَا عَدَّةٌ مِنَ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَةِ كَالشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ سَائِرِ السِّيَّارَاتِ، وَ عَلَى هَذَا فَالْمُرَادُ بِهَوَى النَّجْمِ سَقُوطُهُ لِلْغُرُوبِ.

قوله تعالى: مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَى الضلال الخروج و الانحراف عن الصراط المستقيم، و الغى خلاف الرشد الذى هو إصابه الواقع، قال الراغب: الغى جهل من اعتقاد فاسد، و ذلك أن الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقادا لا صالحا و لا فاسدا، و قد يكون من اعتقاد شىء فاسد، و هذا النحو الثانى يقال له غى، قال تعالى: «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَى» . انتهى. و المراد بالصاحب هو النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

و المعنى: ما خرج صاحبكم عن الطريق الموصل الى الغايه المطلوبه و لا أخطأ فى اعتقاده و رأيه فيها، و يرجع المعنى الى أنه لم يخطئ لا فى الغايه المطلوبه التى هى السعاده الإنسانيه و هو عبوديته تعالى، و لا فى طريقها التى تنتهى إليها.

قوله تعالى: وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا - وَحْيٌ يُوحَىٰ المراد بالهوى هوى النفس و رأيها، و النطق و إن كان مطلقا ورد عليه النفى و كان مقتضاه نفى الهوى عن مطلق نطقه صلى الله عليه و آله و سلم لكنه لما كان خطابا للمشركين و هم يرمونه فى دعوته و ما يتلو عليهم من القرآن بأنه كاذب متقول مفتر على الله سبحانه كان المراد بقريته المقام أنه صلى الله عليه و آله و سلم ما ينطق فيما يدعوكم الى الله أو فيما يتلوه عليكم من القرآن عن هوى نفسه و رأيه بل ليس ذلك إلا وحيا يوحى اليه

ص: ٩٨

من الله سبحانه.

قوله تعالى: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى <sup>□</sup> ضمير «عَلَّمَهُ» للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوْ لِلْقُرْآنِ بِمَا هُوَ وَحْيٌ أَوْ لِمَطْلُقِ الْوَحْيِ وَ الْمَفْعُولِ الْآخِرِ لِعَلَّمَهُ مَحذُوفٌ عَلَى أَى حَالٍ وَ التَّقْدِيرُ عِلْمُ النَّبِيِّ الْوَحْيِ أَوْ عِلْمُ الْقُرْآنِ أَوْ الْوَحْيِ إِيَّاهُ.

و المراد بشديد القوى على ما قالوا جبريل و قد وصفه الله بالقوه فى قوله: ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (التكوير ٢٠)، و قيل: المراد به هو الله سبحانه.

قوله تعالى: ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى <sup>□</sup> المره بكسر الميم الشده، و حصافه العقل و الرأى، و بناء نوع من المرور و قد فسرت المره فى الآيه بكل من المعانى الثلاثه مع القول بأن المراد بذى مره جبريل، و المعنى: هو أى جبريل ذو شده فى جنب الله أو هو ذو حصافه فى عقله و رأيه، أو هو ذو نوع من المرور بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ هُوَ فِى الْهَوَاءِ.

و قيل: المراد بذو مره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فهو ذو شده فى جنب الله أو ذو حصافه فى عقله و رأيه أو ذو نوع من المرور عرج فيه الى السماوات.

و قوله: فَاسْتَوَى <sup>□</sup> بمعنى استقام أو استولى و ضمير الفاعل راجع الى جبريل و المعنى:

فاستقام جبريل على صورته الأصلية التى خلق عليها على ما روى أن جبريل كان ينزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فى صور مختلفه، و إنما ظهر له فى صورته الأصلية مرتين أو المعنى: فاستولى جبريل يقوته على ما جعل له من الأمر.

و إن كان الضمير للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فالمعنى فاستقام و استقر.

قوله تعالى: وَ هُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى <sup>□</sup> الافق الناحيه قيل: المراد بالافق الأعلى ناحيه الشرق من السماء لأن أفق المشرق فوق المغرب فى صعيد الأرض لا فى الهواء و هو كما ترى و الظاهر أن المراد به أفق أعلى من السماء من غير اعتبار كونه أفقا شرقيا.

و ضمير هو فى الآيه راجع الى جبريل أو الى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و الجملة حال من ضمير

قوله تعالى: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى الدنوُّ القرب، والتدلى التعلق بالشىء و يكنى به عن شدة القرب، وقيل: الامتداد الى جهة السفلى مأخوذ من الدلو.

و المعنى: على تقدير رجوع الضميرين لجبريل: ثم قرب جبريل فتعلق بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم ليخرج به الى السماوات، و قيل: ثم تدلى جبريل من الافق الأعلى فدنى من النبى صلى الله عليه و آله و سلم ليخرج به.

و المعنى: على تقدير رجوع الضميرين الى النبى صلى الله عليه و آله و سلم: ثم قرب النبى من الله سبحانه و زاد فى القرب.

قوله تعالى: فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى قال فى المجمع: القاب و القيب و القاد و القيد عباره عن مقدار الشىء انتهى. و القوس معروفه و هى آله رمى، و يقال قوس على الذراع فى لغه أهل الحجاز على ما قيل.

و المعنى: فكان البعد قدر قوسين أو قدر ذراعين أو أقرب من ذلك.

قوله تعالى: فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ضمير أوحى فى الموضعين لجبريل على تقدير رجوع الضمائر السابقه الى جبريل، و المعنى: فأوحى جبريل الى عبد الله و هو النبى صلى الله عليه و آله و سلم ما أوحى، قيل: و لا ضمير فى رجوع الضمير اليه تعالى من عدم سبق الذكر لكونه فى غايه الوضوح. أو الضمائر الثلاث لله و المعنى: فأوحى الله بتوسط جبريل الى عبده ما أوحى أو الضمير الأول لجبريل و الثانى و الثالث لله و المعنى فأوحى جبريل ما أوحى الله اليه الى عبد الله.

و الضمائر الثلاث كلها لله على تقدير رجوع الضمائر السابقه الى النبى صلى الله عليه و آله و سلم و المعنى: فأوحى الله الى عبده ما أوحى، و هذا المعنى أقرب الى الذهن من المعنى السابق الذى لا يرتضيه الذوق السليم و إن كان صحيحا.

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ الكذب خلاف الصدق يقال: كذب فلان في حديثه، ويقال: كذبه الحديث بالتعدي الى مفعولين أى حدثه كذبا، والكذب كما يطلق عى القول و الحديث الذى يلفظه اللسان كذلك يطلق على خطأ القوه المدركه يقال: كذبتة عينه أى أخطأته فى رؤيتها.

و نفى الكذب عن الفؤاد إنما هو بهذا المعنى سواء أخذ الكذب لازما و التقدير ما كذب الفؤاد فيما رأى أو متعديا الى مفعولين، و التقدير ما كذب الفؤاد-فؤاد النبي-النبي ما رآه أى إن رؤيه فؤاده فيما رآه رؤيه صادقه.

و على هذا فالمراد بالفؤاد فؤاد النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و ضمير الفاعل فى «مَا رَأَى» راجع الى الفؤاد و الرؤيه رؤيته.

و لا بدع فى نسبه الرؤيه و هى مشاهده العيان الى الفؤاد فإن للإنسان نوعا من الإدراك الشهودى وراء الإدراك بإحدى الحواس الظاهره و التخيل و التفكير بالقوى الباطنه كما أننا نشاهد من أنفسنا أننا نرى و ليست هذه المشاهده العيانيه إبصارا بالبصر و لا معلوما بفكر، و كذا نرى من أنفسنا أننا نسمع و نشم و نذوق و نلمس و نشاهد أننا نتخيل و نتفكر و ليست هذه الرؤيه ببصر أو بشيء من الحواس الظاهره أو الباطنه فإننا كما نشاهد مدركات كل واحده من هذه القوى بنفس تلك القوه كذلك نشاهد إدراك كل منا لمدركها و ليس هذه المشاهده بنفس تلك القوه بل بأنفسنا المعبر عنها بالفؤاد.

و ليس فى الآيه ما يدل على أن متعلق الرؤيه هو الله سبحانه و أنه لمرئى له صَلَّى الله عليه و آله و سلم بل المرئى هو الافق الأعلى و الدنو و التدلى و أنه أوحى اليه فهذه هى المذكوره فى الآيات السابقه و هى آيات له تعالى، و يؤيد ذلك ما ذكره تعالى فى النزله الاخرى من قوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ .

على أنها لو دلّت على تعلق الرؤيه به تعالى لم يكن به بأس فإنها رؤيه القلب و رؤيه القلب



غير رؤيه البصر الحسيه التى تتعلق بالأجسام و يستحيل تعلقها به تعالى و قد قدمنا كلاما فى رؤيه القلب فى تفسير سوره الأعراف الآيه ١٤٣.

قوله تعالى: **أَفْتَمَارُؤُهُ عَلَيَّ مَا يَرَى** الاستفهام للتوبيخ و الخطاب للمشركين و الضمير للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و المماراه الإصرار على المجادله، و المعنى: أفتصرّون فى جدالكم على النبي صلى الله عليه و آله و سلم أن يدعن بخلاف ما يدّعيه و يخبركم به و هو يشاهد ذلك عيانا.

قوله تعالى: **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى** النزله بناء مره من النزول فمعناه نزول واحد، و تدل الآيه على أن هذه قصه رؤيه فى نزول آخر و الآيات السابقه تقصّ نزولا آخر غيره.

و قد قالوا: إن ضمير الفاعل المستكن فى قوله: «رآه» للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و ضمير المفعول لجبريل، و على هذا فالنزله نزول جبريل عليه صلى الله عليه و آله و سلم ليعرج به الى السماوات، و قوله: «عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُنتَهَى» ظرف للرؤيه لا للنزله، و المراد برؤيته رؤيته و هو فى صورته الأصلية.

و المعنى: أنه نزل عليه صلى الله عليه و آله و سلم نزله اخرى و عرج به الى السماوات و تراءى له صلى الله عليه و آله و سلم عند سدره المنتهى و هو فى صورته الأصلية.

و قد ظهر مما تقدم صحه إرجاع ضمير المفعول اليه تعالى و المراد بالرؤيه رؤيه القلب و المراد بنزله اخرى نزله النبي صلى الله عليه و آله و سلم عند سدره المنتهى فى عروجه الى السماوات فالمفاد أنه صلى الله عليه و آله و سلم نزل نزله اخرى أثناء معراجة عند سدره المنتهى فرآه بقلبه كما رآه فى النزله الاولى.

قوله تعالى: **عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُنتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَعْشَى السُّدْرَةَ مَا يَعْشَى** السدر شجر معروف و التاء للوحده، و المنتهى - كأنه - اسم مكان و لعل المراد به منتهى السماوات بدليل كون الجنة عندها و الجنة فى السماء، قال تعالى: **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ** (الذاريات ٢٢/).

و لا يوجد فى كلامه تعالى ما يفسر هذه الشجره، و كأن البناء على الإبهام كما يؤيده قوله

بعد: «إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى» وقد فسّر في الروايات أيضا بأنها شجره فوق السماء السابعة إليها تنتهي أعمال بني آدم و ستمر ببعض هذه الروايات.

و قوله: عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى أَي الْجَنَّةُ الَّتِي يَأْوِي إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ وَ هِيَ جَنَّةُ الْآخِرَةِ فَإِنَّ جَنَّةَ الْبَرزَخِ جَنَّةٌ مَعْجَلَةٌ مَحْدُودَةٌ بِالْبَعْثِ، قَالَ تَعَالَى: فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (السجده ١٩)، و قوله: فَأِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى -إلى أن قال- فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (النازعات ٤١) وَ هِيَ فِي السَّمَاءِ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ (الذاريات ٢٢)، و قيل: المراد بها جنة البرزخ.

و قوله: إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى غَشِيَانُ الشَّيْءِ الْإِحْاطَةُ بِهِ، وَ «مَا» مَوْصُولَةٌ، وَ الْمَعْنَى: إِذْ يَحِيطُ بِالسُّدْرَةِ مَا يَحِيطُ بِهَا، وَ قَدْ أَبْهَمَ تَعَالَى هَذَا الَّذِي يَغْشَى السُّدْرَةَ وَ لَمْ يَبَيِّنْ مَا هُوَ كَمَا تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

قوله تعالى: مَا زَاغَ الْبَصِيرُ وَ مَا طَغَى الزَّيْغُ الْمِيلُ عَنِ السِّتْقَامَةِ، وَ الطَّغْيَانُ تَجَاوُزُ الْحُدُودَ فِي الْعَمَلِ، وَ زَيْغُ الْبَصَرِ إِدْرَاكُهُ الْمَبْصَرَ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَ طَغْيَانُهُ إِدْرَاكُهُ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَ الْمُرَادُ بِالْبَصَرِ بَصَرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ.

و المعنى: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَمْ يَبْصُرْ مَا أَبْصَرَهُ عَلَى غَيْرِ صِفَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ وَ لَا أَبْصَرَ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ بَلْ أَبْصَرَ غَيْرَ خَاطِئٍ فِي إِبْصَارِهِ.

و المراد بالإبصار رؤيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِقَلْبِهِ لَا بِجَارِحَةِ الْعَيْنِ فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا الْإِبْصَارِ مَا يَعْنِيهِ بِقَوْلِهِ: «وَ لَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى» الْمَشِيرِ إِلَى مِمَّاثِلِهِ هَذِهِ الرَّؤْيِيَّةُ لِرؤْيِيَّةِ النَّزْلِ الْأُولَى الَّتِي يَشِيرُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: «مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى» فَافْهَمْ وَ لَا تَغْفَلْ.

قوله تعالى: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى «مِنْ» لِلتَّبْعِيضِ، وَ الْمَعْنَى: أَقْسَمَ لَقَدْ شَاهَدَ بَعْضَ آيَاتِ الْكُبْرَى لِرَبِّهِ، وَ بِذَلِكَ تَمَّ مَشَاهِدُهُ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ فَإِنَّ مَشَاهِدَتَهُ تَعَالَى بِالْقَلْبِ إِنَّمَا هِيَ بِمَشَاهِدَةِ آيَاتِهِ بِمَا هِيَ آيَاتُهُ فَإِنَّ الْآيَةَ بِمَا هِيَ آيَةٌ لَا تَحْكِي إِلَّا ذَا الْآيَةِ وَ لَا تَحْكِي

عن نفسه شيئاً وإلا لم تكن من تلك الجهة آية.

و أما مشاهدته ذاته المتعالية من غير توسط آية و تخلل حجاب فمن المستحيل ذلك قال تعالى: **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** (طه ١١٠/).

### بحث روائى:

فى تفسير القمى فى قوله تعالى: **«وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ»** قال: النجم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم **«إِذَا هَوَىٰ»** لما أسرى به إلى السماء و هو فى الهوى.

أقول: و روى تسميته صلى الله عليه و آله و سلم بالنجم بإسناده عن أبيه عن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام، و هو من البطن.

و فى الكافى عن القمى عن أبيه عن ابن أبى عمير عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: قول الله عز و جل: **«وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ»** **«وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ»** و ما أشبه ذلك؟ قال:

إن لله عز و جل أن يقسم من خلقه بما شاء، و ليس لخلقه أن يقسموا إلا به.

أقول: و فى الفقيه عن على بن مهزيار عن أبى جعفر الثانى مثله.

و فى المجمع و روت العامه عن جعفر الصادق أنه قال: إن محمدا صلى الله عليه و آله و سلم نزل من السماء السابعه ليله المعراج و لما نزلت السوره أخبر بذلك عتبه بن أبى لهب فجاء إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم و طلق ابنته و تفل فى وجهه و قال: كفرت بالنجم و رب النجم، فدعا صلى الله عليه و آله و سلم عليه و قال: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك.

فخرج عتبه إلى الشام فنزل فى بعض الطريق و ألقى الله عليه الرعب فقال لأصحابه أنيمونى بينكم ليلا ففعلوا فجاء أسد فافترسه من بين الناس.

أقول: ثم أورد الطبرسى شعر حسان فى ذلك، و روى فى الدر المنثور القصه بطرق مختلفه.

و فى الكافى بإسناده إلى هشام و حماد و غيره قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: حديثى

حديث أبي و حديث أبي حديث جدى و حديث جدى حديث الحسين و حديث الحسين حديث الحسن و حديث الحسن حديث أمير المؤمنين و حديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و حديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قول الله عزّ و جل.

و فى تفسير القمى بإسناده إلى ابن سنان فى حديث: قال أبو عبد الله عليه السّلام: و ذلك أنه يعنى النبى صلى الله عليه و آله و سلم أقرب الخلق إلى الله تعالى و كان بالمكان الذى قال له جبرئيل لما أسرى به إلى السماء: تقدم يا محمد فقد وطئت موطئا لم يطأه ملك مقرب و لا نبى مرسل، و لو لا أن روحه و نفسه كان من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه، و كان من الله عزّ و جل كما قال الله عزّ و جل:

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أى بل أدنى.

و فى الاحتجاج عن على بن الحسين عليه السّلام فى حديث طويل: أنا ابن من علا فاستعلى فجاز سدره المنتهى فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى.

أقول: و قد ورد هذا المعنى فى كثير من روايات أئمة أهل البيت عليهم السّلام.

و فى الدر المنثور أخرج ابن المنذر و ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال: لما أسرى بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم اقترب من ربه فكان قاب قوسين أو أدنى. قال: أ لم تر إلى القوس ما أقربها من الوتر؟

و فيه أخرج ابن أبى حاتم و الطبرانى و ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله: «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى» قال: هو محمد صلى الله عليه و آله و سلم دنا فتدلى إلى ربه عزّ و جل.

و فى المجمع و روى مرفوعا عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى قوله: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» قال: قدر ذراعين أو أدنى من ذراعين.

و فى تفسير القمى فى قوله تعالى: «فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ» قال: و حى مشافهه.

و فى التوحيد بإسناده إلى محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن عليه السّلام هل رأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ربه عزّ و جل؟ فقال: نعم بقلبه رآه، أما سمعت الله عزّ و جل يقول: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ

مَا رَأَى؟» لم يره بالبصر و لكن رآه بالفؤاد.

و فى الدر المنثور أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن محمد بن كعب القرظى عن بعض أصحاب النبى ﷺ صلى الله عليه و آله و سلم قال: قالوا: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: لم أره بعينى و رأيتُه بفؤادى مرتين ثم تلا «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى» .

أقول: و روى هذا المعنى النسائى عن أبى ذر-على ما فى الدر المنثور- و لفظه رأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ربه بقلبه و لم يره ببصره.

و عن صحيح مسلم و الترمذى و ابن مردويه عن أبى ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: هل رأيت ربك؟ فقال: نورانى أراه.

أقول: «نورانى» منسوب إلى النور على خلاف القياس كجسمانى فى النسبه إلى جسم، و قرئ «نور إنى أراه» بتنوين الراء و كسر الهمزة و تشديد النون ثم ياء المتكلم، و الظاهر أنه تصحيف و إن أيد بروايه اخرى عن مسلم فى صحيحه و ابن مردويه عن أبى ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: هل رأيت ربك؟ فقال: رأيت نورا.

و كيف كان فالمراد بالرؤية رؤيه القلب فلا الرؤية رؤيه حسيه و لا النور نور حسى.

و فى الكافى بإسناده عن صفوان بن يحيى قال: سألتنى أبو قره المحدث أن ادخله إلى أبى الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فى ذلك فأذن لى فدخل عليه فسأل عن الحلال و الحرام و الأحكام. إلى قوله: قال أبو قره: فإنه يقول: «و لَقَدْ رَأَاهُ نَزَلَهُ أُخْرَى» فقال أبو الحسن عليه السلام:

إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال: «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» و آيات الله غير الله.

أقول: الظاهر أن كلامه عليه السلام مسوق لإلزام أبى قره حيث كان يريد إثبات رؤيته تعالى بالعين الحسيه فألزمه بأن الرؤية إنما تعلقت بالآيات و آيات الله غير الله و لا ينافى ذلك كون

رؤيه الآيات بما هي آياته رؤيته و إن كانت آياته غيره، وهذه الرؤيه إنما كانت بالقلب كما مرّت عدة من الروايات في هذا المعنى.

و في تفسير القمى حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: انتهيت إلى صدره المنتهى و إذا الورقه منها تظّل امه من الامم فكنت من ربي كقاب قوسين أو أدنى.

و في الدر المنثور أخرج أحمد و ابن جرير عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انتهيت إلى صدره فإذا نبقتها مثل الجراد، و إذا ورقها مثل آذان الفيله فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحوّلت ياقوتا و زمردا و نحو ذلك.

و في تفسير القمى بإسناده إلى اسماعيل الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل: فلما انتهى به إلى صدره المنتهى تخلف عنه جبرئيل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: في هذا الموضع تخذلني؟ فقال: تقدّم أمامك فوالله لقد بلغت مبلغا لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك فرأيت من نور ربي و حال بيني و بينه السبحه.

قلت: و ما السبحه جعلت فداك؟ فأومى بوجهه إلى الأرض و أومأ بيده إلى السماء و هو يقول: جلال ربي جلال ربي ثلاث مرات.

أقول: السبحه الجلال كما فسّر في الروايه، و السبحه ما يدل على تنزهه تعالى من خلقه و مرجعه إلى المعنى الأول، و محصل ذيل الروايه أنه صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه برؤيه آياته.

و فيه في قوله تعالى: «وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُنْتَهَىٰ» قال: في السماء السابعه.

و فيه في قوله تعالى: «إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ» قال: لما رفع الحجاب بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غشى نور الصدره.

أقول: و في المعاني السابقه روايات اخرى و قد تقدم في أول تفسير سوره الإسراء روايات جامعها لقصه معراجة صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد نقلنا هناك في ذيل الروايات الاختلاف في كيفية معراجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه كان في المنام أو في اليقظه و على الثاني بجسمه و روحه معا أو بروحه فحسب، و نقلنا عن صاحب المناقب أن الإماميه ترى أن إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان بالروح و الجسم معا على ما تدل عليه آيه الإسرائ، و أما من المسجد الأقصى إلى السماوات فقد قال قوم بكونه بالروح و الجسم معا أيضا و وافقهم كثير من الشيعة و مال بعضهم إلى كونه بالروح و مال اليه بعض المتأخرين.

و لا- ضير في القول به لو أُيدته القرائن الحاقه بالآيات و الروايات غير أن من الواجب حينئذ أن يحمل قوله تعالى: «عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى» على جنه البرزخ ليحمل كونها عندها على نحو من التعلق كما ورد أن القبر إما روضه من رياض الجنه أو حفره من حفر النار، أو توجه الآيه بما لا ينافي كون العروج في السماوات روحيا.

و أما كون الإسرائ في المنام فقد تقدم في تفسير آيه الإسرائ أنه مما لا ينبغي أن يلتفت اليه.

و أما تطبيق الإسرائ إلى السماوات على تسييره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليلا في الكواكب الاخرى غير الأرض من منظومتنا الشمسيه أو في منظومات اخرى غير منظومتنا أو في مجرات اخرى غير مجرتنا فمما لا يلائمه الأخبار الوارده في تفصيل القصة البتة بل و لا محصل مضامين الآيات المتقدمه.

### [سوره النجم (٥٣): الآيات ١٩ الى ٣٢]

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَذَاهُ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَفَدَّ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلنَّاسِ إِمَّا مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْمَآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (٢٥) وَ كَمْ مِنْ مَلَائِكَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَنْ بَعِدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَىٰ (٢٦) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْمَآخِرَةِ لَيَسَئُرُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَىٰ (٢٧) وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ (٣٠) وَ لِلَّهِ الْمَآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ وَ مَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ (٣١) الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبَاءَ الرِّجَالِ وَ الْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ انْتَقَىٰ (٣٢)





قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ لَمَا سَجَلْ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ صَدَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ وَحَىٰ يُوْحَىٰ إِلَيْهِ وَتَرْتَبُ عَلَيْهِ حَقِيهِ النَّبُوهُ الْمَبْنِيهِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَنَفَى الشُّرَكَاءَ، فَرَّعَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ فِي الْأَوْثَانِ: اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةُ وَهِيَ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ تَمَاثِيلُ الْمَلَائِكَةِ بِدَعْوَى أَنَّهُمْ إِنَاثٌ أَوْ بَعْضُهَا لِلْمَلَائِكَةِ وَبَعْضُهَا لِلنَّاسِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ وَنَفَى رُبُوبِيَّتِهَا وَأَلُوْهِيَّتِهَا وَاسْتِقْلَالَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ أَرْبَابُ الْأَصْنَامِ فِي الشِّفَاعَةِ وَأَنْوَيْتِهِمْ وَأَشَارَ إِلَى حَقَائِقِ أُخْرَى تَنْتَجِ الْمَعَادَ وَجَزَاءَ الْأَعْمَالِ.

وَاللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةُ أَصْنَامٌ ثَلَاثٌ كَانَتْ مَعْبُودَةً لِعَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي وَصْفِ صُورِهَا، وَفِي مَوْضِعِهَا الَّذِي كَانَتْ مَنْصُوبَةً عَلَيْهِ، وَفِي مَنْ يَعْبُدُهَا مِنَ الْعَرَبِ، وَفِي الْأَسْبَابِ الَّتِي أُوجِبَتْ عِبَادَتُهُمْ لَهَا، وَهِيَ أَقْوَالٌ مُتَدَاْفِعَةٌ لَا سَبِيلَ إِلَى الْإِعْتِمَادِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا، وَالْمُتَيْقِنُ مِنْهَا مَا أوردناه.

وَالْمَعْنَى: إِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حَقِيهِ الدَّعْوَى وَصَدَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي دَعْوَى الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ فَأَخْبَرُونِي عَنِ اللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةِ الَّتِي هِيَ ثَالِثَةُ الصَّنَمِينَ وَغَيْرَهُمَا- وَهِيَ الَّتِي تَدْعُونَ أَنَّهَا أَصْنَامُ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ بَنَاتُ اللَّهِ عَلَى زَعْمِكُمْ-.

قوله تعالى: أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ اسْتَفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ مَشُوبٌ بِالاسْتَهْزَاءِ، وَقَسَمَهُ ضِيزَىٰ أَيَّ جَائِرِهِ غَيْرَ عَادِلِهِ.

وَالْمَعْنَى: إِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَكَانَتْ أَرْبَابَ هَذِهِ الْأَصْنَامِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بَنَاتُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ لَا تَرْضَوْنَ

لأنفسكم إلا الذكر من الأولاد فهل لكم الذكر و لله سبحانه الاثنى من الأولاد؟ تلك القسمة إذا قسمه جائره غير عادله-استهزاء-

قوله تعالى: **إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ الْخِضْمِيرِ «هِيَ»** للات و العزى و مناه أو لها بما هى أصنام، و ضمير «سَمَّيْتُمُوهَا» للأسماء و تسميه الأسماء جعلها أسماء، و المراد بالسلطان البرهان.

و المعنى: ليست هذه الأصنام الآلهة إلا أسماء جعلتموها أسماء لها أنتم و آباؤكم ليست لهذه الأسماء وراءها مصاديق و مسميات ما أنزل الله معها برهانا يستدل به على ربوبيتها و ألوهيتها.

و محصل الآيه الرد على المشركين بعدم الدليل على ألوهية آلهتهم.

و قوله: **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ «مَا»** موصوله و الضمير العائد إليها محذوف أى الذى تهواه النفس، و قيل: مصدرية و التقدير هو النفس و الهوى الميل الشهوانى للنفس و الجملة مسوقة لدمهم فى اتباع الباطل و تأكيد لما تقدم من أنه لا برهان لهم على ذلك.

و يؤكد قوله: **«وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى»** و الجملة حالیه.

و المعنى: إن يتبع هؤلاء المشركون فى أمر آلهتهم إلا الظن و ما يميل اليه أنفسهم شهوه يتبعون ذلك و الحال أنه قد جاءهم من الله و هو ربهم الهدى و هى الدعوه الحقه أو القرآن الذى يهديهم الى الحق.

و الالتفات فى الآيه من الخطاب الى الغيبه للإشعار بأنهم أحط فهما من أن يخاطبوا بهذا الكلام على أنهم غير مستعدين لأن يخاطبوا بكلام برهانى و هم أتباع الظن و الهوى.

قوله تعالى: **أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى «أَمْ»** منقطعه و الاستفهام إنكارى، و الكلام مسوق لنفى أن يملك الإنسان ما يتمناه بمجرد أنه يتمناه أى ليس يملك الإنسان ما يتمناه بمجرد

أنه يتمناه حتى يملك المشركون ما يتمنونه بهوى أنفسهم من شفاعه الملائكه الذين هم أرباب أصنامهم و بنات لله بزعمهم أو يملكو الوهيه آلهتهم بمجرد التمنى.

و فى الكلام تلويح الى أنهم ليس لهم للدلاله على صحه الوهيه آلهتهم أو شفاعتهم إلا التمنى، و لا يملك شىء بالتمنى.

قوله تعالى: **فَلِلَّهِ الْمَآخِرَةُ وَالْأُولَى** تفريعه على سابقه من تفريع العله للمعلول للدلاله على التعلق و الارتباط فيه تعليل للجمله السابقه، و المعنى: ليس يملك الإنسان ما تمناه بمجرد التمنى لأن الآخره و الاولى لله سبحانه و لا شريك له فى ملكه.

قوله تعالى: **وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى** الفرق بين الإذن و الرضا أن الإذن إعلام ارتفاع المانع من قبل الآذن، و الرضا ملاءمه نفس الراضى للشىء و عدم امتناعها فربما تحقق الإذن بشىء مع عدم الرضا و لا يتحقق رضا إلا مع الإذن بالفعل أو بالقوه.

و الآيه مسوقه لنفى أن يملك الملائكه من أنفسهم الشفاعه مستغنين فى ذلك عن الله سبحانه كما يروم اليه عبده الأصنام فإن الأمر مطلقا الى الله تعالى فإنما يشفع من يشفع منهم بعد إذنه تعالى له فى الشفاعه و رضاه بها.

و على هذا فالمراد بقوله: **«لِمَنْ يَشَاءُ»** الملائكه، و معنى الآيه: و كثير من الملائكه فى السماوات لا تؤثر شفاعتهم أثرا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء منهم أى من الملائكه و يرضى بشفاعته.

و قيل: المراد بمن يشاء و يرضى الإنسان، و المعنى: إلا من بعد أن يأذن الله فى شفاعه من يشاء أن يشفع له من الإنسان و يرضى، و كيف يأذن و يرضى بشفاعه من كفر به و عبد غيره.

و الآيه تثبت الشفاعه للملائكه فى الجمله، و تقيدهم بالاذن و الرضا من الله سبحانه.

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ رد لقولهم بانوثيه الملائكه بعد رد قولهم بشفاعتهم.

و المراد بتسميتهم الملائكه تسميه الانثى قولهم: إن الملائكه بنات الله فالمراد بالانثى الجنس أعم من الواحد و الكثير.

و قيل: إن الملائكه فى معنى استغراق المفرد فىكون التقدير لیسْمُونَ كل واحد من الملائكه تسميه الانثى أى يسمونه بنتا فالكلام على وزن «كسانا الأمير حلّه» أى كسا كل واحد منا حله.

قال بعضهم: فى تعليق التسميه بعدم الإيمان بالآخره إشعار بأنها فى الشناعه و الفظاعه و استتباع العقوبه فى الآخره بحيث لا يجترئ عليها إلا من لا يؤمن بها رأسا. انتهى.

قوله تعالى: وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا العلم هو التصديق المانع من النقيض، و الظن هو التصديق الراجح و يسمى المرجوع وهما، و قولهم بانوثيه الملائكه كما لم يكن معلوما لهم كذلك لم يكن مظنونا إذ لا سبيل الى ترجيح القول به على خلافه لكنه لما كان عن هوى أنفسهم أثبتته الهوى فى أنفسهم و زينته لهم فلم يلتفتوا الى خلافه، و كلما لاح لهم لائح خلافه أعرضوا عنه و تعلقوا بما يهمنه، و بهذه العنايه سمى ظنا و هو فى الحقيقه تصوّر فقط.

و بهذا يظهر استقامه قول من قال: إن الظن فى هذه الآيه و فى قوله السابق: «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ» بمعنى التوهم دون الاعتقاد الراجح و أيد بما يظهر من كلام الراجح:

إن الظن و بما يطلق على التوهم.

و قوله: إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا الحق ما هو عليه الشىء و ظاهر أنه لا يدرك إلاّ- بالعلم الذى هو الاعتقاد المانع من النقيض لا غير و أما غير العلم مما فيه احتمال الخلاف فلا يتعين فيه المدرك على ما هو عليه فى الواقع فلا مجوز لأن يعتمد عليه فى الحقائق

قال تعالى: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ (الإسراء ٣٦).

و أما العمل بالظن فى الأحكام العمليه فإنما هو لقيام دليل عليه يقيد به إطلاق الآيه، و تبقى الامور الاعتقاديه تحت إطلاق الآيه.

قال بعضهم: وضع الظاهر موضع المضمرة فى قوله: «إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي» ليجرى الكلام مجرى المثل.

قوله تعالى: فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا تفرج على اتباعهم الظن و هوى الأنفس، فقوله: «فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ» الخ؛ أمر بالإعراض عنهم و إنما لم يقل: فأعرض عنهم، و وضع قوله: «مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا» الخ؛ موضع الضمير للدلاله على عله الأمر بالإعراض كأنه قيل: إن هؤلاء يتركون العلم و يتبعون الظن و ما تهوى الانفس و إنما فعلوا ذلك لأنهم تولوا عن الذكر و أرادوا الحياه الدنيا فلا هم لهم إلا الدنيا فهى مبلغهم من العلم، و إذا كان كذلك فأعرض عنهم لأنهم فى ضلال.

و المراد بالذكر إما القرآن الذى يهدى متبعيه الى الحق الصريح و يرشدهم الى سعاده الدار الآخره التى وراء الدنيا بالحجج القاطعه و البراهين الساطعه التى لا تبقى معها و صمه شك.

و إما ذكر الله بالمعنى المقابل للغفله فإن ذكره تعالى بما يليق بذاته المتعالیه من الأسماء و الصفات يهدى الى سائر الحقائق العلميه فى المبدأ و المعاد هدايه علميه لا ريب معها.

قوله تعالى: ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى الإشارة بذلك الى أمر الدنيا و هو معلوم من الآيه السابقه و كونه مبلغ علمهم من قبيل الاستعاره كأن العلم يسير الى المعلوم و ينتهى اليه و علمهم انتهى فى مسيره الى الدنيا و بلغها و وقف عندها و لم يتجاوزها، و لازم ذلك أن تكون الدنيا متعلق إرادتهم و طلبهم، و موطن همهم، و غايه آمالهم لا يطمنون الى غيرها و لا يقبلون إلا عليها.

و قوله: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ الْخ؛ تأكيد لمضمون الجملة السابقه و شهاده منه تعالى عليه.

قوله تعالى: وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى يمكن أن يكون صدر الآيه حالاً- من فاعل «أَعْلَمُ» فى الآيه السابقه و الواو للحال، و المعنى: إن ربك هو أعلم بالفريقين الضالين و المهتدين و الحال أنه يملك ما فى السماوات و ما فى الأرض فكيف يمكن أن لا يعلم بهم و هو مالكمهم؟

و على هذا فالظاهر تعلق قوله: «لِيَجْزِيَ» الخ؛ بقوله السابق: «فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى» الخ؛ و المعنى: أعرض عنهم و كل أمرهم الى الله ليجزئهم كذا و كذا و يجزيك و يجزي المحسنين كذا و كذا.

و يمكن أن يكون قوله: «وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» الخ؛ كلاماً مستأنفاً للدلاله على أن الأمر بالإعراض عنهم لا لإهمالهم و تركهم سدى بل الله سبحانه يجزى كلاً- بعمله إن سيئاً و إن حسناً، و وضع اسم الجلاله و هو ظاهر موضع الضمير للدلاله على كمال العظمه.

و قوله: لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ إشاره الى ملكه تعالى للكل و معناه قيام الأشياء به تعالى لكونه خالقهم الموجد لهم فالملك ناشئ من الخلق و هو مع ذلك منشأ للتدبير فالجمله داله على الخلق و التدبير كأنه قيل: و لله الخلق و التدبير.

و بهذا المعنى يتعلق قوله: «لِيَجْزِيَ» الخ؛ و اللام للغايه، و المعنى: له الخلق و التدبير و غايه ذلك و الغرض منه أن يجزى الذين أساءوا، الخ؛ و المراد بالجزاء ما يخبر عنه الكتاب من شئون يوم القيامة، و المراد بالإساءه و الإحسان المعصيه و الطاعه، و المراد بما عملوا جزاء ما عملوا أو نفس ما عملوا، و بالحسنى المثوبه الحسنى.

و المعنى: ليجزى الله الذين عصوا بمعصيتهم أو بجزاء معصيتهم و يجزى الذين أطاعوا

بالمثوبه الحسنی، و قد أوردوا فی الآیه احتمالات اخرى و ما قدمناه هو أظهرها.

قوله تعالى: الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ الخ؛ الإثم هو الذنب و أصله - كما ذكره الراغب - الفعل المبطئ عن الثواب و الخير، و كبائر الإثم المعاصي الكبيره و هو على ما فی الروايه (١) ما أوعد الله عليه النار، و قد تقدم البحث عنها فی تفسير قوله تعالى: إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ الْآيَه (النساء ٣١).

و الفواحش الذنوب الشنيعه الفظيحه، و قد عدّ تعالى فی كلامه الزنا و اللواط من الفواحش و لا يبعد أن يستظهر من الآيه اتحادها مع الكبائر.

و أما اللمم فقد اختلفوا فی معناه فقيل: هو الصغيره من المعاصي، و عليه فالاستثناء منقطع، و قيل: هو أن يلمّ بالمعصيه و يقصدها و لا يفعل و الاستثناء أيضا منقطع، و قيل: هو المعصيه حيناً بعد حين من غير عاده أى المعصيه على سبيل الاتفاق فيكون أعم من الصغيره و الكبيره و ينطبق مضمون الآيه على معنى قوله تعالى في وصف المتقين المحسنين: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (آل عمران ١٣٥).

و قد فسر فی روايات أئمه أهل البيت عليهم السلام بثالث المعاني (٢).

و الآيه تفسر ما فی الآيه السابقه من قوله: «الَّذِينَ أَحْسَنُوا» فهم الذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش و من الجائر أن يقع منهم لمم.

ص: ١١٦

١- ١). رواها في ثواب الاعمال عن عباد بن كثير النواه عن أبي جعفر عليه السلام.

٢- ٢). ففي اصول الكافي عن ابن عمار عن الصادق عليه السلام: اللمم الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه، و فيه بإسناده عن محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال: هو الذنب يلم به الرجل فيمكث ما شاء الله ثم يلم به بعد، و فيه بإسناده عن ابن عمار عن الصادق عليه السلام قال: اللمام العبد الذي يلم بالذنب بعد الذنب ليس من سليقته أى من طبعه.

و في قوله: إِنَّ رَبَّكَ <sup>□</sup>وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ تَطْمِئِنُّ فِي التَّوْبَةِ رِجَاءَ الْمَغْفِرَةِ.

و قوله: هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ قَالَ الرَّاعِبُ: النشأ: الناشئ إحداث الشيء و تربيته. انتهى. فإنشأؤهم من الأرض ما جرى عليهم في بدء خلقهم طورا بعد طور من أخذهم من المواد العنصريه الى أن يتكونوا في صوره المنى و يردوا الأرحام.

و قوله: وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ الْأَجِنَّةُ جمع جنين، و الكلام معطوف على «إِذْ» السابق أى و هو أعلم بكم إذ كنتم أجنه في أرحام أمهاتكم يعلم ما حقيقتكم و ما أنتم عليه من الحال و ما فى سرّكم و الى ما يول أمركم.

و قوله: فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ تَفْرِيعَ عَلَى الْعِلْمِ أَي إِذَا كَانَ اللَّهُ أَعْلَمَ مِنْ أَوْلِ أَمْرٍ فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ بِنِسْبَتِهَا إِلَى الطَّهَارَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى.

### [سورة النجم (٥٣): الآيات ٣٣ الى ٦٢]

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى <sup>□</sup>(٣٣) وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى <sup>□</sup>(٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَهَيِّ <sup>□</sup>(٣٥) أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَى <sup>□</sup>(٣٦) وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى <sup>□</sup>(٣٧) أَلَا - تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى <sup>□</sup>(٣٨) وَ أَنْ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى <sup>□</sup>(٣٩) وَ أَنْ سَعْيُهُ سِوْفَ يَرَى <sup>□</sup>(٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى <sup>□</sup>(٤١) وَ أَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى <sup>□</sup>(٤٢) وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَ أَبْكَاكَ <sup>□</sup>(٤٣) وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا <sup>□</sup>(٤٤) وَ أَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى <sup>□</sup>(٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى <sup>□</sup>(٤٦) وَ أَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَى <sup>□</sup>(٤٧) وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَ أَفْقَى <sup>□</sup>(٤٨) وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى <sup>□</sup>(٤٩) وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى <sup>□</sup>(٥٠) وَ ثَمُودَ فَمَا أَبْقَى <sup>□</sup>(٥١) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْعَى <sup>□</sup>(٥٢) وَ الْمُؤْتَفِكَهْ أَهْوَى <sup>□</sup>(٥٣) فَعَسَاهَا مَا عَشَى <sup>□</sup>(٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى <sup>□</sup>(٥٥) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى <sup>□</sup>(٥٦) أَرْزَقْتِ الْوَالِدَةَ <sup>□</sup>(٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ <sup>□</sup>(٥٨) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ <sup>□</sup>(٥٩) وَ تَضْحَكُونَ وَ لَا تَتَذَكَّرُونَ <sup>□</sup>(٦٠) وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ <sup>□</sup>(٦١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا <sup>□</sup>(٦٢)





قوله تعالى: أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَ أَعْطَى قَلِيلًا ۖ وَ أَكْثَدَى ۚ التولى هو الإعراض و المراد به بقريته الآيه التاليه الإعراض عن الإنفاق في سبيل الله، و الإعطاء الإنفاق و الإكداء قطع العطاء، و التفريع الذى فى قوله: «أَفَرَأَيْتَ» مبنى على ما قدمناه من تفرع مضمون هذه الآيه على ما قبلها.

و المعنى: فأخبرنى عن من أعرض عن الإنفاق و أعطى قليلا من المال و أمسك بعد ذلك أشد الإمساك.

قوله تعالى: أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوْ يَرَى ۚ الضمائر لمن تولى و الاستفهام للإنكار و المعنى: أيعلم الغيب فيترتب عليه أن يعلم أن صاحبه يتحمل عنه ذنوبه و يعذب مكانه يوم القيامة لو استحق العذاب كذا فسروا.

و الظاهر أن المراد نفى علمه بما غاب عنه من مستقبل حاله فى الدنيا و المعنى: أيعلم الغيب فهو يعلم أنه لو أنفق و دام على الإنفاق نفذ ماله و ابتلى بالفقر و أما تحمل الذنوب و العذاب فالمتعرض له قوله الآتى: أَلَا تَرَى ۖ وَازِرَةً ۖ وَزَرَ أُخْرَى ۖ .

قوله تعالى: أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۖ وَ إِبْرَاهِيمَ ۖ الَّذِي وَفَى ۖ صُحُفِ مُوسَى التوراه، و صحف إبراهيم ما نزل عليه من الكتاب و الجمع للإشارة الى كثرته بكثره أجزاءه.

و التوفيه تأديه الحق بتمامه و كماله، و توفيته عليه السّلام تأديته ما عليه من الحق فى العبوديه أتم التأديه و أبلغها قال تعالى: وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ (البقره ١٢٤/).

و ما نقله الله سبحانه فى الآيات التاليه من صحف إبراهيم و موسى عليهما السّلام و إن لم يذكر فى

القرآن بعنوان أنه من صحفهما قبل هذه الآيات لكنه مذكور بعنوان الحكم و المواعظ و القصص و العبر فمعنى الآيتين: أم لم ينبأ بهذه الامور و هى فى صحف إبراهيم و موسى.

قوله تعالى: **أَلَا تَرَىٰ وَازِرَةً وِرْزًا أُخْرَىٰ** الوزر الثقل و كثر استعماله فى الإثم، و الوزره النفس التى من شأنها أن تحمل الإثم، و الآيه بيان ما فى صحف إبراهيم و موسى عليهما السلام، و كذا سائر الآيات المصدرة بأن و أنّ الى تمام سبع عشره آيه.

و المعنى: ما فى صحفهما هو أنه لا- تحمل نفس إثم نفس أخرى أى لا تتأثم نفس بما لنفس أخرى من الإثم فلا تؤاخذ نفس بإثم نفس أخرى.

قوله تعالى: **وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** قال الراغب: السعى المشى السريع و هو دون العدو، و يستعمل للجد فى الأمر خيرا كان أو شرا قال تعالى: **«وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا»**. انتهى و استعماله فى الجد فى الفعل استعمال استعارى.

و معنى الام فى قوله: **«لِلْإِنْسَانِ»** الملك الحقيقى الذى يقوم بصاحبه قياما باقيا ببقائه يلازمه و لا يفارقه بالطبع و هو الذى يكتسبه الانسان بصالح العمل أو طالحه من خير أو شر، و أما ما يراه الإنسان مملوكا لنفسه و هو فى ظرف الاجتماع من مال و بنين و جاه و غير ذلك من زخارف الحياه الدنيا و زينتها فكل ذلك من الملك الاعتبارى الوهمى الذى صاحب الإنسان ما دام فى دار الغرور و يودعه عند ما أراد الانتقال الى دار الخلود و عالم الآخره.

فالمعنى: و أنه لا- يملك الإنسان ملكا يعود اليه أثره من خير أو شر أو نفع أو ضرر حقيقه إلا ما جدّ فيه من عمل فله ما قام بفعله بنفسه و أما ما قام به غيره من عمل فلا يلحق بالإنسان أثره خيرا أو شرا.

قوله تعالى: **وَ أَنْ سَعِيَّهُ سَوْفَ يُرَىٰ** المراد بالسعى ما سعى فيه من العمل و بالرؤيه المشاهده، و ظرف المشاهده يوم القيامه بدليل تعقيبه بالجزاء فالآيه قريبه المعنى من قوله تعالى: **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَّ مَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ**

(آل عمران ٣٠)، و قوله: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (الزلزال ٨).

و إتيان قوله: «سَوْفَ يُرَى» مبني للمفعول لا يخلو من إشعار بأن هناك من يشاهد العمل غير عامله.

قوله تعالى: ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى الْوَفَاءَ بِمَعْنَى التَّمَامِ لِأَنَّ الشَّيْءَ التَّامَّ يَفِي بِجَمِيعِ مَا يَطْلُبُ مِنْ صِفَاتِهِ، وَالْجَزَاءُ الْأَوْفَى الْجَزَاءُ الْأَتَمُّ.

و ضمير «يُجْزَاهُ» للسعي الذي هو العمل و المعنى: ثم يجزى الانسان عمله أى بعمله أتمّ الجزاء.

قوله تعالى: وَ أَنْ إِلِيَّ رُبُّكَ الْمُنتَهَى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء و قد أطلق إطلاقاً فيفيد مطلق الانتهاء، فما في الوجود من شيء موجود إلا- و ينتهي في وجوده و آثار وجوده الى الله سبحانه بلا- واسطه أو مع الواسطه، و لا فيه أمر من التدبير و النظام الجارى جزئياً أو كلياً إلا و ينتهي اليه سبحانه إذ ليس التدبير الجارى بين الأشياء إلا الروابط الجارية بينها القائمه بها و يوجد الأشياء هو الموجد لروابطها المجرى لها بينها فالمنتهى المطلق لكل شيء هو الله سبحانه.

قال تعالى: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ (الزمر ٦٣)، و قال: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ (الأعراف ٥٤).

و الآيه تثبت الربوبية المطلقة لله سبحانه بإنهاء كل تدبير و كل التدبير اليه و تشمل انتهاء الأشياء اليه من حيث البدء و هو الفطر، و انتهاءها اليه من حيث العود و الرجوع و هو الحشر.

قوله تعالى: وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَ أَبْكِي الْآيَةِ وَ مَا يَتْلُوها الى تمام اثنتى عشره آيه بيان لموارد من انتهاء الخلق و التدبير الى الله سبحانه.

و السياق فى جميع هذه الآيات سياق الحصر، و تفيد انحصار الربوبية فيه تعالى و انتفاء

الشريك، ولا ينافى ما فى هذه الموارد من الحصر توسط أسباب آخر طبيعیه أو غير طبيعیه فيها كتوسط السرور و الحزن و أعضاء الضحك و البكاء من الانسان فى تحقق الضحك و البكاء، وكذا توسط الأسباب المناسبه الطبيعیه و غير الطبيعیه فى الإحياء و الإمامته و خلق الزوجين و الغنى و القنى و إهلاك الامم الهالكه و ذلك أنها لما كانت مسخره لأمر الله غير مستقله فى نفسها و لا منقطعها عما فوقها كانت وجوداتها و آثار وجوداتها و ما يترتب عليها لله وحده لا يشاركه فى ذلك أحد.

فمعنى قوله: «وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبَكَى» أنه تعالى هو أوجد الضحك فى الضاحك و أوجد البكاء فى الباكي لا غيره تعالى.

و لا منافاه بين انتهاء الضحك و البكاء فى وجودهما الى الله سبحانه و بين انتسابهما الى الانسان و تلبسه بهما لأن نسبه الفعل الى الانسان بقيامه به و نسبه الفعل اليه تعالى بالايجاد و كم بينهما من فرق.

و لا أن تعلق الاراده الالهيه بضحك الانسان مثلاً يوجب بطلان إرادته الانسان للضحك و سقوطها عن التأثير لأن الاراده الالهيه لم تتعلق بمطلق الضحك كيفما كان و إنما تعلق بالضحك الارادى الاختيارى من حيث انه صادر عن اراده الانسان و اختياره فإرادته الانسان سبب لضحكه فى طول اراده الله سبحانه لا فى عرضها حتى تتزاحما و لا تجتمعاً معاً فنضطر الى القول بأن أفعال الانسان الاختياريه مخلوقه لله و لا- صنع للإنسان فيها كما يقوله الجبرى أو أنها مخلوقه للإنسان و لا صنع لله سبحانه فيها كما يقوله المعتزلى.

قوله تعالى: وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا الكلام فى انتساب الموت و الحياه الى أسباب آخر طبيعیه و غير طبيعیه كالملائكه كالكلام فى انتساب الضحك و البكاء الى غيره تعالى مع انحصار الإيجاد فيه تعالى، وكذا الكلام فى الامور المذكوره فى الآيات التاليه.

قوله تعالى: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى

النفطه ماء الرجل و المرأه الذى يخلق منه الولد، و أمنى الرجل أى صبّ المنى، و قيل: معناه التقدير، و قوله: «الدَّكْرَ وَ الْأُنْثَى» بيان للزوجين.

قيل: لم يذكر الضمير فى الآيه على طرز ما تقدم- أنه هو- لأنه لا يتصور نسبه خلق الزوجين الى غيره تعالى.

قوله تعالى: وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَىٰ النَّشَأَ الْأُخْرَىٰ الخلقه الاخرى الثانيه و هى الدار الآخره التى فيها جزاء، و كون ذلك عليه تعالى قضاؤه قضاء حتم و قد وعد به و وصف نفسه بأنه لا يخلف الميعاد.

قوله تعالى: وَ أَنَّهُ هُوَ أَعْنَىٰ وَ أَقْنَىٰ أى أعطى الغنى و أعطى القنيه، و القنيه ما يدوم من الأموال و يبقى ببقاء نفسه كالدار و البستان و الحيوان، و على هذا فذكر «أَقْنَىٰ» بعد «أَعْنَىٰ» من التعرض للخاص بعد العام لنفاسته و شرفه.

و قيل: الإغناء التمويل و الإقناء الإرضاء بذلك، و قال بعضهم: معنى الآيه أنه هو أعنى و أفقر.

قوله تعالى: وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ كأن المراد بالشعري اليمانيه و هى كوكبه مضيئه من الثوابت شرقى صوره الجبار فى السماء.

قيل: كانت الخزاعه و حمير تبعد هذه الكوكبه، و ممن كان يعبده أبو كبشه أحد أجداد النبی صلی الله عليه و آله و سلم من جهه أمه، و كان المشركون يسمونه صلی الله عليه و آله و سلم ابن أبى كبشه لمخالفته إياهم فى الدين كما خالف أبو كبشه قومه فى عباده الشعري.

قوله تعالى: وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ و هم قوم هود النبی صلی الله عليه و آله و سلم و وصفوا بالاولى لأن هناك عادا ثانيه هم بعد عاد الاولی.

قوله تعالى: وَ تَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ و هم قوم صالح النبی صلی الله عليه و آله و سلم أهلک الله الكفار منهم عن آخرهم، و هو المراد من قوله: «فَمَا أَبْقَىٰ» و إلا فهو سبحانه نَجَّى المؤمنین منهم من الهلاك كما

قال: وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ (فصلت ١٨).

قوله تعالى: وَ قَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَى عَظْف كسابقه على قوله: «عاداً» و الإصرار بالتأكيد على كونهم أظلم و أطغى، أى من القومين عاد و ثمود على ما يعطيه السياق لأنهم لم يجيوا دعوه نوح عليه السلام و لم يتعظوا بموعظته فيما يقرب من ألف سنه و لم يؤمن منهم معه إلا أقل قليل.

قوله تعالى: وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى قِيل: إن المؤتفكه قرى قوم لوط اتفتكت بأهلها أى انقلبت و الائتفاك الانقلاب، و الإهواء الإسقاط.

و المعنى: و أسقط القرى المؤتفكه الى الأرض بقلبها و خسفها فشملمها و أحاط بها من العذاب ما شملها و أحاط بها.

و احتمال أن يكون المراد بالمؤتفكه ما هو أعم من قرى قوم لوط و هى كل قريه نزل عليها العذاب فباد أهلها فبقيت خربه دائره معالمها خاويه على عروشها.

قوله تعالى: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى الآء جمع الى بمعنى النعمه، و التمارى التشكك، و الجمله متفرعه على ما تقدم ذكره مما ينسب اليه تعالى من الأفعال.

و المعنى: إذا كان الله سبحانه هو الذى نظم هذا النظام البديع من صنع و تدبير بالإضحاك و الإبكاء و الإماتة و الإحياء و الخلق و الإهلاك الى آخر ما قيل، فبأى نعم ربك تتشكك و فى أيها تريب؟

وعد مثل الإبكاء و الاماتة و إهلاك الامم الطاغيه نعماً لله سبحانه لما فيها من الدخل فى تكوين النظام الأتم الذى يجرى فى العالم و تنساق به الامور فى مرحله استكمال الخلق و رجوع الكل الى الله سبحانه.

و الخطاب فى الآيه للذى تولى و أعطى قليلاً و أكدى أو للنبي صلى الله عليه و آله و سلم من باب إياك أعنى و اسمعى يا جاره، و الاستفهام للانكار.

قوله تعالى: هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ قِيل:النذير يأتي مصدرا بمعنى الإنذار ووصفا بمعنى المنذر و يجمع على النذر بضمين على كلا المعنيين و الإشارة بهذا الى القرآن أو النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

قوله تعالى: أَرْزَقْتِ الْآرِزِقَةَ أَي قربت القيامة و الآزفه من أسماء القيامة قال تعالى:

وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآرِزِقَةِ (المؤمن ١٨).

قوله تعالى: لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ أَي نفس كاشفه و المراد بالكشف إزالة ما فيها من الشدائد و الأهوال،و المعنى:ليس نفس تقدر على إزالة ما فيها من الشدائد و الأهوال إلا أن يكشفها الله سبحانه.

قوله تعالى: أَمْ مِنْ هَذَا الْخَبِيثِ تَعْجَبُونَ وَ تَضْحَكُونَ وَ لَا تَبْكُونَ وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ الإشاره بهذا الحديث الى ما تقدم من البيان،و السمود اللهو،و الآيه متفرعه على ما تقدم من البيان،و الاستفهام للتوبيخ.

و المعنى:إذا كان الله هو ربكم الذى ينتهى اليه كل أمر و عليه النشأه الاخرى و كانت القيامة قريبه و ليس لها من دون الله كاشفه كان عليكم أن تبكوا لما فرطتم فى جنب الله، و تعرضتم للشقاء الدائم أ فمن هذا البيان الذى يدعوكم الى النجاه تعجبون إنكارا و تضحكون استهزاء و لا تبكون؟

قوله تعالى: فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا تفریع آخر على ما تقدم من البيان و المعنى:

إذا كان كذلك فعليكم أن تسجدوا لله و تعبدوه ليكشف عنكم ما ليس له من دونه كاشفه (١).

ص: ١٢٥

---

١- ١). النجم ٣٣-٦٢: بحث روائى حول قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى»؛ ما يتبع الرجل بعد موته من الاجر؛ النهى عن التفكير فى ذات الله.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
اِفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَاَنْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَاِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرَ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ (٦) خُشِعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)

سوره ممحضه فى الإنذار و التخييف إلا آيتين من آخرها تبشران المتقين بالجنه و الحضور عند ربهم.

تبدأ السوره بالإشاره الى آيه شق القمر التى أتى بها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن اقتراح من قومه، و تذكر رميهم له بالسحر و تكذيبهم به و اتباعهم الأهواء مع ما جاءهم أنباء زاجره من أنباء يوم القيامة و أنباء الامم الماضين الهالكين ثم يعيد تعالى عليهم نبذه من تلك الأنباء إعادته ساخط معاتب فيذكر سيئ حالهم يوم القيامة عند خروجهم من الأجداث و حضورهم للحساب.

ثم تشير الى قصص قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و آل فرعون و ما نزل بهم من أليم العذاب إثر تكذيبهم بالندر و ليس قوم النبى صلى الله عليه و آله و سلم بأعز عند الله منهم و ما هم بمعجزين، و تختتم السوره ببشرى للمتقين.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها، و لا يعاب بما قيل: إنها نزلت بيدر، و كذا بما قيل: إن بعض آياتها مدنيه، و من غرر آياتها ما فى آخرها من آيات القدر.

قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ الاقتراب زياده فى القرب فقوله:

«اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» أى قربت جدا، و الساعه هى الظرف الذى تقوم فيه القيامة.

و قوله: «وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ» أى انفصل بعضه عن بعض فصار فرقتين شقتين تشير الآيه الى آيه شق القمر التى أجراها الله تعالى على يد النبى صلى الله عليه و آله و سلم بمكه قبل الهجره إثر سؤال المشركين من أهل مكه، و قد استفاضت الروايات على ذلك، و اتفق أهل الحديث و المفسرون على قبولها كما قيل. و لم يخالف فيه منهم إلا الحسن و عطاء و البلخى حيث قالوا: معنى قوله: «انْشَقَّ الْقَمَرُ» سينشق القمر عند قيام الساعه و إنما عبر بلفظ الماضى لتحقق الوقوع.

و هو مزيف مدفوع بدلاله الآيه التاليه «وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ» فَإِنْ سَاقَهَا أَوْضَحَ شَاهِدَ عَلَى أَنْ قَوْلَهُ: «آيَةً» مطلق شامل لانشقاق القمر فعند وقوعه إعراضهم وقولهم: سحر مستمر و من المعلوم أن يوم القيامة يوم يظهر فيه الحقائق و يلجئون فيه الى المعرفه، ولا معنى حينئذ لقولهم فى آيه ظاهره: إنها سحر مستمر فليس إلا أنها آيه قد وقعت للدلاله على الحق و الصدق و تأتي لهم أن يرموها عنادا بأنها سحر.

و مثله فى السقوط ما قيل: إن الآيه إشاره الى ما ذهب اليه الرياضيون أخيرا أن القمر قطعه من الأرض كما أن الأرض جزء منفصل من الشمس فقوله: «وَ أَنْشَقَّ الْقَمَرَ» اشاره الى حقيقه علميه لم ينكشف يوم النزول بعد.

و ذلك أن هذه النظرية على تقدير صحتها لا يلائمها قوله: «وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ» إذ لم ينقل عن أحد أنه قال للقمر: هو سحر مستمر.

على أن انفصال القمر عن الأرض اشتقاق و الذى فى الآيه الكريمة انشقاق، و لا يطلق الانشقاق إلا على تقطع الشئ فى نفسه قطعتين دون انفصاله من شئ بعد ما كان جزء منه.

و مثله فى السقوط ما قيل: إن معنى انشقاق القمر انكشاف الظلمه عند طلوعه و كذا ما قيل: إن انشقاق القمر كناية عن ظهور الأمر و وضوح الحق.

و الآيه لا تخلو من إشعار بأن انشقاق القمر من لوازم اقتراب الساعه.

قوله تعالى: «وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ» الاستمرار من الشئ مرور منه بعد مرور مره بعد مره، و لذا يطلق على الدوام و الاطراد فقولهم: سحر مستمر أى سحر بعد سحر مداوما.

و قوله: «آيَةً» نكره فى سياق الشرط فتفيد العموم، و المعنى و كل آيه يشاهدونها يقولون فيها إنها سحر بعد سحر، و فسر بعضهم المستمر بالمحكم الموثق، و بعضهم بالذاهب الزائل، و بعضهم بالمستبشع المنفور، و هى معان بعيده.

قوله تعالى: وَ كَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَ كُلٌّ أَمْرٌ مُسْتَقَرٌّ متعلق التكذيب بقريته ذيل الآيه هو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ مَا أَتَى بِهِ مِنَ الْآيَاتِ أَى وَ كَذَّبُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ مَا أَتَى بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَ الْحَالُ أَنْ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ سَيَسْتَقِرُّ فِيهِ مُسْتَقَرٌّ أَيْ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ أَوْ صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ فَسَيَعْلَمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ، عَلَى الْحَقِّ أَوْ لَا فَقَوْلُهُ: «وَ كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ» فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (ص ٨٨).

قوله تعالى: وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ الْمُرْدَجَرُ مَصْدَرٌ مِمَّى وَ هُوَ الْإِتْعَازُ، وَ قَوْلُهُ: «مِنَ الْأَنْبَاءِ» بَيَانٌ لِمَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ، وَ الْمُرَادُ بِالْأَنْبَاءِ أَخْبَارُ الْأُمَمِ الدَّارِجَةِ الْهَالِكَةِ أَوْ أَخْبَارُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ قَدْ احْتَمَلَ كُلُّ مِنْهُمَا، وَ الظَّاهِرُ مِنْ تَعْقِيبِ الْآيَةِ بِأَنْبَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ بِأَنْبَاءِ عَدُوِّهِ مِنَ الْأُمَمِ الْهَالِكَةِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَنْبَاءِ الَّتِي فِيهَا مُرْدَجَرٌ جَمِيعٌ ذَلِكَ.

قوله تعالى: حِكْمُهُ بِالْعَهِّ فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ الْحِكْمَةَ كَلِمَةُ الْحَقِّ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا، وَ الْبُلُوغُ وَ صَوْلُ الشَّيْءِ إِلَى مَا تَنْتَهَى إِلَيْهِ الْمَسَافَةُ وَ يَكْنَى بِهِ عَنِ تَمَامِ الشَّيْءِ وَ كَمَالِهِ فَالْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ هِيَ الْحِكْمَةُ التَّامَةُ الْكَامِلَةُ الَّتِي لَا نَقْصَ فِيهَا مِنْ حَيْثُ نَفْسُهَا وَ مِنْ حَيْثُ أَثَرُهَا. وَ قَوْلُهُ: «فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ» الْفَاءُ فِيهِ فَصِيحَةٌ تَفْصِيحٌ عَنِ جَمَلِهِ مَقْدَرُهُ تَتَرْتَبُ عَلَيْهَا الْكَلَامُ، وَ النَّذْرُ جَمْعٌ نَذِيرٌ بِمَعْنَى الْمُنْذَرِ أَوْ بِمَعْنَى الْإِنْذَارِ وَ الْكُلُّ صَحِيحٌ وَ إِنْ كَانَ الْأَوَّلُ أَقْرَبَ إِلَى الْفَهْمِ.

و المعنى: هذا القرآن أو الذي يدعون إليه حكمه بالعه كذبوا بها و اتبعوا أهواءهم فما تغني المنذرون أو الإنذارات؟

قوله تعالى: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرًا التَّوَلَّى الْإِعْرَاضُ وَ الْفَاءُ فِي «فَتَوَلَّ» لِتَفْرِيعِ الْأَمْرِ بِالتَّوَلَّى عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ وَصْفِ حَالِهِمْ أَى إِذَا كَانُوا مَكْذِبِينَ بِكَ مُتَبِعِينَ أَهْوَاءَهُمْ لَا يَغْنَى فِيهِمْ النَّذْرُ وَ لَا تُؤَثِّرُ فِيهِمْ الزَّوَاجِرُ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَ لَا تَلْحَ عَلَيْهِمْ بِالْدَعْوَةِ.

و قوله: يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرًا قَالَ الرَّابِعُ: الْإِنْكَارُ ضِدُّ الْعِرْفَانِ يُقَالُ:

أنكرت كذا ونكرت، وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره، وذلك ضرب من الجهل قال تعالى: «فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ  
إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ». قال: والنكر الدهاء والأمر الصعب الذي لا يعرف. انتهى.

وقد تم الكلام في قوله: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» ببيان حالهم تجاه الحكمه البالغه التي ألقى اليهم والزواج التي ذكروا بها على سبيل  
الإنذار، ثم أعاد سبحانه نبذه من تلك الزواج التي هي أبناء من حالهم يوم القيامة و من عاقبه حال الامم المكذبين من الماضين  
في لحن العتاب و التوبيخ الشديد الذي تهز قلوبهم للانتباه و تقطع منابت أعذارهم في الإعراض.

فقوله: يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ الخ؛ كلام مفصول عما قبله لذكر الزواج التي أشير إليها سابقا في مقام الجواب عن سؤال مقدر كأنه لما  
قال: «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» سئل فقيل: فإلى م يثول أمرهم؟ فقيل: «يَوْمَ يَدْعُ» الخ؛ أي هذه حال آخرتهم و تلك عاقبه دنيا أشياهم و أمثالهم  
من قوم نوح و عاد و ثمود و غيرهم، و ليسوا خيرا منهم.

و على هذا فالظرف في «يَوْمَ يَدْعُ» متعلق بما سيأتى من قوله: «يَخْرُجُونَ» و المعنى:

يخرجون من الأحداث يوم يدعو الداعي الى شىء نكر، الخ؛ و إما متعلق بمحذوف، و التقدير اذكر يوم يدعو الداعي، و المحصل  
اذكر ذاك اليوم و حالهم فيه، و الآية في معنى قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ (الزخرف ١٦٦)، و قوله: فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ  
أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ (يونس ١٠٢).

و لم يسم سبحانه هذا الداعي من هو؟ و قد نسب الدعوه في موضع من كلامه الى نفسه فقال: يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَنَدِهِ  
(الإسراء ٥٢).

و إنما أورد من أبناء القيامة نبأ دعوتهم لخروج من الأحداث و الحضور لفصل القضاء و خروجهم منها خشعا أبصارهم مهطعين  
الى الداعي ليحاذى به دعوتهم فى الدنيا الى الإيمان بالآيات و إعراضهم و قولهم: سحر مستمر.





قوله تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ التَّكْذِيبَ الْأُولَ مِنْزَلِ مَنْزِلِهِ اللَّازِمِ أَي فَعَلَتِ التَّكْذِيبَ، وَ قَوْلُهُ: «فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا» الْخ؛ تَفْسِيرُهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: وَ نَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ الْخ؛ (هُود ٤٥).

و قيل: المراد بالتكذيب الأول التكذيب المطلق و هو تكذيبهم بالرسول، و بالثاني التكذيب بنوح خاصة كقوله في سورة الشعراء: كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (الشعراء ١٠٥)، و المعنى: كذبت قوم نوح المرسلين فترتب عليه تكذيبهم لنوح، و هو وجه حسن.



وقيل: المراد بتفريع التكذيب على التكذيب الإشارة الى كونه تكذيبا إثر تكذيب بطول زمان دعوته فكلما انقضى قرن منهم مكذب جاء بعدهم قرن آخر مكذب، وهو معنى بعيد.

و مثله قول بعضهم: إن المراد بالتكذيب الأول قصده و بالثاني فعله.

و قوله: فَكَذَّبُوا عِبَادَنَا فِي التَّعْبِيرِ عَنْ نوح عَلَيْهِ السَّلَام بقوله: «عِبَادَنَا» في مثل المقام تجليل لمقامه و تعظيم لأمره و إشاره الى أن تكذيبهم له يرجع اليه تعالى لأنه عبد لا يملك شيئا و ما له فهو لله.

و قوله: وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ المراد بالازدجار زجر الجن له إثر الجنون، و المعنى: و لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون فقالوا: هو مجنون و ازدجر الجن فلا يتكلم إلا عن زجر و ليس كلامه من الوحي السماوى فى شىء.

قوله تعالى: فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرَ الانتصار الانتقام، و قوله: «أَنِّي مَغْلُوبٌ» أى بالقهر و التحكم دون الحججه، و هذا الدعاء تلخيص لتفصيل دعائه، و تفصيل دعائه مذکور فى سورة نوح و تفصيل حججه فى سورة هود و غيرها.

قوله تعالى: فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ قال فى المجمع: الهمر صب الدمع و الماء بشده، و الانهمار الانصباب، انتهى. و فتح أبواب السماء و هى الجو بماء منصب استعاره تمثليه عن شده انصباب الماء و جريان المطر متواليا كأنه مدخر وراء باب مسدود يمنع عن انصبابه ففتح الباب فانصب أشد ما يكون.

قوله تعالى: وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ قال فى المجمع: التفجير تشقيق الأرض عن الماء، و العيون جمع عين الماء و هو ما يفور من الأرض مستديرا كاستداره عين الحيوان. انتهى.

و المعنى: جعلنا الأرض عيونا منفجره عن الماء تجرى جريانا متوافقا متتابعاً.

و قوله: فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ أى فالتقى الماء ان ماء السماء و ماء



نقل: أبقى الله سفينه نوح على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الامة (١)، انتهى. وقد أوردنا في تفسير سورة هود في آخر الأبحاث حول قصه نوح خبر أنهم عثروا في بعض قلال جبل آراراط و هو الجودي قطعات أخشاب من سفينه متلاشيه وقعت هناك، فراجع.

و قيل: ضمير «تَرَكَهَا» لما مر من القصه بما أنها فعله.

قوله تعالى: فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ النَّذْرِ جَمْعُ نَذِيرٍ بِمَعْنَى الْإِنذَارِ، وَقِيلَ:

مصدر بمعنى الإنذار. والظاهر أن «كَانَ» ناقصه و اسمها «عَذَابِي» و خبرها «فَكَيْفَ»، و يمكن أن تكون تامه فاعلها قوله: «عَذَابِي» و قوله: «فَكَيْفَ» حالا منه.

و كيف كان فالاستفهام للتحويل يسجل به شدة العذاب و صدق الإنذار.

قوله تعالى: وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ التيسير التسهيل و تيسير القرآن للذكر هو إلقاءه على نحو سهل فهم مقاصده للعامة و الخاصي و الأفهام البسيطة و المتعمقه كل على مقدار فهمه.

و يمكن أن يراد به تنزيل حقائقه العاليه و مقاصده المرتفعه عن أفق الأفهام العاديه الى مرحله التكليم العربى تناله عامه الأفهام كما استفاد من قوله تعالى: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ (الزخرف ١٤).

و المراد بالذكر ذكره تعالى بأسمائه أو صفاته أو أفعاله، قال في المفردات: الذكر تارة يقال و يراد به هيئه للنفس بها يمكن للانسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفه و هو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه، و الذكر يقال اعتبارا باستحضاره و تارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، و لذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب و ذكر باللسان و كل واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان و ذكر لا عن نسيان بل عن إدامه الحفظ، و كل قول يقال له ذكر.

ص: ١٣٦

١-١). رواه في الدر المنثور عن عبد الرزاق و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر عن قتاده.

انتهى.

و معنى الآية: و أقسم لقد سهّلنا القرآن لأن يتذكر به، فيذكر الله تعالى و شئونه، فهل من متذكر يتذكر به فيؤمن بالله و يدين بما يدعو اليه من الدين الحق؟

فالآيه دعوه عامه الى التذكر بالقرآن بعد تسجيل صدق الإنذار و شدة العذاب الذى أنذر به.

قوله تعالى: كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ شُرُوعِ فِي قِصَّةِ أُخْرَى مِنَ الْقِصَصِ الَّتِي فِيهَا الِازْدِجَارُ وَ لَمْ يَعْطِفْ عَلَى مَا قَبْلَهَا- و مثلها القصص الآتية- لأن كل واحد من هذه القصص مستقلة كافيته فى الزجر و الردع و العظة لو اتعظوا بها.

و قوله: فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِ مَسْجُودٍ لِتُوجِيَهُ قُلُوبُ السَّامِعِينَ إِلَى مَا يَلْقَى الْيَهُمَ مِنْ كَيْفِيَةِ الْعَذَابِ الْهَائِلِ بِقَوْلِهِ: «إِنَّا أَرْسَلْنَا» الخ؛ و ليس مسوقاً للتحويل و تسجيل شدة العذاب و صدق الإنذار كسابقه و إلا لتكرر قوله بعد: «فَكَيْفَ كَانَ» الخ؛ كذا قيل و هو وجه حسن.

قوله تعالى: إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصِرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ بَيَّانَ لِمَا اسْتَفْهَمَ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِي» وَ الصَّرصِر- على ما فى المجمع- الريح الشديدة الهبوب، و النحس بالفتح فالسكون مصدر كالنحوسة بمعنى الشؤم، و «مُسْتَمِرٌّ» صفة لنحس، و معنى إرسال الريح فى يوم نحس مستمر إرسالها فى يوم متلبس بالنحوسة و الشأمة بالنسبة اليهم المستمره عليهم لا يرجى فيه خير لهم و لا نجاه.

و المراد باليوم قطعه من الزمان لا اليوم الذى يساوى سبع الاسبوع لقوله تعالى فى موضع آخر من كلامه: فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصِرًا فِي أَيَّامٍ نَحِيسَاتٍ (حم السجده ١٦)، و فى موضع آخر: سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا (الحاقه ٧).

و فسر بعضهم النحس بالبرد.

قوله تعالى: تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ فَاعِلٌ «تَنْزِعُ» ضمير راجع الى الريح أى تنزع الريح الناس من الأرض، و أعجاز النخل أسافله، و المنقعر المقلوع من أصله، و المعنى ظاهر، و فى الآيه إشعار ببسطه القوم أجساما.

قوله تعالى: «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي -الى قوله- مُدَكِّرٍ» تقدم تفسير الآيتين (١).

قوله تعالى: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ النذر إما مصدر كما قيل و المعنى: كذبت ثمود بإنذار نبيهم صالح عليه السلام، و إما جمع نذير بمعنى المنذر، و المعنى: كذبت ثمود بالأنبياء لأن تكذيبهم بالواحد منهم تكذيب منهم بالجميع لأن رسالتهم واحده لا اختلاف فيها فيكون فى معنى قوله: كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (الشعراء ١٤١)، و إما جمع نذير بمعنى الإنذار و مرجعه الى أحد المعنيين السابقين.

قوله تعالى: فَقَالُوا أَ بَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَ سُعْرٍ تَفْرِيعٌ عَلَى التَّكْذِيبِ وَ السَّعْرِ جَمْعٌ سَعِيرٌ بِمَعْنَى النَّارِ الْمَشْتَعَلَةِ، وَ احْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْجَنُونَ وَ هُوَ أَنْسَبُ لِلسِّيَاقِ، وَ الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالوَاحِدِ الْوَاحِدِ الْعَدْدِي، وَ الْمَعْنَى: كَذَّبُوا بِهِ فَقَالُوا: أَ بَشَرًا مِنْ نَوْعِنَا وَ هُوَ شَخْصٌ وَاحِدٌ لَا عَدَّهُ لَهُ وَ لَا جَمُوعٌ مَعَهُ نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا مَسْتَقْرُونَ فِي ضَلَالٍ عَجِيبٍ وَ جَنُونَ.

فيكون هذا القول توجيهها منهم لعدم اتباعهم لصالح لفقده العده و القوه و هم قد اعتادوا على اتباع من عنده ذلك كالمملوك و العظماء و قد كان لصالح عليه السلام يدعوهم الى طاعه نفسه و رفض طاعه عظمائهم كما يحكيه الله سبحانه عنه بقوله: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا مَنْ لَا تُطِيعُونَ وَ لَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ (الشعراء ١٥١).

ص: ١٣٨

١- ١). القمر ٩-٤٢: كلام فى سعادته الايام و نحوستها و الطيره و الفأل فى فصول (فى سعادته الايام و نحوستها، فى سعادته الكواكب و نحوستها، فى التفاؤل و التطير).

و لو أخذ الواحد واحدا نوعيا كان المعنى: أبشرا هو واحد منا أى هو مثلنا و من نوعنا نتبعه؟ و كانت الآيه التاليه مفسره لها.

قوله تعالى: أَلْقَى الدُّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْتَرُ الاستفهام كسابقه للإنكار و المعنى: أ أنزل الوحي عليه و اختص به من بيننا و لا فضل له علينا؟ لا يكون ذلك أبدا، و التعبير بالإلقاء دون الإنزال و نحوه للإشعار بالعجله كما قيل.

و من المحتمل أن يكون المراد نفى أن يختص بإلقاء الذكر من بينهم و هو بشر مثلهم فلو كان الوحي حقا و جاز أن ينزل على البشر لنزل على البشر كلهم فما باله اختص بما من شأنه أن يرزقه الجميع؟ فتكون الآيه فى معنى قولهم له كما فى سوره الشعراء: مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا (الشعراء ١٥٤).

و قوله: بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْتَرُ أى شديد البطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بهذا الطريق.

قوله تعالى: سَيَعْلَمُونَ عَدَاءَ مَنْ الكَذَّابُ الْأَشْرُ حكاية قوله سبحانه لصالح عليه السلام كالأيتين بعدها.

و المراد بالغد العاقبه من قولهم: إن مع اليوم غدا، يشير سبحانه به الى ما سينزل عليهم من العذاب فيعلمون عند ذلك علم عيان من هو الكذاب الأشر صالح أو هم؟

قوله تعالى: إِذَا مُرِّسَلُوا النَّاقَهُ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ فى مقام التعليل لما أخبر من أنهم سينزل عليهم العذاب و المفاد أنهم سينزل عليهم العذاب لأننا فاعلون كذا و كذا، و الفتنة الامتحان و الابتلاء، و المعنى: إنا مرسلون-على طريق الإعجاز-الناقه التى يسألونها امتحانا لهم فانتظرهم و اصبر على أذاهم.

قوله تعالى: وَ بَيَّنَّهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّخْتَصِرٌ ضَمِيرُ الْجَمْعِ الْأَوَّلِ لِلْقَوْمِ وَ الثَّانِي لِلْقَوْمِ وَ النَّاقَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّغْلِيْبِ، وَ الْقِسْمَهُ بِمَعْنَى الْمَقْسُومِ، وَ الشَّرْبُ

النصيب من شرب الماء، والمعنى: و خبرهم بعد إرسال الناقة أن الماء مقسوم بين القوم و بين الناقة كل نصيب من الشرب يحضر عنده صاحبه فيحضر القوم عند شربهم و الناقة عند شربها قال تعالى: **قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ آلِهِمَا شَرِبْتَ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ** (الشعراء ١٥٥).

قوله تعالى: **فَدَاؤُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ** المراد بصاحبهم عاقر الناقة، و التعاطى التناول و المعنى: فنادى القوم عاقر الناقة لعقرها فتناول عقرها فعقرها و قتلها.

قوله تعالى: **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرٍ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ** المحتظر صاحب الحظيره و هى كالحائط يعمل ليجعل فيه الماشيه، و هشيم المحتظر الشجر اليابس و نحوه يجمعه صاحب الحظيره لماشيته، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: **وَلَقَدْ يَسْرَنَّا الْخَيْلَ** تقدم تفسيره.

قوله تعالى: **كَذَّبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنُّذْرِ** تقدم تفسيره فى نظيره.

قوله تعالى: **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ الرَّيحِ** التى أتى بالحجاره و الحصباء، و المراد بها الريح التى أرسلت فرمتهم بسجيل منضود.

و قال فى مجمع البيان: سحر إذا كان نكره يراد به سحر من الأسحار يقال: رأيت زيدا سحرا من الأسحار فإذا أردت سحر يومك قلت: أتيت به سحر - بالفتح - و أتيت به سحر - من غير تنوين - انتهى، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: **نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ** «نِعْمَةٌ» مفعول له من «نَجَّيْنَاهُمْ» أى نجيناهم ليكون نعمه من عندنا نخصهم بها لأنهم كانوا شاكرين لنا و جزاء الشكر لنا النجاه.

قوله تعالى: **وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ** ضمير الفاعل فى

«أَنْذَرَهُمْ» للوط عليه السّلام، و البطشه الأخذه الشديده بالعذاب، و التمارى الإصرار على الجدل و إلقاء الشك، و النذر الإنذار، و المعنى: أقسم لقد خوفهم لوط أخذنا الشديد فجادلوا فى إنذاره و تخويله.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ رَأَوْهُ عَنِ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نَذِرِ مَرَاوِدِهِ عَنْ ضَيْفِهِ طَلَبَهُمْ مِنْهُ أَنْ يَسْلَمَ إِلَيْهِمْ أَضْيَافَهُ وَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَ طَمَسَ أَعْيُنَهُمْ مَحَوَّهَا، وَ قَوْلُهُ: «فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نَذِرِ» التَّفَاتُ إِلَى خُطَابِهِمْ تَشْدِيدًا وَ تَقْرِيعًا، وَ النَّذِرُ مَصْدَرٌ أُرِيدَ بِهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْإِنذَارُ وَ هُوَ الْعَذَابُ، وَ الْمَعْنَى ظَاهِرٌ.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ قَالَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ: وَ قَوْلُهُ:

«بُكْرَةً» ظَرَفَ زَمَانَ فَإِذَا كَانَ مَعْرَفَهُ بِأَنْ تَرِيدُ بَكْرَهُ يَوْمَكَ تَقُولُ: أَتَيْتَهُ بِكْرَهُ وَ غَدَوَهُ لَمْ تَصْرَفْهُمَا بِكْرَهُ هُنَا- وَ قَدْ نَوَّنَ-نَكَرَهُ، وَ الْمُرَادُ بِاسْتِقْرَارِ الْعَذَابِ حُلُولُهُ بِهِمْ وَ عَدَمُ تَخَلُّفِهِ عَنْهُمْ.

قوله تعالى: «فَذُوقُوا عَذَابِي»- إلى قوله- مِنْ مُدَكِّرٍ تَفْسِيرُهُ.

قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ الْمُرَادُ بِالنَّذْرِ الْإِنذَارُ، وَ قَوْلُهُ: «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» مَفْصُولٌ مِنْ غَيْرِ عَطْفٍ لِكَوْنِهِ جَوَابًا لِسُؤَالٍ مُقَدَّرٍ كَأَنَّهُ لَمَّا قِيلَ: «وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ» قِيلَ: فَمَا فَعَلُوا؟ فَاجِيبُ بِقَوْلِهِ: «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا»، وَ فَرَعَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ».

### [سوره القمر (٥٤): الآيات ٤٣ الى ٥٥]

أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَانِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُتْتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُؤَلُّونَ الذُّبُرُ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَذْهَبَةٌ وَ أَمْرٌ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَ سُعْرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةً بِلُبِّصَرٍ (٥٠) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٥١) وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَ كُلُّ صَیِّغٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهْرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)



قوله تعالى: أَ كُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ الظاهر أنه خطاب لقوم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ مُسْلِمٍ وَ كَافِرٍ عَلَى مَا تَشْعُرُ بِهِ الْإِضَافَةُ فِي «كُفَّارُكُمْ» وَ الْخَيْرِيَّةُ هِيَ الْخَيْرِيَّةُ فِي زِينَةِ الدُّنْيَا وَ زَخَارِفِ حَيَاتِهَا كَالْمَالِ وَ الْبَنِينَ أَوْ مِنْ جِهَةِ الْأَخْلَاقِ الْعَامَةِ فِي مَجْتَمَعِهِمْ كَالسَّخَاءِ وَ الشَّجَاعَةِ وَ الشَّفَقَةِ عَلَى الضَّعْفَاءِ، وَ الْإِشَارَةُ بِأَوْلِيئِكُمْ إِلَى الْأَقْوَامِ الْمَذْكُورَةِ أَنْبَاءُهُمْ: قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمَ لُوطَ وَ آلَ فِرْعَوْنَ، وَ الْاسْتِفْهَامُ لِلإِنكَارِ.

و المعنى: ليس الذين كفروا منكم خيرا من اولئكم الامم المهلكين المعذبين حتى يشملهم العذاب دونكم.

و يمكن أن يكون خطاب «أَكُفَّارُكُمْ» لخصوص الكفار بعنايه أنهم قوم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ فِيهِمْ

كفار و هم هم.

وقوله: أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ظاهره أيضا عموم الخطاب، و الزبر جمع زبور و هو الكتاب، و قد ذكروا أن المراد بالزبر الكتب السماويه المنزله على الأنبياء، و المعنى: بل أ لكم براءه فى الكتب السماويه التى نزلت من عند الله أنكم فى أمن من العذاب و المؤاخذه و إن كفرتم و أجرتم و اقترفتم ما شئتم من الذنوب.

قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ المجموع و المراد به وحده مجتمعهم من حيث الإراده و العمل، و الانتصار الانتقام أو التناصر كما فى خطابات يوم القيامة مَا لَكُمْ لَا تَنصِرُونَ (الصفات ٢٥)، و المعنى: بل أ يقولون أى الكفار نحن قوم مجتمعون متحدون ننتقم ممن أرادنا بسوء أو ينصر بعضنا بعضا فلا نهزم.

قوله تعالى: سَيُيْهِزُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ اللام فى «الْجَمْعُ» للعهد الذكري و فى «الدُّبُرُ» للجنس، و تولى الدبر الأدبار، و المعنى: سيهزم الجمع الذى يتبجحون به و يولون الأدبار و يفرون.

و فى الآيه إخبار عن مغلوبيه و انهزام لجمعهم، و دلالة على أن هذه المغلوبيه انهزام منهم فى حرب سيقدمون عليها، و قد وقع ذلك فى غزاه بدر، و هذا من ملاحم القرآن الكريم.

قوله تعالى: يَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَ أَمْرٌ أَدْهَىٰ اسم تفضيل من الدهاء و هو عظم البليه المنكره التى ليس الى التخلص منها سبيل، و «أَمْرٌ» اسم تفضيل من المراره ضد الحلاوه، و فى الآيه إضراب عن إبعادهم بالانهزام و العذاب الدنيوى الى إبعادهم بما سيجرى عليهم فى الساعه و قد أشير الى نبئها فى أول الأنباء الزاجره، و الكلام يفيد الترقى.

و المعنى: و ليس الانهزام و العذاب الدنيوى تمام عقوبتهم بل الساعه التى أشرنا الى نبئها هى موعدهم و الساعه أدهى من كل داهيه و أمر من كل مرّ.

قوله تعالى: إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ جمع سعير و هي النار المسعرة و في الآية تعليل لما قبلها من قوله: وَالسَّاعَةُ أَذْهَىٰ وَ أَمْرٌ، والمعنى: إنما كانت الساعة أدهى و أمر لهم لأنهم مجرمون و المجرمون في ضلال عن موطن السعادة و هو الجنة و نيران مسعرة.

قوله تعالى: يَوْمَ يُسَيِّجُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ السَّحْبِ جَرِ الْإِنْسَانِ عَلَىٰ وَجْهِهِ، و «يَوْمَ» ظرف لقوله: «فِي ضَلَالٍ وَ سُعْرٍ»، و «سَقَرَ» من أسماء جهنم و مسها هو إصابتها لهم بحرّها و عذابها.

و المعنى: كونهم في ضلال و سعير في يوم يجزون في النار على وجوههم يقال لهم: ذوقوا ما تصيبكم جهنم بحرّها و عذابها.

قوله تعالى: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ «كُلَّ شَيْءٍ» منصوب بفعل مقدر يدل عليه «خَلَقْنَاهُ» و التقدير خلقنا كل شيء خلقناه، و «بِقَدَرٍ» متعلق بقوله: «خَلَقْنَاهُ» و الباء للمصاحبة، و المعنى: إنا خلقنا كل شيء مصاحبا لقدر.

و قدر الشيء هو المقدار الذي لا يتعداه و الحد و الهندسه التي لا يتجاوزها في شيء من جانبي الزيادة و النقص، قال تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (الحجر ٢١)، فلكل شيء حد محدود في خلقه لا يتعداه و صراط ممدود في وجوده يسلكه و لا يتخطاه.

و الآية في مقام التعليل لما في الآيتين السابقتين من عذاب المجرمين يوم القيامة كأنه قيل:

لما إذا جوزى المجرمون بالضلال و السعير يوم القيامة و أذيقوا مس سقر؟ فاجيب بقوله: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» و محصله أن لكل شيء قدرا و من القدر في الإنسان أن الله سبحانه خلقه نوعا متكاثرا الأفراد بالتناسل اجتماعيا في حياته الدنيا يتزود من حياته الدنيا دائره حياته الآخرة الباقيه، و قد أن يرسل اليهم رسولا يدعوهم الى سعادة الدنيا و الآخرة فمن استجاب

الدعوه فاز بالسعاده و دخل الجنة و جاور ربه، و من ردّها و أجرم فهو فى ضلال و سعر.

قوله تعالى: وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ قَالَ فِي الْمَجْمَعِ: اللّٰمِحُ النَّظْرُ بِالْعَجَلِ وَ هُوَ خَطْفُ الْبَصْرِ. انتهى.

و المراد بالأمر ما يقابل النهى لكنه الأمر التكويني بإرادته وجود الشيء، قال تعالى: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (يس ٨٢) فهو كلمه كن و لعله لكونه كلمه اعتبر الخبر مؤنثا ف قيل «إِلَّا وَاحِدَةٌ» .

و الذى يفيد السياق أن المراد بكون الأمر واحده أنه لا يحتاج فى مضيّه و تحقق متعلقه الى تعدد و تكرار بل أمر واحد بإلقاء كلمه كن يتحقق به المتعلق المراد كلمح بالبصر من غير تأنّ و مهل حتى يحتاج الى الأمر ثانيا و ثالثا.

و تشبيه الأمر من حيث تحقق متعلقه بللمح بالبصر لا لإفاده أن زمان تأثيره قصير كزمان تحقق اللّٰمِح بالبصر بل لإفاده أنه لا يحتاج فى تأثيره الى مضيّ زمان و لو كان قصيرا فإن التشبيه باللّٰمِح بالبصر فى الكلام يكنى به عن ذلك، فأمره تعالى و هو إيجاد و إرادته وجوده لا- يحتاج فى تحقق الى زمان و لا مكان و لا حركه كيف لا؟ و نفس الزمان و المكان و الحركه إنما تحققت بأمره تعالى.

و الآيه و إن كانت بحسب مؤدّاهما فى نفسها تعطى حقيقه عامه فى خلق الأشياء و أن وجودها من حيث إنه فعل الله سبحانه كلمح بالبصر و إن كان من حيث إنه وجود لشيء كذا تدريجيا حاصلًا شيئًا فشيئًا.

إلا أنها بحسب وقوعها فى سياق إبعاد الكفار بعذاب يوم القيامة ناظره الى إتيان الساعه و أن أمرا واحدا منه تعالى يكنى فى قيام الساعه و تجديد الخلق بالبعث و النشور فتكون متممه لما أقيم من الحججه بقوله: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» .

فيكون مفاد الآيه الاولى أن عذابهم بالنار على وفق الحكمة و لا محيص عنه بحسب الإراده

الإلهيه لأنه من القدر، ومفاد هذه الآية أن تحقق الساعه التي يعذبون فيها بمضى هذه الإراده و تحقق متعلقها لا مثونه فيه عليه سبحانه لأنه يكفى فيه أمر واحد منه تعالى كلمح بالبصر.

قوله تعالى: **وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرِ الْأَشْيَاعِ** جمع شيعه و المراد - كما قيل - الأشباه و الأمثال فى الكفر و تكذيب الأنبياء من الامم الماضيه.

و المراد بالآيه و الآيتين بعدها تأكيد الحججه السابقه التى أقيمت على شمول العذاب لهم لا محاله.

و محصل المعنى: أن ليس ما أنذرناكم به من عذاب الدنيا و عذاب الساعه مجرد خبر أخبرناكم به و لا قول ألقيناه اليكم فهذه أشياعكم من الامم الماضيه شرع فيهم بذلك فقد أهلكناهم و هو عذابهم فى الدنيا و سيلقون عذاب الآخره فإن أعمالهم مكتوبه مضبوطه فى كتب محفوظه عندنا سنحاسبهم بها و نجازيهم بما عملوا.

قوله تعالى: **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرُّ الزُّبُرِ** كتب الأعمال و تفسيره باللوح المحفوظ سخيف، و المراد بالصغير و الكبير صغير الأعمال و كبيرها على ما يفيد السياق.

قوله تعالى: **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ** أى فى جنات عظيمه الشأن بالغه الوصف و نهر كذلك، قيل: المراد بالنهر الجنس، و قيل: النهر بمعنى السعه.

قوله تعالى: **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** المقعد المجلس، و المليك صيغه مبالغه للملك على ما قيل، و ليس من إشباع كسر لام الملك، و المقتدر القادر العظيم القدره و هو الله سبحانه.

و المراد بالصدق صدق المتقين فى إيمانهم و عملهم أضيف اليه المقعد لملاسه ما و يمكن أن يراد به كون مقامهم و ما لهم فيه صدقا لا يشوبه كذب فلهم حضور لا غيبه معه، و قرب لا بعد

معها، و نعمه لا نغمه معها، و سرور لا غمّ معه، و بقاء لا فناء معه.

و يمكن أن يراد به صدق هذا الخبر من حيث إنه تبشير و وعد جميل للمتقين، و على هذا ففيه نوع مقابله بين وصف عاقبه المتقين و المجرمين حيث أوعد المجرمون بالعذاب و الضلال و قرر ذلك بأنه من القدر و لن يتخلف، و وعد المتقون بالثواب و الحضور عند ربهم المليك المقتدر و قرر ذلك بأنه صدق لا كذب فيه (١)(٢).

ص: ١٤٧

---

١-١. القمر ٤٣-٥٥: بحث روائى حول القدر؛ القدرية؛ الذين أحبوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

٢-٢. القمر ٤٣-٥٥: كلام فى القدر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (۱) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (۲) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (۳) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (۴) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (۵) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (۶) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (۷) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (۸) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (۹) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (۱۰) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (۱۱) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (۱۲) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۱۳) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (۱۴) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ (۱۵) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۱۶) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (۱۷) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۱۸) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (۱۹) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (۲۰) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۲۱) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (۲۲) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۲۳) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (۲۴) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۲۵) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (۲۶) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (۲۷) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۲۸) يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (۲۹) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (۳۰)





تتضمن السوره الإشاره الى خلقه تعالى العالم بأجزائه من سماء و أرض و برّ و بحر و إنس و جن و نظم أجزائه نظماً ينتفع به الثقلان الإنس و الجن فى حياتهما و ينقسم بذلك العالم الى نشأتين: نشأه دنيا ستفنى بفناء أهلها، و نشأه أخرى باقيه تتميز فيها السعاده من الشقاء و النعمه من النقمه.

و بذلك يظهر أن دار الوجود من دنياها و آخرتها ذات نظام واحد مؤتلف الأجزاء مرتبط الأبعاض قويم الأركان يصلح بعضه ببعض و يتم شطر منه بشطر.

فما فيه من عين و أثر، من نعمه تعالى و آلائه، و لذا يستفهمهم مره بعد مره استفهاماً مشوباً بعتاب بقوله: «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» فقد كررت الآية فى السوره إحدى و ثلاثين مره.

و لذلك افتتحت السوره بذكره تعالى بصفه رحمته العامه الشامله للمؤمن و الكافر و الدنيا و الآخره و اختتمت بالثناء عليه بقوله: «لَبَّازِكِ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» .

و السوره يحتمل كونها مكيه أو مدنيه و إن كان سياقها بالسياق المكي أشبه و هى السوره الوحيدة فى القرآن التحت بعد البسملة باسم من أسماء الله عز اسمه، و فى المجمع عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: لكل شىء عروس و عروس القرآن سوره الرحمن جلّ ذكره، و رواه فى الدر المنثور عن البيهقى عن على عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

قوله تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ الرحمن كما تقدم فى تفسير سوره الفاتحه صيغه مبالغه تدل على كثره الرحمه ببذل النعم و لذلك ناسب أن يعم ما يناله المؤمن و الكافر من نعم الدنيا و ما يناله المؤمن من نعم الآخره، و لعمومه ناسب أن يصدر به الكلام لاشتمال الكلام فى السوره على أنواع النعم الدنيويه و الاخرويّه التى ينتظم بها عالم الثقلين الإنس و الجن.

ذكروا أن الرحمن من الأسماء الخاصة به تعالى لا يسمى به غيره بخلاف مثل الرحيم والراحم.

وقوله: «عَلَّمَ الْقُرْآنَ» شروع في عد النعم الإلهيه، و لما كان القرآن أعظم النعم قدرا و شأننا و أرفعها مكانا-لأنه كلام الله الذى يخط صراطه المستقيم و يتضمن بيان نهج السعاده التى هى غايه ما يأمله آمل و نهايه ما يسأله سائل-قدم ذكر تعليمه على سائر النعم حتى على خلق الإنس و الجن اللذين نزل القرآن لأجل تعليمهما.

و حذف مفعول «عَلَّمَ» الأول و هو الإنسان أو الإنس و الجن و التقدير علم الإنسان القرآن أو علم الإنس و الجن القرآن، و هذا الاحتمال الثانى إن لم يتعرضوا له لكنه أقرب الاحتمالين لأن السوره تخاطب فى تضاعيف آياتها الجن كالإنس و لو لا شمول التعليم فى قوله:

«عَلَّمَ الْقُرْآنَ» لهم لم يتم ذلك.

قوله تعالى: خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ذكر خلق الإنسان و سيدكر خصوصيه خلقه بقوله: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ»، و الإنسان من أعجب مخلوقات الله تعالى أو هو أعجبها يظهر ذلك بقياس وجوده الى وجود غيره من المخلوقات و التأمل فيما خط له من طريق الكمال فى ظاهره و باطنه و دنياه و آخرته، قال تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ (التين ٦/٦).

وقوله: عَلَّمَهُ الْبَيَانَ البيان الكشف عن الشئ و المراد به الكلام الكاشف عما فى الضمير، و هو من أعجب النعم و تعليمه للإنسان من عظيم العناية الإلهيه المتعلقة به فليس الكلام مجرد إيجاد صوت ما باستخدام الرثه و قصبته و الحلقوم و لا ما يحصل من التنوع فى الصوت الخارج من الحلقوم باعتماده على مخارج الحروف المختلفه فى الفم.

بل يجعل الإنسان بإلهام باطنى من الله سبحانه الواحد من هذه الأصوات المعتمده على

مخرج من مخارج الفم المسمى حرفاً أو المركب من عدة من الحروف علامه مشيره الى مفهوم من المفاهيم يمثل به ما يغيب عن حس السامع و إدراكه فيقدر به على إحضار أى وضع من أوضاع العالم المشهود و إن جل ما جل أو دق ما دق من موجود أو معدوم ماض أو مستقبل، ثم على إحضار أى وضع من أوضاع المعانى غير المحسوسه التى ينالها الإنسان بفكره و لا سبيل للحس إليها يحضرها جميعاً لسامعه و يمثلها لحسه كأنه يشخصها له بأعيانها.

و لا- يتم للإنسان اجتماعه المدنى و لا تقدم فى حياته هذا التقدم الباهر إلا بتنبهه لوضع الكلام و فتحه بذلك باب التفهيم و التفهم، و لو لا ذلك لكان هو و الحيوان العجم سواء فى جمود الحياه و ركودها.

و من أقوى الدليل على أن اهتداء الإنسان الى البيان بإلهام إلهى له أصل فى التكوين اختلاف اللغات باختلاف الامم و الطوائف فى الخصائص الروحيه و الأخلاق النفسانيه و بحسب اختلاف المناطق الطبيعيه التى يعيشون فيها، قال تعالى: **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاختلافُ اَلْسِنَتِكُمْ وَ اَلْوَانِكُمْ** (الروم ٢٢).

و ليس المراد بقوله: «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» أن الله سبحانه وضع اللغات ثم علمها الإنسان بالوحى الى نبي من الأنبياء أو بالإلهام فإن الإنسان بوقوعه فى ظرف الاجتماع مندفع بالطبع الى اعتبار التفهيم و التفهم بالإشارات و الأصوات و هو التكلم و النطق لا يتم له الاجتماع المدنى دون ذلك.

على أن فعله تعالى هو التكوين و الإيجاد و الرابطه بين اللفظ و معناه اللغوى وضعيه اعتباريه لا حقيقيه خارجيه بل الله سبحانه خلق الإنسان و فطره فطره تؤديه الى الاجتماع المدنى ثم الى وضع اللغه بجعل اللفظ علامه للمعنى بحيث إذا ألقى اللفظ الى سامعه فكأنما يلقي اليه المعنى ثم الى وضع الخط بجعل الأشكال المخصوصه علائم للألفاظ فالخط مكمل لغرض الكلام، و هو يمثل الكلام كما أن الكلام يمثل المعنى.

و بالجمله البيان من أعظم النعم والآلاء الربانيه التى تحفظ لنوع الإنسان موقفه الإنسانى و تهديه الى كل خير.

هذا ما هو الظاهر المتبادر من الآيتين، و لهم فى معناهما أقوال: فقيل: الإنسان هو آدم عليه السّلام و البيان الأسماء التى علمه الله إياها.

قوله تعالى: الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ الحسبان مصدر بمعنى الحساب، و الشمس مبتدأ و القمر معطوف عليه، و بحسبان خبره، و الجمله خبر بعد خبر لقوله:

«الرَّحْمَنُ» و التقدير الشمس و القمر يجريان بحساب منه على ما قدر لهما من نوع الجرى.

قوله تعالى: وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ قالوا: المراد بالنجم ما ينجم من النبات و يطلع من الأرض و لا ساق له، و الشجر ما له ساق من النبات، و هو معنى حسن يؤيده الجمع و القرن بين النجم و الشجر و إن كان ربما أوهم سبق ذكر الشمس و القمر كون المراد بالنجم هو الكواكب.

و سجود النجم و الشجر انقيادهما للأمر الإلهى بالنشوء و النمو على حسب ما قدر لهما كما قيل، و أدق منه أنهما يضربان فى التراب باصولهما و أعراقهما لجذب ما يحتاجان اليه من المواد العنصريه التى يغتذيان بها و هذا السقوط على الأرض إظهارا للحاجه الى المبدأ الذى يقضى حاجتهما- و هو فى الحقيقه الله الذى يريهما كذلك- سجود منهما له تعالى.

قوله تعالى: وَ السَّمَاءُ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ المراد بالسماء إن كان جهه العلو فرفعها خلقها مرفوعه لا رفعها بعد خلقها و إن كان ما فى جهه العلو من الأجرام فرفعها تقدير محالها بحيث تكون مرفوعه بالنسبه الى الأرض بالفتق بعد الرثق كما قال تعالى: أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا (الأنبياء ٣٠)، و الرفع على أى حال رفع حسى.

و إن كان المراد ما يشمل منازل الملائكه الكرام و مصادر الأمر الإلهى و الوحي فالرفع

معنوى أو ما يشمل الحسى و المعنوى.

و قوله: «وَوَضَعَ الْمِيزَانَ» المراد بالميزان كل ما يوزن أى يقدر به الشىء أعم من أن يكون عقيدته أو قولاً أو فعلاً و من مصاديقه الميزان الذى يوزن به الأثقال، قال تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ (الحديد/ ٢٥).

فظاهره مطلق ما يميز به الحق من الباطل و الصدق من الكذب و العدل من الظلم و الفضيله من الرذيله على ما هو شأن الرسول أن يأتى به من عند ربه.

و قيل: المراد بالميزان العدل أى وضع الله العدل بينكم لتسوّوا به بين الأشياء بإعطاء كل ذى حق حقه.

و قيل: المراد الميزان الذى يوزن به الأثقال و المعنى الأول أوسع و أشمل.

قوله تعالى: «أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ الظاهر أن المراد بالميزان الميزان المعروف و هو ميزان الأثقال، فقوله: «أَلَّا تَطْغَوْا» الخ؛ على تقدير أن يراد بالميزان فى الآيه السابقه أيضا ميزان الأثقال، و هو بيان وضع الميزان، و المعنى أن معنى وضعنا الميزان بينكم هو أن اعدلوا فى وزن الأثقال و لا تطغوا فيه.

و على تقدير أن يراد به مطلق التقدير الحق أو العدل هو استخراج حكم جزئى من حكم كلى، و المعنى أن لازم ما وضعناه من التقدير الحق أو العدل بينكم هو أن تنزوا الأثقال بالقسط و لا تطغوا فيه.

و على أى حال الظاهر أن «أن» فى قوله: «أَلَّا تَطْغَوْا» تفسيريه، و «أَلَّا تَطْغَوْا» نهى عن الطغيان فى الميزان و «أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ» أمر معطوف عليه، و القسط العدل و «لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ» نهى آخر مبين لقوله: «أَلَّا تَطْغَوْا» الخ؛ و مؤكد له. و الاخسار فى الميزان التطفيف به بزياده أو نقيصه بحيث يخسر البائع أو المشتري.

و أما جعل «أن» ناصبه و «أَلَا تَطْعَمُونَ» نفياً، و التقدير: لئلا تطغوا، فيحتاج الى تكلف توجيهه في عطف الإنشاء على الإخبار في قوله: «وَ أَقِيمُوا الْوِزْنَ» الخ.

قوله تعالى: «وَ الْمَأْرُضَ وَ ضَعْفَهَا لِلنَّاسِ أَمِ الْأَنْعَامِ» و قيل: للإنس و الجن، و قيل: كل ما يدب على الأرض، و في التعبير في الأرض بالوضع قبال التعبير في السماء بالرفع لطف ظاهر.

قوله تعالى: «فِيهَا فَآكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ» المراد بالفاكهة الثمره غير التمر، و الأكام جمع كم بضم الكاف و كسرهما وعاء التمر و هو الطلع، و أما كم القميص فهو مضموم الكاف لا غير كما قيل.

قوله تعالى: «وَ الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَ الرِّيحَانُ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «فَاكِهَةٌ» أَى و فيها الحب و الريحان، و الحب ما يقتات به كالحنظله و الشعير و الارز، و العصف ما هو كالعلاف للحب و هو قشره، و فسّر بورق الزرع مطلقاً و بورق الزرع اليابس، و الريحان النبات الطيب الرائحة.

قوله تعالى: «فَبَأَى آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ الْآلَاءِ جمع الى بمعنى النعمه.

و الخطاب في الآيه لعامه الثقلين: الجن و الإنس و يدل على ذلك توجيه الخطاب اليهما صريحا فيما سيأتى من قوله: «سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ» و قوله: «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ» الخ؛ و قوله: «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ» الخ؛ فلا يصغى الى قول من قال: إن الخطاب في الآيه للذكر و الانثى من بنى آدم، و لا الى قول من قال: إنه من خطاب الواحد بخطاب الاثنين و يفيد تكرار الخطاب نحو يا شرطى اضربا عنقه أَى اضرب عنقه اضرب عنقه.

و توجيه الخطاب الى عالمى الجن و الإنس هو المصحح لعدّ ما سنذكره من شدائد يوم القيامة و عقوبات المجرمين من أهل النار من آلائه و نعمه تعالى، فإن سوق المسيئين و أهل الشقوه في نظام الكون الى ما تقتضيه شقوتهم و مجازاتهم بتبعات أعمالهم من لوازم صلاح

النظام العام الجارى فى الكل الحاكم على الجميع فذلك نعمه بالقياس الى الكل و إن كان نقمه بالنسبه الى طائفه خاصه منهم و هم المجرمون و هذا نظير ما نجده فى السنن و القوانين الجاربه فى المجتمعات فإن التشديد على أهل البغى و الفساد مما يتوقف عليه حياه المجتمع و بقاءه و ليس يتنعم به أهل الصلاح خاصه كما أن إثابه أهل الصلاح بالثناء الجميل و الأجر الحسن كذلك.

فما فى النار من عذاب و عقاب لأهلها و ما فى الجنة من كرامه و ثواب آلاء و نعم على معشر الجن و الإنس كما أن الشمس و القمر و السماء المرفوعه و الأرض الموضوعه و النجم و الشجر و غيرها آلاء و نعم على أهل الدنيا.

قوله تعالى: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ الصلصال الطين اليابس الذى يتردد منه الصوت إذا وطئ، و الفخار الخزف.

و المراد بالإنسان نوعه و المراد بخلقه من صلصال كالفخار انتهاء خلقه اليه، و قيل: المراد بالإنسان آدم عليه السلام.

قوله تعالى: وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ المارج هو اللهب الخالص من النار، و قيل: اللهب المختلط بسواد، و الكلام فى الجان كالكلام فى الإنسان فالمراد به نوع الجن، و عدّهم مخلوقين من النار باعتبار انتهاء خلقتهم إليها، و قيل: المراد بالجان أبو الجن.

قوله تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ المراد بالمشرقين مشرق الصيف و مشرق الشتاء، و بذلك تحصل الفصول الأربعة و تنتظم الأرزاق، و قيل: المراد بالمشرقين مشرق الشمس و القمر و بالمغربين مغرباهما.

قوله تعالى: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ المريج الخلط و المريج الإرسال، يقال: مريج أى خلطه و مريج أى أرسله و المعنى الأول أظهر، و الظاهر أن المراد بالبحرين العذب الفرات و الملح الاجاج، قال تعالى: وَ مَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ

فَرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا (فاطر ١٢).

و أمثل ما قيل في الآيتين أن المراد بالبحرين جنس البحر المالح الذى يغمر قريبا من ثلاثه أرباع الكره الأرضيه من البحار المحيطه و غير المحيطه،و البحر العذب المدخر فى مخازن الأرض التى تنفجر الأرض عنها فتجرى العيون و الأنهار الكبيره فتصب فى البحر المالح،و لا يزالان يلتقيان،و بينهما حاجز و هو نفس المخازن الأرضيه و المجارى يحجز البحر المالح أن يبغي على البحر العذب فيغشيه و يبدله بحرا مالحا و تبطل بذلك الحياه،و يحجز البحر العذب أن يزيد فى الانصباب على البحر المالح فيبدله ماء عذبا فتبطل بذلك مصلحه ملوحته من تطهير الهواء و غيره.

و لا يزال البحر المالح يمدّ البحر العذب بالأمطار التى تأخذها منه السحب فتمطر على الأرض و تدخرها المخازن الأرضيه و البحر العذب يمدّ البحر المالح بالانصباب عليه.

فمعنى الآيتين-و الله أعلم-خلط البحرين العذب الفرات و المالح الاجاج حال كونهما مستمرين فى تلاقيهما بينهما حاجز لا يطغيان بأن يغمر أحدهما الآخر فيذهب بصفته من العذوبه و الملوحة فيختل نظام الحياه و البقاء.

قوله تعالى: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ أَى من البحرين العذب و المالح جميعا و ذلك من فوائدهما التى ينتفع بها الإنسان،و قد تقدم فيه الكلام فى تفسير قوله تعالى:

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ الْآيَه؛(فاطر ١٢).

قوله تعالى: وَ لَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ الْجوارى جمع جاريه و هى السفينه،و المنشآت اسم مفعول من الإنشاء و هو إحداث الشىء و تربيته، و الأعلام جمع علم بفتحيتين و هو الجبل.

و عدّ الجوارى مملوكه له تعالى مع كونها من صنع الإنسان لأن الأسباب العامله فى إنشائها



من خشب و حديد و سائر أجزائها التي تتركب منها و الإنسان الذي يركبها و شعوره و فكره و إرادته كل ذلك مخلوق له و مملوك فما ينتجه عملها من ملكه.

فهو تعالى المنعم بها للإنسان ألهمه طريق صنعها و المنافع المترتبة عليها و سبيل الانتفاع بمنافعها الجمه.

قوله تعالى: **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ضمير «عَلَيْهَا» للأرض أى كل ذى شعور و عقل على الأرض سيفنى و فيه تسجيل الزوال و الدثور على الثقلين.

و إنما أتى باللفظ الدال على أولى العقل - كل من عليها - لم يقل: كل من عليها كذلك لأن الكلام مسرود فى السوره لتعداد نعمه و آلائه تعالى للثقلين فى نشأتهم الدنيا و الآخرة.

و ظهور قوله: **فَانٍ** فى الاستقبال كما يستفاد أيضا من السياق يعطى أن قوله: **«كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ»** يشير الى انقطاع أمد النشأه الدنيا و ارتفاع حكمها بفناء من عليها و هم الثقلان و طلوع النشأه الاخرى عليهم، و كلاهما أعنى فناء من عليها و طلوع نشأه الجزاء عليهم من النعم و الآلاء لأن الحياه الدنيا حياه مقدميه لغرض الآخرة و الانتقال من المقدمه الى الغرض و الغايه نعمه.

و بذلك يندفع قول من قال: أى نعمه فى الفناء حتى يجعل من النعم و يعد من الآلاء.

و محصل الجواب أن حقيقه هذا الفناء الرجوع الى الله بالانتقال من الدنيا كما تفسره آيات كثيره فى كلامه تعالى و ليس هو الفناء المطلق.

و قوله: **وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ** وجه الشىء ما يستقبل به غيره و يقصده به غيره، و هو فيه سبحانه صفاته الكريمه التي تتوسط بينه و بين خلقه فتنزله بها عليهم البركات من خلق و تدبير كالعلم و القدره و السمع و البصر و الرحمه و المغفره و الرزق و قد تقدم فى تفسير سوره الأعراف كلام مبسوط فى كون أسمائه و صفاته تعالى و سائط بينه و بين خلقه.

وقوله: ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فِي الْجَلالِ شَيْءٌ مِنْ مَعْنَى الِاعْتِلَاءِ وَ التَّرْفَعِ الْمَعْنَوِي عَلَى الْغَيْرِ فَيُنَاسِبُ مِنَ الصِّفَاتِ مَا فِيهِ شَائِبُهُ الدَّفْعِ وَالْمَنْعِ كَالْعُلُوِّ وَالتَّعَالَى وَ الْعِظْمَةِ وَ الْكِبْرِيَاءِ وَ التَّكْبِيرِ وَ الْإِحْاطَةَ وَ الْعِزَّةَ وَ الْغَلْبَةَ.

و يَبْقَى لِلْإِكْرَامِ مِنَ الْمَعْنَى مَا فِيهِ نَعْتُ الْبِهَاءِ وَ الْحَسَنِ الَّذِي يَجْذِبُ الْغَيْرَ وَ يُوَلِّهُهُ كَالْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ وَ الْحَيَاةِ وَ الرَّحْمَةِ وَ الْجُودِ وَ الْجَمَالِ وَ الْحَسَنِ وَ نَحْوَهَا وَ تَسْمَى صِفَاتُ الْجَمَالِ كَمَا تَسْمَى الْقِسْمُ الْأَوَّلُ صِفَاتُ الْجَلالِ وَ تَسْمَى الْأَسْمَاءُ أَيْضًا عَلَى حَسَبِ مَا فِيهَا مِنْ صِفَاتِ الْجَمَالِ أَوْ الْجَلالِ بِأَسْمَاءِ الْجَمَالِ أَوْ الْجَلالِ.

فَذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرَامِ اسْمٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنِي جَامِعٌ بِمَفْهُومِهِ بَيْنَ أَسْمَاءِ الْجَمَالِ وَ أَسْمَاءِ الْجَلالِ جَمِيعًا.

وَ الْمَسْمَى بِهِ بِالْحَقِيقَةِ هُوَ الذَّاتُ الْمَقْدَسَةُ كَمَا فِي قَوْلِهِ فِي آخِرِ السُّورَةِ: «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ» لَكِنْ أُجْرِيَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ - وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ - عَلَى الْوَجْهِ، وَ هُوَ إِمَّا لِكُونِهِ وَصْفًا مَقْطُوعًا عَنِ الْوَصْفِيَةِ الْمَدْحِ، وَ التَّقْدِيرِ هُوَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرَامِ، وَ إِمَّا لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَجْهِ كَمَا تَقْدَمُ هُوَ صِفَتُهُ الْكَرِيمَةِ وَ اسْمُهُ الْمَقْدَسُ وَ إِجْرَاءُ الْاسْمِ عَلَى الْاسْمِ مَا لَهُ إِلَى إِجْرَاءِ الْاسْمِ عَلَى الذَّاتِ.

وَ مَعْنَى الْآيَةِ عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَرَادَ بِالْوَجْهِ مَا يَسْتَقْبَلُ بِهِ الشَّيْءُ غَيْرَهُ وَ هُوَ الْاسْمُ - وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ بَقَاءَ الْاسْمِ (1) فَرَعٌ بَقَاءُ الْمَسْمَى - وَ يَبْقَى رَبُّكَ عِزَّ اسْمِهِ بِمَا لَهُ مِنَ الْجَلالِ وَ الْإِكْرَامِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُوَثِّرَ فَنَاقُؤُهُمْ فِيهِ أَثْرًا أَوْ يَغْيِّرَ مِنْهُ شَيْئًا.

وَ عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَرَادَ بِالْوَجْهِ مَا يَقْصِدُهُ بِهِ غَيْرُهُ وَ مَصْدَاقَهُ كُلِّ مَا يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ تَعَالَى فَيَكُونُ مَقْصُودًا بِنَحْوِ الْمَتَوَجِّهِ إِلَيْهِ كَأَنْبِيَائِهِ وَ أَوْلِيَائِهِ وَ دِينِهِ وَ ثَوَابِهِ وَ قَرْبِهِ وَ سَائِرِ مَا هُوَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ

ص: ١٥٩

(١-١). المراد بالاسم ما يحكى عنه الاسم اللفظي دون اللفظ الحاكي.

فالمعنى: و يبقى بعد فناء أهل الدنيا ما هو عنده تعالى و هو من صقعه و ناحيته كأنواع الجزاء و الثواب و القرب منه، قال تعالى: مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ (النحل ٩٦).

و قد تقدم فى تفسير قوله تعالى: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ (القصص ٨٨) من الكلام بعض ما لا يخلو من نفع فى المقام.

قوله تعالى: يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ سؤال حجاجه فهم فى حاجه من جميع جهاتهم اليه تعالى متعلقو الوجودات به متمسكون بذيل غناه وجوده، قال تعالى: أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ (فاطر / ١٥)، و قال فى هذا المعنى من السؤال: وَ أَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ (إبراهيم ٣٤).

و قوله: «كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» تنكير «شَأْنٍ» للدلاله على التفرق و الاختلاف فالمعنى:

كل يوم هو تعالى فى شأن غير ما فى سابقه و لا حقه من الشأن فلا يتكرر فعل من أفعاله مرتين و لا يماثل شأن من شئونه شأنًا آخر من جميع الجهات و إنما يفعل على غير مثال سابق و هو الإبداع، قال تعالى: بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (البقره ١١٧).

و معنى ظرفيه اليوم إحاطته تعالى فى مقام الفعل على الأشياء فهو سبحانه فى كل زمان و ليس فى زمان و فى كل مكان و ليس فى مكان و مع كل شىء و لا يدانى شيئًا (١).

### [سوره الرحمن (٥٥): الآيات ٣١ الى ٧٨]

سَفَرُغْ لَكُمْ أَيُّهُ النَّقْلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَ نُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرُونَ (٣٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنُّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آن (٤٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥) وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِنَّ عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِنَّ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ مِنْ قَبْلُهُمْ وَ لَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَمَا أَنْهَنُّ لَيْلِيَّاتٍ وَ الْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَ مِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِنَّ عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِنَّ فَاكِهَةٌ وَ نُخْلٌ وَ رُؤْمَانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْحِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ مِنْ قَبْلُهُمْ وَ لَا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) لَبَّارِكُ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ (٧٨)

---

١-١) الرءمن ١-٣٠: بعء روائى فى: المشرقىن و المغربىن؛ البءرىن ىلءقىان؛ وءه الله.





بيان:

قوله تعالى: سَيَنْفَرُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ <sup>□</sup> يقال: فرغ فلان لأمر كذا إذا كان مشغولا قبلا بأمور ثم تركها وقصر الاشتغال بذاك الأمر اهتماما به.

فمعنى «سَيَنْفَرُ لَكُمْ» سنطوى بساط النشأه الاولى و نشتغل بكم، و تبين الآيات التاليه أن المراد بالاشتغال بهم بعثهم و حسابهم و مجازاتهم بأعمالهم خيرا أو شرا فالفراغ لهم استعاره بالكنايه عن تبدل النشأه.

و لا ينافى الفراغ لهم كونه تعالى لا يشغله شأن عن شأن فإن الفراغ المذكور ناظر الى تبدل النشأه و كونه لا يشغله شأن عن شأن ناظر الى إطلاق القدره وسعتها كما لا ينافى كونه تعالى كل يوم هو فى شأن الناظر الى اختلاف الشئون كونه تعالى لا يشغله شأن عن شأن و الثقلان الجن و الإنس، و إرجاع ضمير الجمع فى «لَكُمْ» و «إِنْ اسْتَطَعْتُمْ» و غيرهما اليهما لكونهما جمعا ذا أفراد.

ص: ١٦٣

قوله تعالى: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْمِي تَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا السخ؛ الخطاب-على ما يفيد  
السياق-من خطابات يوم القيامة و هو خطاب تعجيزى.

و المراد بالاستطاعه القدره،و بالنفوذ من الأقطار الفرار،و الأقطار جمع قطر و هو الناحيه.

و المعنى:يا معشر الجن و الإنس-و قدّم الجن لأنهم على الحركات السريعه أقدر-إن قدرتم أن تفروا بالنفوذ من نواحي  
السموات و الأرض و الخروج من ملك الله التخلص من مؤاخذته ففروا و انفذوا.

و قوله: لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ أَى لَا تَقْدِرُونَ عَلَى النْفُوذِ إِلَّا-بنوع من السلطه على ذلك و ليس لكم و السلطان القدره  
الوجوديه،و السلطان البرهان أو مطلق الحجه، و السلطان الملك.

قوله تعالى: يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاظٍ مِنْ نَارٍ وَ نُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرُونَ الشواظ-على ما ذكره الراغب-اللهب الذى لا دخان فيه،و يقرب  
منه ما فى المجمع أنه اللهب الأخضر المنقطع من النار،و النحاس الدخان و قال الراغب:هو اللهب بلا دخان و المعنى ظاهر.

و قوله: فَلَا تَنْتَصِرُونَ أَى لَا تَتَنَاصَرُونَ بأن ينصر بعضكم بعضا لرفع البلاء و التخلص عن العناء لسقوط تأثير الأسباب و لا عاصم  
اليوم من الله.

قوله تعالى: فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ أَى كَانَتْ حَمَاءَ كَالدِّهَانِ وَ هُوَ الْأَدِيمُ الْأَحْمَرُ.

قوله تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ الْآيه و ما يتلوها من الآيات الى آخر السوره تصف الحساب و الجزاء تصف  
حال المجرمين و الخائفين مقام ربهم و ما



ينتهي إليه.

ثم الآيه تصف سرعه الحساب و قد قال تعالى: <sup>□</sup> وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (النور ٣٩/).

و المراد بيومئذ يوم القيامة، و السؤال المنفى هو النحو المألوف من السؤال، و لا ينافى نفى السؤال فى هذه الآيه إثباته فى قوله: <sup>□</sup> وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (الصفات ٢٤/)، و قوله:

فَو رَبِّكَ لَنْ نَسِيئَنَّكَ أَجْمَعِينَ (الحجر ٩٢/)، لأن اليوم ذو مواقف مختلفه يسأل فى بعضها، و يختم على الأفواه فى بعضها و تكلم الأعضاء، و يعرف بالسيما فى بعضها.

قوله تعالى: <sup>□</sup> يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ فى مقام الجواب عن سؤال مقدر كأنه قيل: فإذا لم يسألوا عن ذنبهم فما يصنع بهم؟ فاجيب بأنه يعرف المجرمون بسيماهم، الخ؛ و لذا فصلت الجملة و لم يعطف، و المراد بسيماهم علامتهم البارزه فى وجوههم.

و قوله: <sup>□</sup> فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ الكلام متفرع على المعرفه المذكوره، و النواصي جمع ناصيه و هى شعر مقدم الرأس، و الأقدام جمع قدم، و قوله: <sup>□</sup> «بِالنَّوَاصِي» نائب فاعل يؤخذ.

و المعنى: -لا- يسأل أحد عن ذنبه- يعرف المجرمون بعلامتهم الظاهره فى وجوههم فيؤخذ بالنواصي و الأقدام من المجرمين فيلقون فى النار.

قوله تعالى: <sup>□</sup> هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذَّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ -الى قوله- <sup>□</sup> آِنْ مَقُولِ قَوْلِ مَقْدَرِ أَيْ يَقَالُ يَوْمئِذٍ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذَّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ، و قال الطبرسى: و يمكن أنه لما أخبر الله سبحانه أنهم يؤخذون بالنواصي و الأقدام قال للنبي صلى الله عليه و آله و سلم: هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون من قومك فسيردونها فليهن عليك أمرهم. انتهى.

و الحميم الماء الحار، و الآنى الذى انتهت حرارته و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: <sup>□</sup> وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ شُرُوعِ فى وصف حال السعداء من

الخائفين مقام ربهم، والمقام مصدر ميمى بمعنى القيام مضاف الى فاعله، والمراد قيامه تعالى عليه بعمله و هو إحاطته تعالى و علمه بما عمله و حفظه له و جزاؤه عليه قال تعالى: **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** (الرعد ٣٣).

و يمكن أن يكون المقام اسم مكان و الإضافة لامية و المراد به مقامه و موقفه تعالى من عبده و هو أنه تعالى ربه الذى يدبر أمره و من تدبير أمره أنه دعاه بلسان رسله الى الإيمان و العمل الصالح و قضى أن يجازيه على ما عمل خيرا أو شرا هذا و هو محيط به و هو معه سميع بما يقول بصير بما يعمل لطيف خبير.

و الخوف من الله تعالى ربما كان خوفا من عقابه تعالى على الكفر به و معصيته، و لازمه أن يكون عباده من يعبده خوفا بهذا المعنى يراد بها التخلص من العقاب لا- لوجه الله محضا و هو عباده العبيد يعبدون موليهم خوفا من السياسه كما أن عباده من يعبده طمعا فى الثواب غايتها الفوز بما تشتهي النفس دون وجهه الكريم و هى عباده التجار كما فى الروايات و قد تقدم شطر منها.

و الخوف المذكور فى الآيه- و لمن خاف مقام ربه- ظاهره غير هذا الخوف فإن هذا خوف من العقاب و هو غير الخوف من قيامه تعالى على عبده بما عمل أو الخوف من مقامه تعالى من عبده فهو تأثر خاص ممن ليس له إلا الصغار و الحقاره تجاه ساحه العظمه و الكبرياء، و ظهور أثر المذله و الهوان و الاندكاك قبال العزه و الجبروت المطلقين.

و عبادته تعالى خوفا منه بهذا المعنى من الخوف خضوع له تعالى لأنه الله ذو الجلال و الإكرام لا لخوف من عقابه و لا طمعا فى ثوابه بل فيه إخلاص العمل لوجهه الكريم، و هذا المعنى من الخوف هو الذى وصف الله به المكرمين من ملائكته و هم معصومون آمنون من عقاب المخالفه و تبعه المعصيه قال تعالى: **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ** (النحل ٥٠).

فتبين مما تقدم أن الذين أشار اليهم بقوله: «**وَلِمَنْ خَافَ**» أهل الإخلاص الخاضعون

لجلاله تعالى العابدون له لأنه الله عز اسمه لا خوفا من عقابه ولا طمعا في ثوابه، ولا يبعد أن يكونوا هم الذين سمو سابقين في قوله: وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً - إلى أن قال- وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (الواقعه ١١).

وقوله: جَنَّاتٍ قِيلَ: إحداهما منزله و محل زياره أحبابه له و الاخرى منزل أزواجه و خدمه، وقيل: بستانان بستان داخل قصره و بستان خارجه، وقيل: منزلا ينقل من أحدهما إلى الآخر ليكمل به التذاذه، وقيل: جنه لعقيده و جنه لعمله، وقيل: جنه لفعل الطاعات و جنه لترك المعاصي، وقيل: جنه جسمانيه و جنه روحانيه و هذه الأقوال- كما ترى- لا دليل على شيء منها.

وقيل: جنه يثاب بها و جنه يتفضل بها عليه، و يمكن أن يستشعر ذلك من قوله تعالى:

لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ (ق ٣٥)، على ما مر في تفسيره.

قوله تعالى: ذَوَاتَا أَفْتَانٍ ذواتا تشبه ذات، و «أَفْتَانٍ» إما جمع فنّ بمعنى النوع و المعنى: ذواتا أنواع من الثمار و نحوها، و إما جمع فنن بمعنى الغصن الرطب اللين و المعنى: ذواتا أغصان لينة أشجارهما.

قوله تعالى: فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ و قد أبهمت العينان و فيه دلالة على فخامه أمرهما.

قوله تعالى: فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ أى صنفان قيل: صنف معروف لهم شاهدوه في الدنيا و صنف غير معروف لم يروه في الدنيا، وقيل: غير ذلك، و لا دلالة في الكلام على شيء من ذلك.

قوله تعالى: مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ الخ؛ الفرش جمع فراش، و البطائن جمع بطانه و هي داخل الشيء و جوفه مقابل الظهائر جمع ظهره، و الاستبرق الغليظ قال في المجمع: ذكر البطانه و لم يذكر الظهاره لأن البطانه تدل على

أن لها ظهاره و البطانه دون الظهاره فدلّ على أن الظهاره فوق الإستبرق، انتهى.

و قوله: وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانَ الْجَنَا الثمر المجتنى و «دان» اسم فاعل من الدنوّ بمعنى القرب أى ما يجتنى من ثمار الجنتين قريب.

قوله تعالى: فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ؛ ضمير «فِيهِنَّ» للفرش و جَوَزَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْجَنَانِ فَإِنَّهَا جَنَانٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِنْهَا جَنَّتَانِ، و الطرف جفن العين، و المراد بقصور الطرف اكتفاؤهن بأزواجهن فلا يردن غيرهم.

و قوله: لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ الطمئ الافضاض و النكاح بالتدميه، و المعنى: لم يمسسهن بالنكاح إانس و لا جان قبل أزواجهن.

قوله تعالى: كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ أَى فى صفاء اللون و البهاء و التلاؤ.

قوله تعالى: هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ استفهام إنكارى فى مقام التعليل لما ذكر من إحسانه تعالى عليهم بالجنتين و ما فيهما من أنواع النعم و الآلاء فيفيد أنه تعالى يحسن اليهم هذا الإحسان جزاء لإحسانهم بالخوف من مقام ربهم.

و تفيد الآيه أن ما أوتوه من الجنة و نعيمها جزاء لأعمالهم و أما ما يستفاد من بعض الآيات أنهم يعطون فضلا وراء جزاء أعمالهم فلا تعرض فى هذه الآيات لذلك إلا أن يقال: الإحسان إنما يتم إذا كان يربو على ما أحسن به المحسن اليه فإطلاق الإحسان فى قوله: «إِلَّا الْإِحْسَانُ» يفيد الزيادة.

قوله تعالى: وَ مِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ضمير التشبيه للجنتين الموصوفتين فى الآيات السابقه و معنى «مِنْ دُونِهِمَا» أى أنزل درجه و أحط فضلا و شرفا منهما و إن كانتا شبيهتين بالجنتين السابقتين فى نعمهما و آلائهما، و قد تقدم أن الجنتين السابقتين لأهل الإخلاص الخائفين مقام ربهم فهاتان الجنتان لمن دونهم من المؤمنين العابدين لله سبحانه خوفا من النار أو طمعا فى الجنة و هم أصحاب اليمين.

قوله تعالى: مُدَّهَا مُتَّانِ الْاَدْهِمَامِ مِنَ الدَّهْمَةِ اشْتِدَادِ الْخَضْرَى بِحَيْثُ تُضْرَبُ إِلَى السَّوَادِ وَ هُوَ ابْتِهَاجُ الشَّجَرَةِ.

قوله تعالى: فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ أَيْ فَوَارَتَانِ تَخْرُجَانِ مِنْ مَنبَعِهِمَا بِالْدَّفْعِ.

قوله تعالى: فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُْمَانٌ الْمَرَادُ بِالْفَاكِهَةِ وَ الرَّمَانِ شَجَرَتُهُمَا بِقَرِينِهِ النَّخْلِ.

قوله تعالى: فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ضَمِيرٌ «فِيهِنَّ» لِلجَنَانِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا جَنَّتَانِ مِنَ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ، وَقِيلَ: مَرْجِعُ الضَّمِيرِ الْجَنَاتِ الْأَرْبَعِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَاتِ، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلْفَاكِهَةِ وَ النَّخْلِ وَ الرَّمَانِ.

وَ أَكْثَرُ مَا يَسْتَعْمَلُ الْخَيْرَ فِي الْمَعْنَى كَمَا أَنَّ أَكْثَرَ اسْتِعْمَالِ الْحَسَنِ فِي الصُّورِ، وَ عَلَى هَذَا فَمَعْنَى خَيْرَاتِ حَسَانٍ أَنَّهُنَّ حَسَانٌ فِي أَخْلَاقِهِنَّ حَسَانٌ فِي وَجُوهِهِنَّ.

قوله تعالى: حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ الْخِيَامُ جَمْعُ خَيْمَةٍ وَ هِيَ الْفَسْطَاطُ، وَ كَوْنُهُنَّ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ أَنَّهُنَّ مَصُونَاتٌ غَيْرُ مَبْتَدَلَاتٍ لَا نَصِيبَ لغيرِ أَزْوَاجِهِنَّ فِيهِنَّ.

قوله تعالى: لَمْ يَطْمِئُنَّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ تَقَدَّمَ مَعْنَاهُ.

قوله تعالى: مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حَسَانٍ فِي الصَّحَاحِ:

الرَّفْرَفُ ثِيَابُ خَضْرٍ تَتَّخِذُ مِنْهَا الْمَجَالِسُ. انْتَهَى. وَقِيلَ: هِيَ الْوَسَائِدُ، وَقِيلَ: غيرِ ذَلِكَ، وَ الْخُضْرُ جَمْعُ أَخْضَرَ صَفْهُ لِرَّفْرَفٍ، وَ الْعَبْقَرِيُّ قِيلَ: الزَّرَابِيُّ، وَقِيلَ: الطَّنَافِسُ، وَقِيلَ: الثِّيَابُ الْمَوْشَاةُ، وَقِيلَ: الدِّيَابِجُ.

قوله تعالى: تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ ثَنَاءٌ جَمِيلٌ لَهُ تَعَالَى بِمَا امْتَلَأَتِ الشَّأْتَانِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ بِنِعْمَةٍ وَ آلَائِهِ وَ بَرَكَاتِهِ النَّازِلَةِ مِنْ عِنْدِهِ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ، وَ بِذَلِكَ يَظْهَرُ أَنَّ الْمَرَادَ بِاسْمِهِ الْمَتَبَارَكِ هُوَ الرَّحْمَنُ الْمَفْتَتِحُ بِهِ السُّورَةَ، وَ التَّبَارَكَ كَثْرَةُ الْخَيْرَاتِ وَ الْبَرَكَاتِ الصَّادِرَةِ.

فقوله: تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ تبارك الله المسمى بالرحمن بما أفاض هذه الآلاء.

وقوله: ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ إشاره الى تسميه بأسمائه الحسنی و اتصافه بما يدل عليه من المعانى الوصفیه و نعوت الجلال و الجمال، و لصفات الفاعل ظهور فى أفعاله و أثر فيها يرتبط به الفعل بفاعله فهو تعالى خلق الخلق و نظم النظام لأنه بديع خالق مبدئ فأتقن الفعل لأنه عليم حكيم و جازى أهل الطاعه بالخير لأنه ودود شكور غفور رحيم و أهل الفسق بالشر لأنه منتقم شديد العقاب.

فتوصيف الرب-الذى أثنى على سعه رحمته-بذی الجلال و الإكرام للإشاره الى أن لأسمائه الحسنی و صفاته العلیا دخلا فى نزول البركات و الخيرات من عنده، و أن نعمه و آلاءه علیها طابع أسمائه الحسنی و صفاته العلیا تبارك و تعالى (١).

ص: ١٧٠

---

١-١). الرحمن ٣١-٧٨: بحث روائى فى: من خاف مقام ربه؛ الحور العين؛ جزاء الاحسان؛ الخيرات الحسان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَ  
بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُبَدَّنًا (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ  
مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠)

تصف السوره القيامه الكبرى التى فيها بعث الناس و حسابهم و جزاؤهم فتذكر أولا شيئا من أهوالها مما يقرب من الإنسان و الأرض التى يسكنها فتذكر تقليبيها للأوضاع و الأحوال بالخفض و الرفع و ارتجاج الأرض و انبثاث الجبال و تقسم الناس الى ثلاثة أزواج إجمالاً ثم تذكر ما ينتهى اليه حال كل من الأزواج السابقين و أصحاب اليمين و أصحاب الشمال.

ثم تحتج على أصحاب الشمال المنكرين لرؤبويته و للبعث المكذبين بالقرآن الداعى الى التوحيد و الإيمان بالبعث. ثم تختم الكلام بذكر الاحتضار بنزول الموت و انقسام الناس الى ثلاثة أزواج.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: **إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ** وقوع الحادثه هو حدوثها، و الواقعه صفه توصف بها كل حادثه، و المراد بها هاهنا واقعہ القيامه و قد أطلقت إطلاقاً الأعلام كأنها لا تحتاج الى موصوف مقدر و لذا قيل: إنها من أسماء القيامه فى القرآن كالحاقه و القارعه و الغاشيه.

و الجمله «**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**» مضمينه معنى الشرط و لم يذكر جزاء الشرط إعظاماً له و تفخيماً لأمره و هو على أى حال أمر مفهوم مما ستصفه السوره من حال الناس يوم القيامه، و التقدير نحو من قولنا: فاز المؤمنون و خسر الكافرون.

قوله تعالى: **لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ** قال فى المجمع: الكاذبه مصدر كالعافيه و العاقبه.

انتهى. و عليه فالمعنى: ليس فى وقعته و تحققها كذب، و قيل: كاذبه صفه محذوفه الموصوف و التقدير: ليس لوقعته قضيه كاذبه.

قوله تعالى: **خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ** خبران مبتدؤهما الضمير الراجع الى الواقعه، و الخفض خلاف الرفع و كونها خافضه رافعه كناية عن تقليبيها نظام الدنيا المشهود فتظهر السرائر و هى



محجوبه اليوم و تحجب و تستر آثار الأسباب و روابطها و هى ظاهره اليوم و تدلّ الأعزّه من أهل الكفر و الفسق و تعزّ المتقين.

قوله تعالى: إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا رَجَّ الرِّجَّ تحريك الشىء تحريكا شديدا إشاره الى زلزاله الساعة التى يعظمها الله سبحانه فى قوله: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (الحج / ١)، و قد عظمها فى هذه الآيه حيث عبّر عنها برجّ الأرض ثم أكد شدتها بتكثير قوله: «رَجًّا» أى رجلا يوصف شدته. و الجملة بدل أو بيان لقوله: «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» .

قوله تعالى: وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَثًا عَظْفَ عَلَى «رُجَّتِ» و البسّ الفتّ و هو عود الجسم بدق و نحوه أجزاء صغارا متلاشيه كالدقيق، و قيل: البس هو التسيير فهو فى معنى قوله: وَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ (النبأ ٢٠).

و قوله: فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَثًا هبء قيل: هو الغبار و قيل: هو الذرّه من الغبار الظاهر فى شعاع الشمس الداخلى من كوّه، و الانبثاى التفرق، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً الزوج بمعنى الصنف و الخطاب لعامه البشر.

قوله تعالى: فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ متفرع على ما قبلها تفرع البيان على الميّن، فهذه الآيه و الآيتان بعدها بيان للأزواج الثلاثة.

و الميمنه من اليمن مقابل الشؤم، فأصحاب الميمنه أصحاب السعاده و اليمن مقابل أصحاب المشأمه أصحاب الشقاء و الشؤم، و ما قيل: إن المراد بالميمنه اليمين، أى ناحيه اليمين لأنهم يؤتون كتابهم بيمينهم و غيرهم يؤتونه بشمالهم يرده مقابله أصحاب الميمنه بأصحاب المشأمه، و لو كان كما قيل لقل أصحاب الشمال و هو ظاهر.

و ما فى قوله: مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ استفهاميه و مبتدأ خبره «أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ»، و المجموع خبر لقوله: «أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» و فى الاستفهام إعظام لأمرهم و تفخيم لشأنهم.

قوله تعالى: وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ المشأمه مصدر

كالشؤم مقابل اليمين، و الميمنه و المشأمه السعاده و الشقاء.

قوله تعالى: وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الَّذِي يَصْلَحُ أَنْ يَفْسَرَ بِهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُ قَوْلَهُ تَعَالَى: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ (فاطر ٣٢)، و قوله: وَ لِكُلِّ وَجْهٍ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ (البقره ١٤٨)، و قوله: أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ (المؤمنون ٦١).

فالمراد بالسابقين-الأول-في الآيه السابقون بالخيرات من الأعمال، و إذا سبقوا بالخيرات سبقوا الى المغفره و الرحمه التي بإزائها كما قال تعالى: لَسَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ (الحديد ٢١)، فالسابقون بالخيرات هم السابقون بالرحمه و هو قوله: «وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ».

و قيل: المراد بالسابقون الثاني هو الأول على حد قوله:

أنا أبو النجم و شعري شعري

و قوله: وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مبتدأ و خبر، و قيل: الأول مبتدأ و الثاني تأكيد، و الخبر قوله: «أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ».

و لهم في تفسير السابقين أقوال آخر فقيل: هم المسارعون الى كل ما دعا الله اليه، و قيل:

هم الذين سبقوا الى الإيمان و الطاعه من غير توان، و قيل: هم الأنبياء عليهم السلام لأنهم مقدمو أهل الأديان، و قيل: هم مؤمن آل فرعون و حبيب النجار المذكور في سوره يس و على عليه السلام السابق الى الإيمان بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم و هو أفضلهم (١).

## [سوره الواقعة (٥٦): الآيات ١١ الى ٥٦]

أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ (١٣) وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مَّخْلُودُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَ أَبَارِيقٍ وَ كَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ (١٨) لَا يَصِفُ دَعْوَانِهَا وَ لَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَ فَاكِهِهٖ مِمَّا يَخْتَارُونَ (٢٠) وَ لَحْمٌ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَ حُرُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللَّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا تَأْتِيماً (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا (٢٦) وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَ طَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَ ظِلٌّ مَّمدُودٍ (٣٠) وَ مَاءٌ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَ فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَ لَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَ فُرُشٌ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) غُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ (٣٩) وَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠) وَ أَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ (٤٢) وَ ظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا يَارِدٌ وَ لَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَ كَانُوا يُصْرَثُونَ عَلَى الْحَنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَ كَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوْلَىٰ وَ الْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ (٥١) لَمَّا كَلْتُمْ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ (٥٢) فَمَالُوا مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَسَارِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيمِ (٥٤) فَسَارِعُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ (٥٥) هَذَا نَزَّلْنَاهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)

---

١-١). الواقعة ١-١٠: بحث روائي في: القيامة، السابقون إلى الجنّة.





قوله تعالى: **أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** فِي **جَنَّاتِ النَّعِيمِ** الإِشَارَةُ بِأَوْلَائِكَ إِلَى السَّابِقِينَ، وَ «**أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**» مَبْتَدَأٌ وَ خَبْرٌ، وَ الْجُمْلَةُ اسْتِثْنَائِيَّةٌ، وَ قِيلَ: خَبْرٌ لِقَوْلِهِ: «**وَ السَّابِقُونَ**»، وَ قِيلَ: مَبْتَدَأٌ خَبْرُهُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَ أَوَّلُ الْوَجْهِ الثَّلَاثَةُ أَوْجُهُ بِالنَّظَرِ إِلَى سِيَاقِ تَقْسِيمِ النَّاسِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَزْوَاجٍ أَوْلَا ثُمَّ تَفْصِيلُ مَا يَنْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرٌ كُلِّ مِنْهُمْ.

وَ الْقُرْبُ وَ الْبَعْدُ مَعْنِيَانِ مُتَضَائِفَانِ تَتَصَفَّ بِهُمَا الْأَجْسَامُ بِحَسَبِ النَّسْبَةِ الْمَكَانِيَّةِ ثُمَّ تَوْسِعُ فِيهِمَا فَاعْتَبَرُوا فِي غَيْرِ الْمَكَانِ مِنَ الزَّمَانِ وَ نَحْوِهِ، يُقَالُ: الْغَدُ قَرِيبٌ مِنَ الْيَوْمِ وَ الْأَرْبَعَةُ أَقْرَبُ إِلَى الثَّلَاثَةِ مِنَ الْخَمْسَةِ، وَ الْخَضِرَةُ أَقْرَبُ إِلَى السَّوَادِ مِنَ الْبَيَاضِ ثُمَّ تَوْسِعُ فِيهِمَا فَاعْتَبَرَا فِي غَيْرِ الْأَجْسَامِ وَ الْجِسْمَانِيَّاتِ مِنَ الْحَقَائِقِ.

وَ قَدْ اعْتَبَرَ الْقُرْبُ وَ صِفَا لَهُ تَعَالَى بِمَا لَهُ مِنَ الْإِحْاطَةِ بِكُلِّ شَيْءٍ، قَالَ تَعَالَى: **وَ إِذَا سَأَلْتَهُ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ** (البقرة ١٨٦)، وَ قَالَ: **وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ** (الواقعه / ٨٥)، وَ قَالَ: **وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** (ق ١٦). وَ هَذَا الْمَعْنَى أَعْنَى كَوْنِهِ تَعَالَى

أقرب الى الشيء من نفس أعجب ما يتصور من معنى القرب، وقد أشرنا الى تصويره في تفسير الآيه.

و اعتبر القرب أيضا وصفا للعباد في مرحله العبوديه و لما كان أمرا اكتسابيا يستعمل فيه لفظ التقرب فالعبد يتقرب بصالح العمل الى الله سبحانه و هو وقوعه في معرض شمول الرحمه الإلهيه بزوال أسباب الشقاء و الحرمان، و الله سبحانه يقرب العبد بمعنى إنزاله منزله يختص بنيل ما لا- يناله من دونه من إكرامه تعالى و مغفرته و رحمته، قال تعالى: **كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ** (المطففين ٢١)، و قال: **و مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ** (المطففين ٢٨).

فالمقربون هم النمط الأعلى من أهل السعاده كما يشير اليه قوله: **«و السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ»** و لا يتم ذلك إلا بكمال العبوديه كما قال: **لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ** (النساء ١٧٢)، و لا- تكمل العبوديه إلا بأن يكون العبد تبعا محضا في إرادته و عمله لمولاه لا يريد و لا يعمل إلا ما يريده و هذا هو الدخول تحت ولايه الله فهؤلاء هم أولياء الله.

و قوله: **فِي جَدَاتِ النَّعِيمِ** أى كل واحد منهم في جنه النعيم فالكل في جنات النعيم، و يمكن أن يراد به أن كلا منهم في جنات النعيم لكن يبعده قوله في آخر السوره: **«فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ»**.

و قد تقدم غير مره أن النعيم هى الولايه و أن جنه النعيم هى جنه الولايه و هو المناسب لما تقدم آنفا أن المقربين هم أهل ولايه الله.

قوله تعالى: **ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولِيْنَ وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ** الثلثه-على ما قيل - الجماعه الكثيره، و المراد بالأولين الامم الماضون للأنبياء السابقين، و بالآخرين هذه الامه على ما هو المعهود من كلامه تعالى في كل موضع ذكر فيه الأولين و الآخرين معا و منها ما

سيأتى من قوله: «أَنَا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ» فمعنى الآيتين: هم أى المقربون جماعه كثيره من الامم الماضين و قيل من هذه الامه.

قوله تعالى: عَلِيٌّ سِرٌّ مَوْضُوعُهُ مُتَكَيِّنٌ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ الْوَضْنَ النَّسَجِ وَقِيلَ: نَسَجَ الدَّرْعَ وَإِطْلَاقَهُ عَلَىٰ نَسَجِ السَّرْرِ اسْتِعَارَهُ يَرَادُ بِهَا إِحْكَامُ نَسَجِهَا.

و قوله: مُتَكَيِّنٌ عَلَيْهَا حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْعَائِدِ إِلَىٰ الْمُقَرَّبِينَ وَالضَّمِيرِ لِلسَّرْرِ، وَقَوْلُهُ: «مُتَقَابِلِينَ» حَالٌ آخِرٌ مِنْهُ أَوْ مِنْ ضَمِيرِ «مُتَكَيِّنٌ» وَتَقَابِلُهُمْ كُنَايَةٌ عَنْ بُلُوغِ انْسِهَامِهِمْ وَحَسَنِ عَشْرَتِهِمْ وَصَفَاءِ بَاطِنِهِمْ فَلَا يَنْظُرُونَ فِي قِفَاءِ صَاحِبِهِمْ وَلَا يَعْجَبُونَ وَلَا يَغْتَابُونَ.

و المعنى: هم أى المقربون مستقرون على سرر منسوجه حال كونهم متكئين عليها حال كونهم متقابلين.

قوله تعالى: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ الْوِلْدَانَ جَمْعٌ وَلَدٌ وَهُوَ الْغُلَامُ، وَطَوَافُهُمْ عَلَيْهِمْ كُنَايَةٌ عَنْ خِدْمَتِهِمْ لَهُمْ، وَالْمُخَلَّدُونَ مِنَ الْخُلُودِ بِمَعْنَى الدَّوَامِ أَيْ بَاقُونَ أَبَدًا عَلَىٰ هَيْئَتِهِمْ مِنْ حَدَاثَةِ السِّنِّ، وَقِيلَ مِنَ الْخُلْدِ بِفَتْحَتَيْنِ وَهُوَ الْقِرْطُ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ مُقَرَّبُونَ بِالْخُلْدِ.

قوله تعالى: بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ الْأَكْوَابُ جَمْعُ كُوبٍ وَهُوَ الْإِنَاءُ الَّذِي لَا عَرُوهَ لَهُ وَلَا خِرْطُومَ، وَالْأَبَارِيقُ جَمْعُ إِبْرِيقٍ وَهُوَ الْإِنَاءُ الَّذِي لَهُ خِرْطُومٌ، وَقِيلَ:

عَرُوهَ وَخِرْطُومَ مَعًا، وَالْكَأْسُ مَعْرُوفٌ، وَقِيلَ: أُفْرِدَ الْكَأْسَ لِأَنَّهَا لَا تَسْمَىٰ كَأْسًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَمْتَلئَةً، وَالْمُرَادُ بِالْمَعِينِ الْخَمْرَ الْمَعِينُ وَهُوَ الظَّاهِرُ لِلْبَصْرِ الْجَارِي.

قوله تعالى: لَا يَصِيءُ دَعْوَانَ عَشِيرَاتٍ وَلَا يُنْزِفُونَ أَيْ لَا يَأْخُذُهُمْ صَدَاعٌ لِأَجْلِ خَمَارٍ يَحْصُلُ مِنَ الْخَمْرِ كَمَا فِي خَمْرِ الدُّنْيَا وَلَا يَزُولُ عَقْلُهُمْ بِالسُّكْرِ الْحَاصِلِ مِنْهَا.

قوله تعالى: وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ الْفَاكِهَةُ وَالطَّيْرُ



معطوفان على قوله: «بِأَكْوَابٍ»، و المعنى: يطوف عليهم الولدان بفاكهه مما يختارون و بلحم طير مما يشتهون.

قوله تعالى: وَ حُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ مبتدأ محذوف الخبر على ما يفيدته السياق و التقدير و لهم حور عين أو و فيها حور عين و الحور العين نساء الجنه و قد تقدم معنى الحور العين فى تفسير سوره الدخان.

و قوله: كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ أى اللؤلؤ المصون المخزون فى الصدف لم تمسه الأيدى فهو منته فى صفائه.

قوله تعالى: جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قيد لجميع ما تقدم و هو مفعول له، و المعنى:

فعلنا بهم ما فعلنا ليكون جزاء لهم قبال ما كانوا يستمرون عليه من العمل الصالح.

قوله تعالى: لَا يَسْتَمِعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهِنَّ اللَّغْوُ من القول ما لا فائده فيه و لا أثر يترتب عليه، و التأثيم النسبه الى الإثم أى لا يخاطب أحدهم صاحبه بما لا فائده فيه و لا ينسبه الى الإثم إذ لا إثم هناك، و فسر بعضهم التأثيم بالكذب.

قوله تعالى: إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا استثناء منقطع من اللغو و التأثيم، و القيل مصدر كالقول، و «سَلَامًا» بيان لقوله: «قِيلًا» X و تكراره يفيد تكرر الوقوع، و المعنى: إلا قولاً هو السلام بعد السلام.

قيل: و يمكن أن يكون «سَلَامًا» مصدرا بمعنى الوصف و صفه لقليلاً، و المعنى: إلا قولاً هو سالم.

قوله تعالى: وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ شروع فى تفصيل ما انتهى اليه حال أصحاب اليمينه و فى تبديله من أصحاب اليمين يعلم أن أصحاب اليمين و أصحاب اليمينه واحد و هم الذين يؤتون كتابهم بيمينهم. و الجملة استفهاميه مسوقه لتفخيم أمرهم و التعجيب من حالهم و هى خبر لقوله: «وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ» .

قوله تعالى: فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ السدر شجره النبق، والمخضود ما قطع شوكة فلا شوكة له.

قوله تعالى: وَ طَلْحٍ مَّنْضُودٍ الطلح شجر الموز، وقيل: ليس بالموز بل شجر له ظل بارد رطب، وقيل: شجره ام غيلان لها أنوار طيبه الرائحة، ونضد الأشياء جعل بعضها على بعض، والمعنى: وفي شجر موز منضود الثمر بعضه على بعض من أسفله الى أعلاه.

قوله تعالى: وَ ظِلٌّ مَّمدُودٌ وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ قيل: الممدود من الظل هو الدائم الذي لا تنسخه شمس فهو باق لا يزول، والماء المسكوب هو المصبوب الجارى من غير انقطاع.

قوله تعالى: وَ فَاكِهِهٖ كَثِيرَهٗ لَا مَقْطُوعَهٗ وَلَا مَمْنُوعَهٗ أى لا مقطوعه فى بعض الأزمان كانقطاع الفواكه فى شتاء و نحوه فى الدنيا، و لا ممنوعه التناول لمانع من قبل أنفسهم كسامه أو شبع أو من خارج كبعد المكان أو شوكة تمنع القطف أو غير ذلك.

قوله تعالى: وَ فُرْشٍ مَّرْفُوعَهٗ الفرش جمع فراش و هو البساط، و المرفوعه العالیه، و قيل: المراد بالفرش المرفوعه النساء المرتفعات قدرا فى عقولهن و جمالهن و كمالهن و المرأه تسمى فراشا، و يناسب هذا المعنى قوله بعد: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً» الخ.

قوله تعالى: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا أَثْرَابًا أى إنا أوجدناهن و أحدثناهن و ربيناهن إحداثا و تربيه خاصه، و فيه تلويح الى أنهن لا يختلف حالهن بالشباب و الشيب و صباحه المنظر و خلافها، و قوله: «فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا» أى خلقناهن عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا.

و قوله: عُرْبًا أَثْرَابًا العرب جمع عروب و هى المتحننه الى زوجها أو الغنجه أو العاشقه لزوجها، و الأثراب جمع ترب بالكسر فالسكون بمعنى المثل أى إنهن أمثال أو أمثال فى السن لأزواجهن.

قوله تعالى: لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَىٰ وَ ثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ يتضح معناه بما تقدم، ويستفاد من الآيات أن أصحاب اليمين في الآخريين جمع كثير كالأولين لكن السابقين المقربين في الآخريين أقل جمعا منه في الأولين.

قوله تعالى: وَأَصْحَابُ الشُّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشُّمَالِ مبتدأ و خبر، و الاستفهام للتعجب و التهويل، و قد بدل أصحاب المشأمة من أصحاب الشمال إشاره الى أنهم الذين يؤتون كتابهم بشمالهم كما مرّ نظيره في أصحاب اليمين.

قوله تعالى: فِي سَيْمُومٍ وَ حَمِيمٍ وَ ظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا يُبَارِدُ وَلَا كَرِيمٍ السّموم على ما في الكشاف -حر نار ينفذ في المسام، و الحميم الماء الشديد الحرارة، و التنوين فيهما لتعظيم الأمر، و يحموم الدخان الأسود، و قوله: «لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ» الظاهر أنهما صفتان للظل لا ليحموم، و ذلك أن الظل هو الذي يتوقع منه أن يتبرّد بالاستظلال به و يستراح فيه دون الدخان.

قوله تعالى: إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ تعليل لاستقرار أصحاب الشمال في العذاب، و الإشارة بذلك الى ما ذكر من عذابهم يوم القيامة، و إتراف النعمة الإنسان إبطارها و إطغاؤها له، و ذلك إشغالها نفسه بحيث يغفل عما وراءها فكون الإنسان مترفا تعلقه بما عنده من نعم الدنيا و ما يطلبه منها سواء كانت كثيرة أو قليلة.

قوله تعالى: وَ كَانُوا يُصَيَّرُونَ عَلَى الْحَنْثِ الْعَظِيمِ في المجمع: الحنث نقض العهد المؤكد بالحلف، و الإصرار أن يقيم عليه فلا يقلع عنه. انتهى. و لعل المستفاد من السياق أن إصرارهم على الحنث العظيم هو استكبارهم عن عبوديه ربهم التي عاهدوا الله عليها بحسب فطرتهم و أخذ منهم الميثاق عليها في عالم الذرّ فيطيعون غير ربهم و هو الشرك المطلق.

و قيل: الحنث الذنب العظيم فتوصيفه بالعظيم مبالغه و الحنث العظيم الشرك بالله، و قيل:

الحنث العظيم جنس المعاصى الكبيره، وقيل: هو القسم على إنكار البعث المشار اليه بقوله تعالى: **وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَنْتَعِثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ** (النحل ٣٨)، و لفظ الآيه مطلق.

قوله تعالى: **وَ كَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ آبَاءُنَا الْأَوَّلُونَ** قول منهم مبنى على الاستبعاد و لذا أكدوا استبعاد بعث أنفسهم بعث آباءهم لأن الاستبعاد فى موردهم أكد، و التقدير أو آباؤنا الأولون مبعوثون.

قوله تعالى: **قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ** أمر منه تعالى لنبىه صلى الله عليه و آله و سلم أن يجيب عن استبعادهم البعث بتقريره ثم إخبارهم عما يعيشون به يوم البعث من طعام و شراب و هما الزقوم و الحميم.

و محصل القول أن الأولين و الآخرين-من غير فرق بينهم لا كما فرّقوا فجعلوا بعث أنفسهم مستبعدا و بعث آباءهم الأولين أشد استبعادا و أكد-لمجموعون محشورين الى ميقات يوم معلوم.

و الميقات ما وقت به الشىء و هو وقته المعين، و المراد بيوم معلوم يوم القيامة المعلوم عند الله فإضافه الميقات الى يوم معلوم بيانيه.

قوله تعالى: **تُمْ إِنَّكُمْ أَنفُسُكُمُ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونَ** من تمام كلام النبى صلى الله عليه و آله و سلم يخبرهم عما ينتهى اليه حالهم يوم القيامة و يعيشون به من طعام و شراب.

و فى خطابهم بالضالين المكذبين إشاره الى ملاك شقائهم و خسرانهم يوم البعث و هو ضلالهم عن طريق الحق و استقرار ذلك فى نفوسهم باستمرارهم عن تكذيبهم و إصرارهم على الحنث، و لو كانوا ضالين فحسب من غير تكذيب لكان من المرجو أن ينجوا و لا يهلكوا.

و «مِنْ» في قوله: «مِنْ شَجَرٍ لِلابتداء، و في قوله: «مِنْ زُقُومٍ» بيانيه و يحتمل أن يكون «مِنْ زُقُومٍ» بدلا من «مِنْ شَجَرٍ»، و ضمير «مِنْهُمَا» للشجر أو الثمر و كل منهما يؤنث و يذكر و لذا جيء هاهنا بضمير التأنيث و في الآية التالية في قوله: «فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ» بضمير التذكير، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ كلمه «على» للاستعلاء و تفيد في المورد كون الشرب عقيب الأكل من غير ريث، و الهيم جمع هيماء الإبل التي أصابها الهيام بضم الهاء و هو داء شبه الاستسقاء يصيب الإبل فتشرب الماء حتى تموت أو تسقم سقما شديدا، و قيل: الهيم الرمال التي لا تروى بالماء.

و المعنى: فشاربون عقيب ما أكلتم من الزقوم من الماء الشديد الحرارة فشاربون كشرب الإبل الهيم أو كشرب الرمال الهيم و هذا آخر ما أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أن يقوله لهم.

قوله تعالى: هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ أى يوم الجزاء و النزل ما يقدم للضيف النازل من طعام و شراب إكراما له، و المعنى: هذا الذى ذكر من طعامهم و شرابهم هو نزل الضالين المكذبين ففى تسميه ما أعد لهم بالنزل نوع تهكم، و الآية من كلامه تعالى خطابا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و لو كان من كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ خطابا لهم لقليل: هذا نزلكم (١).

### [سوره الواقعة (٥٦): الآيات ٥٧ الى ٩٦]

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْ لَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَمْ أَنْتُمْ خَلَقْتُمُوهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَ نُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَمْ أَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُعْرِمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَمْ فَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَمْ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَمْ فَرَأَيْتُمُ الذَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَمْ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكَّرَةً وَ مَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤) فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَمْ فِيهِذَا الْخَبْرُ الَّذِي أَنْتُمْ تُدْعَوْنَ بِهِ وَ أَنْتُمْ لَا تَصْبِرُونَ (٨١) وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَ أَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَ رِيحَانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكذِّبِينَ الصَّالِينَ (٩٢) فَنَزَلَ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)

ص: ١٨٤





قوله تعالى: نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلِمَ لَا تُصَدِّقُونَ السياق سياق الكلام في البعث و الجزاء و قد أنكروه و كذبوا به، فقوله: «فَلِمَ لَا تُصَدِّقُونَ» تحضيض على تصديق حديث المعاد و ترك التكذيب به، و قد علله بقوله: «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ» كما يستفاد من التفریع الذى فى قوله: «فَلِمَ لَا تُصَدِّقُونَ» .

و إيجاب خلقه تعالى لهم و جوب تصديقه فيما يخبر به من المعاد من وجهين: أحدهما: أنه تعالى خلقهم أول مره فهو قادر على إعادته خلقهم ثانيا كما قال: قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (يس ٧٩).

و ثانيهما: أنه تعالى لما كان هو خالقهم و هو المدبر لأمرهم المقدر لهم خصوصيات خلقهم و أمرهم فهو أعلم بما يفعل بهم و سيجرى عليهم فإذا أنبأهم بأنه سيبعثهم بعد موتهم و يجزيهم بما عملوا إن خيرا و إن شرا لم يكن بد من تصديقه فلا عذر لمن كذب بما أخبر به كتابه من البعث و الجزاء، قال تعالى: أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (الملك ١٤)، و قال:

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (الأنبياء ١٠٤)، و قال: وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (النساء ١٢٢).

فمحصل الآيه: نحن خلقناكم و نعلم ما فعلنا و ما سنفعل بكم فنخبركم أننا سنبعثكم و نجزيكم بما عملتم فهلا تصدقون بما نخبركم به فيما أنزلناه من الكتاب.

قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا نَارَ الْقُدْسِ آيَةً لِلنَّبِيِّينَ وَ جَعَلْنَا نُورًا لِقُلُوبِهِمْ وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَظِعِهَا فَتَلَاوَنُوا أَنفُسَهُمْ وَ كَذَبُوا بِالْوَعْدِ أَلَمْ يَتَفَكَّرُوا (النور ٢١) فى أرحام النساء.

قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّا جَعَلْنَا نَارَ الْقُدْسِ آيَةً لِلنَّبِيِّينَ وَ جَعَلْنَا نُورًا لِقُلُوبِهِمْ وَ جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَظِعِهَا فَتَلَاوَنُوا أَنفُسَهُمْ وَ كَذَبُوا بِالْوَعْدِ أَلَمْ يَتَفَكَّرُوا (النور ٢١) فى أرحام النساء.



قوله تعالى: نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْمُومِينَ تدبير أمر الخلق بجميع شئونه و خصوصياته من لوازم الخلق بمعنى إفاضه الوجود فوجود الإنسان المحدود بأول كينونته الى آخر لحظه من حياته الدنيا بجميع خصوصياته التي تتحول عليه بتقدير من خالقه عزّ و جل. فموته أيضا كحياته بتقدير منه، و ليس يعتريه الموت لنقص من قدره خالقه أن يخلقه بحيث لا يعتريه الموت أو من جهة أسباب و عوامل تؤثر فيه بالموت فتبطل الحياه التي أفاضها عليه خالقه تعالى فإن لازم ذلك أن تكون قدرته تعالى محدوده ناقصه و أن يعجزه بعض الأسباب و تغلب إرادته إرادته و هو محال كيف؟ و القدره مطلقه و الإراده غير مغلوبه.

قوله تعالى: عَلِيٌّ أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالِكُمْ وَ نُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ «عَلِيٌّ» متعلقه بقوله: «قَدَرْنَا» و جمله الجار و المجرور في موضع الحال أي نحن قدرنا بينكم الموت حال كونه على أساس تبديل الأمثال و الإنشاء فيما لا تعلمون.

و الأمثال جمع مثل بالكسر فالسكون و مثل الشيء ما يتحد معه في نوعه كالفرد من الإنسان بالنسبه الى فرد آخر، و المراد بقوله: «أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالِكُمْ» أن نبدل أمثالكم من البشر منكم أو نبدل أمثالكم مكانكم، و المعنى على أي حال تبديل جماعه من أخرى و جعل الأخلاف مكان الأسلاف.

و قوله: وَ نُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ «مَا» موصوله و المراد به الخلق و جمله معطوفه على «يُبَدَّلَ» و التقدير و على أن ننشئكم و نوجدكم في خلق آخر لا تعلمونه و هو الوجود الاخرى غير الوجود الدنيوى الفانى.

و محصل معنى الآيتين أن الموت بينكم إنما هو بتقدير منا لا لنقص في قدرتنا بأن لا يتيسر لنا إدامه حياتكم و لا لغلبه الأسباب المهلكه المبيده و قهرها و تعجزها لنا في حفظ حياتكم و إنما قدرناه بينكم على أساس تبديل الأمثال و إذهاب قوم و الإتيان بآخرين و إنشاء خلق

لكم يناسب الحياه الآخره وراء الخلق الدنيوى الدائر فالموت انتقال من دار الى دار و تبدل خلق الى خلق آخر و ليس بانعدام و فناء.

قوله تعالى: **وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ** المراد بالنشأه الاولى نشأه الدنيا، و العلم بها بخصوصياتها يستلزم الإذعان بنشأه اخرى خالده فيها الجزاء، فإن من المعلوم من النظام الكونى أن لا لغو و لا باطل فى الوجود فلهذا النشأه الفانيه غايه باقيه، و أيضا من ضروريات هذا النظام هدايه كل شىء الى سعادته نوعه و هدايه الإنسان تحتاج الى بعث الرسل و تشريع الشرائع و توجيه الأمر و النهى، و الجزاء على خير الأعمال و شرّها و ليس فى الدنيا فهو فى دار اخرى و هى النشأه الآخره (١).

على أنهم شاهدوا النشأه الاولى و عرفوها و علموا أن الذى أوجدها عن كتم العدم هو الله سبحانه و إذ قدر عليها أولا فهو على إيجاد مثلها ثانيا قادر، قال تعالى: **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** (يس ٧٩)، و هذا برهان على الإمكان يرتفع به استبعادهم للبعث. و بالجملة يحصل لهم بالعلم بالنشأه الاولى علم بمبادئ البرهان على إمكان البعث فيرتفع به استبعاد البحث فلا استبعاد مع الإمكان.

و هذا- كما ترى- و برهان على إمكان حشر الأجساد، محصله أن البدن المحشور مثل البدن الدنيوى و إذ جاز صنع البدن الدنيوى و إحيائه فليجز صنع البدن الاخرى و إحيائه لأنه مثله و حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد.

قوله تعالى: **أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ** -الى قوله- **مَحْرُومُونَ** بعد ما ذكرهم بكيفيه خلق أنفسهم و تقدير الموت بينهم تمهيدا للبعث و الجزاء و كل ذلك من لوازم ربوبيته عدّ لهم امورا ثلاثه من أهم ما يعيشون به فى الدنيا و هى الزرع الذى يقتاتون به و الماء الذى يشربونه

ص: ١٨٩

و النار التي يصطلون بها و يتوسلون بها الى جمل من مآربهم، و تثبت بذلك ربوبيته لهم فليست الربوبية إلا التدبير عن ملك.

فقال: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ الحِثَّ العمل في الأرض و إلقاء البذر عليها «أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ» أي تبتونه و تنموه حتى يبلغ الغايه، و ضمير «تَزْرَعُونَهُ» للبذر أو الحِثَّ المعلوم من المقام «أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» المنبتون المنمون حتى يكمل زرعاً «لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا» أي هشيمًا متكسراً متفتتاً «فَظَلْتُمْ» أي فظللتم و صرتم «تَفَكَّهُونَ» أي تتعجبون مما أصيب به زرعكم و تتحدثون بما جرى قائلين «إِنَّا لَمُعْرَمُونَ» موقعون في الغرامه و الخساره ذهب مالنا و ضاع وقتنا و خاب سعينا «بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ» ممنوعون من الرزق و الخير.

و لا منافاه بين نفى الزرع عنهم و نسبته اليه تعالى و بين توسط عوامل و أسباب طبيعيه في نبات الزرع و نموّه فإن الكلام عائد في تأثير هذه الأسباب و صنعها، و ليس نحو تأثيرها باقتضاء من ذاتها منقطعاً عنه تعالى بل بجعله و وضعه و موهبته، و كذا الكلام في أسباب هذه الأسباب، و ينتهي الأمر الى الله سبحانه و أن الى ربك المنتهى.

قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ - الى قوله - فَلَوْلَا - تَشْكُرُونَ المزن السحاب، و قوله: «فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ» تحضيض على الشكر، و شكره تعالى جميل ذكره تعالى على نعمه و هو إظهار عبوديته قولاً و عملاً. و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ الدَّارَ الَّتِي تُورُونَ - الى قوله - وَ مَتَاعاً لِلْمُقْرِبِينَ قال في المجمع: الإيراء إظهار النار بالقدح، يقال: أوري يوري، قال: و يقال: قدح فأورى إذا أظهر فإذا لم يور يقال: قدح فأكبي، و قال: و المقوى النازل بالقواء من الأرض ليس بها أحد، و أقوت الدار خلت من أهلها. انتهى. و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ خطاب للنبي صلى الله عليه و آله و سلم. لما ذكر سبحانه شواهد ربوبيته لهم و أنه الذي يخلقهم و يدبر أمرهم و من تدبيره أنه سيعثهم و يجزيهم بأعمالهم

و هم مكذبون بذلك أعرض عن خطابهم و التفت الى خطاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إشعاراً بأنهم لا يفقهون القول فأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أن ينزّهه تعالى عن إشراكهم به و إنكارهم البعث و الجزاء.

فقوله: فَسَيَبِّحُ بِاسْمِ الْخَفَاءِ لَتَفْرِيعِ التَّسْبِيحِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْبَيَانِ، وَ الْبَاءُ لِلِاسْتِعَانَةِ أَوْ الْمَلَابَسَةِ، وَ الْمَعْنَى: فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَسَبِّحْ مُسْتَعِينًا بِذِكْرِ اسْمِ رَبِّكَ، أَوْ الْمُرَادُ بِالْاسْمِ الذِّكْرَ لِأَنَّ إِطْلَاقَ اسْمِ الشَّيْءِ ذَكَرَ لَهُ كَمَا قِيلَ أَوْ الْبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ لِأَنَّ تَنْزِيهَ اسْمِ الشَّيْءِ تَنْزِيهَ لَهُ، وَ الْمَعْنَى: نَزَّهَ اسْمَ رَبِّكَ مِنْ أَنْ تَذَكَرَ لَهُ شَرِيكًا أَوْ تَنْفَى عَنْهُ الْبَعْثُ وَ الْجَزَاءُ، وَ الْعَظِيمُ صِفَةُ الرَّبِّ أَوْ الْاسْمِ.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ «فَلَا أُقْسِمُ» قسم و قيل: لا زائده و أقسم هو القسم، و قيل: لا نافية و أقسم هو القسم.

و «بِمَوَاقِعِ» جمع موقع و هو المحل، و المعنى: أقسم بمحالّ النجوم من السماء، و قيل: مواقع جمع موقع مصدر ميمي بمعنى السقوط يشير به الى سقوط الكواكب يوم القيامة أو وقوع الشهب على الشياطين، أو مساقط الكواكب فى مغاربها، و أول الوجوه هو السابق الى الذهن.

قوله تعالى: وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ تعظيم لهذا القسم و تأكيد على تأكيد.

قوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ -الى قوله- رَبِّ الْعَالَمِينَ لما كان إنكارهم حديث وحدانيته تعالى فى ربوبيته و ألوهيته و كذا إنكارهم للبعث و الجزاء إنما أبدوه بإنكار القرآن النازل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ الذى فيه نبأ التوحيد و البعث كان إنكارهم منشعباً الى إنكار أصل التوحيد و البعث أصلاً، و الى إنكار ذلك بما أن القرآن يثبتهم به، فأورد تعالى أولاً بيانا لإثبات أصل الوحدانية و البعث بذكر شواهد من آياته تثبت ذلك و هو قوله: «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ» -الى قوله- وَ مَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ، و ثانياً بيانا يؤكد فيه كون القرآن الكريم كلامه المحفوظ عنده النازل منه و وصفه بأحسن أو صافه.

ف قوله: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ جوابٌ للقسم السابق، الضمير للقرآن المعلوم من السياق السابق و يستفاد من توصيفه بالكريم من غير تقييد فى مقام المدح أنه كريم على الله عزيز عنده و كريم محمود الصفات و كريم بَدَّال نَفَّاع للناس لما فيه من اصول المعارف التى فيها سعادته الدنيا و الآخرة.

و قوله: فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ وصف ثان للقرآن أى محفوظ مصون عن التغيير و التبديل، و هو اللوح المحفوظ كما قال تعالى: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (البروج / ٢٢).

و قوله: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ صفه الكتاب المكنون و يمكن أن يكون وصفا ثالثا للقرآن و مآل الوجهين على تقدير كون لا نافية واحد.

و المعنى: لا يمس الكتاب المكنون الذى فيه القرآن إلا المطهرون أو لا يمس القرآن الذى فى الكتاب إلا المطهرون.

و الكلام على أى حال مسوق لتعظيم أمر القرآن و تجليله فمسه هو العلم به و هو فى الكتاب المكنون كما يشير اليه قوله: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ (الزخرف / ٤).

و المطهرون-اسم مفعول من التطهير-هم الذين طهر الله تعالى نفوسهم من أرجاس المعاصى و قذارات الذنوب أو مما هو أعظم من ذلك و أدق و هو تطهير قلوبهم من التعلق بغيره تعالى، و هذا المعنى من التطهير هو المناسب للمس الذى هو العلم دون الطهاره من الخبيث أو الحدث كما هو ظاهر.

فالمطهرون هم الذين أكرمهم الله تعالى بتطهير نفوسهم كالملائكة الكرام و الذين طهرهم الله من البشر، قال تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلِي الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (الأحزاب / ٣٣)، و لا- وجه لتخصيص المطهرين بالملائكة كما عن جلّ المفسرين

لكونه تقييدا من غير مقيد.

و ربما جعل «لا» في «لَا يَمَسُّهُ» ناهيه، والمراد بالمس على هذا مس كتابه القرآن، وبالطهاره الطهاره من الحدث أو الحدث و الخبث جميعا- و قرئ «الْمُطَهَّرُونَ» بتشديد الطاء و الهاء و كسر الهاء أى المتطهرون- و مدلول الآية تحريم مس كتابه القرآن على غير طهاره.

و يمكن حمل الآيه على هذا المعنى على تقدير كون «لا» نافية بأن تكون الجملة إخبارا أريد به الإنشاء و هو أبلغ من الإنشاء.

و قوله: تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وصف آخر للقرآن، و المصدر بمعنى اسم المفعول أى منزل من عند الله اليكم تفتهمونه و تعقلونه بعد ما كان فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون.

و التعبير عنه تعالى برب العالمين للإشاره الى أن ربوبيته تعالى منبسطه على جميع العالمين و هم من جملتهم فهو تعالى ربهم و إذا كان ربهم كان عليهم أن يؤمنوا بكتابه و يصغوا لكلامه و يصدقوه من غير تكذيب.

قوله تعالى: أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ الإشاره بهذا الحديث الى القرآن، و الإدهان به التهاون به و أصله التليين بالدهن استعير للتهاون، و الاستفهام للتوبيخ يوبخهم تعالى على عدّهم أمر القرآن هينا لا يعتنى به.

قوله تعالى: وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ قيل: المراد بالرزق حظهم من الخير، و المعنى: و تجعلون حظكم من الخير الذى لكم أن تنالوه بالقرآن أنكم تكذبون به أى تضعونه موضعه، و قيل: المراد بالرزق القرآن رزقهم الله إياه، و المعنى: تأخذون التكذيب مكان هذا الرزق الذى رزقتموه، و قيل: الكلام بحذف مضاف و التقدير: و تجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون أى وضعتم التكذيب موضع الشكر.

قوله تعالى: فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُقُومَ -الى قوله- صَادِقِينَ رجوع الى أول

الكلام بالتفريع على تكذيبهم بأنكم إن كنتم صادقين في نفيكم للبعث مصيبن في تكذيبهم لهذا القرآن الذى ينبئكم بالبعث رددتم نفس المحتضر التى بلغت الحلقوم إذ لو لم يكن الموت بتقدير من الله كان من الامور الاتفاقيه التى ربما أمكن الاحتيال لدفعها، فإذا لم تقدرُوا على رجوعها وإعادته الحياه معها فاعلموا أن الموت حتى مقدر من الله لسوق النفوس الى البعث والجزاء.

فقوله: فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ تَفْرِيعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِالْقُرْآنِ وَبِمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَ لَوْ لَا لِلتَّحْضِيضِ تَعْجِيزًا وَ تَبْكِيتًا لَهُمْ، وَ ضَمِيرٌ «بَلَغَتِ» لِلنَّفْسِ، وَ بُلُوغُ النَّفْسِ الْحَلْقُومَ كِنَايَةٌ عَنِ الْإِشْرَافِ التَّامِ لِلْمَوْتِ.

و قوله: وَ أَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ أَي تَنْظُرُونَ إِلَى الْمَحْتَضِرِ أَي هُوَ بِمَنْظَرٍ مِنْكُمْ.

و قوله: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ أَي وَ الْحَالُ أَنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ لِإِحْاطَتِنَا بِهِ وَ جُودًا وَ رَسَلْنَا الْقَابِضُونَ لِرُوحِهِ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تَبْصِرُونَ وَ لَا رَسَلْنَا.

قال تعالى: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا (الزمر ٢٦)، وَ قَالَ: قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ (السجده ١١)، وَ قَالَ: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا (الأنعام ٦١).

و قوله: فَلَوْ لَا- إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَكَرَّرَ «فَلَوْ لَا» لِتَأْكِيدِ «فَلَوْ لَا» السَّابِقِ، وَ «مَدِينِينَ» أَي مُجْزِينَ مِنْ دَانَ يَدِينُ بِمَعْنَى جَزَى يَجْزَى، وَ الْمَعْنَى: إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مُجْزِينَ ثَوَابًا وَ عِقَابًا بِالْبَعْثِ.

و قوله: تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَي إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ أَنْ لَا- بَعْثٌ وَ لَا- جَزَاءٌ، وَ قَوْلُهُ: «تَرْجِعُونَهَا» مَدْخُولٌ لَوْ لَا التَّحْضِيضِ بِحَسَبِ التَّقْدِيرِ وَ تَرْتِيبِ الْآيَاتِ بِحَسَبِ التَّقْدِيرِ فَلَوْ لَا تَرْجِعُونَهَا إِذَا بَلَغَتِ الْحَلْقُومَ إِنْ كُنْتُمْ مَدِينِينَ.

قوله تعالى: فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ رجوع الى بيان حال الأزواج الثلاثة المذكوره فى أول السوره عند الموت و بعده و ضمير «كَانَ» للمتوفى المعلوم من السياق، و المراد بالمقربين السابقون المقربون المذكورون سابقا، و الروح الراحه، و الريحان الرزق، و قيل: هو الريحان المشموم من ريحان الجنه يؤتى به اليه فيشمه و يتوفى.

و المعنى: فأما إن كان المتوفى من المقربين فله-أو فجزاؤه-راحه من كل همٍّ و غمٍّ و ألمٍّ و رزق من رزق الجنه و جنة نعيم.

قوله تعالى: وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ يمكن أن يكون اللام للاختصاص الملكى و معنى «فَسَلَامٌ لَكَ» أنك تختص بالسلام من أصحاب اليمين الذين هم قرناؤك و رفاؤك فلا ترى منهم إلا خيرا و سلاما.

قوله تعالى: وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ تَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ النَّارِ الْإِدْخَالَ فِيهَا، و قيل: مقاساه حرها و عذابها.

و المعنى: و أما إن كان من أهل التكذيب و الضلال فلهم نزل من ماء شديد الحرارة، و مقاساه حر نار جحيم.

و قد وصفهم الله بالمكذبين الضالين فقدم التكذيب على الضلال لأن ما يلقونه من العذاب تبعه تكذيبهم و عنادهم للحق و لو كان ضلالا بلا تكذيب و عناد كانوا مستضعفين غير نازلين هذه المنزله، و أما قوله سابقا: «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهْلِهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ» فإذا كان المقام هناك مقام الرد لقولهم: «أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمُبْعُوثُونَ» الخ؛ كان الأنسب توصيفهم أولا بالضلال ثم بالتكذيب.

قوله تعالى: إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ الْحَقُّ هُوَ الْعِلْمُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْخَارِجَ الْوَاقِعَ يَطَابِقُهُ، و اليقين هو العلم الذى لا لبس فيه و لا ريب فإضافه الحق الى اليقين نحو من الإضافة



البيانيه جىء بها للتأكيد.

و المعنى: أن هذا الذى ذكرناه من حال أزواج الناس الثلاثة هو الحق الذى لا تردّد فيه و العلم الذى لا شك يعتريه.

قوله تعالى: فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ تقدم تفسيره، و هو تفرّيع على ما تقدمه من صفه القرآن و بيان حال الأزواج الثلاثة بعد الموت و فى الحشر.

و المعنى: فإذا كان القرآن على هذه الصفات و صادقاً فيما يتبىء به من حال الناس بعد الموت فنزّه ربك العظيم مستعينا أو ملابسا باسمه و انف ما يراه و يدّعيه هؤلاء المكذبون الضالون (١).

ص: ١٩٦

---

١ - ١). الواقعه ٥٧-٩٦: بحث روائى حول قوله تعالى: «أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ»؛ نزول القرآن؛ الكتاب المكنون؛ نعيم الجّنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْمِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ  
فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي  
النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)

غرض السوره حثّ المؤمنين و ترغيبهم فى الإنفاق فى سبيل الله كما يشعر به تأكيد الأمر به مره بعد مره فى خلال آياتها آمنوا بالله و رسولِهِ و أنفقوا مما جعلكم مشيخلفين فيه الآيه؛ من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسيناً الآيه؛ إن المصدقين و المصدقات و أقرضوا الله قرضاً حسيناً و قد صمّت إنفاقهم ذلك إقراضاً منه لله عز اسمه فالله سبحانه خير مطلوب و هو لا يخلف الميعاد و قد وعدهم إن أقرضوه أن يضاعفه لهم و أن يؤتيهم أجراً كريماً كثيراً.

و قد أشار الى أن هذا الإنفاق من التقوى و الإيمان بالرسول و أنه يستتبع مغفره الذنوب و إتيان كفلين من الرحمة و لزوم النور بل و اللحوق بالصدّيقين و الشهداء عند الله سبحانه.

و فى خلال آياتها معارف راجعه الى المبدأ و المعاد، و دعوه الى التقوى و إخلاص الإيمان و الزهد و موعظه.

و السوره مدنيه بشهاده سياق آياتها و قد ادعى بعضهم إجماع المفسرين على ذلك.

و لقد افتتحت السوره بتسبيحه و تنزيهه تعالى بعده من أسمائه الحسنى لما فى غرض السوره و هو الحثّ على الإنفاق من شائبه توهم الحاجه و النقص فى ناحيته و نظيرتها فى ذلك جميع السور المفتحة بالتسبيح و هى سور الحشر و الصف و الجمع و التغابن المصدره بسبح أو يسبح.

قوله تعالى: سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ التسبيح التنزيه و هو نفى ما يستدعى نقصاً أو حاجه مما لا يليق بساحه كماله تعالى، و «ما» موصوله و المراد بها ما يعمّ العقلاء مما فى السماوات و الأرض كالملائكه و الثقلين و غير العقلاء كالجماادات و الدليل عليه ما ذكر بعد من صفاته المتعلقة بالعقلاء كالأحياء و العلم بذات الصدور.

فالمعنى: نَزَّ اللهُ سبحانه ما فى السماوات والأرض من شىء و هو جميع العالم.

و المراد بتسييحها حقيقه معنى التسييح دون المعنى المجازى الذى هو دلالة وجود كل موجود فى السماوات والأرض على أن له موجدا منزها من كل نقص متصفا بكل كمال، و دون عموم المجاز و هو دلالة كل موجود على تنزهه تعالى إما بلسان القول كالعقلاء و إما بلسان الحال كغير العقلاء من الموجودات و ذلك لقوله تعالى: **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** (الإسراء/٤٤)، حيث استدرك أنهم لا يفقهون تسييحهم و لو كان المراد بتسييحهم دلالة على وجودهم على وجوده و هى قيام الحجج على الناس بوجودهم أو كان المراد تسييحهم و تحميدهم بلسان الحال و ذلك مما يفقه الناس لم يكن للاستدراك معنى.

فتسييح ما فى السماوات والأرض تسييح و نطق بالتنزيه بحقيقه معنى الكلمه و إن كنا لا نفقهه، قال تعالى: **قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ (حم السجده ٢١).**

و قوله: **وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** أى المنيع جانبه يغلب و لا يغلب، المتقن فعله لا يعرض على فعله ما يفسده عليه و لا يتعلق به اعتراض معترض.

قوله تعالى: **لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** الكلام موضوع على الحصر فهو المليك فى السماوات والأرض يحكم ما يشاء لأنه الموجد لكل شىء فما فى السماوات والأرض يقوم به وجوده و آثار وجوده فلا حكم إلا له فلا ملك و لا سلطنه إلا له.

و قوله: **يُحْيِي وَ يُمِيتُ** إشاره الى اسميه المحيى و المميت، و إطلاق «يُحْيِي وَ يُمِيتُ» يفيد شمولهما لكل إحياء و إماته كإيجاده الملائكه أحياء من غير سبق موت، و إحيائه الجنين فى بطن أمه و إحيائه الموتى فى البعث و إيجاده الجماد ميتا من غير سبق حياه و إماته الإنسان فى الدنيا و إماته ثانيا فى البرزخ على ما يشير اليه قوله: **رَبَّنَا أَمَّنَّا إِيَّاكَ وَ أَحْيَيْتَنَا إِيَّاكَ**

(المؤمن ١١/١)، و في «يُحْيِي وَ يُمِيتُ» دلالة على الاستمرار.

و قوله: وَ هُوَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيه إشارة الى صفه قدرته و أنها مطلقة غير مقيدة بشيء دون شيء، و في تذييل الآيه بالقدره على كل شيء مناسبه مع ما تقدمها من الإحياء و الإماتة لما ربما يتوهمه المتوهم أن لا قدره على إحياء الموتى و لا عين منهم و لا أثر.

قوله تعالى: هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لما كان تعالى قديرا على كل شيء مفروض كان محيطا بقدرته على كل شيء من كل جهه فكل ما فرض أولا فهو قبله فهو الأول دون الشيء المفروض أولا، و كل ما فرض آخرا فهو بعده لإحاطه قدرته به من كل جهه فهو الآخر دون الشيء المفروض آخرا، و كل شيء فرض ظاهرا فهو أظهر منه لإحاطه قدرته به من فوقه فهو الظاهر دون المفروض ظاهرا، و كل شيء فرض أنه باطن فهو تعالى أبطن منه لإحاطته به من ورائه فهو الباطن دون المفروض باطنا فهو تعالى الأول و الآخر و الظاهر و الباطن على الإطلاق و ما في غيره تعالى من هذه الصفات فهي إضافيه نسبيه.

و ليست أوليته تعالى و لا- آخريته و لا- ظهوره و لا- بطونه زمانيه و لا- مكانيه بمعنى مظهريته فهما و إلا لم يتقدمهما و لا تنزه عنهما سبحانه بل هو محيط بالأشياء على أى نحو فرضت و كيفما تصوّرت.

فبان مما تقدم أن هذه الأسماء الأربعة الأول و الآخر و الظاهر و الباطن من فروع اسمه المحيط و هو فرع إطلاق القدره فقدرته محيطه بكل شيء و يمكن تفريع الأسماء الأربعة على إحاطه وجوده بكل شيء فإنه تعالى ثابت قبل ثبوت كل شيء و ثابت بعد فناء كل شيء و أقرب من كل شيء ظاهر و أبطن من الأوهام و العقول من كل شيء خفى باطن.

و كذا للأسماء الأربعة نوع تفرع على علمه تعالى و يناسبه تذييل الآيه بقوله: «وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» .

قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ تَقْدِمُ تَفْسِيرَهُ.

قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا تَقْدِمُ تَفْصِيلَ الْقَوْلِ فِي مَعْنَى الْعَرْشِ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ آيَةِ: ٥٤.

و تقدم أن الاستواء على العرش كناية على الأخذ في تدبير الملك و لذا عقبه بالعلم بجزئيات الأحوال لأن العلم من لوازم التدبير.

و قوله: يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا الْوَلُوجُ - كما قال الراجب - الدخول في مضيق، و العروج ذهاب في صعود، و المعنى: يعلم ما يدخل و ينفذ في الأرض كماء المطر و البذور و غيرها و ما يخرج من الأرض كأنواع النبات و الحيوان و الماء و ما ينزل من السماء كالأمطار و الأشعه و الملائكة و ما يعرج فيها و يصعد كالأبخرة و الملائكة و أعمال العباد.

قوله تعالى: وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ لِإِحَاطَتِهِ بِكُمْ فَلَا تَغْيِبُونَ عَنْهُ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَ فِي أَيِّ زَمَانٍ عَشْتُمْ وَ فِي أَيِّ حَالٍ فَرَضْتُمْ فَذَكَرَ عَمُومَ الْأَمْكَنِ «أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» لِأَنَّ الْأَعْرَفَ فِي مَفَارِقِهِ شَيْءٌ شَيْئًا وَ غَيْبَتِهِ عَنْهُ أَنْ يَتَوَسَّلَ إِلَى ذَلِكَ بِتَغْيِيرِ الْمَكَانِ وَ إِلَّا فَانْسَبَتْهُ تَعَالَى إِلَى الْأَمْكَنِ وَ الْأَزْمَنِ وَ الْأَحْوَالِ سِوَاءِ.

و قيل: المعنى مجاز مرسل عن الإحاطة العلميه.

قوله تعالى: وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ كَالْفَرْعِ الْمُرْتَبِّ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنْ كَوْنِهِ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا وَ كَوْنَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا فَإِنْ لَازِمَ حُضُورِهِ عِنْدَهُمْ مِنْ دُونِ مَفَارِقِهِ مَا وَاحْتِجَابِ وَ هُوَ عَلِيمٌ أَنْ يَكُونَ بِصِيرًا بِأَعْمَالِهِمْ يَبْصُرُ ظَاهِرَ عَمَلِهِمْ، وَ مَا فِي بَاطِنِهِمْ مِنْ نِيَّةٍ وَ قَصْدٍ.

قوله تعالى: لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ كَرَّرَ

قوله: «لَهُ مُلْكُ» الخ؛ لابتداء رجوع الأشياء إليه على عموم الملك فصرح به ليفيد الابتداء، قال تعالى: يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (المؤمن ١٦).

و قوله: وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ الامور جمع محلى باللام يفيد العموم كقوله:

أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (الشورى ٥٣)، فما من شىء إلا و يرجع الى الله، ولا راد إليه تعالى إلا هو لاختصاص الملك به فله الأمر و له الحكم.

و فى الآيه وضع الظاهر موضع الضمير فى «إِلَى اللَّهِ» و كذا فى الآيه السابقه «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» و لعل الوجه فى ذلك أن تفرع الجملتان قلوبهم كما يقول المثل السائر لما سيجىء من ذكر يوم القيامة و جزيل أجر المنفقين فى سبيل الله فيه.

قوله تعالى: يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إيلاج الليل فى النهار فى الليل اختلاف الليل و النهار فى الطول و القصر باختلاف فصول السنه فى كل من البقاع الشماليه و الجنوبيه بعكس الاخرى، و قد تقدم فى كلامه تعالى غير مره.

و المراد بذات الصدور الأفكار المضمرة و التيات المكنونه التى تصاحب الصدور و تلازمها لما أنها تنسب الى القلوب و القلوب فى الصدور، و الجملة أعنى قوله: «وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» بيان لإحاطه علمه بما فى الصدور بعد بيان إحاطه بصره بظواهر أعمالهم بقوله:

«وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»

(١)

## [سوره الحديد (٥٧): الآيات ٧ الى ١٥]

آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِنْ آتِقِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرُؤُفٌ رَحِيمٌ (٩) وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا يَسْئَلُوكَ مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أُولَئِكَ أَكْثَرَ أَهْلِ الْأَرْضِ نَافِقِينَ وَ قَاتِلُوا وَ كَلَّا وَ عَدَدَ اللَّهِ الْخُسِيُّ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنِ ذَا الَّذِي يُفْرَضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسِينًا فَيُضَاعَفُهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَاطِنُهُمْ بِسُورِهِمْ الْيَوْمَ جَنَاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَنَفِقُونَ وَ الْمُتَنَفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظَرُونَا نَقْتَسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى و لكنكم فتنتم أنفسكم و تربصتم و ارتبتم و عزتكم ألاماني حتى جاء أمر الله و غرتكم بالله الغرور (١٤) فاليوم لا يؤخذ منكم فديته و لا من الذين كفروا ماؤاكم أثار هي مولاكم و

---

١-١). الحديد ١-٦: بحث روائى فى المسبحات؛ التوحيد؛ صفات الله.





قوله تعالى: آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ الْخَيْرِ الْمُسْتَفَادِ مِنْ سِيَاقِ الْآيَاتِ أَنَّ الْخُطَابَ فِي الْآيَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا- لِلْكَفَّارِ وَلَا- لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَفَّارِ جَمِيعًا كَمَا قِيلَ، وَأَمْرُ الَّذِينَ تَلَبَّسُوا بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ بِالْإِيمَانِ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ بِتَحْقِيقِ الْإِيمَانِ بِتَرْتِيبِ آثَارِهِ عَلَيْهِ إِذْ لَوْ كَانَتْ صِفَةٌ مِنْ الصِّفَاتِ كَالسَّخَاءِ وَالْعَفْهِ وَالشُّجَاعَةِ ثَابِتَةً فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ حَقَّ ثبوتِهَا لَمْ يَتَخَلَفْ عَنْهَا أَثَرُهَا الْخَاصُّ وَمِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الطَّاعَةُ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ.

وقوله: وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ اسْتِخْلَافَ الْإِنْسَانِ جَعَلَهُ خَلِيفَهُ، وَالْمُرَادُ بِهِ إِمَّا خِلَافَتَهُمْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَخْلُفُونَهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (البقرة ٣٠)، وَالتَّعْبِيرُ عَمَّا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَالِ بِهَذَا التَّعْبِيرِ لِيُبَيِّنَ الْوَاقِعَ وَتَرْغِيبَهُمْ فِي الْإِنْفَاقِ فَإِنَّهُمْ إِذَا أُيْقِنُوا أَنَّ الْمَالَ لِلَّهِ وَهُمْ مُسْتَخْلِفُونَ عَلَيْهِ وَكَلَاءٌ مِنْ نَاحِيَتِهِ يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ كَمَا أُذِنَ لَهُمْ سَهْلًا عَلَيْهِمْ إِنْفَاقَهُ وَ لَمْ تَتَحَرَّجْ نَفُوسُهُمْ مِنْ ذَلِكَ.

وَإِمَّا خِلَافَتَهُمْ عَمَّنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْأَجْيَالِ كَمَا يَخْلُفُ كُلُّ جِيلٍ سَابِقَهُ، وَفِي التَّعْبِيرِ بِهِ أَيْضًا تَرْغِيبٌ فِي الْإِنْفَاقِ فَإِنَّهُمْ إِذَا تَذَكَّرُوا أَنَّ هَذَا الْمَالَ كَانَ لِغَيْرِهِمْ فَلَمْ يَدُمِ عَلَيْهِمْ عِلْمُوا أَنَّهُ كَذَلِكَ لَا يَدُومُ لَهُمْ وَسَيَتَرَكُونَهُ لِغَيْرِهِمْ وَهَانَ عَلَيْهِمْ إِنْفَاقَهُ وَ سَخَتْ بِذَلِكَ نَفُوسُهُمْ.

وقوله: فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَعَدَّ لِلْأَجْرِ عَلَى الْإِنْفَاقِ تَأْكِيدًا لِلتَّرغِيبِ، وَالْمُرَادُ بِالْإِيمَانِ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تُمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ الخ؛ المراد بالإيمان بالإيمان بحيث يترتب عليه آثاره و منها الإنفاق في سبيل الله - وإن شئت فقل: المراد ترتيب آثار ما عندهم من الإيمان عليه.

وقوله: ﴿وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ عبر الرب بالرب و أضافه اليه تلويحا الى عله توجه الدعوه و الأمر كأنه قيل: يدعوكم لتؤمنوا بالله لأنه ربهكم يجب عليكم أن تؤمنوا به.

وقوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تأكيد للتوبيخ المفهوم من أول الآية، و ضمير «أَخَذَ» لله سبحانه أو للرسول و على أى حال المراد بالميثاق المأخوذ هو الذى تدل عليه شهادتهم على وحدانيه الله و رساله رسوله يوم آمنوا به صلى الله عليه و آله و سلم من أنهم على السمع و الطاعة.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَيْنَا آيَاتِهِ﴾ آياتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ الخ؛ المراد بالآيات البينات آيات القرآن الكريم المبينه لهم ما عليهم من فرائض الدين، و فاعل «لِيُخْرِجَكُم» الضمير العائد الى الله أو الى رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و مرجع الثانى أيضا هو الأول فالميثاق ميثاقه و قد أخذه بواسطه رسوله أو بغير واسطته كما أن الإيمان به و برسوله إيمان به و لذلك قال فى صدر الآية: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فذكر نفسه و لم يذكر رسوله إشاره الى أن الإيمان برسوله إيمان به.

وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فى تذييل الآية برأفته تعالى و رحمته إشاره الى أن الإيمان الذى يدعوهم اليه رسوله خير لهم و أصلح و هم الذين ينتفعون به دون الله و رسوله، ففيه تأكيد ترغيبهم على الإيمان و الإنفاق.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ الميراث و التراث المال الذى ينتقل من الميت الى من بقى بعده من وراثه،

و إضافة الميراث الى السماوات و الأرض بيانیه فالسماوات و الأرض هي الميراث بما فيهما من الأشياء التي خلق منهما مما يمتلكه ذووا الشعور من سكتتهما فالسماوات و الأرض شامله لما فيهما مما خلق منهما و يتصرف فيها ذووا الشعور كالإنسان مثلا بتخصيص ما يتصرفون فيه لأنفسهم و هو الملك الاعتباري الذي هداهم الله سبحانه الى اعتباره فيما بينهم لينتظم بذلك جهات حياتهم الدنيا.

غير أنهم لا يتقون و لا يبقى لهم بل يذهبهم الموت المقدر بينهم فينتقل ما في أيديهم الى من بعدهم و هكذا حتى يفنى الجميع و لا يبقى إلا هو سبحانه.

فالأرض مثلا- و ما فيها و عليها من مال ميراث من جهه أن كل جيل من سكانها يرثها ممن قبله فكانت ميراثا دائما دائرا بينهم خلفا عن سلف، و ميراث من جهه أنهم سيفنون جميعا و لا يبقى لها إلا الله الذي استخلفهم عليها.

و لله سبحانه ميراث السماوات و الأرض بكلا المعنيين، أما الأول: فلأنه الذي يملكهم المال و هو المالك لما ملكهم، قال تعالى: **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ** (لقمان ٢٦)، و قال:

**و لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ** (النور ٤٢)، و قال: **وَ آتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ** (النور ٣٣).

و أما الثاني: فظاهر آيات القيامة كقوله تعالى: **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** (الرحمن ٢٦)، و غيره، و الذي يسبق الى الذهن أن المراد بكونهما ميراثا هو المعنى الثاني.

و كيف كان ففي الآيه توبيخ شديد لهم على عدم إنفاقهم في سبيل الله من المال الذي لا يرثه بالحقيقه إلا هو تعالى و لا يبقى لهم و لا لغيرهم، و الإظهار في موضع الإضمار في قوله: «و لله» لتشديد التوبيخ.

قوله تعالى: **لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أَوْلِيكَ أَكْثَرَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَ قَاتَلُوا الْحَاقَّةَ**؛ الاستواء بمعنى التساوي، و قسيم

قوله: «مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ» محذوف إيجازاً لدلاله قوله: «أَوْلَيْكَ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا» عليه.

و المراد بالفتح- كما قيل- فتح مكة أو فتح الحديبيه و عطف القتال على الإنفاق لا- يخلو من إشعار بل دلالة على أن المراد بالإنفاق فى سبيل الله المندوف اليه فى الآيات هو الإنفاق فى الجهاد.

و كأن الآيه مسوقه لبيان أن الإنفاق فى سبيل الله كلما عجل إليها كان أحبّ عند الله و أعظم درجه و منزله و إلاّ فظاهر أن هذه الآيات نزلت بعد الفتح و القتال الذى بادروا اليه قبل الفتح و بعض المقاتل التى بعده.

و قوله: «وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنِيَّ» أى وعد الله المثوبه الحسنى كل من أنفق و قاتل قبل الفتح أو أنفق و قاتل بعده و إن كانت الطائفه الاولى أعظم درجه من الثانيه، و فيه تطيب لقلوب المتأخرين إنفاقاً و قتالاً أن لهم نيلاً من رحمته و ليسوا بمحرومين مطلقاً فلا موجب لأن يياسوا منها و إن تأخروا.

و قوله: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» تذييل متعلق بجميع ما تقدم فففيه تشديد للتوبيخ و تقرير و تثبيت لقوله: «لَا يَشْتَرِي مِنْكُمْ» الخ؛ و لقوله: «وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنِيَّ» و يمكن أن يتعلق بالجملة الأخيره لكن تعلقه بجميع أعم و أشمل.

قوله تعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ» وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ قال الراغب: و سمي ما يدفع الى الإنسان من المال بشرط رد بدله قرضاً. انتهى، و قال فى المجمع: و أصله القطع فهو قطعه عن مالكه بإذنه على ضمان رد مثله. قال: و المضاعفه الزيادة على المقدار مثله أو أمثاله. انتهى، و قال الراغب: الأجر و الأجره ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً قال: و لا يقال إلاّ فى النفع دون الضر بخلاف الجزاء فإنه يقال فى النفع و الضر. انتهى ملخصاً.

و فى الآيه حثٌ بليغ على ما ندب اليه من الإنفاق فى سبيل الله حيث استفهم عن الذى ينفق منهم فى سبيل الله و مثل إنفاقه بأنه قرض يقرضه الله سبحانه و عليه أن يرده ثم قطع أنه لا يرد مثله اليه بل يضاعفه و لم يكتف بذلك بل أضاف اليه أجرا كريما فى الآخره و الأجر الكريم هو المرضى فى نوعه و الأجر الآخروى كذلك لأنه غايه ما يتصور من النعمه عند غايه ما يتصور من الحاجه.

قوله تعالى: يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمُ النَّارُ الْيَوْمَ ظَرْفُ لِقَاؤِهِ: «لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» و المراد به يوم القيامه، و الخطاب فى «تَرَى» للنبي صلى الله عليه و آله و سلم أو لكل سامع يصح خطابه، و الظاهر أن الباء فى «بِأَيْمَانِهِمْ» بمعنى فى.

و المعنى: لمن أقرض الله قرضا حسنا أجر كريم يوم ترى أنت يا رسول الله- أو كل من يصح منه الرؤيه- المؤمنين بالله و رسوله و المؤمنات يسعى نورهم أمامهم و فى أيمنهم و اليمين هو الجبهه التى منها سعادتهم.

و الآيه مطلقه تشمل مؤمنى جميع الامم و لا تختص بهذه الامه، و التعبير عن إشراق النور بالسعى يشعر بأنهم ساعون الى درجات الجنه التى أعدها الله سبحانه لهم و تستنير لهم جهات السعاده و مقامات القرب واحده بعد واحده حتى يتم لهم نورهم كما قال تعالى: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا يُخْرِجْهُ مِنْهُ عَلَى رِزْقٍ كَثِيرٍ» (الزمر ٧٣)، و قال: «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً (مريم ٨٥)، و قال: «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا (التحریم ٨)».

و قوله: «بُشْرًا كُمْ الْيَوْمَ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» حكايه ما يقال للمؤمنين و المؤمنات يوم القيامه، و القائل الملائكه بأمر من الله و التقدير يقال لهم: «بُشْرًا كُمْ» الخ؛ و المراد بالبشرى ما يبشر به و هو الجنه و الباقي ظاهر.

و قوله: «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» كلام الله سبحانه و الإشاره الى ما ذكر من سعى

النور و البشرى أو من تمام قول الملائكة و الإشارة الى الجنات و الخلود فيها.

قوله تعالى: **يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ** الى آخر الآية؛ النظر إذا تعدى بنفسه أفاد معنى الانتظار و الإمهال، و إذا عدى بالى نحو نظر اليه كان بمعنى إلقاء البصر نحو الشيء و إذا عدى بفى كان بمعنى التأمل، و الاقتباس أخذ قبس من النار.

و السياق يفيد أنهم اليوم فى ظلمه أحاطت بهم سرادقها و قد ألجئوا الى المسير نحو دارهم التى يخلدون فيها غير أن المؤمنين و المؤمنات يسرون بنورهم الذى يسعى بين أيديهم و بأيمانهم فيبصرون الطريق و يهتدون الى مقاماتهم، و أما المنافقون و المنافقات فهم مغشيون بالظلمه لا يهتدون سبيلا و هم مع المؤمنين كما كانوا فى الدنيا معهم و معدودين منهم فيسبق المؤمنون و المؤمنات الى الجنة و يتأخر عنهم المنافقون و المنافقات فى ظلمه تغشاهم فيسألون المؤمنين و المؤمنات أن ينتظروهم حتى يلحقوا بهم و يأخذوا قبسا من نورهم ليستضيئوا به فى طريقهم.

و قوله: **قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا** القائل به إما الملائكة أو قوم من كمل المؤمنين كأصحاب الأعراف.

و كيف كان فهو من الله و بإذنه، و الخطاب بقوله: **«ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا»** قيل: إنه خطاب مبنى على التهكم و الاستهزاء كما كانوا يستهزئون فى الدنيا بالمؤمنين، و الأظهر على هذا أن يكون المراد بالوراء الدنيا، و محصل المعنى: ارجعوا الى الدنيا التى تركتموها وراء ظهوركم و عملتم فيها ما عملتم على النفاق، و التمسوا من تلك الأعمال نورا فإنما النور نور الأعمال أو الإيمان و لا إيمان لكم و لا عمل.

و يمكن أن يجعل هذا وجها على حياله من غير معنى الاستهزاء بأن يكون قوله: **«ارْجِعُوا»** أمرا بالرجوع الى الدنيا و اكتساب النور بالإيمان و العمل الصالح و ليسوا براجعين و لا

يستطيعون فيكون الأمر بالرجوع كالأمر بالسجود المذكور في قوله تعالى: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنَّا سِتْرًا لِيُبْدِيَ عَنَّا أَيْدِيَنَا إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (القلم ٤٣).

وقيل: المراد ارجعوا الى المكان الذى قسم فيه النور و التمسوا من هناك فيرجعون فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم وقد ضرب بينهم بسور، وهذا خدعه منه تعالى يخدعهم بها كما كانوا فى الدنيا يخادعون كما قال: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ (النساء / ١٤٢).

قوله تعالى: فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قَبْلِهِ الْعَذَابُ سور المدينه حائطها الحاجز بينها و بين الخارج منها، و الضمير فى «فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ» راجع الى المؤمنين و المنافقين جميعا أى ضرب بين المؤمنين و بين المنافقين بسور حاجز يحجز إحدى الطائفتين عن الاخرى.

قيل: السور هو الأعراف و هو غير بعيد و قد تقدمت إشاره اليه فى تفسير قوله تعالى:

و بَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ (الأعراف / ٤٦)، وقيل: السور غير الأعراف.

وقوله: لَهُ بَابٌ أى للسور باب و هذا يشبه حال المنافقين فى الدنيا فقد كانوا فيها بين المؤمنين لهم اتصال بهم و ارتباط و هم مع ذلك محبوبون عنهم بحجاب. على أنهم يرون أهل الجنة و يزيد بذلك حسرتهم و ندامتهم.

وقوله: بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِن قَبْلِهِ الْعَذَابُ «بَاطِنُهُ» مبتدأ و جملة «فِيهِ الرَّحْمَةُ» مبتدأ و خبر و هى خبر «بَاطِنُهُ» و كذا «ظَاهِرُهُ» مبتدأ و جملة «مِن قَبْلِهِ الْعَذَابُ» مبتدأ و خبر هى خبره، و ضميرا «فِيهِ وَ مِن قَبْلِهِ» للباطن و الظاهر.

و يظهر من كون باطن السوره فيه رحمه و ظاهره من قبله العذاب أن السور محيط بالمؤمنين و هم فى داخله و المنافقون فى الخارج منه.



و فى اشتمال داخله الذى يلى المؤمنين على الرحمه و ظاهره الذى يلى المنافقين على العذاب مناسبه لحال الإيمان فى الدنيا فإنه نعمه لأهل الإخلاص من المؤمنين يتهجون بها و يلتذون و عذاب لأهل النفاق يتخرجون من التلبس به و يتألمون منه.

قوله تعالى: **يَنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ** استئناف فى معنى جواب السؤال كأنه قيل: فما ذا يفعل المنافقون و المنافقات بعد ضرب السوره و مشاهده العذاب من ظاهره؟ فقيل: ينادونهم، الخ.

و المعنى: ينادى المنافقون و المنافقات المؤمنين و المؤمنات بقولهم: «**أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ**» يريدون به كونهم فى الدنيا مع المؤمنين و المؤمنات فى ظاهر الدين.

و قوله: **قَالُوا بَلَىٰ** إلى آخر الآيه جواب المؤمنين و المؤمنات لهم و المعنى «**قَالُوا**» أى قال المؤمنون و المؤمنات جواباً لهم: «**بَلَىٰ**» كنتم فى الدنيا معنا «**وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ**» أى محتتم و أهلكتم «**أَنْفُسِيَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ**» الدوائر بالدين و أهله «**وَأَرْبَبْتُمْ**» و شككتم فى دينكم «**وَعَزَّيْتُمُ الْأَمَانِيَّ**» و منها أمنيتم أن الدين سيظفأ نوره و يتركه أهله «**حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ**» و هو الموت «**وَعَزَّيْتُمُ بِاللَّهِ الْعُرُورُ**» بفتح العين و هو الشيطان.

و الآيه- كما ترى- تفيد أن المنافقين و المنافقات يستنصرون المؤمنين و المؤمنات على ما هم فيه من الظلمه متوسلين بأنهم كانوا معهم فى الدنيا ثم تفيد أن المؤمنين و المؤمنات يجيبون بأنهم كانوا معهم لكن قلوبهم كانت لا توافق ظاهر حالهم حيث يفتنون أنفسهم و يترصبون و يرتابون و تغرهم الأمانى و يغرهم بالله الغرور، و هذه الصفات الخبيثه آفات القلوب فكانت القلوب غير سليمه و لا ينفع يوم القيامه إلا القلب السليم قال تعالى: **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** (الشعراء ٨٩).

قوله تعالى: **فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** تتمه كلام المؤمنين و المؤمنات يخاطبون به المنافقين و المنافقات و يضيفون اليهم الكفار و هم المعلنون

لكفرهم أنهم رهناء أعمالهم كما قال تعالى: كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَهُ (المدثر ٣٨)، لا يؤخذ منهم فديه يخلصون بها أنفسهم و الفديه أحد الأمرين الذين بهما التخلص من الرهانه و الآخر ناصر ينصر فينجى و قد نفوه بقولهم: «مَأْوَاكُمْ النَّارُ» الخ.

فقوله: مَأْوَاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَ بِنَسِ الْمَصِيرِ يَنْفَى أَي نَاصِرٍ يَنْصُرُهُمْ وَ يَنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ غَيْرِ النَّارِ عَلَى مَا يَفِيدُهُ قَوْلُهُ: «هِيَ مَوْلَاكُمْ» مِنَ الْحَصْرِ، وَ الْمَوْلَى هُوَ النَّاصِرُ وَ الْجَمْلَةُ مَسْوُوقَةٌ لِلتَّهْكَامِ.

و يمكن أن يكون المولى بمعنى من يلي الأمر فإنهم كانوا يدعون لحوائجهم من المأكل و المشرب و الملبس و المنكح و المسكن غير الله سبحانه و حقيقته النار فالיום مولاهم النار و هى التى تعد لهم ذلك فما كلهم من الزقوم و مشربهم من الحميم و ملبسهم من ثياب قطعت من النار و قرناؤهم الشياطين و مأواهم النار على ما أخبر الله سبحانه به فى آيات كثيره من كلامه.

### [سورة الحديد (٥٧): الآيات ١٦ الى ٢٤]

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ (١٦) اِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) إِنَّ الْمُسَدِّقِينَ وَ الْمُصَدِّقَاتِ وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) اِعْلَمُوا أَنَّ مَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهُوَ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَبَائِهِ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)

بيان:

قوله تعالى: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ

ص: ٢١٣

الْحَقُّ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ؛ يُقَالُ: أَنِي يَأْنِي أَنِي وَأَنْاءُ أَي جَاءَ وَقْتُهُ، وَخُشُوعُ الْقَلْبِ تَأَثُّرُهُ قِبَالَ الْعِظْمَةِ وَالْكَبِيرِيَاءِ، وَالْمُرَادُ بِذِكْرِ اللَّهِ مَا يَذْكُرُ بِهِ اللَّهُ، وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ هُوَ الْقُرْآنُ النَّازِلُ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى وَ «مِنَ الْحَقِّ» بَيَانٌ لِمَا نَزَلَ وَمِنْ شَأْنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَعْقِبَ خُشُوعًا كَمَا أَنَّ مِنْ شَأْنِ الْحَقِّ النَّازِلِ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى أَنْ يَعْقِبَ خُشُوعًا مِمَّنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ جَمِيعًا الْقُرْآنَ، وَعَلَى هَذَا فَذِكْرُ الْقُرْآنِ بِوَصْفِيهِ لِكُونَ كُلِّ مِنَ الْوَصْفَيْنِ مُسْتَدْعِيًا لَخُشُوعِ الْمُؤْمِنِ فَالْقُرْآنُ لِكُونِهِ ذِكْرُ اللَّهِ يَسْتَدْعِي الْخُشُوعَ كَمَا أَنَّهُ لِكُونِهِ حَقًّا نَازِلًا مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى يَسْتَدْعِي الْخُشُوعَ.

وَفِي الْآيَةِ عِتَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا عَرِضَ لِقُلُوبِهِمْ مِنَ الْقَسْوَةِ وَعَدَمِ خُشُوعِهَا لِذِكْرِ اللَّهِ وَالْحَقِّ النَّازِلِ مِنْ عِنْدِهِ تَعَالَى وَتَشْبِيهِ لِحَالِهِمْ بِحَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابُ وَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ.

وَقَوْلُهُ: «وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «تَخَشَعُ» الْخُ؛ وَالْمَعْنَى: أَلَمْ يَأْنِ لَهُمْ أَنْ تَخْشَعُ قُلُوبُهُمْ وَأَنْ لَا يَكُونُوا، الْخُ، وَالْأَمَدُ الزَّمَانُ، قَالَ الرَّاعِبُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الزَّمَانِ وَالْأَمَدِ أَنَّ الْأَمَدَ يُقَالُ بِاعْتِبَارِ الْغَايَةِ وَالزَّمَانَ عَامٌ فِي الْمَبْدَأِ وَالْغَايَةِ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْمَدَى وَالْأَمَدَ يَتَقَارَبَانِ.

انتهى.

وَقَدْ أَشَارَ سَبْحَانَهُ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى صَيْرُورِهِ قُلُوبَهُمْ كَقُلُوبِ أَهْلِ الْكِتَابِ الْقَاسِيَةِ وَالْقَلْبَ الْقَاسِيَّ حَيْثُ يَفْقَدُ الْخُشُوعَ وَالتَّأَثُّرَ عَنِ الْحَقِّ رُبَّمَا خَرَجَ عَنِ زِيِّ الْعِبُودِيَةِ فَلَمْ يَتَأَثَّرْ عَنِ الْمُنَاهِي وَاقْتَرَفَ الْإِثْمَ وَالْفُسُوقَ، وَلِذَا أَرْدَفَ قَوْلَهُ: «فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ» بِقَوْلِهِ: «وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ».

قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِغْلُمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فِي تَعْقِيبِ عِتَابِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى قَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ بِهَذَا التَّمَثِيلِ تَقْوِيَهُ لِرَجَائِهِمْ وَتَرْغِيبِ لَهُمْ فِي

و يمكن أن يكون من تمام العتاب السابق و يكون تنبيها على أن الله لا يخلى هذا الدين على ما هو عليه من الحال بل كلما قست قلوب و حرموا الخشوع لأمر الله جاء بقلوب حيّه خاشعه له يعبد بها كما يريد.

فتكون الآيه فى معنى قوله: هـ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ (سوره محمد ٣٨).

و لذلك ذيل الآيه بقوله: «قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» .

قوله تعالى: إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ تكرر لحديث المضاعفه و الأجر الكريم للترغيب فى الإنفاق فى سبيل الله و قد أضيف الى الذين أقرضوا الله قرضا حسنا المصدقون و المصدقات.

و المصدقون و المصدقات-بتشديد الصاد و الدال-المصدقون و المتصدقات، و قوله:

«وَأَقْرَضُوا اللَّهَ» عطف على مدخول الام فى «الْمُصَدِّقِينَ»، و المعنى: أن الذين تصدقوا و الذين أقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ما أعطوه و لهم أجر كريم.

قوله تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ الْخَالِقُونَ؛ لم يقل «آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» كما قال فى أول السوره: «آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفَقُوا» و قال فى آخرها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ» لأنه تعالى لما ذكر أهل الكتاب فى الآيه السابقه بقوله: «وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ» عدل عن السياق السابق الى سياق عام يشمل المسلمين و أهل الكتاب جميعا كما قال بعد: «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ» و أما الآيتان المذكورتان فى أول السوره و آخرها فالخطاب فيهما لمؤمنى هذه الامه خاصه و لذا جىء فيهما بالرسول مفردا.

و المراد بالإيمان بالله و رسله محض الإيمان الذى لا يفارق بطبعه الطاعة و الابتاع كما مرّت الإشارة اليه فى قوله: «آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» الآية؛ و المراد بقوله: «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ» إلحاقهم بالصدّيقين و الشهداء بقريته قوله: «عِنْدَ رَبِّهِمْ» قوله: «لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ» فهم ملحقون بالطائفتين يعامل معهم معاملة الصدّيقين و الشهداء فيعطون مثل أجرهم و نورهم.

و الظاهر أن المراد بالصدّيقين و الشهداء هم المذكورون فى قوله: وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسَنَ أَوْلِيَئِكَ رَفِيقًا (النساء ٦٩)، و قد تقدم فى تفسير الآية أن المراد بالصدّيقين هم الذين سرى الصدق فى قولهم و فعلهم فيفعلون ما يقولون و يقولون ما يفعلون، و الشهداء هم شهداء الأعمال يوم القيامة دون الشهداء بمعنى المقتولين فى سبيل الله.

فهؤلاء الذين آمنوا بالله و رسله ملحقون بالصدّيقين و الشهداء منزّلون منزلتهم عند الله أى بحكم منه لهم أجرهم و نورهم.

و قوله: لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ ضمير «لَهُمْ» للذين آمنوا، و ضمير «أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ» للصدّيقين و الشهداء أى للذين آمنوا أجر من نوع أجر الصدّيقين و الشهداء و نور من نوع نورهم، و هذا معنى قول من قال: إن المعنى: لهم أجر كأجرهم و نور كنورهم.

و ربما قيل: إن قوله: «وَ الشُّهَدَاءُ» ليس عطفا على قوله: «الصَّادِقُونَ» بل استئناف و «الشُّهَدَاءُ» مبتدأ خبره «عِنْدَ رَبِّهِمْ» و خبره الآخر «لَهُمْ أَجْرُهُمْ» فقد قيل: و الذين آمنوا بالله و رسله أولئك هم الصدّيقون، و قد تم الكلام ثم استأنف و قيل «وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» كما قيل بَلْ أَلْحِيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ (آل عمران ١٦٩)، و المراد بالشهداء المقتولون فى سبيل الله، ثم تمم الكلام بقوله: «لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ» .

و قوله: وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ أى لا

يفارقونها و هم فيها دائمين.

و قد تعرض سبحانه فى الآيه لشأن الملحقين بالصدّيقين و الشهداء و هم خيار الناس و الناجون قطعاً، و الكفار المكذبين لآياته و هم شرار الناس و الهالكون قطعاً و بقى فريق بين الفريقين و هم المؤمنون المقترفون للمعاصى و الذنوب على طبقاتهم فى التمرد على الله و رسوله، و هذا دأب القرآن فى كثير من موارد التعرض لشأن الناس يوم القيامة.

و ذلك ليكون بعثاً لقريحتى الخوف و الرجاء فى ذلك الفريق المتخلل بين الخيار و الشرار فيميلوا الى السعاده و يختاروا النجاه على الهلاك.

و لذلك أعقب الآيه بدم الحياه الدنيا التى تعلق بها هؤلاء الممتنعون من الإنفاق فى سبيل الله ثم بدعوتهم الى المسابقه الى المغفره و الجنه ثم بالإشاره الى أن ما يصيبهم من المصيبه فى أموالهم و أنفسهم مكتوبه فى كتاب سابق و قضاء متقدم فليس ينبغى لهم أن يخافوا الفقر فى الإنفاق فى سبيل الله، فيبخلوا و يمسكوا أو يخافوا الموت فى الجهاد فى سبيل الله فيتخلفوا و يقعدوا.

قوله تعالى: **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهُوَ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ الْخ**؛ اللعب عمل منظوم لغرض خيالى كلعب الأطفال، و اللهو ما يشغل الإنسان عما يهيمه، و الزينه بناء نوع و ربما يراد به ما يتزين به و هى ضم شىء مرغوب فيه الى شىء آخر ليرغب فيه بما اكتسب به من الجمال، و التفاخر المباهاه بالأنساب و الأحساب، و التكاثر فى الأموال و الأولاد.

و الحياه الدنيا عرض زائل و سراب باطل لا يخلو من هذه الخصال الخمس المذكوره:

اللعب و اللهو و الزينه و التفاخر و التكاثر و هى التى يتعلق بها هوى النفس الإنسانيه ببعضها أو بجمعها و هى أمور وهميه و أعراض زائله لا تبقى للإنسان و ليست و لا واحده منها تجلب للإنسان كمالاً نفسياً و لا خيراً حقيقياً.

وقوله: كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ لَبَّأْتَهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا مثل لزينه الحياه الدنيا التي يتعلق بها الانسان غرورا ثم لا يلبث دون أن يسلبها.

و الغيث المطر و الكفار جمع كافر بمعنى الحارث، و يهيج من الهيجان و هو الحركه، و الحطام الهشيم المتكسر من يابس النبات. و المعنى: أن مثل الحياه الدنيا فى بهجتها المعجبه ثم الزوال كمثل مطر أعجب الحرات نباته الحاصل بسببه ثم يتحرك الى غايه ما يمكنه من النمو فتراه مصفر اللون ثم يكون هشيمًا متكسرا -متلاشيا تذروه الرياح-.

وقوله: وَ فِي الْمَآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ سَبَقَ الْمَغْفِرَةَ عَلَى الرِّضْوَانِ لِتَطْهِيرِ الْمَحَلِّ لِيَحِلَّ بِهِ الرِّضْوَانُ، وَ توصيف المغفره بكونه من الله دون العذاب لا- يخلو من إيماء الى أن المطلوب بالقصد الأول هو المغفره و أما العذاب فليس بمطلوب فى نفسه و إنما يتسبب اليه الإنسان بخروجه عن زى العبوديه كما قيل.

وقوله: وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ أَى مَتَاعُ التَّمَتُّعِ مِنْهُ هُوَ الْغُرُورُ بِهِ، وَ هَذَا لِلْمَتَعَلِقِ الْمَغْرُورِ بِهَا.

و الكلام أعنى قوله: «وَ فِي الْمَآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ» إشاره الى وجهى الحياه الآخره ليأخذ السامع حذره فيختار المغفره و الرضوان على العذاب، ثم فى قوله:

«وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ» تنبيه و إيقاظ لثلاث تغرّه الحياه الدنيا بخاصه غروره.

قوله تعالى: سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ الْخ؛ المسابقه هى المغالبه فى السبق للوصول الى غرض بأن يريد كل من المسابقين جعل حركته أسرع من حركه صاحبه ففى معنى المسابقه ما يزيد على معنى المسارعه فإن المسارعه الجدد فى تسريع الحركه و المسابقه الجدد فى تسريعها بحيث تزيد فى السرعه على حركه صاحبه.



و على هذا فقوله: «سَابِقُوا إِلَيَّ مَغْفِرَةً» الخ؛ يتضمن من التكليف ما هو أزيد مما يتضمنه قوله: «سَارِعُوا إِلَيَّ مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» (آل عمران ١٣٣).

و تقديم المغفرة على الجنة فى الآيه لأن الحياه فى الجنة حياه طاهره فى عالم الطهاره فيتوقف التلبس بها على زوال قذارات الذنوب و أوساخها.

و المراد بالعرض السعه دون العرض المقابل للطول و هو معنى شائع، و الكلام كأنه مسوق للدلاله على انتهائها فى السعه.

و قوله: «أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ» قد عرفت فى ذيل قوله: «آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ» و قوله: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ» أن المراد بالإيمان بالله و رسله هو مرتبه عاليه من الإيمان تلازم ترتب آثاره عليه من الأعمال الصالحه و اجتناب الفسوق و الإثم.

و قوله: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» و قد شاء أن يؤتیه الذين آمنوا بالله و رسله، و قد تقدم بيان أن ما يؤتیه الله من الأجر لعباده المؤمنين فضل منه تعالى من غير أن يستحقوه عليه.

و قوله: «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» إشاره الى عظمه فضله، و أن ما يثيبهم به من المغفرة و الجنة من عظيم فضله.

قوله تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا» الخ؛ المصيبه الواقعه التى تصيب الشىء مأخوذه من إصابه السهم الغرض و هى بحسب المفهوم أعم من الخير و الشر لكن غلب استعمالها فى الشر فالمصيبه هى النائبه، و المصيبه التى تصيب فى الأرض كالجدب و عاهه الثمار و الزلزله المخربه و نحوها، و التى تصيب فى الأنفس كالمريض و الجرح و الكسر و القتل و الموت، و البرء و البروء الخلق من العدم، و ضمير «نَبْرَأَهَا» للمصيبه، و قيل: للأنفس، و قيل: للأرض، و قيل:

للجميع من الأرض و الأنفس و المصيبة، و يؤيد الأول أن المقام مقام بيان ما فى الدنيا من المصائب الموجهة لنقص الأموال و الأنفس التى تدعوهم الى الإمساك عن الانفاق و التخلف عن الجهاد.

و المراد بالكتاب اللوح المكتوب فيه ما كان و ما يكون و ما هو كائن الى يوم القيامة كما تدل عليه الآيات و الروايات و إنما اقتصر على ذكر ما يصيب فى الأرض و فى أنفسهم من المصائب لكون الكلام فيها.

قيل: إنما قيّد المصيبة بما فى الأرض و فى الأنفس لأن مطلق المصائب غير مكتوبه فى اللوح لأن اللوح متناه و الحوادث غير متناهيه و لا يكون المتناهي ظرفاً لغير المتناهي.

و الكلام مبنى على أن المراد باللوح لوح فلزى أو نحوه منصوب فى ناحيه من نواحي الجو مكتوب فيه الحوادث بلغه من لغاتنا بخط يشبه خطوطنا، و قد مر كلام فى معنى اللوح و القلم و سيجىء له تتمه.

و قيل: المراد بالكتاب علمه تعالى و هو خلاف الظاهر إلا أن يراد به أن الكتاب المكتوب فيه الحوادث من مراتب علمه الفعلى.

و ختم الآيه بقوله: «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» للدلاله على أن تقدير الحوادث قبل وقوعها و القضاء عليها بقضاء لا يتغير لا صعوبه فيه عليه تعالى.

قوله تعالى: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ الخ؛ تعليل راجع الى الآيه السابقه و هو تعليل للإخبار عن كتابه الحوادث قبل وقوعها لا لنفس الكتابه، و الأسى الحزن، و المراد بما فات و ما آتى النعمه الفائتة و النعمه المؤتاه.

و المعنى: أخبرناكم بكتابه الحوادث قبل حدوثها و تحققها لئلا تحزنوا بما فاتكم من النعم و لا تفرحوا بما أعطاكم الله منها لأن الانسان إذا أيقن أن الذى أصابه مقدر كائن لا محاله لم يكن ليخطئه و أن ما أوتيه من النعم و ديعه عنده الى أجل مسمى لم يعظم حزنه إذا فاته و لا

فرحه إذا أوتيه.

قيل: إن اختلاف الاسناد في قوله «مَا فَاتَكُمْ» و «بِمَا آتَاكُمْ» حيث أسند الفوت الى نفس الأشياء و الايتاء الى الله سبحانه لأن الفوات و العدم ذاتي للأشياء فلو خليت و نفسها لم تبق بخلاف حصولها و بقائها فإنه لا بد من استنادهما الى الله تعالى.

و قوله: وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُفْلَ مُخْتَالٍ فَخُورٍ المختال من أخذته الخيلاء و هي التكبر عن تخيل فضيله تراءت له من نفسه-على ما ذكره الراغب-و الفخور الكثير الفخر و المباهاه و الاختيال و الفخر ناشئان عن توهم الانسان أن يملك ما أوتيه من النعم باستحقاق من نفسه، و هو مخالف لما هو الحق من استناد ذلك الى تقدير من الله لا لاستقلال من نفس الانسان فهما من الرذائل و الله لا يحبها.

قوله تعالى: الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَصِفَ لِكُلِّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ يفيد تعليل عدم حبه تعالى. و الوجه في بخلهم الاحتفاظ للمال الذي يعتمد عليه اختيالهم و فخرهم و الوجه في أمرهم الناس بالبخل أنهم يحبونه لأنفسهم فيحبونه لغيرهم، و لأن شيوع السخاء و الجود بين الناس و إقبالهم على الإنفاق في سبيل الله يوجب أن يعرفوا بالبخل المذموم.

و قوله: وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ أَى و من يعرض عن الإنفاق و لم يتعظ بعظه الله و لا اطمأن قلبه بما بينه من صفات الدنيا و نعت الجنة و تقدير الامور فإن الله هو الغنى فلا حاجه له الى إنفاقهم، و المحمود في أفعاله.

و الآيات الثلاث أعنى قوله: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا لَهُ رِجَالٌ مِنْ نَحْسِهِ» الى قوله-الغنى الحميد» كما ترى حث على الإنفاق و ردع عن البخل و الإمساك بترهيدهم عن الأسى بما فاتهم و الفرح بما آتاهم لأن الامور مقدره مقضيته مكتوبه في كتاب معينه قبل أن يبرأها الله سبحانه (١).

ص: ٢٢١

(١-١). الحديد ١٦-٢٤: بحث روائى حول نزول سورة الحديد؛ الشهاده فى سبيل الله؛ الزهد.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقِيمُوا النَّاسَ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَ لِيُعَلِّمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْسِدُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)

قوله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ الخ؛ استئناف يتبين به معنى تشريع الدين بإرسال الرسل وإنزال الكتاب والميزان وأن الغرض من ذلك قيام الناس بالقسط وامتثالهم بذلك وإنزال الحديد لتمييز من ينصر الله بالغيب ويتبين أن أمر الرساله لم يزل مستمرا بين الناس ولم يزالوا يهتدى من كل أمه بعضهم وكثير منهم فاسقون.

فقوله: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ أى بالآيات البينات التى يتبين بها أنهم مرسلون من جانب الله سبحانه من المعجزات الباهره و البشارات الواضحه و الحجج القاطعه.

وقوله: وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وهو الوحي الذى يصلح أن يكتب فيصير كتابا، المشتمل على معارف الدين من اعتقاد و عمل و هو خمسه: كتاب نوح و كتاب إبراهيم و التوراه و الإنجيل و القرآن.

وقوله: وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ فسيروا الميزان بنى الكفتين الذى يوزن به الأثقال، وأخذوا قوله: «لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» غاية متعلقه بإنزال الميزان والمعنى: وأنزلنا الميزان ليقوم الناس بالعدل فى معاملاتهم فلا يخسروا باختلال الأوزان و النسب بين الأشياء فقوام حياه الإنسان بالاجتماع، و قوام الاجتماع بالمعاملات الدائره بينهم و المبادلات فى الأمتعه و السلع، و قوام المعاملات فى ذوات الأوزان بحفظ النسب بينها و هو شأن الميزان.

و لا يبعد-و الله أعلم- أن يراد بالميزان الدين فإن الدين هو الذى يوزن به عقائد أشخاص الإنسان و أعمالهم، و هو الذى به قوام حياه الناس السعيده مجتمعين و منفردين،

و هذا المعنى أكثر ملائمة للسياق المتعرض لحال الناس من حيث خشوعهم و قسوة قلوبهم و جدهم و مساهلتهم فى أمر الدين. و قيل: المراد بالميزان هنا العدل و قيل: العقل.

و قوله: وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ الظاهر أنه كقوله تعالى: وَ أَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ نَمَائِيَةَ أَزْوَاجٍ (الزمر ٦)، و قد تقدم فى تفسير الآيه أن تسميه الخلق فى الأرض إنزالاً إنما هو باعتبار أنه تعالى يسمى ظهور الأشياء فى الكون بعد ما لم يكن إنزالاً لها من خزائنه التى عنده و من الغيب الى الشهاده قال تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (الحجر ٢١).

و قوله: فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ الْبَاسِ هو الشده فى التأثير و يغلب استعماله فى الشده فى الدفاع و القتال، و لا تزال الحروب و المقاتلات و أنواع الدفاع ذات حاجه شديده الى الحديد و أقسام الأسلحة المعموله منه منذ تنبه البشر له و استخراجها.

و أما ما فيه من المنافع للناس فلا يحتاج الى البيان فله دخل فى جميع شعب الحياه و ما يرتبط بها من الصنائع.

و قوله: وَ لِيُعَلِّمَ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَ يُضَيِّرُهُ وَ يُسَلِّمَهُ بِالْغَيْبِ غايه معطوفه على محذوف و التقدير و أنزلنا الحديد لكذا و ليعلم الله من ينصره، الخ، و المراد بنصره و رسله الجهاد فى سبيله دفاعاً عن مجتمع الدين و بسطاً لكلمه الحق، و كون النصر بالغيب كونه فى حال غيبته منهم أو غيبته منه، و المراد بعلمه بمن ينصره و رسله تميزهم ممن لا ينصر.

و ختم الآيه بقوله: «إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» و كأن وجهه الإشاره الى أن أمره تعالى لهم بالجهاد إنما هو لتمييز الممتمثل منهم من غيره لا لحاجه منه تعالى الى ناصر ينصره إنه تعالى قوى لا سبيل للضعف اليه عزيز لا سبيل للذله اليه.

قوله تعالى: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ شروع فى الإشاره الى أن الاهتداء

و الفسق جاريان فى الامم الماضيه حتى اليوم فلم تصلح أمه من الامم بعامه أفرادها بل لم يزل كثير منهم فاسقين.

و ضمير «فَمِنْهُمْ» و «مِنْهُمْ» للذريه و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِي الْمَجْمَعِ:التقفيه جعل الشىء فى إثر شىء على الاستمرار فيه، و لهذا قيل لمقاطع الشعر قواف إذ كانت تتبع البيت على أثره مستمره فى غيره على منهاجه.**  
انتهى.

و ضمير «عَلَىٰ آثَارِهِمْ» لنوح و إبراهيم و السابقين من ذريتهما، و الدليل على أنه لا نبى بعد نوح إلا من ذريته لأن النسل بعده له. على أن عيسى من ذريه إبراهيم قال تعالى فى نوح:

**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (الصافات ٧٧)، و قال: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُليْمَانَ -الى أن قال- وَ عِيسَى (الأنعام ٨٥)، فالمراد بقوله: «ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا» الخ؛ التقفيه باللاحقين من ذريتهما على آثارهما و السابقين من ذريتهما.**

و فى قوله: **عَلَىٰ آثَارِهِمْ** إشارة الى أن الطريق المسلوک واحد يتبع فيه بعضهم أثر بعض.

و قوله: **وَ قَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً الرَّأْفَةَ وَ الرَّحْمَةَ** -على ما قالوا- مترادفان، و نقل عن بعضهم أن الرأفة يقال فى درء الشر و الرحمة فى جلب الخير.

و الظاهر أن المراد بجعل الرأفة و الرحمة فى قلوب الذين اتبعوه توفيقهم للرأفة و الرحمة فيما بينهم فكانوا يعيشون على المعاضده و المسالمة كما وصف الله سبحانه الذين مع النبى صلى الله عليه و آله و سلم بالرحمة إذ قال: **رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (الفتح ٢٩)،** و قيل: المراد بجعل الرأفة و الرحمة فى قلوبهم الأمر بهما و الترغيب فيهما و وعد الثواب عليهما.

و قوله: وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمُ الرَّهْبَانِيَّةُ مِنَ الرِّهْبَةِ وَ هِيَ الْخَشْيَةُ، وَ يَطْلُقُ عَرَفَا عَلَى انْقِطَاعِ الْإِنْسَانِ مِنَ النَّاسِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ خَشْيَةً مِنْهُ، وَ الْإِبْتِدَاعُ إِتْيَانُ مَا لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ فِي دِينٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ صُنْعَةٍ، وَ قَوْلُهُ: «مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ» فِي مَعْنَى الْجَوَابِ عَنْ سَوْأَلِ مُقَدِّرِ كَأَنَّهُ قِيلَ: مَا مَعْنَى ابْتِدَاعِهِمْ لَهَا؟ فَقِيلَ: مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ.

و المعنى: أنهم ابتدعوا من عند أنفسهم رهبانية من غير أن نشرعه نحن لهم.

و قوله: إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا اسْتِثْنَاءً مَنْقُطِعَ مَعْنَاهُ مَا فَرَضْنَاهَا عَلَيْهِمْ لَكِنِّهِمْ وَضَعُوهَا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ابْتِغَاءَ لِرِضْوَانِ اللَّهِ وَ طَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ فَمَا حَافِظُوا عَلَيْهَا حَقَّ مَحَافِظَتِهَا بِتَعْدِيهِمْ حَدُودَهَا.

و فيه إشارة إلى أنها كانت مرضيه عنده تعالى و إن لم يشرعها بل كانوا هم المبتدعين لها.

و قوله: فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ إشارته إلى أنهم كالسابقين من أمم الرسل منهم مؤمنون مأجورون على إيمانهم و كثير منهم فاسقون، و الغلبة للفسق.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ الْخ؛ أمر الذين آمنوا بالتقوى و الإيمان بالرسول مع أن الذين استجابوا للدعوة فآمنوا بالله آمنوا برسوله أيضا دليل على أن المراد بالإيمان بالرسول الاتباع التام و الطاعة الكاملة لرسوله فيما يأمر به و ينهى عنه سواء كان ما يأمر به أو ينهى عنه حكما من الأحكام الشرعية أو صادرا عنه بماله من ولايه أمور الآله كما قال تعالى: فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (النساء / ٦٥).

فهذا إيمان بعد إيمان و مرتبه فوق مرتبه الإيمان الذي ربما يتخلف عنه أثره فلا يترتب عليه لضعفه، و بهذا يناسب قوله: «يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ» و الكفل الحظ و النصيب فله ثواب



على ثواب كما أنه إيمان على إيمان.

وقيل: المراد بإتيان كفلين من الرحمة إيتاؤهم أجرين كمؤمنى أهل الكتاب كأنه قيل:

يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الأجرين لأنكم مثلهم فى الايمان بالرسول المتقدمين و بخاتمهم عليهم السلام لا تفرقون بين أحد من رسله.

وقوله: وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ قيل: يعنى يوم القيامة و هو النور الذى أشير اليه بقوله: «يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ»

و فيه أن تقييد من غير دليل بل لهم نورهم فى الدنيا و هو المدلول عليه بقوله تعالى: أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا (الأنعام ١٢٢/)، و نورهم فى الآخرة و هو المدلول عليه بقوله: يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ (الآيه ١٢ من السوره) و غيره.

ثم كمل تعالى وعده بإيتائهم كفلين من رحمته و جعل نور يمشون به بالمغفره فقال: «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» .

قوله تعالى: لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ظاهر السياق أن فى الآيه التفاتا من خطاب المؤمنين الى خطاب النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و المراد بالعلم مطلق الاعتقاد كالزعم، و «أن» مخففه من الثقيله، و ضمير «يَقْدِرُونَ» للمؤمنين، و فى الكلام تعليل لمضمون الآيه السابقه.

و المعنى: إنما أمرناهم بالإيمان بعد الايمان و وعدناهم كفلين من الرحمة و جعل النور و المغفره لئلا يعتقد أهل الكتاب أن المؤمنين لا يقدرُونَ على شىء من فضل الله بخلاف المؤمنين من أهل الكتاب حيث يؤتون أجرهم مرتين أن آمنوا.

وقوله: وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ معطوف على «لِئَلَّا يَعْلَمَ»، و المعنى: إنما وعدنا بما وعدنا لأن كذا كذا و لأن الفضل بيد الله و الله

ذو الفضل العظیم.

و فی الآیه أقوال و احتمالات آخر لا جدوی فی إیرادها و البحث عنها (1).

ص: ۲۲۸

---

۱- ۱). الحدید ۲۵-۲۹: بحث روائی فی: المیزان؛ الرهبانیہ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:br>قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (٢) وَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَةَ يَوْمِ شَهْرَيْنِ مُتَابَعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِيُتَمَنَّا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦)

تعرض السوره لمعان متنوعه من حكم و أدب و صفه فشطرها في حكم الظهار و النجوى و أدب الجلوس في المجالس و شطرها يصف حال الذين يحادون الله و رسوله، و الذين يوادون أعداء الدين و يصف الذين يتحززون من موادتهم من المؤمنين و يعدهم وعدا جميلا في الدنيا و الآخرة.

و السوره مدنيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا** الخ؛ قال في المجمع: الاشتكاء إظهار ما بالإنسان من مكروه، و الشكايه إظهار ما يصنعه به غيره من المكروه. قال: و التحاور التراجع و هي المحاوره يقال:

حاوره محاوره أى راجعه الكلام و تحاورا. انتهى.

الآيات الأربع أو الست نزلت في الظهار و كان من أقسام الطلاق عند العرب الجاهلى كان الرجل يقول لامرأته: أنت منى كظهر أمى فتنفصل عنه و تحرم عليه مؤبده و قد ظاهر بعض الأنصار من امرأته ثم ندم عليه فجاءت امرأته الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تسائله فيه لعلها تجد طريقا الى رجوعه إليها و تجادله صلى الله عليه و آله و سلم في ذلك و تشتكى الى الله فنزلت الآيات.

و المراد بالسمع في قوله: **«قَدْ سَمِعَ اللَّهُ»** استجابته الدعوه و قضاء الحاجه من باب الكنايه

و هو شائع، و الدليل عليه قوله: «تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ» الظاهر في أنها كانت تتوخى طريقا الى أن لا تنفصل عن زوجها، و أما قوله: «وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا» فالسمع فيه بمعناه المعروف.

و المعنى: قد استجاب الله للمرأة التي تجادلك في زوجها- و قد ظاهر منها- و تشتكى غمها و ما حلّ بها من سوء الحال الى الله و الله يسمع تراجعكما في الكلام إن الله سميع للأصوات بصير بالمبصرات.

قوله تعالى: الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مِمَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ الخ؛ نفى لحكم الظهار المعروف عندهم و إلغاء لتأثيره بالطلاق و التحريم الأبدى بنفى أمومه الزوج للزوج بالظهار فإن سنه الجاهلية كانت تلحق الزوج بالام بسبب الظهار فتحرم على زوجها حرمة الام على ولدها حرمة مؤبده.

فقوله: مِمَّا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ أى بحسب اعتبار الشرع بأن يلحقن شرعا بهن بسبب الظهار فيحرم عليهم أبدا ثم أكد بقوله: «إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ» أى ليس أمهات أزواجهن إلا النساء اللاتي ولدنهم.

ثم أكد ذلك ثانيا بقوله: «وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا» بما فيه من سياق التأكيد أى و إن هؤلاء الأزواج المظاهرين ليقولون بالظهار منكر من القول ينكره الشرع حيث لم يعتبره و لم يسنه، و كذبا باعتبار أنه لا يوافق الشرع كما لا يطابق الخارج الواقع في الكون فأفادت الآية أن الظهار لا يفيد طلاقا و هذا لا ينافى وجوب الكفاره عليه لو أراد المواقعه بعد الظهار فالزوجيه على حالها و إن حرمت المواقعه قبل الكفاره.

و قوله: «وَ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ لَا يَخْلُو مِنْ دَلَالِهِ عَلَى كونه ذنبا مغفورا لكن ذكر الكفاره في الآية التاليه مع تذييلها بقوله: «وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» ربما دل على أن المغفره مشروطه بالكفاره.

قوله تعالى: وَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا السَّخَّاءُ الْكَلَامِ فِي مَعْنَى الشَّرْطِ وَ لَذَلِكَ دَخَلَتْ الْفَاءُ فِي الْخَبْرِ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْجَزَاءِ وَ الْمَحْصَلِ: أَنَّ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ ثُمَّ أَرَادُوا الْعُودَ لِمَا قَالُوا فَعَلَيْهِمْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ.

وَ فِي قَوْلِهِ: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا» دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْحُكْمَ فِي الْآيَةِ لِمَنْ ظَاهَرَ ثُمَّ أَرَادَ الرَّجُوعَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ الظَّهَارِ وَ هُوَ قَرِينُهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» إِرَادَةَ الْعُودِ إِلَى نَقْضِ مَا أBRَمَوْهُ بِالظَّهَارِ.

وَ الْمَعْنَى: وَ الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَرِيدُونَ أَنْ يَعُودُوا إِلَى مَا تَكَلَّمُوا بِهِ مِنْ كَلِمَةِ الظَّهَارِ فَيَنْقُضُوهَا بِالْمَوَاقِعِ فَعَلَيْهِمْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا.

وَ قِيلَ: الْمُرَادُ بِعُودِهِمْ لِمَا قَالُوا نَدَمَهُمْ عَلَى الظَّهَارِ، وَ فِيهِ أَنَّ النَّدَمَ عَلَيْهِ يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ مَحْصَلُ الْمَعْنَى لَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْكَلِمَةِ «يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» .

ثُمَّ ذِيلَ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: «ذَلِكُمْ تُوَعِّظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» إِيْذَانًا بِأَنَّ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْكُفَّارَةِ تَوْصِيَةٌ مِنْهُ بِهَا عَنْ خَبْرِهِ بِعَلْمِهِمْ ذَاكَ، فَالْكَفَّارَةُ هِيَ الَّتِي تَرْتَفِعُ بِهَا مَا لِحَقِّهِمْ مِنْ تَبَعِهِ الْعَمَلِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيحًا شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ؛ خَصَلَهُ ثَانِيَةً مِنَ الْكُفَّارَةِ مَرْتَبَةً عَلَى الْخَصَلَةِ الْأُولَى لِمَنْ لَا يَتِمُّكَ مِنْهَا وَ هِيَ صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا، وَ قِيدَ ثَانِيًا بِقَوْلِهِ: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا» لِدَفْعِ تَوْهَمِ اخْتِصَاصِ الْقَيْدِ بِالْخَصَلَةِ الْأُولَى.

وَ قَوْلُهُ: فَمَنْ لَمْ يَسِطَّعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا بَيَانٌ لِلْخَصَلَةِ الثَّلَاثَةِ فَمَنْ لَمْ يَطُقْ صِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ فَعَلَيْهِ إِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا وَ تَفْصِيلُ الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فِي الْفَقْهِ.

وَ قَوْلُهُ: ذَلِكُمْ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ أَيْ مَا جَعَلْنَاهُ مِنَ الْحُكْمِ وَ افْتَرَضْنَاهُ مِنَ الْكُفَّارَةِ فَأَبْقَيْنَا عِلْقَهُ الزَّوْجِيَّةَ وَ وَضَعْنَا الْكُفَّارَةَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَوَاقِعِ جَزَاءً بِمَا أَتَى

بسنة من سنن الجاهليه كل ذلك لتؤمنوا بالله و رسوله و ترفضوا أباطيل السنن.

و قوله: **وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** حد الشيء ما ينتهى اليه و لا يتعداه و أصله المنع، و المراد أن ما افترضناه من الخصال أو ما نضعها من الأحكام حدود الله فلا- تتعدوها بالمخالفة و للكافرين بما حكمنا به فى الظهار أو بما شرعناه من الأحكام بالمخالفة و المحاده عذاب أليم.

و الظاهر أن المراد بالكفر رد الحكم و الأخذ بالظهار بما أنه سنة مؤثره مقبوله، و يؤيده قوله: **﴿ذَلِكَ لِيُثَبِّتُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ﴾** أى تدعونوا بأن حكم الله حق و أن رسوله صادق أمين فى تبليغه، و قد أكده بقوله: **﴿وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾** الخ؛ و يمكن أن يكون المراد بالكفر الكفر فى مقام العمل و هو العصيان.

قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ كُتِبُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** الخ؛ المجاده الممانعه و المخالفة، و الكبت الإذلال و الإخزاء.

و الآيه و التى تتلوها و إن أمكن أن تكونا استثناء يبين أمر محاده الله و رسوله من حيث تبعتها و أثرها لكن ظاهر السياق أن تكونا مسوقتين لتعليل ذيل الآيه السابقه الذى معناه النهى عن محاده الله و رسوله، و المعنى: إنما أمرناكم بالإيمان بالله و رسوله و نهيناكم عن تعدى حدود الله و الكفر بها لأن الذين يحادون الله و رسوله بالمخالفة أذلوا و أخزوا كما أذل و أخزى الذين من قبلهم.

ثم أكده بقوله: **﴿وَ قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾** أى لا ريب فى كونها منا و فى أن رسولنا صادق أمين فى تبليغها، و للكافرين بها الرادين لها عذاب مهين مخز.

قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾** ظرف لقوله:

**﴿وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** أى لهم أليم العذاب فى يوم يبعثهم الله و هو يوم الحساب و الجزاء فيخبرهم بحقيقته جميع ما عملوا فى الدنيا.

وقوله: أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ الإحصاء الإحاطه بعدد الشيء من غير أن يفوت منه شيء، قال الراغب: الإحصاء التحصيل بالعدد يقال: أحصيت كذا، وذلك من لفظ الحصى، واستعمال ذلك فيه من حيث إنهم كانوا يعتمدونه في العد كاعتمادنا فيه على الأصابع. انتهى.

وقوله: وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ تعليل لقوله: «أَحْصَاهُ اللَّهُ» وقد مرّ تفسير شهاده الله على كل شيء في آخر سورة حم السجده (١).

### [سوره المجادله (٥٨): الآيات ٧ الى ١٣]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَغْلِبُ الْمُشْرِكِينَ ۗ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ فِي الْمَأْرُضِ ۗ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصِیلُونَ بِهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبُرِّ وَالنُّتْقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارٍّ لَهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) أَسْأَلْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)

ص: ٢٣٤

(١-١). المجادله ١-٦: بحث روائي حول قوله تعالى: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا» طلاق الظهار.



وقوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْأَسْتَفْهَامِ إنكارى، والمراد بالرؤية العلم اليقيني على سبيل الاستعارة، والجمله تقدمه يعلل بها ما يتلوها من كونه تعالى مع أهل النجوى مشاركا لهم فى نجواهم.

قوله تعالى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ؛ النجوى مصدر بمعنى التناجى و هو المساره، و ضمائر الإفراد لله سبحانه، والمراد بقوله: «رَابِعُهُمْ» و «سَادِسُهُمْ» جاعل الثلاثة أربعة و جاعل الخمسه ستة

بمشاركته لهم في العلم بما يتناجون فيه و معيته لهم في الاطلاع على ما يسارون فيه كما يشهد به ما احتف بالكلام من قوله في أول الآيه: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ» الخ؛ وفي آخرها من قوله: «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» .

و قوله: «لَا أَذْنِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ أَى وَلَا أَقَلُّ مِمَّا ذَكَرَ مِنَ الْعَدَدِ وَلَا أَكْثَرُ مِمَّا ذَكَرَ، وَبِهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ يَشْمَلُ الْكَلَامُ عِدَدَ أَهْلِ النَّجْوَى أَيَا مَا كَانَ أَمَا الْأَدْنَى مِنْ ذَلِكَ فَالْأَدْنَى مِنَ الثَّلَاثَةِ الْإِثْنَانِ وَالْأَدْنَى مِنَ الْخَمْسَةِ الْأَرْبَعَةُ، وَأَمَا الْأَكْثَرُ فَالْأَكْثَرُ مِنَ خَمْسَةِ السِّتَةِ فَمَا فَوْقَهَا.

و من لطف سياق الآيه ترتب ما أشير اليه من مراتب العدد: و الثلاثة و الأربعة و الخمسه و الستة من غير تكرار فلم يقل: من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم و لا أربعة إلا هو خامسهم و هكذا.

و قوله: «إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا» المراد به المعية من حيث العلم بما يتناجون به و المشاركة لهم فيه.

و بذلك يظهر أن المراد بكونه تعالى رابع الثلاثة المتناجين و سادس الخمسه المتناجين معيته لهم في العلم و مشاركته لهم في الاطلاع على ما يسارون لا مماثلته لهم في تتميم العدد فإن كلا منهم شخص واحد جسماني يكون بانضمامه الى مثله عدد الاثنتين و الى مثليه الثلاثة و الله سبحانه منزّه عن الجسميه برىء من الماديه.

و ذلك أن مقتضى السياق أن المستثنى من قوله: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى» الخ؛ معنى واحد و هو أن الله لا يخفى عليه نجوى فقوله: «إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ» «إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ» في معنى قوله: «إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ» و هو المعية العلميه أى أنه يشاركهم في العلم و يقارنهم فيه أو المعية الوجوديه بمعنى أنه كلما فرض قوم يتناجون فالله سبحانه هناك سميع عليم.

و في قوله: «أَيْنَ مَا كَانُوا» تعميم من حيث المكان إذ لما كانت معيته تعالى لهم من حيث

العلم لا- بالاعتقان الجسماني لم يتفاوت الحال و لم يختلف باختلاف الأمكنه بالقرب و البعد فالله سبحانه لا يخلو منه مكان و ليس في مكان.

و بما تقدم يظهر أيضا أن- ما تفيداه الآيه من معيته تعالى لأصحاب النجوى و كونه رابع الثلاثه منهم و سادسهم الخمسه منهم لا ينافى ما تقدم تفصيلا في ذيل قوله تعالى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثِهِ (المائدة ٧٣)، من أن وحدته تعالى ليست وحده عدديه بل وحده أحديه يستحيل معها فرض غير معه يكون ثانيا له فالمراد بكونه معهم و رابعا للثلاثه منهم و سادسا للخمسه منهم أنه عالم بما يتناجون به و ظاهر مكشوف له ما يخفونه من غيرهم لا أن له وجودا محدودا يقبل العد يمكن أن يفرض له ثان و ثالث و هكذا.

و قوله: ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَي يخبرهم بحقيقه ما عملوا من عمل و منه نجواهم و مسارتهم.

و قوله: إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ تعليل لقوله: «ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ» الخ؛ و تأكيد لما تقدم من علمه بما في السماوات و ما في الأرض، و كونه مع أصحاب النجوى.

و الآيه تصلح أن تكون توطئه و تمهيدا لمضمون الآيات التاليه و لا يخلو ذيلها من لحن شديد يرتبط بما في الآيات التاليه من الذم و التهديد.

قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعْوِدُونَ لَهَا لِيُنهَوْا عَنْهُ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ؛ سياق الآيات يدل على أن قوما من المنافقين و الذين في قلوبهم مرض من المؤمنين كانوا قد أشاعوا بينهم النجوى محاده للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و المؤمنين يتناجون بينهم بالإثم و العدوان و معصيه الرسول و ليؤذوا بذلك المؤمنين و يحزنون و كانوا يصرون على ذلك من غير أن ينتهوا بنهى فنزلت الآيات.

فقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يُعْوِدُونَ لَهَا لِيُنهَوْا عَنْهُ ذم و توبيخ غيابي لهم، و قد خاطب النبي صلى الله عليه و آله و سلم و لم يخاطبهم أنفسهم مبالغه في تحقير أمرهم

و إبعادا لهم عن شرف المخاطبه.

و المعنى: أ لم تنظر الى الذين نهوا عن التناجى بينهم بما يغتم المؤمنين و يحزنهم ثم يعودون الى التناجى الذى نهوا عنه عوده بعد عوده، و فى التعبير بقوله: «يَعُودُونَ» دلالة على الاستمرار، و فى العدول عن ضمير النجوى الى الموصول و الصلة حيث قيل «يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ» و لم يقل «يعودون إليها» دلالة على سبب الذم و التوبيخ و مساءه العود لأنها أمر منهى عنه.

و قوله: «و يَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ الْمَقَابِلَةَ بَيْنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ: الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ تَفِيدُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِثْمِ هُوَ الْعَمَلُ الَّذِي لَهُ أَثَرٌ سَيِّئٌ لَا يَتَعَدَى نَفْسَ عَامِلِهِ كَشَرْبِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ تَرْكِ الصَّلَاةِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ مِنَ الْمَعَاصِي بِحَقُوقِ اللَّهِ، وَ الْعُدْوَانُ هُوَ الْعَمَلُ الَّذِي فِيهِ تَجَاوَزَ إِلَى الْغَيْرِ مِمَّا يَتَضَرَّرُ بِهِ النَّاسُ وَ يَتَأَذُونَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ مِنَ الْمَعَاصِي بِحَقُوقِ النَّاسِ، وَ الْقِسْمَانِ أَعْنَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ جَمِيعًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ مَخَالَفَتُهُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ جَائِزَةٌ فِي نَفْسِهَا لَا أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ مِنَ اللَّهِ فِيهَا لَكِنِ الرَّسُولُ أَمَرَ بِهَا أَوْ نَهَى عَنْهَا لِمَصْلَحَةِ الْأُمَّةِ بِمَالِهِ وَ لَوْلَا أَمْرُهُمْ وَ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَا نَهَاهُمْ عَنِ النَّجْوَى وَ إِنْ لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَى مَعْصِيَةِ».

كان ما تقدم من قوله: «الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ» ذمًا و توبيخًا لهم على نفس نجواهم بما أنها منهى عنها مع الغض عن كونها بمعصية أو غيرها: و هذا الفصل أعنى قوله: «و يَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ» ذمًا و توبيخًا لهم بما يشتمل عليه تناجيتهم من المعصية بأنواعها و هؤلاء القوم هم المنافقون و مرضى القلوب كانوا يكثرون من النجوى بينهم ليغتم بها المؤمنون و يحزنوا و يتأذوا.

و قيل: المنافقون و اليهود كان يناجى بعضهم بعضا ليحزنوا المؤمنين و يلقوا بينهم الوحشه و الفرع و يوهنوا عزمهم لكن فى شمول قوله: «الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ»



و العدو و معصية الرسول و أن يكون تناجيا بالبر و التقوى و البر و هو التوسع في فعل الخير يقابل العدو، و التقوى مقابل الإثم ثم أكد الكلام بالأمر بمطلق التقوى بإنذارهم بالحشر بقوله: «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» .

قوله تعالى: إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الخ؛ المراد بالنجوى-على ما يفيد السياق- هو النجوى الدائرة في تلك الأيام بين المنافقين و مرضى القلوب و هى من الشيطان فإنه الذى يزينها فى قلوبهم ليتوسل بها الى حزنهم و يشوش قلوبهم ليوهمهم أنها فى نائبه حلت بهم و بليتة أصابتهم.

ثم طيب الله سبحانه قلوب المؤمنين بتذكيرهم أن الأمر الى الله سبحانه و أن الشيطان أو التناجى لا يضرهم شيئا إلا بإذن الله فليتوكلوا عليه و لا يخافوا ضره و قد نص سبحانه فى قوله: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ (الطلاق/٣) أنه يكفى من توكل عليه، و استنهضهم على التوكيل بأنه من لوازم إيمان المؤمن فإن يكونوا مؤمنين فليتوكلوا عليه فهو يكفيهم. و هذا معنى قوله: «وَ لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» .

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ الخ؛ التفسح الاتساع و كذا الفسح، و المجالس جمع مجلس اسم مكان، و الاتساع فى المجلس أن يتسع الجالس ليسع المكان غيره و فسح الله له أن يوسع له فى الجنة.

و الآيه تتضمن أدبا من آداب المعاشرة، و يستفاد من سياقها أنهم كانوا يحضرون مجلس النبى صلى الله عليه و آله و سلم فيجلسون ركاما لا يدع لغيرهم من الواردين مكانا يجلس فيه فادبوا بقوله: «إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا» الخ؛ و الحكم عام و إن كان مورد النزول مجلس النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

و المعنى: يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم توسعوا فى المجالس ليسع المكان معكم غيركم

فتوسّعوا وسّع الله لكم فى الجنة.

و قوله: وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا يتضمن أدبا آخر، والشوز- كما قيل - الارتفاع عن الشىء بالذهاب عنه، والنشوز عن المجلس أن يقوم الإنسان عن مجلسه ليجلس فيه غيره إعظاما له و تواضعا لفضله.

و المعنى: و إذا قيل لكم قوموا ليجلس مكانكم من هو أفضل منكم فى علم أو تقوى فقوموا.

و قوله: يَزِفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ لَا رَيْبَ فِي أَنْ لَأَزِمَ رَفَعَهُ تَعَالَى دَرَجَهُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ مَزِيدَ قَرْبِهِ مِنْهُ تَعَالَى، و هذا قرينه عقليه على أن المراد بهؤلاء الذين أُوتوا العلم العلماء من المؤمنين فتدل الآيه على انقسام المؤمنين الى طائفتين: مؤمن و مؤمن عالم، و المؤمن العالم أفضل و قد قال تعالى: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (الزمر ٩).

و فى الآيه من تعظيم أمر العلماء و رفع قدرهم ما لا يخفى. و أكد الحكم بتذييل الآيه بقوله:

«وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» .

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَهُ الخ؛ أى إذا أردتم أن تناجوا الرسول فتصدقوا قبلها.

و قوله: ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ تَعْلِيلٌ لِلتَّشْرِيعِ نَظِيرُ قَوْلِهِ: وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ (البقره ١٨٤)، و لا شك أن المراد بكونها خيرا لهم و أظهر أنها خير لنفوسهم و أظهر لقلوبهم و لعل الوجه فى ذلك أن الأغنياء منهم كانوا يكثر من مناجاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم يظهرون بذلك نوعا من التقرب اليه و الاختصاص به و كان الفقراء منهم يحزنون بذلك و ينكسر قلوبهم فامروا أن يتصدقوا بين يدي نجواهم على فقرائهم بما فيها من ارتباط النفوس و إثارة الرحمه و الشفقه و الموده وصله القلوب بزوال الغيظ و الحنق.

و فى قوله: ذَلِكُ التَّفَاتِ إِلَى خُطَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ بَيْنَ خُطَابَيْنِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ فِيهِ تَجْلِيلٌ لَطِيفٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ حَيْثُ إِنْ حَكَمَ الصَّدَقَةَ مُرْتَبِطًا بِنَجْوَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ وَ الْإِثْفَاتِ إِلَيْهِ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ مُزِيدٌ عَنَّا بِهِ.

و قوله: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَى فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا شَيْئًا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ فَلَا يَجِبُ عَلَيْكُمْ تَقْدِيمُهَا وَ قَدْ رَخَّصَ اللَّهُ لَكُمْ فِى نَجْوَاهُ وَ عَفَى عَنْكُمْ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَقَوْلُهُ:

«فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» مِنْ وَضَعِ السَّبَبِ مَوْضِعَ الْمَسْبُوبِ.

وَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى رَفْعِ الْوَجُوبِ عَلَى الْمَعْدَمِينَ كَمَا أَنَّهُ قَرِينُهُ عَلَى إِرَادَةِ الْوَجُوبِ فِى قَوْلِهِ:

«فَقَدَّمُوا» الْخ؛ وَ وَجُوبُهُ عَلَى الْمَوْسِرِينَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: أَمْ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ الْخ؛ الْآيَةُ نَاسَخَةٌ لِحَكْمِ الصَّدَقَةِ الْمَذْكُورِ فِى الْآيَةِ السَّابِقَةِ، وَ فِيهِ عِتَابٌ شَدِيدٌ لِصَحَابِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ وَ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ إِنَّهُمْ تَرَكُوا مَنَاجَاتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ خَوْفًا مِنْ بَذْلِ الْمَالِ بِالصَّدَقَةِ فَلَمْ يَنَاجِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا عَلَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ نَاجَاهُ عَشْرَ نَجَوَاتٍ كُلَّمَا نَاجَاهُ قَدَمَ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاهُ صَدَقَهُ ثُمَّ نَزَلَتِ الْآيَةُ وَ نَسَخَتِ الْحَكْمَ.

وَ الْإِشْفَاقُ الْخَشْيَةُ، وَ قَوْلُهُ: «أَنْ تُقَدِّمُوا» الْخ؛ مَفْعُولُهُ وَ الْمَعْنَى: أَمْ خَشِيتُمْ التَّصَدَّقَ وَ بَذَلَ الْمَالَ لِلنَّجْوَى، وَ احْتِمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَفْعُولُ مَحْذُوفًا وَ التَّقْدِيرُ أَمْ خَشِيتُمْ الْفَقْرَ لِأَجْلِ بَذْلِ الْمَالِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: جَمَعَ الصَّدَقَاتُ لِمَا أَنَّ الْخَوْفَ لَمْ يَكُنْ فِى الْحَقِيقَةِ مِنْ تَقْدِيمِ صَدَقَتِهِ وَاحِدَةً لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ الْفَقْرَ بَلْ مِنْ اسْتِمْرَارِ الْأَمْرِ وَ تَقْدِيمِ صَدَقَاتٍ.

وَ قَوْلُهُ: فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ الْخ؛ أَى فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا مَا كَلَفْتُمْ بِهِ وَ رَجَعَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ الْعَفْوُ وَ الْمَغْفَرَةُ فَأَثْبَتُوا عَلَىٰ امْتِثَالِ سَائِرِ التَّكَالِيفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءِ الزَّكَاةِ.

فَفِى قَوْلِهِ: وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ دَلَالَةٌ عَلَىٰ كَوْنِ ذَلِكَ مِنْهُمْ ذُنُوبًا وَ مَعْصِيَةً غَيْرَ أَنَّهُ



تعالى غفر لهم ذلك.

و في كون قوله: فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ الخ؛ متفرعا على قوله: «فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا» الخ؛ دلالة على نسخ حكم الصدقة قبل النجوى.

و في قوله: وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ تعميم لحكم الطاعة لسائر التكاليف بإيجاب الطاعة المطلقة، و في قوله: «وَ اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» نوع تشديد يتأكد به حكم وجوب طاعة الله و رسوله (١).

### [سورة المجادلة (٥٨): الآيات ١٤ الى ٢٢]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِمَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ أَزَادَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يَدْخُلُهُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)

ص: ٢٤٣

١- (١). المجادلة ٧-١٣: بحث روائي في: تحية أهل الجاهلية؛ فضل العالم؛ النجوى.

قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَخِ الْقَوْمِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ، قال تعالى: مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ (المائدة ٦٠).

وقوله: مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ضَمِير «هُمْ» لِلْمُنَافِقِينَ وَضَمِير «مِنْهُمْ» لِلْيَهُودِ، وَ الْمَعْنَى: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ لَتَذِيبُهُمْ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ لَيْسُوا مِنْكُمْ وَلَا مِنْ يَهُودِ، قَالَ تَعَالَى: مُذْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ (النساء ١٤٣).

و هذه صفتهم بحسب ظاهر حالهم و أما بحسب الحقيقة فهم ملحقون بمن تولوهم، قال تعالى: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَبِإِنَّهٗ مِنْهُمْ (المائدة ٥١)، فلا منافاه بين قوله: «مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ» وقوله: «فَبِإِنَّهٗ مِنْهُمْ» .

وقوله: وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَي يَحْلِفُونَ لَكُمْ عَلَى الْكُذْبِ

أنهم منكم مؤمنون أمثالكم و هم يعلمون أنهم كاذبون في حلفهم.

قوله تعالى: أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ الإِعداد التهيئه، وقوله: «إِنَّهُمْ سَاءَ» الخ؛ تعليل للإعداد، و في قوله: «كَانُوا يَعْمَلُونَ» دلاله على أنهم كانوا مستمرين في عملهم مداومين عليه.

و المعنى: هتأ الله لهم عذابا شديدا لاستمرارهم على عملهم السيئ.

قوله تعالى: اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ الأيمان جمع يمين و هو الحلف، و الجنه الستره التى يتقى بها الشر كالترس، و المهين اسم فاعل من الإهانه بمعنى الإذلال و الإخزاء.

و المعنى: اتخذوا أيمانهم ستره يدفعون بها عن نفوسهم التهمه و الظنه كلما ظهر منهم أمر يريب المؤمنين فصرفوا أنفسهم و غيرهم عن سبيل الله و هو الإسلام فلهم- لأجل ذلك- عذاب مذلّ مخز.

قوله تعالى: لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أى إن الذى دعاهم الى ما هم عليه متاع الحياه الدنيا الذى هو الأموال و الأولاد لكنهم فى حاجه الى التخلص من عذاب خالد لا يقضيها لهم إلا الله سبحانه فهم فى فقر اليه لا يغنيهم عنه أموالهم و لا أولادهم شيئا فليؤمنوا به و ليعبدوه.

قوله تعالى: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلْحَقَ بِظَرْفٍ لما تقدم من قوله: «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا» أو لقوله: «أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ»، و قوله: «فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ» أى يحلفون لله يوم البعث كما يحلفون لكم فى الدنيا.

و قد قدمنا فى تفسير قوله تعالى: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَ اللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (الأنعام ٢٣) أن حلفهم على الكذب يوم القيامة مع ظهور حقائق الامور يومئذ

من ظهور ملكاتهم هناك لرسوخها في نفوسهم في الدنيا فقد اعتادوا فيها على إظهار الباطل على الحق بالإيمان الكاذبه و كما يعيشون يموتون و كما يموتون يعيشون.

و من هذا القبيل سؤالهم الرد الى الدنيا يومئذ، و الخروج من النار و خصامهم في النار و غير ذلك مما يقصه القرآن الكريم، و هم يشاهدون مشاهد عيان أن لا سبيل الى شيء من ذلك و اليوم جزء لا يوم عمل.

و أما قوله: «وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَيْ مُسْتَقْرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ يَصْلِحُ أَنْ يَسْتَقِرَّ عَلَيْهِ وَ يَتِمَّكَن فِيهِ فَيَمَكِّنُهُم السُّتْرَ عَلَىٰ الْحَقِّ وَ الْمَنَعُ عَنِ الظُّهُورِ كَذِبُهُمْ بِمِثْلِ الْإِنْكَارِ وَ الْحَلْفِ الْكَاذِبِ.

فيمكن أن يكون قيذا لقوله: «كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ» فيكون إشاره الى وصفهم في الدنيا و أنهم يحسبون أن حلفهم لكم ينفعهم و يرضيكم، و يكون قوله: «أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ» قضاء منه تعالى في حقهم بأنهم كاذبون فلا يصغى الى ما يهدون به و لا يعتنى بما يحلفون به.

و يمكن أن يكون قيذا لقوله: «فَيَخْلِفُونَ لَهُ» فيكون من قبيل ظهور الملكات يومئذ كما تقدم في معنى حلفهم آنفا، و يكون قوله: «أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ» حكما منه تعالى بكذبهم يوم القيامة أو مطلقا.

قوله تعالى: «إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ أَنْ فَاَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» الاستحواذ الاستيلاء و الغلبه، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ» تعليل لكونهم هم الخاسرين أي إنما كانوا خاسرين لأنهم يحادون الله و رسوله بالمخالفة و المعانده و المحادون لله و رسوله في جملة الأذلين من خلق الله تعالى.

قيل: إنما كانوا في الأذلين لأن ذله أحد المتخاصمين على مقدار عزه الآخر و إذ كانت العزه

لله جميعا فلا يبقى لمن حادّه إلا الذله محضا.

قوله تعالى: كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ الكتابه هي القضاء منه تعالى.

و ظاهر إطلاق الغلبه شمولها للغلبه من حيث الحججه و من حيث التأيد الغيبي و من حيث طبيعه الإيمان بالله و رسوله.

أما من حيث الحججه فإن الإنسان مفطور على صلاحه إدراك الحق و الخضوع له فلو بين له الحق من السبيل التي يألفها لم يلبث دون أن يعقله و إذا عقله اعترفت له فطرته و خضعت له طويته و إن لم يخضع له عملا اتباعا لهوى أو أى مانع يمنعه عن ذلك.

و أما الغلبه من حيث التأيد الغيبي و القضاء للحق على الباطل فيكفي فيها أنواع العذاب التي أنزلها الله تعالى على مكذبي الامم الماضين كقوم نوح و هود و صالح و لوط و شعيب و على آل فرعون و غيرهم ممن يشير تعالى اليهم بقوله: ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّه رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (المؤمنون / ٤٤)، و على ذلك جرت السنه الإلهيه و قد أجمل ذكرها في قوله: وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (يونس / ٤٧).

و أما الغلبه من حيث طبيعه الإيمان بالله و رسوله فإن إيمان المؤمن يدعوه الى الدفاع و الذبّ عن الحق و المقاومه تجاه الباطل مطلقا و هو يرى أنه إن قتل فاز و إن قتل فاز فثباته على الدفاع غير مقيّد بقاء و لا محدود بحدّ و هذا بخلاف من يدافع لا عن الحق بما هو حق بل عن شىء من المقاصد الدنيويه فإنه إنما يدافع لأجل نفسه فلو شاهد نفسه مشرفه على هلكه أو راكمه مخاطره تولى منهزما فهو إنما يدافع على شرط و الى حدّ و هو سلامه النفس و عدم الإشراف على الهلكه و من الضروري أن العزيمه المطلقه تغلب العزيمه المقيده بقيد المحدوده بحدّ و من الشاهد عليه غزوات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بما أدت اليه من الفتح و الظفر فى عين أنها كانت سجالا

لكن لم تنته إلا الى تقدّم المسلمين و غلبتهم.

و لم تقف الفتوحات الإسلاميه و لا تفرّقت جموع المسلمين أيادي سبأ إلا بفساد نيّاتهم و تبديل سيره التقوى و الإخلاص لله و بسط الدين الحق من بسط السلطه و توسعه المملكه ذلك بأنّ الله لم يكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَيَّ قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بَأَنْفُسِهِمْ (١) و قد اشترط الله عليهم حين أكمل دينهم و أمنهم من عدوهم أن يخشوه إذ قال: «الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ» .

و يكفى فى تسجيل هذه الغلبه قوله تعالى فيما يخاطب المؤمنين: وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْمَاعِلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (آل عمران ١٣٩).

قوله تعالى: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ الْخِيفَةُ وَ جَدان قوم على هذه الصفه كناية عن أن الإيمان الصادق بالله و اليوم الآخر لا يجامع مواده أهل المحاده و المعانده من الكفار و لو قارن أى سبب من أسباب الموده كالابوه و البنوه و الاخوه و سائر أقسام القرابه فيبين الإيمان و مواده أهل المحاده تضاداً لا يجتمعان لذلك.

و قد بان أن قوله: «وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ» الخ؛ إشاره الى أسباب الموده مطلقاً و قد خصّت موده النسب بالذكر لكونه أقوى أسباب الموده من حيث ثباته و عدم تغيره.

و قوله: «أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ» الإشاره الى القوم بما ذكر لهم من الصفه، و الكتابه الإثبات بحيث لا يتغير و لا يزول و الضمير لله و فيه نص على أنهم مؤمنون حقاً.

و قوله: وَ أَيْدُهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ التأييد التقويه، و ضمير الفاعل فى «أَيْدُهُمْ» لله تعالى و كذا ضمير «مِنْهُ» و «من» ابتدائية، و المعنى: و قواهم الله بروح من عنده تعالى، و قيل:

ص: ٢٤٨

الضمير للإيمان، والمعنى: و قواهم الله بروح من جنس الإيمان يحيى بها قلوبهم، و لا بأس به.

ثم الروح-على ما يتبادر من معناها-هى مبدأ الحياه التى تترشح منها القدره و الشعور فإبقاء قوله: «وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ» على ظاهره يفيد أن للمؤمنين وراء الروح البشريه التى يشترك فيها المؤمن و الكافر روحا اخرى تفيض عليهم حياه اخرى و تصاحبها قدره و شعور جديدان، و الى ذلك يشير قوله تعالى: أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَّلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا (الأنعام ١٢٢/)، و قوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً (النحل ٩٧/).

و ما فى الآيه من طيب الحياه يلزم طيب أثرها و هو القدره و الشعور المتفرع عليهما الأعمال الصالحه، و هما المعبر عنهما فى آيه الأنعام المذكوره آنفا بالنور و نظيرها قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ (الحديد ٢٨/).

و هذه حياه خاصه كريمه لها آثار خاصه ملازمه لسعاده الإنسان الأبدية وراء الحياه المشتركه بين المؤمن و الكافر التى لها آثار مشتركه فلها مبدأ خاص و هو روح الإيمان التى تذكرها الآيه وراء الروح المشتركه بين المؤمن و الكافر.

و على هذا فلا موجب لما ذكروا أن المراد بالروح نور القلب و هو نور العلم الذى يحصل به الطمأنينه و أن تسميته روحا مجاز مرسل لأنه سبب للحياه الطيبه الأبدية أو من الاستعاره لأنه فى ملازمته وجوه العلم الفاضل على القلب-و العلم حياه القلب كما أن الجهل موته- يشبه الروح المفيض للحياه. انتهى.

و قوله: وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ جَمِيلًا وَ وَصَفَ لِحَيَاتِهِمُ الْآخِرَةَ الطيبه.

و قوله: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ استئناف يعلل قوله: «وَ يُدْخِلُهُمْ

جَدَّاتٍ» الخ؛ ورضا الله سبحانه عنهم رحمة لهم لإخلاصهم الإيمان له و رضاهم عنه و ابتهاجهم بما رزقهم من الحياه الطيبه و الجنه.

وقوله: **أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** تشریف لهؤلاء المخلصين في إيمانهم بأنهم حزبه تعالى كما أن أولئك المنافقين الموالين لأعداء الله حزب الشيطان و هؤلاء مفلحون كما أن أولئك خاسرون.

و في قوله: **«أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ»** وضع الظاهر موضع الضمير ليجرى الكلام مجرى المثل السائر (1).

ص: ٢٥٠

---

١- ١). المجادله ١٤-٢٢: بحث روائى حول غلبه الله و رسله؛ الحب فى الله و البغض فى الله؛ روح الايمان.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ /> سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كَنْنَ اللَّهُ يَسْلُطْ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللِّرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُنْ لَا يَكُونَ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْزَوْنَ مِنْهَا جَزْرًا إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (١٠)



قوله تعالى: سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ افتتاح مطابق لما في مختتم السوره من قوله: «يَسْبُحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» .

و إنما افتتح بالتنزيه لما وقع في السوره من الإشاره الى خيانه اليهود و نقضهم العهد ثم وعد المنافقين لهم بالنصر غدرا كمثل الذين كانوا من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم، و بالنظر الى ما أذاقهم الله من وبال كيدهم، و كون ذلك على ما يقتضيه الحكمة و المصلحه ذيل الآيه بقوله:

«وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» .

قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ تأييد لما ذكر في الآيه السابقه من تنزيهه تعالى و عزته و حكمته، و المراد بإخراج الذين كفروا من أهل الكتاب إجلاء بني النضير حتى من أحياء اليهود كانوا يسكنون خارج المدينه و كان بينهم و بين النبي صلى الله عليه و آله و سلم عهد أن لا يكونوا له و لا عليه ثم نقضوا العهد فأجلاهم النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ستأتى قصتهم في البحث الروائي التالي إن شاء الله.

و الحشر إخراج الجماعه بإزعاج، و «لأَوَّلِ الْحَشْرِ» من إضافه الصفه الى الموصوف، و اللام بمعنى فى كقوله: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ (الإسراء ٧٨).

و المعنى: الله الذى أخرج بني النضير من اليهود من ديارهم فى أول إخراجهم من جزيره العرب.

ثم أشار تعالى الى أهميه إخراجهم بقوله: «مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا» لما كنتم تشاهدون فيهم من القوه و الشده و المنعه «و ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ» فلن يغلبهم الله و هم متحصنون فيها و عدّ حصونهم بحسب ظنهم مانعه من الله لا من المسلمين لما أن إخراجهم منها

منسوب في الآيه السابقه اليه تعالى و كذا إلقاء الرعب في قلوبهم في ذيل الآيه، و في الكلام دلالة على أنه كانت لهم حصون متعددة.

ثم ذكر فساد ظنهم و خبطهم في مزعتهم بقوله: «فَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» و المراد به نفوذ إرادته تعالى فيهم لا- من طريق احتسابه و هو طريق الحصون و الأبواب بل من طريق باطنهم و هو طريق القلوب «وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» و الرعب الخوف الذي يملأ القلب «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ» لثلاث تقع في أيدي المؤمنين بعد خروجهم و هذه من قوه سلطانه تعالى عليهم حيث أجرى ما أراه بأيدى أنفسهم «وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ» حيث أمرهم بذلك و وفقهم لامتنال أمره و إنفاذ إرادته «فَاعْتَبِرُوا» و خذوا بالعظه «يَا أُولِي الْأَبْصَارِ» بما تشاهدون من صنع الله العزيز الحكيم بهم قبال مشاقتهم له و رسوله.

و قيل: كانوا يخربون البيوت ليهربوا و يخربها المؤمنون ليصلوا.

و قيل: المراد بتخريب البيوت اختلاف نظام حياتهم فقد خربوا بيوتهم بأيديهم حيث نقضوا موادعه، و بأيدي المؤمنين حيث بعثوهم على قتالهم.

و فيه أن ظاهر قوله: يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ الخ؛ أنه بيان لقوله: «فَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» الخ؛ من حيث أثره فهو متأخر عن نقض الموادعه.

قوله تعالى: «وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ الْجَلَاءِ» عليهم قضاؤه في حقهم، و المراد بعذابهم في الدنيا عذاب الاستئصال أو القتل و السبى.

و المعنى: و لو لا أن قضى الله عليهم الخروج من ديارهم و ترك وطنهم لعذبهم في الدنيا بعذاب الاستئصال أو القتل و السبى كما فعل بنى قريظه و لهم في الآخرة عذاب النار.

قوله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ الْمُخَالَفَةَ بِالْعِنَادِ، وَ الْإِشَارَةَ بِذَلِكَ إِلَى مَا ذَكَرَ مِنْ إِخْرَاجِهِمْ

و استحقاقهم العذاب لو لم يكتب عليهم الجلاء، و في تخصيص مشاقتهم بالله في قوله: «وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ» بعد تعميمه لله و رسوله في قوله: «شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» تلويح الى أن مشاقه الرسول مشاقه الله و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» ذكر الراغب أن اللينه النخلة الناعمة من دون اختصاص منه بنوع منها دون نوع، ورووا أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أمر بقطع نخيلهم فلما قطع بعضها نادوه: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض فما بال النخيل تقطع فنزلت الآية فاجيب عن قولهم بأن ما قطعوا من نخله أو تركوها قائمه على أصولها فبإذن الله و لله في حكمه هذا غايات حقه و حكم بالغه منها إخزاء الفاسقين و هم بنو النضير.

فقوله: «وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» اللام فيه للتعليل و هو معطوف على محذوف و التقدير:

القطع و الترك بإذن الله ليفعل كذا و كذا و ليخزي الفاسقين فهو كقوله: «وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» (الأنعام ٧٥).

قوله تعالى: «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ الْخَبْرُ الْإِفَادَةُ الْإِرْجَاعُ مِنَ الْفَيْءِ بِمَعْنَى الرَّجُوعِ، وَ ضَمِيرٌ «مِنْهُمْ» لِبَنِي النَّضِيرِ وَ الْمُرَادُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

و إيجاف الدابة تسييرها بإزعاج و إسراع و الخيل الفرس، و الركاب الإبل و «مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ» مفعول «فَمَا أَوْجَفْتُمْ» و «مِنْ» زائده للاستغراق.

و المعنى: و الذي أرجعه الله الى رسوله من أموال بني النضير-خصه به و ملكه وحده إياه- فلم تسيروا عليه فرسا و لا- إبلا بالركوب حتى يكون لكم فيه حق بل مشيتم الى حصونهم مشاه لقربها من المدينة، و لكن الله يسלט رسوله على من يشاء و الله على كل شيء قدير و قد سلط النبي صلى الله عليه و آله و سلم على بني النضير فله فيئهم يفعل فيه ما يشاء.

قوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَاللِّرْسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ أَخِذُوا مِنْهُ مِمَّا خَلَتْ ظُهُورُهُمْ أُولَٰئِكَ يَلْمِزُونَ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ هَارَوْا وَإِنَّ الَّذِينَ هَارَوْا لَشُرُوبٌ أَلْوَنٌ لَهُمْ جَزَاءٌ ظَعْمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ فِي آيَاتٍ لَّعِينَةٍ لَّعِينَةٍ ﴾

وقوله: ﴿ فَلِلَّهِ وَاللِّرْسُولِ أَىٰ مِنْهُ مَا يَخْتَصُّ بِاللَّهِ ﴾ والمراد به صرفه و إنفاقه فى سبيل الله على ما يراه الرسول و منه ما يأخذه الرسول لنفسه و لا يصغى الى قول من قال: إن ذكره تعالى مع أصحاب السهام لمجرد التبرك.

وقوله: ﴿ وَ لِدَى الْقُرْبَىٰ أَخِ ﴾ المراد بذى القربى قرابه النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و لا معنى لحمله على قرابه عامه المؤمنين و هو ظاهر، و المراد باليتامى الفقراء منهم كما يشعر به السياق و إنما أفرد و قدم على «المساكين» مع شموله له اعتناء بأمر اليتامى.

و قد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن المراد بذى القربى أهل البيت و اليتامى و المساكين و ابن السبيل منهم.

وقوله: ﴿ كَىٰ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ أَىٰ أَنَّمَا حَكَمْنَا فِي الْفِيءِ بِمَا حَكَمْنَا كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ و الدولة ما يتداول بين الناس و يدور يدا بيد.

وقوله: ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ و ﴿ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ أى ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه كما أعطى منه المهاجرين و نفر من الأنصار، و ما نهاكم عنه و منعكم فانتهوا و لا تطلبوا، و فيه إشعار بأنهم سألوا النبى صلى الله عليه و آله و سلم أن يقتسم الفيء بينهم جميعا فأرجعه الى نبيه و جعل موارد مصرفه ما ذكره فى الآيه و جعل للنبى صلى الله عليه و آله و سلم أن ينفقه فيها على ما يرى.

و الآيه مع الغض عن السياق عامه تشمل كل ما آتاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم من حكم فأمر به أو نهى عنه.

وقوله: ﴿ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ تحذير لهم عن مخالفه النبى صلى الله عليه و آله و سلم

تأكيداً لقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ﴾ الخ.

قوله تعالى: لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً الخ؛ قيل: إن قوله: «لِلْفُقَرَاءِ» بدل من قوله:

«لِلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» وما بعده و ذكر «اللَّهُ» لمجرد التبرك فيكون الفىء مختصاً بالرسول و الفقراء من المهاجرين، و قد وردت الرواية أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَسَمَ فِىءَ بَنِي النَّضِيرِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ لَمْ يُعْطِ مِنْهُ الْأَنْصَارَ شَيْئاً إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ فُقَرَاءِهِمْ أَوْ ثَلَاثَةٍ.

و الأنسب لما تقدم نقله عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن يكون قوله: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ» الخ؛ بيان مصداق لصرف سبيل الله الذى أشير إليه بقوله: «فَلِلَّهِ» لا بأن يكون الفقراء المهاجرون أحد السهماء فى الفىء بل بأن يكون صرفه فيهم و إعطاؤهم إياه صرفاً له فى سبيل الله.

و محصل المعنى على هذا: أن الله سبحانه أفاء الفىء و أرجعه الى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فله أن يتصرف فيه كيف يشاء ثم دلّ على موارد صرفه و هى سبيل الله و الرسول و ذو القربى و يتاماهم و مساكينهم و ابن السبيل منهم ثم أشار الى مصداق الصرف فى السبيل أو بعض مصاديقه و هم الفقراء المهاجرون، الخ؛ يتفق منه الرسول لهم على ما يرى.

و على هذا ينبغي أن يحمل ما ورد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَسَمَ فِىءَ بَنِي النَّضِيرِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ لَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئاً إِلَّا ثَلَاثَةً مِنْ فُقَرَاءِهِمْ: أبا دجانه سماك بن خرشه و سهل بن حنيف و الحارث بن الصمه فقد صرف فيهم بما أنه صرف فى سبيل الله لا بما أنهم سهماء فى الفىء.

و كيف كان فقوله: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» المراد بهم من هاجر من المسلمين من مكة الى المدينة قبل الفتح و هم الذين أخرجهم كفار مكة بالاضطرار الى الخروج فتركوا ديارهم و أموالهم و هاجروا الى مدينة الرسول.

و قوله: يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً الفضل الرزق أى يطلبون من الله رزقا فى الدنيا و رضواناً فى الآخرة.

وقوله: وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أَى ينصرونه و رسوله بأموالهم و أنفسهم، و قوله: «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» تصديق لصدقهم فى أمرهم و هم على هذه الصفات.

قوله تعالى: وَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنَ قَلْبِهِمْ يُجْزُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ الخ؛ قيل: إنه استئناف مسوق لمدح الأنصار لتطيب بذلك قلوبهم إذ لم يشركوا فى الفىء، «وَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا» -و المراد بهم الأنصار- مبتدأ خبره «يُجْزُونَ» الخ؛ و المراد بتبوى الدار و هو تعميرها بناء مجتمع دينى يأوى اليه المؤمنون على طريق الكنايه، و الإيمان معطوف على «الدَّارَ» و تبوى الإيمان و تعميره رفع نواقصه من حيث العمل بحيث يستطاع العمل بما يدعو اليه من الطاعات و القربات من غير حرج و منع كما كان بمكة.

و احتمال أن يعطف «الْإِيمَانَ» على تبوءوا و قد حذف الفعل العامل فيه، و التقدير: و آثروا الإيمان.

و قيل: إن قوله: «وَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا» الخ؛ معطوف على قوله: «الْمُهَاجِرِينَ» و على هذا يشارك الأنصار المهاجرين فى الفىء، و الإشكال عليه بأن المروى أن النبى صَلَّى الله عليه و آله و سلم قسمه بين المهاجرين و لم يعط الأنصار منه شيئا إلا- ثلاثة من فقرائهم مدفوع بأن الروايه من شواهد العطف دون الاستئناف إذ لو لم يجز إعطاؤه للأنصار لم يجز لا- للثلاثة و لا للواحد فأعطاء بعضهم منه دليل على مشاركتهم لهم غير أن الأمر لما كان راجعا الى النبى صَلَّى الله عليه و آله و سلم كان له أن يصرفه كيف يشاء فرجح أن يقسمه بينهم على تلك الوتيره.

و الأنسب لما تقدم من كون «لِلْفُقَرَاءِ» الخ؛ بيانا لمصاديق سهم السبيل هو عطف «وَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا» الخ؛ و كذا قوله الآتى: «وَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ» على قوله: «الْمُهَاجِرِينَ» الخ؛ دون الاستئناف.

بل ما ورد من إعطائه صَلَّى الله عليه و آله و سلم للثلاثة يؤيد هذا الوجه بعينه إذ لو كان السهم فيه الفقراء المهاجرين فحسب لم يعط الأنصار و لا لثلاثة منهم، و لو كان للفقراء من الأنصار كالمهاجرين



فيه سهم - و ظاهر الآيه أن جمعا منهم كانوا فقراء بهم خصاصه و التاريخ يؤيده - لأعطى غير الثلاثة من فقراء الأنصار ما أعطى فقراء المهاجرين و استوعبهم.

فقوله: وَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ضَمِيرٌ «مِنْ قَبْلِهِمْ» للمهاجرين و المراد من قبل مجيئهم و هجرتهم الى المدينة.

و قوله: يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ أَى يحبون من هاجر اليهم لأجل هجرتهم من دار الكفر الى دار الإيمان و مجتمع المسلمين.

و قوله: وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ضَمِيرًا «يَجِدُونَ» و «صُدُورِهِمْ» للأنصار، و ضمير «أُوتُوا» للمهاجرين، و المراد بالحاجه ما يحتاج اليه و «من» تبعيضية و قيل: بيانيه و المعنى: لا يخطر ببالهم شىء مما أعطيه المهاجرون فلا يضيق نفوسهم من تقسيم الفىء بين المهاجرين دونهم و لا يحسدون.

و قيل: المراد بالحاجه ما يؤدى اليه الحاجه و هو الغيظ.

و قوله: وَ يُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ إِثَارَ الشَّىءِ اخْتِيَارَهُ و تقديمه على غيره، و الخصاصه الفقر و الحاجه، قال الراغب: خصاص البيت فرجه و عبر عن الفقر الذى لم يسد بالخصاصه كما عبر عنه بالخله انتهى.

و المعنى: و يقدمون المهاجرين على أنفسهم و لو كان بهم فقر و حاجه، و هذه الخصيصه أغزر و أبلغ فى مدحهم من الخصيصه السابقه فالكلام فى معنى الإضراب كأنه قيل: إنهم لا - يطمحون النظر فيما بأيدي المهاجرين بل يقدمونهم على أنفسهم فيما بأيديهم أنفسهم فى عين الفقر و الحاجه.

و قوله: وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ قال الراغب: الشح بخل مع حرص فيما كان عادة انتهى. و «يُوقَ» فعل مضارع مجهول من الوقايه بمعنى الحفظ، و المعنى: و من يحفظ - أى يحفظه الله - من ضيق نفسه من بذل ما بيده من المال أو من وقوع مال

فى يد غيره فاولئك هم المفلحون.

قوله تعالى: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ اسْتِثْنَا فِى قَوْلِهِ: «وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ» و على الاستثنا فالموصول مبتداً خبره قوله: «يَقُولُونَ رَبَّنَا» الخ.

و المراد بمجيئهم بعد المهاجرين و الأنصار إيمانهم بعد انقطاع الهجره بالفتح و قيل: المراد أنهم خلفوهم.

و قولهم: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ دُعاء لأنفسهم و السابقين من المؤمنين بالمغفرة، و فى تعبيرهم عنهم بإخواننا إشاره الى أنهم يعدونهم من أنفسهم كما قال الله تعالى: بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ (النساء ٢٥)، فهم يحبونهم كما يحبون أنفسهم و يحبون لهم ما يحبون لأنفسهم.

و لذلك عقبوه بقولهم: «وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» فسألوا أن لا يجعل الله فى قلوبهم غلا للذين آمنوا و الغل العداوه.

و فى قوله: لِلَّذِينَ آمَنُوا تعميم لعامة المؤمنين منهم و ممن سبقهم و تلويح الى أنه لا بغيه لهم إلا الإيمان (١).

### [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١١ الى ١٧]

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَ إِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَّا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَّا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِى صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قَرْيٍ مَحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرُوا فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِئٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)

ص: ٢٦٠

١- ١). الحشر ١٠-١١: بحث روائى حول طوائف من اليهود كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عهد و مده فنقضوا عهدهم؛ الفىء و الانفال؛ ذى القربى؛ الايمان و الاسلام و الكفر.

قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْخ: الإخوان كالأخوه جمع أخ و الأخوه الاشتراك فى الانتساب الى أب و يتوسع فيه يستعمل فى المشتركين فى اعتقاد أو صداقه و نحو ذلك، و يكثر استعمال الإخوه فى المشتركين فى النسبه الى أب و استعمال الإخوان فى المشتركين فى اعتقاد و نحوه على ما قيل.

و الاستفهام فى الآية للتعجيب، و المراد بالذين نافقوا عبد الله بن أبى و أصحابه، و المراد

بإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب بنو النضير على ما يؤيده السياق فإن مفاد الآيات أنهم كانوا قوما من أهل الكتاب دار أمرهم بين الخروج و القتال بعد قوم آخر كذلك و ليس إلا بنى النضير بعد بنى قينقاع.

وقوله: لئن أخرجتكم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وإن قوتلتن لننصرنكم مقول المنافقين، و اللام فى «لئن أخرجتن» للقسم أى نقسم لئن أخرجكم المسلمون من دياركم لنخرجن من ديارنا معكم ملازمين لكم و لا نطيع فيكم أى فى شأنكم أحدا يشير علينا بمفارقتكم أبداً، و إن قاتلكم المسلمون لننصرنكم عليهم.

وقوله: و الله يشهد إنهم لكاذبون تكذيب لوعده المنافقين، و تصريح بأنهم لا يفون بوعدهم.

قوله تعالى: لئن أخرجوا لا يخرجون معهم و لئن قوتلوا لا ينصرونهم تكذيب تفصيلى لوعدهم بعد تكذيبه الإجمالى بقوله: «و الله يشهد إنهم لكاذبون» و قد كرر فيه لام القسم، و المعنى: أقسم لئن أخرج بنو النضير لا يخرج معهم المنافقون، و أقسم لئن قوتلوا لا ينصرونهم.

قوله تعالى: و لئن نصرؤهم ليؤلن الأذبار ثم لا ينصرون إشارة الى أن نصرهم على تقدير وقوعه منهم- و لن يقع أبدا- لا يدوم و لا ينفعهم بل يولون الأذبار فرارا ثم لا ينصرون بل يهلكون من غير أن ينصرهم أحد.

قوله تعالى: لئن أنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله الخ؛ ضمائر الجمع للمنافقين، و رهبة الخشية، و الآية فى مقام التعليل لقوله: «و لئن نصرؤهم ليؤلن الأذبار» أى ذلك لأنهم يرهبونكم أشد من رهبتهم لله فلا يقاومونكم لو قاتلتهم و لا يثبتون لكم.

و علل ذلك بقوله: «ذلك بأنهم قوم لا يفقهون» و الإشارة بذلك الى كون رهبتهم للمؤمنين أشد من رهبتهم لله أى رهبتهم لكم كذلك لأنهم قوم لا يفهمون حق الفهم و لو فقهوا حقيقه

الأمر بان لهم أن الأمر الى الله تعالى و ليس لغيره من الأمر شىء سواء فى ذلك المسلمون و غيرهم، و لا يقوى غيره تعالى على عمر خير أو شر أو نافع أو ضار إلا بحول منه تعالى و قوه فلا ينبغي أن يرهب إلا هو عزّ و جل.

قوله تعالى: لا يقاتلونكم جميعاً إلا فى قرى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِلَانٍ لِأَثَرِ رَهْبَتِهِمْ وَ جَنبِهِمْ جَمِيعاً وَ الْمَعْنَى: لا يقاتلكم بنو النضير و المنافقون جميعاً بأن يبرزوا بل فى قرى حصينه محكمه أو من وراء جدر من غير بروز.

و قوله: بِأَسْيَفِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ أَى هم فيما بينهم شديدو البطش غير أنهم إذا برزوا لحربكم و شاهدوكم يجبنون بما ألقى الله فى قلوبهم من الرعب.

و قوله: تَحَسَّبُ بِهِمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى أَى تظن أنهم مجتمعون فى ألفه و اتحاد و الحال أن قلوبهم متفرقه غير متحده و ذلك أقوى عامل فى الخزى و الخذلان. ذلك بأنهم قوم لا يعقلون و لو عقلوا لاتحدوا و وحدوا الكلمه.

قوله تعالى: كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذُوقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ الْوَبَالُ الْعَاقِبَةُ السَّيِّئَةُ وَ قَوْلُهُ: «قَرِيباً» قَائِمٌ مَقَامَ الظُّرُوفِ مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيهِ أَى فى زمان قريب.

و قوله: كَمَثَلِ الْخَبِيرِ مَبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ وَ التَّقْدِيرُ «مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ» الْخَبِيرِ؛ وَ الْمَعْنَى: مِثْلُهُمْ أَى مِثْلُ بَنِي النُّضَيْرِ مِنَ الْيَهُودِ فى نَقْضِهِمُ الْعَهْدِ وَ وَعْدِ الْمُنَافِقِينَ لَهُمْ بِالنَّصْرِ كَذَباً ثُمَّ الْجَلَاءُ مِثْلُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فى زمان قريب و هم بنو قينقاع رهط آخر من يهود المدينه نقضوا العهد بعد غزوه بدر فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الى أذرعات و قد كان وعدهم المنافقون أن يكلموا النبى صلى الله عليه و آله و سلم فيهم و يمنعوهم من إجلائهم فغدروا بهم فذاق بنو قينقاع وبال أمرهم و لهم فى الآخره عذاب أليم و قيل: المراد بالذين من قبلهم كفار مكه يوم بدر و ما تقدم أنسب للسياق.

و المثل على أى حال مثل لبنى النضير لا للمنافقين على ما يعطيه السياق.

قوله تعالى: كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ الخ؛ ظاهر السياق أنه مثل للمنافقين فى غرورهم بنى النضير بوعد النصر ثم خذلانهم عند الحاجة.

و ظاهر السياق يفيد أن المراد بالشيطان و الإنسان الجنس و الإشاره الى غرور الشيطان للإنسان بدعوته الى الكفر بتزيين أمتعته الحياه له و تسويل الإعراض عن الحق بمواعيد الكاذبه و الأمانى السرابيه حتى إذا طلعت له طلائع الآخره و عين أن ما اغتر به من أمانى الحياه الدنيا لم يكن إلا سراپا يغره و خيالاً يلعب به تيراً منه الشيطان و لم يف بما وعده و قال:

إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين.

و بالجملة مثل المنافقين فى دعوتهم بنى النضير الى مخالفه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و وعدهم النصر ثم الغدر بهم و خلف الوعد كمثل هذا الشيطان فى دعوه الإنسان الى الكفر بمواعيده الكاذبه ثم تبريه منه بعد الكفر عند الحاجة.

و قيل: المراد بالتمثيل الإشاره الى قصه برصيصة العابد الذى زين له الشيطان الفجور ففجر بامرأه ثم كفر و سيأتى القصة فى البحث الروائى التالى إن شاء الله.

و قيل: المثل السابق المذكور فى قوله: «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً» مثل كفار مكه يوم بدر- كما تقدم- و المراد بالإنسان فى هذا المثل أبو جهل و بقول الشيطان له أكفر ما قصه الله تعالى بقوله فى القصة: وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ كَصَّ عَلَى عَقْبِيهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (الأنفال ٤٨).

و على هذا الوجه فقول الشيطان «إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» قول جدى لأنه كان يخاف تعذيب الملائكه النازلين لنصره المؤمنين ببدر و أما على الوجهين الأولين فهو نوع من

قوله تعالى: فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي الدَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ الظاهر أن ضمائر التشبيه للشيطان و الإنسان المذكورين فى المثل فى الآيه بيان عاقبه الشيطان فى غروره الإنسان و إضلاله و الإنسان فى اغتراره به و ضلاله، و إشاره الى أن ذلك عاقبه المنافقين فى وعدهم لبنى النضير و غدرهم بهم و عاقبه بنى النضير فى اغترارهم بوعدهم الكاذب و إصرارهم على المشاقه و المخالفه، و معنى الآيه ظاهر.

### [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١٨ الى ٢٤]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مَتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ؛ أمر للمؤمنين بتقوى الله و بأمر آخر و هو النظر في الأعمال التي قدموها ليوم الحساب أ هي صالحه فليرج بها ثواب الله أو طالحه فليخش عقاب الله عليها و يتدارك بالتوبه و الإنابه و هو محاسبه النفس.

أما التقوى و قد فسّر في الحديث بالورع عن محارم الله فحيث تتعلق بالواجبات و المحرمات جميعا كانت هي الاجتناب عن ترك الواجبات و فعل المحرمات.

و أما النظر فيما قدمت النفس لغد فهو أمر آخر وراء التقوى نسبه الى التقوى كنسبه النظر الإصلاحى ثانيا من عامل فى عمله أو صانع فيما صنعه لتكميله و رفع نواقصه التي غفل عنها أو أخطأ فيها حين العمل و الصنع.

فعلى المؤمنين جميعا أن يتقوا الله فيما وجه اليهم من التكاليف فيطيعوه و لا- يعصوه ثم ينظروا فيما قدموه من الأعمال التي يعيشون بها فى غد بعد ما حوسبوا بها أصالح فيرجى ثوابه أم طالح فيخاف عقابه فيتوبوا الى الله و يستغفروه.

و هذا تكليف عام يشمل كل مؤمن لحاجه الجميع الى إصلاح العمل و عدم كفايه نظر بعضهم عن نظر الآخرين غير أن القائم به من أهل الإيمان فى نهايه القله بحيث يكاد يلحق بالعدم و الى ذلك يلوح لفظ الآيه «و لْتَنْظُرْ نَفْسٌ» .

فقوله: وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ خطاب عام لجميع المؤمنين لكن لما كان المشتغل بهذا النظر من بين أهل الإيمان بل من بين أهل التقوى منهم فى غايه القله بل يكاد يلحق بالعدم لاشتغالهم بأعراض الدنيا و استغراق أوقاتهم فى تدبير المعيشه و إصلاح امور



الحياء ألقى الخطاب في صورته الغيبه و علقه بنفس ما منكره فقال: «وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ» و في هذا النوع من الخطاب مع كون التكليف عاما بحسب الطبع عتاب و تقرير للمؤمنين مع التلويح الى قلبه من يصلح لامتناله منهم.

و قوله: ﴿مَا قَدَّمْتُ لِعَدِّ اسْتِفْهَامٍ مِنْ مَاهِيَةِ الْعَمَلِ الَّذِي قَدَّمْتُ لَعَدِّ وَ بَيَانٍ لِلنَّظَرِ، وَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ «مَا» مَوْصُولَةً وَ هِيَ وَصَلَتْهَا مُتَعَلِّقًا بِالنَّظَرِ.

و المراد بغد يوم القيامة و هو يوم حساب الأعمال و إنما عيبر عنه بغد للإشارة الى قربه منهم كقرب الغد من أمسه، قال تعالى: **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَ يَرَاهُ قَرِيبًا (المعارج ٧).**

و المعنى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله بطاعته في جميع ما يأمركم به و ينهاكم عنه، و لتنظر نفس منكم فيما عملته من عمل و لتر ما الذي قدمته من عملها ليوم الحساب أ هو عمل صالح أو طالح و هل عملها الصالح مقبول أو مردود.

و قوله: ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ أَمْرٌ بِالتَّقْوَى ثَانِيًا وَ «إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ» الخ؛ تعليل له و تعليل هذه التقوى بكونه تعالى خبيراً بالأعمال يعطى أن المراد بهذه التقوى الأمور بها ثانيا هي التقوى في مقام المحاسبه و النظر فيها من حيث إصلاحها و إخلاصها لله سبحانه و حفظها عما يفسدها، و أما قوله في صدر الآية: «اتَّقُوا اللَّهَ» فالمراد به التقوى في أصل إتيان الأعمال بقصرها في الطاعات و تجنّب المعاصي.

و من هنا تبين أن المراد بالتقوى في الموضوعين مختلف فالأولى هي التقوى في أصل إتيان الأعمال، و الثانية هي التقوى في الأعمال المأتيه من حيث إصلاحها و إخلاصها.

و ظهر أيضا أن قول بعضهم: إن الأولى للتوبه عما مضى من الذنوب و الثانية لالتقاء المعاصي في المستقبل غير سديد و مثله ما قيل: إن الأولى في أداء الواجبات و الثانية في ترك المحرمات، و مثله ما قيل: إن الأمر الثاني لتأكيد الأمر الأول فحسب.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَلَا الْغَافِلِينَ﴾

زوال صورته المعلوم عن النفس بعد حصولها فيها مع زوال مبدئه و يتوسع فيه مطلق على مطلق الإعراض عن الشيء بعدم ترتيب الأثر عليه قال تعالى: وَقِيلَ الْيَوْمَ نُنَسِّئُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (الجماعه ١٣٤).

و الآيه بحسب لب معناها كالتأكيد لمضمون الآيه السابقه كأنه قيل: قدموا ليوم الحساب و الجزاء عملا صالحا تحيي به أنفسكم و لا تنسوه. ثم لما كان سبب نسيان النفس نسيان الله تعالى إذ بنسيانه تعالى تنسى أسماؤه الحسنی و صفاته العليا التي ترتبط بها صفات الإنسان الذاتيه من الذله و الفقر و الحاجه فيتوهم الإنسان نفسه مستقله في الوجود و يخيل اليه أن له لنفسه حياه و قدره و علما و سائر ما يترأى له من الكمال، و نظراؤه في الاستقلال سائر الأسباب الكونيه الظاهريه تؤثر فيه و تتأثر عنه.

و عند ذلك يعتمد على نفسه و كان عليه أن يعتمد على ربه و يرجو و يخاف الأسباب الظاهريه و كان عليه أن يرجو و يخاف ربه، يطمئن الى غير ربه و كان عليه أن يطمئن الى ربه.

و بالجملة ينسى ربه و الرجوع اليه و يعرض عنه بالإقبال الى غيره، و يتفرع عليه أن ينسى نفسه فإن الذى يخيل اليه من نفسه أنه موجود مستقل الوجود يملك ما ظهر فيه من كمالات الوجود و اليه تدبير أمره مستمدا مما حوله من الأسباب الكونيه و ليس هذا هو الإنسان بل الإنسان موجود متعلق الوجود جهل كله عجز كله ذله كله فقر كله و هكذا، و ما له من الكمال كالوجود و العلم و القدره و العزه و الغنى و هكذا فلربه و الى ربه انتهاؤه و نظراؤه في ذلك سائر الأسباب الكونيه.

و الحاصل لما كان سبب نسيان النفس نسيان الله تعالى حول النهى عن نسيان النفس فى الآيه الى النهى عن نسيانه تعالى لأن انقطاع المسبب بانقطاع سببه أبلغ و أكد، و لم يقنع بمجرد النهى الكلى عن نسيانه بأن يقال: ولا تنسوا الله فينسيكم أنفسكم بل جرى بمثل إعطاء الحكم بالمثال ليكون أبلغ فى التأثير و أقرب الى القبول فنام أن يكونوا كالذين نسوا الله

مشيرا به الى من تقدم ذكرهم من يهود بنى النضير و بنى قينقاع و من حاله حالهم فى مشاقه الله و رسوله.

فقال: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ» ثم فرع عليه قوله: «فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ» تفریع المسبب على سببه ثم عقبه بقوله: «أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» فدل على أنهم فاسقون حقا خارجون عن زى العبودية.

و الآيه و إن كانت تنهى عن نسيانه تعالى المتفرع عليه نسيان النفس لكنها بورودها فى سياق الآيه السابقه تأمر بذكر الله و مراقبته.

فقد بان من جميع ما تقدم فى الآيتين أن الآيه الاولى تأمر بمحاسبه النفس و الثانيه تأمر بالذكر و المراقبه.

قوله تعالى: لا يَشِيءُ يَأْتِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ قال الراغب: الفوز الظفر بالخير مع حصول السلامه، انتهى. و السياق يشهد بأن المراد بأصحاب النار هم الناسون لله و بأصحاب الجنه هم الذاكرون لله المراقبون.

و الآيه حجه تامه على وجوب اللحوق بالذاكرين لله المراقبين له دون الناسين، تقريرها أن هناك قبيلين لا- ثالث لهما و هما الذاكرون لله و الناسون له لا- بد للإنسان أن يلحق بأحدهما و ليسا بمساويين حتى يتساوى اللحوقان و لا يبالى الانسان بأيهما لحق؟ بل هناك راجح و مرجوح يجب اختيار الراجح على المرجوح و الرجحان لقبيل الذاكرين لأنهم الفائزون لا غير فالترجيح لجانبهم فمن الواجب لكل نفس أن يختار اللحوق بقبيل الذاكرين.

قوله تعالى: لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مَّتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ الْخ؛ فى المجمع: التصدع التفرق بعد التلاؤم و مثله التفتط انتهى.

و الكلام مسوق سوق المثل مبنى على التخيل و الدليل عليه قوله فى ذيل الآيه: «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّلْخ.»

و المراد تعظيم أمر القرآن بما يشتمل عليه من حقائق المعارف و أصول الشرائع و العبر و المواعظ و الوعد و الوعيد و هو كلام الله العظيم، و المعنى: لو كان الجبل مما يجوز أن ينزل عليه القرآن فأنزلناه عليه لرأيته-مع ما فيه من الغلظه و القسوه و كبر الجسم و قوه المقاومه قبال النوازل-متأثرا متفرقا من خشيه الله فإذا كان هذا حال الجبل بما هو عليه فالإنسان أحق بأن يخشع لله إذا تلاه أو تلى عليه، و ما أعجب حال أهل المشاقه و العناد لا تلين قلوبهم له و لا يخشعون و لا يخشون.

□  
و الالتفات من التكلم مع الغير الى الغيبه فى قوله: «مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ» للدلاله على عله الحكم فإنما يخشع و يتصدع الجبل بنزول القرآن لأنه كلام الله عز اسمه.

□  
و قوله: وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَّاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ من وضع الحكم الكلى موضع الجزئى للدلاله على أن الحكم ليس ببدع فى مورده بل جار سار فى موارد اخرى كثيره.

□  
فقوله: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَخَسِبَ النَّاسُ بِهِ لَآئِمًا يَلْعَبُونَ لَأُنزِلَتْ بِهِ السَّحَابُ الْمَوْبِقُ غُلَّابًا وَ كَانُوا يَكْفُرُونَ فقالوا: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لخشبه الله للناس فى أمر القرآن لتقريب عظمته و جلاله قدره بما أنه كلام لله تعالى و بما يشتمل عليه من المعارف رجاء أن يتفكر فيه الناس فيتلقوا القرآن بما يليق به من التلقى و يتحققوا بما فيه من الحق الصريح و يهتدوا الى ما يهدى اليه من طريق العبوديه التى لا طريق الى كمالهم و سعادتهم وراءها، و من ذلك ما ذكر فى الآيات السابقه من المراقبه و المحاسبه.

□ □ □  
قوله تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هذه الآيه و الآيتان بعدها و إن كانت مسوقه لتعداد قبيل من أسمائه تعالى الحسنى و الإشاره الى تسميته تعالى بكل اسم أحسن و تنزهه بشهادته ما فى السماوات و الأرض لكنها بانضمامها الى ما مرّ من الأمر بالذكر تفيد أن على الذاكرين أن يذكروه بأسمائه الحسنى فيعرفوا أنفسهم بما يقابلها من أسماء النقص، فافهم ذلك.

و بانضمامها الى الآيه السابقه و ما فيها من قوله: «مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» تفيد تعليل خشوع الجبل و تصدّعه من خشيه الله كأنه قيل: و كيف لا و هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب و الشهاده، الى آخر الآيات.

و قوله: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يفيد الموصول و الصلّه معنى اسم من أسمائه و هو وحدانيته تعالى فى ألوهيته و معبوديته، و قد تقدم بعض ما يتعلق بالتهليل فى تفسير قوله تعالى: وَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ (البقره ١٦٣).

و قوله: عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الشهاده هى المشهود الحاضر عند المدرك و الغيب خلافها و هما معنيان إضافيان فمن الجائز أن يكون شىء شهادة بالنسبه الى شىء و غيبا بالنسبه الى آخر و يدور الأمر مدار نوع من الإحاطه بالشىء حسا أو خيالا أو عقلا أو وجودا و هو الشهاده و عدمها و هو الغيب، و كل ما فرض من غيب أو شهاده فهو من حيث هو محاط له تعالى معلوم فهو تعالى عالم الغيب و الشهاده و غيره لا علم له بالغيب لمحدوديه وجوده و عدم إحاطته إلا ما علمه تعالى كما قال: عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ (الجن ٢٧)، و أما هو تعالى فغيب على الإطلاق لا سبيل الى الإحاطه به لشىء أصلا كما قال: «يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» .

و قوله: هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ قد تقدم الكلام فى معنى الاسمين فى تفسير سوره الفاتحه.

قوله تعالى: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ السَّخِيءُ الْمَلِكُ هو المالك لتدبير أمر الناس و الحكم فيهم، و القدوس مبالغه فى القدس و هو النزاهه و الطهاره، و السلام من يلاقيك بالسلامه و العافيه من غير شرّ و ضرّ، و المؤمن الذى يعطى الأمن، و المهيمن الفائق المسيطر على الشىء.

و العزيز الغالب الذى لا يغلبه شىء أو من عنده ما عند غيره من غير عكس، و الجبال مبالغه من جبر الكسر أو الذى تنفذ إرادته و يجبر على ما يشاء، و المتكبر الذى تلبس بالكبرياء و ظهر بها.

و قوله: **سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ثناء عليه تعالى كما فى قوله: **وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ** (البقره ١١٦).

قوله تعالى: **هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ** الى آخر الآيه؛ الخالق هو الموجد للأشياء عن تقدير، و البارئ المنشئ للأشياء ممتازا بعضها من بعض، و المصور المعطى لها صوراً يمتاز بها بعضها من بعض، و الأسماء الثلاثه تتضمن معنى الإيجاد باعتبارات مختلفه و بينها ترتب فالتصوير فرع البرء و البرء فرع الخلق و هو ظاهر.

و إنما صدر الآيتين السابقتين بقوله: **«الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»** فوصف به «اللَّهُ» و عقبه بالأسماء بخلاف هذه الآيه إذ قال: **«هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ»** الخ.

لأن الأسماء الكريمه المذكوره فى الآيتين السابقتين و هى أحد عشر اسماً من لوازم الربوبيه و مالكيه التدبير التى تتفرع عليها الالهيه و المعبوديه بالحق و هى على نحو الأصاله و الاستقلال لله سبحانه وحده لا شريك له فى ذلك فاتصافه تعالى وحده بها يستوجب اختصاص الالهيه و استحقاق المعبوديه به تعالى.

فالأسماء الكريمه بمنزله التعليل لاختصاص الالهيه به تعالى كأنه قيل لا- إله إلا- هو لأنه عالم الغيب و الشهاده هو الرحمن الرحيم، و لذا أيضاً ذيل هذه الأسماء بقوله ثناء عليه:

**«سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ»** ردا على القول بالشركاء كما يقوله المشركون.

و أما قوله: **هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ** فالمذكور فيه من الأسماء يفيد معنى الخلق و الإيجاد و اختصاص ذلك به تعالى لا يستوجب اختصاص الالهيه به كما يدل عليه أن الوثنيين قائلون باختصاص الخلق و الإيجاد به تعالى و هم مع ذلك يدعون من دونه

أربابا و آلهه و يثبتون له شركاء.

و أما وقوع اسم الجلاله فى صدر الآيات الثلاث جميعا فهو علم للذات المستجمع لجميع صفات الكمال يرتبط به و يجرى عليه جميع الأسماء و فى التكرار مزيد تأكيد و تثبيت للمطلوب.

و قوله: **لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** إشاره الى بقيه الأسماء الحسنى عن آخرها لكون الأسماء جمعا محلى باللام و هو يفيد العموم.

و قوله: **يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** أى جميع ما فى العالم من المخلوقات حتى نفس السماوات و الأرض و قد تقدم توضيح معنى الجمله مرارا.

ثم ختم الآيات بقوله: **«وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»** أى الغالب غير المغلوب الذى فعله متقن لا مجازفه فيه فلا يعجزه فيما شرعه و دعا اليه معصيه العاصين و لا مشاقه المعاندين و لا يضيع عنده طاعه المطيعين و أجر المحسنين.

و العناية الى ختم الكلام بالاسمين و الإشاره بذلك الى كون القرآن النازل من عنده كلام عزيز حكيم هو الذى دعا الى تكرار اسمه العزيز و ذكره مع الحكيم مع تقدم ذكره بين الأسماء.

و قد وصف القرآن أيضا بالعزه و الحكمه كما قال: **«وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ»** (حم السجده / ٤١)، و قال: **وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ** (يس ٢/١).  
[\(١\)](#)

ص: ٢٧٣

---

١- ١). الحشر ١٨-٢٤: بحث روائى فى: الغيب و الشهاده؛ صفات الله؛ محاسبه النفس؛ ذكر الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا  
 جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرِوْنَ إِلَيْهِم  
 بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَتَفَقَّهُكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا  
 إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا  
 تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هُمُ إِنَّا بَرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
 كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ  
 مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ رُبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦)  
 عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ  
 فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ  
 قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)



تذكر السوره موالاه المؤمنين لأعداء الله من الكفار و موادّتهم و تشدّد النهى عن ذلك

ص: ٢٧٥

تفتتح به و تختتم و فيها شيء من أحكام النساء المهاجرات و بيعه المؤمنات، و كونها مدنيه ظاهره.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ الْخَبِيثَةِ﴾؛ سياق الآيات يدل على أن بعض المؤمنين من المهاجرين كانوا يسرون المواد إلى المشركين بمكة ليحموا بذلك من بقى من أرحامهم و أولادهم بمكة بعد خروجهم أنفسهم منها بالمهاجرة إلى المدينة فنزلت الآيات و نهاهم الله عن ذلك، و يتأيد بهذا ما ورد أن الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعنه أسر كتابا إلى المشركين بمكة يخبرهم فيه بعزم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على الخروج إليها لفتحها، فعل ذلك ليكون يدا له عليهم يقى بها من كان بمكة من أرحامه و أولاده فأخبر الله بذلك نبيه صلى الله عليه و آله و سلم و نزلت، و ستوافيك قصته في البحث الروائي التالي إن شاء الله تعالى.

فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ الْعَدُوِّ مَعْرُوفٍ﴾ و يطلق على الواحد و الكثير و المراد في الآية هو الكثير بقريته قوله: «أَوْلِيَاءَ» و «إِلَيْهِمْ» و غير ذلك، و هم المشركون بمكة، و كونهم عدوه من جهة اتخاذهم له شركاء يعبدونهم و لا يعبدون الله و يردون دعوته و يكذبون رسوله، و كونهم أعداء للمؤمنين لإيمانهم بالله و تفديتهم أموالهم و أنفسهم في سبيله فمن يعادى الله يعاديه.

و ذكر عداوتهم للمؤمنين مع كفايه ذكر عداوتهم لله في سوق النهى لتأكيد التحذير و المنع كأنه قيل: من كان عدوا لله فهو عدو لكم فلا تتخذوه وليا.

و قوله: تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ مفعول «تُلْقُونَ» و الباء زائده كما في قوله:

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقره ١٩٥)، و المراد بإلقاء المودة إظهارها أو إيصالها، و الجملة صفة أو حال من فاعل «لَا تَتَّخِذُوا».

و قوله: وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ هو الدين الحق الذي يصفه كتاب الله

و يدعو اليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و الجملة حالیه.

و قوله: يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ الجملة حالیه و المراد بإخراج الرسول و إخراجهم اضطرارهم الرسول و المؤمنين الى الخروج من مكة و المهاجرة الى المدينة، و «أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ» بتقدير اللام متعلق بيخرجون، و المعنى:

يجبرون الرسول و إياكم على المهاجرة من مكة لإيمانكم بالله ربكم.

و توصيف الله بقوله: «رَبِّكُمْ» للإشارة الى أنه يؤاخذونهم على أمر حق مفروض ليس بجرم فإن إيمان الإنسان بربه مفروض عليه و ليس من الجرم فى شىء.

و قوله: إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي متعلق بقوله: «لَا تَتَّخِذُوا» و جزاء الشرط محذوف يدل عليه المتعلق، و «جِهَادًا» مصدر مفعول له، و «ابْتِغَاءًا» بمعنى الطلب و «مَرْضَاتِي» مصدر كالرضى، و المعنى: لا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء إن كنتم هاجرتم للمجاهدة فى سبيلى و لطلب رضى.

و تقييد النهى عن ولائهم و اشتراطه بخروجهم للجهاد و ابتغائهم مرضاته من باب اشتراط الحكم بأمر محقق الوقوع تأكيدا له و إيذانا بالملازمة بين الشرط و الحكم مقول الوالد لولده: إن كنت ولدى فلا تفعل كذا.

و قوله: تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ أُسْرَتِمْ إِلَيْهِ حديثا أى أفضيت اليه فى خفيه فمعنى «تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ» تطلعونهم على ما تسرون من مودتهم-على ما قاله الراغب-و الإعلان خلاف الإخفاء، و «أَنَا أَعْلَمُ» الخ؛ حال من فاعل «تُسِرُّونَ» و «أَعْلَمُ» اسم تفضيل، و احتمال بعضهم أن يكون فعل المتكلم وحده من المضارع متعديا بالباء لأن العلم ربما يتعدى بها.

و جملة «تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ» الخ؛ استئناف بيانيه كأنه قيل بعد استماع النهى السابق: ما ذا فعلنا فاجيب: تطلعونهم سرا على مودتكم لهم و أنا أعلم بما أخفيتم و ما أظهرتم أى أنا أعلم بقولكم

و فعلكم علما يستوى بالنسبه اليه إخفاؤكم و إظهاركم.

و منه يعلم أن قوله: «بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ» معا يفيدان معنى واحدا و هو استواء الإخفاء و الإعلان عنده تعالى لإحاطته بما ظهر و ما باطن فلا يرد أن ذكر «بِمَا أَخْفَيْتُمْ» يعنى عن ذكر «مَا أَعْلَنْتُمْ» لأن العالم بما خفى عالم بما ظهر بطريق أولى.

و قوله: «وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» الإشاره بذلك الى أسرار الموده اليهم و هو الموالاه، و «سَوَاءَ السَّبِيلِ» من إضافه الصفه الى الموصوف أى السبيل السوى و الطريق المستقيم و هو مفعول «ضَلَّ» أو منصوب بنزع الخافض و التقدير فقد ضل عن سواء السبيل، و السبيل سبيل الله تعالى.

قوله تعالى: «إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً» الخ؛ قال الراغب: الثقف-بالفتح فالسكون-الحذق فى إدراك الشىء و فعله. قال: و يقال: ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق فى النظر ثم يتجاوز به فيستعمل فى الإدراك و إن لم يكن معه ثقافه. انتهى. و فسره غيره بالظفر و لعله بمعونه مناسبه المقام، و المعنيان متقاربان.

و الآيه مسوقه لبيان أنه لا ينفعهم الإسرار بالموده للمشركين فى جلب محبتهم و رفع عداوتهم شيئا و أن المشركين على الرغم من إلقاء الموده اليهم إن يدر كوههم و يظفروا بهم يكونوا لهم أعداء من دون أن يتغير ما فى قلوبهم من العداوه.

و قوله: «وَيَسْئَلُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ» بمنزله عطف التفسير لقوله: «يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً» و بسط الأيدى بالسوء كناية عن القتل و السبى و سائر أنحاء التعذيب و بسط الألسن بالسوء كناية عن السب و الشتم.

و الظاهر أن قوله: «و وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ» عطف على الجزاء و الماضى بمعنى المستقبل كما يقتضيه الشرط و الجزاء، و المعنى: أنهم يبسطون اليكم الأيدى و الألسن بالسوء و يودون بذلك لو تكفرون كما كانوا يفتنون المؤمنين بمكته و يعذبونهم يودون بذلك أن يرتدوا عن

دينهم. والله أعلم.

قوله تعالى: لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دفع لما يمكن أن يتوهم عذرا لإلقاء الموده اليهم أن فى ذلك صيانه لأرحامهم و أولادهم الذين تركوهم بمكه بين المشركين من أذاهم.

و الجواب أن أمامكم يوما تجازون فيه على معصيتكم و طالح عملكم و منه موالاه الكفار و لا- ينفعكم اليوم أرحامكم و لا أولادكم الذين قدمتم صيانتهم من أذى الكفار على صيانه أنفسكم من عذاب الله بترك موالاه الكفار.

و قوله: يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ أَي يفصل الله يوم القيامة بينكم بتقطع الأسباب الدنيويه كما قال تعالى: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ (المؤمنون ١٠١/)، و ذلك أن القرابه و هى انتهاء إنسانين أو أكثر الى رحم واحده إنما تؤثر آثارها من الرحمه و الموده و الالفه و المعاونه و المعاضده و العصبية و الخدمه و غير ذلك من الآثار فى ظرف الحياه الاجتماعيه التى تسوق الإنسان اليه حاجته إليها بالطبع بحسب الآراء و العقائد الاعتباريه التى أوجدها فيه فهمه الاجتماعى، و لا خبر عن هذه الآراء فى الخارج عن طرف الحياه الاجتماعيه.

و إذا برزت الحقائق و ارتفع الحجاب و انكشف الغطاء يوم القيامة ضلت عن الإنسان هذه الآراء و المزاعم و انقطعت روابط الاستقلال بين الأسباب و مسبباتها كما قال تعالى: لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (الأنعام ٩٤/)، و قال: وَ رَأُوا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (البقره ١٦٦/).

فيومئذ تتقطع رابطة الأنساب و لا- ينتفع ذو قرابه من قرابته شيئا فلا- ينبغى للإنسان أن يخون الله و رسوله بموالاه أعداء الدين لأجل أرحامه و أولاده فليسوا يغنونه عن الله يومئذ.

و قوله: وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ متمم لقوله: «لَنْ تَنْفَعَكُمْ» كالمؤكد له و المعنى:

لن تنفعكم أرحامكم ولا - أولادكم يوم القيامة في رفع تبعه هذه الخيانه و أمثالها و الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه ما هي هذه الخيانه فيؤاخذكم عليها لا محاله.

قوله تعالى: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَاتِينَ؛ و الخطاب للمؤمنين، و الاسوه الاتباع و الاقتداء، و في قوله: «وَالَّذِينَ مَعَهُ» بظاهره دلالة على أنه كان معه من آمن به غير زوجته و لوط.

و قوله: إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَي إِنَّا بريئون منكم و من أصنامكم بيان لما فيه الاسطورة و الاقتداء.

و قوله: كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بَدَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ الْعِدَاوَةُ وَ الْبُغْضَاءُ أَيِدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ بَيَانٌ لِمَعْنَى الْبِرَاءِ بِأَثَرِهَا وَ هُوَ الْكُفْرُ بِهِمْ وَ عداوتهم ما داموا مشركين حتى يوحداوا الله سبحانه.

و المراد بالكفر بهم الكفر بشركهم بدليل قوله: «حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ»، و الكفر بشركهم مخالفتهم فيه عملا كما أن العداوه بينونه و مخالفه قلبا.

فقد فسروا براءتهم منهم بامور ثلاثه: مخالفتهم لشركهم عملا، و العداوه و البغضاء بينهم قلبا، و استمرار ذلك ما داموا على شركهم إلا أن يؤمنوا بالله وحده.

و قوله: إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَ مَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ، استثناء مما تدل عليه الجمل المتقدمه أن إبراهيم و الذين معه تبرءوا من قومهم المشركين قولا مطلقا. و قطعوا أى رابطه تربطهم بالقوم و تصل بينهم إلا ما قال إبراهيم لأبيه: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ» الخ.

و لم يكن قوله: لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ تولى منه بل وعدا وعده إياه رجاء أن يتوب عن الشرك و يؤمن بالله وحده كما يدل عليه قوله تعالى: وَ مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ (التوبه ١١٤)، حيث يفيد أنه عليه السلام

إنما وعده لأنه لم يتبين له بعد أنه عدو لله راسخ في عداوته ثابت في شركه فكان يرجو أن يرجع عن شركه ويطمع في أن يتوب و يؤمن فلما تبين له رسوخ عداوته و يئس من إيمانه تبرأ منه.

على أن قوله تعالى في قصه محاجته أباه في سورة مريم: **قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَرْتُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ (مريم ٤٨)**، يتضمن وعده أباه بالاستغفار وإخباره بالاعتزال و لو كان وعده الاستغفار توليا منه لأبيه لكان من الحرى أن يقول: و أعتزل القوم، لا أن يقول: و أعتزلكم فيدخل أباه فيمن يعتزلهم و ليس الاعتزال إلا التبري.

فالاستثناء استثناء متصل من أنهم لم يكلموا قومهم إلا بالتبري و المحصل من المعنى: أنهم إنما ألقوا اليهم القول بالتبري إلا قول إبراهيم لأبيه: لأستغفرن لك فلم يكن تبريا و لا توليا بل وعدا وعده أباه رجاء أن يؤمن بالله.

و هاهنا شيء و هو أن مؤدى آيه التوبه **«فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ»** أن تبريه الجازم إنما كان بعد الوعد و بعد تبين عداوته لله، و قوله تعالى في الآيه التي نحن فيها: **«إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ»** إخبار عن تبريهم الجازم القاطع فيكون ما وقع في الاستثناء من قول إبراهيم لأبيه وعدا واقعا قبل تبريه الجازم و من غير جنس المستثنى منه فيكون الاستثناء منقطعا لا متصلا.

و على تقدير كون الاستثناء منقطعا يجوز أن يكون الاستثناء من قوله: **«قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ»** بما أنه مقيد بقوله: **«إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ»** ، و المعنى: قد كان لكم اقتداء حسن بتبري إبراهيم و الذين معه من قومهم إلا أن إبراهيم قال لأبيه كذا و كذا وعدا.

و أما على تقدير كون الاستثناء متصلا فالوجه ما تقدم، و أما كون المستثنى منه هو قوله:

**«قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ»**، و المعنى: لكم في إبراهيم أسوه في جميع خصاله إلا في

قوله لأبيه: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ» فلا أسوه فيه.

ففيه أن قوله: «لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ» الخ؛ غير مسوق لإيجاب التأسي بإبراهيم عليه السلام في جميع خصاله حتى يكون الوعد بالاستغفار أو نفس الاستغفار—وذلك من خصاله—مستثنى منها بل إنما سيق لإيجاب التأسي به في تبريه من قومه المشركين، و الوعد بالاستغفار رجاء للتوبه و الإيمان ليس من التبرى و إن كان ليس توليا أيضا.

و قوله: «وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» تتمه قول إبراهيم عليه السلام، و هو بيان لحقيقه الأمر من أن سؤاله المغفره و طلبها من الله ليس من نوع الطلب الذى يملك فيه الطالب من المطلوب منه ما يطلبه، و إنما هو سؤال يدعو اليه فقر العبوديه و ذلتها قبال غنى الربوبيه و عزتها فله تعالى أن يقبل بوجهه الكريم فيستجيب و يرحم، و له أن يعرض و يمسك الرحمه فإنه لا يملك أحد منه تعالى شيئا و هو المالك لكل شىء، قال تعالى: قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا (المائدة ١٧).

و بالجملة قوله: «وَمَا أَمْلِكُ الخ؛ نوع اعتراف بالعجز استدراكا لما يستشعر من قوله:

«لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ» من شائبه إثبات القدره لنفسه نظير قول شعيب عليه السلام «وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ» استدراكا لما يشعر به قوله لقومه: «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ» (هود ٨٨)، من إثبات القوه و الاستطاعه لنفسه بالأصاله و الاستقلال.

و قوله: «رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» الخ؛ من تمام القول المنقول عن إبراهيم و الذين معه المندوب الى التأسي بهم فيه، و هو دعاء منهم لربهم و ابتهاج اليه إثر ما تبرءوا من قومهم ذاك التبرى العنيف ليحفظهم من تبعاته و يغفر لهم فلا يخيبهم فى إيمانهم.

و قد افتتحوا دعاءهم بتقديمه يذكرون فيها حالهم فيما هم فيه من التبرى من أعداء الله فقالوا: «رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا» يعنون به أننا كنا فى موقف من الحياه تتمكن فيه أنفسنا



و ندبر فيه امورنا أما أنفسنا فأنبنا و رجعنا بها اليك و هو الإنابه،و أما امورنا التي كان علينا تدبيرها فتركناها لك و جعلنا مشيتك مكان مشيتنا فأنت و كيلنا فيها تدبيرها بما تشاء و كيف تشاء و هو التوكل.

ثم قالوا: «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» يعنون به أن مصير كل شيء من فعل أو فاعل فعل اليك فقد جرينا في توكلنا عليك و إنابتنا اليك مجرى ما عليه حقيقه الأمر من مصير كل شيء اليك حيث هاجرنا بأنفسنا اليك و تركنا تدبير امورنا لك.

و قوله: رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ اغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا متن دعائهم يسألونه تعالى أن يعيذهم من تبعه تبريهم من الكفار و يغفر لهم.

و الفتنه ما يمتحن به،و المراد بجعلهم فتنه للذين كفروا تسليط الكفار عليهم ليمتحنهم فيخرجوا ما في وسعهم من الفساد فيؤذوهم بأنواع الأذى أن آمنوا بالله و رفضوا آلهتهم و تبرءوا منهم و مما يعبدون.

و قد كثرروا نداءه تعالى-ربنا-في دعائهم مره بعد مره لإثاره الرحمه الإلهيه.

و قوله: إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ أى غالب غير مغلوب متقن لأفعاله لا يعجز أن يستجيب دعاءهم فيحفظهم من كيد أعدائه و يعلم بأى طريق يحفظ.

قوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ الخ؛ تكرار حديث الاسوه لتأكيد الإيجاب و لبيان أن هذه الاسوه لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر،و أيضا أنهم كما يتأسى بهم فى تبريهم من الكفار كذلك يتأسى بهم فى دعائهم و ابتهاهم.

و الظاهر أن المراد برجائه تعالى رجاء ثوابه بالإيمان به و برجاء اليوم الآخر رجاء ما وعد الله و أعدد للمؤمنين من الثواب،و هو كناية عن الإيمان.

و قوله: وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ استغناء منه تعالى عن

امثالهم لأمره بتبريهم من الكفار و أنهم هم المنتفعون بذلك و الله سبحانه غنى فى ذاته عنهم و عن طاعتهم حميد فيما يأمرهم و ينهاهم إذ ليس فى ذلك إلا صلاح حالهم و سعادته حياتهم.

قوله تعالى: عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَ اللَّهُ قَدِيرٌ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ضَمِير «مِنْهُمْ» للكفار الذين أمروا بمعاداتهم و هم كفار مكة، و المراد بجعل المودة بين المؤمنين و بينهم جعلها بتوفيقهم للاسلام كما وقع ذلك لما فتح الله لهم مكة، و ليس المراد به نسخ حكم المعاداة و التبرى.

و المعنى: مرجو من الله أن يجعل بينكم معشر المؤمنين و بين الذين عاديتهم من الكفار و هم كفار مكة موده بتوفيقهم للاسلام فتقلب المعاداة موده و الله قدير و الله غفور لذنوب عباده رحيم بهم إذا تابوا و أسلموا فعلى المؤمنين أن يرجوا من الله أن يبذل معاداتهم موده بقدرته و مغفرته و رحمته.

قوله تعالى: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ الْخ؛ فى هذه الآيه و التى تتلوها توضيح للنهى الوارد فى أول السوره، و المراد بالذين لم يقاتلوا المؤمنين فى الدين و لم يخرجوهم غير أهل مكة ممن لم يقاتلوهم و لم يخرجوهم من ديارهم من المشركين من أهل المعاهده، و البر و الإحسان، و الإقساط المعامله بالعدل، و «أَنْ تَبَرُّوهُمْ» بدل من «الَّذِينَ» الْخ؛ و قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» تعليل لقوله: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ» الْخ.

و المعنى: لا ينهاكم الله بقوله: «لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» عن أن تحسنوا و تعاملوا بالعدل الذين لم يقاتلوكم فى الدين و لم يخرجوكم من دياركم لأن ذلك منكم إقساط و الله يحب المقسطين.

قيل: إن الآيه منسوخه بقوله: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ (التوبه ٥/٥)، و فيه أن

الآية التي نحن فيها لا تشمل بإطلاقها إلا أهل الذمه و أهل المعاهدة و أما أهل الحرب فلا، و آية التوبة إنما تشمل أهل الحرب من المشركين دون أهل المعاهدة فكيف تنسخ ما لا يزامها في الدلالة.

قوله تعالى: **إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ** الخ؛ المراد بالذين قاتلوكم، الخ؛ مشركوا مكة، و المظاهره على الإخراج المعاونه و المعاضده عليه، و قوله: «أَنْ تَوَلَّوهُمْ» بدل من «الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ» الخ.

و قوله: **وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيَكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** قصر أفراد أى المتولون لمشركى مكة و من ظاهرهم على المسلمين هم الظالمون المتمردون عن النهى دون مطلق المتولين للكفار أو تأكيد للنهى عن توليهم (١).

### [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١٠ الى ١٣]

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِمَّاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ لَهُنَّ وَلَا هُنَّ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَ لَيْسَ لَكُم مَّا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَلَقْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ لِيَاغِبَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُسْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يُسْرِقْنَ وَلَا يُزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَعْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسُؤُا الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)**

ص: ٢٨٥

(١ - ١). الممتحنه ١-٩: بحث روائى حول قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ»؛ قوله تعالى: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ»؛ الحب فى الله و البغض فى الله.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ الْآيَةَ؛ سياق الآية يعطى أنها نزلت بعد صلح الحديبية، و كان فى العهد المكتوب بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبين أهل مكة أنه إن لحق من أهل مكة رجل بالمسلمين ردّوه اليهم وإن لحق من المسلمين رجل بأهل مكة لم يردّوه اليهم ثم إن بعض نساء المشركين أسلمت و هاجرت الى المدينة فجاء زوجها يستردّها فسأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يردّها اليه فأجابه النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن الذى شرطوه فى العهد ردّ الرجال دون النساء و لم يردّها اليهم و أعطاه ما أنفق عليها من المهر و هو الذى تدل عليه الآية مع ما يناسب ذلك من أحكامهن.

فقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ سَمَّاهُنَّ

مؤمنات قبل امتحانهم و العلم بإيمانهم لتظاهرهن بذلك.

و قوله: فَأَمَّا جُنُوهُنَّ أَي اختبروا إيمانهم بما يظهر به ذلك من شهادته و حلف يفيد العلم و الوثوق، و فى قوله: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ» إشاره الى أنه يجزى فى ذلك العلم العادى و الوثوق دون اليقين بحقيقته الإيمان الذى هو تعالى أعلم به علما لا يتخلف عنه معلومه.

و قوله: فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ذكرهم بوصف الإيمان للاشاره الى أنه السبب للحكم و انقطاع علقه الزوجيه بين المؤمنه و الكافر.

و قوله: لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ مجموع الجملتين كناية عن انقطاع علقه الزوجيه، و ليس من توجيه الحرمة اليهن و اليهم فى شىء.

و قوله: وَآتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا أَي أعطوا الزوج الكافر ما أنفق عليها من المهر.

و قوله: وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ رفع المانع من نكاح المؤمنات المهاجرات إذا أوتين أجورهن و الأجر المهر.

و قوله: وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ العصم جمع عصمه و هى النكاح الدائم يعصم المرأة و يحصنها، و إمساك العصمه إبقاء الرجل -بعد ما أسلم- زوجته الكافره على زوجيتها فعليه بعد ما أسلم أن يخلى عن سبيل زوجته الكافره سواء كانت مشرکه أو كتابيه.

و قد تقدم فى تفسير قوله: وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ (البقره ٢٢١/)، و قوله:

و الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ (المائده ٥/)، أن لا نسخ بين الآيتين و بين الآيه التى نحن فيها.

و قوله: وَ سَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَ لَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا ضمير الجمع فى «و سَأَلُوا» للمؤمنين و فى «لَيْسَ لَكُمْ» للكفار أى إن لحقت امرأه منكم بالكفار فاسألوهما ما أنفقتم لها من مهر و لهم أن يسألوا مهر من لحقت بكم من نسائكم.

ثم تمم الآيه بالإشاره الى ما تضمنته الآيه حكم الله الذى شرع لهم فقال: «ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ

يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

قوله تعالى: وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا الخ؛ قال الراغب: الفوت بعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه، قال تعالى: (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ) .

انتهى. وفسر المعاقبه و العقاب بمعنى الوصول و الانتهاء الى عقبى الشيء، و المراد عاقبتهم من الكفار أى أصبتم منهم غنيمه و هى عقبى الغزو، و قيل: عاقب بمعنى عَقَّب، و قيل: عاقب مأخوذ من العقبه بمعنى النوبه.

و الأقرب أن يكون المراد بالشيء المهر و «مِنْ» فى «مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» لابتداء الغايه و «إِلَى الْكُفَّارِ» متعلق بقوله: «فَاتَكُمْ» و المراد بالذين ذهب أزواجهم، بعض المؤمنين و اليهم يعود ضمير «أَنْفَقُوا» .

و المعنى: و إن ذهب و انفلت منكم الى الكفار مهر من أزواجكم بلحوقهن بهم و عدم ردهم ما أنفقتهم من المهر اليكم فأصبتم منهم بالغزو غنيمه فأعطوا المؤمنين الذين ذهب أزواجهم اليهم مما أصبتم من الغنيمه مثل ما أنفقوا من المهر.

و فسرت الآيه بوجوه اخرى بعيده عن الفهم أغمضنا عنها.

و قوله: وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ أمر بالتقوى، و توصيفه تعالى بالموصول و الصله لتعليل الحكم فإن مقتضى الإيمان بالله تقواه.

و قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ الخ؛ تتضمن الآيه حكم يبيعه النساء المؤمنات للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و قد شرطت عليهن فى «عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ» الخ؛ أمورا منها ما هو مشترك بين الصنفين: الرجال و النساء كالتحرز من الشرك و من معصيه الرسول فى معروف و منا ما هو أمس بهن من حيث أن تدبير المنزل بحسب الطبع اليهن و هن السبيل الى حفظ عفه البيت و الحصول على الأنسال و طهاره مواليدهم، و هى التجنب من

السرقه و الزنا و قتل الأولاد و إلحاق غير أولاد أزواجهن بهم، و إن كانت هذه الامور بوجه من المشتركات.

فقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ شَرَطَ جَوَابَهُ قَوْلَهُ:

﴿بَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ﴾ .

و قوله: عَلَيَّ أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا أَى مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ وَالْأَرْبَابِ، وَ هَذَا شَرَطٌ لَا غِنَى عَنْهُ لِإِنْسَانٍ فِي حَالٍ.

و قوله: وَلَا يَشِيرِقَنَّ أَى لَا مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ وَ خَاصَهُ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ كَمَا يَفِيدُهُ السِّيَاقُ، وَ قَوْلُهُ: «وَلَا يَزْنِينَ» أَى بِاتِّخَاذِ الْأَخْدَانِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ وَ قَوْلُهُ: «وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ» بِالْوَادِ وَ غَيْرِهِ وَ إِسْقَاطِ الْأَجْنَةِ.

و قوله: وَلَا يَأْتِينَ بِيْهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَ أَرْجُلَيْهِنَّ وَ ذَلِكَ بِأَنْ يَحْمِلْنَ مِنَ الزَّانَا ثُمَّ يَضَعْنَهُ وَ يَنْسِبْنَهُ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ فَالْحَاقِهِنَّ الْوَلَدَ كَذَلِكَ بِأَزْوَاجِهِنَّ وَ نَسَبَهُ إِلَيْهِنَّ كَذَبًا بِهْتَانٍ يَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَ أَرْجُلَيْهِنَّ لِأَنَّ الْوَلَدَ إِذَا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ سَقَطَ بَيْنَ يَدَيْهَا وَ رِجْلَيْهَا، وَ لَا يَغْنَى عَنْ هَذَا الشَّرْطِ شَرَطُ الْاجْتِنَابِ عَنِ الزَّانَا لِأَنَّهُمَا مُتَغَايِرَانِ وَ كُلٌّ مُسْتَقِلٌّ بِالنَّهْيِ وَ التَّحْرِيمِ.

و قوله: وَلَا يَعَصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ نَسَبِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ دُونَ اللَّهِ مَعَ أَنَّهَا تَنْتَهَى إِلَيْهِ تَعَالَى لِأَنَّ الْمُرَادَ أَنْ لَا يَتَخَلَّفَنَّ بِالْمَعْصِيَةِ عَنِ السُّنَنِ الَّتِي يَسْتَنْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ يَنْفِذُهَا فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ فَيَكُونُ مَا سَنَّهُ هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ.

و مِنْ هُنَا يَظْهَرُ أَنَّ الْمَعْصِيَةَ فِي الْمَعْرُوفِ أَعْمٌ مِنْ تَرْكِ الْمَعْرُوفِ كَتَرْكِ الصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ فِعْلِ الْمُنْكَرِ كَتَبْرِجْهِنَّ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى.

و فِي قَوْلِهِ: إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ بَيَانٌ لِمَقْتَضَى الْمَغْفَرَةِ وَ تَقْوِيَهُ لِلرَّجَاءِ.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السُّخ؛ المراد بهم اليهود المغضوب عليهم وقد تكرر في كلامه تعالى فيهم وَبِأُوْغِبْضٍ مِّنَ اللَّهِ (البقره ١٦١)، و يشهد بذلك ذيل الآيه فإن الظاهر أن المراد بالقوم غير الكفار.

و قوله: يَتَسَوْنَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَسَوْنَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ المراد بالآخرة ثوابها، و المراد بالكفار الكافرون بالله المنكرون للبعث، و قيل: المراد مشركوا مكة و اللام للعهد، و «مِنْ» في «مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» لا ابتداء الغايه.

و الجملة بيان لشقائهم الخالد و هلاكهم المؤبد ليحذر المؤمنون من موالاتهم و موادتهم و الاختلاط بهم و المعنى: قد يتس اليهود من ثواب الآخرة كما يتس منكرو البعث من الموتى المدفونين في القبور.

و قيل: المراد بالكفار الذين يدفنون الموتى و يوارونهم في الأرض -من الكفر بمعنى الستر-.

و قيل: المراد بهم كفار الموتى و «مِنْ» بيانيه و المعنى: يتسوا من ثواب الآخرة كما يتس الكفار المدفونون في القبور منه لقوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ (البقره ١٦١) (١).

ص: ٢٩٠

---

١ - ١). الممتحنه ١٠-١٣: بحث روائي في: المؤمنات المهاجرات من دار الكفر الى دار الاسلام؛ كيفيه بيعه النساء مع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ  
تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ يُبَيِّنُ  
مَرْصُوصٌ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا  
يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا  
بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا حَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ  
يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ  
الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)

السوره ترغّب المؤمنين و تحرّضهم على أن يجاهدوا فى سبيل الله و يقاتلوا أعداء دينه، و تتبّئهم أن هذا الدين نور ساطع لله سبحانه يريد الكفار من أهل الكتاب أن يطفئوه بأفواههم و الله متمّمه و لو كره الكافرون، و مظهره على الدين كله و لو كره المشركون.

و أن هذا النبى الذى آمنوا به رسول من الله أرسله بالهدى و دين الحق، و بشر به عيسى بن مريم عليهما السلام بنى إسرائيل.

فعلى المؤمنين أن يشدّوا العزم على طاعته و امتثال ما يأمرهم به من الجهاد و نصره الله فى دينه حتى يسعدهم الله فى آخرتهم و ينصرهم و يفتح لهم فى دنياهم و يؤيدهم على أعدائهم.

و عليهم أن لا يقولوا ما لا يفعلون و لا ينكصوا فيما يعدون فإن ذلك يستوجب مقتا من الله تعالى و إيذاء الرسول و فيه خطر أن يزيغ الله قلوبهم كما فعل بقوم موسى عليه السلام لما آذوه و هم يعلمون أنه رسول الله اليهم و الله لا يهدى القوم الظالمين.

و السوره مدنيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: سَيَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ تقدم تفسيره، و افتتاح الكلام بالتسييح لما فيها من توبيخ المؤمنين بقولهم ما لا يفعلون و إنذارهم بمقت الله و إزاعته قلوب الفاسقين.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ «لِمَ» مخفف لما، و «مَا» استفهاميه، و اللام للتعليل، و الكلام مسوق للتوبيخ ففيه توبيخ المؤمنين على قولهم ما لا يفعلون و لا يصغى الى قول بعض المفسرين: أن المراد بالذين آمنوا هم المنافقون و التوبيخ لهم دون المؤمنين لجلاله قدرهم.

و ذلك لوفور الآيات المتضمنه لتوبيخهم و معاتبهم و خاصه فى الآيات النازله فى الغزوات و ما يلحق بها كاحد و الأحزاب و حنين و صلح و الحديبيه و تبوك و الإنفاق فى سبيل الله و غير ذلك، و الصالحون من هؤلاء المؤمنين إنما صلحوا نفسا و جلّوا قدرا بالتربيه الإلهيه التى تتضمنها أمثال هذه التوبيخات و العتابات المتوجهه اليهم تدريجا و لم يتصفوا بذلك من عند أنفسهم.

و مورد التوبيخ و إن كان بحسب ظاهر لفظ الآيه مطلق تخلف الفعل عن القول و خلف الوعد و نقض العهد و هو كذلك لكونه من آثار مخالفه الظاهر للباطن و هو النفاق لكن سياق الآيات و فيها قوله: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صِفًا و ما سيأتى من قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجَارُهُ الْخ؛ و غير ذلك يفيد أن متعلق التوبيخ كان هو تخلف بعضهم عما وعده من الثبات فى القتال و عدم الانهزام و الفرار أو ثقافتهم أو تخلفهم عن الخروج أو عدم الإنفاق فى تجهز أنفسهم أو تجهيز غيرهم.

قوله تعالى: كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ المقت البغض الشديد، و الآيه فى مقام التعليل لمضمون الآيه السابقه فهو تعالى يبغض من الإنسان أن يقول

ما لا- يفعلُه لأنه من النفاق، و أن يقول الإنسان ما لا يفعلُه غير أن لا يفعل ما يقوله فالأول من النفاق و الثاني من ضعف الإرادة و رهن العزم و هو رذيله منافيه لسعاده النفس الإنسانيه فإن الله بنى سعاده النفس الإنسانيه على فعل الخير و اكتساب الحسنه من طريق الاختيار و مفتاحه العزم و الإراده، و لا- تأثير إلا للراسخ من العزم و الإراده، و تخلف الفعل عن القول معلول و هن العزم و ضعف الإراده و لا يرجي للانسان مع ذلك خير و لا سعاده.

قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صِيًّا كَمَا أَنَّهُمْ بِيَاءٌ أَنْ مَرْصُوصٌ الصِّفِّ جَعَلَ الْأَشْيَاءَ عَلَى خَطِّ مَسْتَوٍ كَالنَّاسِ وَالْأَشْجَارِ. كَذَا قَالَ الرَّاعِبُ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ وَ لَذَا لَمْ يَجْمَعْ، وَهُوَ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ فِي «يُقَاتِلُونَ»، وَ الْمَعْنَى: «يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ حَالٌ كَوْنَهُمْ صَافِينَ».

و البنيان هو البناء، و المرصوص من الرصاص، و المراد به ما أحكم من البناء بالرصاص فيقاوم ما يصادمه من أسباب الانهدام.

و الآيه تعلق بخصوص المورد- و هو أن يعدوا الثبات في القتال ثم ينهزموا- بالالتزام كما أن الآيه السابقه تعلق التوبيخ على مطلق أن يقولوا ما لا يفعلون، و ذلك أن الله سبحانه إذا أحبَّ الذين يقاتلون فيلزمون مكانهم و لا يزولون كان لازمه أن يبغض الذين يعدون أن يثبتوا ثم ينهزمون إذا حضروا معركة القتال.

قوله تعالى: وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَأْتُونَنِي وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ الْخ؛ فِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى إِيْذَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَسُولَهُمْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ لَجَاجِهِمْ حَتَّى آلَ إِلَى إِزَاغِهِ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ. وَ فِي ذَلِكَ نَهْيٌ لِلْمُؤْمِنِينَ عَنِ أَنْ يُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَيُثَلِّمُوا أَمْرَهُمْ إِلَى مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ قَوْمِ مُوسَىٰ مِنْ إِزَاغِهِ الْقُلُوبَ وَ قَدْ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (الأحزاب / ٥٧).

وَالْآيَةَ بِمَا فِيهَا مِنَ النِّهْيِ الْإِلْتِزَامِيِّ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (الأحزاب / ٧٠).

و سياق الآيتين و ذكر تبرئه موسى عليه السلام يدل على أن المراد بإيذائه بما برّاه الله منه ليس معصيتهم لأوامره و خروجهم عن طاعته إذ لا معنى حينئذ لتبرئته بل هو أنهم وقعوا فيه عليه السلام و قالوا فيه ما فيه عار و شين فتأذى فبرّاه الله مما قالوا و نسبوا إليه، و قوله في الآية التالية:

«اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» يؤيد هذا الذي ذكرناه.

و يؤيد ذلك إشارته تعالى الى بعض مصاديق إيذاء النبي صلى الله عليه و آله و سلم بقول أو فعل في قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاءً وَ لَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ -الى أن قال- وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ -الى أن قال- وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (الأحزاب / ٥٣).

فتحصّل أن في قوله: «وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ» الخ؛ تلويحا الى النهي عن إيذاء النبي صلى الله عليه و آله و سلم بقول أو فعل على علم بذلك كما أن في ذيل الآية تخويفا و إنذارا أنه فسق ربما أدى الى إزاعته تعالى قلب من تلبس به.

و قوله: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ الزيف الميل عن الاستقامه و لآزمه الانحراف عن الحق الى الباطل.

و إزاعته تعالى إمساك رحمته و قطع هدايته عنهم كما يفيد التعليل بقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» حيث علل الإزاعه بعدم الهدايه، و هي إزاعه على سبيل المجازاه و تثبيت للزيف الذي تلبسوا به أولا- بسبب فسقهم المستدعى للمجازاه كما قال تعالى: يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا

وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (البقره ٢٦)، و ليس يازاغه بدئيه و إضلال ابتدائي لا يليق بساحه قدسه تعالى.

و أما قوله: «إن الكلام يخرج بذلك عن الفائدة» فيدفعه أن الذي ينسب من الزيغ الى العبد و يحصل معه الكفر تحقق ما له بالفسق و الذي ينسب اليه تعالى تثبيت الزيغ في قلب العبد و الطبع عليه به فزيغ العبد عن الإيمان بسبب فسقه و حصول الكفر بذلك لا يغني عن تثبيت الله الزيغ و الكفر في قلبه على سبيل المجازاه.

قوله تعالى: «وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ تُقَدِّمُ فِي صَدْرِ الْكَلَامِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَ الَّتِي قَبْلَهَا وَ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ بَعْدَهَا مَسْوُوقَةٌ لِتَسْجِيلِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ رَسُولٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ أُرْسِلَهُ اللَّهُ بِالْهَدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الدِّينِ نَوْرٌ سَاطِعٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَرِيدُ الْمَشْرُوكُونَ لِيُطْفِئُوهُ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مَتَمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمَشْرُوكُونَ.

فعلى المؤمنين أن لا يؤذوه صلى الله عليه و آله و سلم و هم يعلمون أنه رسول الله اليهم، و أن ينصروه و يجاهدوا في سبيل ربهم لإحياء دينه و نشر كلمته.

و من ذلك يعلم أن قوله: «وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» الخ؛ كالتوطئه لما سيدكر من كون النبي صلى الله عليه و آله و سلم رسولا مبشرا به من قبل أرسله الله بالهدى و دين الحق و دينه نوره تعالى يهتدى به الناس.

و الذي حكاه تعالى عن عيسى بن مريم عليهما السلام أعنى قوله: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» ملخص دعوته و قد آذن بأصل دعوته بقوله: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ» فأشار الى أنه لا شأن له إلا أنه حامل رساله من الله اليهم، ثم بين متن ما أرسل اليهم لأجل تبليغه في رسالته بقوله: «مُصَدِّقًا

لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ» الخ.

فقوله: مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ بيان أن دعوته لا- تغاير دين التوراه و لا- تناقض شريعته بل تصدقها و لم تنسخ من أحكامها إلا- يسيرا و النسخ بيان انتهاء أمد الحكم و ليس بإبطال، و لذا جمع عليه السَّلام بين تصديق التوراه و نسخ بعض أحكامها فيما حكاها الله تعالى من قوله: وَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَ لِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ (آل عمران ٥٠/٥٠) و لم يبين لهم إلا بعض ما يختلفون فيه كما في قوله المحكى: قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ (الزخرف ٦٣/٦٣).

و قوله: وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ إشاره الى الشطر الثاني من رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و قد أشار الى الشطر الأول بقوله: «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ» .

و من المعلوم أن البشرى هي الخبر الذي يسر المبشر و يفرحه و لا يكون إلا بشيء من الخير يوافيه و يعود اليه، و الخير المترقب من بعثه النبي و دعوته هو انفتاح باب من الرحمة الإلهية على الناس فيه سعادته دنياهم و عقابهم من عقيدته حقه أو عمل صالح أو كليهما، و البشرى بالنبي بعد النبي و بالدعوة الجديدة بعد حلول دعوته سابقه و استقرارها و الدعوه الإلهية واحده لا تبطل بمرور الدهور و تقضى الأزمته و اختلاف الأيام و الليالي-إنما تتصور إذا كانت الدعوه الجديدة أرقى فيما تشتمل عليه من العقائد الحقه و الشرائع المعدله لأعمال المجتمع و أشمل لسعادته الإنسان في دنياه و عقابه.

و بهذا البيان يظهر أن معنى قوله عليه السَّلام: «وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي» الخ؛ يفيد كون ما أتى به النبي أحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أرقى و أكمل مما تضمنته التوراه و بعث به عيسى عليه السَّلام و هو عليه السَّلام متوسط رابط بين الدعوتين.

و يعود معنى كلامه «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا» الخ؛ الى أنى رسول من الله اليكم أدعو الى شريعته التوراه و منهاجها- و لا حل لكم بعض الذي حرم عليكم- و هي شريعته سيكملها

اللّه يعث نبي يأتي من بعدى اسمه أحمد.

و هو كذلك فإمعان التأمل فى المعارف الإلهيه التى يدعو إليها الإسلام يعطى أنها أدق مما فى غيره من الشرائع السماويه السابقه و خاصه ما يندب اليه من التوحيد الذى هو أصل الاصول الذى يبنى عليه كل حكم و يعود اليه كل من المعارف الحقيقيه و قد تقدم شطر من الكلام فيه فى المباحث السابقه من الكتاب.

و كذا الشرائع و القوانين العمليه التى لم تدع شيئاً مما دق و جل من أعمال الإنسان الفرديه و الاجتماعيه إلا عدلته و حدت حدوده و قررتة على أساس التوحيد و وجهته الى غرض السعاده.

و الى ذلك الإشاره بقوله تعالى: الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْمَأْمُورَ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا أُولَئِكَ إِنَّكُمْ عِنْدَ اللَّهِ لَمَعْرُوفُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَىٰ آبَائِكُمْ كَانَتْ تَارِكَةً وَصُوحًا وَتُفَاهَاتٍ لَّيْسَ فِيهَا مِنْ حِكْمٍ وَلَا بَيِّنَاتٍ لَّيْسَ فِيهَا مِنْ عِلْمٍ وَلَا هُدًى لِّلَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي السَّافِهِينَ (الأعراف ١٥٧/)، و آيات أخرى يصف القرآن.

و الآيه أعنى قوله: «و مَبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي» و إن كانت مصرحه بالبشاره لكنها لا تدل على كونها مذكوره فى كتابه عليه السلام غير أن آيه الأعراف المنقوله آنفا «يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ» و كذا قوله فى صفه النبي صلى الله عليه و آله و سلم: ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ الْآيَهُ (الفتح ٢٩/)، يدلان على ذلك.

و قوله: إِسْمُهُ أَحْمَدُ دلالة السياق على تعبير عيسى عليه السلام عنه صلى الله عليه و آله و سلم بأحمد و على كونه اسما له يعرف به عند الناس كما كان يسمى بمحمد ظاهره لا ستره عليها.

و يدل عليه قول حسان:

صَلَّى الْإِلَهَ وَ مِنْ يَحْفَ بَعْرَشَه

و الطَّيِّبُونَ عَلَى الْمَبَارِكِ أَحْمَدَ

و من أشعار أبى طالب قوله:

ص: ٢٩٨



و قالوا لأحمد أنت امرؤ

خولف اللسان ضعيف السبب

ألا إن أحمد قد جاءهم

بحق و لم يأتهم بالكذب

و قوله مخاطبا للعباس و حمزه و جعفر و على يوصيهم بنصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ:

كونوا فدى لكم أمى و ما ولدت

فى نصر أحمد دون الناس أتراسا

و من شعره فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و قد سماه باسمه الآخر محمد:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا

نبيا كموسى خط فى أول الكتب

و يستفاد من البيت أنهم عثروا على وجود البشارة به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فى الكتب السماوية التى كانت عند أهل الكتاب يومئذ ذاك.

و يؤيده أيضا إيمان جماعه من أهل الكتاب من اليهود و النصارى و فيهم قوم من علمائهم كعبد الله بن سلام و غيره و قد كانوا يسمعون هذه الآيات القرآنية التى تذكر البشارة به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و ذكره فى التوراه و الإنجيل فتلقوه بالقبول و لم يكذبوه و لا أظهروا فيه شيئا من الشك و التردد.

و أما خلو الأناجيل الدائرة اليوم عن بشاره عيسى بما فيها من الصراحة فالقرآن-و هو آيه معجزه باقيه-فى غنى عن تصديقها،و قد تقدم البحث عن سندها و اعتبارها فى الجزء الثالث من الكتاب.

و قوله: فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ضَمِيرٌ «جاء» لأحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و ضمير «هُم» لبنى إسرائيل أو لهم و لغيرهم،و المراد بالبينات البشارة و معجزه القرآن و سائر آيات النبوه.

و المعنى: فلما جاء أحمد المبشر به بنى إسرائيل أو أتاهم و غيرهم بالآيات البينه التى منها بشاره عيسى عليه السلام قالوا هذا سحر مبين،و قرئ هذا ساحر مبين.

و قيل: ضمير «جاء» لعيسى عليه السلام،و السياق لا يلائمه.



قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ الْخ؛ الاستفهام للإنكار وهو رد لقولهم: «هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ» فإن معناه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس برسول وأن ما بلغه من دين الله ليس منه تعالى.

و المراد بالإسلام الدين الذى يدعو اليه رسول الله بما أنه تسليم لله فيما يريد و يأمر به من اعتقاد و عمل، ولا ريب أن مقتضى ربوبيته و ألوهيته تعالى تسليم عباده له تسليمًا مطلقًا فلا ريب أن الدين الذى هو الإسلام لله دينه الحق الذى يجب أن يدان به فدعوى أنه باطل ليس من الله افتراء على الله.

و من هنا يظهر أن قوله: «وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ» يتضمن الحجج على كون قولهم: «هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ» افتراء على الله.

و الافتراء ظلم لا يرتاب العقل فى كونه ظلماً و ينهى عنه الشرع و يعظم الظلم بعظمه من وقع عليه فإذا كان هو الله سبحانه كان أعظم الظلم فلا أظلم ممن افترى على الله الكذب.

و المعنى: ولا أظلم ممن افترى على الله الكذب-بنفى نسبه دين الله اليه-و الحال أنه يدعى الى دين الإسلام الذى لا يتضمن إلا التسليم لله فيما أراد و لا ريب أنه من الله، و الله لا يهدى القوم الظالمين.

قوله تعالى: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ الْخ؛ إطفاء النور بإبطاله و إذهاب شروقه، و إطفاء النور بالأفواه إنما هو بالنفخ بها.

و قد وقعت الآية فى سورة التوبة و فيها «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ» قال الراغب: قال تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ» «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ» و الفرق بين الموضعين أن فى قوله: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا» يقصدون إطفاء نور الله، و فى قوله: «لِيُطْفِئُوا» يقصدون أمراً يتوصلون به الى إطفاء نور الله. انتهى. و محصله أن متعلق الإرادة فى قوله:

«يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ» نفس الإطفاء، و فى قوله: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ» السبب

الموصل الى الإطفاء و هو النفخ بالأفواه و الإطفاء غرض و غايه.

و الآيه و ما يتلوها كالشارح لمعنى ما تقدم فى الآيه السابقه من ظلمهم برمى الدعوه بالسحر و عدم هدايته تعالى لهم بما أنهم ظالمون،و المحصل أنهم يريدون إطفاء نور الله بنفخه أفواههم لكن الله لا يهديهم الى مقصدهم بل يتم نوره و يظهر دينه على الدين كله.

فقوله: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ أَي بالنفخ بالأفواه كما يطفأ الشمعه بالنفخه كناية عن أنهم زعموا أن نور الله و هو دينه نور ضعيف كنور الشمعه يطفأ بأدنى نفخه فرموه بالسحر و انقطاع نسبه الى الله.

و قد أخطئوا في مزعتهم فهو نور الله الذى لا يطفأ و قد شاء أن يتمه و لو كره الكافرون و الله بالغ أمره،و هو قوله: «وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» .

قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ الإضافة فى «دِينِ الْحَقِّ» بيانيه كما قيل:و الظاهر أنها فى الأصل إضافة لاميه بعنايه لطيفه هى أن لكل من الحق و الباطل دينا يقتضيه و يختص به،و قد ارتضى الله تعالى الدين الذى للحق-و هو الحق تعالى-فأرسل رسوله.

و إظهار شىء على غيره نصرته و تغلبه عليه،و المراد بالدين كله كل سبيل مسلوكة غير سبيل الله الذى هو الإسلام و الآيه فى مقام تعليل قوله فى الآيه السابقه: «وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ» ، و المعنى:و الله متم نوره لأنه هو الذى أرسل رسوله بنوره الذى هو الهدى و دين الحق ليجعله غالبا على جميع الأديان و لو كره المشركون من أهل الأوثان.

و يستفاد من الآيتين أن دين الحق نور الله فى الأرض كما يستفاد ذلك من قوله: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبُحٌ  
الآيه(النور٣٥)،و قد تقدم فى تفسير الآيه (١).

ص: ٣٠١

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا مَنْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)

بيان:

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ الاستفهام للعرض و هو في معنى الأمر.

و التجارة-على ما ذكره الراغب-التصرف في رأس المال طلبا للربح، ولا يوجد في كلام العرب تاء بعده جيم إلا هذه اللفظه.

فقد أخذ الإيمان و الجهاد في الآيه تجاره رأس مالها النفس و ربحها النجاه من عذاب أليم، و الآيه في معنى قوله: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ - إلى أن قال - فَاسْتَبَشِرُوا بِنِعْمِكُمُ الَّذِي بِاِيْعْتَمِ بِهِ (التوبه / ١١١).

و قد فخم تعالى أمر هذه التجاره حيث قال: «عَلَى تِجَارِهِ» أى تجاره جليله القدر عظيمه الشأن، و جعل الربح الحاصل منها النجاه من عذاب أليم لا يقدر قدره.

و مصداق هذه النجاه الموعوده المغفره و الجنه، و لذا بدل ثانيا النجاه من العذاب من قوله:

«يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ» الخ؛ و أما النصر و الفتح الموعودان فهما خارجان عن النجاه الموعوده، و لذا فصلهما عن المغفره و الجنه فقال: «وَ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ» فلا تغفل.

قوله تعالى: تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُوْلِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ الخ؛ استئناف بيانى يفسر التجاره المعروضه عليهم كأنه قيل: ما هذه التجاره؟ فقيل «تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُوْلِهِ وَ تُجَاهِدُونَ» الخ؛ و قد أخذ الإيمان بالرسول مع الإيمان بالله للدلاله على وجوب طاعته فيما أمر به و إلا فالإيمان لا يعد إيماناً بالله إلا مع الإيمان برسالة الرسول قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُوْلِهِ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رَسُوْلِهِ - إلى أن قال - أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا (النساء ١٥١).

و قوله: ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أى ما ذكر من الإيمان و الجهاد خير لكم إن كنتم من أهل العلم و أما الجهله فلا يعتد بأعمالهم.

و قيل: المراد تعلمون خيره ذلك إن كنتم من أهل العلم و الفقه.

قوله تعالى: يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ الخ؛ جواب للشرط المقدر المفهوم من الآيه السابقه أى إن تؤمنوا بالله و رسوله و تجاهدوا فى سبيله يغفر لكم، الخ.

و قد أطلقت الذنوب المتعلقة بها المغفره فالمغفور جميع الذنوب و الاعتبار يساعده إذ هذه

المغفرة مقدمه الدخول في جنه الخلد و لا معنى لدخولها مع بقاء بعض الذنوب على حاله، و لعله للإشارة الى هذه النكته عقبها بقوله: «وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ» أى جنات ثبات و استقرار فكونها محل ثبات و موضع قرار يلوح أن المغفرة تتعلق بجميع الذنوب.

مضافا الى ما فيه من مقابله النفس المبذوله و هى متاع قليل معجل بجنات عدن التى هى خالده فتطيب بذلك نفس المؤمن و تقوى إرادته لبذل النفس و تضحيتها و اختيار البقاء على الفناء.

ثم زاد فى تأكيد ذلك بقوله: «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» .

قوله تعالى: «وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ» عطف على قوله: «يَغْفِرُ لَكُمْ» الخ؛ و «أُخْرَى» وصف قائم مقام الموصوف و هو خبر لمبتدأ محذوف، و قوله: «نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ» بيان لآخرى، و التقدير و لكم نعمه أو خصله اخرى تحبونها و هى نصر من الله و فتح قريب عاجل.

و قوله: «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» معطوف على الأمر المفهوم من سابق الكلام كأنه قيل «قل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم» الخ؛ و بشر المؤمنين.

و تحاذى هذه البشرى ما فى قوله: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ» -الى أن قال- «فَاسْتَبَشِّرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ (التوبة ١١١)»، و به يظهر أن الذى أمر أن يبشروا به مجموع ما يؤتيهم الله من الأجر فى الآخرة و الدنيا لا خصوص النصر و الفتح.

هذا كله ما يعطيه السياق فى معنى الآيه و إعراف أجزائها، و قد ذكر فيها أمور اخرى لا يساعد عليها السياق تلك المساعدة أغمضنا عن ذكرها، و احتمال أن يكون قوله: «وَبَشِّرِ» الخ؛ استثناءفا.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ الْخَالِقِينَ؛ أى اتسموا بهذه السمه و دوموا و اثبتوا عليها فالآيه فى معنى الترقى بالنسبه الى قوله السابق: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» و مآل المعنى: اتجروا بأنفسكم و أموالكم فانصروا الله بالإيمان و الجهاد فى سبيله و دوموا و اثبتوا على نصره.

و المراد بنصرتهم لله أن ينصروا نبيه فى سلوك السبيل الذى يسلكه الى الله على بصيره كما قال: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (يوسف ١٠٨).

و قوله: فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ كَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ إشاره الى ما جرى عليه و انتهى اليه أمر استنصار عيسى و تلبيه الحواريين حيث تفرق الناس الى طائفه مؤمنه و اخرى كافره فأيد الله المؤمنين على عدوهم و هم الكفار فأصبحوا ظاهرين بعد ما كانوا مستخفين مضطهدين.





غرض السوره هو الحث البالغ على الاهتمام بأمر صلاه الجمعه و القيام بواجب أمرها فهى من شعائر الله المعظمه التى فى تعظيمها و الاهتمام بأمرها صلاح أخرهم و دنياهم، و قد سلك تعالى الى بيان أمره بافتتاح الكلام بتسبيحه و الثناء عليه بما منّ على قوم أميين برسول منهم أمى يتلو عليهم آياته و يزكّيهم بصالحات الأعمال و الزاكيات من الأخلاق و يعلمهم الكتاب و الحكمة فيحملهم كتاب الله و معارف دينه أحسن التحميل هم و من يلحق بهم أو يخلفهم من بعدهم من المؤمنين فليحملوا ذلك أحسن الحمل، و ليحذروا أن يكونوا كاليهود حملوا التوراه ثم لم يحملوا معارفها و أحكامها فكانوا مثل الحمار يحمل أسفارا.

ثم تخلص الى الأمر بترك البيع و السعى الى ذكر الله إذا نودى للصلاه من يوم الجمعه، و قرّعهم على ترك النبي صلى الله عليه و آله و سلم قائما يخطب و الانفضاض و الانسلال الى التجاره و اللهوه، و ذلك آيه عدم تحملهم ما حملوا من معارف كتاب الله و أحكامه، و السوره مدنيه.

قوله تعالى: **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** التنزيه الشىء و نسبه الى الطهاره و النزاهه من العيوب و النقائص، و التعبير بالمضارع للدلاله على الاستمرار، و الملك هو الاختصاص بالحكم فى نظام المجتمع، و القدوس مبالغه فى القدس و هو النزاهه و الطهاره، و العزيز هو الذى لا يغلبه

غالب، والحكيم هو المتقن فعله فلا يفعل عن جهل أو جزاف.

و في الآيه توطئه و تمهيد برهاني لما يتضمنه قوله: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ» الخ؛ من بعثه الرسول لتكميل الناس و إسعادهم و هدايتهم بعد إذ كانوا في ضلال مبين.

و ذلك أنه تعالى يسبحه و ينزهه الموجودات السماويه و الأرضيه بما عندهم من النقص الذي هو متممه و الحاجه التي هو قاضيها فما من نقيصه أو حاجه إلا و هو المرجو في تمامها و قضائها فهو المسيح المنزه عن كل نقص و حاجه فله أن يحكم في نظام التكوين بين خلقه بما شاء، و في نظام التشريع في عبادته بما أراد، كيف لا؟ و هو ملك له أن يحكم في أهل مملكته و عليهم أن يطيعوه.

و إذا حكم و شرع بينهم دينا لم يكن ذلك منه لحاجه الي تعبيدهم و نقص فيه يتممه بعبادتهم لأنه قدوس منزه عن كل نقص و حاجه.

ثم إذا حكم و شرع و بلغه إياهم عن غنى منه و دعاهم اليه بوساطه رسله فلم يستجيبوا دعوته و تمردوا عن طاعته لم يكن ذلك تعجيزا منهم له تعالى لأنه العزيز لا يغلبه فيما يريده غالب.

ثم إن الذي حكم به و شرعه من الدين بما أنه الملك القدوس العزيز ليس يذهب لغى لا أثر له لأنه حكيم على الإطلاق لا يفعل ما يفعل إلا لمصلحه و لا يريد منهم ما يريد إلا لنفع يعود اليهم و خير ينالونه فيستقيم به حالهم في دنياهم و آخراهم.

و بالجمله فتشريعه الدين و إنزاله الكتاب ببعث رسول يبلغهم ذلك بتلاوه آياته، و يزيكهم و يعلمهم من منه تعالى و فضل كما قال: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ» الخ.

قوله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ الخ؛ الاميون جمع أمى و هو الذي لا يقرأ و لا يكتب، و المراد بهم - كما قيل - العرب لقله من كان منهم يقرأ و يكتب و قد كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ منهم أى من جنسهم و هو غير كونه مرسلا اليهم فقد كان منهم و كان

و احتمال أن يكون المراد بالاميين غير أهل الكتاب كما قال اليهود-على ما حكى الله عنهم:- لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ (آل عمران/٧٥).

و فيه أنه لا- يناسب قوله فى ذيل الآيه: «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ» الخ؛ فإنه صَلَّى الله عليه و آله و سلم لم يخص غير العرب و غير أهل الكتاب بشيء من الدعوه لم يلقه اليهم.

و احتمال أن يكون المراد بالاميين أهل مكه لكونهم يسمونها أم القرى.

و فيه أنه لا يناسب كون السوره مدنيه لإيهامه كون ضمير «يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمْ» راجعا الى المهاجرين و من أسلم من أهل مكه بعد الفتح و أخلافهم و هو بعيد من مذاق القرآن.

و لا منافاه بين كونه صَلَّى الله عليه و آله و سلم من الاميين مبعوثا فيهم و بين كونه مبعوثا اليهم و الى غيرهم و هو ظاهر، و تلاوته عليهم آياته و تزكيته و تعليمه لهم الكتاب و الحكمة لنزوله بلغتهم و هو أول مراحل دعوته و لذا لما استقرت الدعوه بعض الاستقرار أخذ صَلَّى الله عليه و آله و سلم يدعو اليهود و النصارى و المجوس و كاتب العظماء و الملوك.

و كذا دعوه إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام على ما حكى الله تعالى رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ - الى أن قال- رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ (البقره ١٢٩)، تشمل جميع آل إسماعيل من عرب مضر أعم من أهل مكه و غيرهم، و لا ينافى كونه صَلَّى الله عليه و آله و سلم مبعوثا اليهم و الى غيرهم.

و قوله: يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ أى آيات كتابه مع كونه أميا. صفه للرسول.

و قوله: وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ التزكيه تفعيل من الزكاه بمعنى النمو الصالح الذى يلازم الخير و البركه فتزكيته لهم تنميته لهم نماء صالحا بتعويدهم الأخلاق الفاضله و الأعمال الصالحه فيكملون بذلك فى إنسانيتهم فيستقيم حالهم فى دنياهم و آخرتهم يعيشون سعداء و يموتون سعداء.

و تعليم الكتاب بيان ألفاظ آياته و تفسير ما أشكل من ذلك، و يقابله تعليم الحكمة و هى المعارف الحقيقيه التى يتضمنها القرآن، و التعبير عن القرآن تاره بالآيات و تاره بالكتاب للدلاله على أنه بكل من هذه العناوين نعمه يمتن بها- كما قيل -.

و قد قدم التزكيه هاهنا على تعليم الكتاب و الحكمة بخلاف ما فى دعوه إبراهيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لأن هذه الآيه تصف تربيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لمؤمنى أمته، و التزكيه مقدمه فى مقام التربيه على تعليم العلوم الحقه و المعارف الحقيقيه و أما ما فى دعوه إبراهيم عليه السَّلام فإنها دعاء و سؤال أن يتحقق فى ذريته هذه الزكاه و العلم بالكتاب و الحكمة، و العلوم و المعارف أقدم مرتبه و أرفع درجه فى مرحله التحقق و الاتصاف من الزكاه الراجعه الى الأعمال و الأخلاق.

و قوله: **وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** «إِنَّ» مخففه من الثقيله و المراد أنهم كانوا من قبل بعثه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فى ضلال مبين، و الآيه تحميد بعد تسييح و مسوقه للامتنان كما سيأتى.

قوله تعالى: **وَ آخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** عطف على الاميين و ضمير «مِنْهُمْ» راجع اليهم و «من» للتبعيض و المعنى: بعث فى الاميين و فى آخرين منهم لم يلحقوا بهم بعد و هو العزيز الذى لا- يغلب فى إرادته الحكيم الذى لا- يلغو و لا يجازف فى فعله.

قوله تعالى: **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** الإشاره بذلك الى بعث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ- و قد فخم أمره بالإشاره البعيده- فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ المخصوص بالفضل، و المعنى: ذلك البعث و كونه يتلو آيات الله و يزكى الناس و يعلمهم الكتاب و الحكمة من فضل الله و عطائه يعطيه من تعلقته به مشيئته و قد شاء أن يعطيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و الله ذو الفضل العظيم كذا قال المفسرون.

و من الممكن أن تكون الإشاره بذلك الى البعث بما له من النسبه الى أطرافه من المرسل

و المرسل اليهم، و المعنى: ذلك البعث من فضل الله يؤتیه من يشاء و قد شاء أن يخص بهذا الفضل محمدا صلى الله عليه و آله و سلم فاختره رسولا، و أمته فاخترهم لذلك فجعله منهم و أرسله اليهم.

و الآيه و الآيتان قبلها أعنى قوله: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ -الى قوله- الْعَظِيمِ» مسوقه سوق الامتنان.

قوله تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا الخ؛ قال الراغب: السفر-بالفتح فالسكون-كشف الغطاء و يختص ذلك بالأعيان نحو سفر العمامه عن الرأس و الخمار عن الوجه-الى أن قال-و السفر-بالكسر فالسكون-الكتاب الذى يسفر عن الحقائق قال تعالى: «كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» انتهى.

و المراد بتحميل التوراه تعليمها، و المراد بحملها العمل بها على ما يؤيده السياق و يشهد به ما فى ذيل الآيه من قوله: «بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ»، و المراد بالذين حملوا التوراه ثم لم يحملوها اليهود الذين أنزل الله التوراه على رسولهم موسى عليه السلام فعلمهم ما فيها من المعارف و الشرائع فتركوها و لم يعملوا بها فحملوها و لم يحملوها فضرب الله لهم مثل الحمار يحمل أسفارا و هو لا يعرف ما فيها من المعارف و الحقائق فلا يبقى له من حملها إلا التعب بتحمل ثقلها.

قوله تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ احتجاج على اليهود يظهر به كذبهم فى دعواهم أنهم أولياء الله و أحبائه، و قد حكى الله تعالى ما يدل على ذلك عنهم بقوله: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْدَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ (المائدہ ١٨)، و قوله: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْمَآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ (البقره ٩٤)، و قوله: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا (البقره ١١١).

و محصل المعنى: قل لليهود مخاطبا لهم يا أيها الذين تهودوا إن كنتم تعتقدتم أنكم أولياء لله

من دون الناس إن كنتم صادقين في دعواكم فتمنوا الموت لأن الولي يحب لقاء وليه و من أيقن أنه ولي لله وجبت له الجنة و لا حاجب بينه و بينها إلا الموت أحب الموت و تمنى أن يحلَّ به فيدخل دار الكرامه و يتخلص من هذه الحياه الدنيه التي ما فيها إلا الهم و الغم و المحنه و المصيبه.

قوله تعالى: **وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** أخبر تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم أنهم لا يتمنونه أبدا بعد ما أمره أن يعرض عليهم تمنى الموت.

و قد علل عدم تمنيه الموت بما قدمت أيديهم و هو كناية عن الظلم و الفسوق، فمعنى الآية:

و لا- يتمنون الموت أبدا بسبب ما قدمته أيديهم من الظلم فكانوا ظالمين و الله عليم بالظالمين يعلم أنهم لا يحبون لقاءه لأنهم أعداؤه لا ولايه بينه و بينهم و لا محبه.

و الآيتان في معنى قوله تعالى: **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** (البقره ٩٥/).

قوله تعالى: **قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** الفاء في قوله: «فإنه ملأقيكم» في معنى جواب الشرط، و فيه و عييد لهم بأن الموت الذي يكرهونه كراهه أن يؤاخذوا بوبال أعمالهم فإنه سيلاقيههم لا- محاله ثم يردون الى ربهم الذي خرجوا من زى العبوديه بمظالمهم و عادوه بأعمالهم و هو عالم بحقيقه أعمالهم ظاهرها و باطنها فإنه عالم الغيب و الشهاده فينبئهم بحقيقه أعمالهم و تبعاتها السيئه و هى أنواع العذاب (١)(٢).

ص: ٣١٢

(١-١). الجمعه ١-٨: بحث روائى قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ»، و قوله تعالى: «وَ آخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ»؛ أهل فارس؛ أولياء الله.

(٢-٢). الجمعه ١-٨: كلام في معنى تعليم الحكمة.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)

بيان:

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ الخ؛ المراد بالنداء للصلاة من يوم الجمعة الأذان كما في قوله:

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَ لَعِبًا (المائدة ٥٨).

و الجمعة بضمين أو بالضم فالسكون أحد أيام الاسبوع و كان يسمى أولا- يوم العروبه ثم غلب عليه اسم الجمعة، والمراد بالصلاة من يوم الجمعة صلاة الجمعة المشرعه يومها، و السعى هو المشى بالإسراع، والمراد بذكر الله الصلاة كما في قوله: وَ لَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ (العنكبوت ٤٥)، على ما قيل و قيل: المراد به الخطبه قبل الصلاة و قوله: «وَ ذَرُوا الْبَيْعَ» أمر بتركه، والمراد به على ما يفيد السياق النهى عن الاشتغال بكل عمل يشغل عن صلاة الجمعة سواء كان بيعا أو غيره و إنما علق النهى بالبيع لكونه من أظهر مصاديق ما يشغل عن الصلاة.



و المعنى: يا أيها الذين آمنوا إذا أذن لصلاه الجمعة يومها فجدوا في المشى الى الصلاه و اتركوا البيع و كل ما يشغلكم عنها.

و قوله: <sup>□</sup>ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ حث و تحريض لهم لما أمر به من الصلاه و ترك البيع.

قوله تعالى: <sup>□</sup>فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الْخَيْرِ؛ المراد بقضاء الصلاه إقامه صلاه الجمعة، و الانتشار في الأرض التفرق فيها، و ابتغاء فضل الله طلب الرزق نظرا الى مقابله ترك البيع في الآيه السابقه لكن تقدم أن المراد ترك كل ما يشغل عن صلاه الجمعة، و على هذا فابتغاء فضل الله طلب مطلق عطيته في التفرق لطلب رزقه بالبيع و الشرى، و طلب ثوابه بعياده مريض و السعى في حاجه مسلم و زياره أخ في الله، و حضور مجلس علم و نحو ذلك.

و قوله: <sup>□</sup>فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ أمر واقع بعد الحظر فيفيد الجواز و الإباحه دون الوجوب و كذا قوله: «وَ ابْتَغُوا ، وَ اذْكُرُوا» .

و قوله: <sup>□</sup>وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ المراد بالذكر أعم من الذكر اللفظي فيشمل ذكره تعالى قلبا بالتوجه اليه باطنا، و الفلاح النجاه من كل شقاء، و هو في المورد بالنظر الى ما تقدم من حديث التزكيه و التعليم و ما في الآيه التاليه من التوبيخ و العتاب الشديد، الزكاه و العلم و ذلك أن كثره الذكر يفيد رسوخ المعنى المذكور في النفس و انتقاشه في الذهن فتقطع به منابت الغفله و يورث التقوى الدينى الذى هو مظنه الفلاح قال تعالى:

<sup>□</sup>وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آل عمران ٢٠٠).

قوله تعالى: <sup>□</sup>وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَ تَرَكُوكَ قَائِمًا الْخَيْرِ؛ الانفضاص -على ما ذكره الراغب- استعاره عن الانفضاص بمعنى انكسار الشىء و تفرق بعضه من بعض.

وقد اتفقت روايات الشيعة و أهل السنه على أنه ورد المدينة غير معها تجاره و ذلك يوم الجمعة و النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ قائم يخطب فضربوا بالطبل و الدف لإعلام الناس فانفض أهل المسجد اليهم و تركوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ قائما يخطب فنزلت الآية. فالمراد باللغو استعمال المعازف و آلات الطرب ليجتمع الناس للتجاره، و ضمير «إِلَيْهَا» راجع الى التجاره لأنها كانت المقصوده فى نفسها و اللغو مقصود لأجلها، و قيل: الضمير لأحدهما كأنه قيل: انفضوا اليه و انفضوا إليها و ذلك أن كلا منهما سبب لانفضاض الناس اليه و تجمعهم عليه، و لذا ردد بينهما و قال: «تِجَارَةٌ أَوْ لَهْوٌ» و لم يقل: تجاره و لهوا و الضمير يصلح للرجوع الى كل منهما لأن اللغو فى الأصل مصدر يجوز فيه الوجهان التذكير و التأنيث.

و لذا أيضا عد «مَا عِنْدَ اللَّهِ» خيرا من كل منهما بحياله فقال: «مِنَ اللَّهِّ وَ مِنَ التِّجَارَةِ» و لم يقل: من اللغو و التجاره.

و قوله: قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِّ وَ مِنَ التِّجَارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ أمر للنبي أن ينبههم على خطئهم فيما فعلوا-و ما أفضعه-و المراد بما عند الله الثواب الذى يستعقبه سماع الخطبه و المواعظه.

و المعنى قل لهم: ما عند الله من الثواب خير من اللغو و من التجاره لأن ثوابه تعالى خير حقيقى دائم غير منقطع، و ما فى اللغو و التجاره من الخير أمر خيالى زائل باطل و ربا استتبع سخطه تعالى كما فى اللغو.

و خير الرازقين من أسمائه تعالى الحسنى كالرِّزَاق و قد تقدم الكلام فى معنى الرزق فيما تقدم (1).

ص: ٣١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ  
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ  
عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسِنْدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ  
صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعِدُّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُؤُسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ  
يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦)  
هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧)  
يَقُولُونَ لَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)

تصف السوره المنافقين و تسمهم بشده العداوه و تأمر النبي صلى الله عليه و آله و سلم أن يحذرهم و تعظ المؤمنين أن يتحرزوا من خصائص النفاق فلا يقعوا في مهلكته و لا يجزهم الى النار، و السوره مدنيه.

قوله تعالى: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ الْمُنَافِق اسم فاعل من النفاق و هو في عرف القرآن إظهار الإيمان و إبطان الكفر.

و الكذب خلاف الصدق و هو عدم مطابقه الخبر للخارج فهو وصف الخبر كالصدق و ربما اعتبرت مطابقه الخبر و لا مطابقته بالنسبه الى اعتقاد المخبر فيكون مطابقته لاعتقاد المخبر صدقا منه و عدم مطابقته له كذبا فيقال: فلان كاذب إذا لم يطابق خبره الخارج و فلان كاذب إذا أخبر بما يخالف اعتقاده و يسمى النوع الأول صدقا و كذبا خبريين، و الثاني

صدقا و كذبا مخبرين.

فقوله: إِذَا جَاءَكَ الْمُتَأَفِّقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ حكاية لإظهارهم الإيمان بالشهادة على الرساله فإن فى الشهاده على الرساله إيمانا بما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ بِوَحْدَانِيَّةِ تَعَالَى وَ بِالْمَعَادِ، وَ هُوَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ.

وَ قَوْلُهُ: وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ تَثْبِيْتُ مِنْهُ تَعَالَى لِرِسَالَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَ إِنَّمَا أُورِدَهُ مَعَ أَنْ وَحَى الْقُرْآنَ وَ مَخَاطَبَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ كَافِيَا فِي تَثْبِيْتِ رِسَالَتِهِ، لِيَكُونَ قَرِينَهُ مُصْرِحَهُ بِأَنَّهُمْ كَاذِبُونَ مِنْ حَيْثُ عَدَمُ اعْتِقَادِهِمْ بِمَا يَقُولُونَ وَ إِنْ كَانَ قَوْلُهُمْ فِي نَفْسِهِ صَادِقَا فَهَمْ كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ كَذْبَا مُخْبِرِيَا لَا خَبْرِيَا فَقَوْلُهُ: «وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَأَفِّقِينَ لَكَاذِبُونَ» أُرِيدُ بِهِ الْكُذْبَ الْمَخْبِرِيَّ لَا الْخَبْرِيَّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ الخ؛ الْإِيمَانُ جَمْعُ يَمِينٍ بِمَعْنَى الْقِسْمِ، وَ الْجَنَّةُ التَّرْسُ وَ الْمَرَادُ بِهَا مَا يَتَّقَى بِهِ مِنَ بَابِ الْاسْتِعَارَةِ، وَ الصِّدْقُ يَجِيءُ بِمَعْنَى الْإِعْرَاضِ وَ عَلَيْهِ فَالْمَرَادُ إِعْرَاضَهُمْ أَنْفُسَهُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ هُوَ الدِّينُ وَ بِمَعْنَى الصَّرْفِ وَ عَلَيْهِ فَالْمَرَادُ صَرَفَهُمُ الْعَامَّةَ مِنَ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ وَ هُمْ فِي وَقَايِهِ مِنْ أَيْمَانِهِمُ الْكَاذِبَةَ.

وَ الْمَعْنَى: اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمُ الْكَاذِبَةَ الَّتِي يَحْلِفُونَ وَقَايَهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَأَعْرَضُوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ دِينِهِ - أَوْ فَصَّرُوا الْعَامَّةَ مِنَ النَّاسِ عَنِ دِينِ اللَّهِ بِمَا يَسْتَطِيعُونَهُ مِنَ الصَّرْفِ بِتَقْلِيْبِ الْأُمُورِ وَ إِفْسَادِ الْعِزَائِمِ.

وَ قَوْلُهُ: «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» تَقْبِيْحٌ لِأَعْمَالِهِمْ الَّتِي اسْتَمَرُوا عَلَيْهَا مِنْذُ نَافَقُوا إِلَى حَيْثُ نَزَلَ السُّورَةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ الظَّاهِرُ أَنَّ الْإِشَارَةَ بِذَلِكَ إِلَى سُوءِ مَا عَمَلُوا كَمَا قِيلَ، وَ قِيلَ: الْإِشَارَةُ إِلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ كَذِبِهِمْ وَ اسْتِجْنَانِهِمْ بِالْإِيمَانِ الْفَاجِرِ وَ صَدَمِهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ مَسَاءِ أَعْمَالِهِمْ.

ص: ٣١٨

و المراد بإيمانهم- على ما قيل- إيمانهم بألسنتهم ظاهرا بشهادته أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسوله ثم كفرهم بخلو باطنهم عن الإيمان كما قال تعالى فيهم: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسِيئُونَ (البقره ١٤).

ولا- يبعد أن يكون فيهم من آمن حقيقه ثم ارتدّ و كتم ارتداده فلحق بالمنافقين يتربص بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم و بالمؤمنين الدوائر كما يظهر من بعض آيات سورة التوبه كقوله: فَأَعْتَبْهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ (التوبه ٧٧)، و قد عبّر تعالى عن من لم يدخل الإيمان في قلبه منهم بمثل قوله: وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ (التوبه ٧٤).

فالظاهر أن المراد بقوله: «آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا» إظهارهم للشهادتين أعم من أن يكون عن ظهر القلب أو بظاهر من القول ثم كفرهم بإتيان أعمال تستصحب الكفر كالاستهزاء بالدين و ردّ بعض الأحكام.

و قوله: فَطَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهَمْ لَا يَفْقَهُونَ تفرّيع عدم الفقه على طبع القلوب دليل على أن الطبع ختم على القلب يستتبع عدم قبوله لورود كلمه الحق فيه فهو آيس من الإيمان محروم من الحق.

و الطبع على القلب جعله بحيث لا يقبل الحق و لا يتبعه فلا محاله يتبع الهوى كما قال تعالى:

طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (سوره محمد ١٦)، فلا يفقه و لا يسمع و لا يعلم كما قال تعالى: وَ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهَمْ لَا يَفْقَهُونَ (التوبه ٨٧)، و قال: وَ نَطَّبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهَمْ لَا يَسْمَعُونَ (الأعراف ١٠٠)، و قال: وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهَمْ لَا يَعْلَمُونَ (التوبه ٩٣)، و الطبع على أى حال لا- يكون منه تعالى إلا- مجازاه لأنه إضلال و الذى ينسب اليه تعالى من الإضلال إنما هو الإضلال على سبيل المجازاه دون الإضلال الابتدائى و قد مرّ مرارا.

قوله تعالى: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ

الخ؛ الظاهر أن الخطاب في «رَأَيْتَهُمْ» و«تَسْمَعُ» خطاب عام يشمل كل من رأهم وسمع كلامهم لكونهم في أزياء حسنة و بلاغه من الكلام، وليس خطابا خاصا بالنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والمراد أنهم على صباحه من المنظر و تناسب من الأعضاء إذا رأهم الرائي أعجبه أجسامهم، و فصاحه و بلاغه من القول إذا سمع السامع كلامهم مال الى الإصغاء الى قولهم لحلاوه ظاهره و حسن نظمه.

وقوله: كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مِّنْ دَمٍ لَهُمْ بِحَسَبِ بَاطِنِهِمْ وَ الخشب بضمين جمع خشبه، و التسنيد نصب الشيء معتمدا على شيء آخر كحائط و نحوه.

و الجملة مسوقة لذمهم و هى متممه لسابقتها، و المراد أن لهم أجساما حسنة معجبه و قولا- رائعا ذا حلاوه لكنهم كالخشب المسند أشباح بلا أرواح لا خير فيها و لا فائده تعترها لكونهم لا يفقهون.

وقوله: يَخْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ذَمٌّ آخِرٌ لَهُمْ أَيْ إِنَّهُمْ لِإِبْطَانِهِمُ الْكُفْرَ وَ كِتْمَانِهِمْ ذَلِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَعِيشُونَ عَلَى خَوْفٍ وَ وَجَلٍ وَ وَحْشَةٍ يَخَافُونَ ظُهُورَ أَمْرِهِمْ وَ إِطْلَاعَ النَّاسِ عَلَى بَاطِنِهِمْ وَ يَظُنُّونَ أَنَّ كُلَّ صَيْحَةٍ سَمِعُوهَا فَهِيَ كَائِنَةٌ عَلَيْهِمْ وَ أَنَّهُمْ الْمَقْصُودُونَ بِهَا.

وقوله: هُمُ الْعُدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ أَيْ هُمْ كَامِلُونَ فِي الْعِدَاوَةِ بِالْعُورِ فِيهَا فَإِنَّ أَعْدَى أَعْدَائِكَ مِنْ يَعَادِيكَ وَ أَنْتَ تَحْسِبُهُ صَدِيقَكَ.

وقوله: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَى يُؤْفَكُونَ دَعَاءٌ عَلَيْهِمُ بِالْقَتْلِ وَ هُوَ أَشَدُّ شِدَائِدِ الدُّنْيَا وَ كَأَنَّ اسْتِعْمَالَ الْمُقَاتَلَةِ دُونَ الْقَتْلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الشَّدَةِ.

وقوله: أَنْتَى يُؤْفَكُونَ مَسْجُودٌ لِلتَّعْجِبِ أَيْ كَيْفَ يَصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ؟ وَ قِيلَ: هُوَ تَوْبِيخٌ وَ تَقْرِيعٌ وَ لَيْسَ بِاسْتِفْهَامٍ.

قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ الخ؛ التلويه تفعيل من لوى يلوى ليا بمعنى مال.

و المعنى: و إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله- و ذلك عند ما ظهر منهم بعض خياناتهم و فسوقهم-أمالوا رءوسهم إعراضا و استكبارا و رآهم الرائي يعرضون عن القائل و هم مستكبرون عن إجابته قوله.

قوله تعالى: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ الخ؛ أى يتساوى الاستغفار و عدمه فى حقهم و تساوى الشئ و عدمه كناية عن أنه لا يفيد الفائدة المطلوبة منه، فالمعنى: لا يفيدهم استغفارك و لا ينفعهم.

و قوله: لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ دفع دخل كأن سائلا يسأل: لما ذا يتساوى الاستغفار لهم و عدمه؟ فاجيب: لن يغفر الله لهم.

و قوله: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ تعليلا لقوله: «لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ»، و المعنى: لن يغفر الله لهم لأن مغفرتة لهم هداية لهم الى السعادة و الجنة و هم فاسقون خارجون عن زى العبودية لإبطانهم الكفر و الطبع على قلوبهم و الله لا يهدى القوم الفاسقين.

قوله تعالى: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا الخ؛ الانفضاى التفرق، و المعنى: المنافقون هم الذين يقولون: لا- تنفقوا أموالكم على المؤمنين الفقراء الذين لازموا رسول الله و اجتمعوا عنده لنصرتة و إنفاذ أمره و إجراء مقاصده حتى يتفرقوا عنه فلا يتحكم علينا.

و قوله: وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ جواب عن قولهم: لا- تنفقوا، الخ؛ أى إن الدين دين الله و لا- حجه له الى إنفاقهم فله خزائن السماوات و الأرض ينفق منها و يرزق من يشاء كيف يشاء فلو شاء لأغنى الفقراء من المؤمنين لكنه تعالى يختار ما هو الأصلح فيمتحنهم بالفقر و يتعبدهم بالصبر ليوجرهم أجرا كريما و يهديهم صراطا مستقيما و المنافقون فى جهل من ذلك.

و هذا معنى قوله: «وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ» أى لا يفقهون وجه الحكمة فى ذلك و احتمال



أن يكون المعنى أن المنافقين لا يفقهون أن خزائن العالم بيد الله و هو الرازق لا رازق غيره فلو شاء لأغناهم لكنهم يحسبون أن الغنى و الفقر بيد الأسباب فلو لم ينفقوا على اولئك الفقراء من المؤمنين لم يجدوا رازقا يرزقهم.

قوله تعالى: يَقُولُونَ لِنِئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ القائل هو عبد الله بن أبي بن سلول، و كذا قائل الجملة السابقة: لا تنفقوا، الخ؛ وإنما عبر بصيغه الجمع تشريكا لأصحابه الراضين بقوله معه.

و مراده بالأعز نفسه و بالأذل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و يريد بهذا القول تهديد النبي صلى الله عليه و آله و سلم بإخراجه من المدينة بعد مراجعته إليها و قد ردّ الله عليه و على من يشاركه فى نفاقه بقوله:

«و لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» فقصر العزه فى نفسه و رسوله و المؤمنين فلا يبقى لغيرهم إلا الذله و نفى عن المنافقين العلم فلم يبق لهم إلا الذله و الجهاله (١)(٢).

### [سوره المنافقون (٦٣): الآيات ٩ الى ١١]

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)

ص: ٣٢٢

١-١). المنافقون ١-٨: بحث روائى حول: المنافقين؛ عبد الله بن أبي؛ نزول سوره المنافقون.

٢-٢). المنافقون ١-٨: كلام حول النفاق فى صدر الاسلام.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ الْخ؛ لإلهاء الإشتغال، والمراد بإلهاء الأموال والأولاد عن ذكر الله إشغالها القلب بالتعلق بها بحيث يوجب الإعراض عن التوجه الى الله بما أنها زينة الحياه الدنيا، قال تعالى: أَلَمْ أَلْهِكُمْ وَ الْبُنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (الكهف ٤٦)، و الإشتغال بها يوجب خلوَ القلب عن ذكر الله و نسيانه تعالى فلا يبقى له إلا القول من غير عمل و تصديق قلبى و نسيان العبد لربه يستعقب نسيانه تعالى له، قال تعالى: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ (التوبه ٦٧)، و هو الخسران المبين، قال تعالى فى صفه المنافقين: أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ (البقره ١٦).

و اليه الإشاره بما فى ذيل الآيه من قوله: «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» .

و الأصل هو نهى المؤمنين عن التلهى بالأموال والأولاد و تبديله من نهى الأموال والأولاد عن إلهائهم للتلويح الى أن من طبعها الإلهاء فلا ينبغى لهم أن يتعلقوا بها فتلهيهم عن ذكر الله سبحانه فهو نهى كنائى أكد من التصريح.

قوله تعالى: وَ أَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ الْخ؛ أمر بالإنفاق فى البر أعم من الإنفاق الواجب كالزكاه و الكفارات أو المندوب، و تقييده بقوله:

«مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ» للإشعار بأن أمره هذا ليس سؤالاً لما يملكونه دونه، وإنما هو شىء هو معطيه لهم و رزق هو رازقه و ملك هو ملكهم إياه من غير أن يخرج عن ملكه يأمرهم بإنفاق شىء منه فيما يريد فله المنه عليهم فى كل حال.

و قوله: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ أى فينقطع أمد استطاعته من

التصرف فى ماله بالإنفاق فى سبيل الله.

وقوله: فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ عَطَفَ عَلَىٰ قَوْلِهِ: «أَنْ يَأْتِيَ» الخ؛ وتقييد الأجل بالقرب للاشعار بأنه قانع بقليل من التمديد- وهو مقدار ما يسع الإنفاق من العمر- ليسهل إجابته، ولأن الأجل أيًا ما كان فهو قريب، ومن كلامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: كل ما هو آت قريب.

وقوله: فَأَصَّدَقَ وَ أَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ نصب «فَأَصَّدَقَ» لكونه فى جوانب التمنى، و جزم «أَكُنَّ» لكونه فى معنى جزاء الشرط، و التقدير إن أتصدق أكن من الصالحين.

قوله تعالى: وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا إِيَّاسَ لَهُمْ مِنْ اسْتِجَابَةِ دَعَاءِ مَنْ يَسْأَلُ تَأْخِيرَ الْأَجْلِ بَعْدَ حُلُولِهِ وَ الْمَوْتَ بَعْدَ نَزْوِلِهِ وَ ظُهُورِ آيَاتِ الْآخِرَةِ، و قد تكرر فى كلامه تعالى أن الأجل المسمى من مصاديق القضاء المحتوم كقوله: إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَفِدُّونَ (يونس ٤٩).

وقوله: وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ حال من ضمير «أَخِيذْكُمْ» أو عطف على أول الكلام و يفيد فائده التعليل، و المعنى: لا تتلهوا و أنفقوا فإن الله عليم بأعمالكم يجازيكم بها.

[سوره التغابن (٦٤): الآيات ١ الى ١٠]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسِنَ  
 صُورَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُسَبِّحُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ  
 يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ  
 يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَ تَوَلَّوْا وَ اسْتَعْنَى اللَّهُ وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَ رَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا  
 عَمِلْتُمْ وَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النَّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ  
 ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدًا  
 ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ بُئْسَ الْمَصِيرُ (١٠)



مانع ولا خوف من لومه لائم.

و السوره مدنيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: **يَسْبُحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** تقدم الكلام فى معنى التسبيح و الملك و الحمد و القدره، و أن المراد بما فى السماوات و الأرض يشمل نفس السماوات و الأرض و من فيها و ما فيها. و قوله: «**لَهُ الْمُلْكُ**» مطلق يفيد إطلاق الملك و عدم محدوديته بحد و لا تقيده بقيد أو شرط فلا حكم نافذا إلا حكمه، و لا حكم له إلا نافذا على ما أراد.

و كذا قوله: «**وَ لَهُ الْحَمْدُ**» مطلق يفيد رجوع كل حمد من كل حامد-و الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى-إليه تعالى لأن الخلق و الأمر إليه فلا ذات و لا صفه و لا فعل جميلا محمودا إلا منه و إليه.

و كذا قوله: «**وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» بما يدل عليه من عموم متعلق القدره غير محدوده و لا مقيده بقيد أو شرط.

و إذ كانت الآيات-كما تقدمت الإشارة إليه-مسوقه لإثبات المعاد كانت الآيه كالمقدمه الاولى لإثباته، و تفيد أن الله منزّه عن كل نقص و شين فى ذاته و صفاته و أفعاله يملك الحكم على كل شىء و التصرف فيه كيفما شاء و أراد،-و لا يتصرف إلا جميلا-و قدرته تسع كل شىء، فله أن يتصرف فى خلقه بالإعاده كما تصرف فيهم بالإيذاء-الإحداث و الإبقاء-فله أن يبعثهم إن تعلقت به إرادته و لا تتعلق إلا بحكمه.

قوله تعالى: **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** الفاء فى «**فَمِنْكُمْ**» تدل على مجرد ترتب الكفر و الايمان على الخلق فلا دلالة فى التفريع على كون الكفر و الايمان مخلوقين لله تعالى أو غير مخلوقين، و إنما المراد انشعابهم

فرقتين: بعضهم كافر و بعضهم مؤمن، و قدم ذكر الكافر لكثرة الكفار و غلبتهم.

و «من» فى قوله: «فَمِنْكُمْ وَ مِنْكُمْ» للتبعيض أى فبعضكم كافر و بعضكم مؤمن.

و قد نبه بقوله: «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» على أن انقسامهم قسمين و تفرقهم فرقتين حق كما ذكر، و هم متميزون عنده لأن الملاك فى ذلك أعمالهم ظاهرها و باطنها و الله بما يعملون بصير لا تخفى عليه و لا تشبهه.

و تتضمن الآيه مقدمه اخرى لاثبات المعاد و تنجزه و هى أن الناس مخلوقون له تعالى متميزون عنده بالكفر و الايمان و صالح العمل و طالحه.

قوله تعالى: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ المراد بالحق خلاف الباطل و هو خلقها من غير غايه ثابتة و غرض ثابت كما قال: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَنَتَّخِذُنَا مِنْ لَدُنَّا (الأنبياء ١٧)، و قال: وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (الدخان ٣٩).

و قوله: وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ المراد بالتصوير إعطاء الصورة و صوره الشئء قوامه و نحو وجوده كما قال: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (التين ٤)، و حسن الصورة تناسب تجهيزاتها بعضها لبعض و المجموع لغايه وجودها، و ليس هو الحسن بمعنى صباحه المنظر و ملاحظته بل الحسن العام السارى فى الأشياء كما قال تعالى: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (الم السجده ٧).

قوله تعالى: يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُسْرَتُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ دفع شبهه لمنكرى المعاد مبنيه على الاستبعاد و هى أنه كيف يمكن إعادة الموجودات و هى فانيه بئده و حوادث العالم لا تحصى و الأعمال و الصفات لا تعد، منها ظاهره عليه و منها باطنه سرية و منها مشهوده و منها مغيبه، فاجيب

بأن الله يعلم ما فى السماوات و الأرض و يعلم ما تسرون و ما تعلنون.

و قوله: «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» قيل: إنه اعتراض تذيلى مقرر لشمول علمه تعالى بما يسرون و ما يعلنون و المعنى: أنه تعالى محيط علما بالمضرات المستكنه فى صدور الناس مما لا يفارقها أصلا فكيف يخفى عليه شىء مما تسرونه و ما تعلنونه.

و فى قوله: وَ اللَّهُ عَلِيمٌ الخ؛ وضع الظاهر موضع الضمير و الأصل «وَ هُوَ عَلِيمٌ» الخ؛ و النكته فيه الإشارة الى عله الحكم، و ليكون ضابطا يجرى مجرى المثل.

قوله تعالى: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ و بال الأمر تبعته السيئه و المراد بأمرهم كفرهم و ما تفرع عليه من فسوقهم.

لما كان مقتضى أسمائه الحسنى و صفاته العليا المعدوده فى الآيات السابقه و جوب معاد الناس و مصيرهم الى ربهم للحساب و الجزاء فمن الواجب إعلامهم بما يجب عليهم أن يأتوا به أو يجتنبوا عنه و هو الشرع، و الطريق الى ذلك الرساله فمن الواجب إرسال رسول على أساس الإنذار و التبشير بعقاب الآخره و ثوابها و سخطه تعالى و رضاه.

فقوله: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ الخاطب للمشركين و فيه إشارة الى قصص الامم السالفه الهالكه كقوم نوح و عاد و ثمود و غيرهم، ممن أهلكتهم الله بذنوبهم، و قوله: «فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ» إشارة الى ما نزل عليهم من عذاب الاستئصال و قوله: «وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» إشارة الى عذابهم الاخرى.

قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا الخ؛ بيان لسبب ما ذكر من تعذيبهم بعذاب الاستئصال و عذاب الآخره، و لذلك جىء بالفصل دون العطف كأنه جواب لسؤال مقدر كأن سائلا يسأل فيقول: لم أصابهم ما أصابهم من العذاب؟ فقيل «ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ» الخ؛ و الإشارة بذلك الى ما ذكر من العذاب.

و فى التعبير عن إتيان الرسل و دعوتهم بقوله: «كَانَتْ تَأْتِيهِمْ» الدال على الاستمرار، و عن



كفرهم و قولهم بقوله: «فَقَالُوا فَكْفَرُوا وَ تَوَلَّوْا» الدال بالمقابله على المره دلالة على أنهم قالوا ما قالوا كلمه واحده قاطعه لا معدل عنها و ثبتوا عليها و هو العناد و اللجاج فتكون الآية في معنى قوله تعالى: تَلَمَّكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَبْبَائِهَا وَ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (الأعراف ١٠١/١)، و قوله:

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ (أى بعد نوح) رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (يونس ٧٤).

و قوله: فَقَالُوا أَ بَشَرٌ يَهْدُونَنَا يطلق البشر على الواحد و الجمع و المراد به الثانى بدليل قوله: «يَهْدُونَنَا» و التنكير للتحقير، و الاستفهام للانكار أى قالوا على سبيل الإنكار:

أ آحاد من الشر لا فضل لهم علينا يهدوننا؟

و هذا القول منهم مبنى على الاستكبار، على أن أكثر هؤلاء الامم الهالكة كانوا وثنيين و هم منكرون للنبوه و هو أساس تكذيبهم لدعوه الأنبياء، و لذلك فرع تعالى على قولهم: «أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا» قوله: «فَكْفَرُوا وَ تَوَلَّوْا» أى بنوا عليه كفرهم و إعراضهم.

و قوله: وَ اسْتَعْنَى اللَّهُ الاستغناء طلب الغنى و هو من الله سبحانه- و هو غنى بالذات- إظهار الغنى و ذلك أنهم كانوا يرون أن لهم من العلم و القوه و الاستطاعة ما يدفع عن جمعهم الفناء و يضمن لهم البقاء كأنه لا غنى للوجود عنهم كما حكى الله سبحانه عن قائلهم قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (الكهف ٣٥)، و قال: وَ لَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً (حم السجده ٥٠).

و قوله: وَ اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ فى محل التعليل لمضمون الآية، و المعنى: و الله غنى فى ذاته محمود فيما فعل، فما فعل بهم من إذاقتهم و بال أمرهم و تعذيبهم بعذاب أليم على كفرهم و توليهم من غناه و عدله لأنه مقتضى عملهم المردود اليهم.

قوله تعالى: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَ رَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ

لَتَتَّبِعُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ذكر ركن آخر من أركان كفر الوثنيين و هو إنكارهم الدين السماوى بإنكار المعاد إذ لا يبقى مع انتفاء المعاد أثر للدين المبنى على الأمر و النهى و الحساب و الجزاء و يصلح تعليلاً لإنكار الرساله إذ لا معنى حينئذ للتبليغ و الوعيد.

و المراد بالذين كفروا عامه الوثنيين و منهم من عاصر النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ منهم كأهل مكه و ما والاها، و قيل: المراد أهل مكه خاصه.

و قوله: قُلْ بَلَىٰ وَ رَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ أمر النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أن يجيب عن زعمهم أن لن يبعثوا، بإثبات ما نفوه بما فى الكلام من أصناف التأكيد بالقسم و اللام و النون.

و «ثُمَّ» فى «ثُمَّ لَتُنَبُّونَ» للتراخى بحسب رتبه الكلام، و فى الجملة إشاره الى غايه البعث و هو الحساب و قوله: «وَ ذَلِكْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» أى ما ذكر من البعث و الإنباء بالأعمال يسير عليه تعالى غير عسير، و فيه رد لإحالتهم أمر البعث على الله سبحانه استبعاداً، و قد عبر عنه فى موضع آخر من كلامه بمثل قوله: وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ (الروم ٢٧).

و الدليل عليه ما عده فى صدر الآيات من أسمائه تعالى و صفاته من الخلق و الملك و العلم و أنه مسبح محمود، و يجمع الجميع أنه الله المستجمع لجميع صفات الكمال.

و يظهر من هنا أن التصريح باسم الجلاله فى الجملة أعنى قوله: «وَ ذَلِكْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» للإيماء الى التعليل، و المفاد أن ذلك يسير عليه تعالى لأنه الله، و الكلام حجه برهانيه لا دعوى مجردة.

و ذكروا أن الآيه ثالته الآيات التى أمر الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أن يقسم بربه على وقوع المعاد و هى ثلاث: إحداها قوله: وَ يَسْتَتَبُّونَكَ أَ حَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَ رَبِّي (يونس ٥٣)، و الثانيه قوله: وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَ رَبِّي لَأَتِيَنَّكُمْ (سبأ ٣)، و الثالثه

الآيه التي نحن فيها.

قوله تعالى: فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ تفريع على مضمون الآيه السابقه أى إذا كنتم مبعوثين لا- محاله منبئين بما علمتم وجب عليكم أن تؤمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزله على رسوله وهو القرآن الذى يهدى بنوره الساطع الى مستقيم الصراط، و يبين شرائع الدين.

و فى قوله: وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا التفات من الغيبه الى التكلم مع الغير و لعل النكته فيه تتميم الحجه بالسلوك من طريق الشهاده و هى أقطع للعدر فكم فرق بين قولنا: والنور الذى أنزل وهو إخبار، وقوله: «وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا» ففيه شهاده منه تعالى على أن القرآن كتاب سماوى نازل من عنده تعالى، والشهاده أكد من الإخبار المجرّد.

لا يقال: ما ذا ينفع ذلك وهم ينكرون كون القرآن كلامه تعالى النازل من عنده و لو صدقوا ذلك كفاهم ما مر من الحجه على المعاد و أغنى عن التمسك بذيل الالتفات المذكور.

لأنه يقال: كفى فى إبطال إنكارهم كونه كلام الله ما فى القرآن من آيات التحدى المثبتة لكونه كلام الله، والشهاده على أى حال أكد و أقوى من الإخبار و إن كان مدللاً.

و قوله: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» تذكره بعلمه تعالى بدقائق أعمالهم ليتأكد به الأمر فى قوله: «فَأَمِنُوا» والمعنى: آمنوا وجدوا فى إيمانكم فإنه عليهم بدقائق أعمالكم لا يغفل عن شىء منها وهو مجازيكم بها لا محاله.

قوله تعالى: يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ الخ؛ «يَوْمَ» ظرف لقوله السابق: «لَتَبْعَثَنَّ ثُمَّ لَتَنْبُوَنَّ» الخ؛ والمراد بيوم الجمع يوم القيامه الذى يجمع فيه الناس لفصل القضاء بينهم قال تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (الكهف ٩٩)، وقد تكرر فى القرآن الكريم حديث الجمع ليوم القيامه، ويفسره أمثال قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (الجاثية ١٧)، وقوله: فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (البقره ١١٣)، و قوله: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (السجده ٢٥)، فالآيات تشير الى أن جمعهم للقضاء بينهم.

و قوله: ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ قال الراغب: الغبن أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء. قال: و يوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن في المعاملة المشار إليها بقوله: وَمِنَ الدَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ و بقوله: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الآيَةَ، و بقوله: الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا فَعَلِمُوا أَنَّهُمْ غَنُوبًا فِيمَا تَرَكَوا مِنَ المَبَايِعِ و فيما تعاطوه من ذلك جميعا.

و سئل بعضهم عن يوم التغابن فقال: تبدو الأشياء لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا. انتهى موضع الحاجة.

و ما ذكره أولا مبني على تفسير التغابن بسريان المغبونية بين الكفار بأخذهم لمعامله خاسره و تركهم معاملة رابحه، و هو معنى حسن غير أنه لا يلائم معنى باب التفاعل الظاهر في فعل البعض في البعض.

و ما نقله عن بعضهم وجه ثان لا- يخلو من دقه، و يؤيده مثل قوله تعالى: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ (الم السجده ١٧)، و قوله: لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ (ق ٣٥)، و قوله: وَ بَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (الزمر ٤٧).

و مقتضى هذا الوجه عموم التغابن لجميع أهل الجمع من مؤمن و كافر أما المؤمن فلما أنه لم يعمل لآخرته أكثر مما عمل، و أما الكافر فلأنه لم يعمل أصلا، و الوجه المشترك بينهما أنهما لم يقدرًا اليوم حق قدره.

و يرد على هذا الوجه ما يرد على سابقه.

و هناك وجه ثالث و هو أن يعتبر التغابن بين أهل الضلال متبوعيههم و تابعيهم فالتبوعون و هم المستكبرون يغبنون تابعيهم و هم الضعفاء حيث يأمرونهم بأخذ الدنيا و ترك الآخرة

فيصلون، و التابعون يغنون المتبوعين حيث يعينونهم في استكبارهم باتباعهم فيصلون، فكل من الفريقين غابن لغيره و مغبون من غيره.

و هناك وجه رابع وردت به الروايه و هو أن لكل عبد منزلا في الجنة لو أطاع الله لدخله، و منزلا في النار لو عصى الله لدخله يوم القيامة يعطى منازل أهل النار في الجنة لأهل الجنة، و يعطى منازل أهل الجنة في النار لأهل النار فيكون أهل الجنة و هم المؤمنون غابنين لأهل النار و هم الكفار و الكفار هم المغبونون.

و قال بعض المفسرين بعد إيراد هذا الوجه: و قد فسّر التغابن قوله ذيلًا: «و مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ - إلى قوله - وَ بئسَ المصيرُ» انتهى. و ليس بظاهر ذاك الظهور.

و قوله: وَ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلُ صَالِحًا - إلى قوله - وَ بئسَ المصيرُ تقدم تفسيره مرارا.

### [سورة التغابن (٦٤): الآيات ١١ إلى ١٨]

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ مَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْتَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَ أَوْلَادِكُمْ عِدْوًا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَ إِنْ تَعَفَوْا وَ تَصَدَّقُوا فَحُوا وَ تَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَ اسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفَقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ وَ مَنْ يوقَ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعفه لكم وَ يغفر لكم وَ اللَّهُ شكورٌ حلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)

قوله تعالى: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ المصيبة صفة شاع استعمالها فى الحوادث السوء التى تصحب الضر، والإذن الإعلام بالرخصه و عدم المانع و يلزم علم الآذان بما أذن فيه، و ليس هو العلم كما قيل.

فظهر بما تقدم أولا- أنه إذنه تعالى فى عمل سبب من الأسباب هو التخليه بينه و بين مسببيه برفع الموانع التى تتخلل بينه و بين مسببيه فلا تدعه يفعل فيه ما يقتضيه بسببته كالنار تقتضى إحراق القطن مثلا لو لا الفصل بينهما و الرطوبه فرفع الفصل بينهما و الرطوبه من القطن مع العلم بذلك إذن فى عمل النار فى القطن بما تقتضيه ذاتها أعنى الإحراق.

و قد كان استعمال الإذن فى العرف العام مختصا بما إذا كان المأذون له من العقلاء لمكان أخذ معنى الإعلام فى مفهومه فيقال: أذنت لفلان أن يفعل كذا و لا يقال: أذنت للنار أن تحرق، و لا أذنت للفرس أن يعدو، لكن القرآن الكريم يستعمله فيما يعم العقلاء و غيرهم بالتحليل كقوله:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ (النساء ٦٤)، و قوله: وَ الْبَاطِلُ يُخْرَجُ لِبِأْتِهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ (الأعراف ٥٨)، و لا يبعد أن يكون هذا التعميم مبنيًا على ما يفيدته القرآن

من سريان العلم و الإدراك فى الموجودات كما قدمناه فى تفسير قوله: **قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ (حم السجده ٢١)**.

و كيف كان فلا يتم عمل من عامل و لا تأثير من مؤثر إلا بإذن من الله سبحانه فما كان من الأسباب غير تام له موانع لو تحققت منعت من تأثيره فإذنه تعالى له فى أن يؤثر رفعه الموانع، و ما كان منها تاما لا مانع له يمنعه فإذنه له عدم جعله له شيئا من الموانع فتأثيره يصاحب الإذن من غير انفكاك.

و ثانيا: أن المصائب و هى الحوادث التى تصيب الانسان فتؤثر فيه آثارا سيئه مكروهه إنما تقع بإذن من الله سبحانه كما أن الحسنات كذلك لاستيعاب إذنه تعالى صدور كل أثر من كل مؤثر.

و ثالثا: أن هذا الإذن تكوينى غير الاذن التشريعى الذى هو رفع الحظر عن الفعل فإصابه المصيبة تصاحب إذنا من الله فى وقوعها و إن كانت من الظلم الممنوع فإن كون الظلم ممنوعا غير مأذون فيه إنما هو من جهة التشريع دون التكوين.

و لذا كانت بعض المصائب غير جائزه الصبر عليها و لا مأذونا فى تحملها و يجب على الإنسان أن يقاومها ما استطاع كالمظالم المتعلقة بالأعراض و النفوس.

و من هنا يظهر أن المصائب التى ندب الى الصبر عندها هى التى لم يؤمر المصاب عندها بالذبح و الامتناع عن تحملها كالمصائب العامه الكونيه من موت و مرض مما لا شأن لاختيار الإنسان فيها، و أما ما للاختيار فيها دخل كالمظالم المتعلقة نوع تعلق بالاختيار من المظالم المتوجه الى الأعراض فللإنسان أن يتوقاها ما استطاع.

و قوله: **وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** كان ظاهر سياق قوله: **«مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»** يفيد أن لله سبحانه فى الحوادث التى تسوء الإنسان علما و مشيئه فليست تصيبه مصيبه إلا بعد علمه تعالى و مشيئه فليس لسبب من الأسباب الكونيه أن يستقل بنفسه

فيما يؤثره فإنما هو نظام الخلقه لا رب يملكه إلا خالقه فلا تحدث حادثه و لا تقع واقعه إلا بعلم منه و مشيه فلم يكن ليخطئه ما أصابه و لم يكن ليصيبه ما أخطأه.

و هذه هي الحقيقه التي بينها بلسان آخر في قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد ٢٢).

فالله سبحانه رب العالمين و لازم ربوبيته العامه أنه وحده يملك كل شيء لا مالك بالحقيقه سواه، و النظام الجارى في الوجود مجموع من أنحاء تصرفاته في خلقه فلا يتحرك متحرك و لا يسكن ساكن إلا عن إذن منه، و لا يفعل فاعل و لا يقبل قابل إلا عن علم سابق منه و مشيه لا يخطئ علمه و مشيته و لا يرد قضاؤه.

فالاذعان بكونه تعالى هو الله يستعقب اهتداء النفس الى هذه الحقائق و اطمئنان القلب و سكونه و عدم اضطرابه و قلقه من جهه تعلقه بالأسباب الظاهريه و إسناده المصائب و النوائب المره إليها دون الله سبحانه.

و هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

و قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تأكيد للاستثناء المتقدم، و يمكن أن يكون إشاره الى ما يفيد قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ (الحديد ٢٢).

قوله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ظاهر تكرر «اطيعوا» دون أن يقال: اطيعوا الله و الرسول اختلاف المراد بالاطاعه، فالمراد بإطاعه الله تعالى الانقياد له فيما شرعه لهم من شرائع الدين و المراد بإطاعه الرسول الانقياد له و امتثال ما يأمر به بحسب ولايته للامه على ما جعلها الله له.

و قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ التَّوَلَّى الْإِعْرَاضُ﴾، و البلاغ التبليغ، و المعنى: فإن أعرضتم عن إطاعه الله فيما شرع من الدين أو عن إطاعه



الرسول فيما أمركم به بما أنه وليّ أمركم، فلم يكرهكم رسولنا عن الطاعة فإنه لم يؤمر بذلك، وإنما أمر بالتبليغ وقد بلغ.

قوله تعالى: **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** في مقام التعليل لوجوب إطاعة الله على ما تقدم أن طاعة الرسول من طاعة الله، توضيح ذلك أن الطاعة بمعنى الانقياد، والائتمار للأمر والانتهاة للأمر والانتهاة عن النهي من شئون العبودية حيث لا أثر لمملك المولى رقبه عبده إلا مالكيته لإرادته وعمله فلا يريد إلا ما يريد المولى أن يريده ولا يعمل إلا ما يريد المولى أن يعمل فإطاعته نحو من العبودية كما يشير إليه قوله: **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ** (يس ٦٠)، يعاتبهم بعبادة الشيطان وإنما أطاعوه.

فطاعة المطيع بالنسبة إلى المطاع عبادة له، وإذ لا معبود إلا الله فلا طاعة إلا لله عز اسمه أو من أمر بطاعته فالمعنى: **أطيعوا الله سبحانه إذ لا طاعة إلا لمعبود ولا معبود بالحق إلا الله فيجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به بطاعته غيره وعبادته كالشيطان وهوى النفس وهذا معنى كون الجملة في مقام التعليل.**

وقوله: **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** تأكيد لمعنى الجملة السابقة أعنى قوله:

**«اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» .**

توضيحه: أن التوكيل إقامة الإنسان غيره مقام نفسه في إداره أموره ولازم ذلك قيام إرادته مقام إرادته موكله وفعله مقام فعله فينطبق بوجه على الإطاعة فإن المطيع يجعل إرادته وعمله تبعاً لإرادته المطاع فتقوم إرادته المطاع مقام إرادته ويعود عمله متعلقاً لإرادته المطاع صادراً منها اعتباراً فترجع الإطاعة توكيلاً بوجه كما أن التوكيل إطاعة بوجه.

فإطاعة العبد لربه اتباع إرادته لإرادته ربه والإتيان بالفعل على هذا النمط وبعبارة أخرى إثارة إرادته وما يتعلق بها من العمل على إرادته نفسه وما يتعلق بها من العمل.

فطاعته تعالى فيما شرع لعباده و ما يتعلق بها نوع تعلق من التوكل عليه، و طاعته واجبه لمن عرفه و آمن به فعلى الله فليتوكل المؤمنون و إياه فليطيعوا، و أما من لم يعرفه و لم يؤمن به فلا تتحقق منه طاعه.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ «المؤمنون» فى «من» للتبعيض، و سياق الخطاب بلفظ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و تعليق العداوه بهم يفيد التعليل أى أنهم يعادونهم بما أنهم مؤمنون، و العداوه من جهه الإيمان لا تتحقق إلا باهتمامهم أن يصرفوهم عن أصل الإيمان أو عن الأعمال الصالحه كالإنفاق فى سبيل الله و الهجره من دار الكفر أو أن يحملوهم على الكفر أو المعاصى الموبقه كالبلخ عن الإنفاق فى سبيل الله شفقه على الأولاد و الأزواج و الغصب و اكتساب المال من غير طريق حله.

فالله سبحانه يعد بعض الأولاد و الأزواج عدوا للمؤمنين فى إيمانهم حيث يحملونهم على ترك الإيمان بالله أو ترك بعض الأعمال الصالحه أو اقرار بعض الكبائر الموبقه و ربما أطاعوهم فى بعض ذلك شفقه عليهم و حبا لهم فأمرهم الله بالحدز منهم.

و قوله: ﴿وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال الراغب:

العفو القصد لتناول الشيء يقال: عفاه و اعتفاه أى قصده متناولا ما عنده-الى أن قال- و عفوت عنه قصدت إزاله ذنبه صارفا عنه، و قال: الصفح ترك التريب و هو أبلغ من العفو، و لذلك قال تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾ و قد يعفو الانسان و لا يصفح، و قال: الغفر إلباس ما يصونه عن الدنس، و منه قيل: اغفر ثوبك فى الوعاء و اصبغ ثوبك فإنه اغفر للوسخ، و الغفران و المغفره من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب قال: ﴿عُفِّرْكَ رَبَّنَا وَ مَغْفِرِهِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ مَنْ يَغْفِرِ الدُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ انتهى.

ففى قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا وَاغْفِرُوا﴾ ندب الى كمال الاغماض عن الأولاد و الأزواج.

إذا ظهر منهم شيء من آثار المعاداة المذكوره-مع الحذر من أن يفتن بهم-.

و في قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» إن كان المراد خصوص مغفرته و رحمته للمخاطبين أن يعفوا و يصفحوا و يغفروا كان وعدا جميلا لهم تجاه عملهم الصالح كما في قوله تعالى: وَ لِيَعْفُوا وَ لِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ (النور ٢٢).

و إن أريد مغفرته و رحمته العامتان من غير تقييد بمورد الخطاب أفاد أن المغفره و الرحمه من صفات الله سبحانه فإن عفوا و صفحوا و غفروا فقد اتصفوا بصفات الله و تخلقوا بأخلاقه.

قوله تعالى: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ الفتنه ما يتبلى و يمتحن به، و كون الأموال و البنين فتنه إنما هو لكونهما زينه الحياه تنجذب اليهما النفس انجذابا فتفتن و تلهو بهما عما يههما من أمر آخرته و طاعه ربه، قال تعالى: أَلَمْ أَلْهَ الْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (الكهف ٤٦).

و الجمله كنايه عن النهي عن التلهي بهما و التفريط في جنب الله باللي اليهما و يؤكد قوله:

«وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ».

قوله تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتِطَعْتُمْ الخ؛ أى مبلغ استطاعتكم-على ما يفيد السياق فإن السياق سياق الدعوه و الندب الى السمع و الطاعه و الإنفاق و المجاهده فى الله- و الجمله تفريع على قوله: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ» الخ؛ فالمعنى: اتقوه مبلغ استطاعتكم و لا تدعوا من الاتقاء شيئا تسعه طاقتكم و جهدكم فتجرى الآيه مجرى قوله: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ (آل عمران ١٠٢)، و ليست الآيه ناظره الى النفى التكليف بالاتقاء فيما وراء الاستطاعه و فوق الطاقه كما فى قوله: وَ لَا تُحْمَلُوا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ (البقره ٢٨٦).

و قوله: وَ اسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ توضيح و تأكيد لقوله:

«فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتِطَعْتُمْ» و السمع الاستجابه و القبول و هو فى مقام الالتزام القلبى، و الطاعه الانقياد و هو فى مقام العمل، و الإنفاق المراد به بذل المال فى سبيل الله.

و خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ منصوب بمحذوف-على ما فى الكشاف-و التقدير آمنوا خيرا لأنفسكم، و يحتمل أن يكون «أَنْفُسُكُمْ» مضمنا معنى قَدَّمُوا أو ما يقرب منه بقرينه المقام، و فى قوله: «لِأَنْفُسِكُمْ» دون أن يقال: خيرا لكم زياده تطيب لنفوسهم أى إن الإنفاق خير لكم لا ينتفع به إلا أنفسكم لما فيه من بسط أيديكم وسعه قدرتكم على رفع حوائج مجتمعكم.

و قوله: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ تقدم تفسيره فى تفسير سورة الحشر.

قوله تعالى: إِنَّ تَقْرُضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ المراد بإقراض الله الإنفاق فى سبيله سَمَّاهُ اللَّهُ إقراضا لله و سَمَّى الْمَالَ الْمُنْفَقَ قَرْضًا حَسَنًا حَتَّى وَ تَرغيبا لهم فيه.

و قوله: يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ إشاره الى حسن جزائه فى الدنيا و الآخرة.

و الشكور و الحليم و عالم الغيب و الشهاده و العزيز و الحكيم خمسة من أسماء الله الحسنی تقدم شرحها، و وجه مناسبتها لما أمر به فى الآيه من السمع و الطاعة و الإنفاق ظاهر (1).

ص: ٣٤١

---

(١-١). التغبان ١١-١٨: بحث روائى فى كون الاموال و الاولاد فتنه؛ تقوى الله حق تقاته؛ شح النفس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَمَا إِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ إِرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَخْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥) أَسَدِكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلًا فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَاتَّمَرُوا بِبَنَاتِكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَتَرْضَعْنَ لَهُ أُخْرَى (٦) لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)

تتضمن السوره بيان كليات من أحكام الطلاق تعقبه عظه و إنذار و تبشير، و السوره مدنيه بشهاده سياقها.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَخْصُوا الْعِدَّةَ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ؛ بدئ الخطاب بندااء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لأنه الرسول الى الامه و إمامهم فيصلح لخطابه أن يشمله و أتباعه من أمته و هذا شائع فى الاستعمال يخص مقدّم القوم و سيدهم بالنداء و يخاطب بما يعمّه و قومه فلا موجب لقول بعضهم: إن التقدير يا أيها النبي قل

لا تمتك: إذا طلقتم النساء، الخ.

و قوله: إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقْتُمُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ أَي إِذَا أُرِدْتُمْ أَنْ تَطْلُقُوا النِّسَاءَ وَأَشْرَفْتُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ لَا مَعْنَى لِتَحَقُّقِ الطَّلَاقِ بَعْدَ وَقُوعِ الطَّلَاقِ فَهُوَ كَقَوْلِهِ: إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا الْيَدَ (المائدة/٦).

و العدة قعود المرأة عن الزوج حتى تنقضى المدة المرتبه شرعاً، و المراد بتطليقهن لعدتهن تطليقهن لزمان عدتهن بحيث يأخذ زمان العدة من يوم تحقق التطليقه و ذلك بأن تكون التطليقه فى طهر لا مواقعه فيه حتى تنقضى أقرأؤها.

و قوله: وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ أَي عَدُوا الْأَقْرَاءَ الَّتِي تَعْتَدُ بِهَا، وَ هُوَ الْإِحْتِفَازُ عَلَيْهَا لِأَنَّ لِلْمَرْأَةِ فِيهَا حَقَّ النِّفْقَةِ وَ السَّكْنَى عَلَى زَوْجِهَا وَ لِلزَّوْجِ فِيهَا حَقُّ الرَّجُوعِ.

و قوله: وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ظَاهِرُ السِّيَاقِ كَوْنِ «لَا تُخْرِجُوهُنَّ» الْخ؛ بَدَلًا مِنْ «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ» وَ يَفِيدُ ذَلِكَ تَأْكِيدَ النَّهْيِ فِي «لَا تُخْرِجُوهُنَّ» وَ الْمُرَادُ بِيُوتِهِنَّ الْبُيُوتَ الَّتِي كُنَّ يَسْكُنُهُنَّ قَبْلَ الطَّلَاقِ أُضِيفَتْ إِلَيْهِنَّ بِعِنَايَةِ السَّكْنَى.

و قوله: وَ لَا يَخْرُجْنَ نَهَى عَنْ خُرُوجِهِنَّ أَنْفُسَهُنَّ كَمَا كَانَ سَابِقَهُ نَهْيًا عَنْ إِخْرَاجِهِنَّ.

و قوله: إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ أَي ظَاهِرَةٍ كَالزَّوْنِ وَ الْبَدَاءِ وَ إِيْذَاءِ أَهْلِهَا كَمَا فِي الرَّوَايَاتِ الْمَأْثُورَةِ عَنْ أُمَّهِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

و قوله: وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ أَي الْأَحْكَامَ الْمَذْكُورَةَ لِلطَّلَاقِ حُدُودَ اللَّهِ حَدَّ بِهَا أَعْمَالِكُمْ وَ مَنْ يَتَعَدُّ وَ يَتَجَاوِزُ حُدُودَ اللَّهِ بِأَنْ لَمْ يَرَاعَهَا وَ خَالَفَهَا فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ أَي عَصَى رَبَّهُ.

و قوله: لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا أَي أَمْرًا يَقْضِي بِتَغْيِيرِ الْحَالِ وَ تَبَدُّلِ رَأْيِ الزَّوْجِ فِي طَلَاقِهَا بِأَنْ يَمِيلَ إِلَّا الْإِلْتِيَامَ وَ يَظْهَرُ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةُ حُبِّ الرَّجُوعِ إِلَى

سابق الحال.

قوله تعالى: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ -الى قوله- وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ المراد من بلوغهن أجلهن اقترابهن من آخر زمان العده و إشرافهن عليه، و المراد بإمساكنهن الرجوع على سبيل الاستعاره، و بمفارقتهن تركهن ليخرجن من العده و بين.

و المراد بكون الإمساك بمعروف حسن الصحبه و رعايه ما جعل الله لهن من الحقوق، و بكون فراقهن بمعروف أيضا لسترام الحقوق الشرعيه فالتقدير بمعروف من الشرع.

و قوله: وَ أَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَى أَشْهَدُوا عَلَى الطلاق رجلين منكم صاحبى عدل، و قد مر توضيح معنى العدل فى تفسير سورة البقره.

و قوله: وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ تقدم توضيحه فى تفسير سورة البقره.

و قوله: ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَى ما مر من الأمر بتقوى الله و إقامة الشهاده لله و النهى عن تعدى حدود الله أو مجموع ما مر من الأحكام و البعث الى التقوى و الإخلاص فى الشهاده و الزجر عن تعدى حدود الله يوعظ به المؤمنون ليركنوا الى الحق و ينقلعوا عن الباطل، و فيه إيهام أن الإعراض عن هذه الأحكام أو تغييرها خروجاً من الإيمان.

قوله تعالى: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ -الى قوله- قَدراً أَى «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» و يتورع عن محارمه و لم يتعد حدوده و احترم لشرائعه فعمل بها «يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» من مضائق مشكلات الحياه فإن شريعته فطريه يهدى بها الله الإنسان الى ما تستدعيه فطرته و تقضى به حاجته و تضمن سعاده فى الدنيا و الآخره «وَ يَرْزُقْهُ» من الزوج و المال و كل ما يفتقر اليه فى طيب عيشه و زكاه حياته «مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» و لا يتوقع فلا يخف المؤمن أنه إن اتقى الله و احترم حدوده حرم طيب الحياه

ص: ٣٤٥



و ابتلى بضعك المعيشه فإن الرزق مضمون و الله على ما ضمنه قادر.

□  
وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ بِاعْتِرَالِهِ عَنْ نَفْسِهِ فِيمَا تَهَوَّاهُ وَ تَأْمُرُ بِهِ وَ إِثَارَهُ إِرَادَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى إِرَادِهِ نَفْسَهُ وَ الْعَمَلُ الَّذِي يَرِيدُهُ اللَّهُ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي تَهَوَّاهُ وَ تَرِيدُهُ نَفْسَهُ وَ بَعْبَارَهُ أُخْرَى تَدِينُ بِدِينِ اللَّهِ وَ عَمَلٌ بِأَحْكَامِهِ «فَهُوَ حَسْبِي» أَي كَافِيهِ فِيمَا يَرِيدُهُ مِنْ طَيِّبِ الْعَيْشِ وَ يَتَمَنَاهُ مِنَ السَّعَادَةِ بِفَطْرَتِهِ لَا بِوَاهِمَتِهِ الْكَاذِبَةِ.

و ذلك أنه تعالى هو السبب الأعلى الذي تنتهى إليه الأسباب فإذا أراد شيئاً فعله و بلغ ما أراد من غير أن تتغير إرادته فهو القائل □  
□ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَمَدَى (ق ٢٩)، أو يحول بينه و بين ما أراد من مانع فهو القائل وَ اللَّهُ يُحْكُمُ لَكُمْ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ (الرعد ٤١)، أما الأسباب الأخر التي يتشبث بها الإنسان في رفع حوائجه فإنما تملك من السبب ما ملكها الله سبحانه و هو المالك لما ملكها و القادر على ما عليه أقدرها و لها من الفعل مقدار ما أذن الله فيه.

□  
فَاللَّهُ كَافٍ لِمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ لَا غَيْرَهُ «إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ» يَبْلُغُ حَيْثُ أَرَادَ، وَ هُوَ الْقَائِلُ «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» □  
«قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لَهُ قَدْرٌ مُقَدَّرٌ وَ حَدٌّ مُحَدَّدٌ وَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَحْدَهُ حَدٌّ وَ لَا يَحِيطُ بِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ الْمَحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

هذا هو معنى الآيه بالنظر الى وقوعها فى سياق آيات الطلاق و انطباقها على المورد.

□  
و أما بالنظر الى إطلاقها فى نفسها مع الغض عن السياق الذى وقعت فيه فقوله: «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» مفاده أن من اتقى الله بحقيقته معنى تقواه و لا- يتم ذلك إلا- بمعرفته تعالى بأسمائه و صفاته ثم تورعه و اتقاؤه بالاجتناب عن المحرمات و تحرز ترك الواجبات خالصا لوجهه الكريم، و لازمه أن لا يريد إلا ما يريد الله من فعل أو ترك، و لازمه أن يستهلك إرادته فى إرادته الله فلا يصدر عنه فعل إلا عن إرادته من الله.

و لانزم ذلك أن يرى نفسه و ما يترتب عليها من سمه أو فعل ملكا طلقا لله سبحانه يتصرف فيها بما يشاء و هو ولايه الله يتولى أمر عبده فلا يبقى له من الملك بحقيقته معناه شيء إلا ما ملكه

اللّٰهُ سبحانه و هو المالك لما ملكه و الملك لله عز اسمه.

و عند ذلك ينجيه الله من مضيق الوهم و سجن الشرك بالتعلق بالأسباب الظاهرية «يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» أما الرزق المادى فإنه كان يرى ذلك من عطايا سعيه و الأسباب الظاهرية التى كان يطمئن إليها و ما كان يعلم من الأسباب إلا قليلا من كثير كقبس من نار يضىء للانسان فى الليله الظلماء موضع قدمه و هو غافل عما وراءه، لكن الله سبحانه محيط بالأسباب و هو الناظم لها ينظمها كيف يشاء و يأذن فى تأثير ما لا علم له به من خباياها.

و أما الرزق المعنوى الذى هو حقيقه الرزق الذى يعيش به النفس الإنسانيه و تبقى فهو مما لم يكن يحتسبه و لا يحتسب طريق وروده عليه.

و بالجملة هو سبحانه يتولى أمره و يخرج من مهبط الهلاك و يرزقه من حيث لا يحتسب، و لا يفقد من كماله و النعم التى كان يرجو نيلها بسعيه شيئا لأنه توكل على الله و فوض الى ربه ما كان لنفسه «وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» دون سائر الأسباب الظاهرية التى تخطئ تاره و تصيب أخرى «إِنَّ اللَّهَ بِأَلْعِ أَمْرِهِ» لأن الامور محدوده محاطه له تعالى و «قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» فهو غير خارج عن قدره الذى قدره به.

و هذا نصيب الصالحين من الأولياء من هذه الآيه.

و أما من هو دونهم من المؤمنين المتوسطين من أهل التقوى النازله درجاتهم من حيث المعرفة و العمل فلهم من ولايه الله ما يلائم حالهم فى إخلاص الإيمان و العمل الصالح و قد قال تعالى و أطلق: وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (آل عمران ٦٨)، و قال و أطلق: وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (الباقية ١٩).

و تدبيرهم بدين الحق و هى سننه الحياه و ورودهم و صدورهم فى الامور عن إرادته تعالى هو تقوى الله و التوكل عليه بوضع إرادته تعالى موضع إرادته أنفسهم فينالون من سعادته الحياه

بحسبه و يجعل الله له مخرجا و يرزقهم من حيث لا يحتسبون، و حسبهم ربهم فهو بالغ أمره و قد جعل لكل شىء قدرا.

و عليهم من حرمان السعاده قدر ما دب من الشرك فى إيمانهم و عملهم و قد قال تعالى:

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (يوسف ١٠٦/)، و قال و أطلق: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ (النساء ٤٨/).

و قال: وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا (طه ٨٢/)، أى لمن تاب من الشرك و قال و أطلق: وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (المزمل ٢٠/).

فلا يرقى المؤمن الى درجه من درجات ولايه الله إلا بالتوبه من خفى الشرك الذى دونها.

قوله تعالى: وَ اللَّائِي يَنْسَيْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ الْمَرَادُ بِالْأَرْتِيَابِ الشُّكُ فِي يَأْسِهِنَّ مِنَ الْمَحِيضِ أ هُوَ لِكَبْرِ أُمِّ لِعَارِضٍ، فَالْمَعْنَى:

و اللَّائِي يَنْسَيْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ وَ شَكَّكُم فِي أَمْرِ يَأْسِهِنَّ أ هُوَ لِبُلُوغِ سِنِّ الْيَأْسِ أُمِّ لِعَارِضٍ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

و قوله: وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ عَطْفَ عَلَى قَوْلِهِ: «وَ اللَّائِي يَنْسَيْنَ» الخ؛ و المعنى:

و اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَ هُوَ فِي سِنِّ مِنْ تَحِيضٍ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

و قوله: وَ أُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ أَى مِنْتَهَى زَمَانِ عِدَّتِهِنَّ وَضَعِ الْحَمْلِ.

و قوله: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا أَى يَسْهَلُ عَلَيْهِ مَا يَسْتَقْبَلُهُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَ الْمَشَاقِقِ، وَ قِيلَ: الْمَرَادُ أَنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيْهِ أُمُورُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ إِمَّا بِفَرَجٍ عَاجِلٍ أَوْ عَوْضِ آجِلٍ.

قوله تعالى: ذَلِكُمْ أَمْرٌ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ أَى مَا بَيْنَهُ فِي الْآيَاتِ الْمَتَقَدِّمَةِ حَكَمَ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ، وَ فِي قَوْلِهِ: «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ سُبُلًا مَخْرَجًا» دَلَالَهُ عَلَى أَنَّ اتِّبَاعَ

الأوامر من التقوى كاجتناب المحرمات و لعله باعتبار أن امتثال الأمر يلازم اجتناب تركه.

و تكفير السيئات سترها بالمغفرة، و المراد بالسيئات المعاصى الصغيره فيبقى للتقوى كبائر المعاصى، و يكون مجموع قوله: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا» فى معنى قوله: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (النساء ٣١)، و من الآيتين يظهر أن المراد بالمحارم فى قوله صلى الله عليه و آله و سلم فى تعريف التقوى: أنها الورع عن محارم الله المعاصى الكبيره.

و يظهر أيضا أن مخالفه ما أنزله الله من الأمر فى الطلاق و العده من الكبائر إذ التقوى المذكوره فى الآيه تشمل ما ذكر من أمر الطلاق و العده لا محاله فهو غير السيئات المكفروه و إلا اختل معنى الآيه.

قوله تعالى: أَسِيكُونَهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ؛ قال فى المفردات: و قوله تعالى: «مِنْ وَجْدِكُمْ» أى تمكّنكم و قدر غناكم، و يعبر عن الغنى بالوجدان و الجده، و قد حكى فيه الوجد و الوجد و الوجد-بالحركات الثلاث فى الواو- انتهى.

و ضمير «هن» للمطلقات على ما يؤيده السياق، و المعنى: أسكنوا المطلقات من حيث سكنتم من المساكن على قدر تمكّنكم و غناكم على الموسر قدره و على المعسر قدره.

و قوله: وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيَضَّيَّقُوا عَلَيْهِنَّ أَى لا توجهوا اليهن ضررا يشق عليهن تحمله من حيث السكنى و الكسوه و النفقه لتوردوا الضيق و الحرج عليهن.

و قوله: وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ معناه ظاهر.

و قوله: فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فلهن عليكم أجر الرضاعه و هو من نفقه الولد التى على الوالد.

وقوله: وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ الائتمار بشيء تشاور القوم فيه بحيث يأمر بعضهم فيه بعضاً، وهو خطاب للرجل والمرأه أى تشاوروا فى أمر الولد و توافقوا فى معروف من العاده بحيث لا يتضرر الرجل بزياده الأجر الذى ينفقه و لا المرأه بنقيصته و لا الولد بنقص مده الرضاع الى غير ذلك.

وقوله: وَإِنْ تَعَايَرْتُمْ فَسَرِّحُوا لَهُ الْآخَرَ أَي و إن أراد كل منكم من الآخر ما فيه عسر و اختلفتم فسترضع الولد امرأه أخرى أجنبيه غير والدته أى فليسترضع الوالد غير والده الصبى.

قوله تعالى: لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ الْإِنْفَاقُ مَن سَعَهُ هُوَ التَّوَسُّعُ فِي الْإِنْفَاقِ وَ هُوَ أَمْرٌ لِأَهْلِ السَّعَةِ بِأَنْ يَوْسِعُوا عَلَى نِسَائِهِمُ الْمَطْلُوقَاتِ الْمَرْضِعَاتِ أَوْلَادِهِمْ.

وقوله: وَ مَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ قَدْرَ الرِّزْقِ ضَيْقُهُ، وَ الْإِيتَاءُ الْإِعْطَاءُ، وَ الْمَعْنَى: وَ مَن ضَاقَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَ كَانَ فَقِيرًا لَا يَتِمَكَّنُ مِنَ التَّوَسُّعِ فِي الْإِنْفَاقِ فَلْيُنْفِقْ عَلَى قَدْرِ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْمَالِ أَي فَلْيُنْفِقْ عَلَى قَدْرِ تَمَكُّنِهِ.

وقوله: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا أَي لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا بِقَدْرِ مَا أَعْطَاهَا مِنَ الْقَدْرِ فَالْجُمْلَةُ تَنْفَى الْحَرَجَ مِنَ التَّكْلِيفِ الْإِلَهِيِّ وَ مِنْهَا إِنْفَاقُ الْمَطْلُوقَةِ.

وقوله: سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا فِيهِ بَشْرَى وَ تَسْلِيهِ (١).

### [سوره الطلاق (٦٥): الآيات ٨ الى ١٢]

وَ كَايِّنَ مِنْ فَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ فَحَاسِبْ نَبَاهًا حَسَابًا شَدِيدًا وَ عَذِّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسِيرًا (٩) أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ مَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)

ص: ٣٥٠

(١- ١). الطلاق ٧-١: بحث روائى فى الطلاق و العده؛ الشكر؛ الدعاء و الاستجابة؛ التوكل على الله.

قوله تعالى: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَوْمٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَا بِمَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا قَالَ الرَّاعِبُ: العتو النبوء عن الطاعه انتهى.

فهو قريب المعنى من الاستكبار، وقال: النكر الدهاء و الأمر الصعب الذى لا يعرف انتهى.

و المراد بالنكر فى الآيه المعنى الثانى: و فى المجمع النكر المنكر الفظيع الذى لم ير مثله انتهى.

و المراد بالقريه أهلها على سبيل التجوز كقوله: وَشِئِلِ الْقَرْيَةِ (يوسف ٨٢)، و فى قوله: «عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ» إشاره الى أنهم كفروا بالله سبحانه بالشرك و كفروا كفرا آخر برسله بتكذيبهم فى دعوتهم. علم أنهم كفروا بالله تعالى فى ترك شرائعه المشرعه و كفروا برسله فيما أمروا به بولايتهم لهم كما مر نظيره فى قوله: وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبُلَاغُ الْمُبِينُ (التغابن ١٢).

و شده الحساب المناقشه فيه و الاستقصاء لتوفيه الأجر كما هو عليه، و المراد به حساب الدنيا غير حساب الآخرة و الدليل على كونه حساب الدنيا قوله تعالى: **وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (الشورى ٣٠)**، و قوله: **وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (الأعراف ٩٦)**.

فما يصيب الإنسان من مصيبه- و هى المصيبه فى نظر الدين- هو حاصل محاسبه أعماله و الله يعفو عن كثير منها بالمسامحه و المساهله فى المحاسبه غير أنه تعالى يحاسب العاتين المستكبرين عن أمره و رسله حسابا شديدا بالمناقشه و الاستقصاء و التثريب فيعذبهم عذابا نكرا.

و المعنى: و كم من أهل قريه عتوا و استكبروا عن أمر ربهم و رسله فلم يطيعوا الله و رسله فحاسبنا حسابا شديدا ناقشنا فيه و استقصيناها، و عذبناهم عذابا صعبا غير معهود و هو عذاب الاستئصال فى الدنيا.

قوله تعالى: **فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا** المراد بأمرها عتوها و استكبارها، و المعنى: فأصابتهم عقوبه عتوهم و كان عاقبه عتوهم خسارا كأنهم اشتروا العتو بالطاعه فانتهى الى أن خسروا.

قوله تعالى: **أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا** هذا جزاؤهم فى الاخرى كما كان ما فى قوله: **«فَحَاسِبِينَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَ عَذِّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا»** جزاءهم فى الدنيا.

و الفضل فى قوله: **«أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ»** الخ؛ لكونه فى مقام دفع الدخل كأنه لما قيل **«وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا»**، قيل: ما المراد بخسرهم؟ فقيل **«أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا»**.

قوله تعالى: **فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ**

ذِكْرًا استنتاج مما تقدم خوطب به المؤمنون ليأخذوا حذرهم و يقوا أنفسهم أن يعتوا عن أمر ربهم و يطغوا عن طاعته فيبتلوا بوبال عتوهم و خسران عاقبتهم كما ابتليت بذلك القرى الهالكه.

و قد وصف المؤمنين باولى الألباب فقال: «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا» استمدادا من عقولهم على ما يريد من التقوى فإنهم لما سمعوا أن قوما عتوا عن أمر ربهم فحوسبوا حسابا شديدا و عذبوا عذابا نكرا و كان عاقبه أمرهم خسرا ثم سمعوا أن ذلك تكرر مره بعد مره و أباد قوما بعد قوم، قضت عقولهم بأن العتو و الاستكبار عن أمر الله تعرض لشديد حساب الله و منكر عذابه فتنبههم و تبعثهم الى التقوى و قد أنزل الله اليهم ذكرا يذكرهم به ما لهم و ما عليهم و يهديهم الى الحق و الى طريق مستقيم.

قوله تعالى: رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ الخ؛ عطف بيان أو بدل من «ذِكْرًا» فالمراد بالذكر الذى أنزله هو الرسول سمي به لأنه وسيله التذكرة بالله و آياته و سبيل الدعوة الى دين الحق، و المراد بالرسول محمداً صلى الله عليه و آله و سلم على ما يؤيده ظاهر قوله: «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ» الخ.

و على هذا فالمراد بإنزال الرسول بعثه من عالم الغيب و إظهاره لهم رسولا من عنده بعد ما لم يكونوا يحتسبون كما فى قوله: وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ (الحديد ٢٥).

و قد ادعى ظهور الإنزال فى كونه من السماء بعضهم كصاحب الكشاف الى أن فسر «رَسُولًا» بجبريل و يكون حينئذ معنى تلاوته الآيات عليهم تلاوته على النبى صلى الله عليه و آله و سلم بما أنه متبوع لقومه و وسيله الإبلاغ لهم لكن ظاهر قوله: «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ» الخ؛ خلاف ذلك.

و يحتمل أن يكون «رَسُولًا» منصوبا بفعل محذوف و التقدير أرسل رسولا يتلو عليكم آيات الله، و يكون المراد بالذكر المنزل اليهم القرآن أو ما بين فيه من الأحكام و المعارف.

و قوله: يُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ



تقدم تفسيره فى نظائره.

و قوله: وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدٌ جَمِيلٌ وَ تَبَشِيرٌ.

و قوله: فَقد أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا وَصَفَ لِإِحْسَانِهِ تَعَالَى إِلَهُهُمَ فِيما رَزَقَهُمُ بِهِ مِنَ الرِّزْقِ وَ الْمَرادُ بِالرِّزْقِ ما رَزَقَهُمُ مِنَ الْإِيمانِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي الدُّنْيا وَ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ، وَ قِيلَ الْمَرادُ بِهِ الْجَنَّةِ.

قوله تعالى: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ الْخَبْرُ؛ بيان يتأكد به ما تقدم فى الآيات من حديث ربوبيته تعالى و بعثه الرسول و إنزاله الذكر ليطيعوه فيه و أن فى تمرده و مخالفته الحساب الشديد و العذاب الأليم و فى طاعته الجنة الخالده كل ذلك لأنه قدير عليم.

فقوله: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْكَلَامِ فِيهِ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ حَمِ السَّجْدَةِ.

و قوله: وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ظَاهِرُهُ الْمِثْلِيَّةُ فِي الْعَدَدِ، وَ عَلَيْهِ فَالْمَعْنَى: وَ خَلَقَ مِنَ الْأَرْضِ سَبْعًا كَمَا خَلَقَ مِنَ السَّمَاءِ سَبْعًا فَهَلِ الْأَرْضُونَ السَّبْعُ سَبْعَ كَرَاتٍ مِنَ نَوْعِ الْأَرْضِ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا وَ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا إِحْدَاهَا؟ أَوِ الْأَرْضُ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا سَبْعَ طَبَقَاتٍ مُحِيطَةٌ بِبَعْضِهَا وَ الطَّبَقَةُ الْعُلْيَا بِسِيطِهَا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ؟ أَوِ الْمَرادُ الْأَقْالِيمَ السَّبْعَةَ الَّتِي قَسَمُوا إِلَيْهَا الْمَعْمُورَ مِنْ سَطْحِ الْكَرَةِ؟ وَجَوَّهُ ذَهَبَ إِلَى كُلِّ مَنَّا جَمْعٌ وَ رَبما لَاحَ بِالرَّجُوعِ إِلَى ما تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ حَمِ السَّجْدَةِ مُحتمَلٌ آخَرَ غَيْرِها.

و ربما قيل: إن المراد بقوله: «وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» أنه خلق من الأرض شيئاً هو مثل السماوات السبع و هو الإنسان المركب من المادة الأرضية و الروح السماوية التى فيها نماذج سماوية ملكوتيه.

و قوله: يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ الظاهر أن المراد للسموات و الأرض جميعا و الأمر هو الأمر الإلهي الذي فسره بقوله: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ (يس ٨٣)، و هو كلمه الإيجاد، و تنزله هو أخذه بالنزول من مصدر الأمر الى سماء بعد سماء حتى ينتهي الى العالم الأرضي فيتكوّن ما قصد بالأمر من عين أو أثر أو رزق أو موت أو حياه أو عزه أو ذله أو غير ذلك قال تعالى: وَ أَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا (حم السجده ١٢)، و قال: يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (الم السجده ٥٠).

و قوله: أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا من الغايات المترتبة على خلقه السموات السبع و من الأرض مثلهن و تنزله الأمر بينهن، و في ذلك انتساب الخلق و الأمر اليه و اختصاصهما به فإن المتفكر في ذلك لا يرتاب في قدرته على كل شيء و علمه بكل شيء فليتق مخالفه أمره أولو الألباب من المؤمنين فإن سنه هذا القدير العليم تجرى على إثابه المطيعين لأوامره، و مجازاه العاتين المستكبرين و كذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى و هي ظالمة إن أخذه أليم شديد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغَىٰ مَوْضِعَاتَٰ أَرْوَاحِكَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَٰ أَيْمَانِكُمْ وَ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَ إِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَيْدِيًّا فَلَمَّا تَبَأَثَٰ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَأَثَٰ بِهِ قَالَتْ مَنَ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ تَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَائِمَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَ أَبْكَارًا (٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا وَ قُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمُ سَيِّئَاتِكُمْ وَ يُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأْيَمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَ اغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ (٩)

تبدأ السوره بالإشاره الى ما جرى بين النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم و بين بعض أزواجه من قصه التحريم فيعاتب النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم بتحريمه ما أحلَّ الله له ابتغاء لمرضاه بعض أزواجه و مرجعه الى عتاب تلك البعض و الانتصار له صَلَّى الله عليه وآله و سلم كما يدل عليه سياق الآيات.

ثم تخاطب المؤمنين أن يقوا أنفسهم من عذاب الله النار التي وقودها الناس و الحجاره و ليسوا يجزون إلا بأعمالهم و لا مخلص منها إلا للنبي و الذين آمنوا معه ثم تخاطب النبي بجهاد

و تختتم السوره بضربه تعالى مثلا من النساء للكفار و مثلا منهن للمؤمنين.

و ظهور السياق فى كون السوره مدنيه لا ريب فيه.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغَىٰ مَرْضَاتٍ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ خطاب مشوب بعتاب لتحريره صلى الله عليه و آله و سلم لنفسه بعض ما أحل الله له، و لم يصرح تعالى به و لم يبين أنه ما هو؟ و ما ذا كان؟ غير أن قوله: «تَبَتَّغَىٰ مَرْضَاتٍ أَرْوَاجِكَ» يومى أنه كان عملا- من الأعمال المحلله التى يقترفها النبى صلى الله عليه و آله و سلم لا ترتضيه أزواجه فضيقن عليه و آذينه حتى أرضاهن بالحلف على أن يتركه و لا يأتى به بعد.

فقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ علق الخطاب و النداء بوصف النبى دون الرسول لاختصاصه به فى نفسه دون غيره حتى يلائم وصف الرساله.

و قوله: لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ المراد بالتحريم التسبب الى الحرمة بالحلف على ما تدل عليه الآيه التالیه فإن ظاهر قوله: «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ» الخ؛ أنه صلى الله عليه و آله و سلم حلف على ذلك و من شأن اليمين أن يوجب عروض الوجوب إن كان الحلف على الفعل و الحرمة و إن كان الحلف على الترك، و إذ كان صلى الله عليه و آله و سلم حلف على ترك ما أحل الله له فقد حرم ما أحل الله له بالحلف.

و ليس المراد بالتحريم تشريعه صلى الله عليه و آله و سلم على نفسه الحرمة فيما شرع الله له فيه الحليه فليس له ذلك.

و قوله: تَبَتَّغَىٰ مَرْضَاتٍ أَرْوَاجِكَ أى تطلب بالتحريم رضاهن بدل من «تَحَرَّمَ» الخ؛ أو حال من فاعله، و الجملة قرينه على أن العتاب بالحقيقه متوجه اليهن، و يؤيده قوله خطابا لهما: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» الخ؛ مع قوله فيه: «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» .

قوله تعالى: قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ

الْحَكِيمُ قال الراغب: كل موضع ورد فرض الله عليه ففي الإيجاب الذى أدخله الله فيه، وما ورد من فرض الله له فهو فى أن لا يحظره على نفسه نحو «مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ» و قوله: «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّهُ أَيَّمَانِكُمْ». انتهى. و التحله أصلها تحلله على وزن تذكره و تكرمه مصدر كالتحليل، قال الراغب: و قوله عز و جل: «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّهُ أَيَّمَانِكُمْ» اى بين ما تحل به عقده أيمانكم من الكفاره.

فالمعنى: قد قدر الله لكم - كانه قدره نصيبا لهم حيث لم يمنعهم عن حل عقده اليمين - تحليل أيمانكم بالكفاره و الله وليكم الذى يتولى تدبير أموركم بالتشريع و الهدايه و هو العليم الحكيم.

و فى الآيه دلالة على أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم كان قد حلف على الترك، و أمر به بتحلله يمينه.

قوله تعالى: «وَ إِذْ أَسْرَى النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ» السّر هو الحديث الذى تكتمه فى نفسك و تخفيه، و الإسرار إفشاءك الحديث الى غيرك مع إيصائك بإخفائه، و ضمير «نَبَّأَتْ» لبعض أزواجه، و ضمير «بِهِ» للحديث الذى أسره النبى صلى الله عليه و آله و سلم إليها، و ضمير «أَظْهَرَهُ» للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و ضمير «عَلَيْهِ» لإنبائها به غيرها و إفشائها السر، و ضمير «عَرَفَ وَ أَعْرَضَ» للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و ضمير «بَعْضَهُ» للحديث، و الإشارة بقوله: «هَذَا» لإنبائها غيره و إفشائها السر.

و محصل المعنى: و إذ أفضى النبى الى بعض أزواجه - و هى حفصه بنت عمر بن الخطاب - حديثا و أوصاها بكتمانه فلما أخبرت به غيرها و أفشت السر خلافا لما أوصاها به، و أعلم الله النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنها نبأت به غيرها و أفشت السر عَرَفَ و أعلم بعضه و أعرض عن بعض آخر، فلما خبرها النبى صلى الله عليه و آله و سلم بالحديث قالت للنبي صلى الله عليه و آله و سلم: من أنبأك و أخبرك أنى نبأت به غيرى و أفشيت السر؟ قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: نبأنى و خبرنى العليم الخبير و هو الله العليم بالسر و العلانيه

قوله تعالى: **إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ أَى** إن تتوبا الى الله فقد تحقق منكما ما يستوجب عليكما التوبه و إن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاها، الخ.

و قد اتفق النقل على أنهما عائشه و حفصه زوجا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و الصغو الميل و المراد به الميل الى الباطل و الخروج عن الاستقامه و قد كان ما كان منهما من إيدائه و التظاهر عليه صلى الله عليه و آله و سلم من الكبائر و قد قال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (الأحزاب ٥٧/)**، و قال: **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (التوبه ٦١/)**.

و التعبير بقلوبكما و إرادته معنى التشبيه من الجمع كثير النظير فى الاستعمال.

و قوله: **وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ** الخ؛ التظاهر التعاون، و أصل «وَإِنْ تَظَاهَرَا» و إن تظاهرا، و ضمير الفصل فى قوله: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ» للدلاله على أن لله سبحانه عناية خاصه به صلى الله عليه و آله و سلم ينصره و يتولى أمره من غير واسطه من خلقه، و المولى الولى الذى يتولى أمره و ينصره على من يريده بسوء.

و «جِبْرِيلُ» عطف على لفظ الجلاله، و «صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» عطف جبريل، و المراد بصالح المؤمنين على ما قيل الصلحاء من المؤمنين فصالح المؤمنين واحد أريد به الجمع كقولك: لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد به الجنس كقولك لا يفعله من صلح منه و مثله قولك: كنت فى السامر و الحاضر.

و فيه قياس المضاف الى الجمع الى مدخول اللام فظاهر صالح المؤمنين غير ظاهر «الصالح من المؤمنين».

ووردت الرواية من طرق أهل السنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ مِنْ طَرَقِ الشَّيْعَةِ عَنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ الْمَرَادَ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَلَيْهِ أَفْضَلَ السَّلَامِ، وَ سَتَوَافِيكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

و في المراد منه أقوال أخر أغمضنا عنها لعدم دليل عليها.

و قوله: «وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» إفراد الخبر للدلاله على أنهم متفقون في نصره متحدون صفا واحدا، و في جعلهم بعد ذلك أى بعد ولايه الله و جبريل و صالح المؤمنين تعظيم و تفخيم.

و لحن الآيات في إظهار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على من يؤذيه و يريده بسوء و تشديد العتاب على من يتظاهر عليه عجب، و قد خوطب فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أولا و عوتب على تحريمه ما أحل الله له و أشير عليه بتحلله يمينه و هو إظهار و تأييد و انتصار له و إن كان في صوره العتاب.

ثم التفت من خطابه الى خطاب المؤمنين في قوله: «وَ إِذْ أَسْرَرَ النَّبِيُّ إِلَيَّ بَعْضَ أَرْوَاجِهِ» يشير الى القصة و قد أبهما إبهاما و قد كان أيد النبي و أظهره قبل الإشاره الى القصة و إفشائها مختوما عليها، و فيه مزيد إظهاره.

ثم التفت من خطاب المؤمنين الى خطابهما و قرر أن قلوبهما قد صغت بما فعلتا و لم يأمرهما أن تتوبا من ذنبهما بل بين لهما أنهما واقعتان بين أمرين إما أن تتوبا و إما أن تظاهرا على من الله هو مولاة و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك أجمع ثم أظهر الرجاء إن طلقهن أن يرزقه الله نساء خيرا منهن. ثم أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يجاهد الكفار و المنافقين و يغلظ عليهم.

و انتهى الكلام الى ضربه تعالى مثلين مثلا للذين كفروا و مثلا للذين آمنوا.

و قد أدار تعالى الكلام في السوره بعد التعرض لحالهما بقوله: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ» الخ؛ بين التعرض لحال المؤمنين و التعرض لحال الكفار فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ الخ؛ و يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الخ؛ و قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا الخ؛ و يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الخ؛ و قال: ضَرَبَ اللَّهُ



مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا، وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا .

قوله تعالى: عَسَىٰ رَبُّهُ إِنِ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ إِلَىٰ آخِرِ آيَةٍ؛ استغناء إلهي فإنهن وإن كن مشرفات بشرف زوجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لكن الكرامه عند الله بالتقوى كما قال تعالى: فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (الأحزاب ٢٩)، انظر الى مكان «مِنْكُنَّ» و قال: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (الأحزاب ٣١).

ولذا ساق الاستغناء بترجي إبداله إن طلقهن أزواجا خيرا منهن، و علق الخبر بما ذكر لأزواجه الجديده من صفات الكرامه و هي أن يكن مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات سائحات-أى صائمات-ثيبات و أبكارا.

فمن تزوج بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و كانت متصفه بمجموع هذه الصفات كانت خيرا منهن و ليس إلا- لأجل اختصاص منها بالقنوت و التوبه أو القنوت فقط مع مشاركتها لهن فى باقى الصفات، و القنوت هو لزوم الطاعه مع الخضوع.

و يتأيد هذا المعنى بما فى مثل مريم الآتى فى آخر السوره من ذكر القنوت وَ كَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ فَالقنوت هو الذى يفقدنه و هو لزومهن طاعه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ التى فيها طاعه الله و اتقاؤهن أن يعصين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و يؤذينه.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ النَّخ؛ «قوا» أمر من الوقايه بمعنى حفظ الشىء مما يؤذيه و يضره، و الوقود بفتح الواو اسم لما توقد به النار من حطب و نحوه. و المراد بالنار نار جهنم و كون الناس المعذبين فيها وقودا لها معناه اشتعال الناس فيها بأنفسهم كما فى قوله تعالى: ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (المؤمن ٧٢). فىناسب تجسم الأعمال كما هو ظاهر الآيه التاليه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا النَّخ؛

و فسرت الحجاره بالأصنام.

و قوله: عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ أَي وَكَلَّ عَلَيْهَا لِإِجْرَاءِ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ عَلَى أَهْلِهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ.

و الغلاظ جمع غليظ ضد الرقيق و الأنسب للمقام كون المراد بالغلظه خشونه العمل كما فى قوله الآتى: جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ (الآيه ٩ من السوره)، و الشداد جمع شديد بمعنى القوى فى عزمه و فعله.

و قوله: لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ كالمفسر لقوله:

«غِلَاظٌ شِدَادٌ» أَي هُم مُلْتَزِمُونَ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ لَا يَعْصُونُهُ بِالمُخَالَفَةِ وَ الرَّدِّ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ عَلَى مَا أَمَرُوا بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفُوتَ مِنْهُمْ فَائِتٌ أَوْ يَنْقُصَ مِنْهُ شَيْءٌ لضعف فيهم أَوْ فتور فهم غلاظ شداد.

و الآيه الكريمة بعد الآيات السابقه كالتعميم بعد التخصيص فإنه تعالى لما أَدَّبَ نساءَ النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ ببيان ما لا يذنبهم النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ مِنَ الْأَثَرِ السَّيِّئِ عَمَّ الْخُطَابَ فَخاطب المؤمنين عامه أن يُؤدِّبُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ وَ يَقْوَهُمْ مِنَ النَّارِ الَّتِي وَقودها نفس الداخلين فيها أَي أن أعمالهم السيئه تلزمهم و تعود ناراً تعذبهم وَ لا مخلص لهم منها وَ لا مناص عنها.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ تَجْرُونَ ۚ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ خطاب عام للكفار بعد ما جوزوا بالنار فإنهم يعتذرون عن كفرهم و معاصيهم فيخاطبون أن لا- تعتذروا اليوم- و هو يوم الجزاء-إنما تجزون نفس ما كنتم تعملون أى إن العذاب الذى تعذبون بها هو عملكم السيئ الذى عملتموه و قد برز لكم اليوم حقيقته و إذ عملتموه فقد لزمكم أنكم عملتموه و الواقع لا يتغير و ما حقَّ عليكم من كلمه العذاب لا يعود باطلا فهذا ظاهر الخطاب.

و قيل: المعنى: لا تعتذروا-اليوم-بعد دخول النار فإن الاعتذار توبه و التوبه غير مقبوله

بعد دخول النار إنما تجزون ما لزم في مقابل عملكم من الجزاء في الحكمة.

و في اتباع الآيات السابقة بما في هذه الآيه من خطاب القهر تهديد ضمنى و إشعار بأن معصيه الله و رسوله ربما أدى الى الكفر.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ النصح تحرى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه، و يأتي بمعنى الإخلاص نحو نصحت له الود أى أخلصته-على ما ذكره الراغب-فالتوبه النصوح ما يصرف صاحبه عن العود الى المعصيه أو ما يخلص العبد للرجوع عن الذنب فلا يرجع الى ما تاب منه.

لما أمر المؤمنين بوقايه أنفسهم و أهليهم من النار أمرهم جميعا ثانيا بالتوبه و فرع عليه رجاء أن يستر الله سيئاتهم و يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار.

و قوله: يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قال الراغب: يقال:

خزى الرجل يخزى من باب علم يعلم إذا لحقه انكسار إما من نفسه و إما من غيره فالذى يلحقه من نفسه و هو الحياء المفرط مصدره الخزياه، و الذى يلحقه من غيره و يعد ضربا من الاستخفاف مصدره الخزى و الإخزاء من الخزياه و الخزى جميعا قال: و على نحو ما قلنا فى خزى ذل و هان فإن ذلك متى كان من الإنسان نفسه يقال له الهون-بفتح الهاء-و الذل و يكون محمودا، و متى كان من غيره يقال له: الهون-بضم الهاء-و الهوان و الذل و يكون مذموما.

انتهى ملخصا.

فقوله: يَوْمَ ظَرَفَ لِمَا تَقَدَّمَهُ، و المعنى: توبوا الى الله عسى أن يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم الجنة فى يوم لا يخزى و لا يكسر الله النبى صلى الله عليه و آله و سلم بجعلهم محرومين من الكرامه و خلفه ما وعدهم من الوعد الجميل.

و فى قوله: أَلَنَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ اعتبار المعيه فى الإيمان فى الدنيا و لازمه

ملازمتهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَطَاعَتِهِمْ لَهُ مِنْ غَيْرِ مَخَالَفِهِ وَمَشَاقِهِ.

وَمِنْ الْمَحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: «الَّذِينَ آمَنُوا» مَبْتَدَأُ خَبْرِهِ «مَعَهُ» وَقَوْلُهُ: «نُورُهُمْ يَشِعُّ» الْخَبْرُ؛ ثَانِيًا، وَقَوْلُهُ: «يَقُولُونَ» الْخَبْرُ؛ خَابِرًا ثَالِثًا فَيَفِيدُ أَنَّهُمْ لَا يَفَارِقُونَ النَّبِيَّ وَلَا يَفَارِقُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا وَجْهٌ جَيِّدٌ لِأَنَّهُ كَوْنُ عَدَمِ الْخِزْيِ خَاصًّا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَسَعَى النُّورِ وَسُؤَالِ إِتْمَامِهِ خَاصًّا بِالَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَوْيْدِهِ آيَةَ الْحَدِيدِ الْآتِيَةَ. وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ «مَعَهُ» مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ: «آمَنُوا» وَقَوْلُهُ: «نُورُهُمْ يَشِعُّ» الْخَبْرُ؛ أَوَّلًا وَثَانِيًا لِلْمَوْصُولِ.

وَقَوْلُهُ: «نُورُهُمْ يَشِعُّ» بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ تَقْدِمُ الْكَلَامُ فِي مَعْنَاهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَشِعُّ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ (الْحَدِيدُ ١٢/١)»، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنَ النُّورِ نَوْرَ الْإِيمَانِ وَمَا بِأَيْمَانِهِمْ نَوْرَ الْعَمَلِ.

وَقَوْلُهُ: «يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمَمْنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» يَفِيدُ السِّيَاقُ أَنَّ الْمَغْفِرَةَ الْمَسْئُولَةَ سَبَبٌ لِتَمَامِ النُّورِ أَوْ هُوَ مَلَازِمٌ لِتَمَامِ النُّورِ فَيَفِيدُ أَنَّ فِي نَوْرِهِمْ نَقْصًا وَالنُّورُ نَوْرَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلُ فَلَهُمْ نَقَائِصٌ بِحَسَبِ دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ أَوْ آثَارِ السَّيِّئَاتِ الَّتِي خَلَّتْ مَحَالِهَا فِي صَحَائِفِهِمْ مِنَ الْعِبَادِيَّةِ فِي الْعَمَلِ فَيَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يَتِمَّ لَهُمْ نَوْرُهُمْ وَيَغْفِرَ لَهُمْ، وَآيَةُ الْإِشَارَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ (الْحَدِيدُ ١٩/١)».

قَوْلُهُ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَأَهُمُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» الْمُرَادُ بِالْجِهَادِ بِذَلِكَ الْجِهَادِ فِي إِصْلَاحِ الْأَمْرِ مِنْ جِهَتِهِمْ وَدَفْعِ شَرِّهِمْ فِي الْكُفْرِ بَيَانِ الْحَقِّ وَتَبْلِيغِهِ فَإِنْ آمَنُوا وَإِلَّا فَالْحَرْبُ وَفِي الْمُنَافِقِينَ بَاسْتِمَالَتِهِمْ وَتَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَإِلَّا فَلَمْ يِقَاتِلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُنَافِقًا قَطُّ (١).

ص: ٣٦٥

١ - ١). التَّحْرِيمُ ١-٩: بَحْثُ رَوَائِي حَوْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ»؛ فَضَائِلُ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ؛ حَالُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا نَسَبَ فَرْجِهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتِبَ عَلَيْهَا وَ كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)

بيان:

تتضمن الآيات الكريمة مثلين يمثل بهما الله سبحانه حال الكفار و المؤمنين في أن شقاء الكفار و هلاكهم إنما كان بخيانتهم لله و رسوله و كفرهم و لم ينفعهم اتصال بسبب الى الأنبياء المكرمين، و أن سعادة المؤمنين و فلاحهم إنما كان بإخلاصهم الإيمان بالله و رسوله و القنوت و حسن الطاعة و لم يضرهم اتصال بأعداء الله بسبب فإنما ملاك الكرامة عند الله التقوى.

يمثل الحال أولًا بحال امرأتين كانتا زوجين لنبين كريمين عدّهما الله سبحانه عبدين صالحين -و يا له من كرامه- فخانتاهما فامرتا بدخول النار مع الداخلين فلم ينفعهما زوجيتهما للنبين الكريمين شيئًا فهلكتا في ضمن الهالكين من غير أدنى تميز و كرامه.

و ثانيًا بحال امرأتين إحداهما امرأة فرعون الذي كانت منزلته في الكفر بالله أن نادى في

الناس فقال: أنا ربكم الأعلى، فأمنت بالله و أخلصت الإيمان فأنجاها الله و أدخلها الجنة و لم يضرها زوجها مثل فرعون شيئا، و ثانيتهما مريم ابنة عمران الصديقه القانته أكرمها الله بكرامته و نفخ فيها من روحه.

و فى التمثيل تعريض ظاهر شديد لزوجى النبى صلى الله عليه و آله و سلم حيث خانتاه فى إفشاء سرّه و تظاهرتا عليه و آذتاه بذلك، و خاصه من حيث التعبير بلفظ الكفر و الخيانه و ذكر الأمر بدخول النار.

قوله تعالى: **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا السُّخْرَى**، قال الراغب: الخيانه و النفاق واحد إلاّ أن الخيانه تقال اعتبارا بالعهد و الأمانه، و النفاق يقال اعتبارا بالدين ثم يتداخلان فالخيانه مخالفه الحق بنقض العهد فى السر و نقيض الخيانه الأمانه، يقال: خنت فلانا و خنت أمانه فلان. انتهى.

و قوله: **لِلَّذِينَ كَفَرُوا** إن كان متعلقا بالمثل كان المعنى: ضرب الله مثلا يمثل به حال الذين كفروا أنهم لا ينفعهم الاتصال بالعباد الصالحين، و إن كان متعلقا بضرب كان المعنى:

ضرب الله الامرأتين و ما انتهت اليه حالهما مثلا للذين كفروا ليعتبروا به و يعلموا أنهم لا ينفعهم الاتصال بالصالحين من عباده و أنهم بخيانتهم النبى صلى الله عليه و آله و سلم من أهل النار لا محاله.

و قوله: **امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ** مفعول «ضَرَبَ»، و المراد بكونهما تحتها زوجيتهما لهما.

و قوله: **فَلَمْ يُعْطِيَا مِنْهُمَا** مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ضمير الثنيه الاولى للعبدتين، و الثانيه للامرأتين، و المراد أنه لم ينفع المرأتين زوجيتهما للعبدتين الصالحين.

و قوله: **وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ** أى مع الداخلين فيها من قوميهما كما يلوح من قوله فى امرأه نوح: **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَ فَارَّ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ**

اثنین و أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ (هود ٤٠/)، و قوله فى امرأه لوط: فَأَسِيرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ (هود ٨١/)، أو المعنى مع الداخلين فيها من الكفار.

و فى التعبير بقيل بالبناء للمفعول، و إطلاق الداخلين إشاره الى هوان أمرهما و عدم كرامه لهما أصلاً فلم يبال بهما أين هلكتا.

قوله تعالى: وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ الخ؛ الكلام فى قوله: «لِلَّذِينَ آمَنُوا» كالكلام فى قوله:

«لِلَّذِينَ كَفَرُوا» .

و قوله: «إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» لخص سبحانه جميع ما كانت تبتغيه فى حياتها و ترومه فى مسير عبوديتها فى مسأله سألت ربها و ذلك أن الإيمان إذا كمل تواطأ الظاهر و الباطن و توافق القلب و اللسان فلا يقول الإنسان إلا ما يفعل و لا يفعل إلا ما يقول فيكون ما يرجوه أو يتمناه أو يسأله بلسانه هو الذى يريده كذلك بعمله.

فقوله: امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ اسمها على ما فى الروايه آسيه، و قوله: «إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» الجمع بين كون البيت المبنى لها عند الله و فى الجنة لكون الجنة دار القرب من الله و جوار رب العالمين كما قال تعالى: بَلْ أَحْلِيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ (آل عمران / ١٦٩).

على أن الحضور عنده تعالى و القرب منه كرامه معنويه و الاستقرار فى الجنة كرامه صوريه، و سؤال الجمع بينهما سؤال الجمع بين الكرامتين.

و قوله: وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ تَبَرُّ مِنْهَا و سؤال أن ينجيها الله من شخص فرعون و من عمله الذى تدعو ضروره المصاحبه و المعاشره الى الشركه فيه و التلبس به، و قيل: المراد بالعمل الجماع.

وقوله: وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ و هم قوم فرعون و هو تبرّ آخر و سؤال أن ينجيها الله من المجتمع العام كما أن الجملة السابقة كانت سؤال أن ينجيها من المجتمع الخاص.

قوله تعالى: وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا الخ؛ عطف على امرأه فرعون و التقدير و ضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم، الخ.

ضربها الله مثلا- باسمها و أثنى عليها و لم يذكر في كلامه تعالى امرأه باسمها غيرها ذكر اسمها في القرآن في بضع و ثلاثين موضعا في نيف و عشرين سورة.

و قوله: أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ثناء عليها على عفتها، و قد تكرر في القرآن ذكر ذلك و لعل ذلك بإزاء ما افتعله اليهود من البهتان عليها كما قال تعالى:

وَ قَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (النساء ١٥٦)، و في سورة الأنبياء في مثل القصة وَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا (الأنبياء ٩١).

و قوله: وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا أى بما تكلم به الله سبحانه من الوحي الى أنبيائه كما قيل، و قيل: المراد بها وعده تعالى و وعيده و أمره و نهيه، و فيه أنه يستلزم كون ذكر الكتب مستدركا.

و قوله: وَ كُتِبَ وَ هِيَ المشملة على شرائع الله المنزلة من السماء كالتوراه و الإنجيل كما هو مصطلح القرآن و لعل المراد من تصديقها كلمات ربها و كتبه كونها صديقه كما فى قوله تعالى: مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ (المائدة / ٧٥).

و قوله: وَ كَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ أى من القوم المطيعين لله الخاضعين له الدائمين عليه غلب فيه المذكر على المؤنث.

و يؤيد هذا المعنى كون القنوت بهذا المعنى واقعا فيما حكى الله من نداء الملائكة لها: يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (آل عمران ٤٣)، و قيل: يجوز أن يراد



بالقانتين رهطها و عشيرتها الذين كانت مريم منهم و كانوا أهل بيت صلاح و طاعه، و هو بعيد لما تقدم.

على أن المناسب لكون المثل تعريضا لزوجى النبى صلى الله عليه و آله و سلم أن يراد بالقانتين مطلق أهل الطاعه و الخضوع لله تعالى (1).

ص : ٣٧٠

---

١ - ١). التحريم ١٠-١٢: بحث روائى فى امرأه فرعون و جعلها الله مثلا للذين آمنوا؛ ايمان امرأه فرعون بموسى؛ كيفيه قتلها على يد فرعون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ  
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا - وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ  
تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا  
رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) وَاللَّذِينَ كَفَرُوا لَيُرْبَبْنَ مِنْهُمُ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا  
شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ (٧) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا  
وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا  
بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ  
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)

غرض السوره بيان عموم ربوبيته تعالى للعالمين تجاه قول الوثنيه إن لكل شطر من العالم ربا من الملائكه و غيرهم و إنه تعالى رب الأرباب فقط.

ولذا يعد سبحانه كثيرا من نعمه فى الخلق و التدبير- و هو فى معنى الاحتجاج على ربوبيته- و يفتح الكلام بباركه و هو كثره صدور البركات عنه، و يكرر توصيفه بالرحمن و هو مبالغه فى الرحمه التى هى العطيه قبال الاستدعاء فقرا و فيها إنذار ينتهى الى ذكر الحشر و البعث.

و تتلخص مضامين آياتها فى الدعوه الى توحيد الربوبيه و القول بالمعاد.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: **بَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تَبَارَكَ**

الشيء كثره صدور الخيرات و البركات عنه.

و قوله: الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ يشمل باطلاقه كل ملك، و جعل الملك في يده استعاره بالكنايه عن كمال تسلطه عليه و كونه متصرفا فيه كيف يشاء كما يتصرف ذو اليد فيما بيده و يقبله كيف يشاء فهو تعالى يملك بنفسه كل شيء من جميع جهاته، و يملك ما يملكه كل شيء.

فتوصيفه تعالى بالذي بيده الملك أوسع من توصيفه بالمليك في قوله: عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ (القمر، ٥٥)، و أصرح و أكد من توصيفه في قوله: لَهُ الْمُلْكُ (التغابن ١).

و قوله: وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إشاره الى كون قدرته غير محدوده بحد و لا منتهيه الى نهايه و هو لازم إطلاق الملك بحسب السياق، و إن كان إطلاق الملك و هو من صفات الفعل من لوازم إطلاق القدره و هي من صفات الذات.

و في الآية مع ذلك إيماء الى الحجه على إمكان ما سيأتي من أمر المعاد.

قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ الحياه كون الشيء بحيث يشعر و يريد، و الموت عدم ذلك لكن الموت على ما يظهر من تعليم القرآن انتقال من نشأه من نشأت الحياه الى نشأه اخرى كما تقدم استفاده ذلك من قوله تعالى: نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ - الى قوله - فِي مَآلِكِنَا لَا تَعْلَمُونَ (الواقعه ٦١)، فلا مانع من تعلق الخلق بالموت كالحياه.

على أنه لو أخذ عدميا كما عند العرف فهو عدم ملكه الحياه و له حظ من الوجود يصحح تعلق الخلق به كالعَمَى من البصر و الظلمه من النور.

و قوله: «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» غايه خلقه تعالى الموت و الحياه، و البلاء الامتحان و المراد أن خلقكم هذا النوع من الخلق و هو أنكم تحيون ثم تموتون خلق مقدمي امتحاني يمتاز به منكم من هو أحسن عملا من غيره و من المعلوم أن الامتحان و التمييز لا يكون إلا لأمر ما يستقبلكم بعد ذلك و هو جزاء كل بحسب عمله.

و فى الكلام مع ذلك إشاره الى أن المقصود بالذات من الخلقه هو إيصال الخير من الجزاء حيث ذكر حسن العمل و امتياز من جاء بأحسنه فالمحسنون عملا هم المقصودون بالخلقه و غيرهم مقصودون لأجلهم.

و قد ذيل الكلام بقوله: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ» فهو العزيز لأن الملك و القدره المطلقين له وحده فلا يغلبه غالب و ما أقدر أحدا على مخالفته إلا بلاء و امتحانا و سيئتم منهم و هو الغفور لأنه يعفو عن كثير من سيئاتهم فى الدنيا و سيغفر كثيرا منها فى الآخره كما وعد.

و فى التذييل بالاسمين مع ذلك تخويف و تطميع على ما يدعو الى ذلك سياق الدعوه.

قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا نَخًّا؛ أى مطابقه بعضها فوق بعض أو بعضها يشبه البعض -على ما احتمل- و قد مرّ فى تفسير حم السجده بعض ما يمكننا من القول فيها.

و قوله: مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ قَالَ الرَّاعِبُ: الفوت بعد الشىء عن الإنسان بحيث يتعذر إدراكه، قال تعالى: «وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ». قال: و التفاوت الاختلاف فى الأوصاف كأنه يفوت وصف أحدهما الآخر أو وصف كل واحد منهما الآخر، قال تعالى: «مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ» أى ليس فيها ما يخرج عن مقتضى الحكمة. انتهى.

فالمراد بنفى التفاوت اتصال التدبير و ارتباط الأشياء بعضها ببعض من حيث الغايات و المنافع المترتبه على تفاعل بعضها فى بعض، فاصطكاك الأسباب المختلفه فى الخلقه و تنازعها كتشاجر كفتى الميزان و تصارعهما بالثقل و الخفه و الارتفاع و الانخفاض فإنهما فى عين أنهما تختلفان تتفقان فى إعانه من بيده الميزان فيما يريد من تشخيص وزن السلعه الموزونه.

فقد رتب الله أجزاء الخلقه بحيث تؤدى الى مقاصدها من غير أن يفوت بعضها غرض

بعض أو يفوت من بعضها الوصف اللازم فيه لحصول الغايه المطلوبه.

و الخطاب فى «مَا تَرَى» خطاب عام لكل من يمكنه الرؤيه و فى إضافه الخلق الى الرحمن إشاره الى أن الغايه منه هى الرحمه العامه، و تنكير «تَفَاوُتٍ» و هو فى سياق النفى و إدخال «مِنْ» عليه لإفاده العموم.

و قوله: فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورِ الْفُطُورِ الاختلال و الوهى، و المراد بإرجاع البصر النظر ثانيا و هو كناية عن المدأقه فى النظر و الإمعان فيه.

قوله تعالى: ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ الخاسى من خساً البصر إذا انقبض عن مهانه كما قال الراغب، و قال أيضا:

الخاسر المعيا لانكشاف قواه، و يقال للمعيا: حاسر و محسور: أما الحاسر فتصور أنه بنفسه قد حسر قوته، و أما المحسور فتصور أن التعب قد حسره، و قوله عزّ و جل: «يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ» يصح أن يكون بمعنى حاسر و أن يكون بمعنى محسور. انتهى.

و قوله: كَرَّتَيْنِ الكَرّه الرجعه و المراد بالثنيه التكرير و التكرير، و المعنى: ثم ارجع البصر رجعه بعد رجعه أى رجعات كثيره ينقلب اليك البصر منقبضه مهينه و الحال أنه كليل معيا لم يجد فطورا.

فقد أشير فى الآيتين الى أن النظام الجارى فى الكون نظام واحد متصل الأجزاء مرتبط الأبعاض.

قوله تعالى: وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ؛ المصابيح جمع مصباح و هو السراج سَمَى الكواكب مصابيح لإنارتها و إضاءتها و قد تقدم كلام فى ذلك فى تفسير سوره حم السجده.

و قوله: وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ أَى و جعلنا الكواكب التى زَيَّنَّا بها السماء رجوما يرمم بها من استرق السمع من الشياطين كما قال تعالى: إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (الحجر ١٨)، وقال: إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (الصفات ١٠).

قيل: إن الجملة دليل أن المراد بالكواكب المزينة بها السماء مجموع الكواكب الأصلية و الشهب السماوية فإن الكواكب الأصلية لا تزول عن مستقرها و الكواكب و النجم يطلقان على الشهب كما يطلقان على الأجرام الأصلية.

وقيل: تنفصل من الكواكب شهب تكون رجوما للشياطين أما الكواكب أنفسها فليست تزول إلا أن يريد الله إفناءها.

و هذا الوجه أوفق للأنظار العلميه الحاضره، و قد تقدم بعض الكلام فى معنى رمى الشياطين بالشهب.

وقوله: وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ أى و هيأنا للشياطين و هم أشرار الجن عذاب النار المسعره المشتعله.

قوله تعالى: وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَ بُئْسَ الْمَصِيرُ لما أورد بعض آيات ربوبيته تعالى عقبها بالوعيد على من كفر بربوبيته على ما هو شأن هذه السوره من تداخل الحجج و الوعيد و الإنذار.

و المراد بالذين كفروا بربوبيته أعم من الوثنيين النافين لربوبيته لغير أربابهم القائلين بأنه تعالى رب الأرباب فقط، و النافين لها مطلقا و المثبتين لربوبيته مع التفريق بينه و بين رسله كاليهود و النصارى حيث آمنوا ببعض رسله و كفروا ببعض.

و الآيه مع ذلك متصله بقوله: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ» لما فيها من الإشاره الى البعث و الجزاء متصله بما قبلها كالتعميم بعد التخصيص.

قوله تعالى: إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَ هِيَ تَفُورٌ تَكَادُ تَمَيِّزُ مَنْ

الْغَيْظِ قَالَ الرَّاعِبُ: الشهيق طول الزفير و هو رد النفس و الزفير مده انتهى، و الفوران كما فى المجمع ارتفاع الغليان، و التميز: التقطع و التفرق، و الغيظ: شده الغضب، و المعنى: إذا طرح الكفار فى جهنم سمعوا لها شهيقاً- أى تجذبهم الى داخلها كما يجذب الهواء بالشهيق الى داخل الصدر- و هى تغلى بهم فترفعهم و تخفضهم تكاد تتلاشى من شده الغضب.

قوله تعالى: **كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ الْفُوجِ** - كما قاله الراغب- الجماعة الماره المسرعه، و فى قوله: **«كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ»** إشاره الى أن الكفار يلقون فى النار جماعه جماعه كما يشير اليه قوله: **وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا** (الزمر ٧١)، و إنما يلقون كذلك بلحوق التابعين لمتبوعهم فى الضلال كما قال تعالى:

**وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ** (الأنفال ٣٧)، و قد تقدم بعض توضيحه فى ذيل الآيه من سوره الأنفال.

و الخزنه جمع خازن و هو الحافظ على الشىء المدخر و المراد بهم الملائكه الموكلون على النار المدبرون لأنواع عذابها قال تعالى: **عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ** (التحریم ١٦)، و قال: **وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ** -الى أن قال- **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** و **مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً** (المدثر ٣١).

و المعنى: كلما طرح فى جهنم جماعه من جماعات الكفار المسوقين إليها سألهم الملائكه الموكلون على النار الحافظون لها- توبيخاً- ألم يأتكم نذير؟ و هو النبى المنذر.

قوله تعالى: **قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا** الى آخر الآيه؛ حكاية جوابهم لسؤال الخزنه، و فيه تصديق أنهم قد جاءهم نذير فنسبوه الى الكذب و اعتراف.

و قوله: **مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ بَيِّنٍ لِّتَكْذِيبِهِمْ**، و كذا قوله: **«إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ»** و قيل: قوله: **«إِنَّ أَنْتُمْ»** الخ؛ كلام الملائكه يخاطبون به الكفار بعد جوابهم عن سؤالهم بما أجابوا، و هو بعيد من السياق، و كذا احتمال كونه من كلام الرسل الذين كذبوهم تحكيه



الملائكة لا أولئك الكفار.

قوله تعالى: وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ يطلق السمع و يراد به إدراك الصوت و القول بالجارحه و ربما يراد به ما هو الغايه منه عند العقلاء و هو الالتزام بمقتضاه من الفعل و الترك، و يطلق العقل على تمييز الخير من الشر و النافع من الضار، و ربما يراد به ما هو الغايه منه و هو الالتزام بمقتضاه من طلب الخير و النافع و اجتناب الشر و الضر، قال تعالى: لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ (الأعراف ١٧٩).

و أكثر ما ينتفع بالسمع عامه الناس لقصورهم عن تعقل دقائق الامور و إدراك حقيقتها و الاهتداء الى مصالحها و مفاسدها و إنما ينتفع بالعقل الخاصه.

فقوله: لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ أريد بالسمع استجابته دعوه الرسل و الالتزام بمقتضى قولهم و هم النصحاء الامناء، و بالعقل الالتزام بمقتضى ما يدعون اليه من الحق بتعقله و الاهتداء العقلى الى أن حق و من الواجب أن يخضع الإنسان للحق.

و إنما قدم السمع على العقل لأن استعماله من شأن عامه الناس و هم الأكثرون و العقل شأن الخاصه و هم آحاد قليلون.

و المعنى: لو كنا فى الدنيا نطيع الرسل فى نصائحهم و مواعظهم أو عقلنا حجه الحق ما كنا اليوم فى أصحاب السعير و هم مصاحبو النار المخلدون فيها.

و قيل: إنما جمع بين السمع و العقل لأن مدار التكليف على أدله السمع و العقل.

قوله تعالى: فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ كانوا إنما قالوا: «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ» نداهه على ما فرطوا فى جنب الله و قوتوا على أنفسهم من الخير فاعترفوا بأن ما أتوا به كان تبعته دخول النار و كان عليهم أن لا يأتوا به، و هذا هو الذنب فقد اعترفوا بذنبهم.

و إنما أفرد الذنب بناء على إرادته معنى المصدر منه و هو فى الأصل مصدر.

و قوله: فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ السحق تفتيت الشىء كما ذكره الراغب و هو دعاء عليهم.

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ لما ذكر حال الكفار و ما يجازون به على كفرهم قابله بحال المؤمنين بالغيب لتمام التقسيم و ذكر من وصفهم الخشيه لأن المقام مقام الإنذار و الوعيد.

و عدّ خشيتهم خشيه بالغيب لكون ما آمنوا به محجوبا عنهم تحت حجب الغيب.

قوله تعالى: وَ أَسْرُؤًا قَوْلِكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ رفع شبهه يمكن أن تختلج فى قلوبهم مبنيه على الاستبعاد و ذلك أنه تعالى ساق الكلام فى بيان ربوبيته لكل شىء المستتبعه للبعث و الجزاء و ذكر ملكه و قدرته المطلقين و خلقه و تدبيره و لم يذكر علمه المحيط بهم و بأحوالهم و أعمالهم و هو مما لا يتم البعث و الجزاء بدونه.

و كان من الممكن أن يتوهموا أن الأعمال على كثرتها الخارجه عن الإحصاء لا يتأتى ضبطها و خاصه ما تكنه الصدور منها فإن الإنسان يقيس الأشياء بنفسه و يزنها بزنه نفسه و هو غير قادر على إحصاء جزئيات الأعمال التى هى حركات مختلفه متقضيه و خاصه أعمال القلوب المستكنه فى زواياها.

فدفعه بأن إظهار القول و إخفائه سواء بالنسبه اليه تعالى فإنه عليم بذات الصدور، و السياق يشهد أن المراد استواء خفايا الأعمال و جلاياها بالنسبه اليه، و إنما ذكر إسرار القول و جهره من حيث ظهور معنى الخفاء و الظهور فيه بالجهر و الإسرار.

قوله تعالى: أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ استفهام إنكارى مأخوذ حجه على علمه تعالى بأعمال الخلق ظاهرها و باطنها و سرها و جهرها و ذلك أن أعمال الخلق- و من جملتها أعمال الإنسان الاختياريه- و إن نسبت الى فواعلها لكن الله

سبحانه هو الذى يريدها و يوجد لها من طريق اختيار الإنسان و اقتضاء سائر الأسباب فهو الخالق لأعيان الأشياء و المقدر لها آثارها كيفما كانت و الرابط بينها و بين آثارها الموصل لها الى آثارها، قال تعالى: **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** (الزمر ٦٢)، و قال: **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَ الَّذِي قَدَّرَ فَنَهَدِيَ** (الأعلى ٣)، فهو سبحانه محيط بعين من خلقه و أثره و من أثره أعماله الظاهره و الباطنه و ما أسره و ما جهر به و كيف يحيط به و لا يعلمه.

و فى الآيه إشارة الى أن أحوال الأشياء و أعمالها غير خارجه عن خلقها لأنه تعالى استدل بعلمه بمن خلق على علمه بخصوصيات أحواله و أعماله و لو لا كون الأحوال و الأعمال غير خارجه عن وجود موضوعاتها لم يتم الاستدلال.

على أن الأحوال و الأعمال من مقتضيات موضوعاتها و الذى ينتسب اليه وجود الشيء ينتسب اليه آثار وجوده.

و قوله: **وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** أى النافذ فى بواطن الأشياء المطلع على جزئيات وجودها و آثارها، و الجملة حاله تعلل ما قبلها و الاسمان الكريمان من الأسماء الحسنى ذيلت بهما الآيه لتأكيد مضمونها.

### [سورة الملك (٦٧): الآيات ١٥ الى ٢٢]

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَ كُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَمْنتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمنتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَيَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَ يَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمْنَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُم يَنْصِيرُكُمْ مَن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمْنَ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ (٢١) أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)

قوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ الذلول من المراكب ما يسهل ركوبه من غير أن يضطرب و يجمع و المناكب جمع منكب و هو مجتمع ما بين العضد و الكتف و استعير لسطح الأرض، قال الراغب: و استعارته للأرض كاستعاره الظهر لها في قوله: «مَا تَرَكَ عَلَيَّ ظَهْرَهَا مِنْ دَابَّةٍ» و تسميه الأرض ذلولا و جعل ظهورها مناكب لها يستقر عليها و يمشى فيها باعتبار انقيادها لأنواع التصرفات الإنسانية من غير امتناع، و قد وجّه كونها ذلولا ذا مناكب بوجوه مختلفه تؤل جميعها الى ما ذكرنا.

و الأمر في قوله: «وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ» للإباحه و النشور و النشر إحياء الميت بعد موته و أصله

من نشر الصحيفة و الثوب إذا بسطهما بعد طيهما.

و المعنى: هو الذى جعل الأرض مطاوعه منقادته لكم يمكنكم أن تستقروا على ظهورها و تمشوا فيها تأكلون من رزقه الذى قدره لكم بأنواع الطلب و التصرف فيها.

و قوله: وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ أى و يرجع اليه نشر الأموات بإخراجهم من الأرض و إحيائهم للحساب و الجزاء، و اختصاص رجوع النشر به كناية عن اختصاص الحكم بالنشور به و الإحياء يوم القيامة فهو ربكم المدبّر لأمر حياتكم الدنيا بالإقرار على الأرض و الهدايه الى مآرب الحياه، و له الحكم بالنشور للحساب و الجزاء.

و فى عدّ الأرض فلو لا و البشر على مناكبها تلويح ظاهر الى ما أدت اليه الأبحاث العلميه أخيرا من كون الأرض كره سيّاره.

قوله تعالى: أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ إندار و تخويف بعد إقامه الحججه و توبيخ على مساهلتهم فى أمر الربوبيه و إهمالهم أمر الشكر على نعم ربهم بالخضوع لربوبيته و رفض ما اختلقوه من الأنداد.

و المراد بمن فى السماء الملائكه المقيمون فيها الموكلون على حوادث الكون و إرجاع ضمير الأفراد الى «مَنْ» باعتبار لفظه و خسف الأرض بقوم كذا شقها و تغييبهم فى بطنها و المور على ما فى المجمع التردد فى الذهاب و المجرى مثل الموج.

و المعنى: أَمْ أَمِنْتُمْ فى كفركم بربوبيته تعالى الملائكه المقيمين فى السماء الموكلين بامور العالم أن يشقوا الأرض و يغيّبواكم فيها بأمر الله فإذا الأرض تضطرب ذهابا و مجيئا بزلزالها.

قوله تعالى: أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ الحاصب الريح التى تأتي بالحصاه و الحجاره، و المعنى: أَمْ أَمِنْتُمْ من فى السماء أن يرسل عليكم ريحا ذات حصاه و حجاره كما أرسلها على قوم لوط قال تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ (القمر ٣٤).

و قوله: فَسَيَتَعَلَّمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ النذير مصدر بمعنى الإنذار و الجملة متفرعه على ما يفهم من سابق الكلام من كفرهم بربوبيته تعالى و أمنهم من عذابه و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ المراد بالنكير العقوبه و تغيير النعمه أو الإنكار، و الآيه كالشاهد يستشهد به على صدق ما فى قوله:

«فَسَتَعَلَّمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ» من الوعيد و التهديد.

و المعنى: و لقد كذب الذين من قبلهم من الامم الهالكه رسلى و جحدوا بربوبيتى فكيف كان عقوبتى و تغييرى النعمه عليهم أو كيف كان إنكارى ذلك عليهم حيث أهلكتهم و استأصلتهم.

قوله تعالى: أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ المراد بكون الطير فوقهم طيرانه فى الهواء، و صفيف الطير بسطه جناحه حال الطيران و قبضه قبض جناحه حاله، و الجمع فى «صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ» لكون المراد بالطير استغراق الجنس.

و قوله: مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ كالجواب لسؤال مقدر كأن سائلا يسأل فيقول: ما هو المراد بالافات نظرهم الى صفيف الطير و قبضه فوقهم؟ فاجيب بقوله: «مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ».

و قرار الطير حال الطيران فى الهواء من غير سقوط و إن كان مستندا الى أسباب طبيعیه كقرار الإنسان على بسيط الأرض و السمك فى الماء و سائر الامور الطبيعیه المستنده الى علل طبيعیه تنتهى اليه تعالى لكن لما كان بعض الحوادث غير ظاهر السبب للإنسان فى بادية النظر سهل له إذا نظر اليه أن ينتقل الى أن الله سبحانه هو السبب الأعلى الذى ينتهى اليه حدوثه و وجوده، و لذا نبههم الله سبحانه فى كلامه بإرجاع نظرهم إليها و دلالتهم على وحدانيته فى الربوبية.

وقد ورد في كلامه تعالى شيء كثير من هذا القبيل كإمساك السماوات بغير عمد وإمساك الأرض وحفظ السفن على الماء واختلاف الأثمار والألوان والألسنة وغيرها مما كان سببه الطبيعي القريب خفيا في الجملة يسهل للذهن الساذج الانتقال الى استناده اليه تعالى ثم إذا تنبه لوجود أسبابه القريبه بنوع من المجاهده الفكرية وجد الحاجه بعينها في أسبابه حتى تنتهي اليه تعالى وأن الي ربك المنتهى.

قوله تعالى: «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ تَوَيْخٍ وَتَفْرِيعٍ لَّهُمْ فِي اتِّخَاذِهِمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ لِيَنْصُرُوهُمْ وَلِذَا تَنَفَّتْ عَنِ الْغَيْبِ إِلَى الْخَطَابِ فَخَاطَبَهُمْ لِيَشْتَدَّ عَلَيْهِمُ التَّفْرِيعُ.

وقوله: «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي» الخ؛ معناه بل من الذي يشار اليه فيقال: هذا جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن أرادكم بسوء أو عذاب؟ فليس دون الله من ينصركم عليه، وفيه إشارة الى خطئهم في اتخاذ بعض خلق الله آلهة لينصروهم في النوائب وهم مملوكون لله لا يملكون لأنفسهم نفعا و ضرا ولا لغيرهم.

و إذ لم يكن لهم جواب أجاب تعالى بقوله: «إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» أي أحاط بهم الغرور و غشيتهم فخيّل اليهم ما يدعون من ألوهية آلهتهم.

قوله تعالى: «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ» أي بل من الذي يشار اليه بأن هذا هو الذي يرزقكم إن أمسك الله رزقه فينوب مقامه فيرزقكم؟ ثم أجاب سبحانه بقوله: «بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ» أي إن الحق قد تبين لهم لكنهم لا يخضعون للحق بتصديقه ثم اتباعه بل تمادوا في ابتعادهم من الحق و نفورهم منه، و لجوا في ذلك.

قوله تعالى: «أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ إِكْبَابِ الشَّيْءِ عَلَى وَجْهِهِ إِسْقَاظُهُ عَلَيْهِ، وَ قَالَ فِي الْكَشَافِ: مَعْنَى

أكب دخل في الكب و صار ذا كب.

استفهام إنكارى عن استواء الحالين تعريضا لهم بعد ضرب حجاب الغيبه عليهم و تحريمهم من تشریف الحضور و الخطاب بعد استقرار اللجاج فيهم، و المراد أنهم بلجاجهم فى عتو عجيب و نفور من الحق كمن يسلك سبيلا و هو مكب على وجه لا يرى ما فى الطريق من ارتفاع و انخفاض و مزالق و معائر فليس هذا السائر كمن يمشى سويا على صراط مستقيم فىرى موضع قدمه و ما يواجهه من الطريق على استقامه، و ما يقصده من الغايه و هؤلاء الكفار سائرون سبيل الحياه و هم يعاندون الحق على علم به فيغمضون عن معرفه ما عليهم أن يعرفوه و العمل بما عليهم أن يعملوا به و لا يخضعون للحق حتى يكونوا على بصيره من الأمر و يسلكوا سبيل الحياه و هم مستون على صراط مستقيم فإمّنوا الهلاك.

و قد ظهر أن ما فى الآيه مثل عام يمثل حال الكافر الجاهل اللجوج المتمادى على جهله و المؤمن المستبصر الباحث عن الحق.

### [سوره الملك (٦٧): الآيات ٢٣ الى ٣٠]

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ قِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَ مَيَّنَ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنِي فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَيَتَعَلَّمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠)

ص: ٣٨٥



قوله تعالى: قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ الإنشاء إحداث الشيء ابتداء و تربيته.

ما في ذيل الآيه من لحن العتاب في قوله: «قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ» و قد تكرر نظيره في غير موضع من كلامه كما في سورة المؤمنون (١) و الم السجده (٢) يدل على أن إنشاءه تعالى الإنسان و تجهيزه بجهاز الحس و الفكر من أعظم نعمه تعالى التي لا يقدر قدرها.

و ليس المراد بإنشائه مجرد خلقه كيفما كان بل خلقه و إحداثه من دون سابقه في مادته كما أشار اليه في قوله يصف خلقه طوراً بعد طور: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً - الى أن قال - ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ (المؤمنون ١٤)، فصيوره المضغه إنساناً سمياً بصيراً متفكراً بتركيب النفس الإنسانية عليها خلق آخر لا يسانخ أنواع الخلقه الماديه الوارده على ماده الإنسان من أخذها من الأرض ثم جعلها نطفه ثم علقه ثم مضغه فإنما هي أطوار ماديه متعاقبه بخلاف صيرورتها إنساناً ذا شعور فلا سابقه لها تماثلها أو تشابهها فهو الإنشاء.

ص: ٣٨٦

١ - ١. الآيه ٧٨.

٢ - ٢. الآيه ٩.

و مثله قوله: وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (الروم ٢٠) (انظر الى موضع إذا الفجائية).

فقوله: هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ إشاره الى خلق الإنسان.

و قوله: وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ إشاره الى تجهيزه بجهاز الحس و الفكر، و الجعل إنشائي كجعل نفس الإنسان كما يشير اليه قوله: وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (المؤمنون ٧٨).

و قوله: قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ أى تشكرون قليلا على هذه النعمه-أو النعم- العظمى فما زائده و قليلا مفعول مطلق تقديره تشكرون شكرا قليلا، و قيل: ما مصدرية و المعنى: قليلا شكركم.

قوله تعالى: قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ الذرة الخلق و المراد بذريئهم فى الأرض خلقهم متعلقين بالأرض فلا يتم لهم كمالهم إلا بأعمال متعلقه بالماده الأرضيه بما زينها الله تعالى بما تنجذب اليه النفس الإنسانيه فى حياتها المعجله ليمتاز به الصالح من الطالح قال تعالى: إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لئبلوهم أئهم أحسن عملا و إنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (الكهف ٨).

و قوله: وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ إشاره الى البعث و الجزاء و وعد جازم.

قوله تعالى: وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ المراد بهذا الوعد الحشر الموعود، و هو استعجال منهم استهزاء.

قوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ جواب عن قولهم:

«مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» الخ؛ و محصله أن العلم به عند الله لا يعلم به إلا هو كما قال: لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ (الأعراف ١٨٧)، و ليس لى إلا أنى نذير مبين أمرت أن أخبركم أنكم اليه تحشرون و أما أنه متى هو فليس لى بذلك علم.

هذا على ما يفيد وقوع الآية في سياق الجواب عن السؤال عن وقت الحشر، وعلى هذا تكون اللام في العلم للعهد، والمراد العلم بوقت الحشر، وأما لو كانت للجنس على ما تفيده جملة «إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ» في نفسها فالمعنى: إنما حقيقه العلم عند الله ولا يحاط بشيء منه إلا بإذنه كما قال: «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ» (البقره ٢٥٥/٢)، ولم يشأن أن أعلم من ذلك إلا أنه سيقع و أنذرهم به و أما أنه متى يقع فلا علم لى به.

قوله تعالى: فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا الخ؛ الزلفه القرب و المراد به القريب أو هو من باب زيد عدل، و ضمير «رَأَوْهُ» للوعد و قيل للعذاب و المعنى:

فلما رأوا الوعد المذكور قريبا قد أشرف عليهم ساء ذلك وجوه الذين كفروا به فظهر في سيماهم أثر الخيبة و الخسران.

و قوله: وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ قِيلَ تَدَّعُونَ و تَدَّعُونَ بمعنى واحد كتدخرون و تدخرون و المعنى: و قيل لهم: هذا هو الوعد الذى كنتم تسألونه و تستعجلون به بقولكم: متى هذا الوعد، و ظاهر السياق أن القائل هم الملائكة بأمر من الله، و قيل القائل من الكفار يقوله بعضهم لبعض.

قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَ مَن مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ «إِنْ» شرطيه شرطها قوله: «أَهْلَكْنِي اللَّهُ» و جزاؤها قوله:

«فَمَنْ يُجِيرُ» الخ؛ و المعنى: قل لهم أخبروني إن أهلكنى الله و من معى من المؤمنين أو رحمنا فلم يهلكنا فمن الذى يجير و يعيد الكافرين - و هم أنتم كفرتم بالله فاستحققتهم أليم العذاب - من عذاب أليم يهددهم تهديدا قاطعا أى إن هلاكى و من معى و بقاؤنا برحمه ربي لا ينفعكم شيئا فى العذاب الذى سيصيبكم قطعا بكفركم بالله.

قيل: إن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و على المؤمنين بالهلاك فأمر صلى الله عليه و آله و سلم و على المؤمنين بالهلاك فأمر صلى الله عليه و آله و سلم أن يقول لهم إن أهلكنا الله تعالى أو أبقانا فأمرنا الى الله

و نرجو الخير من رحمته و أما أنتم فما تصنعون؟ من يجيركم من أليم العذاب على كفركم بالله؟

قوله تعالى: قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَيَتَعَلَّمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ الضمير للذى يدعو الى توحيده و هم يدعونه عليه، و المعنى: قل الذى أدعوكم الى توحيده و تدعونه على و على من معى هو الرحمن الذى عمت نعمته كل شىء آمنابه و على توكلنا من غير أن نميل و نعتمد على شىء دونه فستعلمون أيها الكفار من هو فى ضلال مبين؟ نحن أم أنتم؟

قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ الغور ذهاب الماء و نضوبه فى الأرض و المراد به الغائر، و المعين الظاهر الجارى من الماء، و المعنى: أخبرونى إن صار ماؤكم غائرا ناضبا فى الأرض فمن يأتىكم بماء ظاهر جار.

و هناك روايات تطبّق الآيات على ولايه على عليه السلام و محادثته، و هى من الجرى و ليست بمفسّره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٌ (٤) فَسْتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ  
 بِالْمُهْتَدِينَ (٧) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَ دُوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَ لَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنَمِيمٍ (١١) مَنَاعٍ  
 لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ بَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ  
 عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦) إِذَا بَلَغْنَا هُمْ كَمَا بَلَغْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْرِمِينَ (١٧) وَ لَا يَسْتَشْتُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا  
 طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَ هُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْرَبَتْ كَالَّذِينَ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادُوا مُصْرِمِينَ (٢١) أَنْ أَعْدُوا عَلَيَّ حَرْبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
 (٢٢) فَانطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسِيرِينَ (٢٤) وَ عَدُوا عَلَيَّ حَزْدِ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا  
 لَضَالُونَ (٢٦) نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَيْطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩)  
 فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضٌ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢)  
 كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)



السورة تعزى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إثر ما رماه المشركون بالجنوب و تطيب نفسه بالوعد الجميل و الشكر على خلقه العظيم و تنهاه نهيا بالغاً عن طاعتهم و مداهنتهم، و تأمره أمراً أكيداً بالصبر لحكم ربه.

و سياق آياتها على الجملة سياق مكى، و نقل عن ابن عباس و قتاده أن صدرها الى قوله:

سنسمه على الخرطوم-سته عشره آيه-مكى، و ما بعده الى قوله: لو كانوا يعلمون-سبع عشره آيه-مدنى، و ما بعده الى قوله: يكتبون-خمس عشره آيه-مكى، و ما بعده الى آخر السورة-أربع آيات-مدنى.

و لا يخلو من وجه بالنسبه الى الآيات السبع عشره «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ -الى قوله- لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» فإنها أشبه بالمدنيه منها بالمكيه.

قوله تعالى: ن تقدم الكلام فى الحروف المقطعه التى فى أوائل السور فى تفسير سوره الشورى.

قوله تعالى: وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَشِطُّونَ القلم معروف، و السطر بالفتح فالسكون و ربما يستعمل بفتحتين -كما فى المفردات-الصف من الكتابه، و من الشجر المغروس و من القوم الوقوف و سطر فلان كذا كتب سطر سطرًا.

أقسم سبحانه بالقلم و ما يسطرون به و ظاهر السياق أن المراد بذلك مطلق القلم و مطلق ما يسطرون به و هو المكتوب فإن القلم و ما يسطر به من الكتابه من أعظم النعم الإلهيه التي اهتدى إليها الإنسان يتلو الكلام فى ضبط الحوادث الغائبه عن الأنظار و المعانى المستكنه فى الضمائر، و به يتيسر للإنسان أن يستحضر كل ما ضرب مرور الزمان أو بعد المكان دونه حجاباً.

و قد امتنَّ اللهُ سبحانه على الإنسان بهدايته اليهما و تعليمهما له فقال فى الكلام: خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (الرحمن ٤/٤)، و قال فى القلم: عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (العلق ٥/٥).

فإقسامه تعالى بالقلم و ما يسطرون إقساماً بالنعمه، و قد أقسم تعالى فى كلامه بكثير من خلقه بما أنه رحمه و نعمه كالسما و الأرض و الشمس و القمر و الليل و النهار الى غير ذلك حتى التين و الزيتون.

قوله تعالى: ﴿مَّا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ مقسم عليه و الخطاب للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و الباء فى «بِنِعْمَةِ» للسببيه أو المصاحبه أى ما أنت بمجنون بسبب النعمه-أو مع النعمه-التي أنعمها عليك ربك.

و السياق يؤيد أن المراد بهذه النعمه النبوه فإن دليل النبوه يدفع عن النبي كل اختلال عقلى حتى تستقيم الهدايه الإلهيه اللازمه فى نظام الحياه الإنسانيه، و الآيه ترد ما رموه به من الجنون كما يحكى عنهم فى آخر السوره «وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ» .

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ الممنون من المن بمعنى القطع يقال: منته السير منا إذا قطعه و أضعفه لا من المنه بمعنى تثقيل النعمه قولاً.

و المراد بالأجر أجر الرساله عند الله سبحانه، و فيه تطيب لنفس النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أن له على تحمل رساله الله أجراً غير مقطوع و ليس يذهب سدى.



قوله تعالى: وَ إِنَّكَ لَعَلِّي خُلِقَ عَظِيمٍ الخلق هو الملكة النفسانية التي تصدر عنها الأفعال بسهولة و ينقسم الى الفضيله و هى الممدوحه كالعفه و الشجاعه، و الرذيله و هى المذمومه كالشره و الجبن لكنه إذا أطلق فهم منه الخلق الحسن.

قال الراغب: و الخلق -بفتح الخاء- و الخلق -بضم الخاء- فى الأصل واحد كالشرب و الشرب و الصرم و الصرم لكن خصّ الخلق -بالفتح- بالهيات و الأشكال و الصور المدركه بالبصر، و خص الخلق -بالضم- بالقوى و السجاياء المدركه بالبصيره قال تعالى: «وَ إِنَّكَ لَعَلِّي خُلِقَ عَظِيمٍ» انتهى.

و الآيه و إن كانت فى نفسها تمدح حسن خلقه صلى الله عليه و آله و سلم و تعظمه غير أنها بالنظر الى خصوص السياق ناظره الى أخلاقه الجميله الاجتماعيه المتعلقة بالمعاشره كالثبات على الحق و الصبر على أذى الناس و جفاء أجلافهم و العفو و الإغماض و سعه البذل و الرفق و المداراه و التواضع و غير ذلك، و قد أوردنا فى آخر الجزء السادس من الكتاب ما روى فى جوامع أخلاقه صلى الله عليه و آله و سلم.

قوله تعالى: فَسْتُبَصِّرُوا وَ يُبَصِّرُوكُمْ بِأَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ تقرّيع على محصل ما تقدم أى فإذا لم تكن مجنوناً بل متلبساً بالنبوه و متخلقاً بالخلق و لك عظيم الأجر من ربك فسيظهر أمر دعوتك و ينكشف على الأبصار و البصائر من المفتون بالجنون أنت أو المكذبون الرامون لك بالجنون.

و قيل: المراد ظهور عاقبه أمر الدعوه له و لهم فى الدنيا أو فى الآخرة؟ الآيه تقبل الحمل على كل منها. و لكل قائل، و لا مانع من الجمع فإن الله تعالى أظهر نبيه عليهم و دينه على دينهم، و رفع ذكره صلى الله عليه و آله و سلم و محاثهم فى الدنيا و سيدوقون وبال أمرهم غدا و يعلمون (1) أن الله

ص: ٣٩٤

هو الحق المبين يوم هم (١) على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون.

وقوله: بِأَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ الباء زائده للصله، و المفتون اسم مفعول من الفتنه بمعنى الابتلاء يريد به المبتلى بالجنون و فقدان العقل، و المعنى: فستبصر و يبصرون أيكم المفتون المبتلى بالجنون؟ أنت أم هم؟

وقيل: المفتون مصدر على زنه مفعول كمعقول و ميسور و معسور فى قولهم: ليس له معقول، و خذ ميسوره، و دع معسوره، و الباء فى «بأيكم» بمعنى فى و المعنى: فستبصر و يبصرون فى أى الفريقين الفتنه.

قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ لما أفيد بما تقدم من القول أن هناك ضلالا و اهتداء، و أشير الى أن الرامين للنبي صلى الله عليه و آله و سلم بالجنون هم المفتونون الضالون و سيظهر أمرهم و أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم مهتد و كان ذلك بيان من الله سبحانه أكد ذلك بأن الله أعلم بمن ضلّ عن سبيله و هو أعلم بالمهتدين لأن سبيله و هو أعلم بمن هو فى سبيله و من ليس فيه و اليه أمر الهدايه.

قوله تعالى: فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ تفریع على المحصل من معنى الآيات السابقه و فى المكذبين معنى العهد و المراد بالطاعه مطلق الموافقه عملا أو قولاً، و المعنى: فإذا كان هؤلاء المكذبون لك مفتونين ضالين فلا تطعهم.

قوله تعالى: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ الإدهان من الدهن يراد به التلین أى ودّ و أحبّ هؤلاء المكذبون أن تلینهم بالاقتراب منهم فى دينك فيلینوك بالاقتراب منك فى دينهم، و محصله أنهم ودّوا أن تصالحهم و يصالحوك على أن يتسامح كل منكم بعض المسامحه فى دين الآخر كما قيل: إنهم عرضوا عليه أن يكفّ عن ذكر آلهتهم فيكفّوا عنه و عن ربه.

ص: ٣٩٥

و بما تقدم ظهر أن متعلق مودتهم مجموع «لَوْ تَدَهْنُ فَيَدَهْنُونَ» و أن الفاء في «فَيَدَهْنُونَ» للتفريع لا للسببيه.

قوله تعالى: وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلِيفٍ مَهِينٍ -الى قوله- زَنِيمِ الحَلِيفِ كثير الحلف، و لازم كثره الحلف و الإقسام في كل يسير و خطير و حق و باطل أن لا- يحترم الحالف شيئا مما يقسم به، و إذا كان حلفه بالله فهو لا يستشعر عظمه الله عز اسمه و كفى به رذيله.

و المهين من المهانه بمعنى الحقاره و المراد به حقاره الرأى، و قيل: هو المكثار في الشر، و قيل: هو الكذاب.

و الهُمّاز مبالغه من الهمز و المراد به العتاب و الطعان، و قيل: الطعان بالعين و الإشاره و قيل: كثير الاغتياب.

و المشاء بنميم النميم: السعايه و الإفساد، و المشاء به هو نقال الحديث من قوم الى قوم على وجه الإفساد بينهم. و المناع للخير كثير المنع لفعل الخير أو للخير الذى ينال أهله.

و المعتدى من الاعتداء و هو المجاوزه للحدّ ظلما.

و الأثيم هو الذى كثر إثمه حتى استقر فيه من غير زوال و الإثم هو العمل السيئ الذى يبطل الخير.

و العتلّ بضمّتين هو الفظ الغليظ الطبع، و فسير بالفاحش السيئ الخلق، و بالجافى الشديد الخصومه بالباطل، و بالأكول المنوع للغير، و بالذى يعتلّ الناس و يجزّهم الى حبس أو عذاب.

و الزنيم هو الذى لا أصل له، و قيل: هو الدعى الملحق بقوم و ليس منهم، و قيل: هو المعروف باللؤم، و قيل: هو الذى له علامه فى الشر يعرف بها و إذا ذكر الشر سبق هو الى الذهن، و المعانى متقاربه.

فهذه صفات تسع رذيله وصف الله بها بعض أعداء الدين ممن كان يدعو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالمَدَاهِنَةِ، وَهِيَ جَمَاعَةُ الرِّذَائِلِ.

وَ قَوْلُهُ: **عُتِلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ** مَعْنَاهُ أَنَّهُ بَعْدَ مَا ذَكَرَ مِنْ مِثَالِهِ وَ رِذَائِلِهِ عَتِلَ زَنِيمٌ قِيلَ: وَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ هَاتَيْنِ الرِّذِيلَتَيْنِ أَشَدُّ مَعَايِبِهِ. وَ الظَّاهِرُ أَنَّ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ لَهُ خِبَائِثَ مِنَ الصِّفَاتِ لَا يَنْبَغِي مَعَهَا أَنْ يَطَاعَ فِي أَمْرِ الْحَقِّ وَ لَوْ أَغْمَضَ عَنِ تِلْكَ الصِّفَاتِ فَإِنَّهُ فَظٌّ خَشِنُ الطَّبَعِ لَا أَصْلَ لَهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْأَ بِمِثْلِهِ فِي مَجْتَمَعٍ بَشَرِيٍّ فَلْيَطْرُدْ وَ لَا يَطْعَ فِي قَوْلٍ وَ لَا يَتَّبِعْ فِي فِعْلٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ بَيْنَ الظَّاهِرِ أَنَّهُ بِتَقْدِيرِ لَامِ التَّعْلِيلِ وَ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلِ مُحْصَلٍ مِنْ مَجْمُوعِ الصِّفَاتِ الرِّذِيلَةِ الْمَذْكُورَةِ** أَيْ هُوَ يَفْعَلُ كَذَا وَ كَذَا لِأَنَّ كَانَ ذَا مَالٍ وَ بَيْنَ فَبَطَرَ بِذَلِكَ وَ كَفَرَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَ تَلَبَّسَ بِكُلِّ رِذِيلَةٍ خَبِيْثَةٍ بِدَلِّ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ وَ يَصْلِحَ نَفْسَهُ، فَالآيَةُ فِي إِفَادَةِ الدَّمِ وَ التَّهْكِمِ تَجْرِي مَجْرَى قَوْلِهِ: **«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَيَّجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ»**.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** الْأَسَاطِيرُ جَمْعُ اسْطُورَةٍ وَ هِيَ الْقِصَّةُ الْخَرَّافِيَّةُ، وَ الْآيَةُ تَجْرِي مَجْرَى التَّعْلِيلِ لِقَوْلِهِ السَّابِقِ: **«لَا تُطْع»**.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **سَنَسِيْمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ الوَسْمِ وَ السَّمِ وَ وَضَعَ الْعِلَامَةَ، وَ الْخُرْطُومُ الْأَنْفُ، وَ قِيلَ: إِنْ فِي إِطْلَاقِ الْخُرْطُومِ عَلَى أَنْفِهِ وَ إِنَّمَا يَطْلُقُ فِي الْفِيلِ وَ الْخَنْزِيرِ تَهْكِمًا، وَ فِي الْآيَةِ وَعِيدٌ عَلَى عِدَاوَتِهِ الشَّدِيدَةِ لِلَّهِ وَ رِسُولِهِ وَ مَا نَزَّلَهُ عَلَى رِسُولِهِ.**

وَ الظَّاهِرُ أَنَّ الْوَسْمَ عَلَى الْأَنْفِ أُرِيدَ بِهِ نَهَائِهِ إِذْ لَالَهُ بِذَلِكَ ظَاهِرُهُ يَعْرِفُهُ بِهَا كُلُّ مَنْ رَأَاهُ فَإِنَّ الْأَنْفَ مِمَّا يَظْهَرُ فِيهِ الْعِزَّةُ وَ الذَّلَّةُ كَمَا يُقَالُ: شَمَخَ فُلَانٌ بِأَنْفِهِ وَ حَمَى فُلَانٌ أَنْفَهُ وَ أَرْغَمَتْ أَنْفَهُ وَ جَدَعَ أَنْفَهُ.

وَ الظَّاهِرُ أَنَّ الْوَسْمَ عَلَى الْخُرْطُومِ مِمَّا سَيَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا فِي الدُّنْيَا وَ إِنْ تَكَلَّفَ بَعْضُهُمْ فِي

توجيه حمله على فضاحته فى الدنيا.

قوله تعالى: **إِذَا بَلَؤْنَا أُمَّمَنَا أَصِيحَابَ الْجَنَّةِ** -الى قوله- **كَالصَّرِيمِ** البلاء الاختبار و إصابه المصيبة، و الصرم قطع الثمار من الأشجار، و الاستثناء عزل البعض من حكم الكل و أيضا الاستثناء قول إن شاء الله عند القطع بقول و ذلك أن الأصل فيه الاستثناء فالأصل فى قولك: أخرج غدا إن شاء الله هو أخرج غدا إلا أن يشاء الله أن لا أخرج، و الطائف العذاب الذى يأتى بالليل، و الصريم الشجر المقطوع ثمره، و قيل: الليل الأسود، و قيل: الرمل المقطوع من سائر الرمل و هو لا ينبت شيئا و لا يفيد فائده.

**فَطَافَ عَلَيْهَا عَلَى الْجَنَّةِ «طَائِفٌ»** أى بلاء يطوف عليها و يحيط بها ليلا «مِنْ» ناحيه «رَبِّكَ ، فَأَصِيحَبَتْ» و صارت الجنة «كَالصَّرِيمِ» و هو الشجر المقطوع ثمره أو المعنى:

فصارت الجنة كالليل الأسود لما اسودت بإحراق النار التى أرسلها الله إليها أو المعنى: فصارت الجنة كالقطعه من الرمل لا نبات بها و لا فائده.

قوله تعالى: **فَتَنَادُوا مُضِيِّينَ** -الى قوله- **قَادِرِينَ** التنادى نداء بعض القوم بعضا، و الإصباح المدخول فى الإصباح، و صارمين من الصرم بمعنى قطع الثمار من الشجره، و المراد به فى الآية القاصدون لقطع الثمار، و الحرث الزرع و الشجر، و الخفت الإخفاء و الكتمان، و الحرد المنع و قادرين من القدر بمعنى التقدير.

و المعنى «فَتَنَادُوا» أى فنادى بعض القوم بعضا «مُضِيِّينَ» أى و الحال أنهم داخلون فى الصباح «أَنْ اغْمُدُوا عَلَيَّ حَزْثِكُمْ» تفسير للتنادى أى بكروا مقبلين على جنتكم -فاغمدوا أمر بمعنى بكروا مضمن معنى أقبلوا و لذا عدى بعلى و لو كان غير مضمن عدى يالى كما فى الكشاف- «إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ» أى قاصدين عازمين على الصرم و القطع.

فَانْطَلَقُوا وَ ذَهَبُوا إِلَى جَنَّتِهِمْ وَ هُمْ يَتَخَفَتُونَ أى و الحال أنهم يأتمرون فيما بينهم بطريق المخافته و المكاتمه «أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا» أى الجنة «الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ» أى أخفوا

ورودكم الجنة للصرم من المساكين حتى لا يدخلوا عليكم فيحملكم ذلك على عزل نصيب من الثمر المصروم لهم «وَعَدُوا» و بكروا الى الجنة «عَلَى حَزْدٍ» أى على منع للمساكين «قَادِرِينَ» مقدرين فى أنفسهم أنهم سيصرمونها و لا- يساهمون المساكين بشىء منها.

قوله تعالى: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ أى فلما رأوا الجنة و شاهدوها و قد أصبحت كالصرم بطواف طائف من عند الله قالوا: إنا لضالون عن الصواب فى غدونا إليها بقصد الصرم و منع المساكين.

و قيل: المراد إنا لضالون طريق جنتنا و ما هى بها.

و قوله: بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ إضراب عن سابقه أى ليس مجرد الضلال عن الصواب بل حرماننا الزرع.

قوله تعالى: قَالَ أَوْسَيْطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا- تَسْبِيحُونَ- الى قوله- رَاغِبُونَ أى «قَالَ أَوْسَيْطُهُمْ» أى أعدلهم طريقا و ذلك أنه ذكرهم بالحق و إن تبعهم فى العمل و قيل:

المراد أوسطهم سنا و ليس بشىء «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ» و قد كان قال لهم ذلك و إنما لم يذكر قبل فى القصة إيجازا بالتعويل على ذكره هاهنا.

«لَوْ لَا- تَسْبِيحُونَ» المراد بتسبيحهم له تعالى تنزيههم له من الشركاء حيث اعتمدوا على أنفسهم و على سائر الأسباب الظاهرية فأقسموا ليصر منها مصبحين و لم يستثنوا لله مشيه فعزله تعالى عن السببيه و التأثير و نسبوا التأثير الى أنفسهم و سائر الأسباب الظاهرية، و هو إثبات للشريك، و لو قالوا: لنصر منها مصبحين إلا أن يشاء الله كان معنى ذلك نفى الشركاء و أنهم إن لم يصرموا كان لمشيه من الله و إن صرموا كان ذلك بإذن من الله فله الأمر وحده لا شريك له.

و قيل: المراد بتسبيحهم لله ذكر الله تعالى و توبتهم اليه حيث نوا أن يصرموها و يحرموا المساكين منها، و له وجه على تقدير أن يراد بالاستثناء عزل نصيب من الثمار للمساكين.

قوله تعالى: قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ تسيح منهم لله سبحانه إثر توبيخ أوسطهم لهم، أى ننزه الله تنزيها من الشركاء الذين أثبتناهم فيما حلفنا عليه فهو ربنا الذى يدير بمشيئته أمورنا لأننا كنا ظالمين فى إثباتنا الشركاء فهو تسيح و اعتراف بظلمهم على أنفسهم فى إثبات الشركاء.

و على القول الآخر توبه و اعتراف بظلمهم على أنفسهم و على المساكين.

قوله تعالى: فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ أَي يُلوم بعضهم بعضا على ما ارتكبه من الظلم.

قوله تعالى: قَالُوا يَا وَيْلَنَا -الى قوله- رَاغِبُونَ الطغيان تجاوز الحد و ضمير «مِنْهَا» للجنة باعتبار ثمارها و المعنى: قالوا يا ويلنا إنا كنا متجاوزين حد العبودية إذ أثبتنا شركاء لربنا و لم نوحده، و نرجوا من ربنا أن يبدلنا خيرا من هذه الجنة التى طاف عليها طائف منه لأننا راغبون اليه معرضون عن غيره.

قوله تعالى: كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ العذاب مبتدأ مؤخر، و كذلك خبر مقدم أى إنما يكون العذاب على ما وصفناه فى قصه أصحاب الجنة و هو أن الإنسان يمتحن بالمال و البنين فيطغى مغترا بذلك فيستغنى بنفسه و ينسى ربه و يشرك بالأسباب الظاهريه و بنفسه و يجترئ على المعصيه و هو غافل عما يحيط به من وبال عمله و يهيا له من العذاب كذلك حتى إذا فاجأه العذاب و برز له بأهول وجوهه و أمرها اتبه من نومه الغفله و تذكر ما جاءه من النصيح قبلا و ندم على ما فرط بالطغيان و الظلم و سأل الله أن يعيد عليه النعمه فيشكر كما انتهى اليه أمر أصحاب الجنة، ففى ذلك إعطاء الضابط بالمثل.

و قوله: وَالْعَذَابُ الْآخِرَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لأنه ناش عن قهر إلهى لا يقوم له شىء لا رجاء للتخلص منه و لو بالموت و الفناء كما فى شدائد الدنيا، محيط بالإنسان

من جميع أقطار وجوده لا كعذاب الدنيا دائم لا انتهاء لأمدته كما في الابتلاءات الدنيوية (١).

### [سوره القلم (٦٨): الآيات ٣٤ الى ٥٢]

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَزَاتٍ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَظِيمًا بِالْعَهَةِ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَامِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَأَلْتَهُمْ آيُهُمْ بِعَذَابِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُخْتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٥٢)

ص: ٤٠١

١- ١). القلم ١-٣٣: بحث روائي في تفسير الحروف المقطعة؛ خلق رسول الله العظيم؛ الذين لا يدخلون الجنة؛ امه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.



قوله تعالى: إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ بِشْرَى و بيان لحال المتقين فى الآخرة قبال ما بين من حال المكذبين فيها.

و فى قوله: عِنْدَ رَبِّهِمْ دون أن يقال: عند الله إشارة الى رابطة التدبير و الرحمة بينهم و بينه سبحانه و أن لهم ذلك قبال قصرهم الربوبية فيه تعالى و إخلاصهم العبودية له.

و إضافة الجنات الى النعيم و هو النعمة للإشارة الى أن ما فيها من شىء نعمه لا تشوبها نقمه و لذه لا يخالطها ألم، و سيجىء إن شاء الله فى تفسير قوله تعالى: ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (التكاثر ٨)، أن المراد بالنعيم الولاية.

قوله تعالى: أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ تحتل الآيه فى بادئ النظر أن

تكون مسوقه حجه على المعاد كقوله تعالى: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (ص ٢٨)، وقد تقدم تفسيره.

و أن تكون ردا على قول من قال منهم للمؤمنين: لو كان هناك بعث و إعاده لكننا منعمين كما فى الدنيا و قد حكى سبحانه ذلك عن قائلهم وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى (حم السجده ٥٠).

ظاهر سياق الآيات التالیه التي ترد عليهم الحكم بالتساوى هم الاحتمال الثانى، و هو الذى رووه أن المشركين لما سمعوا حديث البعث و المعاد قالوا: إن صح ما يقوله محمّد و الذين آمنوا معه لم تكن حالنا إلا أفضل من حالهم كما فى الدنيا و لا أقل من أن تتساوى حالنا و حالهم.

غير أنه یرد عليه أن الآیه لو سيقّت لرد قولهم، سنساويهم فى الآخرة أو نزيد عليهم كما فى الدنيا، كان مقتضى التطابق بين الرد و المردود أن يقال: أ فنجعل المجرمين كالمسلمين و قد عكس.

فقوله: مَّا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ مسوق للتعجب من حكمهم بكون المجرمين يوم القيامة كالمسلمين، و هو إشاره الى تأبى العقل عن تجويز التساوى، و محصله نفى حكم العقل بذلك إذ معناه: أى شىء حصل لكم من اختلال الفكر و فساد الرأى حتى حكمتم بذلك؟

قوله تعالى: أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ إشاره الى انتفاء الحجة على حكمهم بالتساوى من جهة السمع كما أن الآیه السابقه كانت إشاره الى انتفائها من جهة العقل.

و المراد بالكتاب الكتاب السماوى النازل من عند الله و هو حجه، و درس الكتاب قراءته، و التخيير الاختيار، و قوله: «إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ» فى مقام المفعول لتدرسون و الاستفهام إنكارى.

و المعنى: بل أ لكم كتاب سماوى تقرأون فيه إن لكم فى الآخرة-أو مطلقا-لما تختارونه فاخترتم السعادة و الجنة.

قوله تعالى: أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِاللَّغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ إشاره الى انتفاء أن يملكوا الحكم بعهد و يمين شفاهى لهم على الله سبحانه.

و الأيمان جمع يمين و هو القسم، و البلوغ هو الانتهاء فى الكمال فالأيمان البالغه هى المؤكده نهايه التوكيد، و قوله: «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» على هذا ظرف مستقر متعلق بمقدر و التقدير: أم لكم علينا أيمان كائنه الى يوم القيامه مؤكده نهايه التوكيد، الخ.

و يمكن أن يكون «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» متعلقا ببالغه و المراد ببلوغ الأيمان انطباقها على امتداد الزمان حتى ينتهى الى يوم القيامه.

و قوله: إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ جواب القسم و هو المعاهد عليه، و الاستفهام للانكار.

و المعنى: بل أ لكم علينا عهود أقسمنا فيها إقساماً مؤكدا الى يوم القيامه إنا سلمنا لكم أن لكم لما تحكمون به.

قوله تعالى: سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِاللَّغَةِ إعراض عن خطابهم و التفات الى النبى صلى الله عليه و آله و سلم بتوجيه الخطاب لسقوطهم عن درجه استحقاق الخطاب و لذلك أورد بقيه السؤالات و هى مسائل أربع فى سياق الغيبه أولها قوله: «سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِاللَّغَةِ» و الزعيم القائم بالأمر المتصدى له، و الاستفهام إنكارى.

و المعنى: سل المشركين أَيْمَانٌ قَائِمٌ بِأَمْرِ التَّسْوِيَةِ الَّذِى يَدْعُوهُ أَى إِذَا ثَبَتَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْوَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ لِعَدَمِ دَلِيلٍ عَلَيْهِ فَهَلِ الَّذِى يَقُومُ بِهَذَا الْأَمْرِ وَ يَتَّصِدَّاهُ هُوَ مِنْهُمْ؟ فَأَيْ هُوَ؟ وَ مِنَ الْوَاضِحِ بَطْلَانُهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا مُصَابٌ فِي عَقْلِهِ.

قوله تعالى: أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ رَدَّ لَهُمْ

على تقدير أن يكون حكمهم بالتساوى مبني على دعواهم أن لهم آلهه يشاركون الله سبحانه في الربوبية سيشفعون لهم عند الله فيجعلهم كالمسلمين و الاستفهام إنكارى يفيد نفى الشركاء.

و قوله: «فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ» الخ؛ كناية عن انتفاء الشركاء يفيد تأكيد ما فى قوله: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ» من النفى.

قوله تعالى: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنَّا سِتْرًا لِيُرَى سَائِرَ الْإِنسَانِ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ -الى قوله- وَ هُمْ سَائِلُونَ يوم ظرف متعلق بمحذوف كاذكر و نحوه، و الكشف عن الساق تمثيل فى اشتداد الأمر اشتدادا بالغا لما أنهم كانوا يشتمرون عن سوقهم إذا اشتد الأمر للعمل أو للفرار قال فى الكشف: فمعنى «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنَّا سِتْرًا» فى معنى يوم يشتد الأمر و يتفاقم، و لا كشف ثم و لا ساق كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلوله و لا يد ثم و لا غل و إنما هو مثل فى البخل انتهى.

و الآيه و ما بعدها الى تمام خمس آيات اعتراض وقع فى البين بمناسبه ذكر شركائهم الذين يزعمون أنهم سيسعدونهم لو كان هناك بعث و حساب فذكر سبحانه أن لا شركاء لله و لا شفاعه و إما يحرز الإنسان سعاده الآخره بالسجود أى الخضوع لله سبحانه بتوحيد الربوبية فى الدنيا حتى يحمل معه صفه الخضوع فيسعد بها يوم القيامة.

و هؤلاء المكذبون المجرمون لم يسجدوا لله فى الدنيا فلا يستطيعون السجود فى الآخره فلا يسعدون و لا تتساوى حالهم و حال المسلمين فيها البته بل الله سبحانه يعاملهم فى الدنيا لاستكبارهم عن سجوده معامله الاستدراج و الإملاء حتى يتم لهم شقاؤهم فيردوا العذاب الأليم فى الآخره.

فقوله: يَوْمَ يُكْشَفُ عَنَّا سِتْرًا لِيُرَى سَائِرَ الْإِنسَانِ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ معناه اذكر يوم يشتد عليهم الأمر و يدعون الى السجود لله خضوعا فلا يستطيعون لاستقرار

ملكه الاستكبار فى سرائرهم و اليوم تبلى السرائر (١).

و قوله: **خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ حَالَانِ** من نائب فاعل يدعون أى حال كون أبصارهم خاشعه و حال كونهم يغشاهم الذله بقهر، و نسبة الخشوع الى الأبصار لظهور أثره فيها.

و قوله: **وَ قَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سَالِمُونَ** المراد بالسلامه سلامتهم من الآفات و العاهات التى لحقت نفوسهم بسبب الاستكبار عن الحق فسلبتها التمكّن من إجابته الحق أو المراد مطلق استطاعتهم منه فى الدنيا.

و المعنى: و قد كانوا فى الدنيا يدعون الى السجود لله و هم سالمون متمكنون منه أقوى تمكن فلا يجيئون اليه.

قوله تعالى: **فَذَرْنِي وَ مَنْ يَكْذِبُ** بهذا الحديث المراد بهذا الحديث القرآن الكريم و قوله: **«فَذَرْنِي وَ مَنْ يَكْذِبُ»** الخ؛ كناية عن أنه يكفيهم وحده و هو غير تاركهم و فيه نوع تسليه للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و تهديد للمشركين.

قوله تعالى: **سَنَسِيحَتُ دَرَجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ** استئناف فيه بيان كيفية أخذه تعالى لهم و تعذيبه إياهم المفهوم من قوله: **«فَذَرْنِي»** الخ.

و الاستدراج هو استنزالهم درجة فدرجة حتى يتم لهم الشقاء فيقعوا فى ورطه الهلاك و ذلك بأن يؤتيهم الله نعمه بعد نعمه و كلما أوتوا نعمه اشتغلوا بها و فرطوا فى شكرها و زادوا نسياناً له و ابتعدوا عن ذكره.

فالاستدراج إيتاؤهم النعمة بعد النعمة الموجب لتزولهم درجة بعد درجة و اقترابهم من ورطه الهلاك، و كونه من حيث لا يعلمون إنما هو لكونه من طريق النعمة التى يحسبونها خيراً

ص: ٤٠٦

و سعادته لا شر فيها ولا شقاء.

قوله تعالى: «وَأْمَلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ الإِمْلَاءُ الإِمْهَالُ، و الكيد ضرب من الاحتيال، و المتين القوى.

و المعنى: و أمهلهم حتى يتوسعوا في نعمنا بالمعاصي كما يشاءون إن كيدي قوى.

و النكته في الالتفات الذي في «سَسَى تَدْرِجُهُمْ» عن التكلم وحده الى التكلم مع الغير الداله على العظمه و أن هناك موكلين على هذه النعم التي تصب عليهم صبا، و الالتفات في قوله:

«وَأْمَلَى لَهُمْ» عن التكلم مع الغير الى التكلم وحده لأن الإملاء تأخير في الأجل و لم ينسب أمر الأجل في القرآن الى غير الله سبحانه قال تعالى: ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ (الأنعام ٢).

قوله تعالى: أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ المغرم الغرامه، و الإثقال تحميل الثقل، و الجملة معطوفه على قوله: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ» الخ.

و المعنى: أم تسأل هؤلاء المجرمين-الذين يحكمون بتساوى المجرمين و المسلمين يوم القيامة-أجرا على دعوتك فهم من غرامه تحملها عليهم مثقلون فيواجهونك بمثل هذا القول تخلصا من الغرامه دون أن يكون ذلك منهم قولا جديا.

قوله تعالى: أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ظاهر السياق أن يكون المراد بالغيب غيب الأشياء الذي منه تنزل الامور بقدر محدود فتستقر في منصبه الظهور، و المراد بالكتابه على هذا هو التقدير و القضاء، و المراد بكون الغيب عندهم تسلطهم عليه و ملكهم له.

فالمعنى: أم بيدهم أمر القدر و القضاء فهم يقضون كما شاءوا فيقضون لأنفسهم أن يساواوا المسلمين يوم القيامة.

قوله تعالى: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُكِنُّ كَصَاحِبِ الْوَحْيِ إِذْ نَادَى وَ هُوَ

مَكْظُومٌ صاحب الحوت يونس النبي عليه السَّلام و المكظوم من كظم الغيظ إذا تجرعه و لذا فسر بالمختنق بالغم حيث لا يجد لغيظه شفاء، و نهيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَيُونَسَ عَلَيْهِ السَّلَام وَ هُوَ فِي زَمَنِ النَّدَاءِ مَمْلُوءٌ بِالْغَمِ نَهَى عَنِ السَّبَبِ الْمُؤَدَى إِلَى نَظِيرِ هَذَا الْإِبْتِلَاءِ وَ هُوَ ضَيْقُ الصَّدْرِ وَ الْاسْتِعْجَالِ بِالْعَذَابِ.

و المعنى: فاصبر لقاء ربك أن يستدرجهم و يملئ لهم و لا تستعجل لهم العذاب لكفرهم و لا تكن كيونس فتكون مثله و هو مملوء غما أو غيضا ينادى الله بالتسبيح و الاعتراف بالظلم أى فاصبر و احذر أن تبتلى بما يشبه ابتلاءه، و نداؤه قوله فى بطن الحوت: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» كما فى سورة الأنبياء.

قوله تعالى: لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ مَذْمُومٌ فى مقام التعليل للنهى السابق «لَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخُوتِ» و التدارك الإدراك و اللحوق، و فسرت النعمة بقبول التوبه، و النبذ الطرح، و العراء الأرض غير المستوره بسقف أو نبات، و الذم مقابل المدح.

و المعنى: لو لا أن أدركته و لحقت به نعمه من ربه و هو أن الله قبل توبته لطح بالأرض العراء و هو مذموم بما فعل.

لا- يقال: إن الآيه تنافى قوله تعالى: فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (الصافات ١٤٤)، فإن مدلوله أن مقتضى عمله أن يلبث فى بطنه الى يوم القيامة و مقتضى هذه الآيه أن مقتضاه أن يطرح فى الأرض العراء مذموما و هما تبعتان متنافيتان لا تجتمعان.

فإنه يقال: الآيتان تحكيان عن مقتضيين مختلفين لكل منهما أثر على حده فأيه الصافات تذكر أنه عليه السَّلام كان مداوما للتسبيح مستمرا عليه طول حياته قبل ابتلائه- و هو قوله: كان من المسبحين- و لو لا ذلك للبث فى بطنه الى يوم القيامة، و الآيه التى نحن فيها تدل على أن النعمة

و هو قبول توبته فى بطن الحوت شملته فلم ينبذ بالعراء مذموما.

فمجموع الآيتين يدل على أن ذهابه مغاضبا كان يقتضى أن يلبث فى بطنه الى يوم القيامه فممنع عن دوام تسيبته قبل التقامه و بعده، وقدّر أن ينبذ بالعراء و كان مقتضى عمله أن ينبذ مذموما فممنع من ذلك تدارك نعمه ربه له فنبذ غير مذموم بل اجتباه الله و جعله من الصالحين فلا منافاه بين الآيتين.

و قد تكرر فى مباحثنا السابقه أن حقيقه النعمه الولايه و على ذلك يتعين لقوله: «لَوْ لَا أَنَّ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ» معنى آخر.

قوله تعالى: فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ تقدم توضيح معنى الاجتباء و الصلاح فى مباحثنا المتقدمه.

قوله تعالى: وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ إِنْ مَخَفَهُ مِنَ الثَّقِيلِ، و الزلق هو الزلل، و الإزلاق الإزلال و هو الصرع كناية عن القتل و الإهلاك.

و المعنى: أنه قارب الذين كفروا أن يصرعوك بأبصارهم لما سمعوا الذكر.

و المراد بإزلاقه بالأبصار و صرعه بها-على ما عليه عامه المفسرين-الإصابه بالأعين، و هو نوع من التأثير النفسانى لا دليل على نفيه عقلا و ربما شوهد من الموارد ما يقبل الانطباق عليه، و قد وردت فى الروايات فلا موجب لإنكاره.

و قيل: المعنى أنهم ينظرون اليك إذا سمعوا منك الذكر الذى هو القرآن نظرا مليئا بالعداوه و البغضاء يكادون يقتلونك بحديد نظرهم.

قوله تعالى: وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ رَمِيَهُمْ لَهُ بِالْجَنُونِ عِنْدَ مَا سَمِعُوا الذِّكْرَ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ مَرَادُهُمْ بِهِ رَمَى الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ مِنْ إلقاء الشياطين، و لذا ردّ قولهم بأن القرآن ليس إلا ذكرا للعالمين.



وقد ردّ قولهم: «إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ» في أول السوره بقوله: «مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» و به ينطبق خاتمه السوره على فاتحتها (١).

ص: ٤١٠

---

١-١). القلم ٣٤-٥٢: بحث روائي حول قوله تعالى: «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ»؛ استدراج المكذابين؛ العين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
(١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ  
فَمَا هَلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا  
صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا  
رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢)

السوره تذكر الحاقه و هى القيامه و قد سمّتها أيضا بالقارعه و الواقعه.

و قد ساقّت الكلام فيها فى فصول ثلاثه:فصل تذكر فيه إجمالاً الامم الذين كذبوا بها فأخذهم الله أخذه رابيه،و فصل تصف فيه الحاقه و انقسام الناس فيها الى أصحاب اليمين و أصحاب الشمال و اختلاف حالهم بالسعاده و الشقاء،و فصل تؤكد فيه صدق القرآن فى إنبائه بها و أنه حق اليقين،و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: **الْحَاقَّةُ مِا الْحَاقَّةُ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ** المراد بالحاقه القيامه الكبرى سميت بها لثبوتها ثبوتاً لا مردّ له و لا ريب فيه،من حقّ الشىء بمعنى ثبت و تقرّر تقرّراً واقعيًا.

و «مِا» فى «مِا الْحَاقَّةُ» استفهاميه تفيد تفخيم أمرها و لذلك بعينه وضع الظاهر موضع الضمير و لم يقل: ما هى،و الجمله الاستفهاميه خبر الحاقه.

فقوله: «**الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ**» مسوق لتفخيم أمر القيامه يفيد تفخيم أمرها و إعظام حقيقتها إفاده بعد إفاده.

و قوله: **وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ** خطاب بنفى العلم بحقيقه اليوم و هذا التعبير كناية عن كمال أهميه الشىء و بلوغه الغايه فى الفخامه و لعل هذا هو المراد مما نقل عن ابن عباس: أن ما فى القرآن من قوله تعالى: «**مَا أَدْرَاكَ**» فقد أدراه و ما فيه من قوله: «**مَا يُدْرِيكَ**» فقد طوى عنه،يعنى أن «**مَا أَدْرَاكَ**» كناية و «**مَا يُدْرِيكَ**» تصريح.

قوله تعالى: **كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عَادُ بِالْقَارِعَةِ** المراد بالقارعه القيامه و سميت بها

لأنها تفرع و تدكّ السماوات و الأرض بتبديلها و الجبال بتسييرها و الشمس بتكويرها و القمر بخسفها و الكواكب بنثرها و الأشياء كلها بقهرها على ما نطقت به الآيات، و كان مقتضى الظاهر أن يقال: كذبت ثمود و عاد بها فوضع القارعه موضع الضمير لتأكيد تفخيم أمرها.

و هذه الآية و ما يتلوها الى تمام تسع آيات و إن كانت مسوقه للإشارة الى إجمال قصص قوم نوح و عاد و ثمود و فرعون و من قبله و المؤتفكات و إهلاكهم لكنها فى الحقيقة بيان للحاقه ببعض أوصافها و هو أن الله أهلك أمما كثيره بالتكذيب بها فهى فى الحقيقة جواب للسؤال بما الاستفهاميه كما أن قوله: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ» الخ؛ جواب آخر.

و محصل المعنى: هى القارعه التى كذبت بها ثمود و عاد و فرعون و من قبله و المؤتفكات و قوم نوح فأخذهم الله أخذه راييه و أهلكهم بعذاب الاستئصال.

قوله تعالى: فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ بيان تفصيلي لأكثر تكذيبهم بالقارعه، و المراد بالطاغية الصيحة أو الرجفه أو الصاعقه على اختلاف ظاهر تعبير القرآن فى سبب هلاكهم فى قصتهم قال تعالى: وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ (هود ٦٧)، و قال أيضا: فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ (الأعراف ٨٧)، و قال: أَيضاً فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ (حم السجده ١٧).

قوله تعالى: وَ أَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصِرٍ عَاتِيَةٍ الصرصر الريح الباردة الشديده الهبوب، و عاتيه من العتوّ بمعنى الطغيان و الابتعاد من الطاعه و الملاءمه.

قوله تعالى: سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صِرَعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ تسخيرها عليهم تسليطها عليهم، و الحسوم جمع حاسم كشهود جمع شاهد من الحسم بمعنى تكرار الكى مرات متتاليه، و هى صفة لسبع أى سبع ليال و ثمانيه أيام متتاليه متتابعه و صرعى جمع صريع و أعجاز عجز بالفتح فالضم آخر الشىء، و خاويه الخاليه الجوف الملقاه و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيهِ أَي من نفس باقيه، و الجملة كناية عن استيعاب الهلاك لهم جميعا، وقيل: الباقيه مصدر بمعنى البقاء وقد أريد به البقيه و ما قدمناه من المعنى أقرب.

قوله تعالى: وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ المراد بفرعون فرعون موسى، و بمن قبله الامم المتقدمه عليه زمانا من المكذبين، و بالمؤتفكات قرى قوم لوط و الجماعه القاطنه بها، و «بِالْخَاطِئَةِ» مصدر بمعنى الخطاء و المراد بالمجىء بالخطئه إخطاء طريق العبوديه، و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَهُ رَبِّيهِ ضَمِير «فَعَصَا» لفرعون و من قبله و المؤتفكات، و المراد بالرسول جنسه، و الرايه الزائده من ربا يربو ربوه إذا زاد، و المراد بالأخذه الرايه العقوبه الشديده و قيل: العقوبه الزائده على سائر العقوبات و قيل: الخارقه للعادة.

قوله تعالى: إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ إشاره الى طوفان نوح و الجاريه السفينه، و عد المخاطبين محمولين فى سفينه نوح و المحمول فى الحقيقه أسلافهم لكون الجميع نوعا واحدا ينسب حال البعض منه الى الكل و الباقي ظاهر.

قوله تعالى: لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُنْذُنٌ وَأَعْيَةٌ تَعْلِيلٌ لِحَمْلِهِمْ فى السفينه فضمير «لِنَجْعَلَهَا» للحمل باعتبار أنه فعله أى فعلنا بكم تلك الفعله لنجعلها لكم أمرا تتذكرون به و عبره تعتبرون بها و موعظه تتعظون بها.

و قوله: وَتَعِيَهَا أُنْذُنٌ وَأَعْيَةٌ جعل الشىء فى الوعاء، و المراد بوعى الاذن لها تقريرها فى النفس و حفظها فيها لترتب عليها فائدتها و هى التذكر و الاتعاظ.

و فى الآيه بجملتها إشاره الى الهدايه الربويه بكلا قسميها أعنى الهدايه بمعنى إراءه الطريق

[سوره الحاقه (٦٩): الآيات ١٣ الى ٣٧]

فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْحَهُ وَاحِدَهُ (١٣) وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ كِتَابِيهِ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَةٌ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيهِ (٢٥) وَ لَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيهِ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ (٢٨) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (٢٩) خُدُوهُ فَعُلُوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَ لَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَ لَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ (٣٧)

بيان:

قوله تعالى: **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَهُ** **وَإِحْدَهُ** قد تقدم أن النفخ في الصور كناية عن البعث و الإحضار لفصل القضاء، و في توصيف النفخه بالواحده إشاره الى مضى الأمر و نفوذ القدره فلا و هن فيه حتى يحتاج الى تكرار النفخه، و الذى يسبق الى الفهم من سياق الآيات أنها النفخه الثانيه التى تحيى الموتى.

قوله تعالى: **وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً** **وَإِحْدَهُ** الدك أشد الدق و هو كسر الشىء و تبديله الى أجزاء صغار، و حمل الأرض و الجبال إحاطه القدره بها، و توصيف الدكه بالواحده للإشاره الى سرعه نفتتهما بحيث لا يفتقر الى دكه ثانيه.

قوله تعالى: **فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ** أى قامت القيامة.

ص: ٤١٦

قوله تعالى: وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ انشقاق الشيء انفصال شطر منه من شطر آخر، و واهيه من الوهى بمعنى الضعف، و قيل: من الوهى بمعنى شق الأديم و الثوب و نحوهما.

و يمكن أن تكون الآية أعنى قوله: «وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَ الْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا» فى معنى قوله: وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نِزْلَ الْمَلَائِكَةِ نَزِيلًا (الفرقان / ٢٥).

قوله تعالى: وَ الْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ قال الراغب: رجا البئر و السماء و غيرها جانبا و الجمع أرجاء قال تعالى:

«وَ الْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا» انتهى، و الملك - كما قيل - يطلق على الواحد و الجمع و المراد به فى الآية الجمع.

و قوله: وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ضمير «فَوْقَهُمْ» على ظاهر ما يقتضيه السياق للملائكة، و قيل: الضمير للخلائق.

و ظاهر كلامه أن للعرش اليوم حملة من الملائكة قال تعالى: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا (المؤمن ٧)، و قد وردت الروايات أنهم أربعة، و ظاهر الآية أعنى قوله: «وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ» أن الحمله يوم القيامة ثمانية و هل هم من الملائكة أو من غيرهم؟ الآية ساكتة عن ذلك و إن كان لا يخلو السياق من إشعار ما بأنهم من الملائكة.

و من الممكن - كما تقدمت الإشارة إليه - أن يكون الغرض من ذكر انشقاق السماء و كون الملائكة على أرجائها و كون حملة العرش يومئذ ثمانية بيان ظهور الملائكة و السماء و العرش للإنسان يومئذ، قال تعالى: وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ (الزمر ٧٥).



قوله تعالى: **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةُ الظَّاهِرِ** أن المراد به العرض على الله كما قال تعالى: **وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صِيًّا** (الكهف/٤٨)، والعرض إراءه البائع سلعته للمشتري ببسطها بين يديه، فالعرض يومئذ على الله وهو يوم القضاء إبراز ما عند الإنسان من اعتقاد وعمل إبرازا لا يخفى معه عقيدة خافية ولا فعله خافية وذلك بتبدل الغيب شهادته والسر علنا قال: **يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ** (الطارق/٩)، وقال: **يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ** (المؤمن/١٦).

فالمعنى: يومئذ يظهر أنكم في معرض على علم الله و يظهر كل فعله خافية من أفعالكم.

قوله تعالى: **فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُ كِتَابِيَّةً** قال في المجمع: هاءوم أمر للجماعه بمنزله هاكم، تقول للواحد: هاء يا رجل، و للاثنتين: هاءوما يا رجلا، و للجماعه: هاءوم يا رجال، و للمرأة: هاء يا امرأه بكسر الهمزة و ليس بعدها ياء، و للمرأتين: هاءوما، و للنساء: هاءون. هذه لغه أهل الحجاز.

و تميم و قيس يقولون: هاء يا رجل مثل قول أهل الحجاز، و للاثنتين: هاءا، و للجماعه:

هاءوا، و للمرأة: هاءى، و للنساء: هاءون.

و بعض العرب يجعل مكان الهمزة كافا فيقول: هاك هاکما هاکم هاک هاکما هاکن، و معناه:

خذ و تناول، و يؤمر بها و لا ينهى. انتهى.

و الآية و ما بعدها الى قوله: **«الْخَاطِئُونَ»** بيان تفصيلي لاختلاف حال الناس يومئذ من حيث السعادة و الشقاء، و قد تقدم في تفسير قوله تعالى: **فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ** (الإسراء/٧١) كلام في معنى إعطاء الكتاب باليمين، و الظاهر أن قوله: **«هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُ كِتَابِيَّةً»** خطاب للملائكة، و الهاء في **«كِتَابِيَّةً»** و كذا في أواخر الآيات التالية للوقف و تسمى هاء الاستراحة.

و المعنى: فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول للملائكة: خذوا و اقرءوا كتابيه أى إنها كتاب

يقضى بسعادتي.

قوله تعالى: إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهُ الظن بمعنى اليقين، والآيه تعليل لما يتحصل من الآيه السابقه و محصل التعليل إنما كان كتابي كتاب اليمين و قاضيا بسعادتي لأنى أيقنت فى الدنيا أنى سالاتى حسابى فأمنت بربى و أصلحت عملى.

قوله تعالى: فَهُوَ فِي عَيْشِهِ رَاضِيَهُ أى يعيش عيشه يرضاها فنسبه الرضا الى العيشه من المجاز العقلى.

قوله تعالى: فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ -الى قوله- أَلْخَالِيَهُ أى هو فى جنه عاليه قدرا فيها ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر.

و قوله: قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ القُطُوف جمع قطف بالكسر فالسكون و هو ما يجتنى من الثمر و المعنى: أثمارها قريبه منه يتناوله كيف يشاء.

و قوله: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ أى يقال لهم:

كلوا و اشربوا من جميع ما يؤكل فيها و ما يشرب حال كونه هنيئا لكم بما قدمتم من الإيمان و العمل الصالح فى الدنيا التى تقضت أيامها.

قوله تعالى: وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِجْمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهُ وَ لَمْ أُدْرَمَ مَا حِسَابِيَهُ وَ هُوَ لَمْ يَمَسَّ مِنْهُمُ الشَّقِيَاءَ الْمَجْرُمُونَ يُؤْتُونَ صَحِيفَةً أَعْمَالُهُمْ بِشِمَالِهِمْ وَ قَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي مَعْنَاهُ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، وَ هُوَ لَمْ يَكُنْ يُؤْتُونَ كِتَابَهُمْ وَ يَدْرُونَ مَا حَسَابُهُمْ يَتَمَنُونَ ذَلِكَ لِمَا يَشَاهِدُونَ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ الْمَعْدُودِ لَهُمْ.

قوله تعالى: يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ذَكَرُوا أَنْ ضَمِير «لَيْتَهَا» للموته الاولى التى ذاقها الإنسان فى الدنيا.

و المعنى: يا ليت الموته الاولى التى ذقتها كانت قاضيه على تقضى بعدمى فكنت انعدمت و لم أبعث حيا فأقع فى ورطه العذاب الخالد و أشاهد ما أشاهد.

قوله تعالى: ﴿أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ هَلَمَّكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾ كلمتا تحسر يقولهما حيث يرى خيبه سعيه في الدنيا فإنه كان يحسب أن مفتاح سعادته في الحياه هو المال و السلطان يدفعان عنه كل مكروه و يسלטانه على كل ما يحب و يرضى فبذل كل جهده في تحصيلهما و أعرض عن ربه و عن كل حق يدعى اليه و كذب داعيه فلما شاهد تقطع الأسباب و أنه في يوم لا ينفع فيه مال و لا بنون ذكر عدم نفع ماله و بطلان سلطانه تحسرا و توجعا و ما ذا ينفع التحسر؟

قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ -إلى قوله- فَاَسْلُكُوهُ حِكَايَهُ أَمْرَهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةُ بِأَخْذِهِ وَ إِدْخَالِهِ النَّارَ، وَ التَّقْدِيرُ يُقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ خُذُوهُ الْخَ، وَ «فَغُلُّوهُ» أَمْرٌ مِنَ الْغُلِّ بِالْفَتْحِ وَ هُوَ الشَّدُّ بِالْغُلِّ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الْيَدِ وَ الرَّجْلِ وَ الْعُنُقِ.

و قوله: ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ أَى أَدْخَلُوهُ النَّارَ الْعَظِيمَةَ وَ أَلْزَمُوهُ إِيَّهَا.

و قوله: ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ السلسله القيد، و الذرع الطول، و الذراع بعد ما بين المرفق و رأس الأصابع و هو واحد الطول و سلوكه فيه جعله فيه، و المحصل ثم اجعلوه في قيد طوله سبعون ذراعا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَ لَا يَحْضُرُ عَلَيَّ طَعَامِ الْمُسِيكِينَ الْحَضُّ التَّحْرِيطُ وَ التَّرْغِيبُ، وَ الْآيَاتَانِ فِي مَقَامِ التَّعْلِيلِ لِلأَمْرِ بِالأَخْذِ وَ الإِدْخَالِ فِي النَّارِ أَى إِنْ الأَخْذِ ثُمَّ التَّصْلِيهِ فِي الْجَحِيمِ وَ السُّلُوكِ فِي السُّلْسُلَةِ لِأَجْلِ أَنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَ لَا يَحْضُرُ عَلَيَّ طَعَامِ الْمَسْكِينِ أَى يَسَاهِلُ فِي أَمْرِ الْمَسَاكِينِ وَ لَا يَبَالِي بِمَا يَقَاسُونَهُ.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ -الى قوله- أَلْخَاطُونَ الْحَمِيمِ الصَّدِيقِ وَ الْآيَةُ تَفْرِيعٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ﴾ الْخ؛ وَ الْمَحْصَلُ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا صَدِيقٌ يَنْفَعُهُ أَى شَفِيعٌ يَشْفَعُ لَهُ إِذْ لَا مَغْفِرَةَ لِكَافِرٍ فَلَا شَفَاعَةَ.

وقوله: **وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ** الغسلين الغساله و كأن المراد به ما يسيل من أبدان أهل النار من قيح و نحوه و الآيه عطف على قوله في الآيه السابقه: «**حَمِيمٌ**» و متفرع على قوله: «**وَلَا يَحُضُّ**» الخ؛ و المحصل: أنه لما كان لا يحرض على طعام المسكين فليس له اليوم هاهنا طعام إلا من غسلين أهل النار.

و قوله: **لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ** وصف لغسلين و الخاطئون المتلبسون بالخطيئه و الإثم (١).

### [سوره الحاقه (٦٩): الآيات ٣٨ الى ٥٢]

**فَلَا أُفْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَ مَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَ لَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَفَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَ إِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)**

ص: ٤٢١

١- ١). الحاقه ١٣-٣٧: بحث روائى فى: حمله العرش يوم القيامة؛ من اوتى كتابه يمينه؛ عذاب أهل جهنم.

بيان:

قوله تعالى: **فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَلَا لَا تُبْصِرُونَ** ظاهر الآيه أنه إقسام بما هو مشهود لهم و ما لا يشاهدون أى الغيب و الشهاده فهو إقسام بمجموع الخليقه و لا يشمل ذاته المتعاليه فإن من البعيد من أدب القرآن أن يجمع الخالق و الخلق فى وصف واحد و يعظمه تعالى و ما صنع تعظيما مشتركا فى عرض واحد.

و فى الإقسام نوع تعظيم و تجليل للمقسم به و خلقه تعالى بما أنه خلقه جليل جميل لأنه تعالى جميل لا يصدر منه إلا الجميل و قد استحسنت تعالى فعل نفسه و أثنى على نفسه بخلقها فى قوله: **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** (الم السجده ٧)، و قوله: **فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** (المؤمنون ١٤). فليس للموجودات منه تعالى إلا الحسن و ما دون ذلك من مساءه فمن أنفسها و بقياس بعضها الى بعض.

و فى اختيار ما يبصرون و ما لا يبصرون للإقسام به على حقيقته القرآن ما لا يخفى من المناسبه فإن النظام الواحد المتشابهك أجزاءه الجارى فى مجموع العالم يقضى بتوحيده تعالى و مصير الكل اليه و ما يترتب عليه من بعث الرسل و إنزال الكتب و القرآن خير كتاب سماوى يهدى الى الحق فى جميع ذلك و الى طريق مستقيم.

قوله تعالى: **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ** الضمير للقرآن، و المستفاد من السياق أن

ص: ٤٢٢

المراد برسول كريم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو تصديق لرسالته قبال ما كانوا يقولون إنه شاعر أو كاهن.

ولا- ضير في نسبه القرآن الى قوله فإنه إنما ينسب اليه بما أنه رسول و الرسول بما أنه رسول لا يأتي إلا بقول مرسله، وقد بين ذلك فضل بيان بقوله بعد: «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» .

قوله تعالى: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ نَفَى أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنَ نِظْمًا أَلْفَهُ شَاعِرٌ وَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شعرا ولم يكن شاعرا.

وقوله: «قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ» توبيخ لمجتمعهم حيث إن الأكثرين منهم لم يؤمنوا و ما آمن به إلا قليل منهم.

قوله تعالى: «وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ نَفَى أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنَ كِهَانَهُ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَاهِنًا يَأْخُذُ الْقُرْآنَ مِنَ الْجِنِّ وَهُمْ يَلْقَوْنَهُ إِلَيْهِ.

وقوله: «قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» توبيخ أيضا لمجتمعهم.

قوله تعالى: «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى منزل من رب العالمين و ليس من صنع الرسول نسبه الى الله كما تقدمت الإشارة اليه.

قوله تعالى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ» كما يقبض على المجرم فيؤخذ بيده أو المراد قطعنا منه يده اليمنى أو المراد لانتمنا منه بالقوه كما ذكره الراغب-عرق يسقى الكبد و إذا انقطع مات صاحبه، وقيل: هو رباط القلب.

و المعنى «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا» هذا الرسول الكريم الذى حملناه رسالتنا و أرسلناه اليكم بقرآن نزلناه عليه و اختلق «بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ» و نسبه اليها «لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ» كما يقبض على المجرم فيؤخذ بيده أو المراد قطعنا منه يده اليمنى أو المراد لانتمنا منه بالقوه كما فى روايه القمى «ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ» و قتلناه لتقوله علينا «فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزِينَ» تحجبونه عنا

و تنجونه من عقوبتنا و إهلاكنا.

و هذا تهديد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَفْتَرِيَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَ يَنْسِبَ إِلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَقُلْهُ وَ هُوَ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِهِ أَكْرَمُهُ بِنَبْوَتِهِ وَ اخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ.

فَالآيَاتُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: لَوْ لَا أَنْ تَبْتِنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَادَفْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَ ضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (الإسراء ٧٥)، وَ كَذَا قَوْلُهُ فِي الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ ذِكْرِ نِعْمَةِ الْعَظْمَى عَلَيْهِمْ: وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأنعام / ٨٨).

فلا- يرد أن مقتضى الآيات أن كل من ادعى النبوه و افترى على الله الكذب أهلكه الله و عاقبه في الدنيا أشد العقاب و هو منقوض ببعض مدعى النبوه من الكذابين.

و ذلك أن التهديد في الآيه متوجهه الى الرسول الصادق في رسالته لو تقول على الله و نسب اليه بعض ما ليس منه لا- مطلق مدعى النبوه المفترى على الله في دعواه النبوه و إخباره عن الله تعالى.

قوله تعالى: وَ إِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ يَذْكُرُهُمْ كَرَامَةً تَقْوَاهُمْ وَ مَعَارِفِ الْمَبْدَأِ وَ الْمَعَادِ بِحَقَائِقِهَا، وَ يَعْرِفُهُمْ دَرَجَاتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَ مَقَامَاتِهِمْ فِي الْآخِرَةِ وَ الْجَنَّةِ وَ مَا هَذَا شَأْنُهُ لَا يَكُونُ تَقْوَلًا وَ افْتِرَاءً فَالآيَةُ مَسْوُوقَةٌ حُجَّةً عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ مَنْزَلاً عَنِ التَّقْوَلِ وَ الْفَرِيهِ.

قوله تعالى: وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ سَتَظْهَرُ لَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ.

قوله تعالى: وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ قَدْ تَقَدَّمَ كَلَامٌ فِي نَظِيرَتِي الْآيَتَيْنِ فِي آخِرِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ، وَ السُّورَتَانِ مُتَّحِدَتَانِ فِي الْغَرَضِ وَ هُوَ وَصْفُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ مُتَّحِدَتَانِ فِي سِيَاقِ خَاتِمَتِهِمَا وَ هِيَ الْإِقْسَامُ عَلَى حَقِيقَةِ الْقُرْآنِ الْمُنْبِئِ عَنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَ قَدْ خَتَمَتِ السُّورَتَانِ بِكَوْنِ الْقُرْآنِ وَ مَا أَنْبَأَ بِهِ عَنِ وَقُوعِ الْوَاقِعَةِ حَقَّ الْيَقِينِ ثُمَّ الْأَمْرُ بِتَسْبِيحِ

اسم الرب العظيم المتّزه عن خلق العالم باطلا- لا- معاد فيه و عن أن يبطل المعارف الحقه التي يعطيها القرآن في أمر المبدأ و المعاد.

ص: ٤٢٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ (٢) مِنْ آلِهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَ يَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَ لَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَ صَاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ (١٢) وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْفَى (١٥) نَزَاعًا لِلشُّوَى (١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى (١٧) وَ جَمَعَ فَأُوَعَى (١٨)

الَّذِي يُعْطِيهِ سِيَاقُ السُّورَةِ أَنَّهَا تُصِفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا أُعِدَّ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ لِلْكَافِرِينَ.

تبتدىء السورة فتذكر سؤال سائل سأل عذاباً من الله للكافرين فتشير الى أنه واقع ليس له دافع قريب غير بعيد كما يحسبونه ثم تصف اليوم الذى يقع فيه و العذاب الذى أعد لهم فيه و تستثنى المؤمنين الذين قاموا بوظائف الاعتقاد الحق و العمل الصالح.

و هذا السياق يشبه سياق السور المكيه غير أنّ المنقول عن بعضهم أنّ قوله: وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ مَدَنِيٌّ وَالْإِسْتِثْنَاءُ وَ هِيَ أَرْبَعُ عَشْرَةَ آيَةً قَوْلُهُ: «إِلَّا الْمُصِصِّمِينَ» -الى قوله- فِي جَدَّاتٍ مُكْرَمُونَ» مَدَنِيَّةٌ لِمَا فِي سِيَاقِهَا مِنَ الْإِتِّحَادِ وَ اسْتِزْجَارِ الْبَعْضِ لِلْبَعْضِ.

و مدتيه هذه الآيه تحت الاستثناء تستدعي ما استثنت منه و هو على الأقل ثلاث آيات قوله: «إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا -الى قوله- مُنُوعًا» .

على أن قوله: «فَمَا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ» متفرع على ما قبله تفرعاً ظاهراً و هو ما بعده الى آخر السوره ذو سياق واحد فتكون هذه الآيات أيضا مدتيه.

و من جهه اخرى مضامين هذا الفصل من الآيات تناسب حال المنافقين الحاقين حول النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن اليمين و عن الشمال عزيزين و هم الرادون لبعض ما أنزل الله من الحكم و خاصه قوله: «أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ» الخ؛ و قوله: «عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ» الخ؛ على ما سيجيء، و موطن ظهور هذا النفاق المدينه لا مكه، و لا ضير في التعبير عن هؤلاء بالذنين كفروا فنظير ذلك موجود في سوره التوبه و غيرها.

على أنهم رويوا أن السوره نزلت في قول القائل: اللَّهُمَّ إِنَّ كَمَا هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ابْتِنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ (الأنفال ٣٢) و قد تقدم في تفسير الآيه أن سياقها و التي بعدها سياق مدني لا مكّي. لكن المروي عن الصادق عليه السلام أن المراد بالحق المعلوم في الآيه حق يسميه صاحب المال في ماله غير الزكاه المفروضه.

و لا- عبره بما نسب الى اتفاق المفسرين أن السوره مكيه على أن الخلاف ظاهر و كذا ما نسب الى ابن عباس أنها نزلت بعد سوره الحاقه.

قوله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ السَّوَالِ بِمَعْنَى الطَّلَبِ وَالدَّعَاءِ، وَلِذَا عَدَى بِالْبَاءِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (الدخان ٥٥) و قيل: الفعل مضمن معنى الاهتمام و الاعتناء و لِذَا عَدَى بِالْبَاءِ، وَ قِيلَ: الْبَاءُ زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ، وَ مَالَ الْوَجْوهِ وَاحِدٌ وَ هُوَ طَلَبُ الْعَذَابِ مِنَ اللَّهِ كَفَرُوا وَ عَتَوْا.

و المعنى سأل سائل من الكفار عذابا للكافرين من الله سيصيبهم و يقع عليهم لا محاله و لا دافع له أى إنه واقع عليهم أو لم يسأل ففيه جواب تحقيري و إجابته لمسئوله تهكما.

قوله تعالى: لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ لِلْكَافِرِينَ متعلق بعذاب و صفه له، و كذا قوله: «لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ» و قد مرت الإشارة الى معنى الآية.

قوله تعالى: مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ الجار و المجرور متعلق بقوله: «دَافِعٌ» أى ليس له دافع من جانب الله و من المعلوم أنه لو اندفع لم يندفع إلا من جانب الله سبحانه، و من المحتمل أن يتعلق بقوله: «بِعَذَابٍ».

و المعارج جمع معرج و فسروه بالصاعد و هى الدرجات و هى مقامات الملكوت التى يعرج إليها الملائكة عند رجوعهم الى الله سبحانه على ما يفسره قوله بعد: «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ» الخ؛ فله سبحانه معارج الملكوت و مقاماتها المترتبة علوا و شرفا التى تعرج فيها الملائكة و الروح بحسب قربهم من الله و ليست بمقامات وهمية اعتبارية.

قوله تعالى: تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ المراد بهذا اليوم يوم القيامة على ما يفيدته سياق الآيات التالية.

و المراد بكون مقدار هذا اليوم خمسين ألف سنة على ما ذكروا أنه بحيث لو وقع فى الدنيا و انطبق على الزمان الجارى فيها كان مقداره من الزمان خمسين ألف سنة من سنى الدنيا.

و المراد بعروج الملائكة و الروح اليه يومئذ رجوعهم اليه تعالى عند رجوع الكل اليه فإن يوم القيامة يوم بروز سقوط الوسائط و تقطع الأسباب و ارتفاع الروابط بينها و بين مسبباتها و الملائكة و وسائط موكله على امور العالم و حوادث الكون فإذا تقطعت الأسباب عن مسبباتها و زيل الله بينهم و رجع الكل الى الله عز اسمه رجعوا اليه و عرجوا معارجهم فحفوا من حول عرش ربهم و وصفوا قال تعالى: وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ (الزمر ٧٥)، و قال: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا (النبا ٣٨).

و الظاهر أن المراد بالروح الذى هو من أمره تعالى كما قال: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي (الإسراء ٨٥) و هو غير الملائكة كما هو ظاهر قوله تعالى: يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ

قوله تعالى: فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا لما كان سؤال السائل للعذاب عن تعنت و استكبار و هو مما يشق تحمله أمر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بالصبر و وصفه بالجميل -و الجميل من الصبر ما ليس فيه شائبه الجزع و الشكوى، و علله بأن اليوم بما فيه من العذاب قريب.

قوله تعالى: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَ يَرَاهُ قَرِيبًا ضَمِيرًا «يَرَوْنَهُ» وَ «يَرَاهُ» للعذاب أو ليوم القيامة بما فيه من العذاب الواقع و يؤيد الأول قوله فيما بعد: «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ» الخ.

و المراد بالرؤية الاعتقاد بنوع من العناية المجازيه و رؤيتهم ذلك بعيدا ظنهم أنه بعيد من الإمكان فإن سؤال العذاب من الله سبحانه استكبارا عن دينه وردا لحكمه لا- يجامع الإيمان بالمعاد و إن تفوه به السائل، و رؤيته تعالى ذلك قريبا علمه بتحقيقه و كل ما هو آت قريب.

و فى الآيتين تعليل أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بالصبر الجميل فإن تحمل الأذى و الصبر على المكاره يهون على الإنسان إذا استيقن أن الفرج قريب و تذكر ذلك فالكلام فى معنى قولنا فاصبر على تعنتهم و استكبارهم فى سؤالهم العذاب صبورا جميلا لا يشوبه جزع و شكوى فإننا نعلم أن العذاب قريب على خلاف ما يستبعدونه، و علمنا لا يتخلف عن الواقع بل هو نفس الواقع.

قوله تعالى: يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ الْمُهْلِ المذاب من المعدنيات كالنحاس و الذهب و غيرهما، و قيل: دردى الزيت، و قيل: عكر القطران (١).

و الظرف متعلق بقوله: «وَاقِعٍ» على ما يفيدته السياق.

قوله تعالى: وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ مطلق الصوف، و لعل المراد المنفوش منه كما فى قوله تعالى: وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ (القارعه ٥/).

وقيل: هو الصوف الأحمر، وقيل: المصبوغ ألواناً لأن الجبال ذات ألوان مختلفه فمنها جدد بيض و حمر و غرايب سود (١).

قوله تعالى: **وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا** الحميم القريب الذى تهتم بأمره و تشفق عليه.

إشاره الى شده اليوم فالإنسان يومئذ تشغله نفسه عن غيره حتى أن الحميم لا يسأل حميمه عن حاله لاشتغاله بنفسه.

قوله تعالى: **يُبْصِرُونَهُمْ** الضميران للأحماء المعلوم من السياق و التبصير الإراءه و الإيضاح أى يرى و يوضح الأحماء للأحماء فلا يسألونهم عن حالهم اشتغالا بأنفسهم.

و الجمله مستأنفه فى معنى الجواب عن سؤال مقدر كأنه لما قيل: لا- يسأل حميم حميمًا سئل فقيل: هل يرى الأحماء يومئذ أحماءهم؟ فأجيب: يبصرونهم و يمكن أن يكون «يُبْصِرُونَهُمْ» صفة «حَمِيمًا» .

قوله تعالى: **يَوْمَذِيبُ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بَيْنِي وَصَاحَتِي وَ أَخِيهِ وَ فَصَّةٍ يَلْتَمِسُ أَلْتَى تُؤْوِيهِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ** قال فى المجمع:

الموده مشتركه بين التمنى و بين المحبه يقال: وددت الشىء أى تمنيته و وددته أى أحببته أود فيهما جميعا. انتهى، و يمكن أن يكون استعماله بمعنى التمنى من باب التضمن.

و قال: و الافتداء افتداء الضرر عن الشىء ببدل منه انتهى، و قال: الفصله الجماعه المنقطعه عن جمله القبيله برجوعها الى ابوه خاصه عن ابوه عامه. انتهى، و ذكر بعضهم أن الفصله عشيرته الأقرين الذين فصل عنهم كالأباء الأدين.

و سياق هذه الآيات سياق الإضراب و الترقى بالنسبه الى قوله: **وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا**

ص: ٤٣١

يفيد أن المجرم يبلغ به شدة العذاب الى أن يتمنى أن يفدى من العذاب بأحب أقاربه و أكرمهم عليه بنيه و صاحبه و أخيه و فصيلته و جميع من فى الأرض ثم ينجيه الافتداء فيود ذلك فضلا عن عدم سؤاله عن حال حميمه.

و المعنى «يَوَدُّ» و يتمنى «المُجْرِمُ» و هو المتلبس بالإجرام أعم من الكافر «لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ» و هذا هو الذى يتمناه، و الجملة قائمه مقام مفعول يود. «بَيْنِهِ» الذين هم أحب الناس عنده «وَ صَاحِبَتِهِ» التى كانت سكنا له و كان يحبها و ربما قدمها على أبويه «وَ أَخِيهِ» الذى كان شقيقه و ناصره «وَ فَصِيلَتِهِ» من عشيرته الأقربين «الَّتِي تُؤْوِيهِ» و تضمه إليها «وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» من اولى العقل «ثُمَّ يُنْجِيهِ» هذا الافتداء.

قوله تعالى: كَلَّا إِنَّهَا لَلظَىٰ نَزَّاعَةَ لِّلشَّوٰى تَدْعُو مَنَ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّىٰ وَ جَمَعَ فَأَوْعَىٰ كَلَّا لِلرِّدْعِ، و ضمير «إِنَّهَا» لجهنم أو للنار و سميت لظى لكونها تتلظى و تشتعل، و النزاعه اسم مبالغه من النزاع بمعنى الاقتلاع، و الشوى الأطراف كاليد و الرجل يقال: رماه فأشواه أى أصاب شواه كذا قال الراغب، و إيعاء المال إمساكه فى وعاء.

فقوله: كَلَّا رِدْعَ لَتَمْنِيهِ النِّجَاهِ مِنَ الْعَذَابِ بِالْإِفْتِدَاءِ وَ قَدْ عَلِلَ الرِّدْعَ بِقَوْلِهِ: «إِنَّهَا لَلظَىٰ» الخ؛ و محصله أن جهنم نار مشتعله محرقة للأطراف شأنها أنها تطلب المجرمين لتعذيبهم فلا تصرف عنهم بافتداء كائنا ما كان.

فقوله: إِنَّهَا لَلظَىٰ أى نار صفتها الاشتعال لا تنزل عن شأنها و لا تخمد، و قوله:

«نَزَّاعَةَ لِّلشَّوٰى» أى صفتها إحراق الأطراف و اقتلاعها لا يبطل ما لها من الأثر فيمن تعذبه.

و قوله: تَدْعُو مَنَ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّىٰ وَ جَمَعَ فَأَوْعَىٰ أى تطلب من أدبر عن الدعوه الإلهيه الى الإيمان بالله و أعرض عن عبادته تعالى و جمع المال فأمسكه فى وعائه و لم ينفق منه للسائل و المحروم.

و هذا المعنى هو المناسب لسياق الاستثناء الآتى و ذكر الصلاه و الإنفاق فيه.

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ  
دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ  
عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَ  
الَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥)





تكون سيرتهم في الحياه سيره من يرى ان ما يأتى به من عمل سيحاسب عليه فيجازى به إن خيرا فخييرا و إن شرا فشرا.

و في التعبير بقوله: «يُصَيِّدُ قَوْلَ» دلالة على الاستمرار فهو المراقبه الدائمه بذكره تعالى عند كل عمل يواجهونه فيأتون بما يريدوه و يتركون ما يكرهه.

قوله تعالى: وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ أَي خائفون، و الكلام في إشفاقهم من عذاب ربهم نظير الكلام في تصديقهم بيوم الدين فهو الإشفاق العملي الظاهر من حالهم.

و لازم إشفاقهم من عذاب ربهم مع لزومهم الأعمال الصالحه و مجاهدتهم في الله أن لا يثقوا بما يأتون به من الأعمال الصالحه و لا يأمنوا عذاب الله فإن الأمن لا يجامع الخوف.

و الملاك في الإشفاق من العذاب أن العذاب على المخالفه فلا منجى منه إلا بالطاعه من النفس و لا ثقه بالنفس إذ لا قدره لها في ذاتها إلا ما أقدرها الله عليه و الله سبحانه مالك غير مملوك، قال تعالى: قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا (المائدة ١٧).

على أن الله سبحانه و إن وعد أهل الطاعه النجاه و ذكر أنه لا يخلف الميعاد لكن الوعد لا يقيد إطلاق قدرته فهو مع ذلك قادر على ما يريد و مشيئته نافذه فلا أمن بمعنى انتفاء للقدره على ما يخالف الوعد فالخوف على حاله و لذلك نرى أنه تعالى يقول في ملائكته يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ فيصفهم بالخوف و هو يصرح بعصمتهم، و يقول في أنبيائه وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ (الأحزاب ٣٩)، و يصف المؤمنين في هذه الآيه بالإشفاق و هو يعدهم في آخر الآيات بقول جازم فيقول «أُولَئِكَ فِي جَنَاتٍ مُكْرَمُونَ».

قوله تعالى: إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ تعليل لإشفاقهم من عذاب ربهم فيتبين به أنهم مصيبون في إشفاقهم من العذاب و قد تقدم وجهه.

قوله تعالى: وَ الَّذِينَ هُمْ لِقُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ -الى قوله- هُمُ الْعَادُونَ تقدم

تفسير الآيات الثلاث في أول سورة المؤمنون.

قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ المتبادر من الأمانات أنواع الأمانه التي يؤتمنون عليها من المال و سائر ما يوصى به من نفس أو عرض و رعايتهم لها أن يحفظوها و لا يخونوها قيل: و لكثرة أنواعها جيء بلفظ الجمع بخلاف العهد.

قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ الشهاده معروفه، و القيام بالشهاده عدم الاستنكاف عن تحملها و أداء ما تحمل منها كما تحمل من غير كتمان و لا تغيير، و الآيات في هذا المعنى كثيره.

قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ المراد بالمحافظه على الصلاه رعايه صفات كمالها على ما ندب اليه الشرع.

قيل: و المحافظه على الصلاه غير الدوام عليها فإن الدوام متعلق بنفس الصلاه و المحافظه بكيفيتها فلا تكرر في ذكر المحافظه عليها بعد ذكر الدوام عليها.

قوله تعالى: أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ الإشاره الى المصلين في قوله: «إِلَّا الْمُصَلِّينَ» و تنكير جنات للتفخيم، و «فِي جَنَّاتٍ» خبر و «مُكْرَمُونَ» خبر بعد خبر أو ظرف لقوله: «مُكْرَمُونَ» (١).

### [سوره المعارج (٧٠): الآيات ٣٦ الى ٤٤]

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكُمْ مَهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عَزِيزِينَ (٣٧) أَيْطَمُّعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا- إِنْ أَرْسَلْنَا مِنْهُمْ مِمَّا يَخْلُقْنَا مِنْ مِمَّا يَخْلُقْنَا مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا- أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْنَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)

ص: ٤٣٦

قوله تعالى: **فَمَا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ** قال في المجمع: قال الزجاج: المهطع المقبل ببصره على الشيء لا يزايله و ذلك من نظر العدو، وقال أبو عبيده: الاهطاع الاسراع، و عزين جماعات في تفرقه، واحدتهم عزه.

انتهى، و قبل الشيء بالكسر فالفتح الوجهه التي تليه و الفاء في «فَمَا» فصيحته.

و المعنى: إذا كان الانسان بكفره و استكباره على الحق مصيره الى النار إلا من استثنى من المؤمنين فما للذين كفروا عندك مقبلين لا يرفعون عنك أبصارهم و هم جماعات متفرقه عن يمينك و شمالك أ يطمعون أن يدخلوا الجنة فيعجزوا الله و يسبقوه فيما قضى به أن لا يدخل الجنة إلا الصالحاء من المؤمنين.

قوله تعالى: **أَيُّطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ** الاستفهام للانكار أى- ما هو الذى يحملهم على أن يحتفوا بك و يهطعوا عليك؟- هل يحملهم على ذلك

طمع كل منهم أن يدخل جنة نعيم و هو كافر فلا مطمع للكافر في دخول الجنة.

و نسب الطمع الى كل امرئ منهم و لم ينسب الى جماعتهم بأن يقال: أطمعون أن يدخلوا، الخ؛ كما نسب الإهطاع الى جماعتهم فقيل: مهطعين لأن النافع من الطمع في السعادة و الفلاح هو الطمع القائم بنفس الفرد الباعث له الى الإيمان و العمل الصالح دون القائم بالجماعة بما أنها جماعة فطمع المجموع من حيث أنه مجموع لا يكفى في سعادة كل واحد واحد.

و فى قوله: أَنْ يُدْخَلَ مَجْهُولًا- من باب الإفعال إشاره الى أن دخولهم فى الجنة ليس منوطا باختيارهم و مشيئتهم بل لو كان فانما هو الى الله سبحانه فهو الذى يدخلهم الجنة إن شاء و لن يدخل بما قدر أن لا يدخلها كافر.

قوله تعالى: كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ردع لهم عن الطمع فى دخول الجنة مع كفرهم.

و قوله: إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ المراد بما يعلمون النطفه فإن الإنسان مخلوق منها. و الكلام مرتبط بما بعده و المجموع تعليل للردع، و محصل التعليل أنا خلقناهم من النطفه - و هم يعلمون به - فلنا أن نذهب بهم و نخلق مكانهم قوما آخرين يكونون خيرا منهم مؤمنين غير رادين لشيء من دين الله، و لسنا بمسبوقين حتى يعجزنا هؤلاء الكفار و يسبقونا فندخلهم الجنة و ينتقض به ما قدرنا أن لا يدخل الجنة كافر.

قوله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِذْ نَلَقْنَا دُرُودَنَا عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ المراد بالمشارك و المغارب مشارق الشمس و مغاربها فإن لها فى كل يوم من أيام السنه الشمسيه مشرقا و مغربا لا يعود اليهما الى مثل اليوم من السنه القابله، و من المحتمل أن يكون المراد بها مشارق جميع النجوم و مغاربها.

و فى الآيه على قصرها وجوه من الالتفات فى قوله: «فَلَا أُقْسِمُ» التفات من التكلم مع الغير فى «إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ» الى التكلم وحده، و الوجه فيه تأكيد القسم بإسناده الى الله تعالى

و فى قوله: **بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ** التفات من التكلم وحده الى الغيبه، و الوجه فيه الإشاره الى صفه من صفاته تعالى هى المبدأ فى خلق الناس جيلا بعد جيل و هى ربوبيته للمشارك و المغارب فإن الشروق بعد الشروق و الغروب بعد الغروب الملازم لمرور الزمان دخلا تاما فى تكوّن الإنسان جيلا بعد جيل و سائر الحوادث الأرضيه المقارنه له.

و فى قوله: **إِنَّا لَقَادِرُونَ** التفات من الغيبه الى التكلم مع الغير، و الوجه فيه الإشاره الى العظمه المناسبه لذكر القدره، و فى ذكر ربوبيته للمشارك و المغارب إشاره الى تعليل القدره فإن الذى ينتهى اليه تدبير الحوادث فى تكونها لا يعجزه شىء من الحوادث التى هى أفعاله عن شىء منها و لا يمنعه شىء من خلقه من أن يبدله خيرا منه و إلا شاركه المانع فى أمر التدبير و الله سبحانه و واحد لا شريك له فى ربوبيته فافهم ذلك.

و قوله: **إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ** «عَلَىٰ» متعلق بقوله:

**«لَقَادِرُونَ»** و المفعول الأول لنبدل ضمير محذوف راجع اليهم و إنما حذف للإشاره الى هوان أمرهم و عدم الاهتمام بهم، و «خَيْرًا» مفعوله الثانى و هو صفه أقيمت مقام موصوفها، و التقدير إنا لقادرون على أن نبدلهم قوما خيرا منهم، و خيريتهم منهم أن يؤمنوا بالله و لا يكفروا به و يتبعوا الحق و لا يردوه.

و قوله: **وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ** المراد بالسبق الغلبه على سبيل الاستعاره، و كونه تعالى مسبوقا هو أن يمنعه خلقهم أن يذهب بهم و يأتى بدلهم بقوم خير منهم.

قوله تعالى: **فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ** أمر للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يتركهم و ما هم فيه، و لا يلح عليهم بحجاج و لا يتعب نفسه فيهم بعضه، و قد سمي ما هم عليه بالخوض و اللعب دلالة على أنهم لا ينتفعون به انتفاعا

حقيقيا على ما لهم فيه من الإمعان و الإصرار كاللعب الذى لا نفع فيه وراء الخيال فليتركوا حتى يلاقوا اليوم الذى يوعدون و هو يوم القيامة.

و فى إضافه اليوم اليهم إشاره الى نوع اختصاص له بهم و هو الاختصاص بعذابهم.

قوله تعالى: **يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ** بيان ليومهم الذى يوعدون و هو يوم القيامة.

و الأجداث جمع جدث و هو القبر، و سراعا جمع سريع، و النصب ما ينصب علامه فى الطريق يقصده السائرون للاهتداء به، و قيل: هو الصنم المنصوب للعباده و هو بعيد من كلامه تعالى، و الإيفاض الإسراع و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: **خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ** الخشوع تأثر خاص فى القلب عن مشاهدته العظمه و الكبرياء، و يناظره الخضوع فى الجوارح، و نسبه الخشوع الى الأبصار لظهور آثاره فيها، و الرهق غشيان الشىء بقهر.

و قوله: **«ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ»** الإشاره الى ما مر من أوصافه من الخروج من الأجداث سراعا و خشوع الأبصار و رهق الذله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّضْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَّا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ لَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالٌ وَوَلَدَةٌ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبْرًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤)





تشير السورة الى رساله نوح عليه السلام الى قومه و إجمال دعوته و عدم استجابتهم له ثم شكواه الى ربه منهم و دعائه عليهم و استغفاره لنفسه و لوالديه و لمن دخل بيته مؤمنا و للمؤمنين و المؤمنات ثم حلول العذاب بهم و إهلاكهم بالإغراق و السورة مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: **إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** «أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ» الخ؛ تفسير لرسالته أى أوحينا اليه أن أنذر، الخ.

و فى الكلام دلالة على أن قومه كانوا عرضه للعذاب بشركهم و معاصيهم كما يدل عليه ما حكى من قوله عليه السلام فى الآية التالية: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ» و ذلك أن الإنذار تخويف و التخويف إنما يكون من خطر محتمل لا دافع له لو لا التحذر، و قد أفاد قوله: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أنه متوجه اليهم غير تاركهم لو لا تحذرهم منه.

قوله تعالى: **قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُوا أَمْرًا يُبَيِّنُ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** و تفصيلا بقوله: «أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ» الخ.

و فى إضافته اليوم الى نفسه إظهار إشفاق و رحمه أى إنكم قومى يجمعكم و إياى مجتمعنا القومى تسوؤنى ما أساءكم فلست أريد إلا ما فيه خيركم و سعادتكم إنى لكم نذير، الخ.

و فى قوله: **أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ** دعوتهم الى توحيدته تعالى فى عبادته فإن القوم كانوا وثنيين يعبدون الأصنام، و الوثنية لا تجوز عباده الله سبحانه لا وحده و لا مع غيره، و إنما يعبدون أرباب الأصنام بعباده الأصنام ليكونوا شفعاء لهم عند الله، و لو جوزوا عبادته تعالى

لعبدوه وحده فدعوتهم الى عباده الله دعوه لهم الى توحيدهم في العباده.

و فى قوله: وَ اتَّقُوهُ دَعْوَتُهُمْ اِلَى اجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ مِنْ كِبَائِرِ الْاِثْمِ وَ صَغَائِرِهِ وَ هِيَ الشَّرْكَ فَمَا دُونَهُ، وَ فَعَلَ الْاَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي فِي تَرْكِهَا مَعْصِيَةٌ.

و فى قوله: وَ اطِيعُوْنَ دَعْوَةَ لَهُمْ اِلَى طَاعَةِ نَفْسِهِ الْمُسْتَلْزَمِ لِتَصْدِيقِ رِسَالَتِهِ وَ اخْذِ مَعَالِمِ دِينِهِمْ مِمَّا يَعْبُدُ بِهِ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَ يَسْتَنِي بِهِ فِي الْحَيَاةِ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ففى قوله: «اعْبُدُوا اللّٰهَ وَ اتَّقُوهُ وَ اطِيعُوْنَ» ندب الى اصول الدين الثلاثة: التوحيد المشار اليه بقوله: «اعْبُدُوا اللّٰهَ» و المعاد الذى هو أساس التقوى (1) و التصديق بالنبوه المشار اليه بالدعوه الى الطاعه المطلقه.

قوله تعالى: يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ مَجْزُومٌ فِي جَوَابِ الْأَمْرِ وَ كَلِمَةُ «مِنْ» لِلتَّبْعِيضِ عَلَى مَا هُوَ الْمَتَبَادِرُ مِنَ السِّيَاقِ، وَ الْمَعْنَى إِنْ تَعْبُدُوهُ وَ تَتَّقُوهُ وَ تَطِيعُونِي يَغْفِرْ لَكُمْ بَعْضَ ذُنُوبِكُمْ وَ هِيَ الذُّنُوبُ الَّتِي قَبْلَ الْإِيمَانِ: الشَّرْكَ فَمَا دُونَهُ، وَ أَمَّا الذُّنُوبُ الَّتِي لَمْ تَقْتَرَفْ بَعْدَ مَا سَيَسْتَقْبَلُ فَلَا مَعْنَى لِمَغْفَرَتِهَا قَبْلَ تَحْقِيقِهَا، وَ لَا مَعْنَى أَيْضًا لِلْوَعْدِ بِمَغْفَرَتِهَا إِنْ تَحَقَّقَتْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَوْ كَلِمًا تَحَقَّقَتْ لِاسْتِلْزَامِ ذَلِكَ إِغْيَاءَ التَّكَالِيفِ الدِّينِيَّةِ بِإِغْيَاءِ الْمَجَازَاهِ عَلَى مَخَالَفَتِهَا.

قوله تعالى: وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخِّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ تعليق تأخيرهم الى أجل مسمى على عباده الله و التقوى و طاعه الرسول يدل على أن هناك أجلين أجل مسمى يؤخرهم الله اليه إن أجابوا الدعوه، و أجل غيره يعجل اليهم لو بقوا على الكفر، و أن الأجل المسمى اقصى الأجلين و ابعدهما.

ففى الآيه و عدهم بالتأخير الى الأجل المسمى إن آمنوا و فى قوله: «إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخِّرُ» تعليل للتأخير الى الأجل المسمى إن آمنوا فالمراد بأجل الله إذا جاء مطلق الأجل المقضى المتحتم أعم من الأجل المسمى و غير المسمى فلا راد لقضائه تعالى و لا

ص: ٤٤٤

(١- ١). اذ لو لا المعاد بما فيه من الحساب و الجزاء لم يكن للتقوى الدينى وجه، منه.

و المعنى: أن اعبدوا الله و اتقوه و أطيعوني يؤخرهم الله الى أجل مسمى هو أقصى الأجلين فإنكم إن لم تفعلوا ذلك جاءكم الأجل غير المسمى بكفركم و لم تؤخروا فإن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، ففي الكلام مضافا الى وعد التأخير الى الأجل المسمى إن آمنوا، تهديد بعذاب معجل إن لم يؤمنوا.

و قوله: لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ متعلق بأول الكلام أى لو كنتم تعلمون أن لله أجلين و أن أجله إذا جاء لا- يؤخر استجبتم دعوتى و عبدتم الله و اتقيتموه و أعطيتموني هذا فمفعول «تَعْلَمُونَ» محذوف يدل عليه سابق الكلام.

و قيل: إن «تَعْلَمُونَ» منزل منزله الفعل اللازم، و جواب لو متعلق بأول الكلام، و المعنى:

لو كنت من أهل العلم لاستجبتم دعوتى و آمنتم، أو متعلق بآخر الكلام، و المعنى: لو كنتم من أهل العلم لعلمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر.

قوله تعالى: قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا الْقَائِلُ هُوَ نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَ تَقْوَاهُ وَ طَاعَةُ رَسُولِهِ، وَ الدُّعَاءُ لَيْلًا وَ نَهَارًا كُنَايَةٌ عَنْ دَوَامِهِ مِنْ غَيْرِ فِتْوَرٍ وَ لَا تَوَانٍ.

و قوله: فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا أى من إجابته دعوتى فالمراد بالفرار التمرد و التآبى عن القبول استعاره، و إسناد زياده الفرار الى دعائه لما فيه من شائبه السببيه لأن الخير إذا وقع فى محل غير صالح قاومه المحل بما فيه من الفساد فأفسده فانقلب شرا، و قد قال تعالى فى صفه القرآن: وَ نُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (الإسراء ٨٢).

قوله تعالى: وَ إِنِّي كَلَّمْتُهم لَتَغْفِرَ لَهُم جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اسْتَعْشَوْا بِبَابِهِمْ الخ؛ ذكر مغفرته تعالى غايه لدعوته و الأصل «دعوتهم ليؤمنوا فتغفر

لهم» لأن الغرض الإشاره الى أنه كان ناصحا لهم فى دعوته و لم يرد إلا ما فيه خير دنياهم و عقباهم.

و قوله: جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ كَنِيَاهِ عَنِ اسْتِكْفَاهُمْ عَنِ الاسْتِمَاعِ الى دعوته، و قوله: «وَ اسْتَعْشَوْا لِيَابَهُمْ» أى غطوا بها رءوسهم و وجوههم لئلا يرونى و لا يسمعوا كلامى و هو كناية عن التنفر و عدم الاستماع الى قوله.

و قوله: وَ أَصْرُوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً أى و أَلْحُوا عَلَى الامْتِنَاعِ مِنَ الاسْتِمَاعِ وَ اسْتَكْبَرُوا عَنِ قَبُولِ دَعْوَتِي اسْتِكْبَاراً عَجِيباً.

قوله تعالى: ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً «ثُمَّ» للتراخى بحسب رتبه الكلام و الجهال النداء بأعلى الصوت.

قوله تعالى: ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً الإِعْلَانِ وَ الإِسْرَارِ مُتَقَابِلَيْنِ وَ هُمَا الإِظْهَارُ وَ الإِخْفَاءُ، و ظاهر السياق أن مرجع ضمير لهم فى الموضوعين واحد فالمعنى دعوتهم سرا و علانيه فتاره علانيه و تاره سرا سالكا فى دعوتى كل مذهب ممكن و سائرا فى كل مسير مرجو.

قوله تعالى: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً - الى قوله- أَنَّهُاراً عَلَّلَ أَمْرَهُمْ بِالاسْتِغْفَارِ بقوله: «إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً» دلالة على أنه تعالى كثير المغفرة و هى مضافا الى كثرتها منه سنه مستمره له تعالى.

و قوله: يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً مجزوم فى جواب الأمر، و المراد بالسمااء السحاب، و المdrار كثير الدرور بالأمطار.

و قوله: وَ يُمِيدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ الإِمْدَادِ إِلْحَاقِ المَدَدِ وَ هُوَ مَا يَتَقَوَّى بِهِ المَدَدُ عَلَى حَاجَتِهِ، وَ الأَمْوَالِ وَ البَنُونِ أَقْرَبُ الأَعْضَادِ الإِبْتِدَائِيَّةِ الَّتِي يَسْتَعِينُ بِهَا المَجْتَمَعُ الإِنْسَانِي عَلَى حَوَائِجِهِ الحَيَوِيَّةِ.

و قوله: وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَاراً هـمَا من قسم الأموال غير أنهما لكونهما من أبسط ضروريات المعاش خصا بالذكر.

قوله تعالى: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً استفهام إنكارى و الوقار- كما فى المجمع- بمعنى العظمه اسم من التوقير بمعنى التعظيم، و الرجاء مقابل الخوف و هو الظن بما فيه مسره، و المراد به فى الآيه مطلق الاعتقاد على ما قيل، و قيل: المراد به الخوف للملازمه بينهما.

و المعنى: أى سبب حصل لكم حال كونكم لا تعتقدون أو لا تخافون لله عظمه توجب أن تعبدوه.

و الآيه أعنى قوله: «مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً» و ما يتلوها الى تمام سبع آيات مسوقه لإثبات وقاره تعالى فى الربوبيه و حجه قاطعه فى نفى ما لفقوه لوجوب عباده غيره من الملائكه و غيرهم لاستناد تدبير العالم اليهم، و يتبين به إمكان التوجه العبادى اليه تعالى.

و محصل الحجه: ما الذى دعاكم الى نفى ربوبيته تعالى المستتبع للالوهيه و المعبوديه و اليأس عن وقاره؟ و أنتم تعلمون أنه تعالى خلقكم و خلق العالم الذى تعيشون فيه طورا من الخلق لا- ينفك عن هذا النظام الجارى فيه، و ليس تدبير الكون و من فيه من الإنسان إلا- التطورات المخلوقه فى أجزائه و النظام الجارى فيه فكونه تعالى خالقا هو كونه مالكا مدبرا فهو الرب لا رب سواه فيجب أن يتخذ إليها معبودا.

و يتبين به صحه التوجه اليه تعالى بالعباده فإننا نعرفه بصفاته الكريمه من الخلق الرزق و الرحمه و سائر صفاته الفعلية فلنا أن نتوجه اليه بما نعرفه من صفاته (1).

ص: ٤٤٧

١- ١). و إنما أخذنا بما نعرفه من صفاته الفعلية لأن من المنسوب إليهم أنهم ينكرون صفاته الذاتية و يفسرونها بسلب النقائص فمعنى كونه حيا قديرا عليما عندهم أنه ليس بميت و لا عاجز و لا جاهل على أن الآيات ايضا تصفه بالصفات الفعلية، منه.

قوله تعالى: وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا حال من فاعل «لَا تَرْجُونَ» و الأطوار جمع طور و هو حد الشيء و حاله التي هو عليها.

و محصل المعنى -لا ترجون لله وقارا في ربوبيه- و الحال أنه أنشأكم طورا بعد طور يستعقب طورا آخر فأنشأ الواحد منكم ترابا ثم نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم جنينا ثم طفلا- ثم شابا ثم شيخا و أنشأ جمعكم مختلفه الأفراد في الذكوره و الانوثه و الالوان و الهيئات و القوه و الضعف الى غير ذلك، و هل هذا إلا التدبير فهو مدبر أمركم فهو ربكم.

قوله تعالى: أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مطابقيه السماوات السبع بعضها لبعض كون بعضها فوق بعض أو تطابقهن و تماثلهن على الاحتمالين المتقدمين في تفسير أوائل سوره الملك.

و المراد بالرؤيه العلم، و توصيف السماوات السبع -و الكلام مسوق سوق الحجه- يدل على أنهم كانوا يرون كونها سبعا و يسلمون ذلك فاحتج عليهم بالمسلم عندهم.

و كيف كان فوقوع حديث السماوات السبع في كلام نوح دليل على كونه مأثورا من الأنبياء عليهم السلام من أقدم العهود.

قوله تعالى: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا الآيات- كما يشهد به سياقها- مسوقه لبيان وقوع التدبير الإلهي على الانسان بما يفيض عليه من النعم حتى تثبت ربوبيته فتجب عبادته.

و على هذا فكون الشمس سراجا هو كونها مضيئه لعالمنا و لولاها لانغمرنا في ظلمه ظلماء، و كون القمر نورا هو كونه منورا لأرضنا بنور مكتسب من الشمس فليس منورا بنفسه حتى يعد سراجا.

و أما أخذ السماوات طرفا للقمر في قوله: «وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا» فالمراد به كما قيل كونه في حيزهن و إن كان في واحده منها كما تقول: إن في هذه الدور لبثا و إن كانت في واحده منها

لأن ما كان فى إحداهن كان فىهن و كما تقول: أتيت بنى تميم و انما أتيت بعضهم.

قوله تعالى: وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ لِبَاتًا أَى أَنْبَتَكُمْ إنبات و ذلك أن الانسان تنتهى خلقته الى عناصر أرضيه تركبت تركبا خاصا به يغتذى و ينمو و يولد المثل، و هذه حقيقه النبات، فالكلام مسوق سوق الحقيقه من غير تشبيه و استعاره.

قوله تعالى: ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا الإِيعَادِ فِيهَا بِالْإِمَاتَةِ وَ الإِقْبَارِ، وَ الإِخْرَاجَ لِلجِزَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَالْآيَةُ وَ التَّى قَبْلَهَا قَرِيبَتَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ (الأعراف ٢٥).

و فى قوله: وَ يُخْرِجُكُمْ دُونَ أَنْ يَقُولَ: ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ إِيمَاءً إِلَى أَنْ الإِعَادَةَ وَ الإِخْرَاجَ كَالصَّنْعِ الْوَاحِدِ وَ الإِعَادَةَ مُقَدَّمَةً لِلإِخْرَاجِ، وَ الْإِنْسَانَ فِي حَالَتِهِ الإِعَادَةَ وَ الإِخْرَاجَ فِي دَارِ الْحَقِّ كَمَا أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا فِي دَارِ الْغُرُورِ.

قوله تعالى: وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا أَى كَالْبَسَاطِ يَسْهَلُ لَكُمْ التَّقَلُّبُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ، وَ الْإِنْتِقَالَ مِنْ قَطْرٍ إِلَى قَطْرٍ.

قوله تعالى: لَتَسِيلُ كُفَا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا السَّبِيلُ جَمْعُ سَبِيلٍ بِمَعْنَى الطَّرِيقِ وَ الْفِجَاجُ جَمْعُ فِجٍّ بِمَعْنَى الطَّرِيقِ الْوَاسِعِ، وَ قِيلَ: الطَّرِيقُ الْوَاقِعُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ.

قوله تعالى: قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَ وَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا رَجُوعَ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى شِكْوَاهِ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى رَبِّهِ بَعْدَ مَا ذَكَرَ تَفْصِيلَ دَعْوَتِهِ لَهُمْ وَ مَا أَلْقَاهُ مِنَ الْقَوْلِ إِلَيْهِمْ مِنْ قَوْلِهِ: «ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا» إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ.

وَ شِكْوَاهِ السَّابِقِ لَهُ قَوْلُهُ: «فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» بَعْدَ مَا أَخْبَرَ بِإِجْمَالِ دَعْوَتِهِ بِقَوْلِهِ:

«رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا» .

وَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْعِظْمَاءَ الْمُتَرَفِينَ مِنْ قَوْمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنْهُ وَ يَحْرُضُونَهُمْ عَلَى مَخَالَفَتِهِ وَ إِيْذَانِهِ.



و معنى قوله: لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا - وقد عد المال و الولد فى سابق كلامه من النعم- أن المال و الولد اللذين هما من نعمك و كان يجب عليهم شكرهما لم يزيدهم إلا كفرا و أورثهم ذلك خسرانا من رحمتك.

قوله تعالى: وَ مَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا الكبار اسم مبالغه من الكبر.

قوله تعالى: وَ قَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لَا سُوعًا وَ لَا يَعْوثَ وَ يَعْوقَ وَ نَشِيرًا توصيه منهم بالتمسك بالهتهم و عدم ترك عبادتها.

و ود و سواع و يعوق و يعوث و يسر خمس من آلهتهم لهم اهتمام تام بعبادتهم و لذا خصوها بالذكر مع الوصيه بمطلق الآلهه، و لعل تصدير ود و ذكر سواع و يعوث بلا المؤكده للنفي لكونها أعظم أمرا عندهم من يعوق و يسر و الله أعلم.

قوله تعالى: وَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ضمير «أضلوا» للرؤساء المتبوعين و يتأيد به أنهم هم المحدث عنهم فى قوله: «وَ مَكَرُوا» «وَ قَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ» و قيل: الضمير للأصنام فهم المضلون، و لا يخلو من بعد.

و قوله: وَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا دعاء من نوح على الظالمين بالضلال و المراد به الضلال مجازاه دون الضلال الابتدائى فهو دعاء منه أن يجازيهم الله بكفرهم و فسقهم مضافا الى ما سيحكى عنه من دعائه عليهم بالهلاك (١).

### [سوره نوح (٧١): الآيات ٢٥ الى ٢٨]

مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥) وَ قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَ لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِيَوْمِئِذٍ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)

ص: ٤٥٠

١- ١). نوح ١-٢٤: بحث روائى فى: الاستغفار و نتائجه؛ السماوات السبع؛ الاصنام و الاوثان التى كانت فى قوم نوح عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَاراً﴾ الخ؛ «من» لا ابتداء الغايه تفيد بحسب المورد التعليل و«ما» زائده لتأكيد أمر الخطايا و  
تفخيمه، و الخطيئات المعاصي و الذنوب، و تنكير النار للتفخيم.

و المعنى: من أجل معاصيهم و ذنوبهم أغرقوا بالطوفان فادخلوا-أدخلهم الله-نارا لا يقدر عذابها بقدر، و من لطيف نظم الآيه  
الجمع بين الإغراق بالماء و إدخال النار.

و المراد بالنار نار البرزخ التي يعذب بها المجرمون بين الموت و البعث دون نار الآخرة، و الآيه من أدله البرزخ إذ ليس المراد  
أنهم أغرقوا و سيدخلون النار يوم القيامة، و لا يعاب بما قيل: ان من الجائر أن يراد بها نار الآخرة.

و قوله: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً﴾ أى ينصرونهم فى صرف الهلاك و العذاب عنهم. تعريض لأصنامهم و آلهتهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ الديار نازل الدار، و الآيه تتمه دعائه عليه السّلام عليهم، و كان  
قوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ الخ؛ معترضا واقعا بين فقرتى الدعاء للاشاره الى أنهم اهلكوا لما عد نوح من خطيئاتهم و لتكون  
كالتمهيد لسؤاله الهلاك فيبين أن اغراقهم كان استجابا لدعائه، و أن العذاب استوعبهم عن

آخريهم.

قوله تعالى: إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا تَعْلِيلَ لِسؤال اهلاكيهم عن آخريهم مفاده أن لا فائده في بقائهم لا لمن دونهم من المؤمنين فانهم يضلونهم، ولا فيمن يلدونه من الأولاد فانهم لا يلدون الا فاجرا كفارا-و الفجور الفسق الشنيع و الكفار المبالغ في الكفر.

و قد استفاد عليه السلام ما ذكره من صفتهم من الوحي الالهي على ما تقدم في تفسير قصه نوح من سوره هود.

قوله تعالى: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ الْخ؛ المراد بمن دخل بيته مؤمنا المؤمنون به من قومه، و بالمؤمنين و المؤمنات عامتهم الى يوم القيامة.

و قوله: وَ لَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا التبار الهلاك، و الظاهر أن المراد بالتبار ما يوجب عذاب الآخرة و هو الضلال و هلاك الدنيا بالغرق، و قد تقدمما جميعا في دعائه، و هذا الدعاء آخر ما نقل من كلامه عليه السلام في القرآن الكريم.

ص: ٤٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْمٌ مِّنَ الْغَيْبِ فَذَرْنَاهُ لِمَن يَشَاءُ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْغُورِ (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلْتًّا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَا مِنَّا الضَّالِّينَ وَالْمُتَلَقِّينَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا (١١) وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَنْ لَّوِ اسْتَتَمُّوا عَلَى الطَّرِيقِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنُقَاتِلَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)

تشير السوره الى قصه نفر من الجن استمعوا القرآن فآمنوا به و أقرأوا باصول معارفه، و تتخلص منها الى تسجيل نبوه النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و الإشاره الى وحدانيته تعالى في ربوبيته و الى المعاد، و السوره مكيه بشهاده سياقها.

قوله تعالى: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ أَمْرٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ أَنْ يَقص القصه لقومه، و الموحى هو الله سبحانه، و مفعول «اسْتَمَعَ» القرآن حذف لدلاله الكلام عليه، و نفر الجماعه من ثلاثه الى

تسعه على المشهور، وقيل: بل الى أربعين.

و العجب بفتحيتين ما يدعو الى التعجب منه لخروجه عن العاده الجاربه فى مثله، و إنما وصفوا القرآن بالعجب لأنه كلام خارق للعادة فى لفظه و معناه أتى به رجل امى ما كان يقرأ و لا يكتب.

و الرشد إصابه الواقع و هو خلاف الغى، و هدايه القرآن الى الرشد دعوته الى عقائد و أعمال تتضمن للمتلبس بها سعاده الواقعيه.

و المعنى: يا أيها الرسول قل للناس: اوحى-أى أوحى الله-الى أنه استمع القرآن جماعه من الجن فقالوا-لقومهم لما رجعوا اليهم- إنا سمعنا كلاما مقروا خارقا للعادة يهدى الى معارف من عقائد و أعمال فى التلبس بها إصابه الواقع و الظفر بحقيقه السعاده (1).

قوله تعالى: فَأَمَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا إِخْبَارَ عَنْ إِيمَانِهِمْ بِالْقُرْآنِ وَ تَصْدِيقِهِمْ بِأَنَّهُ حَقٌّ، وَ قَوْلُهُ: «وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» تَأْكِيدٌ لِمَعْنَى إِيمَانِهِمْ بِهِ أَنَّ إِيمَانَهُمْ بِالْقُرْآنِ إِيمَانٌ بِاللَّهِ الَّذِى أَنْزَلَهُ فَهُوَ رَبُّهُمْ، وَ أَنَّ إِيمَانَهُمْ بِهِ تَعَالَى إِيمَانٌ تَوْحِيدٌ لَا يَشْرِكُونَ بِهِ أَحَدًا أَبَدًا.

قوله تعالى: وَ أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَ لَا وَلَدًا فَسِرَ الْجَدُّ بِالْعِظْمَةِ وَ فِى الْحِظِّ، وَ الْآيَةُ فِى مَعْنَى التَّأْكِيدِ لِقَوْلِهِمْ: «وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» .

و القراءه المشهوره «أَنَّهُ» بالفتح، و قرء بالكسر فى هذه الآيه و فيما بعدها من الآيات-اثنا عشر موردا-الى قوله: «وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا» فبالفتح و هو الأرجح لظهور سياق الآيات فى أنها مقوله قول الجن.

و أما قراءه الفتح فوجهها لا يخلو من خفاء، و قد وجهها بعضهم بأن الجملة «وَ أَنَّهُ» الخ؛

ص: ٤٥٥

(١-١). الجن ١-١٧: كلام فى الجن.

معطوفه على الضمير المجرور في قوله: «فَأَمَّا بِهِ» و التقدير و آمننا بأنه تعالى جد ربنا، الخ؛ فهو إخبار منهم بالإيمان بنفى صاحبه و الولد منه تعالى على ما يقول به الوثنيون.

و هذا إنما يستقيم على قول الكوفيين من النحاه بجواز العطف على الضمير المتصل المجرور، و أما على قول البصريين منهم من عدم جوازه فقد وجهه بعضهم كما عن الفراء و الزجاج و الزمخشري بأنها معطوفه على محل الجار و المجرور و هو النصب فإن قوله: «فَأَمَّا بِهِ» في معنى صدقناه، و التقدير و صدقناه أنه تعالى جد ربنا، الخ، و لا يخفى ما فيه من التكلف.

و وجهه بعضهم بتقدير حرف الجر في الجملة المعطوفه و ذلك مطرد في أن و أن، و التقدير آمننا به و بأنه تعالى جد ربنا، الخ.

و يرد على الجميع أعم من العطف على الضمير المجرور أو على محله أو بتقدير حرف الجر أن المعنى إنما يستقيم حينئذ في قوله: «وَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ خَدُّ رَبِّنَا» الخ؛ و قوله: «وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَيَفِيهَنَا» الخ؛ و أما بقيه الآيات المصدره بأن كقوله: «وَ أَنَا ظَنَّنَا أَن لَّنْ تَقُولَ» الخ؛ و قوله: «وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ» الخ؛ و قوله: «وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ» فلا يصح قطعاً فلا معنى لأن يقال: آمننا أو صدقنا أنا ظننا أن لن تقول الانس و الجن على الله شططاً، أو يقال: آمننا أو صدقنا أنه كان رجال من الإنس يعوذون، الخ؛ أو يقال: آمننا أو صدقنا أنا لمسنا السماء، الخ.

و لا يندفع الإشكال إلا بالمصير الى ما ذكره بعضهم أنه إذا وجه الفتح في الآيتين الأوليين بتقدير الإيمان أو التصديق فليوجه في كل من الآيات الباقية بما يناسبها من التقدير.

و وجه بعضهم الفتح بأن قوله: «وَ أَنَّهُ تَعَالَىٰ» الخ؛ و سائر الآيات المصدره بأن معطوفه على قوله: «أَنَّهُ اسْتَمَعَ» الخ.

و لا يخفى فساده فان محصله أن الآيات في مقام الإخبار عما اوحى الى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ من أقوالهم و قد أخبر عن قولهم: إنا سمعنا قرآنا عجبا فآمنا به بعنوان أنه إخبار عن قولهم ثم

حكى سائر أقوالهم بألفاظها فالمعنى اوحى إلیّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا: إنا سمعنا كذا و كذا و اوحى الى أنه تعالى جد ربنا، الخ؛ و اوحى الى أنه كان يقول سفيها الى آخر الآيات.

فیرد علیه أن ما وقع فی صدر الآيات من لفظه «أَنَّهُ» و «أَنَّهُمْ» و «أَنَا» إن لم يكن جزء من لفظهم المحكى كان زائدا مخللا بالكلام، و إن كان جزء من كلامهم المحكى بلفظه لم يكن المحكى من مجموع أن و ما بعدها كلاما تاما و احتاج الى تقدير ما يتم به كلاما حتى تصح الحكاياه، و لم ينفع في ذلك عطفه على قوله: «أَنَّهُ اسْتَمَعَ» شيئا فلا تغفل.

قوله تعالى: وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا السفه-على ما ذكره الراغب-خفه النفس لنقصان العقل، و الشطط القول البعيد من الحق.

و الآيه أيضا في معنى التأكيد لقولهم: «لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» و مرادهم بسفيهم من سبقهم من مشركى الجن، و قيل: المراد إبليس و هو من الجن، و هو بعيد من سياق قوله: «كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا» الخ.

قوله تعالى: وَ أَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا اعتراف منهم بأنهم ظنوا أن الإنس و الجن صادقون فيما يقولون و لا- يكذبون على الله فلما وجدوهم مشركين و سمعوهم ينسبون اليه تعالى الصاحبه و الولد أذعنوا و قلدوهم فيما يقولون فأشركوا مثلهم حتى سمعوا القرآن فانكشف لهم الحق؛ و فيه تكذيب منهم للمشركين من الإنس و الجن.

قوله تعالى: وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالًا مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا قال الراغب: العوذ اللتجاء الى الغير، و قال: رهقه الأمر غشيه بقهر انتهى. و فسر الرهق بالإثم، و بالطغيان، و بالخوف، و بالشر، و بالذله و الضعف، و هى تفاسير بلازم المعنى.

و المراد بعوذ الإنس بالجن-على ما قيل: أن الرجل من العرب كان إذا نزل الوادى فى سفره



ليلا قال: أعوذ بعزير هذا الوادى من شر سفهاء قومه، ونقل عن مقاتل أن أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفه ثم فشا فى العرب.

و لا يبعد أن يكون المراد بالعوذ بالجن الاستعانه بهم فى المقاصد من طريق الكهان، و اليه يرجع ما نقل عن بعضهم أن المعنى كان رجال من الإنس يعوذون برجال من أجل الجن و من معرفتهم و أذاهم.

و الضميران فى قوله: «فَزَادُوهُمْ» أولهما لرجال من الإنس و ثانيهما لرجال من الجن و المعنى فزاد رجال الإنس رجال الجن رهقا بالتجاهم اليهم فاستكبر رجال الجن و طغوا و أثموا، و يجوز العكس بأن يكون الضمير الأول لرجال الجن و الثانى لرجال الإنس، و المعنى فزاد رجال الجن رجال الإنس رهقا أى إثمنا و طغيانا أو ذله و خوفا.

قوله تعالى: «وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَنْ يَنبَغَ اللَّهُ أَحَدًا ضَمِيرٌ «أَنَّهُمْ» لرجال من الإنس، و الخطاب فى «ظَنَنْتُمْ» لقومهم من الجن، و المراد بالبعث بعث الرسول بالرسالة فالمشركون ينكرون ذلك، و قيل: المراد به الإحياء بعد الموت، و سياق الآيات التالىة يؤيد الأول.

قوله تعالى: «وَ أَنَا لَمَسِينَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثًا حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهُبًا لَمَسَ السَّمَاءَ الاقتراب منها بالصعود إليها، و الحرس -على ما قيل- اسم جمع لحارس و لذا وصف بالمفرد و المراد بالحرس الشديد الحفاظ الأقوياء فى دفع من يريد الاستراق منها و لذا شفع بالشهب و هى سلاحهم.

قوله تعالى: «وَ أَنَا كُنَّا نَقْعِدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا يفيد انضمام صدر الآيه الى الآيه السابقه أن ملء السماء بالحرس الشديد و الشهب مما حدث أخيرا و أنهم كانوا من قبل يقعدون من السماء مقاعد لاستماع كلام الملائكه و يفيد ذيل الآيه بالتفريع على جميع ما تقدم أن من يستمع الآن منا بالقعود منها مقعدا للسمع

يجد له شهابا من صفته أنه راصد له يرميه به الحرس.

فيحصل من مجموع الآيتين الإخبار بأنهم عثروا على حادثه سماويه جديده مقارنة لنزول القرآن وبعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي منع الجن من تلقي أخبار السماء باستراق السمع.

قوله تعالى: **وَ أَنَا لَا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** الرشد بفتح السين و الرشد بالضم فالسكون خلاف الغي و تنكير «رَشَدًا» لإفاده النوع أى نوعا من الرشد.

هذا منهم إظهار للجهد و التحير فيما شاهدوه من أمر الرجم و منع شياطين الجن من الاطلاع على أخبار السماء غير أنهم تنبهوا على أن ذلك لأمر ما يرجع الى أهل الأرض إما خير أو شر و إذا كان خيرا فهو نوع هدى لهم و سعاده و لذا بدلوا الخير و هو المقابل للشر من الرشد، و يؤيده قولهم: «**أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ**» المشعر بالرحمه و العنايه.

و قد صرحوا بالفاعل لإرادته الرشد و حذفوه فى جانب الشر أدبا و لا يراد شر من جانبه تعالى إلا لمن استحقه.

قوله تعالى: **وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا** الصلاح مقابل الطلاح، و المراد بدون ذلك ما يقرب منه رتبة- على ما قيل-، و الظاهر أن دون بمعنى غير، و يؤيده قوله: «**كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا**» الدال على التفرق و التشتت و الطرائق جمع طريقه و هى الطريق المطروقه المسلوكه، و القدد القطع جمع قده بمعنى قطعه من القد بمعنى القطع و صفت الطرائق بالقدد لأن كل واحده منها مقطوعه عن غيرها تنتهى بسالكها الى غايه غير ما ينتهى به اليه غيرها، و الى هذا المعنى يرجع تفسير القدد بالطرائق المتفرقه المتشثته.

و الظاهر أن المراد بقوله: «**الصَّالِحُونَ**» الصالحون بحسب الطبع الأولى فى المعاشره و المعامله دون الصالحين بحسب الايمان، و لو كان المراد صلاح الايمان لكان الأنسب أن يذكر بعد ما سيجىء من حديث إيمانهم لما سمعوا الهدى.

و ذكر بعضهم أن قوله: «طَرَائِقَ قَدَدًا» منصوب على الظرفيه أى فى طرائق قدد و هى المذاهب المتفرقه المتشتمته، و قال آخرون إنه على تقدير مضاف أى ذوى طرائق، و لا يبعد أن يكون من الاستعاره بتشبيهم أنفسهم فى الاختلاف و التباين بالطرق المقطوع بعضها من بعض الموصله الى غايات متشتمته.

و المعنى: و أنا منا الصالحون طبعاً و منا غير ذلك كنا فى مذاهب مختلفه أو ذوى مذاهب مختلفه أو كالطرق المقطوعه بعضها عن بعض.

قوله تعالى: **وَ أَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ** وَ لَّن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا الظن هو العلم اليقيني، و الأنسب أن يكون المراد بقوله: «لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ» إعجازه تعالى بالغلبه عليه فيما يشاء فيها و ذلك بالإفساد فى الارض و إخلال النظام الذى يجرى فيها فإن إفسادهم لو أفسدوا من القدر، و المراد بقوله: «وَ لَّن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا» إعجازه تعالى بالهرب منه إذا طلبهم حتى يفوتوه فلا يقدر على الظفر بهم.

قوله تعالى: **وَ أَنَا لَمَّا سَجَعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا** وَ لَا رَهَقًا المراد بالهدى القرآن باعتبار ما يتضمنه من الهدى، و البخس النقص على سبيل الظلم، و الرهق غشيان المكروه.

و الفاء فى قوله: «فَمَنْ يُؤْمِنُ» للتفريع و هو من تفريع العله على المعلول لإفاده الحجه فى إيمانهم بالقرآن من دون ريث و لا مهل.

و محصل المعنى: أنا لما سمعنا القرآن الذى هو الهدى بادرنا الى الإيمان به من دون مكث لأن من آمن به فقد آمن بربه و من يؤمن بربه فلا يخاف نقصانا فى خير أو غشيانا من مكروه حتى يكف عن المبادره و الاستعجال و يتروى فى الإقدام عليه لئلا يقع فى بخس أو رهق.

قوله تعالى: **وَ أَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَ مِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا** المراد بالاسلام تسليم الأمر لله تعالى فالمسلمون المسلمون له الأمر المطيعون له فيما

يريده و يأمر به، والقاسطون هم المائلون الى الباطل قال في المجمع: القاسط هو العادل عن الحق و المقسط العادل الى الحق، انتهى.

و المعنى: أنا معشر الجن منقسمون الى من يسلم لأمر الله مطيعين له، و الى من يعدل عن التسليم لأمر الله و هو الحق.

و قوله: **فَمَنْ أَسْلِمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا** تحرى الشىء توخيه و قصده، و المعنى فالذين أسلموا فاولئك قصدوا إصابه الواقع و الظفر بالحق.

قوله تعالى: **وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** فيعدون بتسعرهم و اشتعالهم بأنفسهم كالقاسطين من الانس قال تعالى: **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ** (البقره ٢٤).

و قد عد كثير منهم قوله: **«فَمَنْ أَسْلِمَ فَأُولَئِكَ»** الى قوله - **لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** تتمه لكلام الجن يخاطبون به قومهم و قيل: إنه من كلامه تعالى يخاطب به النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

قوله تعالى: **وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا** لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ **«أَنْ»** مخففه من الثقيله، و المراد بالطريقه طريقه الاسلام، و الاستقامه عليها لزومها و الثبات على ما تقتضيه من الايمان بالله و آياته.

و الماء الغدق الكثير منه، و لا يبعد أن يستفاد من السياق أن قوله: **«لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا»** مثل اريد به التوسع في الرزق، و يؤيده قوله بعده: **«لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ»**.

و المعنى: و أنه لو استقاموا أى الجن و الانس على طريقه الاسلام لله لرزقناهم رزقا كثيرا لنمتحنهم فى رزقهم فالآيه فى معنى قوله: **وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ** (الأعراف ٩٦).

و الآيه من كلامه تعالى معطوف على قوله فى أول السوره: **«أَنَّهُ اسْتَمَعَ»** الخ.

قوله تعالى: **وَ مَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا** العذاب الصعد

هو الذى يتصعد على المعذب و يغلبه، و قيل: هو العذاب الشاق.

و الإعراض عن ذكر الله لازم عدم الاستقامه على الطريقه و هو الأصل فى سلوك العذاب، و لذا وضع موضعه ليدل على السبب الأصيلى فى دخول النار.

و هو الوجه أيضا فى الالتفات عن التكلم مع الغير الى الغيبه فى قوله: «ذَكَرِ رَبِّهِ» و كان مقتضى الظاهر أن يقال: ذكرنا و ذلك أن صفه الربوبيه هى المبدأ الأصيلى لتعذيب المعرضين عن ذكره تعالى فوضعت موضع ضمير المتكلم مع الغير ليدل على المبدأ الأصيلى كما وضع الإعراض عن الذكر موضع عدم الاستقامه ليدل على السبب.

قيل: و قوله: «يَسْلُكُهُ» مضمن معنى يدخله و لذا عدى الى المفعول الثانى، و المعنى ظاهر (١).

### [سوره الجن (٧٢): الآيات ١٨ الى ٢٨]

وَ أَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَ لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَأَ رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا (٢٢) إِلَّا- بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَ رِسَالًا- تِهِ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَسَنَ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَيْدًا (٢٣) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَ أَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَيَّ غَيْبَهُ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ إِرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)

ص: ٤٦٢

قوله تعالى: وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا معطوف على قوله:

«أَنَّهُ اسْتَمَعَ» الخ؛ و جملة «أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» في موضع التعليل لقوله: «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» و التقدير لا تدعوا مع الله أحدا غيره لأن المساجد له.

و المراد بالدعاء العبادة و قد سماها الله دعاء كما في قوله: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (المؤمن ٦٠).

و عن الامام الجواد عليه السلام أن المراد بالمساجد الأعضاء السبعة التي يسجد عليها في الصلاة و هي الجبهة و الكفان و الركبتان و أصابع الرجلين، و ستوافيك روايته في البحث الروائي التالي إن شاء الله، و نقل ذلك أيضا عن سعيد بن جبير و الفراء و الزجاج.

و الأنسب على هذا أن يكون المراد بكون مواضع السجود من الانسان لله اختصاصها به اختصاصا تشريعيًا، و المراد بالدعاء السجده لكونها أظهر مصاديق العبادة أو الصلاة بما أنها تتضمن السجود لله سبحانه.

و المعنى: و أوحى إلى أن أعضاء السجود يختص بالله تعالى فاسجدوا له بها- أو اعبدوه



يريد أن يرشدهم من الخير الى ما يريد بما عنده من القدره، و أنه مأمور من الله بدعوتهم أمرا ليس له إلا أن يمثله فلا مجير يجيره منه ولا- ملجأ يلتجئ اليه لو خالف و عصى كما ليس لهم إلا أن يطيعوا الله و رسوله و من يعص الله و رسوله فإن له نار جهنم خالدن فيها أبدا، و سيعلمون إذا رأوا ما يوعدون.

و لازم هذا السياق أن يكون المراد بملك الضر القدره على إيقاع الضر بهم فيوقعه بهم إذا أراد، و المراد بملك الرشد القدره على إيصال النفع اليهم بإصابه الواقع أى أنى لا ادعى أنى أقدر أن أضركم أو أنفعكم، و قيل: المراد بالضر الغى المقابل للرشد تعبيرا باسم المسبب عن السبب.

قوله تعالى: قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ الْإِجَارَهُ إِعْطَاءَ الْجَوَارِ وَحُكْمَهُ حَمَايَهُ الْمَجِيرَ لِلجَارِ وَ مَنْعَهُ مِمَّنْ يَقْصِدُهُ بِسُوءٍ، وَ الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُلْتَحَدَ اسْمَ مَكَانٍ وَ هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَعْجَلُ وَ يَنْحَرِفُ إِلَيْهِ لِلتَّحْرُزِ مِنَ الشَّرِّ، وَ قِيلَ: الْمُدْخَلُ وَ يَتَعَلَّقُ بِهِ قَوْلُهُ: «مِنْ دُونِهِ» وَ هُوَ كَالْقَيْدِ التَّوْضِيحِيِّ وَ الضَّمِيرُ لِلَّهِ وَ الْبَلَاغُ التَّبْلِيغُ.

و قوله: إِلَّا بَلَاغًا اسْتِثْنَاءً مِنْ قَوْلِهِ: «مُلْتَحَدًا» وَ قَوْلِهِ: «مِنَ اللَّهِ» مُتَعَلِّقٌ بِمُقَدَّرِ أَى كَاتِنًا مِنَ اللَّهِ وَ لَيْسَ مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ: «بَلَاغًا» لِأَنَّهُ يَتَعَدَّى بَعْنَ لَا- بِمَنْ وَ لِذَا قَالَ بَعْضُ مَنْ جَعَلَهُ مُتَعَلِّقًا بِبَلَاغًا: إِنَّ «مِنْ» بِمَعْنَى عَنِ، وَ الْمَعْنَى عَلَى أَى حَالٍ إِلَّا- تَبْلِيغُ مَا هُوَ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ.

و قوله: وَرِسَالَاتِهِ قِيلَ: مَعْطُوفٌ عَلَى «بَلَاغًا» وَ التَّقْدِيرُ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَ إِلَّا رِسَالَاتِهِ وَ قِيلَ: مَعْطُوفٌ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ وَ مَنْ بِمَعْنَى عَنِ، وَ الْمَعْنَى إِلَّا بَلَاغًا عَنِ اللَّهِ وَ عَنِ رِسَالَاتِهِ.

وَ فِيمَا اسْتِثْنَى مِنْهُ بَلَاغًا قَوْلَ آخَرَ وَ هُوَ أَنَّهُ مَفْعُولٌ «لَا أَمْلِكُ» وَ الْمَعْنَى لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا



رشدًا إلا تبليغًا من الله ورسالاته، وبعده الفصل بين المستثنى والمستثنى منه بقوله: «لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ» الخ؛ وهو كلام مستأنف.

و معنى الآيتين على ما قدمنا: قل لن يجيرني من الله أحد فيمنعني منه و لن أجد من دونه مكانا ألتجئ إليه إلا تبليغا كائنا منه و رسالاته أى إلا أن أمتثل ما أمرنى به من التبليغ منه تعالى ببيان أسمائه و صفاته و إلا رسالاته فى شرائع الدين.

قوله تعالى: «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا» إفراد ضمير «لَهُ» باعتبار لفظ «مَنْ» كما أن جمع «خَالِدِينَ» باعتبار معناها.

و عطف الرسول على الله فى قوله: «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» لكون معصيته معصية لله تعالى إذ ليس له إلا رساله ربه فالرد عليه فيما أتى به رد على الله سبحانه و طاعته فيما يأمر به طاعه لله قال تعالى: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (النساء ٨٠)».

و المراد بالمعصيه- كما يشهد به سياق الآيات السابقه-معصيه ما أمر به من التوحيد أو التوحيد و ما يتفرع عليه من اصول الدين و فروعه فلا يشمل التهديد و الوعيد بخلود النار إلا الكافرين بأصل الدعوه دون مطلق أهل المعصيه المتخلفين عن فروع الدين فالاحتجاج بالآيه على تخليد مطلق العصاه فى النار فى غير محله.

و الظاهر أن قوله: «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ» الى آخر الآيه؛ من كلام الله سبحانه لا من تتمه كلام النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَ أَقَلُّ عَدَدًا» لقوله: «حَتَّىٰ» دلالة على معنى مدخولها غايه له و مدخولها يدل على أنهم كانوا يستضعفون النبي صلى الله عليه و آله و سلم بعد ناصريه- و هم المؤمنون-ضعفاء و استقلال عدده بعد عددهم قليلا فالكلام يدل على معنى محذوف هو غايته كقولنا: لا يزالون يستضعفون ناصريك و يستقلون عددهم حتى إذا رأوا ما يوعدون، الخ.

و المراد بما يوعدون نار جهنم لأنها هي الموعودة في الآيه، والآيه من كلامه تعالى يخاطب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و لو كانت من كلامه و هي مصدره بقوله تعالى: «قُلْ» لكان من حق الكلام أن يقال: حتى إذا رأيتم ما توعدون فستعلمون، الخ.

قوله تعالى: قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبٌ مَّا تُوعِدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمِدًا الْأَمَدُ الْغَايَةُ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا، وَ الْآيَةُ بِمَنْزِلِهِ دَفْعَ دَخْلِ تَقْتَضِيهِ حَالِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا الْوَعِيدَ قَالُوا: مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ «قُلْ إِنْ أَدْرَى أَقْرَبٌ» الخ.

قوله تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا» إظهار الشيء على الشيء إعانته و تسليطه عليه، و «عَالِمُ الْغَيْبِ» خبر لمبتدأ محذوف، و التقدير هو عالم الغيب، و مفاد الكلمه بإعانه من السياق اختصاص علم الغيب به تعالى مع استيعاب علمه كل غيب، و لذا أضاف الغيب الى نفسه ثانيا فقال: «عَلَىٰ غَيْبِهِ» بوضع الظاهر موضع المضممر ليفيد الاختصاص و لو قال: «فلا يظهر عليه» لم يفد ذلك.

و المعنى هو عالم كل غيب علما يختص به فلا يطلع على الغيب و هو مختص به أحدا من الناس فالمفاد سلب كلّي و إن أصر بعضهم على كونه سلبا جزئيا محصل معناه لا يظهر على كل غيبه أحدا و يؤيد ما قلنا ظاهر ما سيأتي من الآيات.

قوله تعالى: «إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ قَوْلِهِ: «أَحَدًا» وَ «مِن رَّسُولٍ» ببيان لقوله: «مَن ارْتَضَىٰ» فيفيد أن الله تعالى يظهر رسله على ما شاء من الغيب المختص به فالآية إذا انضمت الى الآيات التي تخص علم الغيب به تعالى كقوله: وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلمُهَا إِلَّا هُوَ (الأنعام ٥٩)، و قوله: وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ (النحل / ٧٧)، و قوله: قُلْ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ (النمل ٦٥) أفاد ذلك معنى الأصاله و التبعية فهو تعالى يعلم الغيب لذاته و غيره يعلمه بتعليم من الله.

فهذه الآيات نظيره الآيات المتعرضه للتوفى كقوله: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ (الزمر ٤٢)

البدال على الحصر، و قوله: قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ (الم السجده ١١/)، و قوله: حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا (الأنعام ٦١/) فالتوفى منسوب اليه تعالى على نحو الأصالة و الي الملائكة على نحو التبعية لكونهم أسبابا متوسطه مسخره له تعالى.

قوله تعالى: فَإِنَّهُ يَسْمُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصِيدًا -الى قوله- عِيدًا ضَمِير «فَإِنَّهُ» لله تعالى، و ضميرا «يَدَيْهِ» و «خَلْفِهِ» للرسول، و الراصد المراقب للأمر الحارس له، و الرصد الراصد يطلق على الواحد و الجماعه و هو فى الأصل مصدر، و المراد بما بين يدي الرسول ما بينه و بين الناس المرسل اليهم، و بما خلفه ما بينه و بين مصدر الوحي الذى هو الله سبحانه و قد اعتبر فى هذا التصوير ما يوهمه معنى الرساله من امتداد متوهم يأخذ من المرسل -اسم فاعل- و ينتهى الى المرسل اليه يقطع الرسول حتى ينتهى الى المرسل اليه فيؤدى رسالته، و الآيه تصف طريق بلوغ الغيب الى الرسول و هو الرسالات التى توحى اليه كما يشير الى ذلك قوله: «لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ» .

و المعنى: فإن الله يسلك ما بين الرسول و من ارسل اليه و ما بين الرسول و مصدر الوحي مراقبين حارسين من الملائكة- و من المعلوم أن سلوك الرصد من بين يديه و من خلفه لحفظ الوحي من كل تخليط و تغيير بالزيادة و النقصان يقع فيه من ناحيه الشياطين بلا واسطه أو معها.

و قوله: لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ ضَمِير «لِيَعْلَمَ» لله سبحانه، و ضميرا «قَدْ أَبْلَغُوا» و «رَبِّهِمْ» لقوله: «مَنْ» باعتبار المعنى أو لرسول باعتبار الجنس، و المراد بعلمه تعالى بإبلاغهم رسالت ربهم العلم الفعلى و هو تحقق الإبلاغ فى الخارج على حد قوله: فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (العنكبوت ٣/) و هو كثير الورد فى كلامه تعالى.

و الجملة تعليل لسلوك الرصد بين يدي الرسول و من خلفه،و المعنى ليتحقق إبلاغ رسالات ربهم أى لتبلغ الناس رسالاته تعالى على ما هي عليه من غير تغير و تبدل.

و من المحتمل أن يرجع ضميرا «بَيْنَ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ» الى «غَيْبِهِ» فيكون الرصد الحرس مسلوكين بين يدي الغيب النازل و من خلفه الى أن يبلغ الرسول،و يضعفه أنه لا يلائم قوله:

«لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ» بالمعنى الذى تقدم لعدم استلزام بلوغ الغيب للرسول سليما من تعرض الشياطين حصول العلم بإبلاغه الى الناس.

و الى هذا المعنى يرجع قول بعضهم إن الضميرين يرجعان الى جبريل حامل الوحي و يضعفه مضافا الى ما مر عدم سبق ذكره.

و قوله: «وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ» ضمير الجمع للرسول بناء على ما تقدم من المعنى و الظاهر أن الجملة متممه لمعنى الحراسه المذكوره سابقا فقوله: «مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ» يشير الى رصد ما بين الرسول و المرسل اليهم،و قوله: «وَ مِنْ خَلْفِهِ» الى حفظ ما بينه و مصدر الوحي، و قوله: «وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ» يشير الى ظرف نفس الرسول و الإحاطه إحاطه علميه فالوحي فى أمن من تطرق التغيير فيما بين مصدر الوحي و الرسول و فى نفس الرسول و فيما بين الرسول و المرسل اليهم.

و يمكن أن يكون المراد بما لديهم جميع ما له تعلق ما بالرسول أعم من مسير الوحي أو أنفسهم كما أن قوله: «وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا» مسوق لإفاده عموم العلم بالأشياء غير أنه العلم بعددها و تميز بعضها من بعض (١).

ص: ٤٦٩

١- ١). الجن ١٨-٢٨: بحث فى اختصاصه تعالى بعلم الغيب؛علم الانبياء و الأئمه و الملائكة؛مصونه الوحي من حين صدوره من مصدره الى الرسول و حين اخذ الرسول اياه و تلقيه و مصونه فى حفظه و فى تبليغه الى الناس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْقُرْآنَ تَزْيِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا  
(٧) وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَ  
أَهْجُزْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذُرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَ  
عَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا  
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧)  
السَّمَاءَ مُنْفِطِرًا بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَيْ رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩)

السوره تأمر النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم بقيام الليل و الصلاه فيه ليستعد بذلك لتلقى ثقل ما سيلقى عليه من القول الثقيل و القرآن الموحى اليه، و تأمره أن يصبر على ما يقولون فيه إنه شاعر أو كاهن أو مجنون الى غير ذلك و يهجرهم هجرا جميلا، و فيها وعيد و إنذار للكفار و تعميم الحكم لسائر المؤمنين، و فى آخرها تخفيف ما للنبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم و المؤمنين.

و السوره مكيه من عتائق السوق النازله فى أول البعته حتى قيل: انها ثانيه السور النازله على النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم أو ثالثها.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ بتشديد الزاى و الميم و أصله المتزمل اسم فاعل من التزمل بمعنى التلفف بالثوب لنوم و نحوه، و ظاهره أنه صَلَّى الله عليه وآله وسلم كان قد تامل بثوب للنوم فنزل عليه الوحي و خوطب بالمزمل.

و ليس فى الخطاب به تهجين و لا تحسين كما توهمه بعضهم، نعم يمكن أن يستفاد من سياق الآيات أنه صلى الله عليه و آله و سلم كان قد قبل فى دعوته بالهزء و السخرية و الإيذاء فاعتم فى الله فتزمل بثوب لينام دفعا لهم فخطب بالمزمل و أمر بقيام الليل و الصلاة فيه و الصبر على ما يقولون على حد قوله تعالى: وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ (البقرة ١٥٣/) فأفيد بذلك عليه أن يقاوم الكرب العظام و النوائب المره بالصلاه و الصبر لا بالتزمل و النوم.

و قيل: المراد يا أيها المتزمل بعباءه النبوه أى المتحمل لأثقالها، و لا شاهد عليه من جهة اللفظ.

قوله تعالى: قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نَضِيفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا المراد بقيام الليل القيام فيه الى الصلاة فالليل مفعول به توسعا كما فى قولهم: دخلت الدار، و قيل: معمول «قم» مقدر و «الليل» منصوب على الظرفيه و التقدير قم الى الصلاة فى الليل، و قوله: «إِلَّا قَلِيلًا» استثناء من الليل.

و قوله: نَضِيفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ظاهر السياق أنه بدل من «اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا» المتعلق به تكليف القيام، و ضميرا «مِنْهُ» و «عَلَيْهِ» للنصف، و ضمير «نَضِيفَهُ» ليل، و المعنى قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا- أو أزد على النصف قليلا، و التريد بين الثلاثة للتخير فقد خير بين قيام النصف و قيام أقل من النصف بقليل و قيام أكثر منه بقليل.

و قوله: وَ رَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا- ترتيل القرآن تلاوته بتبيين حروفه على تواليها، و الجملة معطوفه على قوله: «قُمْ اللَّيْلَ» أى قم الليل و اقرأ القرآن بترتيل.

و الظاهر أن المراد بترتيل القرآن ترتيله فى الصلاة أو المراد به الصلاة نفسها و قد عبر سبحانه عن الصلاة بنظير هذا التعبير فى قوله: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتُدْلُوكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (الإسراء ٨٧/)، و قيل: المراد إيجاب قراءه

قوله تعالى: **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** الثقل كيفية جسمانية من خاصته أنه تشق حمل الجسم الثقيل و نقله من مكان الى مكان وربما يستعار للمعاني إذا شق على النفس تحملها أو لم تطبقها فربما أضيف الى القول من جهة معناه فعد ثقيلا لتضمنه معنى يشق على النفس إدراكه أو لا- تطبق فهمه أو تتخرج من تلقيه كدقائق الأنظار العلمية إذا القيت على الافهام العامه، أو لتضمنه حقائق يصعب التحقق بها او تكاليف يشق الاتيان بها و المداومه عليها.

و القرآن قول إلهي ثقيل بكلام- المعنيين: أما من حيث تلقى معناه فإنه كلام إلهي مأخوذ من ساحه العظمه و الكبرياء لا تتلقاه إلا نفس طاهره من كل دنس منقطع عن كل سبب إلا الله سبحانه، و كتبنا عزيز له ظهر و بطن و تنزيل و تأويل تبياننا لكل شيء، و قد كان ثقله مشهودا من حال النبي صلى الله عليه و آله و سلم بما كان يأخذ من البرحاء و شبه الإغماء على ما وردت به الأخبار المستفيضة.

و أما من حيث التحقق بحقيقه التوحيد و ما يتبعها من الحقائق الاعتقادية فكفى في الاشاره الى ثقله قوله تعالى: **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُ خَاشِعًا مَّتَّصِدًّا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تَلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** (الحشر ٢١)، و قوله تعالى: **وَ لَوْ أَن قُرْآنًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَىٰ** (الرعد ٣١).

و أما من حيث القيام بما يشتمل عليه من أمر الدعوه و اقامه مراسم الدين الحنيف، و اظهاره على الدين كله فيشهد به ما لقي صلى الله عليه و آله و سلم من المصائب و المحن في سبيل الله و الأذى في جنب الله على ما يشهد به الآيات القرآنيه الحاكيه لما لقيه النبي صلى الله عليه و آله و سلم من المشركين و الكفار و المنافقين و الذين في قلوبهم مرض من أنواع الإيذاء و الهزاء و الجفاء.

فقوله: **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** المراد بالقول الثقيل القرآن العظيم على ما



يسبق الى الذهن من سياق هذه الآيات النازله فى أول البعته، و به فسرہ المفسرون.

و الآيه فى مقام التعليل للحكم المدلول عليه بقوله: «قَمِ اللَّيْلُ» الخ؛ فتنفيذ بمقتضى السياق - و الخطاب خاص بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم - أن أمره بقيام الليل و التوجه فيه اليه تعالى بصلاه الليل تهيئه له و اعداد لكرامه القرب و شرف الحضور و القاء قول ثقيل فقيام الليل هي السبيل المؤديه الى هذا الموقف الكريم و قد عد سبحانه صلاه الليل سبيلا اليه فى قوله الآتى: «إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَيَّ رَبِّهِ سَبِيلًا» .

و قد زاد سبحانه وعدا على ما فى هذه الآيه فى قوله: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا» (الإسراء/٧٩) و قد تقدم معنى المقام المحمود فى تفسير الآيه.

و إذا كان من ثقل القرآن ثقله من حيث التحقق بحقائقه و من حيث استجابته فيما يندب اليه من الشرائع و الأحكام فهو ثقيل على الامه كما هو ثقيل عليه صلى الله عليه و آله و سلم و معنى الآيه انا سنوحى اليك قولاً يثقل عليك و على امتك أما ثقله عليه صلى الله عليه و آله و سلم فلما فى التحقق بحقائقه من الصعوبه و لما فيه من محنه الرساله و ما يتبعها من الأذى فى جنب الله و ترك الراحة و الدعه و مجاهده النفس و الانقطاع الى الله مضافا الى ما فى تلقيه من مصدر الوحي من الجهد، و أما ثقله على امته فلأنهم يشاركونه صلى الله عليه و آله و سلم فى لزوم التحقق بحقائقه و اتباع أوامره و نواهيه و رعايه حدوده كل طائفه منهم على قدر طاقته.

قوله تعالى: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيلاً إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا» الآيه الاولى فى مقام التعليل لاختيار الليل وقتنا لهذه الصلاه، و الآيه الثانيه فى مقام التعليل لترك النهار و الاعراض عنه كما أن الآيه السابقه أعنى قوله: «إِنَّا سَيُنْقِضُ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» فى مقام التعليل لتشريع أصل هذه الصلاه.

فقوله: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَ أَقْوَمُ قِيلاً» الناشئه اما مصدر كالعاقبه و العافيه

بمعنى النشأه وهى الحدوث و التكون، و اما اسم فاعل من النشأه مضاف الى موصوفه و كيف كان فالمراد بها الليل و اطلاق الحادثه على الليل كاطلاقها على سائر أجزاء الخلقه و ربما قيل:

انها الصلاه فى الليل و وطئ الأرض وضع القدم عليها، و كونها أشد وطأ كناية عن كونها أثبت قدما لصفاء النفس و عدم تكدرها بالشواغل النهاريه و قيل: الوطاء مواطاه القلب اللسان و أيد بقراءه «أَشَدُّ وَطْأً» و المراد بكونها أقوم قيلا كونها أثبت قولاً و أصوب لحضور القلب و هدو الأصوات.

و المعنى ان حادثه الليل أو الصلاه فى الليل هى أثبت قدما-أو أشد فى مواطاه القلب اللسان و أثبت قولاً و أصوب لما أن الله جعل الليل سكنا يستتبع انقطاع الإنسان عن شواغل المعيشه الى نفسه و فراغ باله.

و قوله: «إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا» السبح المشى السريع فى الماء و السبح الطويل فى النهار كناية عن الغور فى مهمات المعاش و أنواع التقلب فى قضاء حوائج الحياه.

و المعنى إن لك فى النهار مشاغل كثيره تشتغل بها مستوعبه لا تدع لك فراغا تشتغل فيه بالتوجه التام الى ربك و الانقطاع اليه بذكره فعليك بالليل و الصلاه فيه.

قوله تعالى: «وَ اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتَلًا» الظاهر أنه يصف صلاه الليل فهو كالعطف التفسيري على قوله: «وَ رَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» و على هذا فالمراد بذكر اسم الرب تعالى الذكر اللفظى بمواطاه من القلب و كذا المراد بالتبتل التبتل مع اللفظ.

و قيل: الآيه تعميم بعد التخصيص و المراد بالذكر دوام ذكره تعالى ليلا و نهارا على أى وجه كان من تسييح و تحميد و صلاه و قراءه قرآن و غير ذلك، و إنما فسر الذكر بالدوام لأنه صلى الله عليه و آله و سلم لم ينسه تعالى حتى يؤمر بذكره، و المراد الدوام العرفى دون الحقيقى لعدم إمكانه.

انتهى.

و فيه أنه إن أراد بالذكر الذكر اللفظى فعدم نسيانه صلى الله عليه و آله و سلم ربه تعالى لا ينافى أمره بالذكر

اللفظي، وإن أراد ما يعم الذكر القلبي فهو ممنوع و لو سلم ففيه أولاً أن عدم نسيانه صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم ربه الى حين الخطاب لا ينافي أمره بذكره بعده و ثانياً أن عدّه الدوام الحقيقي غير ممكن و حمل الدوام على العرفي و هم ناش عن عدم تحصيل المعنى على ما هو عليه فالله جل ذكره مذكور للإنسان لا يغيب عنه و لا لحظه سواء تنبه عليه الإنسان أو غفل عنه. و من الممكن أن يعرفه الله نفسه بحيث لا يغفل عنه و لا في حال قال تعالى: فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (حم السجده ٣٨) و قال: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (الأنبياء ٢٠) و قد تقدم في تفسير الآيتين و آخر سورة الأعراف أن ذلك لا يختص بالملائكة.

و بالجمله قوله: وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ أمر بذكر اسم من أسمائه أو لفظ الجلاله خاصه و قيل: المراد به البسملة.

و في قوله: رَبِّكَ التفتت عن التكلم مع الغير في قوله: «إِنَّا سَنُلْقِي» الى الغيبه و لعل الوجه فيه إيقاظ ذله العبوديه التي هي الرابطه بين العبد و ربه، بذكر صفه الربوبيه.

و قوله: وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً فسر التبتل بالانقطاع أى و انقطع الى الله، و من المروى عن أئمه أهل البيت عليهم السلام أن التبتل رفع اليد الى الله و التضرع اليه، و هذا المعنى أنسب بناء على حمل الذكر على الذكر اللفظي كما تقدم.

و «تَبْتِيلاً» مفعول مطلق ظاهراً و كان مقتضى الظاهر أن يقال: و تبتل اليه تبتلاً فالعدول الى التبتل قيل: لتضمين تبتل معنى بتل، و المعنى و قطع نفسك من غيره اليه تقطيعاً أو احمل نفسك على رفع اليد اليه و التضرع حملاً، و قيل: لمراعاة الفواصل.

قوله تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا - وصف مقطوع عن الوصفيه و التقدير هو رب المشرق و المغرب، و رب المشرق و المغرب في معنى رب العالم كله فان المشرق و المغرب جهتان نسيبتان شمالان جهات العالم المشهود كلها، و إنما اختص بالذكر لمناسبه ما تقدم من ذكر الليل و النهار المرتبطين بالشروق و الغروب.

و إنما لم يقتصر فى الاشارة الى ربوبيته تعالى بقوله السابق: «رَبِّكَ» للإيذان بأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مأمور باتخاذ ربا لأنه ربه و رب العالم كله لأنه ربه وحده كما ربما كان الرجل من الوثنيين يتخذ صنما لنفسه فحسب غير ما اتخذه غيره من الأصنام و لو كان اتخذه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له تعالى ربا من هذا القبيل أو احتمال ذلك لم تصح دعوته الى التوحيد.

و ليكون قوله: ربك رب المشرق و المغرب- و هو فى معنى رب العالم كله- توطئه و تمهيدا لقوله بعده: «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» يعلل به توحيد الالهيه فإن الالهيه و هى المعبوديه من فروع الربوبيه التى هى الملك و التدبير كما تقدم مرارا فهو تعالى الإله وحده لا إله إلا هو لأنه الرب وحده لا رب إلا هو.

و قوله: فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا- أى فى جميع امورك، و توكيل الوكيل هو إقامة الانسان غير مقام نفسه بحيث تقوم إرادته مقام إرادته و عمله مقام عمله فاتخاذ تعالى وكيلا أن يرى الانسان الأمر كله له و اليه تعالى أما فى الامور الخارجيه و الحوادث الكونيه فإن لا يرى لنفسه و لا- لشيء من الأسباب الظاهريه استقلالاً فى التأثير فلا مؤثر فى الوجود بحقيقه معنى التأثير إلا الله فلا يتعلق بتأثير سبب من الأسباب برضى أو سخط أو سرور أو أسف و غير ذلك بل يتوسل الى مقاصده و مآربه بما عرّفه الله من الأسباب من غير أن يطمئن الى استقلالها فى التأثير و يرجع الظفر بالمطلوب الى الله ليختار له ما يرضيه.

و أما الامور التى لها تعلق بالعمل من العبادات و المعاملات فإن يجعل ارادته تابعه لإرادته ربه التشريعيه فيعمل على حسب ما يريد الله تعالى منه فيما شرّع من الشريعه.

قوله تعالى: وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا- معطوف هو و ما بعده على مدخول الفاء فى قوله: «فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا» فالمعنى اتخذه وكيلا- و لازم اتخذه وكيلا أن تصبر على ما يقولون مما فيه إيذاءك و الاستهزاء بك و رميك بما ليس فيك كقولهم: افترى على الله، كاهن شاعر، مجنون، أساطير الأولين و غير ذلك مما يقصه القرآن.

و أن تهجرهم هجرا جميلا، و المراد بالهجر الجميل على ما يعطيه السياق أن يعاملهم بحسن الخلق و الدعوه الى الحق بالمناصحه، و لا يواجه قولهم بما فى وسعه من المقابله بالمثل، و الآيه لا تدافع آيه القتال فلا وجه لقول من قال: إنها منسوخه بآيه القتال.

قوله تعالى: وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَ مَهْلُهم قَلِيلًا- تهديد للكفار يقال: دعنى و فلانا و ذرنى و فلانا أى لا تحل بينى و بينه حتى أنتقم منه.

و المراد بالمكذبين اولى النعمه الكفار المذكورون فى الآيه السابقه او رؤساؤهم المتبوعون، و الجمع بين توصيفهم بالمكذبين و توصيفهم باولى النعمه للإشاره الى عله ما يهددهم به من العذاب فإن تكذيبهم بالدعوه الإلهيه و هم متعمون بنعمه ربهم كفران منهم بالنعمه و جزاء الكفران سلب النعمه و تبديلها من النقمه.

و المراد بالقليل الذى يمهلونه الزمان القليل الذى يمشون فى الأرض حتى يرجعوا الى ربهم فيحاسبهم و يجازيهم قال تعالى: إِنَّهم يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرَاهُ قَرِيباً (المعارج ٧)، و قال:

مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بئسَ الْمِهَادُ (آل عمران ١٩٧).

و الآيه بظاهرها عامه، و قيل: وعيد لهم بوقعه بدر و ليس بظاهر، و فى الآيه التفات عن الغيبه فى «رَبِّكَ» الى التكلم وحده فى «ذَرْنِي» و لعل الوجه فيه تشديد التهديد بنسبه الأمر اليه سبحانه نفسه ثم التفت فى قوله: «إِنَّ لَمَدِينًا» الى التكلم مع الغير للدلاله على العظمه.

قوله تعالى: إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَ جَحِيمًا تعليل لقوله: «ذَرْنِي» الخ؛ و الأنكال القيود، قال الراغب يقال: نكل عن الشىء ضعف و عجز، و نكلته قيده و النكل -بالكسر فالسكون- قيد الدابه و حديده اللجام لكونهما مانعين، و الجمع الأنكال انتهى، و قال: الجحيمه شده تأجج النار و منه الجحيم، انتهى.

قوله تعالى: وَ طَعَاماً ذَا غُصْبَةٍ وَ عَذَاباً أَلِيمًا قال فى المجمع: الغصه تردد اللقمه فى الحلق و لا يسيغها أكلها يقال: غصّ بريقه يغص غصصا، و فى قلبه غصه من كذا و هى كاللدغه

التي لا يسوغ معها الطعام و الشراب، انتهى.

و الآيتان تذكران نعم الآخرة التي بدلت منها الدنيا جزاء لكفرانهم بنعم الله.

قوله تعالى: **يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيماً مَّهِيلاً** - ظرف للعذاب الموعود في الآيتين السابقتين، قال الراغب: الرجف الاضطراب الشديد يقال:

رجفت الارض و البحر انتهى. و فى المجمع: الكثيب الرمل المجتمع الكثير، و هلت أهيله هيلا- فهو مهيل إذا حرك أسفله فسال أعلاه انتهى، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً** إندار للمكذبين اولى النعمة من قومه صلى الله عليه و آله و سلم بعد ما أوعد مطلق المكذبين اولى النعمة بما أعد لهم من العذاب يوم القيامة بقياس حالهم الى حال فرعون المستكبر على الله و رسوله المستدل لرسول الله و من آمن معه من قومه ثم قرع أسماعهم بما انتهى اليه أمر فرعون من أخذ الله له أخذا وبيلا فليتعضوا و ليأخذوا حذرهم.

فقوله: **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ** إشارة الى تصديق رساله النبي صلى الله عليه و آله و سلم من قبله تعالى و شهادته على أعمالهم بتحملها فى الدنيا و تأديتها يوم القيامة، و قد تقدم البحث عن معنى شهاده الأعمال فى الآيات المشتمله عليها مرارا، و فى الاشارة الى شهادته صلى الله عليه و آله و سلم نوع زجر لهم عن عصيانه و مخالفته و تكذيبه.

و قوله: **«كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً»** هو موسى بن عمران عليه السلام.

قوله تعالى: **فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْداً وَبِيلاً** أى شديدا ثقيلًا.

إشارة الى عاقبه أمر فرعون فى عصيانه موسى عليه السلام، و فى التعبير عن موسى بالرسول إشارة الى أن السبب الموجب لأخذ فرعون مخالفته أمر رسالته لا- نفس موسى بما أنه موسى، و إذا كان السبب هو مخالفه الرساله فليحذروا مخالفه رساله محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

كما أن وضع الظاهر موضع الضمير فى قوله: **«فَعَصَى فِرْعَوْنُ»** للإيماء الى أن ما كان له من

العزه و العلو فى الارض و التبجح بكثره العدد و سعه المملكه و نفوذ المشيه لم يغن عنه شيئا و لم يدفع عنه عذاب الله فما الظن بهؤلاء المكذبين؟ و هم كما قال الله: جُنِدْ مَا هُنَالِكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَخْرَابِ (ص ١١).

قوله تعالى: فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا نسبة الاتقاء الى اليوم من المجاز العقلى و المراد اتقاء العذاب الموعود فيه، و عليه فيوما مفعول به لتتقون، و قيل: مفعول «تَتَّقُونَ» محذوف و «يَوْمًا» ظرف له و التقدير فكيف تتقون العذاب الكائن فى يوم، و قيل: المفعول محذوف و «يَوْمًا» ظرف للاتقاء و قيل غير ذلك.

و قوله: «يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا» الشيب جمع أشيب مقابل الشاب، و جعل الولدان شيبا كناية عن شدة اليوم لا عن طوله.

قوله تعالى: السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا إشاره بعد إشاره الى شدة اليوم، و الانفطار الانشقاق و تذكير الصفه لكون السماء جائز الوجهين يذكر و يؤنث، و ضمير «به» لليوم، و الباء بمعنى فى أو للسببيه، و المعنى السماء منشقه فى ذلك اليوم أو بسبب ذلك اليوم أى بسبب شدته.

و قوله: «كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا» استئناف لتسجيل ما تقدم من الوعيد و أنه حتم مقضى و نسبة الوعد الى ضميره تعالى لعله للإشعار بأن لا يصلح لهذا الوعد إلا الله تعالى فيكفى فيه الضمير من غير حاجه الى ذكره باسمه.

قوله تعالى: إِنْ هَذِهِ تَذَكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا الإشاره بهذه الى الآيات السابقه بما تشتمل عليه من القوارع و الزواجر، و التذكرة الموعظه التى يذكر بها ما يعمل عليه.

و قوله: فَمَنْ شَاءَ مفعول «شاء» محذوف و المعروف فى مثل هذا المورد أن يقدر المفعول من جنس الجواب و السياق يلائمه، و التقدير فمن شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا اتخذ،

الخ، وقيل: المقدر الاعتاض، والمراد باتخاذ السبيل اليه اتخاذ السبيل الى التقرب منه، والسبيل هو الإيمان والطاعة هذا ما ذكره المفسرون.

ومن الممكن أن تكون هذه اشارة الى ما تقدم في صدر السوره من الآيات الناديه الى قيام الليل و التهجد فيه، والآيه مسوقه لتوسعه الخطاب و تعميمه لغير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من المؤمنين بعد ما كان خطاب صدر الصوره مختصا به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والدليل على هذا التعميم قوله: «فَمَنْ شَاءَ» الخ.

و يؤيد ما ذكرنا وقوع هذه الآيه «إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ» الخ؛ بعينها في سوره الدهر بعد ما أشير الى صلاه الليل بقوله تعالى: «وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا» و يستنتج من ذلك أن صلاه الليل سبيل خاصه تهدي العبد الى ربه (١).

### [سوره المزمل (٧٣): آيه ٢٠]

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصِيفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَهُ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)

ص: ٤٨١

١-١). المزمل ١-١٩: بحث روائي في نزول سوره المزمل؛ قيام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالليل و طائفه من اصحابه؛ حاله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين تلقى الوحي.



قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ؛ الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و في التعبير بقوله: «رَبَّكَ» تلويح الى شمول الرحمة و العناية الإلهية، و كذا في قوله: «يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ» الخ؛ مضافا الى ما فيه من لائحه الشكر قال تعالى: وَ كَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (الدهر ٢٢/).

و قوله: تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ «أَدْنَىٰ» اسم تفضيل من الدنو بمعنى القرب، و قد جرى العرف على استعمال أدنى فيما يقرب من الشيء و هو أقل فيقال:

إن عدتهم أدنى من عشرة إذا كانوا تسعة مثلا دون ما لو كانوا أحد عشر فمعنى قوله: «أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ» أقرب من ثلثيه و أقل بقليل.

و الواو العاطفه في قوله: «وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ» لمطلق الجمع و المراد أنه يعلم أنك تقوم في بعض الليالي أدنى من ثلثي الليل و في بعضها نصفه و في بعضها ثلثه.

و قوله: وَ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ المراد المعية في الإيمان و «مِنْ» للتبعيض فالآية تدل على أن بعضهم كان يقوم الليل كما كان يقومه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. و قيل «مِنْ» بيانيه، و هو كما ترى.

و قوله: وَ اللَّهُ يُعَدُّ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ في مقام التعليل لقوله: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ» و المعنى و كيف لا يعلم و هو الله الذي اليه الخلق و التقدير ففي تعيين قدر الليل و النهار تعيين ثلثهما و نصفهما و ثلثيهما، و نسبة تقدير الليل و النهار الى اسم الجلاله دون اسم الرب و غيره لأن التقدير من شئون الخلق و الخلق الى الله الذي اليه ينتهي كل شيء.

و قوله: عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ الاحصاء تحصيل مقدار الشيء و عدده و الإحاطه به، و ضمير «لَنْ تُحْصُوهُ» للتقدير أو للقيام

مقدار ثلث الليل أو نصفه أو أدنى من ثلثيه، وإحصاء ذلك من اختلاف الليالي طولا وقصرا في أيام السنه مما لا يتيسر لعامة المكلفين و يشتد عسرا لمن نام أول الليل و أراد القيام بأحد المقادير الثلاثة دون أن يحتاط بقيام جميع الليل أو ما فى حكمه.

فالمراد بقوله: «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ» علمه تعالى بعدم تيسر إحصاء المقدار الذى أمروا بقيامه من الليل لعامة المكلفين.

و المراد بقوله: «فَتَابَ عَلَيْكُمْ» توبته تعالى و رجوعه اليهم بمعنى انعطاف الرحمه الإلهيه عليهم بالتخفيف فله سبحانه توبه على عباده ببسط رحمته عليهم و أثرها توفيقهم للتوبه أو لمطلق الطاعه أو رفع بعض التكاليف أو التخفيف قال تعالى: ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا (التوبه ١١٨).

كما أن له توبه عليهم بمعنى الرجوع إليهم بعد توبتهم و أثرها مغفره ذنوبهم، و قد تقدمت الإشارة اليه.

و المراد بقوله: «فَأَقْرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ» التخفيف فى قيام الليل من حيث المقدار لعامة المكلفين تفريعا على علمه تعالى أنهم لن يحصوه.

و لازم ذلك التوسعه فى التكليف بقيام الليل من حيث المقدار حتى يسع لعامة المكلفين الشاق عليهم إحصاؤه دون النسخ بمعنى كون قيام الثلث أو النصف أو الأدنى من الثلثين لمن استطاع ذلك بدعه محرمه و ذلك أن الإحصاء المذكور إنما لا يتيسر لمجموع المكلفين لا لجميعهم و لو امتنع لجميعهم و لم يتيسر لأحدهم لم يشرع من أصله و لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

على أنه تعالى يصدق لنبيه صلى الله عليه و آله و سلم و طائفه من الذين معه قيام الثلث و النصف و الأدنى من الثلثين و ينسب عدم التمكّن من الإحصاء الى الجميع و هم لا- محاله هم القائمون و غيرهم فالحكم إنما كان شاقا على المجموع من حيث المجموع دون كل واحد فوسع فى التكليف بقوله:

«فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ» و سهل الأمر بالتخفيف ليكون لعامة المكلفين فيه نصيب مع بقاء الاصل المشتمل عليه صدر السوره على حاله لمن تمكن من الاحصاء و اراده، و الحكم استحبابي لسائر المؤمنين و إن كان ظاهر ما للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ من الخطاب الوجوب كما تقدمت الإشاره اليه.

و قوله: عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضِيٌّ وَ آخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ آخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إشاره الى مصلحه اخرى مقتضيه للتخفيف في أمر القيام ثلث الليل أو نصفه أو أدنى من ثلثيه، وراء كونه شاقا على عامه المكلفين بالصفه المذكوره أولا فإن الإحصاء المذكور للمريض و المسافر و المقاتل مع ما هم عليه من الحال شاق عسير جدا.

و المراد بالضرب في الأرض للابتغاء من فضل الله طلب الرزق بالمسافره من أرض الى أرض للتجاره.

و قوله: فَاقْرَأْ مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا تكرر للتخفيف تأكيدا، و ضمير «مِنْهُ» للقرآن، و المراد الإتيان بالصلاه على ما يناسب سعه الوقت الذي قاموا فيه.

و المراد بالصلاه المأمور بإقامتها الفريضة فإن كانت الآيه مدنيه فالفرائض الخمس اليوميه و إن كانت مكيه فبحسب ما كانت مفروضه من الصلاه، و المراد بالزكاه زكاه المفروضه، و المراد بإقراضه تعالى غير الزكاه من الإنفاقات الماليه في سبيل الله.

و عطف الأمر بإقامه الصلاه و إيتاء الزكاه و الإقراض للتلويح الى أن التكليف الدينيه على حالها في وجوب الاهتمام بها و الاعتناء بأمرها، فلا- يتوهم متوهم سريان التخفيف و المسامحه في جميع التكليف فالآيه نظيره قوله في آيه النجوى: فَبَاذِلْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ (المجادله ١٣).

وقوله: **وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا «مِنْ خَيْرٍ»** بيان للموصول، والمراد بالخير مطلق الطاعة أعم من الواجبه و المندوبه، و «هُوَ» ضمير فصل أو تأكيد للضمير في «تَجِدُوهُ» .

و المعنى: و الطاعة التي تقدمونها لأنفسكم-أى لتعيشوا بها في الآ-خره-تجدونها عند الله- أى في يوم اللقاء-خيرا من كل ما تعملون أو تتركون و أعظم أجرا.

وقوله: **وَ اسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ختم الكلام بالأمر بالاستغفار، و فى قوله: **«إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»** إشعار بوعد المغفره و الرحمه، و لا- يبعد أن يكون المراد بالاستغفار الإتيان بمطلق الطاعات لأنها وسائل يتوسل بها الى مغفره الله فالإتيان بها استغفار [\(١\)](#).

ص: ٤٨٥

---

١ - ١). المزمّل ٢٠: بحث روائى فى قيام النبى صلى الله عليه و آله و سلم بالليل و طائفه من اصحابه؛قراءه ما تيسر من القرآن،القرض الحسن لله تعالى.

## سوره المدثر مكيه و هى ست و خمسون آيه

### اشاره

[سوره المدثر (٧٤): الآيات ١ الى ٧]

### اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَتَيَّابِكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمُنُّنَ تَسْتَكْبِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)

### بيان:

تتضمن السوره أمر النبى صلى الله عليه و آله و سلم بالإنذار فى سياق يلوح منه كونه من أوامر أوائل البعثه ثم الإشاره الى عظم شأن القرآن الكريم و جلاله قدره، و الوعيد الشديد على من يواجهه

ص: ٤٨٦

بالإنكار و الرمی بالسحر، و ذم المعرضین عن دعوته.

و السوره مكیه من العتائق النازله فی أوائل البعثه و ظهور الدعوه حتى قيل: إنها أول سوره نزلت من القرآن و إن كان يكذبه نفس آيات السوره الصريحه فی سبق قراءته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ القرآن على القوم و تكذيبهم به و إعراضهم عنهم و رميهم له بأنه سحر يؤثر.

و لذا مال بعضهم الى أن النازل أولاً هي الآيات السبع الواقعه في أول السوره و لازمه كون السوره غير نازله دفعه و هو و إن كان غير بعيد بالنظر الى متن الآيات السبع لكن يدفعه سياق أول سوره العلق الظاهر في كونه أول ما نزل من القرآن.

و احتمال بعضهم أن تكون السوره أول ما نزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عند الأمر بإعلان الدعوه بعد إخفائها مده في أول البعثه فهي في معنى قوله: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (الحجر ٩٤)، و بذلك جمع بين ما ورد من أنها أول ما نزل، و ما ورد أنها نزلت بعد سوره العلق، و ما ورد أن سورتي المزمّل و المدثر نزلتا معاً، و هذا القول لا يتعدى طور الاحتمال.

و كيف كان فالمتيقن أن السوره من أوائل ما نزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ من السور القرآنيه، و الآيات السبع التي نقلناها تتضمن الأمر بالإنذار و سائر الخصائل التي تلزمه مما وصاه الله به.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ المدثر بتشديد الدال و الثاء أصله المتدثر اسم فاعل من التدثر بمعنى التغطية بالثياب عند النوم.

و المعنى: يا أيها المتغطي بالثياب للنوم خطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و قد كان على هذه الحال فخطب بوصف مأخوذ من حاله تأنيسا و ملاطفه نظير قوله: «يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ» .

قوله تعالى: قُمْ فَأَنْذِرْ الظاهر أن المراد به الأمر بالإنذار من غير نظر الى من ينذر فالمعنى افعّل الإنذار، و ذكر بعضهم أن مفعول الفعل محذوف، و التقدير أنذر عشيرتك

الأقربين لمناسبته لابتداء الدعوه كما ورد في سوره الشعراء.

و ذكر آخرون أن المفعول المحذوف عام و هو جميع الناس لقوله: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ** (سبأ ٢٨).

و لم يذكر التبشير مع الإنذار مع أنهما كالمتلازمين في تمام الدعوه لأن السوره مما نزل في ابتداء الدعوه و الإنذار هو الغالب إذ ذاك.

قوله تعالى: **وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ** أى انسب ربك الى الكبرياء و العظمه اعتقادا و عملا قولاً و فعلاً و هو تنزيهه تعالى من أن يعادله أو يفوقه شيء فلا شيء يشاركه أو يغلبه أو يمانعه، و لا نقص يعرضه، و لا وصف يحده.

و لذا ورد عن أئمه أهل البيت عليهم السّلام أن معنى التكبير: الله أكبر من أن يوصف، فهو تعالى أكبر من كل وصف نصفه به حتى من هذا الوصف، و هذا هو المناسب للتوحيد الإسلامى الذى يفوق ما نجده من معنى التوحيد فى سائر الشرائع السماويه.

و هذا الذى ذكرناه هو الفرق بين كلمتى التكبير و التسبيح-الله أكبر و سبحان الله- فسبحان الله تنزيه له تعالى عن كل وصف عدمى مبنى على النقص كالموت و العجز و الجهل و غير ذلك، و الله أكبر تنزيه مطلق له تعالى عن كل وصف نصفه به أعم من أن يكون عدمياً أو وجودياً حتى من نفس هذا الوصف لما أن كل مفهوم محدود فى نفسه لا يتعدى الى غيره من المفاهيم و هو تعالى لا يحيط به حد، فافهم ذلك.

و قيل: المراد الأمر بالتكبير فى الصلاه.

قوله تعالى: **وَيَايَكَ فَطَهَّرْ** قيل: كناية عن إصلاح العمل؛ و لا يخلو من وجه فإن العمل بمنزله الثياب للنفس بما لها من الاعتقاد فالظاهر عنوان الباطن، و كثيراً ما يكتفى فى كلامهم عن صلاح العمل بطهاره الثياب.

و قيل: كناية عن تزكيه النفس و تنزيهها عن الذنوب و المعاصى.

وقيل: المراد تقصير الثياب لأنه أبعد من النجاسه و لو طالت و انجرت على الأرض لم يؤمن أن تتنجس.

وقيل: المراد تطهير الأزواج من الكفر و المعاصي لقوله تعالى: هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ (البقره ١٨٧).

وقيل: الكلام على ظاهره و المراد تطهير الثياب من النجاسات للصلاه و الأقرب على هذا أن يجعل قوله: «وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ» إشاره الى تكبير الصلاه و تكون الآيتان مسوقتين لتشريع أصل الصلاه مقارنة للأمر بالدعوه.

و لا يرد عليه ما قيل: إن نزول هذه الآيات كان حيث لا صلاه أصلا و ذلك أن تشريع الفرائض الخمس اليوميه على ما هي عليها اليوم و إن كان فى ليله المعراج و هى جميعا عشر ركعات ثم زيد عليها سبع ركعات إلا أن أصل الصلاه كان فمئذ أوائل البعثه كما يشهد به ذكرها فى هذه السوره و سورتي العلق و المزمل، و يدل عليه الروايات.

وقيل: المراد بتطهير الثياب التخلص بالأخلاق الحميده و الملكات الفاضله.

و فى معنى تطهير الثياب أقوال أخر أغمضنا عن نقلها لإمكان إرجاعها الى بعض ما تقدم من الوجوه، و أرجح الوجوه المتقدمه أولها و خامسها.

قوله تعالى: وَ الرَّجْزَ فَاهْجُرْ قيل: الرجز بضم الراء و كسرهما العذاب، و المراد بهجره هجر سببه و هو الإثم و المعصيه، و المعنى اهجر الإثم و المعصيه.

وقيل: الرجز اسم لكل قبيح مستقذر من الأفعال و الأخلاق فالأمر بهجره أمر بترك كل ما يكرهه الله و لا يرتضيه مطلقا، أو أمر بترك خصوص الأخلاق الرذيله الذميه على تقدير أن يكون المراد بتطهير الثياب ترك الذنوب و المعاصي.

وقيل: الرجز هو الصنم فهو أمر بترك عباده الأصنام.

قوله تعالى: وَ لَا تَمُنُّنَّ تَشْتَكِرُ الَّذِي يعطيه سياق الآيات و يناسب المقام أن



يكون المراد باليمن تكدير الصنيعه بذكرها للمنعم عليه كما في قوله تعالى: لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى (البقره ٢٦٤)، و قوله: يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا (الحجرات / ١٧) والمراد بالاستكثار رؤيه الشىء و حسبانه كثيرا لا طلب الكثره.

و المعنى: لا تمن امتثالك لهذه الأوامر و قيامك بالانذار و تكبيرك ربك و تطهيرك ثيابك و هجرك الرجز حال كونك ترى ذلك كثيرا و تعجبه-فانما أنت عبد لا- تملك من نفسك شيئا إلا ما ملكك الله و أقدرك عليه و هو المالك لما ملكك و القادر على ما عليه أقدرك فله الأمر و عليك الامتثال-.

قوله تعالى: وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ أى لوجه ربك، و الصبر مطلق يشمل الصبر عند المصيبه و الصبر على الطاعه و الصبر عن المعصيه، و المعنى و لوجه ربك فاصبر عند ما يصيبك من المصيبه و الأذى فى قيامك بالإنذار و امتثالك هذه الأوامر و اصبر على طاعه الله و اصبر عن معصيته، و هذا معنى جامع لمتفرقات ما ذكره فى تفسير الآيه كقول بعضهم: إنه أمر بنفس الفعل من غير نظر الى متعلقه، و قول بعضهم: إنه الصبر على أذى المشركين، و قول بعضهم:

إنه الصبر على أداء الفرائض، الى غير ذلك (١).

### [سوره المدثر (٧٤): الآيات ٨ الى ٣١]

فَإِذَا نَقَرِ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠) ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (١٢) وَ بَيْنَ شُهُوداً (١٣) وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصَلِّبُهُ سَقَرًا (٢٦) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ (٢٧) لَا تُبْقَى وَ لَا تَنْدَرُ (٢٨) لَوْ أَرَادَ الْبَشَرُ عَلَيْهِمْ تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ يَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَ لَا يَزِيدَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَ مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ (٣١)

ص: ٤٩٠



قوله تعالى: **فَإِذَا نُقِرَ فِي الذَّقُورِ النُّقْرُ الْقَرَعُ وَ النَّاقُورِ مَا يَقْرَعُ فِيهِ لِلتَّصْوِيتِ، وَ النُّقْرُ فِي النَّاقُورِ كَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ كُنَايَهُ عَنِ بَعْثِ الْمَوْتَى وَ إِحْضَارِهِمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ الْجَمْلَةُ شَرْطِيَّةٌ جَزَاؤُهَا قَوْلُهُ: «فَذَلِكَ» الْخ.**

قوله تعالى: **فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ** الاشارة بقوله: «فَذَلِكَ» الى زمان نقر الناقور و لا يبعد أن يكون المراد بيومئذ يوم إذ يرجعون الى الله للحساب و الجزاء أو يوم إذ يرجع الخلائق الى الله فيكون ظرفا ليوم نقر الناقور فمن الجائز أن تعتبر قطعه من الزمان ظرفا لبعض أجزائه كالسنه تجعل ظرفا للشهر و الشهر يجعل ظرفا لليوم لنوع من العناية أو يعتبر زمان متعددًا مختلفًا باختلاف صفاته أو الحوادث الواقعة فيه ثم يجعل باعتبار بعض صفاته ظرفًا لنفسه باعتبار صفة اخرى.

و المعنى فرمان نقر الناقور الواقع في يوم رجوع الخلائق الى الله زمان عسير على الكافرين أو زمان نقر الناقور زمان عسير على الكافرين في يوم الرجوع-بناء على كون قوله:

«يَوْمَئِذٍ قِيدًا لِقَوْلِهِ: «فَذَلِكَ» أَوْ لِقَوْلِهِ: «يَوْمٌ» -.

و قال في الكشف: فان قلت: بم انتصب اذا و كيف صح أن يقع يومئذ ظرفا ليوم عسير؟

قلت: انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لأن المعنى اذا نقر فى الناقور عسر الأمر على الكافرين، و الذى أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لأن يوم القيامة يأتى و يقع حين ينقر فى الناقور. انتهى.

و قال: و يجوز أن يكون يومئذ مبنيًا مرفوع المحل بدلا من ذلك، و يوم عسير خبر كأنه قيل: فيوم النقر يوم عسير. انتهى.

و قوله: غَيْرُ يَسِيرٍ وصف آخر ليوم مؤكد لعسره و يفيد أنه عسير من كل وجه لا من وجه دون وجه.

قوله تعالى: ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً كَلِمَةً تَهْدِيدٌ وَ قَدْ اسْتَفَاضَ النُّقْلُ أَنَّ الْآيَةَ وَ مَا يَتْلُوهَا إِلَى تَمَامِ عَشْرِينَ آيَةً نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، وَ سَتَأْتِي قِصَّتَهُ فِي الْبَحْثِ الرَّوَائِيِّ الْآتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

و قوله: وَحِيداً حال من فاعل «خَلَقْتُ» و محصل المعنى: دعنى و من خلقتك حال كونى وحيدا لا يشاركنى فى خلقه أحد ثم دبرت أمره أحسن التدبير، و لا تحل بينى و بينه فأنا أكفيه.

و من المحتمل أن يكون حالا- من مفعول «ذَرْنِي». و قيل حال من مفعول خلقت المحذوف و هو ضمير عائد الى الموصول، و محصل المعنى دعنى و من خلقتك حال كونه وحيدا لا مال له و لا بنون، و احتمال أيضا أن يكون «وَحِيداً» منصوبا بتقدير «أذم» و أحسن الوجوه أولها.

قوله تعالى: وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً أَى مَبْسُوطاً كَثِيراً أَوْ مَمْدُوداً بِمَدَدِ النَّعْمَاءِ.

قوله تعالى: وَ بَيْنَ شُهُوداً أَى حُضُوراً يَشَاهِدُهُمْ وَ يَتَأَيَّدُ بِهِمْ، وَ هُوَ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «مَالاً» .

قوله تعالى: وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً التمهيد التهيئه و يتجاوز به عن بسطه المال و الجاه و انتظام الامور.

قوله تعالى: ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا أَي ثم يطمع أن أزيد فيما جعلت له من المال و البنين و مهدت له من التمهيد.

و قوله: كَلَّا رَدَعَ لَهُ، و قوله: «إِنَّهُ كَانَ» الخ؛ تعليل المردع، و العنيد المعاند المباهى بما عنده، قيل، ما زال الوليد بعد نزول هذه الآيه فى نقصان من ماله و ولده حتى هلك.

قوله تعالى: سَأُرْهِقُهُ صَيْعُودًا أَلِرْهَاقِ الْغَشِيَانِ بالعنف، و الصعود عقبه الجبل التى يشق مصعدها شبه ما سيناله من سوء الجزاء و مر العذاب بغشيانه عقبه و عره صعبه الصعود.

قوله تعالى: إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ التفكير معروف و التقدير عن تفكير نظم معان و أوصاف فى الذهن بالتقديم و التأخير و الوضع و الرفع لاستنتاج غرض مطلوب، و قد كان الرجل يهوى أن يقول فى أمر القرآن شيئاً يبطل به دعوته و يرضى به قومه المعاندين ففكر فيه أ يقول: شعر أو كهانه أو هذره جنون أو اسطوره فقدّر أن يقول: سحر من كلام البشر لأنه يفرق بين المرء و أهله و ولده و مواليه.

و قوله: فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ دعا عليه على ما يعطيه السياق نظير قوله: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (التوبه ٣٠).

و قوله: ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ تكرار للدعاء تأكيداً.

قوله تعالى: ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسِيَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ تمثيل لحاله بعد التفكير و التقدير و هو من أطف التمثيل و أبلغه.

فقوله: ثُمَّ نَظَرَ أى ثم نظر بعد التفكير و التقدير نظره من يريد أن يقضى فى أمر سئل أن ينظر فيه-على ما يعطيه سياق التمثيل-.

و قوله: ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ العبوس تقطيب الوجه، قال فى المجمع: و عبس يعبس

عبوسا إذا قبض وجهه و العبوس و التكليح و التقطيب نظائر و ضدها الطلاقه و البشاشه، و قال: و البسور بدء التكره في الوجه انتهى، فالمعنى ثم قبض وجهه و أبدا التكره في وجهه بعد ما نظر.

و قوله: ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ الإِدْبَارُ عَنْ شَيْءٍ الإِعْرَاضُ عَنْهُ، و الاستكبار الامتناع كبرا و عتوا، و الأمران أعنى الإِدْبَارُ و الاستكبار من الأحوال الروحيه، و إنما رتبا في التميل على النظر و العبوس و البسور و هي أحوال صوريه محسوسه لظهورهما بقوله: «إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ» الخ؛ و لذا عطف قوله: «فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ» بالفاء دون «ثُمَّ» .

و قوله: فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ أى أظهر إِدْبَارَهُ و استكباره بقوله مفرعا عليه: «إِنَّ هَذَا -أى القرآن- إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ» أى يروى و يتعلم من السحره.

و قوله: إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ أى ليس بكلام الله كما يدعيه محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

قيل: إن هذه الآيه كالتأكيد للآيه السابقه و إن اختلفتا معنى لأن المقصود منهما نفى كونه قرآنا من كلام الله، و باعتبار الاتحاد في المقصود لم تعطف الجملة على الجملة.

قوله تعالى: سَأُضِلِّيهِ سَقَرًا وَ مَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرٌ لَا يُبْقَى وَ لَا تَذَرُ لَوْ أَحَ لَلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ أى سادخله سقر و سقر من أسماء جهنم فى القرآن أو دركه من دركاتها، و جملة «سَأُضِلِّيهِ سَقَرًا» بيان أو بدل من قوله: «سَأُضِلِّيهِ صَعُودًا» .

و قوله: وَ مَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرٌ تَفْخِيمٌ لَأَمْرِهَا وَ تَهْوِيلٌ.

و قوله: لَا يُبْقَى وَ لَا تَذَرُ قَضِيهِ إطلاق النقى أن يكون المراد أنها لا تبقى شيئا ممن نالته إلا أحرقتة، و لا تدع أحدا ممن ألقى فيها إلا نالته بخلاف نار الدنيا التى ربما تركت بعض ما ألقى فيها و لم تحرقه، و إذا نالت إنسانا مثلا نالت جسمه و صفاته الجسميه و لم تنل شيئا من روحه و صفاته الروحيه، و أما سقر فلا تدع أحدا ممن ألقى فيها إلا نالته قال تعالى: تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى (المعارج ١٧/١٧)، و إذا نالته لم تبق منه شيئا من روح أو جسم إلا أحرقتة قال

تعالى: نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ (الهمزة ٧).

و يمكن أن يراد أنها لا تبقئهم أحياء و لا تتركهم يموتون فيكون فى معنى قوله تعالى: الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا يُحْيَى (الأعلى ١٣).

و قيل: المعنى لا تبقى شيئاً يلقى فيها إلا أهلكته، و إذا هلك لم تذكره هالكا حتى يعاد فيعذب ثانياً.

و قيل: المراد أنها لا تبقى لهم لحماً و لا تذر عظماً، و قيل غير ذلك.

قوله تعالى: لَوْأَحَهُ لِبَشَرِ اللّوآحه من التلويح بمعنى تغيير اللون الى السواد و قيل:

الى الحمرة، و البشر جمع بشره بمعنى ظاهر الجلد.

قوله تعالى: عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ يتولون أمر عذاب المجرمين و قد أبهم و لم يصرح أنهم من الملائكة أو غيرهم غير أن المستفاد من آيات القيامة- و تصرح به الآيه التاليه- أنهم من الملائكة.

و قد استظهر بعضهم أن مميز قوله: «تِسْعَةَ عَشَرَ» ملكاً ثم قال: أ لا ترى العرب و هم الفصحاء كيف فهموا منه ذلك فقد روى عن ابن عباس أنها لما نزلت «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبى كبشه يخبركم أن خزنة النار تسعه عشر و انتم الدهم أ يعجز كل عشره منكم أن يبطشوا برجل منهم؟ فقال أبو الأسد ابن اسيد بن كلده الجمحى و كان شديد البطش: انا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى انتم اثنين انتهى، و انت ترى ان لا دليل فى كلامه على ما يدعيه. على انه سمي الواحد من الخزنة رجلاً و لا يطلق الرجل على الملك البته و لا سيما عند المشركين الذين قال تعالى فيهم: وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِآثًا (الزخرف ١٩).

قوله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً الى آخر الآيه؛ سياق الآيه يشهد على انهم تكلموا فيما ذكر فى الآيه من عدد خزان النار فنزلت هذه الآيه، و يتأيد بذلك

ما ورد من سبب النزول و سيوافيك في البحث الروائي التالي.

فقوله: «وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً» المراد بأصحاب النار خزنتها الموكلون عليها المتولون لتعذيب المجرمين فيها كما يفيد قوله: «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» ويشهد بذلك قوله بعد: «وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً» الخ.

و محصل المعنى: انا جعلناهم ملائكة يقدرون على ما امروا به كما قال: «عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (التحریم ١٦) فليسوا من البشر حتى يرجو المجرمون أن يقاوموهم و يطيقوهم.

و قوله: «وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْفِتْنَةُ الْمَحْنَةُ وَالْإِخْتِبَارُ».

ذكروا أن المراد بالجعل الجعل بحسب الإخبار دون الجعل بحسب التكوين فالمعنى و ما أخبرنا عن عدتهم أنها تسعة عشر إلا ليكون فتنه للذين كفروا، و يؤيده ذيل الكلام: «لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» الخ.

و قوله: «لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ الْاسْتِيقَانُ وَجِدَانُ الْيَقِينِ فِي النَّفْسِ أَيْ لِيُوقِنَ أَهْلُ الْكِتَابِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ النَّازِلَ عَلَيْكَ حَقٌّ حَيْثُ يَجِدُونَ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ مِنْ عِده أَصْحَابِ النَّارِ مُوَافِقًا لِمَا ذَكَرَ فِيهِمْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ».

و قوله: «وَ يَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا أَيْ بِسَبَبِ مَا يَجِدُونَ مِنْ تَصْدِيقِ أَهْلِ الْكِتَابِ ذَلِكَ».

و قوله: «وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا الْلامُ فِي «لِيَقُولَ» لِلْعَاقِبَةِ بِخِلَافِ الْلامِ فِي «لِيَسْتَيْقِنَ» فَلِلتَّعْلِيلِ بِالغَايَةِ، وَ الْفَرْقِ أَنْ قَوْلَهُمْ: «مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا» تَحْقِيرٌ وَ تَهْكِيمٌ وَ هُوَ كَفْرٌ لَاحِدٌ يَعْدُ غَايَةَ لِفَعْلِهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا بِالْعَرَضِ بِخِلَافِ الْاسْتِيقَانِ الَّذِي هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَ لَعَلَّ اخْتِلَافَ الْمَعْنِيِّينَ هُوَ الْمَوْجِبُ لِإِعَادَةِ الْلامِ فِي قَوْلِهِ: «وَ لِيَقُولَ» .



و قد فسروا «الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» بالشك و الجحود بالمنافقين و فسروا الكافرين بالمتظاهرين بالكفر من المشركين و غيرهم.

و قولهم: «مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا» أرادوا به التحقير و التهكم يشيرون بهذا الى قوله تعالى:

«عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» و المثل الوصف، و المعنى ما الذى يعنيه من وصف الخزنه بأنهم تسعه عشر؟ فهذه العده القليله كيف تقوى على تعذيب أكثر الثقلين من الجن و الانس (١)؟

و قوله: كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ الإِشَارَه بِذَلِكَ الى مضمون قوله: «وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً» الخ.

و قوله: «وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ» علق تعالى العلم المنفى بالجنود- و هى الجموع الغليظه التى خلقهم و سائط لإجراء أوامره- لا بخصوص عدتهم فأفاد بإطلاقه أن العلم بحقيقتهم و خصوصيات خلقتهم و عدتهم و ما يعملونه من عمل و دقائق الحكمة فى جميع ذلك يختص به تعالى يشاركه فيه أحد، فليس لأحد أن يستقل عدتهم او يستكثر او يطعن فى شىء مما يرجع الى صفاتهم و هو جاهل بها.

و قوله: «وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ» الضمير راجع الى ما تقدم من قوله: «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» و تأنيته لتأنيث الخبر، و المعنى ان البشر لا سبيل لهم الى العلم بجنود ربك و إنما اخبرنا عن خزنه النار ان عدتهم تسعه عشر ليكون ذكرى لهم يتعظون بها.

و فى الآيه دلالة على أن الخطابات القرآنيه لعامه البشر (٢).

### [سوره المدثر (٧٤): الآيات ٣٢ الى ٤٨]

كَلَّا- وَ الْقَمَرِ (٣٢) وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَ الصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِخْدَى الْكُبْرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَ لَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَ كُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضَةِ بَيْنَ (٤٥) وَ كُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)

ص: ٤٩٨

١- ١). المدثر ٨-٣١: ذنابه لما تقدم من الكلام فى النفاق.

٢- ٢). المدثر ٨-٣١: بحث روائى حول مناظره الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى القرآن؛ تغيير حاله الوليد؛ قول الوليد فى القرآن.

بيان:

قوله تعالى: كَلَّا رَدَعٌ وَإِنْكَارٌ لِّمَا تَقْدِمُ قَالَ فِي الْكَشَافِ: انْكَارٌ بَعْدَ أَنْ جَعَلَهَا ذِكْرًا أَنْ

ص: ٤٩٩

يكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون، أو ردع لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر نذيراً. انتهى.

فعلى الأول إنكار لما تقدم وعلى الثاني ردع لما سيأتي، وهناك وجه آخر سيوافيك.

قوله تعالى: وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ قسم بعد قسم، وإدبار الليل مقابل إقباله، وإسفار الصبح انجلاؤه و انكشافه.

قوله تعالى: إِنَّهَا لَأِخْدَى الْكُبْرِ ذكروا ان الضمير لسقر، والكبر جمع كبرى، والمراد بكون سقر إحدى الكبر إنها إحدى الدواهي الكبر لا يعادلها غيرها من الدواهي كما يقال: هو أحد الرجال أى لا نظير له بينهم، والجمله جواب للقسم.

و المعنى اقسام بكذا وكذا إن سقر لإحدى الدواهي الكبر-أكبرها انذارا للبشر.

ولا يبعد أن يكون «كلاً» ردعا لقوله فى القرآن: «إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» و يكون ضمير «إِنَّهَا» للقرآن بما أنه آيات او من باب مطابقه اسم إن لخبرها.

و المعنى: ليس كما قال اقسام بكذا وكذا إن القرآن-آياته-لإحدى الآيات الإلهيه الكبرى انذارا للبشر.

وقيل: الجمله «إِنَّهَا لَأِخْدَى الْكُبْرِ» تعليل للردع، والقسم معترض للتأكيد لا جواب له أو جوابه مقدر يدل عليه كلاً.

قوله تعالى: نَذِيرًا لِلْبَشَرِ مصدر بمعنى الإنذار منصوب للتمييز، وقيل: حال مما يفهم من سياق قوله: «إِنَّهَا لَأِخْدَى الْكُبْرِ» أى كبرت وعصمت حال كونها إنذارا أى منذره.

قوله تعالى: لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِدَّمْ أَوْ يَتَأَخَّرَ تعميم للإنذار و «لِمَنْ شَاءَ» بدل من البشر، و «أَنْ يَتَّقِدَّمْ» الخ؛ مفعول «شَاءَ» والمراد بالتقدم و التأخر: الاتباع للحق و مصداقه الايمان و الطاعه، و عدم الاتباع و مصداقه الكفر و المعصيه.

و المعنى: نذيراً لمن اتبع منكم الحق و لمن لم يتبع أى لجميعكم من غير استثناء.

وقيل «أَنْ يَتَّقِدَّمْ» فى موضع الرفع على الابتداء و «لِمَنْ شَاءَ» خبره كقولك لمن توضعاً أن

يصلى، و المعنى مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر، و هو كقوله: «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ» و المراد بالتقدم و التأخر السبق الى الخير و التخلف عنه انتهى.

قوله تعالى: كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ الباء بمعنى مع أو للسببيه أو للمقابله و «رَهِينَةٌ» بمعنى الرهن على ما ذكره الزمخشري قال فى الكشف: رهينه ليست بتأنيث رهين فى قوله: «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» لتأنيث النفس لأنه لو قصدت لقييل: رهين لأن فعلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر و المؤنث، و إنما هى اسم بمعنى الرهن كالثيمه بمعنى الشتم كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن. انتهى.

و كأن العنايه فى عد كل نفس رهينه أن لله عليها حق العبوديه بالإيمان و العمل الصالح فهى رهينه محفوظه محبوسه عند الله حتى توفى دينه و تؤدى حقه تعالى فإن آمنت و صلحت فكت و أطلقت، و إن كفرت و أجمت و ماتت على ذلك كانت رهينه محبوسه دائما، و هذا غير كونها رهين عملها ملازمه اكتسبت من خير و شر كما تقدم فى قوله تعالى: كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (الطور ٢١).

و الآيه فى مقام بيان وجه التعميم المستفاد من قوله: «نَذِيرًا لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ» فإن كون النفس الإنسانيه رهينه بما كسبت يوجب على كل نفس أن تتقى النار التى ستحسب فيها إن أجمت و لم تتبع الحق.

قوله تعالى: إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ هم الذين يؤتون كتابهم بأيمانهم يوم الحساب و هم أصحاب العقائد الحقه و الأعمال الصالحه من متوسطى المؤمنين، و قد تكرر ذكرهم و تسميتهم بأصحاب اليمين فى مواضع من كلامه تعالى، و على هذا فالاستثناء متصل.

و المتحصل من مجموع المستثنى منه و المستثنى انقسام النفوس ذوات الكسب الى نفوس رهينه بما كسبت و هى نفوس المجرمين، و نفوس مفكوكه من الرهن مطلقه و هى نفوس أصحاب اليمين، و أما السابقون المقربون و هم الذين ذكرهم الله فى مواضع من كلامه و عدّهم

ثالثه الطائفتين و غيرهما كما فى قوله تعالى: وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً -الى أن قال- وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (الواقعه ١١/)،فهؤلاء قد استقروا فى مستقر العبوديه لا يملكون نفسا و لا عمل نفس فنفسهم لله و كذلك أعمالهم فلا يحضرون و لا يحاسبون قال تعالى:

فَأِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عَبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (الصافات ١٢٨/)،فهم خارجون عن المقسم رأسا.

قوله تعالى: فِي جَنَاتٍ يَنْسَاءُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ «فِي جَنَاتٍ» خبر لمبتدأ محذوف و تنوين جنات للتعظيم،و التقدير هم فى جنات لا يدرك وصفها،و يمكن أن يكون حالا من أصحاب اليمين.

و قوله: يَنْسَاءُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ أى يتساءل جمعهم عن جمع المجرمين.

و قوله: مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ أى ما أدخلكم فى سقر بيان لتساؤلهم من بيان الجملة بالجملة،أو بتقدير القول أى قائلين ما سلككم فى سقر.

قوله تعالى: قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ضمير الجمع للمجرمين،و المراد بالصلاه التوجه العبادى الخاص الى الله سبحانه فلا يضره اختلاف الصلاه كما و كيفا باختلاف الشرائع السماويه الحقه.

قوله تعالى: وَ لَمْ نَكُ نَطْعَمُ الْمَسْكِينِ المراد بإطعام المسكين الإنفاق على فقراء المجتمع بما يقوم به صلبهم و يرتفع به حاجتهم،و إطعام المسكين إشاره الى حق الناس عملا كما أن الصلاه إشاره الى حق الله كذلك.

قوله تعالى: وَ كُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ المراد بالخوض الاشتغال بالباطل قولاً أو فعلاً و الغور فيه.

قوله تعالى: وَ كُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ و هو يوم الجزاء فهذه خصال أربع من طبع المجرم أن يبتلى بها كلا أو بعضا،و لما كان المجيب عن التساؤل جمع المجرمين صحت نسبه الجميع

الى الجميع و إن كان بعضهم مبتلى ببعضها دون بعض.

قوله تعالى: حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ قيد للتكذيب، و فسروا اليقين بالموت لكونه مما لا شك فيه فالمعنى و كنا فى الدنيا نكذب بيوم الجزاء حتى أتانا الموت فانقطعت به الحياه الدنيا أى كنا نكذب به ما دامت الحياه.

و قيل: المراد به اليقين الحاصل بحقيه يوم الجزاء بمشاهده آيات الآخرة و معاينه الحياه البرزخيه حين الموت و بعده، و هو معنى حسن.

قوله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ تقدم فى بحث الشفاعة أن فى الآيه دلالة على أن هناك شافعين يشفعون فيشفعون لكن لا تنفع هؤلاء شفاعتهم لأنهم محرومون من نيلها.

و قد أوردنا جملة من أخبار الشفاعة فى الجزء الأول من الكتاب.

### [سوره المدثر (٧٤): الآيات ٤٩ الى ٥٦]

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمَمٌ مُّسِيئِينَ (٥٠) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمْ الَّذِي يَصِفُونَ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صِغْرًا مِّنْهُنَّ (٥٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (٥٥) وَمَنْ يَذْكُرْهُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ (٥٦)

قوله تعالى: ﴿لَمَّا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ تَفْرِيعَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ التَّذْكَرِ وَالْمَوْعِظَةِ وَالِاسْتِفْهَامِ لِلتَّعْجِيبِ، وَ«لَهُمْ» مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ وَالتَّقْدِيرُ فَمَا كَانَ لَهُمْ:

وَ«مُعْرِضِينَ» حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «لَهُمْ» وَ«عَنِ التَّذْكَرِهِ» مُتَعَلِّقٌ بِمُعْرِضِينَ.

والمعنى: فإذا كان كذلك فأى شىء كان -عرض- للمشركين الذين يكذبون بتذكرة القرآن حال كونهم معرضين عنها أى كان من الواجب عليهم أن يصدقوا و يؤمنوا لكنهم أعرضوا عنها و هو من العجب.

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ تَشْبِيهِ لَهُمْ مِنْ حَيْثُ حَالُهُمْ فِي الْإِعْرَاضِ عَنِ التَّذْكَرِ، وَالْحَمْرُ جَمْعُ حَمَارٍ، وَالْمُرَادُ الْحَمْرُ الْوَحْشِيَّةُ وَالِاسْتِنْفَارُ بِمَعْنَى النِّفْرَةِ وَالْقَسْوَرَةُ الْأَسَدُ وَالصَّائِدُ، وَقَدْ فَسَّرَ بِكُلِّ مِنَ الْمَعْنِيَيْنِ.

والمعنى: معرضين عن التذكرة كأنهم حمر وحشية نفرت من أسد أو من الصائد.

قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنَشَّرَةً الْمُرَادُ بِالصَّحْفِ الْمُنَشَّرَةِ الْكِتَابُ السَّمَاوِيُّ الْمَشْتَمَلُ عَلَى الدَّعْوَةِ الْحَقَّةِ.

و فى الكلام إضراب عما ذكر من إعراضهم، والمعنى ليس إعراضهم عن التذكرة لمجرد النفرة بل يريد كل امرئ منهم أن ينزل عليه كتاب من عند الله مشتمل على ما تشتمل عليه دعوه القرآن.

و هذه النسبة اليهم كناية عن استكبارهم على الله سبحانه أنهم إنما يقبلون دعوته و لا يردونها لو دعا كل واحد منهم بإنزال كتاب سماوى اليه مستقلا و أما الدعوه من طريق الرساله فليسوا يستجيبونها و إن كانت حقه مؤيده بالآيات البينه.

فالأية فى معنى ما حكاه الله سبحانه من قولهم: لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ

اللَّهِ (الأنعام ١٢٤/)، و في معنى قول الامم لرسولهم «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا» على ما قررنا من حجتهم على نفي رساله الرسل.

قوله تعالى: كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ رَدَع لَهِمْ بِمَا يَرِيدُونَهُ مِنْ نَزُولِ كِتَابِ سَمَاوِي عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَإِنْ دَعَا رِسَالَهُ مُؤَيَّدَةً بِآيَاتٍ بَيْنَهُ وَحُجُجٍ قَاطِعَةٍ لَا تَدَعُ رِيْبًا لِمَرْتَابٍ فَالْحُجَّةُ تَامَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى الرَّسُولِ وَغَيْرِهِ عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى أَنْ يُؤْتَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ الْمَدْعُوِينَ صَحْفًا مَنشُورًا.

على أن الرساله تحتاج من طهاره الذات و صلاحيه النفس إلى ما يفقده نفوس سائر الناس كما هو مدلول جوابه تعالى في سوره الأنعام عن قولهم: لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ .

و قوله: «بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ» إضراب عن قوله: «يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ» الخ؛ والمراد أن اقتراحهم نزول كتاب على كل امرئ منهم قول ظاهري منهم يريدون به صرف الدعوه عن أنفسهم، و السبب الحقيقي لكفرهم و تكذيبهم بالدعوه أنهم لا يخافون الآخرة، و لو خافوها لآمنوا و لم يقترحوا آيه بعد قيام الحججه بظهور الآيات البينات.

قوله تعالى: كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ رَدَع ثَانٍ لِاقْتِرَاحِهِمْ نَزُولِ كِتَابِ سَمَاوِي لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ، و المعنى لا ننزل كتابا كذلك إن القرآن تذكره و موعظه نعظهم به لا نريد به أزيد من ذلك، و أثر ذلك ما أعد للمطيع و العاصي عندنا من الجزاء.

قوله تعالى: فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ أَى فَمَنْ شَاءَ اتَعِظْ بِهِ فَإِنَّمَا هِيَ دَعْوَةٌ فِي ظَرْفِ الْاِخْتِيَارِ مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ.

قوله تعالى: وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ دَفْعٌ لِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَوَهَّمُوهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ» أَنْ الْأَمْرَ إِلَيْهِمْ وَ أَنَّهُمْ مُسْتَقْلُونَ فِي إِرَادَتِهِمْ وَ مَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا مِنْ أَفْعَالِهِمْ فَإِنْ لَمْ يَشَاءُوا الذِّكْرَ وَ لَمْ يَذْكُرُوا غَلْبُوهُ تَعَالَى



فيما أراد و أعجزوه فيما شاء من ذكرهم.

و المحصل من الدفع أن حكم القدر جاء في أفعالهم كغيرها من الحوادث، و تذكرهم إن تذكروا و إن كان فعلا اختياريا صادرا عنهم باختيارهم من غير إكراه فالمشبه الإلهيه متعلقه به بما هو اختياري بمعنى أن الله تعالى يريد بإرادته تكوينه أن يفعل الانسان الفعل الفلاني بإرادته و اختياره فالفعل اختياري ممكن بالنسبه الى الانسان و هو بعينه متعلق الاراده الإلهيه ضروري التحقيق بالنسبه إليها و لولاها لم يتحقق.

و قوله: هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ أَي أَهْلٌ لِأَنَّ يَتَّقَىٰ مِنْهُ لِأَنَّ لَهُ الْوَلَايَةَ الْمَطْلُوقَةَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، و بيده سعادته الإنسان و شقاوته، و أهل لأن يغفر لمن اتقاه لأنه غفور رحيم.

ص: ٥٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ (٣)  
بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْتَلِئُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرَقَ الْبَصِيرُ (٧) وَخَسَفَ  
الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبِّئُ  
الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَآخَرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥)

يطوف بيان السوره حول القيامه الكبرى فتنبئ بوقوع يوم القيامه اولاً- ثم تصفه ببعض أشرطه تاره، و بإجمال ما يجرى على الإنسان اخرى، و ينبئ أن المساق اليه يبدأ من يوم الموت، و تختتم بالاحتجاج على القدره على الإعاده بالقدره على الابتداء.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: لا- أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ إقسام بيوم القيامه سواء قبل بكون «لا أُقْسِمُ» كلمه قسم أو بكون لا زائده أو نافية على اختلاف الأقوال.

قوله تعالى: وَ لا- أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَّامَةِ إقسام ثان على ما يقتضيه السياق و مشاكلة اللفظ فلا يعبأ بما قيل: أنه نفى الإقسام و ليس بقسم، و المراد اقسام بيوم القيامه و لا أقسم بالنفس اللوامة.

و المراد بالنفس اللوامة نفس المؤمن التي تلومه في الدنيا على المعصيه و التناقل في الطاعه و تنفعه يوم القيامه.

و قيل: المراد به النفس الانسانيه أعم من المؤمنه الصالحه و الكافره الفاجره فإنها تلوم الانسان يوم القيامه أما الكافره فانها تلومه على كفره و فجوره، و أما المؤمنه فانها تلومه على

قله الطاعه و عدم الاستكثار من الخير.

وقيل: المراد نفس الكافر الذى تلومه يوم القيامة على ما قدمت من كفر و معصيه قال تعالى: وَ أَسِيرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ (يونس ٥٤).

و لكل من الأقوال وجه.

و جواب القسم محذوف يدل عليه الآيات التالية، و التقدير ليعثن، و إنما حذف للدلاله على تفخيم اليوم و عظمه أمره قال تعالى: ثَقَلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً (الأعراف ١٨٧)، و قال: إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (طه / ١٥)، و قال: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ (النبأ ١).

قوله تعالى: أَيْ يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ الْحَسْبَانَ الظن، و جمع العظام كناية عن الاحياء بعد الموت، و الاستفهام للتوبيخ، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَدَانَهُ أَي بلى نجمعها و «قَادِرِينَ» حال من فاعل مدخول بلى المقدر، و البنان أطراف الأصابع و قيل: الأصابع و تسويه البنان تصويرها على ما هى عليها من الصور، و المعنى بلى نجمعها و الحال أنا قادرون على أن نصور بنانه على صورها التى هى عليها خلقنا الأول.

و تخصيص البنان بالذكر -لعله- للإشارة الى عجب خلقها بما لها من الصور و خصوصيات التركيب و العدد تترتب عليها فوائد جمه لا تكاد تحصي من أنواع القبض و البسط و الأخذ و الرد و سائر الحركات اللطيفه و الأعمال الدقيقه و الصنائع الظريفه التى يمتاز بها الانسان من سائر الحيوان مضافا الى ما عليها من الهيئات و الخطوط التى لا يزال ينكشف للانسان منها سر بعد سر.

قوله تعالى: بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ قَالَ الرَّاعِبُ: الفجر شق الشىء شقا واسعا. قال: و الفجور شق ستر الديانه يقال: فجر فجورا فهو فاجر و جمعه فجار و فجره.

انتهى، و«أَمَامَهُ» ظرف مكان استعير لمستقبل الزمان، والمراد من فجوره أمامه فجوره مدى عمره و ما دام حيا، و ضمير «أَمَامَهُ» للانسان.

و قوله: لِيُفْجَرَ أَمَامَهُ تعليل ساد مسد معلله و هو التكذيب بالبعث و الاحياء بعد الموت، و «بَلْ» إضراب عن حسابانه عدم البعث و الاحياء بعد الموت.

و المعنى: أنه لا- يحسب أن لن نجمع عظامه بل يريد أن يكذب بالبعث ليفجر مدى عمره إذ لا موجب للإيمان و التقوى لو لم يكن هناك بعث للحساب و الجزاء.

هذا ما يعطيه السياق فى معنى الآيه، و لهم وجه آخر ذكروها فى معنى الآيه بعيدة لا تلائم السياق أغمضنا عن ذكرها.

و ذكر الانسان فى الآيه وضع الظاهر موضع الضمير و النكته فيه زياده التوبيخ و المبالغه فى التفرير، و قد كرر ذلك فى الآيه و ما يتلوها من الآيات أربع مرات.

قوله تعالى: يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الظاهر أنه بيان لقوله: «يَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَ أَمَامَهُ» فيفيد التعليل و أن السائل فى مقام التكذيب و السؤال سؤال تكذيب إذ من الواجب على من دعى الى الإيمان و التقوى؛ و أنذر بهذا النبأ العظيم مع دلالة الآيات البينه و قيام الحجج القاطعه أن يتخذ حذره و يتجهز بالإيمان و التقوى و يتهيأ للقاء اليوم قريبا كان أو بعيدا فكل ما هو آت قريب لا أن يسأل متى تقوم الساعة؟ و أيان يوم القيامة؟ فليس إلا سؤال مكذب مستهزئ.

قوله تعالى: فَإِذَا بَرَقَ الْبَصِيرُ وَ خَسَفَ الْقَمَرُ وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ ذكر جملة من أشرط الساعة، و بريق البصر تحيره فى إبطاره و دهشته، و خسوف القمر زوال نوره.

قوله تعالى: يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيَّنَ الْمَفْرُ أَي أين موضع الفرار، و قوله:

«أَيَّنَ الْمَفْرُ» مع ظهور السلطنه الإلهيه له و علمه بأن لا مفر و لا فرار يومئذ من باب ظهور

ملكاته يومئذ فقد كان في الدنيا يسأل عن المفر إذا وقع في شدة أو هددته مهلكة و ذلك كإنكارهم الشرك يومئذ و حلفهم كذبا قال تعالى: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (الانعام ٢٣)، وقال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ (المجادله ١٨).

قوله تعالى: كَلَّا- لا- وَزَرَ ردع عن طلبهم المفر، و الوزر الملجأ من جبل أو حصن أو غيرهما، و هو من كلامه تعالى لا من تمام كلام الإنسان.

قوله تعالى: إِلَيَّ رُبُّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ الْخَطَابِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، و تقديم «إِلَيَّ رُبُّكَ» و هو متعلق بقوله: «الْمُسْتَقَرُّ» يفيد الحصر فلا مستقر الى غيره فلا وزر و لا ملجأ يلتجأ اليه فيمنع عنه.

و ذلك أن الإنسان سائر اليه عالى كما قال: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَيَّ رَبِّكَ كَادِحًا فَمُلَاقِيهِ (الانشقاق ٦) و قال: إِنَّ إِلَيَّ رُبُّكَ الرَّجْعِي (العلق ٨) و قال: وَ أَنْ إِلَيَّ رُبُّكَ الْمُتَّبِعِي (النجم ٤٢) فهو ملاقي ربه راجع و منته اليه لا حاجب يحجبه عنه و لا مانع يمنعه منه و اما الحجاب الذى يشير اليه قوله: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (المطففين ١٥) فسياق الآيتين يعطى ان المراد به حجاب الحرمان من الكرامه لا حجاب الجهل او الغيبه.

و يمكن ان يكون المراد بكون مستقره اليه رجوع امر ما يستقر فيه من سعادته او شقاوه و جنه او نار الى مشيئته تعالى فمن شاء جعله فى الجنه و هم المتقون و من شاء جعله فى النار و هم المجرمون قال تعالى: يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ (المائد ٤٠).

و يمكن ان يراد به ان استقرارهم يومئذ الى حكمه تعالى فهو النافذ فيهم لا غير قال تعالى:

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (القصص ٨٨).

قوله تعالى: يُبَيِّتُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ المراد بما قدم و أخر ما عمله

من حسنه أو سيئه في أول عمره و آخره أو ما قدمه على موته من حسنه أو سيئه و ما آخر من سنه حسنه سنها أو سنه سيئه فيثاب بالحسنات و يعاقب على السيئات.

قوله تعالى: **يَلِ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ وَ لَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ** إضراب عن قوله: «**يَتَّبِعُوا الْإِنْسَانَ**» الخ؛ والبصيره رؤيه القلب و الإدراك الباطني و إطلاقها على الانسان من باب زيد عدل او التقدير الانسان ذو بصيره على نفسه.

وقيل: المراد بالبصيره الحجه كما في قوله تعالى: **مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِصَائِرِ** (الإسراء ١٠٢/) و الانسان نفسه حجه على نفسه يومئذ حيث يسأل عن سمعه و بصره و فؤاده و يشهد عليه سمعه و بصره و جلده و يتكلم يده و رجلاه، قال تعالى: **إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصِيرَ وَ الْفؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** (الإسراء ٣٦/)، و قال: **شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ** (حم السجده ٢٠/)، و قال: **وَ تَكَلَّمْنَا أَيْدِيَهُمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ** (يس ٦٥/).

و قوله: **وَ لَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ** المعاذير جمع معذره و هي ذكر موانع تقطع عن الفعل المطلوب، و المعنى هو ذو بصيره على نفسه و لو جادل عن نفسه و اعتذر بالمعاذير لصرف العذاب عنها.

### [سوره القيامه (٧٥): الآيات ١٦ الى ٤٠]

لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (١٧) فَاِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وَ جُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَ اتَّفَقَتِ السَّمَاوَاتُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَقَ وَ لَا صَلَّىٰ (٣١) وَ لَكِنَّ كَذَّبَ وَ تَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيْ يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَعًا مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عُلُقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)





قوله تعالى: لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُحْجِزَ بِهِ - الى قوله - ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ الذى يعطيه سياق الآيات الأربع بما يحفها من الآيات المتقدمة و المتأخره الواصفه ليوم القيامه أنها معترضه متضمن أدبا إلهيا كلف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أَنْ يَتَأَدَّبَ بِهِ حينما يتلقى ما يوحى اليه من القرآن الكريم فلا يبادر الى قراءه ما لم يقرأ بعد و لا يحرك به لسانه و ينصب حتى يتم الوحي.

فالأيات الأربع فى معنى قوله تعالى: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ (طه ١١٤).

فالكلام فى هذه الآيات يجرى مجرى قول المتكلم منا أثناء حديثه لمخاطبه إذا بادر الى تميم بعض كلام المتكلم باللفظه و اللفظتين قبل أن يلفظ بها المتكلم و ذلك يشغله عن التجرد للانصات فيقطع المتكلم حديثه و يعترض و يقول لا تعجل بكلامى و أنصت لتفقه ما أقول لك ثم يمضى فى حديثه.

فقوله: لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتُحْجِزَ بِهِ الخطاب فيه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و الضمير ان للقرآن الذى يوحى اليه أو للوحي، و المعنى لا تحرك بالوحي لسانك لتأخذه عاجلا فتسبقنا الى قراءه ما لم نقرأ بعد فهو كما مر فى معنى قوله: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ (طه ١١٤).

و قوله: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ القرآن هاهنا مصدر كالفرقان و الرجحان، و الضميران للوحي، و المعنى لا تعجل به إذ علينا أن نجتمع ما نوحيه اليك بضم بعض أجزائه الى بعض و قراءته عليك فلا يفوتنا شيء منه حتى يحتاج الى أن تسبقنا الى قراءه ما لم نوحه

بعد.

و قوله: فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أَي فإذا اتممنا قراءته عليك و حيا فاتبع قراءتنا له و اقرأ بعد تمامها.

و قيل: المراد باتباع قرآنه اتباعه ذهنا بالانصات و التوجه التام اليه و هو معنى لا بأس به.

و قوله: ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ أَي علينا ايضاحه عليك بعد ما كان علينا جمعه و قرآنه فثم للتأخير الرتبي لأن البيان مترتب على الجمع و القراءه رتبه.

و قيل: المعنى ثم إن علينا بيانه للناس بلسانك نحفظه في ذهنك عن التغير و الزوال حتى تقرأه على الناس.

و عن بعضهم أن الآيات الأربع متصله بما تقدم من حديث يوم القيامة، و خطاب «لَا تُحَرِّكْ» للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و ضمير «بِهِ» ليوم القيامة، و المعنى لا- تتفوه بالسؤال عن وقت القيامة أصلا و لو كنت غير مكذب و لا- مستهزئ «لِتَعْجَلَ بِهِ» أَي بالعلم به «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ» أَي من الواجب فى الحكمة أن نجمع من نجمعه فيه و نوحى شرح وصفه اليك فى القرآن «فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» أَي إذا قرأنا ما يتعلق به فاتبع ذلك بالعمل بما يقتضيه من الاستعداد له «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» أَي إظهار ذلك بالنفخ فى الصور انتهى ملخصا و هو كما ترى.

و قد تقدم فى تفسير قوله: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ» أن هذا النهى عن العجل بالقرآن يؤيد ما ورد فى الروايات أن للقرآن نزولا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ دفعه غير نزوله تدريجا.

قوله تعالى: كَلَّا- يَلْ تَحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْمَآخِرَةَ خطاب للناس و ليس من تعميم الخطاب السابق فى شىء لأن خطاب «لَا تُحَرِّكْ» اعتراضى غير مرتبط بشىء من طرفيه.

و قوله: «كَلَّا» ردع عن قوله السابق: «يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ» و قوله: «بَلْ»

ص: ٥١٥

تُجْبُونَ الْعَاجِلَةَ» - أى الحياه العاجله و هى الحياه الدنيا- «و تَدْرُونَ الْآخِرَةَ» أى تتركون الحياه الآخره، و ما فى الكلام من الإضراب إضراب عن حسابان عدم الإحياء بعد الموت نظير الإضراب فى قوله: «بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ» .

قوله تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» وصف ليوم القيامة بانقسام الوجوه فيه الى قسمين: ناضره و باسره، و نضره الوجه و اللون و الشجر و نحوها و نضارتها حسنها و بهجتها.

و المعنى: نظرا الى ما يقابله من قوله: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ» الخ؛ وجوه يوم إذ تقوم القيامة حسنه متهلله ظاهره المسره و البشاشه قال تعالى: تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (المطففين ٢٤)، و قال: «وَلَقَاهُمْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا» (الدهر ١١).

و قوله: «إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» خبر بعد خبر لوجوه، و «إِلَىٰ رَبِّهَا» متعلق بناظره قدم عليها لإفاده الحصر أو الأهميه.

و المراد بالنظر اليه تعالى ليس هو النظر الحسى المتعلق بالعين الجسمانيه الماديه التى قامت البراهين القاطعه على استحالته فى حقه تعالى بل المراد النظر القلبى و رؤيه القلب بحقيقه الإيمان على ما يسوق اليه البرهان و يدل عليه الأخبار المأثوره عن أهل العصمه عليهم السلام و قد أوردنا شطرا منها فى ذيل تفسير قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ» (الأعراف / ١٤٣)، و قوله تعالى: «مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ» (النجم ١١).

فهؤلاء قلوبهم متوجهه الى ربهم لا يشغلهم عنه سبحانه شاغل من الأسباب لتقطع الأسباب يومئذ، و لا يقفون موقفا من مواقف اليوم و لا- يقطعون مرحله من مراحلها إلا و الرحمه الإلهيه شامله لهم وَ هُمْ مِنْ فَرْعِ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ (النمل ٨٩) و لا يشهدون مشهدا من مشاهد الجنه و لا- يتنعمون بشىء من نعيمها إلا و هم يشاهدون ربهم به لأنهم لا ينظرون الى شىء و لا يرون شيئا إلا من حيث إنه آيه لله سبحانه و النظر الى الآيه من حيث إنها آيه

و رؤيتها نظر الى ذى الآيه و رؤيه له.

قوله تعالى: وَوَجْوهُ يَوْمَئِذٍ بِسِرهٍ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ فسر البسور بشده العبوس و الظن بالعلم و «فاقرة» صفه محذوفه الموصوف أى فعله فاقره، و الفاقره من فقره اذا أصاب فقار ظهره، و قيل: من فقرت البعير اذا وسمت أنفه بالنار.

و المعنى: و وجوه يومئذ شديده العبوس تعلم أنه يفعل بها فعله تقصم ظهورها أو تسم انوفها بالنار، و احتمال أن يكون تظن خطابا للنبي صلى الله عليه و آله و سلم بما أنه سامع و الظن بمعناه المعروف.

قوله تعالى: كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ رَدَعٌ عَنْ حِجْبِهِمِ الْعَاجِلِ و إيثارها على الآخره كأنه قيل: ارتدعوا عن ذلك فليس يدوم عليكم و سينزل عليكم الموت فتساقون الى ربكم و فاعل «بَلَغَتِ» محذوف يدل عليه السياق كما فى قوله تعالى: فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (الواقعه ٨٣/) و التقدير اذا بلغت النفس التراقى.

و التراقى العظام المكتنفه للنحر عن يمين و شمال جمع ترقوه، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ اسم فاعل من الرقى أى قال من حضره من اهله و اصدقائه من يرقيه و يشفيه؟ كلمه يأس، و قيل: المعنى قال بعض الملائكه لبعض: من يرقى بروحه من الملائكه أم ملائكه الرحمه أم ملائكه العذاب؟

قوله تعالى: وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ أى و علم الإنسان المحتضر من مشاهده هذه الأحوال انه مفارقتة للعاجله التى كان يحبها و يؤثرها على الآخره.

قوله تعالى: وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ظاهره ان المراد به التفاف ساق المحتضر بساقه ببطلان الحياه الساريه فى اطراف البدن عند بلوغ الروح التراقى.

قوله تعالى: إِلَهِي رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ مصدر ميمى بمعنى السوق، و المراد بكون السوق يومئذ اليه تعالى انه الرجوع اليه، و عبر بالمساق للإشاره الى ان لا- خيره للإنسان فى هذا المسير و لا مناص له عنه فهو مسوق مسير من يوم موته و هو قوله: «إِلَهِي رَبِّكَ

يَوْمَئِذٍ الْمَسْأَلُ» حتى يرد على ربه يوم القيامة و هو قوله: «إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ» و لو كان تقديم «إِلَىٰ رَبِّكَ» لإفاده الحصر افاد انحصار الغايه فى الرجوع اليه تعالى.

قوله تعالى: فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَا لَكِنُ كَذَّبَ وَ تَوَلَّىٰ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى الضمائر راجعه الى الإنسان المذكور فى قوله: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ» الخ؛ والمراد بالتصديق المنفى تصديق الدعوه الحقه التى يتضمنها القرآن الكريم، و بالتصليه المنفيه التوجه العبادى اليه تعالى بالصلاه التى هى عمود الدين.

و التمطى-على ما فى المجمع-تمدد البدن من الكسل و أصله ان يلوى مطاه اى ظهره، و المراد بتمطيه فى ذهابه التبخر و الاختيال استعاره.

و المعنى: فلم يصدق هذا الانسان الدعوه فيما فيها من الاعتقاد و لم يصل لربه اى لم يتبعها فيما فيها من الفروع و ركنها الصلاه و لكن كذب بها و تولى عنها ثم ذهب الى أهله يتبخر و يختال مستكبرا.

قوله تعالى: أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ لا ريب أنه كلمه تهديد كررت لتأكيد التهديد، و لا يبعد-و الله أعلم-أن يكون قوله: «أُولَىٰ لَكَ» خبرا لمبتدأ محذوف هو ضمير عائد الى ما ذكر من حال هذا الانسان و هو أنه لم يصدق و لم يصل و لكن كذب و تولى ثم ذهب الى أهله متبخرًا مختالًا، و إثبات ما هو فيه من الحال له كناية عن إثبات ما هو لازمه من التبعه و العقاب.

فيكون الكلام و هى كلمه ملقاه من الله تعالى الى هذا الانسان كلمه طبع طبع الله بها على قلبه حرم بها الإيمان و التقوى و كتب عليه أنه من أصحاب النار، و الآيتان تشبهان بوجه قوله تعالى: فَإِذَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَىٰ لَهُمْ (سوره محمد ٢٠).

و المعنى: ما أنت عليه من الحال أولى و أرجح لك فأولى ثم أولى لك فأولى لتذوق وبال

أمرك و يأخذك ما أعد لك من العذاب.

قوله تعالى: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى مَخْتَمٌ فِيهِ رَجُوعٌ إِلَى مَا فِي مَفْتَحِ السُّورَةِ مِنْ قَوْلِهِ: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ» .

و الاستفهام للتوبيخ، و السدى المهمل، و المعنى أ يظن الانسان ان يترك مهملا لا يعتنى به فلا يبعث بإحيائه بعد الموت و لازمه ان لا يكلف و لا يجزى.

قوله تعالى: «أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنِيٍّ» اسم كان ضمير راجع الى الإنسان، و إماء المنى صبه فى الرحم.

قوله تعالى: «ثُمَّ كَانَ عَلاقَهُ فَخَلَقَ فَسَوَّى أَى ثُمَّ كَانَ الْإِنْسَانُ - أَوِ الْمَنَى - قَطْعَهُ مِنْ دَمٍ مَنَعْقِدٍ فَقَدَرَهُ فَصَوَّرَهُ بِالْتَعْدِيلِ وَ التَّكْمِيلِ .

قوله تعالى: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى أَى فجعل من الإنسان الصنفين: الذكر و الانثى.

قوله تعالى: «أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» احتجاج على البعث الذى ينكرونه استبعادا له بعموم القدره و ثبوتها على الخلق الابتدائى و الإعادة لا تزيد على الابتداء مثونه بل هى أهون، و قد تقدم الكلام فى تقريب هذه الحجة فى تفسير الآيات المتعرضه لها مرارا (1).

ص: ٥١٩

---

١ - ١). القيامة ١٦-٤٠: بحث روائى حول قوله تعالى: «لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» اصحاب الجنة و اصحاب الناس؛ صفات الله تعالى؛ معنى النظر الى الله يوم القيامة؛ قبض الروح؛ حقيقة الموت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَيْلًا أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) إِذَا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِذَا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَذَاتِيهِ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتِهِ مِنْ فَضِّهِ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ فَوَارِيرًا (١٥) فَوَارِيرًا مِنْ فَضِّهِ قَدَرُواهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا (٢٠) عَلَيْهِمْ نِيَابٌ سِنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (٢٢)

بيان:

اشاره

قوله تعالى: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً

ص: ٥٢١



مَذْكُوراً الاستفهام للتقرير فيفيد ثبوت معنى الجملة و تحققة أى قد أتى على الانسان،الخ؛ و لعل هذا مراد من قال من قدماء المفسرين: إن «هَلْ» فى الآيه بمعنى قد، لا على أن ذلك أحد معانى «هَلْ» كما ذكره بعضهم.

و المراد بالإنسان الجنس. و أما قول بعضهم: إن المراد به آدم عليه السّلام فلا- يلائمه قوله فى الآيه التاليه: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ» .

و الحين قطعه من الزمان محدوده قصيره كانت أو طويله، و الدهر الزمان الممتد من دون تحديد ببدايه أو نهايه.

و قوله: شَيْئاً مَذْكُوراً أى شيئاً يذكر باسمه فى المذكورات أى كان يذكر مثلاً الأرض و السماء و البر و البحر و غير ذلك و لا يذكر الإنسان لأنه لم يوجد بعد حتى وجد فقيل:

الإنسان فكونه مذكورا كناية عن كونه موجودا بالفعل فالنفي فى قوله: «لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» متوجه الى كونه شيئاً مذكورا لا الى أصل كونه شيئاً فقد كان شيئاً و لم يكن شيئاً مذكورا و يؤيده قوله: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ» الخ؛ فقد كان موجوداً بمادته و لم يتكون بعد إنساناً بالفعل و الآيه و ما يتلوها من الآيات واقعه فى سياق الاحتجاج يبين بها أن الإنسان حادث يحتاج فى وجوده الى صانع يصنعه و خالق يخلقه، و قد خلقه ربه و جهزه التدبير الربوبى بأدوات الشعور من السمع و البصر يهتدى بها الى السبيل الحق الذى من الواجب أن يسلكه مدى حياته فان كفر فمصيره الى عذاب أليم و ان شكر فالى نعيم مقيم.

و المعنى هل أتى-قد أتى-على الإنسان قطعه محدوده من هذا الزمان الممتد-غير المحدود و الحال أنه لم يكن موجوداً بالفعل مذكورا فى عداد المذكورات.

قوله تعالى: «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً» النطفه فى الأصل بمعنى الماء القليل غلب استعماله فى ماء الذكور من الحيوان الذى يتكون منه مثله، و أمشاج جمع مشيج او المشج بفتحيتين او بفتح فكسر بمعنى المختلط الممتزج،

و وصفت بها النطفه باعتبار اجزائها المختلفه او اختلاط ماء الذكور و الإناث.

و الابتلاء نقل الشيء من حال الى حال و من طور الى طور كابتلاء الذهب فى البوتقه، و ابتلاؤه تعالى الإنسان فى خلقه من النطفه هو ما ذكره فى مواضع من كلامه انه يخلق النطفه فيجعلها علقه و العلقه مضغه الى آخر الأطوار التى تتعاقبها حتى ينشئه خلقا آخر.

و قوله: فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا سياق الآيات و خاصه قوله: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ» الخ؛ يفيد أن ذكر جعله سميعا بصيرا للتوسل به فى التدبير الربوبى الى غايته و هى أن يرى آيات الله الداله على المبدإ و المعاد و يسمع كلمه الحق التى تأتية من جانب ربه بإرسال الرسل و إنزال الكتب فيدعوه البصر و السمع الى سلوك سبيل الحق و السير فى مسير الحياه بالإيمان و العمل الصالح فإن لزم السبيل الذى هدى اليه أداه الى نعيم الأبد و إلا فالى عذاب مخلد.

و ذكر الإنسان فى الآية من وضع الظاهر موضع الضمير و النكته فيه تسجيل أنه تعالى هو خالقه و مدبر أمره.

و المعنى: إنا خلقنا الإنسان من نطفه هى أجزاء مختلطه ممتزجه و الحال أننا ننقله من حال الى حال و من طور الى طور فجعلناه سميعا بصيرا لسمع ما يأتية من الدعوه الإلهيه، و يبصر الآيات الإلهيه الداله على وحدانيته تعالى و النبوه و المعاد.

قوله تعالى: إِذْ هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا الهدايه بمعنى إراءه الطريق دون الإيصال الى المطلوب و المراد بالسبيل السبيل بحقيقه معنى الكلمه و هو المؤدى الى الغايه المطلوبه و هو سبيل الحق.

و الشكر استعمال النعمه بإظهار كونها من منعمها و قد تقدم فى تفسير قوله تعالى:

وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (آل عمران ١٤٤) أن حقيقه كون العبد شاكرا لله كونه مخلصا لربه، و الكفران استعمالها مع ستر كونها من المنعم.

وقوله: **إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** حالان من ضمير «هَدَيْتَاهُ» لا من «السَّبِيلَ» كما قاله بعضهم، و«إِمَّا» يفيد التقسيم و التنويع أى إنا هديناه السبيل حال كونه منقسماً الى الشاكر و الكفور أى إنه مهدي سواء كان كذاً أو كذلك.

و التعبير بقوله: **«إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»** هو الدليل أولاً: على أن المراد بالسبيل السنه و الطريقه التى يجب على الإنسان أن يسلكها فى حياته الدنيا لتوصله الى سعادته فى الدنيا و الآخرة و تسوقه الى كرامه القرب و الزلفى من ربه و محصله الدين الحق و هو عند الله الإسلام (١).

قوله تعالى: **إِذَا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَيِّئًا لَّيْسَ وَ أَغْلَالًا- وَ سَعِيرًا** الاعتاد التهيئه، و سلاسل جمع سلسله و هى القيد الذى يقاد به المجرم، و أغلال جمع غل بالضم قيل هى القيد الذى يجمع اليدين على العنق، و قال الراغب: فالغل مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه. انتهى. و السعير النار المشتعله، و المعنى ظاهر.

و الآيه تشير الى تبعه الانسان الكفور المذكور فى قوله: **«إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»** و قدم بيان تبعته على بيان جزاء الانسان الشاكر لاختصار الكلام فيه.

قوله تعالى: **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا** الكأس إناء الشراب إذا كان فيه شراب، و المزاج ما يمزج به كالخزام لما يحزم به، و الكافور معروف يضرب به المثل فى البروده و طيب الرائحه، و قيل: هو اسم عين فى الجنة.

و الأبرار جمع بر بفتح الباء صفه مشبهه من البر و هو الاحسان و يتحصل معناه فى أن يحسن الانسان فى عمله من غير أن يريد به نفعاً يرجع اليه من جزاء او شكور فهو يريد الخير لأنه خير لا لأن فيه نفعاً يرجع الى نفسه و إن كرهت نفسه ذلك فيصبر على مر مخالفه نفسه فيما

ص: ٥٢٤

يريده و يعمل لأنه خير في نفسه كالوفاء بالندى أو لأن فيه خيرا لغيره كاطعام الطعام للمستحقين من عباد الله.

و إذ لا خير في عمل و لا صلاح إلا بالايان بالله و رسوله و اليوم الآخر كما قال تعالى:

أُولَئِكَ لَمْ يُوْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ (الأحزاب ١٩) الى غير ذلك من الآيات.

فالأبرار مؤمنون بالله و رسوله و اليوم الآخر، و إذ كان إيمانهم إيمان رشد و بصيره فهم يرون أنفسهم عبيدا مملوكين لربهم، له خلقهم و أمرهم، لا يملكون لأنفسهم نفعاً و لا ضراً عليهم أن لا يريدوا إلا ما أرادهم ربهم و لا يفعلوا إلا ما يرتضيه فقدموا إرادته على إرادته أنفسهم و عملوا له فصبروا على مخالفته أنفسهم فيما تهواه و تحبه و كلفه الطاعة، و عملوا ما عملوه لوجه الله، فأخلصوا العبودية في مرحلة العمل لله سبحانه.

و هذه الصفات هي التي عرف سبحانه الأبرار بها كما يستفاد من قوله: «يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ» و قوله: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» و قوله: «وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا» و هي المستفاده من قوله في صفتهم: لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ الخ (البقره ١٧٧) و قد مر بعض الكلام في معنى البر في تفسير الآية و سيأتي بعضه في قوله:

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (المطففين ١٨).

و الآية أعنى قوله: «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ» الخ؛ بما يتبادر من معناها من حيث مقابلتها لقوله: «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ» الخ؛ المبين لحال الكافرين في الآخرة، تبين حال الأبرار في الآخرة في الجنة، و انهم يشربون من شراب ممزوج بالكافور باردا طيب الرائحة.

قوله تعالى: عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا «عَيْنًا» منصوب بنزع الخافض و التقدير من عين أو بالاختصاص و التقدير أخص عيناً، و الشرب-على ما قيل-يتعدى بنفسه و بالباء فشرب بها و شربها واحد، و التعبير عنهم بعباد الله للإشارة الى تحليهم بحليه العبودية و قيامهم بلوازمها على ما يفيدته سياق المدح.

و تفجير العين شق الأرض لإجرائها، و ينبغي ان يحمل تفجيرهم العين على ارادتهم جريانها لأن نعم الجنة لا تحتاج في تحققها و التمتع بها الى ازيد من مشيه اهلها قال تعالى: لَّهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا (ق ٣٥).

و الآيتان- كما تقدمت الإشارة اليه- تصفان تنعم الأبرار بشارب الجنة في الآخرة، و بذلك فسرت الآيتان.

و لا يبعد ان تكون الآيتان مسوقتين على مسلك تجسم الأعمال تصفان حقيقه عملهم الصالح من الإيفاء بالنذر و اطعام الطعام لوجه الله، و ان اعمالهم المذكوره بحسب باطنها شرب من كأس مزاجها كافور من عين لا يزالون يفجرونها بأعمالهم الصالحه و سنظهر لهم بحقيقتها في جنة الخلد و إن كانت في الدنيا في صوره الأعمال فتكون الآيتان في مجرى أمثال قوله تعالى:

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (يس ٨).

و يؤيد ذلك ظاهر قوله: «يَشْرَبُونَ» و «يَشْرَبُ بِهَا» و لم يقل: سيشربون و سيشرب بها، و وقوع قوله: يشربون و يوفون و يخافون و يطعمون متعاقبه في سياق واحد، و ذكر التفجير في قوله: «يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» الظاهر في استخراج العين و إجرائها بالتوسل بالأسباب.

و لهم في مفردات الآيتين و إعرابها أقاويل كثيره مختلفه مذكوره في المطولات فليراجعها من أراد الوقوف عليها.

قوله تعالى: يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا المستطير اسم فاعل من استطار إذا فشا و انتشر في الأقطار غايه الانتشار و هو أبلغ من طار كما قيل:

يقال: استطار الحريق و استطار الفجر إذا اتسعا غايته، و المراد باستطاره شر اليوم و هو يوم القيامة بلوغ شدائده و أهواله و ما فيه من العذاب غايته.

و المراد بالإيفاء بالنذر ما هو ظاهره المعروف من معناه، و قول القائل: إن المراد به ما عقدوا عليه قلوبهم من العمل بالواجبات أو ما عقدوا عليه القلوب من اتباع الشارع في جميع ما

شرعه خلاف ظاهر اللفظ من غير دليل يدل عليه.

قوله تعالى: وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٩٢﴾ «عَلَىٰ حُبِّهِ» للطعام على ما هو الظاهر، والمراد بحبه توقان النفس اليه لشده الحاجه، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (آل عمران ٩٢).

و المراد بالمسكين و اليتيم معلوم، و المراد بالأسير ما هو الظاهر منه و هو المأخوذ من أهل دار الحرب.

قوله تعالى: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩٢﴾ وجه الشىء هو ما يستقبل به غيره، و وجهه تعالى صفاته الفعلية الكريمة التي يفيض بها الخير على خلقه من الخلق و التدبير و الرزق و بالجمله الرحمة العامه التي بها قيام كل شىء، و معنى كون العمل لوجه الله على هذا كون الغايه فى العمل هى الاستفاضه من رحمه الله و طلب مرضاته بالاعتصار على ذلك و الإعراض عما عند غيره من الجزاء المطلوب، و لذا ذيلوا قولهم:

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ بقولهم: ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.

و وراء ذلك صفاته الذاتيه الكريمة التي هى المبدأ لصفاته الفعلية و لما يترتب عليها من الخير فى العالم، و مرجع كون العمل لوجه الله على هذا هو الإتيان بالعمل حبا لله لأن الجميل على الإطلاق، و إن شئت فقل: عبادته تعالى لأنه اهل للعباده.

و ابتغاء وجه الله يجعله غايه داعيه فى الأعمال مذكور فى مواضع من كلامه تعالى كقوله:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف ٢٨)، و قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (البقره ٢٧٢)، و فى هذا المعنى قوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينه ٥)، و قوله: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (المؤمن ٦٥)، و قوله: ﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر ٣).

و قوله: ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ الجزاء مقابله العمل بما يعادله إن خيرا فخييرا

و إن شرافسرا؁ و يعم الفعل و القول لكن المراد به فى الآيه بقرينه مقابلته الشكور مقابله إطعامهم عملا لا لسانا.

و الشكر و الشكور ذكر النعمة و إظهارها قلبا أو لسانا أو عملا؁ و المراد به فى الآيه و قد قوبل بالجزاء الشاء الجميل لسانا.

و الآيه أعنى قوله: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» الخ؛ خطاب منهم لمن أطعموه من المسكين و اليتيم و الأسير إما بلسان المقال فهى حكاية قولهم أو بتقدير القول و كيف كان فقد أرادوا به تطيب قلوبهم أن يأمنوا المن و الأذى؁ و إما بلسان الحال و هو ثناء من الله عليهم لما يعلم من الإخلاص فى قلوبهم.

قوله تعالى: «إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا» عد اليوم و هو يوم القيامة عبوسا من الاستعاره؁ و المراد بعبوسه ظهوره على المجرمين بكمال شدته؁ و القمطيرير الصعب الشديد على ما قيل.

و الآيه فى مقام التعليل لقولهم المحكى: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» الخ؛ ينبهون بقولهم هذا أن قصرهم العمل فى ابتغاء وجه الله تعالى إخلاصا للعبودية لمخافتهم ذاك اليوم الشديد؁ و لم يكتفوا بنسبه المخافه الى اليوم حتى نسبه نحوا من النسبه الى ربهم فقالوا: «نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا» الخ؛ لأنهم لما لم يريدوا إلا وجه ربهم فهم لا يخافون غيره كما لا يرجون غيره و إنما يخافون و يرجون ربهم فلا يخافون يوم القيامة إلا لأنه من ربهم يحاسب فيه عباده على أعمالهم فيجزئهم بها.

و أما قوله قبلا: «و يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا» حيث نسب خوفهم الى اليوم فإن الواصف فيه هو الله سبحانه و قد نسب اليوم بشدائده الى نفسه قبلا حيث قال: «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا» الخ.

و بالجمله ما ذكروه من الخوف مخافه فى مقام العمل لما يحاسب العبد على عمله فالعبودية

لازمه للإنسان لا تفارقه و إن بلغ ما بلغ قال تعالى: **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ** (الغاشية ٢٦).

قوله تعالى: **فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا** الوقايه الحفظ و المنع من الأذى و لقي الشىء بكذا يلقيه أى استقبله به و النضرة البهجه و حسن اللون و السرور مقابل المساءه و الحزن.

و المعنى: فحفظهم الله و منع عنهم شر ذلك اليوم و استقبلهم بالنضرة و السرور، فهم ناضره الوجوه مسرورون يومئذ كما قال: **وَجُودٌ يُؤْمِنُ نَاضِرَةٌ** (القيامة ٢٢).

قوله تعالى: **وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا** المراد بالصبر صبرهم عند المصيبة و على الطاعة و عن المعصية فإنهم ابتغوا فى الدنيا وجه ربهم و قدموا إرادته على إرادتهم فصبروا على ما قضى به فيهم و أراد من المحن و مصائب الدنيا فى حقهم، و صبروا على امتثال ما أمرهم به و صبروا على ترك ما نهاهم عنه و إن كان مخالفا لأهواء أنفسهم فبدل الله ما لقوه من المشقه و الكلفه نعمه و راحه.

قوله تعالى: **مُتَكِينٍ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا** الأرائك جمع أريكه و هو ما يتكى عليه، و الزمهير البرد الشديد، و المعنى حالكونهم متكئين فى الجنة على الأرائك لا يرون فيها شمساً حتى يتأذوا بحرّها و لا زمهريراً حتى يتأذوا ببرده.

قوله تعالى: **وَ دَائِبَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهُمْ وَ ذُلَّتْ قُطُوفُهُمْ** تَذَلِيلًا الظلال جمع ظل، و دنو الظلال عليهم قربها منهم بحيث تنبسط عليهم فكأن الدنو مضمن معنى الانبساط و قطوف جمع قطف بالكسر فالسكون و هو الثمره المقطوفه المجتناه، و تذليل القطوف لهم جعلها مسخره لهم يقطفونها كيف شاءوا من غير مانع أو كلفه.

قوله تعالى: **وَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتِهِ مِنْ فَضِّهِ وَ أَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا** الآنيه



جمع إناء كأكسيه جمع كساء و هو الوعاء، و أكواب جمع كوب و هو إناء الشراب الذى لا عروه له و لا خرطوم و المراد طوف الولدان المخلدين عليهم بالآنيه و أكواب الشراب كما سيأتى فى قوله: «وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ» الآيه.

قوله تعالى: قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا بدل من قوارير فى الآيه السابقه، و كون القوارير من فضه مبنى على التشبيه البليغ أى إنها فى صفاء الفضه و إن لم تكن منها حقيقه، كذا قيل. و احتمال أن يكون بحذف مضاف و التقدير من صفاء الفضه.

و ضمير الفاعل فى «قَدَّرُوهَا» للأبرار و المراد بتقديرهم الآنيه و الأكواب كونها على ما شاءوا من القدر ترويههم بحيث لا تزيد و لا تنقص كما قال تعالى: لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا (ق/ ٣٥) و قد قال تعالى قبل: «يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» .

و يحتمل رجوع الضمير الى الطائفين المفهوم من قوله: «يُطَافُ عَلَيْهِمْ» و المراد بتقديرهم الآنيه و الأكواب إتيانهم بها على قدر ما أرادوا محتويه على ما اشتهاوا قدر ما اشتهاوا.

قوله تعالى: وَ يُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا قيل: إنهم كانوا يستطيعون الزنجبيل فى الشراب فوعد الأبرار بذلك و زنجبيل الجنة أطيب و أذو.

قوله تعالى: عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَيِّئًا أى من عين أو التقدير أعنى أو أخص عينا. قال الراغب: و قوله: «سَيِّئًا» أى سهلا لذيدا سلسا حديد الجريه.

قوله تعالى: وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا أى ولدان دائمون على ما هم عليه من الطراوه و البهاء و صباحه المنظر، و قيل: أى مقرطون بخلده و هى ضرب من القرط.

و المراد بحسبانهم لؤلؤا منظورا أنهم فى صفاء ألوانهم و إشراق وجوههم و انعكاس أشعه بعضهم على بعض و انبثاتهم فى مجالسهم كاللؤلؤ المنثور.

قوله تعالى: وَ إِذَا رَأَيْتَ نَوْمَ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًَا كَبِيرًا «ثُمَّ» ظرف مكان

ممحض فى الظرفيه، و لذا قيل: إن معنى «رَأَيْتَ» الأول: رميت ببصرك، و المعنى و إذا رميت ببصرك ثم يعنى الجنه رأيت نعيما لا يوصف و ملكا كبيرا لا يقدر قدره.

و قيل «ثُمَّ» صله محذوفه الموصول و التقدير و إذا رأيت ما ثم من النعيم و الملك، و هو كقوله: لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ (الأنعام ٩٤) و الكوفيون من النحاء يجوزون حذف الموصول و إبقاء الصله و إن منعه البصريون منهم.

قوله تعالى: **ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ** الخ؛ الظاهر أن «عَالِيَهُمْ» حال من الأبرار الراجعه اليه الضمائر و «ثِيَابُ» فاعله، و السندس - كما قيل - ما رق نسجه من الحرير، و الخضر صفه ثياب و الإستبرق ما غلظ نسجه من ثياب الحرير، و هو معرب كالسندس.

و قوله: **وَ حُلُوعِ أَسَاوِرٍ مِنْ فِضَّةٍ** التحليه التزيين، و أساور جمع سوار و هو معروف، و قال الراغب: هو معرب دستواره.

و قوله: **وَ سَيَقَاهُمْ رَبُّهُمْ** شَرَاباً طَهُوراً أى بالغاً فى التطهير لا - تدع قذاره إلا أزالها و من القذاره قذاره الغفله عن الله سبحانه و الاحتجاب عن التوجه اليه فهم غير محجوبين عن ربهم و لذا كان لهم أن يحمدا ربهم كما قال: **وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (يونس ١٠) و قد تقدم فى تفسير سوره الحمد أن الحمد وصف لا - يصلح له إلا المخلصون من عباد الله تعالى لقوله: **سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ** (الصافات ١٦٠).

و قد أسقط تعالى فى قوله: «**وَ سَيَقَاهُمْ رَبُّهُمْ**» الوسائط كلها و نسب سقيهم الى نفسه، و هذا أفضل ما ذكره الله تعالى من النعيم الموهوب لهم فى الجنه، و لعله من المزيد المذكور فى قوله:

**لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ** (ق ٣٥).

قوله تعالى: **إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَ كَانَ سَيِّئِكُمْ مَشْكُوراً** حكاية ما يخاطبون به من عنده تعالى عند توفيته أجرهم أو بحذف القول و التقدير و يقال لهم: إن هذا

كان لكم جزاء، الخ.

و قوله: **وَ كَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا** إنشاء شكر لمساعيهم المرضيه و أعمالهم المقبوله، و يا لها من كلمه طيبه تطيب بها نفوسهم.

و اعلم أنه تعالى لم يذكر فيما ذكر من نعيم الجنه فى هذه الآيات نساء الجنه من الحور العين و هى من أهم ما يذكره عنده و وصف نعم الجنه فى سائر كلامه و يمكن أن يستظهر منه أنه كانت بين هؤلاء الأبرار الذين نزلت فيهم الآيات من هى من النساء. و قال فى روح المعانى: و من اللطائف على القول بنزول السوره فيهم يعنى فى أهل البيت أنه سبحانه لم يذكر فيها الحور العين و إنما صرح عزّ و جل بولدان مخلدين رعايه لحرمة البتول و قره عين الرسول، انتهى.

### بحث روائى:

فى إتقان السيوطى عن البيهقى فى دلائل النبوه باسناده عن عكرمه و الحسن بن أبى الحسن قالوا: أنزل الله من القرآن بمكه اقرأ باسم ربك و ن و المزمّل-الى أن قالوا- ما نزل بالمدينه ويل للمطففين، و البقره، و آل عمران، و الأنفال، و الأحزاب، و المائده، و الممتحنه، و النساء، و إذا زلزلت، و الحديد، و محمد، و الرعد، و الرحمن، و هل أتى على الإنسان.

الحديث.

و فيه عن ابن الضريس فى فضائل القرآن باسناده عن عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه عن ابن عباس قال: كان إذا نزلت فاتحه سوره بمكه كتبت بمكه ثم يزيد الله فيها ما شاء.

و كان أول ما انزل من القرآن اقرأ باسم ربك، ثم ن، ثم يا أيها المزمّل-الى أن قال- ثم انزل بالمدينه سوره البقره ثم الأنفال ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنه ثم النساء ثم إذا زلزلت ثم الحديد ثم القتال ثم الرعد ثم الرحمن ثم الإنسان. الحديث.

ص: ٥٣٢

و فيه عن البيهقي في الدلائل بإسناده عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: إن أول ما أنزل الله على نبيه من القرآن اقرأ باسم ربك، و ذكر مثل حديث عكرمه و الحسين و فيه ذكر ثلاث من السور المكية التي سقطت من روايتهما و هي الفاتحة و الاعراف و كهيعص.

و في الدر المنثور أخرج ابن الضريس و ابن مردويه و البيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة الإنسان بالمدينة.

و فيه أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ الْآيَةَ؛ قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب و فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ.

أقول: الآية تشارك سائر آيات صدر السورة مما تقدم عليها أو تأخر عنها في سياق واحد متصل فنزلها فيهما عليهما السَّلام لا ينفك نزولها جميعا بالمدينة.

و في الكشاف: و عن ابن عباس أن الحسن و الحسين مرضا فعادهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت علي ولدك (ولديك ظ) فنذر علي و فاطمة و فضه جاريه لهما إن برء مما بهما أن يصوموا ثلاثه أيام فشفيا و ما معهم شيء.

فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمه صاعا و اختبزت خمسه أقراص علي عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل و قال: السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فأثروه و باتوا لم يذوقوا إلا الماء و أصبحوا صياما.

فلما أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه، و وقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن و الحسين و أقبلوا الى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فلما أبصرهم و هم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم فانطلق معهم فرأى

فاطمه فى محرابها قد التصق ظهرها (١) بطنها و غارت عينها فساء ذلك فتزل جبريل و قال:

خذها يا محمد هناك الله فى أهل بيتك فافره السوره.

أقول: الروايه مرويه بغير واحد من الطرق عن عطاء عن ابن عباس و نقلها البحرانى فى غايه المرام عن أبى المؤيد الموفق بن احمد فى كتاب فضائل أمير المؤمنين باسناده عن مجاهد عن ابن عباس، و عنه باسناد آخر عن الضحاك عن ابن عباس و عن الحموينى فى كتاب فرائد السمطين باسناده عن مجاهد عن ابن عباس، و عن الثعلبى باسناده عن أبى صالح عن ابن عباس، و رواه فى المجمع عن الواحدى فى تفسيره.

و فى المجمع باسناده عن الحاكم باسناده عن سعيد بن المسيب عن على بن ابى طالب أنه قال: سألت النبى عن ثواب القرآن فأخبرنى بثواب سوره سوره على نحو ما نزلت من السماء.

فأول ما نزل عليه بمكه فاتحه الكتاب ثم اقرأ باسم ربك، ثم ن-الى ان قال-و أول ما نزل بالمدينه سوره البقره ثم الأنفال ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنه ثم النساء ثم إذا زلزلت ثم الحديد ثم سوره محمد ثم الرعد ثم سوره الرحمن ثم هل أتى. الحديث.

و فيه عن أبى حمزه الشمالى فى تفسيره قال: حدثنى الحسن بن الحسن أبو عبد الله بن الحسن أنها مدنيه نزلت فى على و فاطمه السوره كلها.

و فى تفسير القمى عن أبيه عن عبد الله بن ميمون عن أبى عبد الله عليه السلام قال: كان عند فاطمه عليها السلام شعير فجعلوه عصيده (٢) فلما أنضجوها و وضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال:

مسكين رحمكم الله فقام على عليه السلام أعطاه ثلثا فلم يلبث أن جاء يتيم فقال: اليتيم رحمكم الله فقام على عليه السلام فأعطاه الثلث ثم جاء أسير فقال: الأسير رحمكم الله فأعطاه على عليه السلام الثلث و ما

ص: ٥٣٤

١-١). بطنها بظهرها ظ.

٢-٢). العصيده: شعير يلت بالسمن و يطبخ.

ذاقوها فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم و هي جاريه في كل مؤمن فعل ذلك لله عز و جل.

أقول:القصه كما ترى ملخصه في الروايه و روى ذلك البحرانى في غايه المرام عن المفيد في الاختصاص مسندا و عن ابن بابويه في الامالى باسناده عن مجاهد عن ابن عباس،و باسناده عن سلمه بن خالد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام،و عن محمد بن العباس ابن ماهيار في تفسيره باسناده عن أبي كثير الزبيرى عن عبد الله بن عباس،و في المناقب أنه مروى عن الأصبع بن نباته.

و في الاحتجاج عن على عليه السلام في حديث يقول فيه للقوم بعد موت عمر بن الخطاب:

نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزل فيه و في ولده «إِنَّ الْمَأْتِرَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا» الى آخر السوره غيرى؟قالوا:لا.

و في كتاب الخصال في احتجاج على على أبي بكر قال:أنشدك بالله أنا صاحب الآيه يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا أم أنت؟قال:بل أنت.

و في الدر المنثور أخرج الطبرانى و ابن مردويه و ابن عساكر عن ابن عمر قال:جاء رجل من الحبشه الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:سل و استفهم فقال:يا رسول الله فضلتم علينا بالألوان و الصور و النبوه أفرأيت إن آمنت بما آمنت به و عملت بمثل ما عملت به أنى لكائن معك فى الجنة؟قال:نعم و الذى نفسى بيده إنه ليرى بياض الأسود فى الجنة من مسيره ألف عام.ثم قال:من قال:لا إله إلا الله كان له عهد عند الله و من قال:سبحان الله و بحمده كتبت له مائه الف حسنه و اربعة و عشرون الف حسنه و نزلت عليه السوره هل أتى على الانسان حين من الدهر الى قوله:ملكا كبيرا.

فقال الحبشى:و إن عيني لترى ما ترى عيناك فى الجنة؟قال:نعم فاشتكى حتى فاضت نفسه.قال عمر:فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يدلّيه فى حفرتة بيده.

و فيه أخرج أحمد فى الزهد عن محمد بن مطرف قال:حدثنى الثقة أن رجلا أسود كان

يسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ التَّسْبِيحِ وَ التَّهْلِيلِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَهْ أَكْثَرَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: مَهْ يَا عُمَرُ وَ انزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَيْلٌ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى ذِكْرِ الْجَنَّةِ زَفَرَ الْأَسْوَدُ زَفْرَهُ خَرَجَتْ نَفْسُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَاتَ شَوْقًا إِلَى الْجَنَّةِ.

و فِيهِ أَخْرَجَ ابْنُ وَهْبٍ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ وَ قَدْ انزَلَتْ عَلَيْهِ وَ عِنْدَهُ رَجُلٌ أَسْوَدٌ فَلَمَّا بَلَغَ صِفَةَ الْجَنَّةِ زَفَرَ زَفْرَهُ فَخَرَجَتْ نَفْسُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَخْرَجَ نَفْسَ صَاحِبِكُمْ الشَّوْقَ إِلَى الْجَنَّةِ.

أَقُولُ: وَ هَذِهِ الرِّوَايَاتُ الثَّلَاثُ عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهَا لَا تَدُلُّ عَلَى أَزِيدٍ مِنْ كَوْنِ نَزُولِ السُّورَةِ مَقَارِنًا لِقِصَّةِ الرَّجُلِ وَ أَمَا كَوْنُهَا سَبَبًا لِلنَّزُولِ فَلَا، وَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الرِّوَايَةِ الْأَخِيرَةِ أَظْهَرَ وَ بِالْجَمَلَةِ لَا تَنَافَى الرِّوَايَاتُ الثَّلَاثُ نَزُولِ السُّورَةِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

عَلَى أَنَّ رِوَايَةَ ابْنِ عُمَرَ لِقِصَّةِ الظَّاهِرَةِ فِي حُضُورِهِ الْقِصَّةِ وَ قَدْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَ هُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ شَوَاهِدِ وَقُوعِ الْقِصَّةِ بِالْمَدِينَةِ.

وَ فِي الدَّرِّ الْمَثْبُورِ أَيْضًا أَخْرَجَ النَّحَّاسُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ سُورَةُ الْإِنْسَانِ بِمَكَّةِ.

أَقُولُ: هُوَ تَلْخِيصٌ حَدِيثٌ طَوِيلٌ أوردَهُ النَّحَّاسُ فِي كِتَابِ النَّاسِخِ وَ الْمَنْسُوخِ، وَ قَدْ نَقَلَهُ فِي الْإِتْقَانِ وَ هُوَ مَعَارِضٌ لِمَا تَقَدَّمَ نَقَلَهُ مُسْتَفِيضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ نَزُولِ السُّورَةِ بِالْمَدِينَةِ وَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

عَلَى أَنَّ سِيَاقَ آيَاتِهَا وَ خَاصَّهُ قَوْلُهُ: «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ» وَ «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ» الْخ؛ سِيَاقُ قِصَّةِ وَاقِعِهِ وَ ذِكْرُ الْأَسِيرِ فِيمَنْ أُطْعِمُوهُمْ نَعْمَ الشَّاهِدِ عَلَى نَزُولِ الْآيَاتِ بِالْمَدِينَةِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ أُسِيرٌ بِمَكَّةِ كَمَا تَقَدَّمَتْ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ.

قَالَ بَعْضُهُمْ مَا مَلْخَصَهُ: أَنَّ الرِّوَايَاتِ مُخْتَلَفَةٌ فِي مَكِّيَّةِ هَذِهِ السُّورَةِ وَ مَدِينِيَّتِهَا وَ الْأَرْجَحُ أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ بَلِ الظَّاهِرُ مِنْ سِيَاقِهَا أَنَّهَا مِنْ عَتَائِقِ السُّورِ الْقُرْآنِيَّةِ النَّازِلَةِ بِمَكَّةِ فِي أَوَائِلِ الْبَعْثَةِ يُؤَيِّدُ

ذلك ما ورد فيها من صور النعم الحسيه المفصله الطويله و صور العذاب الغليظ كما يؤيده ما ورد فيها من أمر النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم بالصبر لحكم ربه و أن لا يطيع منهم آثما او كفورا و يثبت على ما نزل عليه من الحق و لا يداهن المشركين من الأوامر التي كانت تنزل بمكه عند اشتداد الأذى على الدعوه و أصحابها بمكه كما فى السوره القلم و المزل و المدثر فلا عبره باحتمال مدنيه السوره.

و هو فاسد اما ما ذكره من اشتمال السوره على صور النعم الحسيه المفصله الطويله و صور العذاب الغليظ فليس ذلك مما يختص بالسور المكيه حتى يقضى بها على كون السوره مكيه فهذه سوره الرحمن و سوره الحج مدنيتان على ما تقدمت فى الروايات المشتمله على ترتيب نزول السور القرآنيه و قد اشتملتا من صور النعم الحسيه المفصله الطويله و صور العذاب الغليظ على ما يربو و يزيد على هذه السوره بكثير.

و اما ما ذكره من اشتمال السوره على امر النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم بالصبر و ان لا يطيع منهم آثما او كفورا و لا يداهنهم و يثبت على ما نزل عليه من الحق ففيه ان هذه الأوامر واقعه فى الفصل الثانى من آيات السوره و هو قوله: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا** الى آخر السوره؛ و من المحتمل جدا ان يكون هذا الفصل من الآيات- و هو ذو سياق تام مستقل-نازلا بمكه، و يؤيده ما فى كثير من الروايات المتقدمه ان الذى نزل فى اهل البيت بالمدينه هو الفصل الأول من الآيات، و على هذا اول السوره مدنى و آخرها مكى.

و لو سلم نزولها دفعه واحده فأمره صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم بالصبر لا اختصاص له بالسور المكيه فقد ورد فى قوله: **وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغُدَاهِ وَ الْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُطْرًا** (الكهف ٢٨) و الآيه-على ما روى-مدنيه و الآيه-كما ترى-متحده المعنى مع قوله: **«فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ»** الخ؛ و هى فى سائق شبيهه جدا بسياق هذه الآيات فراجع و تأمل.



ثم الذى كان يلقاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم من اذى المنافقين و الذين فى قلوبهم مرض و الجفاه من ضعفاء الايمان لم يكون بأهون من اذى المشركين بمكه يشهد بذلك اخبار سيرته.

ولا دليل ايضا على انحصار الإثم و الكفور فى مشركى مكة فهناك غيرهم من الكفار و قد اثبت القرآن الإثم لجمع من المسلمين فى موارد كقوله: لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ (النور ١١)، و قوله: وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (النساء ١١٢).

و فى المجمع و روى العياشى باسناده عن عبد الله بن بكير عن زراره قال: سألت ابا جعفر عليه السلام عن قوله: «لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا» قال: كان شيئا و لم يكن مذكورا.

أقول: و روى فيه ايضا عن عبد الأعلى مولى آل سام عن ابي عبد الله عليه السلام مثله.

و فيه ايضا عن العياشى باسناده عن سعيد الحذاء عن ابي جعفر عليه السلام قال: كان مذكورا فى العلم و لم يكن مذكورا فى الخلق.

أقول: يعنى انه كان له ثبوت فى علم الله ثم خلق بالفعل فصار مذكورا فيمن خلق.

و فى الكافى باسناده عن مالك الجهنى عن ابي عبد الله عليه السلام فى الآية قال: كان مقدرًا غير مذكور.

أقول: هو فى معنى الحديث السابق.

و فى تفسير القمى فى الآية قال: لم يكن فى العلم و لا فى الذكر، و فى حديث آخر: كان فى العلم و لم يكن فى الذكر.

أقول: معنى الحديث الأول انه لم يكن فى علم الناس و لا فيمن يذكرونه فيما بينهم، و معنى الثانى انه كان فى علم الله و لم يكن مذكورا عند الناس.

و فى تفسير القمى ايضا فى روايه ابي الجارود عن ابي جعفر عليه السلام فى قوله تعالى: «أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ» قال: ماء الرجل و المرأه اختلطا جميعا.

و في الكافي باسناده عن حمران بن اعين قال: سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قوله عزّ و جل:

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا قَالَ: إِمَّا أَخَذَ فَهُوَ شَاكِرٌ وَإِمَّا تَارَكَ فَهُوَ كَافِرٌ.

أقول: و رواه القمي في تفسيره باسناده عن ابن ابي عمير عن ابي جعفر عليه السلام مثله. و في التوحيد باسناده الى حمزه بن الطيار عن ابي عبد الله عليه السلام ما يقرب منه و لفظه: عرفناه إما آخذًا و إما تاركًا.

و في الدر المنثور اخرج احمد و ابن المنذر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

كل مولود يولد على الفطرة حتى يعبر عنه لسانه فإذا عبر عنه لسانه إما شاكرا و إما كفورا و الله تعالى اعلم.

و في أمالي الصدوق باسناده عن الصادق عن أبيه عليهما السلام في حديث، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عَبْدُ اللَّهِ يُفَجِّرُوهَا تَفْجِيرًا قَالَ: هِيَ عَيْنٌ فِي دَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ يَفْجُرُ إِلَى دُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُؤْمِنِينَ «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ» يَعْنِي عَلِيًّا وَ فَاطِمَةَ وَ الْحَسَنَ وَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ جَارِيَتِهِمْ «وَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا» يَقُولُ عَابِسًا كَلُوحًا «وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ» يَقُولُ: عَلَى شَهْوَتِهِمْ لِلطَّعَامِ وَ إِثَارِهِمْ لَهُ «مَسْكِينًا» مِنْ مَسَاكِينِ الْمُسْلِمِينَ «وَ يَتِيمًا» مِنْ يَتَامَى الْمُسْلِمِينَ «وَ أُسِيرًا» مِنْ أُسَارَى الْمُشْرِكِينَ.

و يقولون إذا اطعموهم إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُوجِهَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكْرًا قَالَ:

و الله ما قالوا هذا لهم و لكنهم أضمره في أنفسهم فأخبر الله باضمارهم يقولون: لا نريد جزاء تكافؤنا به و لا شكورا تثنون علينا به، و لكننا انما أطعمناكم لوجه الله و طلب ثوابه.

و في الدر المنثور اخرج سعيد بن منصور و ابن ابي شيبة و ابن المنذر و ابن مردويه عن الحسن قال: كان الاسارى مشركين يوم نزلت هذه الآية وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَ يَتِيمًا وَ أُسِيرًا.

أقول: مدلول الرواية نزول الآية بالمدينة، و نظيرها ما رواه فيه عن عبد بن حميد عن

قتاده، و ما رواه عن ابن المنذر عن ابن جريح، و ما رواه عن عبد الرزاق و ابن المنذر عن ابن عباس.

و فيه أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: يَوْمًا عَبَّوسًا قَمَطِرِيرًا قَالَ: يَقْبِضُ مَا بَيْنَ الْأَبْصَارِ.

و فِي رَوْضِهِ الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمَدَنِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ قَالَ: وَ الثَّمَارُ دَانِيَةٌ مِنْهُمْ وَ هُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ دَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَ ذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا مِنْ قَرِبِهَا مِنْهُمْ يَتَنَاوَلُ الْمُؤْمِنُ مِنَ النَّوْعِ الَّذِي يَشْتَهِيهِ مِنَ الثَّمَارِ بِفِيهِ وَ هُوَ مَتَكِّيٌّ وَ إِنْ الْأَنْوَاعُ مِنَ الْفَاكِهِه لِيَقْلَنَ لَوْلَى اللَّهِ يَا وَلِيَّ اللَّهِ كَلِمَتِي قَبْلَ أَنْ تَأْكُلَ هَذِهِ قَبْلِي.

و فِي تَفْسِيرِ الْقَمِي فِي قَوْلِهِ: «وَالِدَانٌ مُخَلَّدُونَ» قَالَ: مَسْرُونٌ.

و فِي الْمَعَانِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبَّاسِ بْنِ يَزِيدٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ كُنْتُ عِنْدَهُ ذَاتَ يَوْمٍ:

أَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ إِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا مَا هَذَا الْمَلِكُ الَّذِي كَبِرَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ حَتَّى سَمَاهُ كَبِيرًا؟ قَالَ: إِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ أَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى وَلِيِّهِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ فَيَجِدُ الْحِجْبَةَ عَلَى بَابِهِ فَيَقُولُ لَهُ: قِفْ حَتَّى نَسْتَأْذِنَ لَكَ، فَمَا يَصِلُ إِلَيْهِ رَسُولُ رَبِّهِ إِلَّا يَأْذِنُ فَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ إِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا.

و فِي الْمَجْمَعِ «وَ إِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا» لَا يَزُولُ وَ لَا يَفْنَى عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

و فِيهِ «عَالِيَهُمْ بَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ» وَ رَوَى عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَعْنَاهُ: تَعْلُوهُمْ الثِّيَابُ فَيَلْبَسُونَهَا (١).

### [سورة الإنسان (٧٦): الآيات ٢٣ إلى ٣١]

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَ اذْكُرْ إِسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أُصِيلًا (٢٥) وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ يَذُرُّونَ وِرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَ مَا تَشَاوَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)

ص: ٥٤٠

قوله تعالى: <sup>□</sup>إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا تصدير الكلام بيان و تكرار ضمير المتكلم مع الغير و الاتيان بالمفعول المطلق كل ذلك للتأكيد، و لتسجيل أن الذى نزل من القرآن نجوما متفرقه هو من الله سبحانه لم يداخله نفث شيطانى و لا هو نفسانى.

قوله تعالى: <sup>□</sup>فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا تفریع على ما هو لازم مضمون الآیه السابقه فإن لازم كون الله سبحانه هو الذى نزل القرآن عليه أن يكون ما فى القرآن من الحكم حكم ربه يجب أن يطاع فالمعنى إذا كان تنزيله منا فما فيه من الحكم حكم ربك فيجب عليك أن تصبر له فاصبر لحكم ربك.

و قوله: <sup>□</sup>وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ورود التردد فى سياق النهى يفيد عموم

الحكم فالنهي عن طاعتها سواء اجتماعاً أو افتراقاً، والظاهر أن المراد بالإثم المتلبس بالمعصية وبالکفور المبالغ في الكفر فتشمل الآيه الكفار والفساق جميعاً.

و سبق النهي عن طاعة الإثم و الكفور بالأمر بالصبر لحكم ربه يفيد كون النهي مفسراً للأمر فمفاد النهي أن لا تطع منهم آثماً إذا دعاك الى إثمه و لا- کفوراً إذا دعاك الى كفره لأن إثم الآثم منهم و كفر الکافر مخالفان لحكم ربك و أما تعليق الحكم بالوصف المشعر بالعليه فإنما يفيد عليه الإثم و الكفر للنهي عن الطاعة مطلقاً لا عليتهما للنهي إذا دعا الآثم الى خصوص إثمه و الکافر الى خصوص كفره.

قوله تعالى: وَ اذْکُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ اَصِيلاً اى داوم على ذکر ربك و هو الصلاه فى كل بکره و اصيل و هما الغدو و العشى.

قوله تعالى: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً «مِنْ» للتبويض و المراد بالسجود له الصلاه، و يقبل ما فى الآيتين من ذکر اسمه بکره و اصيلاً و السجود له بعض الليل الانطباق على صلاه الصبح و العصر و المغرب و العشاء و هذا يؤيد نزول الآيات بمكته قبل فرض الفرائض الخمس بقوله فى آيه الإسراء: اَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ اِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ (الإسراء ٧٨).

فالآيتان كقوله تعالى: وَ اَقِمِ الصَّلَاةَ طَرْفَى النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ (هود ١١٤)، و قوله: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهَا وَ مِنْ اَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ اطْرَافِ النَّهَارِ (طه ١٣٠).

نعم قيل: على ان الأصيل يطلق على ما بعد الزوال فيشمل قوله: «وَ اَصِيلاً» و قى صلاتى الظهر و العصر جميعاً، و لا يخلو من وجه.

و قوله: وَ سَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً اى فى ليل طويل و وصف الليل بالطويل توضيحي لا احترازي، و المراد بالتسبيح صلاه الليل، و احتمال أن يكون طويلاً صفة لمفعول مطلق

محذوف، و التقدير سبحانه في الليل تسبيحا طويلا.

قوله تعالى: إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا تعليل لما تقدم من الأمر والنهي والإشارة بهؤلاء الى جمع الإثم والكفور المدلول عليه بوقوع النكره في سياق النهي، والمراد بالعاجله الحياه الدنيا، وعدّ اليوم ثقيلًا من الاستعاره، والمراد بثقله شدته كأنه محمول ثقيل يشق حمله، و اليوم يوم القيامة.

و كون اليوم وراءهم تقررره أمامهم لأن وراء تفيد معنى الإحاطه، أو جعلهم إياه خلفهم و وراء ظهورهم بناء على إفاده «يَذُرُونَ» معنى الإعراض.

و المعنى: فاصبر لحكم ربك و أقم الصلاه و لا تطع الآثمين و الكفار منهم لأن هؤلاء الآثمين و الكفار يحبون الحياه الدنيا فلا يعملون إلا لها و يتركون أمامهم يوما شديدا أو يعرضون فيجعلون خلفهم يوما شديدا سيلقونه.

قوله تعالى: نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا الشد خلاف الفك، و الأسر في الأصل الشد و الربط و يطلق على ما يشد و يربط به فمعنى شددنا أسرهم أحكمتنا ربط مفاصلهم بالرباطات و الأعصاب و العضلات أو الأسر بمعنى المأسور و المعنى أحكمتنا ربط أعضائهم المختلفه المشدوده بعضها ببعض حتى صار الواحد منهم بذلك إنسانا واحدا.

و قوله: وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا أى إذا شئنا بدلناهم أمثالهم فذهبنا بهم و جئنا بأمثالهم مكانهم و هو إماتة قرن و إحياء آخرين، و قيل المراد به تبديل نشأتهم الدنيا من نشأه القيامة و هو بعيد من السياق.

و الآيه فى معنى دفع الدخل كأن متوهما يتوهم أنهم بحبهم للدنيا و إعراضهم عن الآخره يعجزونه تعالى و يفسدون عليه إرادته منهم أن يؤمنوا و يطيعوا فاجيب بأنهم مخلوقون لله خلقهم و شد أسرهم و إذا شاء أذهبهم و جاء بآخرين فكيف يعجزونه و خلقهم و أمرهم

قوله تعالى: إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرُهُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَيَّ رَبِّهِ سَبِيلًا تقدم تفسيره في سورة المزمل و الإشارة بهذه الى ما ذكر في السوره.

قوله تعالى: وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا الاستثناء من النفي يفيد أن مشيه العبد متوقفه في وجودها على مشيته تعالى فلمشيته تعالى تأثير في فعل العبد من طريق تعلقها بمشيه العبد، و ليست متعلقه بفعل العبد مستقلا و بلا واسطه حتى تستلزم بطلان تأثير إرادته العبد و كون الفعل جبريا و لا- أن العبد مستقل في إرادته يفعل ما يشاؤه شاء الله أو لم يشأ، فالفعل اختياري لاستناده الى اختيار العبد، و أما اختيار العبد فليس مستندا الى اختيار آخر، و قد تكرر توضيح هذا البحث في مواضع مما تقدم.

و الآيه مسوقه لدفع توهم أنهم مستقلون في مشيتهم منقطعون من مشيه ربهم، و لعل تسجيل هذا التنبيه عليهم هو الوجه في الالتفات الى الخطاب في قوله: «وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» كما أن الوجه في الالتفات من التكلم بالغير الى الغيبه في قوله: «يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ» هو الإشارة الى عله الحكم فإن مسمى الاسم الجليل يتدئ منه كل شيء و ينتهى اليه كل شيء فلا تكون مشيه إلا بمشيته و لا تؤثر مشيه إلا بإذنه.

و قوله: إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا توطئه لبيان مضمون الآيه التاليه.

قوله تعالى: يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا مفعول «يَشَاءُ» محذوف يدل عليه الكلام، و التقدير يدخل في رحمته من يشاء دخوله في رحمته، و لا- يشاء إلا- دخول من آمن و اتقى، و أما غيرهم و هم أهل الإثم و الكفر فيبين حالهم بقوله: «وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» .

و الآيه تبين سنته تعالى الجاربه في عباده من حيث السعاده و الشقاء، و قد علل ذلك بما في

ذيل الآيه السابقه من قوله: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» فأفاد به أن سنته تعالى ليست سنه جزافيه مبنيه على الجهاله بل هو يعامل  
كلا من الطائفتين بما هو أهل له و سينبئهم حقيقه ما كانوا يعملون.

ص: ٥٤٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصِيفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٤)  
فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ  
نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتِلَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَضِيلِ (١٣) وَمِمَّا أَدْرَكَهُ يَوْمَ الْفَضِيلِ (١٤) وَيَوْمِ الْيَوْمِ  
لِلْمُكْذِبِينَ (١٥)

تذكر السوره يوم الفصل و هو يوم القيامه و تؤكد الإخبار بوقوعه و تشفعه بالوعيد الشديد للمكذبين به و الإنذار و التبشير لغيرهم و يربو فيها جانب الوعيد على غيره فقد كرر فيها قوله: «وَيَلُومُنَّ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ» عشر مرات.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا الْآيَه و ما يتلوها الى تمام آيات إقسام منه تعالى بامور يعبر عنها بالمرسلات فالعاصفات و الناشرات فالفارقات فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا، و الاوليان أعنى المرسلات عرفا و العاصفات عصفا لا تخلوان لو خلتا و نفسيهما مع الغض عن السياق من ظهور ما فى الرياح المتعاقبه الشديده الهبوب لكن الأخيره أعنى الملقيات ذكرا عذرا أو نذرا كالصريحه فى الملائكه النازلين على الرسل الحاملين لوحى الرساله الملقيه له اليهم إتماما للحجه أو إنذارا و بقيه الصفات لا تأبى الحمل على ما يناسب هذا المعنى.

و حمل جميع الصفات الخمس على إرادته الرياح كما هو ظاهر المرسلات و العاصفات-على ما عرفت-يحتاج الى تكلف شديد فى توجيه الصفات الثلاث الباقيه و خاصه فى الصفه الأخيره.

و كذا حمل المرسلات و العاصفات على إرادته الرياح و حمل الثلاث الباقيات أو الأخيرتين أو الأخيره فحسب على ملائكه الوحي إذ لا- تناسب ظاهرا بين الرياح و بين ملائكه الوحي حتى يقارن بينها في الأقسام و ينظم الجميع في سلك واحد، و ما وجهه من مختلف التوجيهات معان بعيده عن الذهن لا ينتقل إليها في مفتتح الكلام من غير تنبيه سابق.

فالوجه هو الغض عن هذه الأفاويل و هي كثيره جدا لا تكاد تنضب، و حمل المذكورات على إرادته ملائكه الوحي كنظيرتها في مفتتح سورة الصافات و الصافات صِفًا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا و في معناها قوله تعالى: **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيُعَلِّمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ (الجن ٢٨).**

فقوله: **وَ الْمُرْسَلَاتِ عُزْفًا** إقسام منه تعالى بها و العرف بالضم فالسكون الشعر النابت على عنق الفرس و يشبه به الامور إذا تتابعت يقال: جاءوا كعرف الفرس، و يستعار فيقال: جاء القطا عرفا أى متتابعه و جاءوا اليه عرفا واحدا أى متتابعين، و العرف أيضا المعروف من الأمر و النهى و «عُرْفًا» حال بالمعنى الأول مفعول له بالمعنى الثانى، و الارسال خلاف الإمساك، و تأنيث المرسلات باعتبار الجماعات أو باعتبار الروح التي تنزل بها الملائكه قال تعالى: **يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (النحل ٢)** و قال: **يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (المؤمن ١٥).**

و المعنى أقسم بالجماعات المرسلات من ملائكه الوحي.

و قيل: المراد بالمرسلات عرفا الرياح المتتابعه المرسله و قد تقدمت الإشارة الى ضعفه، و مثله فى الضعف القول بأن المراد بها الأنبياء عليهم السلام فلا يلائمه ما يتلوها.

قوله تعالى: **فَالْعَاصِفَاتِ عَصِيفًا عَظِيفًا عَظْفًا** على المرسلات و المراد بالعصف سرعه السير استعاره من عصف الرياح أى سرعه هبوبها إشارة الى سرعه سيرها الى ما ارسلت

اليه، والمعنى أقسم بالملائكة الذين يرسلون متتابعين فيسرعون في سيرهم كالرياح العاصفه.

قوله تعالى: وَ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا إِقْسَامٍ آخَرَ، ونشر الصحيفة و الكتاب و التوب و نحوها: بسطه، و المراد بالنشر نشر صحف الوحي كما يشير اليه قوله تعالى: كَلَّا- إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرَامٍ بَرَرَةٍ (عبس ١٦) والمعنى و أقسم بالملائكة الناشرين للصحف المكتوبه عليها الوحي للنبي ليتلقاه.

و قيل: المراد بها الرياح ينشرها الله تعالى بين يدي رحمته و قيل: الرياح الناشره للسحاب، و قيل: الملائكة الناشرين لصحائف الأعمال، و قيل: الملائكة نشروا أجنحتهم حين النزول و قيل: غير ذلك.

قوله تعالى: فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا الْمَرَادُ بِهِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ وَ بَيْنَ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ، و الفرق المذكور صفه متفرعه على النشر المذكور.

قوله تعالى: فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا الْمَرَادُ بِالذِّكْرِ الْقُرْآنَ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَوْ مَطْلُقَ الْوَحْيِ النَّازِلِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الْمَقْرُورِ عَلَيْهِمْ.

و الصفات الثلاثه أعنى النشر و الفرق و إلقاء الذكر مترتبه فإن الفرق بين الحق و الباطل و الحلال و الحرام يتحقق بنشر الصحف و إلقاء الذكر فبالنشر يشرع الفرق فى التحقيق و بالتلاوه يتم تحققه فالنشر يترتب عليه مرتبه من وجود الفرق و يترتب عليها تمام وجوده بالإلقاء.

و قوله: عُذْرًا أَوْ نُذْرًا هُما من المفعول له و «أَوْ» للتنويع قيل: هما مصدران بمعنى الإعذار و الإنذار، و الإعذار الإتيان بما يصير به معذورا و المعنى أنهم يلقون الذكر لتكون عذرا لعباده المؤمنين بالذكر و تخويفا لغيرهم.

وقيل: ليكون عذرا يعتذر به الله الى عباده في العقاب أنه لم يكن إلا- على وجه الحكمة، و يثول الى إتمام الحجته، فمحصل المعنى عليه أنهم يلقون الذكر ليكون إتماما للحجته على المكذبين و تخويفا لغيرهم، وهو معنى حسن.

قوله تعالى: **إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ** جواب القسم، و ما موصوله و الخطاب لعامه البشر، و المراد بما توعدون يوم القيامة بما فيه العقاب و الثواب و الواقع أبلغ من الكائن لما فيه من شائبه الاستقرار، و المعنى أن الذى وعدكم الله به من البعث و العقاب و الثواب سيتحقق لا محاله (١).

قوله تعالى: **فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ** -الى قوله- **أُفَّتْ** بيان لليوم الموعود الذى اخبر بوقوعه فى قوله: **إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ** و جواب إذا محذوف يدل عليه قوله: **«لَأَيُّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ** -الى قوله- **لِلْمُكْذِبِينَ»** .

و قد عرف سبحانه اليوم الموعود بذكر حوادث واقعه تلازم انقراض العالم الانسانى و انقطاع النظام الدنيوى كانطماس النجوم و انشقاق الأرض و اندكاك الجبال و تحول النظام الى نظام آخر يغايره، و قد تكرر ذلك فى كثير من السور القرآنيه و خاصه السور القصار كسوره النبأ و النازعات و التكوير و الانفطار و الانشقاق و الفجر و الزلزال و القارعه، و غيرها، و قد عدت الامور المذكوره فيها فى الأخبار من أشرط الساعه.

و من المعلوم بالضروره من بيانات الكتاب و السنه أن نظام الحياه فى جميع شئونها فى الآخره غير نظامها فى الدنيا فالدار الآخره دار أبدية فيها محض السعاده لساكنيها لهم فيها ما يشاءون أو محض الشقاء و ليس لهم فيها إلا ما يكرهون و الدار الدنيا دار فناء و زوال لا يحكم فيها إلا الأسباب و العوامل الخارجيه الظاهريه مخلوط فيها الموت بالحياه، و فقدان

ص : ٥٥٠

(١-١). المرسلات ١-١٥: كلام فى اقسامه تعالى فى القرآن.

بالوجدان، والشقاء بالسعادة، والتعب بالراحة، والمساءه بالسرور، والآخره دار جزاء و لا- عمل و الدنيا دار عمل و لا جزاء، و بالجمله النشأه غير النشأه.

فتعريفه تعالى نشأه البعث و الجزاء بأشراطها التي فيها انطواء بساط الدنيا بخراب بنیان أرضها و انتساف جبالها و انشقاق سمائها و انطماس نجومها الى غير ذلك من قبيل تحديد نشأه بسقوط النظام الحاكم فى نشأه أخرى قال تعالى: **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ** **فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ** (الواقعه ٦٢).

فقوله: **فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ** أى محى أثرها من النور و غيره، و الطمس إزاله الأثر بالمحو قال تعالى: **وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ** (التكوير ٢).

و قوله: **وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ** أى انشقت، و الفرج و الفرجه الشق بين الشيين قال تعالى: **إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ** (الانشقاق ١).

و قوله: **وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ** أى قلعت و ازيلت من قولهم: نسفت الريح الشىء أى اقتلعته و أزالته قال تعالى: **وَ يَسِيْرُ لَوْلَاكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا** (طه ١٠٥).

و قوله: **وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِتَتْ** أى عين لها الوقت الذى تحضر فيه للشهاده على الامم أو بلغت الوقت الذى تنتظره لأداء شهادتها على الامم من التأقيت بمعنى التوقيت، قال تعالى:

**فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ** (الأعراف ١٦)، و قال: **يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ** (المائد ١٠٩).

قوله تعالى: **لَأَيُّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ** -الى قوله- **لِلْمُكذِّبِينَ** الأجل المده المضروبه للشىء، و التأجيل جعل الأجل للشىء، و يستعمل فى لازمه و هو التأخير كقولهم: دين مؤجل أى له مده بخلاف الحال و هذا المعنى هو الأنسب للآيه، و الضمير فى «**أُجِّلَتْ**» للامور المذكوره قبلا من طمس النجوم و فرج السماء و نسف الجبال و تأقيت الرسل، و المعنى لأى يوم اخرت يوم اخرت هذه الامور.

و احتمال أن يكون «أَجَلَتْ» بمعنى ضرب الأجل للشئ و أن يكون الضمير المقدر فيه راجعا الى الرسل، أو الى ما يشعر به الكلام من الامور المتعلقة بالرسل مما أخبروه به من أحوال الآخرة و أهوالها و تعذيب الكافرين و تنعيم المؤمنين فيها، و لا يخلو كل ذلك من خفاء.

و قد سيقت الآيه و التي بعدها أعنى قوله: «لِأَيِّ يَوْمٍ أُجَلَّتْ لِيَوْمِ الْفُضْلِ» فى صورته الاستفهام و جوابه للتعظيم و التهويل و التعجيب و أصل المعنى أخرت هذه الامور ليوم الفصل.

و هذا النوع من الجمل الاستفهاميه فى معنى تقدير القول، و المعنى إن من عظمه هذا اليوم و هوله و كونه عجبا أنه يسأل فيقال: لأى يوم أخرت هذه الامور العظيمة الهائلة العجيبه فيجاب: ليوم الفصل.

و قوله: لِيَوْمِ الْفُضْلِ هو يوم الجزاء الذى فيه فصل القضاء قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الحج ١٧).

و قوله: وَ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفُضْلِ تعظيم لليوم و تفخيم لأمره.

و قوله: وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الويل الهلاك، و المراد بالمكذبين المكذبون بيوم الفصل الذى فيه ما يوعدون فإن الآيات مسوقه لبيان وقوعه و قد أقسم على أنه واقع.

و فى الآيه دعاء على المكذبين، و قد استغنى به عن ذكر جواب إذا فى قوله: «فَإِذَا التُّجُومُ طُمِسَتْ» الخ؛ و التقدير فإذا كان كذا و كذا وقع ما توعدون من العذاب على التكذيب أو التقدير فإذا كان كذا و كذا كان يوم الفصل و هلك المكذبون به.

### [سوره المرسلات (٧٧): الآيات ١٦ الى ٥٠]

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُنْبِئُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَ أَمْوَاتًا (٢٦) وَ جَعَلْنَا فِيهَا رِوَادٍ وَ شَجَرَاتٍ وَ أَنْهَارًا (٢٧) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظُلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَ لَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفُضْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا (٣٩) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَ عُيُونٍ (٤١) وَ قَوَائِمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبَأَى حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)





بيان:

قوله تعالى: أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ الاستفهام للإنكار، والمراد بالأولين أمثال قوم نوح و عاد و ثمود من الأمم القديمة عهداً، والآخريين الملحقون بهم من الأمم الغابرة، والاتباع جعل الشيء إثر الشيء.

وقوله: ثُمَّ نُنَبِّئُهُمْ برفع نتبع على الاستيناف و ليس بمعطوف على «نُهْلِكُ» و إلا

ص: ٥٥٤

و المعنى قد أهلكنا المكذبين من الامم الأولين ثم إنا نهلك الامم الآخرين على إثرهم.

و قوله: كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ فى موضع التعليل لما تقدمه و لذا أورد بالفصل من غير عطف كأن قائلا- قال: لما اهلكوا؟ فقليل: كذلك نفعل بالمجرمين. و الآيات- كما ترى- إنذار و إرجاع للبيان الى الأصل المضروب فى السوره أعنى قوله: «وَيُؤَيِّلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكذِّبِينَ» و هى بعينها حجه على توحد الربوبيه فإن إهلاك المجرمين من الانسان تصرف فى العالم الانسانى و تدبير، و إذا ليس المهلك إلا الله- و قد اعترف به المشركون- فهو الرب لا رب سواه و لا إله غيره.

على أنها تدل على وجود يوم الفصل لأن إهلاك قوم لإجرامهم لا يتم إلا بعد توجه تكليف اليهم يعصونه و لا معنى للتكليف إلا مع مجازاه المطيع بالثواب و العاصى بالعقاب فهناك يوم يفصل فيه القضاء فيثاب فيه المطيع و يعاقب فيه العاصى و ليس هو الثواب و العقاب الدينويين لأنهما لا يستوعبان فى هذه الدار فهناك يوم يجازى فيه كل بما عمل، و هو يوم الفصل ذلك يوم مجموع له الناس.

قوله تعالى: أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ -الى قوله- فَنَعَمَ الْقَادِرُونَ الاستفهام للإنكار، و الماء المهين الحقيقير قليل الغناء و المراد به النطفه، و المراد بالقرار المكين الرحم و بقوله: «قَدَرٍ مَّعْلُومٍ» مده الحمل.

و قوله: فَقَدَرْنَا من القدر بمعنى التقدير، و الفاء لتفريع القدر على الخلق أى خلقناكم فقدرونا ما سيجرى عليكم من الحوادث و ما يستقبلكم من الأوصاف و الأحوال من طول العمر و قصره و هيئه و جمال و صحه و مرض و رزق الى غير ذلك.

و المعنى: قد خلقناكم من ماء حقير هو النطفه فجعنا ذلك الماء فى قرار مكين هى الرحم الى مده معلومه هى مده الحمل فقدرونا جميع ما يتعلق بوجودكم من الحوادث و الصفات

و الأحوال فنعم المقدرون نحن.

و يجرى فى كون مضمون هذه الآيات حجه على توحيد الربوبية نظير البيان السابق فى الآيات المتقدمه، و كذا فى كونه حجه على تحقق يوم الفصل فإن الربوبية تستوجب خضوع المربوبين لساحتها و هو الدين المتضمن للتكليف، و لا يتم التكليف إلا بجعل جزاء على الطاعه و العصيان، و اليوم الذى يجازى فيه بالأعمال هو يوم الفصل.

قوله تعالى: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَ أَمْواتًا -الى قوله- فَرَاتًا الْكَفْتِ وَ الْكَفَاتِ بِمعنى الضم و الجمع أى أ لم نجعل الارض كفاتا بجمع العباد أحياء و أمواتا، و قيل: الكفات جمع كفت بمعنى الوعاء، و المعنى أ لم نجعل الأرض أوعيه تجمع الأحياء و الأموات.

و قوله: وَ جَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ شَامِخَاتِ الرِّوَاسِي الثابتات من الجبال، و الشامخات العاليات، و كأن فى ذكر الرواسى توطئه لقوله: «وَ أَشَقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا» لأن الأنهار و العيون الطبيعیه تنفجر من الجبال فتجرى على السهول، و الفرات الماء العذب.

و يجرى فى حجه الآيات نظير البيان السابق فى الآيات المتقدمه.

قوله تعالى: انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ حكاية لما يقال لهم يوم الفصل و القائل هو الله سبحانه بقريته قوله فى آخر الآيات: «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا» و المراد بما كانوا به يكذبون: جهنم، و الانطلاق الانتقال من مكان الى مكان من غير مكث، و المعنى يقال لهم: انتقلوا من المحشر من غير مكث الى النار التى كنتم تكذبون به.

قوله تعالى: انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ذكروا أن المراد بهذا الظل ظل دخان نار جهنم قال تعالى: وَ ظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ (الواقعه ٤٣).

و ذكروا أن فى ذكر انشعابه الى ثلاث شعب إشاره الى عظم الدخان فان الدخان العظيم يتفرق تفرق الذوائب.

قوله تعالى: لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ الظل الظليل هو المانع من الحر و الأذى بستره على المستظل فكون الظل غير ظليل كونه لا يمنع ذلك، واللهب ما يعلو على النار من أحمر و أصفر و أخضر.

قوله تعالى: إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ضَمِير «إِنَّهَا» للنار المعلومه من السياق، و الشرر ما يتطاير من النار، و القصر معروف، و الجماله جمع جمل و هو البعير. و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ الإشاره الى يوم الفصل، و المراد بالإذن الإذن فى النطق أو فى الاعتذار.

و قوله: فَيَعْتَذِرُونَ معطوف على «يُؤْذَنُ» منتظم معه فى سلك النفى، و المعنى هذا اليوم يوم لا- ينطقون فيه أى أهل المحشر من الناس. لا- يؤذن لهم فى النطق أو فى الاعتذار فلا- يعتذرون، و لا ينافى نفى النطق هاهنا اثباته فى آيات أخر لأن اليوم ذو مواقف كثيره مختلفه يسألون فى بعضها فينطقون و يختم على أفواههم فى آخر فلا ينطقون.

و قد تقدم فى تفسير قوله تعالى: يَوْمٌ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ (هود ١٠٥) فليراجع.

قوله تعالى: هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَ الْأُولِينَ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا سَمِيَ يوم الفصل لما أن الله تعالى يفصل و يميز فيه بين أهل الحق و أهل الباطل بالقضاء بينهم قال تعالى: إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (السجده ٢٥)، و قال: إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (يونس ٩٣).

و الخطاب فى قوله: «جَمَعْنَاكُمْ وَ الْأُولِينَ» لمكذّبي هذه الامه بما أنهم من الآخرون و لذا قوبلوا بالأولين قال تعالى: ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ (هود ١٠٣) و قال: وَ حَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (الكهف ٦٧).

وقوله: فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا أَي ان كانت لكم حيله تحتالون بي في دفع عذابي عن أنفسكم فاحتالوا، وهذا خطاب تعجيزي منبئ عن انسلاب القوه و القدره عنهم يومئذ بالكليه بظهور أن لا قوه الا لله عز اسمه قال تعالى: وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (البقره ١٦٦).

و الآيه أعنى قوله: «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا» أوسع مدلولاً من قوله: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (الرحمن ٣٣) لا اختصاصه بنفى القدره على الفرار بخلاف الآيه التي نحن فيها.

و في قوله: فَكِيدُوا التفتات من التكلم مع الغير الى التكلم وحده و النكته فيه أن متعلق هذا الأمر التعجيزي إنما هو الكيد لمن له القوه و القدره فحسب و هو الله وحده و لو قيل:

فكيدونا فات الإشعار بالتوحد.

قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَ عُيُونٍ وَ فَوَاكِهٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ -الى قوله- الْمُحْسِنِينَ الظلال و العيون ظلال الجنه و عيونها التي يتنعمون بالاستظلال بها و شربها، و الفواكه جمع فاكهه و هي الثمره.

و قوله: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مفاده الإذن و الإباحه، و كأن الأكل و الشرب كناية عن مطلق التنعم بنعم الجنه و التصرف فيها و إن لم يكن بالأكل و الشرب، و هو شائع كما يطلق أكل المال على مطلق التصرف فيه.

و قوله: إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ تسجيل لسعادتهم.

قوله تعالى: كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ الخطاب من قبيل قولهم: افعل ما شئت فانه لا ينفعك، و هذا النوع من الأمر إياس للمخاطب أن ينتفع بما يأتي به من الفعل للحصول على ما يريد، و منه قوله: فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

(طه ٧٢)، و قوله: **إِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (حم السجده ٦٠).

فقوله: **كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلًا** أى تمتعوا قليلا او زمانا قليلا إياس لهم من أن ينتفعوا بمثل الأكل و التمتع فى دفع العذاب عن أنفسهم قليلا كلوا و ليتمتعوا قليلا فليس يدفع عنهم شيئا.

و إنما ذكر الأكل و التمتع لأن منكرى المعاد لا يرون من السعاده إلا سعاده الحياه الدنيا و لا يرون لها من السعاده إلا الفوز بالأكل و التمتع كالحیوان العجم قال تعالى: **وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَ الذَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** (سوره محمد ١٢).

و قوله: **إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ** تعليل لما يستفاد من الجملة السابقه المشتمله على الأمر أى لا- ينفعكم الأكل و التمتع قليلا لأنكم مجرمون بتكذيبكم بيوم الفصل و جزاء المكذبين به النار لا محاله.

قوله تعالى: **وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَزُكَّعُونَ** المراد بالركوع الصلاة كما قيل و لعل ذلك باعتبار اشتغالها على الركوع.

و قيل: المراد بالركوع المأمور به الخشوع و الخضوع و التواضع له تعالى باستجابته دعوته و قبول كلامه و اتباع دينه، و عبادته.

و وجه اتصال الآيه بما قبلها أن الكلام كان مسوقا لتهديد المكذبين بيوم الفصل و بيان تبعه تكذيبهم به و تمم ذلك فى هذه الآيه بأنهم لا يعبدون الله إذا دعوا الى عبادته كما ينكرون ذلك اليوم فلا معنى للعباده مع نفي الجزاء، و ليكون كالتوطئه لقوله الآتى: **فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ** .

و نسب الى الزمخشري أن الآيه متصله بقوله فى الآيه السابقه: **لِلْمُكذِّبِينَ** كأنه قيل:

ويل يومئذ للذين كذبوا و الذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون.

و فى الآيه التفات من الخطاب الى الغيبه فى قوله: **وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ** الخ؛ وجهه الإعراض عن

مخاطبتهم بعد تركهم و أنفسهم يفعلون ما يشاءون بقوله: «كُلُوا وَ تَمَتُّعُوا» .

قوله تعالى: فَأَيُّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ أَي إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِالْقُرْآنِ وَ هُوَ آيَهُ مَعْجِزَهُ إِلَهِيهِ، وَ قَدْ بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ الْفَصْلِ بِأَوْضَحِ الْبَيَانِ وَ سَاطِعِ الْبُرْهَانِ فَبَأَي كَلَامٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ يُؤْمِنُونَ.

وَ هَذَا إِيْثَاسٌ مِنْ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ كَالْتَنْبِيهِ عَلَى أَنْ رَفَعَ الْيَدَ عَنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِإِلْقَاءِ قَوْلِهِ: «كُلُوا وَ تَمَتُّعُوا» إِلَيْهِمْ فِي مَحَلِّهِ فَلَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ وَ لَا فَائِدَةَ فِي دَعْوَتِهِمْ غَيْرَ أَنْ فِيهَا إِتْمَامًا لِلْحُجَّةِ.

ص: ٥٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَسْأَلُونَكَ عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ (١) عَنِ النَّبِئِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا  
سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ  
لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً  
ثَجَاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)



قوله تعالى: عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ «عَمَّ» أصله عَمَّا و ما استفهاميه تحذف الألف منها أطرادا إذا دخل عليها حرف الجر نحو لم و مم و على م و الى م، و التساؤل سؤال القوم بعضهم بعضا عن أمر أو سؤال بعضهم بعد بعض عن أمر و إن كان المسئول غيرهم، فهم كان يسأل بعضهم بعضا عن أمر أو كان بعضهم بعد بعض يسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عن أمر و حيث كان سياق السوره سياق جواب يغلب فيه الإنذار و الوعيد تأيد به أن المتسائلين هم كفار مكة من المشركين النافين للنبوه و المعاد دون المؤمنين و دون الكفار و المؤمنين جميعا.

فالتساؤل من المشركين و الإخبار عنه فى صوره الاستفهام للإشعار بهوانه و حقارته لظهور الجواب عنه ظهورا ما كان ينبغى معه أن يتساءلوا عنه.

قوله تعالى: عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ جواب عن الاستفهام السابق أى يتساءلون عن النبأ العظيم، و لا يخفى ما فى توصيف النبأ المتسائل عنه بالعظيم من تعظيمه و تفخيم أمره.

و المراد بالنبأ العظيم نبأ البعث و القيامة الذى يهتم به القرآن العظيم فى سوره المكيه و لا سيما فى العتائق النازله فى أوائل البعثه كل الاهتمام.

و يؤيد ذلك سياق آيات السوره بما فيه من الاقتصار على ذكر صفه يوم الفصل و ما تقدم عليها من الحججه على أنه حق واقع.

و قوله: الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ إنما اختلفوا في نحو إنكاره و هم متفقون في نفيه فمنهم من كان يرى استحالته فينكره كما هو ظاهر قولهم على ما حكاه الله: هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُبْسِكُمْ إِذَا مَنَّتُمْ كَلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (سبأ/٧)، و منهم من كان يستعبده فينكره و هو قولهم: أَيْعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَابًا وَ عِظَامًا أَنْتُمْ مُحْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (المؤمنون/٣٦)، و منهم من كان يشك فيه فينكره قال تعالى: بَلِ إِذْ أَرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا (النمل/٦٦)، و منهم من كان يوقن به لكنه لا يؤمن عنادا فينكره كما كان لا يؤمن بالتوحيد و النبوه و سائر فروع الدين بعد تمام الحججه عنادا قال تعالى: بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ (الملك/٢١).

و المحصل من سياق الآيات الثلاث و ما يتلوها أنهم لما سمعوا ما ينذرهم به القرآن من أمر البعث و الجزاء يوم الفصل نقل عليهم ذلك فغدوا يسأل بعضهم بعضا عن شأن هذا النيا العجيب الذي لم يكن مما قرع أسماعهم حتى اليوم، و ربما راجعوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَأَلُوهُمْ عَنْ صِفَةِ الْيَوْمِ وَ أَنَّهُ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَ رَبَّمَا كَانُوا يَرِاجِعُونَ فِي بَعْضِ مَا قَرَعُوا مِنْ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ وَ احْتَوَتْهُ دَعْوَتُهُ الْجَدِيدَةُ أَهْلَ الْكِتَابِ وَ خَاصَّةً الْيَهُودَ وَ يَسْتَمِدُّونَهُمْ فِي فَهْمِهِ.

و قد أشار تعالى في هذه السوره الى قصه تساؤلهم في صوره السؤال و الجواب فقال: «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ» و هو سؤال عما يتساءلون عنه. ثم قال: «عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» و هو جواب السؤال عما يتساءلون عنه. ثم قال: «كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» الخ؛ و هو جواب عن تساؤلهم.

قوله تعالى: كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ردع عن تساؤلهم عنه بانين ذلك



و لا يؤمن به مع العلم به عنادا آخرون، فالיום ضرورى الوقوع و الجزء لا ريب فيه.

و كيف كان فقوله: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا» الاستفهام للإنكار، و المهاد الوطاء و القرار الذى يتصرف فيه، و يطلق على البساط الذى يجلس عليه و المعنى قد جعلنا الأرض قرارا لكم تستقرون عليها و تتصرفون فيها.

قوله تعالى: وَ الْجِبَالَ أَوْتَادًا الْأوتاد جمع وتد و هو المسمار إلا أنه أغلظ منه كما فى المجمع، و لعل عدّ الجبال أوتادا مبنى على أن عمده جبال الأرض من عمل البركانات بشق الأرض فتخرج منه مواد أرضيه مذابه تنتصب على فم الشقه متراكمه كهيئه الوتد المنصوب على الأرض تسكن به فوره البركان الذى تحته فيرتفع به ما فى الأرض من الاضطراب و الميدان.

و عن بعضهم: أن المراد بجعل الجبال أوتادا انتظام معاش أهل الأرض بما أودع فيها من المنافع و لولاها لمادت الأرض بهم أى لما تهيأت لانتفاعهم. و فيه أنه صرف اللفظ عن ظاهره من غير ضروره موجه.

قوله تعالى: وَ خَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا أَي زوجا زوجا من ذكر و أنثى لتجرى بينكم سنّه التناسل فيدوم بقاء النوع الى ما شاء الله.

قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا السبات الراحة و الدعه فإن فى المنام سكوتا و راحه للقوى الحيوانيه البدنيه مما اعترأها فى اليقظه من التعب و الكلال بواسطه تصرفات النفس فيها.

و قيل: السبات بمعنى القطع و فى النوم قطع التصرفات النفسانيه فى البدن، و هو قريب من سابقه.

و قيل: المراد بالسبات الموت، و قد عد سبحانه النوم من الموت حيث قال: وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ (الأنعام ٦٠) و هو بعيد، و أما الآيه فإنه تعالى عدّ النوم توفيا و لم يعده موتا

بل القرآن يصرح بخلافه قال تعالى: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا (الزمر ٤٢).

قوله تعالى: وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا أَى ساترا يستر الأشياء بما فيه من الظلمه الساتره للمبصرات كما يستر اللباس البدن و هذا سبب إلهى يدعو الى ترك الثقلب و الحركه و الميل الى السكن و الدعه و الرجوع الى الأهل و المنزل.

و عن بعضهم: أن المراد بكون الليل لباسا كونه كاللباس للنهار يسهل إخراجه منه و هو كما ترى.

قوله تعالى: وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا العيش هو الحياه-على ما ذكره الراغب-غير أن العيش يختص بحياه الحيوان فلا يقال: عيشه تعالى و عيش الملائكه و يقال حياته تعالى و حياه الملائكه، و المعاش مصدر ميمى و اسم زمان و اسم مكان، و هو فى الآيه بأحد المعنيين الأخيرين، و المعنى و جعلنا النهار زمانا لحياتكم أو موضعا لحياتكم تبتغون فيه من فضل ربكم، و قيل: المراد به المعنى المصدرى بحذف مضاف، و التقدير و جعلنا النهار طلب معاش أى مبتغى معاش.

قوله تعالى: وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا أَى سبع سماوات شديده فى بنائها.

قوله تعالى: وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا الوهاج شديد النور و الحراره و المراد بالسراج الوهاج: الشمس.

قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا المعصرات السحب الماطره و قيل: الرياح التى تعصر السحب لتمطر و الثججاج الكثير الصب للماء، و الأولى على هذا المعنى أن تكون «مِنْ» بمعنى الباء.

قوله تعالى: لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ لَبَاتًا أَى حبا و نباتا يقتات بهما الإنسان و سائر الحيوان.

قوله تعالى: وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا معطوف على قوله: «حَبًّا» و جنات ألفاف أى ملتفه أشجارها بعضها ببعض.

قيل: إن الألفاف جمع لا واحد له من لفظه.

### [سوره النبأ (٧٨): الآيات ١٧ الى ٤٠]

إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ  
فَكَانَتْ سُرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَابًا (٢٢) لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤)  
إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَخْصَيْنَاهُ كِتَابًا  
(٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا  
يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ  
خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ  
اتَّخَذَ إِلَهًا رَبَّهُ مَابًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)

بيان:

قوله تعالى: إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا قَالَ فِي الْمَجْمَعِ: المِيقَاتُ مِنْهُ الْمَقْدَارُ الْمَضْرُوبُ لِحُدُوثِ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ وَهُوَ مِنَ الْوَقْتِ كَمَا أَنَّ الْمِيعَادَ مِنَ الْوَعْدِ وَالْمَقْدَارَ مِنَ الْقَدْرِ، انْتَهَى.

شروع فی وصف ما تضمنه النبأ العظيم الذي أخبر بوقوعه وهددهم به في قوله: «كَأَلَّا سَيَعْلَمُونَ» ثم أقام الحجة عليه بقوله: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا» الخ؛ وقد سماه يوم الفصل ونبه به على أنه يوم يفصل فيه القضاء بين الناس فينال كل طائفه ما يستحقه بعمله فهو مِيقَاتُ

ص: ٥٦٨

و حد مضروب لفصل القضاء بينهم و التعبير بلفظ «كَانَ» للدلالة على ثبوته و تعينه فى العلم الإلهى على ما ينطق به الحجة السابقة الذكر، و لذا أكد الجملة بإن.

و المعنى: إن يوم فصل القضاء الذى نبؤه نبأ عظيم كان فى علم الله يوم خلق السماوات و الأرض و حكم فيها النظام الجارى حدا مضروباً ينتهى إليه هذا العالم فإنه تعالى كان يعلم أن هذه النشأة التى أنشأها لا تتم إلا بالانتهاى الى يوم يفصل فيه القضاء بينهم.

قوله تعالى: **يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا** قد تقدم الكلام فى معنى نفخ الصور كراراً، و الأفواج جمع فوج و هى الجماعة المارة المسرعة على ما ذكره الراغب.

و فى قوله: **فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا** جرى على اخطاب السابق الملتفت اليه قضاء لحق الوعيد الذى يتضمنه قوله: **«كَلَّا سَيَعْلَمُونَ»** و كأن الآيه ناظره الى قوله تعالى: **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ** (الإسراء ٧١).

قوله تعالى: **وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا** فاتصل به عالم الإنسان بعالم الملائكة.

و قيل: التقدير فكانت ذات أبواب، و قيل: صار فيها طرق و لم يكن كذلك من قبل، و لا يخلو الوجهان من تحكم فليتدبر.

قوله تعالى: **وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا** هو الموهوم من الماء اللامع فى المفاوز و يطلق على كل ما يتوهم ذا حقيقته و لا حقيقه له على طريق الاستعارة.

و لعل المراد بالسراب فى الآيه هو المعنى الثانى.

بيان ذلك: أن تسيير الجبال و دكها ينتهى بالطبع الى تفرق أجزائها و زوال شكلها كما وقع فى مواضع من كلامه تعالى عند وصف زلزه الساعة و آثارها إذ قال: **وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا** (الطور ١٠) و قال: **وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً** (الحاقة ١٤)، و قال:

**وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً** (المزمل ١٤)، و قال: **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ**



(القارعه ٥/٥)، و قال: وَ بُسِّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (الواقعه ٥/٥)، و قال: وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (المرسلات ١٠/١٠).

فتسيير الجبال و دكها ينتهى بها الى بسها و نسفها و صيرورتها كتيبا مهيلا- و كالعهن المنفوش كما ذكره الله تعالى و أما صيرورتها سرايا بمعنى ما يتوهم ماء لامعا فلا نسبه بين التسيير و بين السراب بهذا المعنى.

نعم ينتهى تسييرها الى انعدامها و بطلان كينونها و حقيقتها بمعنى كونها جبلا فالجبال الراسيات التى كانت ترى حقائق ذوات كينونه قويه لا- تحركه العواصف تتبدل بالتسيير سرايا باطلا- لا حقيقه له، و نظيره من كلامه تعالى قوله فى أقوام أهلكتهم و قطع دابرهم:

فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ (سبأ ١٩/١٩)، و قوله: فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ (المؤمنون ٤٤/٤٤)، و قوله فى الأصنام: إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ (النجم ٢٣/٢٣).

فآييه بوجه كقوله تعالى: وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ (النمل ٨٨/٨٨)- بناء على كونه ناظرا الى صفه زلزله الساعه-.

قوله تعالى: إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا قال فى المفردات: الرصد الاستعداد للترقب- الى أن قال- و المرصد موضع الرصد قال تعالى: «وَ أَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ» و المرصد نحوه لكن يقال للمكان الذى اختص بالرصد قال تعالى: «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا» تنبيها على أن عليها مجاز الناس، و على هذا قوله تعالى: «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» .

انتهى.

قوله تعالى: لِلطَّاغِيْنَ مَأْبَا الطَّاغِيْنَ الْمُتَلَبِّسُونَ بِالطَّاغِيَانِ وَ هُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الْحُدِّ، وَ الْمَأْبَ اسْمُ مَكَانٍ مِنَ الْأَوْبِ بِمَعْنَى الرَّجُوعِ، وَ الْعِنَايَةِ فِي عَدَا مَأْبَا لِلطَّاغِيْنَ أَنَّهُمْ هَيْئُوهَا مَأْوَى لِأَنْفُسِهِمْ وَ هُمْ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِذَا انْقَطَعُوا عَنِ الدُّنْيَا آبَوْا وَ رَجَعُوا إِلَيْهَا.

ص: ٥٧٠

قوله تعالى: لَا يَبِينَنَّ فِيهَا أَحْقَابًا الْأَحْقَابُ الْأَزْمَنَةُ الْكَثِيرَةُ وَالدَّهْوَرُ الطَّوِيلَةُ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ.

و هو جمع اختلفوا فى واحده فقيل: واحده حقب بالضم فالسكون أو بضمين، وقد وقع فى قوله تعالى: أَوْ أَمْضَى حُقْبًا (الكهف ١٦٠)، وقيل: حقب بالفتح فالسكون و واحد الحقب حقبه بالكسر فالسكون قال الراغب: و الحق أن الحقبه مده من الزمان مبهمه. انتهى.

و حد بعضهم الحقب بثمانين سنه أو ببضع و ثمانين سنه و زاد آخرون أن السنه منها ثلاثمائه و ستون يوما كل يوم يعدل ألف سنه، و عن بعضهم أن الحقب أربعون سنه و عن آخرين أنه سبعون ألف سنه الى غير ذلك و لا دليل من الكتاب يدل على شىء من هذه التحديدات و لم يثبت من اللغه شىء منها.

و ظاهر الآيه أن المراد بالطاغين المعاندون من الكفار و يؤيده قوله ذيلًا: «إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا» .

و قد فسروا «أَحْقَابًا» فى الآيه بالحقب بعد الحقب فالمعنى حالكون الطاغين لا يبينون فى جهنم حقبًا بعد حقب بلا تحديد و لا نهايه فلا تنفى الآيه ما نص عليه القرآن من خلود الكفار فى النار.

قوله: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَ لَا شَرَابًا ظاهر المقابله بين البرد و الشراب أن المراد بالبرد مطلق ما يتبرد به غير الشراب كالظل الذى يستراح اليه بالاستغلال فالمراد بالذوق مطلق النيل و المس.

قوله تعالى: إِلَّا حَمِيمًا وَ غَسَاقًا الْحَمِيمُ الْمَاءُ الْحَارُّ شَدِيدُ الْحَرِّ، وَ الْغَسَاقُ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ.

قوله تعالى: جَزَاءً وَفَاقًا - الى قوله - كِتَابًا الْمَصْدَرُ بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ وَ الْمَعْنَى يَجْزُونَ جِزَاءً مُوَافِقًا لِمَا عَمَلُوا أَوْ بِتَقْدِيرِ مُضَافِ أَى جِزَاءً ذَا وَفَاقٍ أَوْ إِطْلَاقِ الْوَفَاقِ عَلَى الْجِزَاءِ

للمبالغه كزيد عدل.

وقوله: إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا أَي تكذبا عجبيا يصرون عليه، تعليل يوضح موافقه جزائهم لعملهم، وذلك أنهم لم يرجوا الحساب يوم الفصل فأيسوا من الحياه الآخره و كذبوا بالآيات الداله فأنكروا التوحيد و النبوه و تعدوا فى أعمالهم طور العبوديه فنسوا الله تعالى فنسيهم و حرم عليهم سعادته الدار الآخره فلم يبق لهم إلا الشقاء و لا يجدون فيها إلا ما يكرهون، و لا يواجهون إلا ما يتعذبون به و هو قوله:

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ .

و فى الآيه أعنى قوله: «جَزَاءٌ وَفَاقًا» دلالة على المطابقه التامه بين الجزاء و العمل فالإنسان لا يريد بعمله إلا الجزاء الذى بإزائه و التلبس بالجزاء تلبس بالعمل بالحقيقه قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ (التحریم ۷).

وقوله: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا أَي كل شىء و منه الأعمال ضبطناه و بيناه فى كتاب جليل القدر فالآيه فى معنى قوله تعالى: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (يس / ۱۲).

أو المراد و كل شىء حفظناه حال كونه مكتوبا فى اللوح المحفوظ أو فى صحائف الأعمال، و جوز أن يكون الإحصاء بمعنى الكتابه أو الكتابه بمعنى الإحصاء فإن الإحصاء و الكتابه يتشاركان فى معنى الضبط و المعنى كل شىء أحصيناه إحصاء أو كل شىء كتبناه كتابا.

و الآيه على أى حال متمم للتعليل السابق، و المعنى الجزاء موافق لأعمالهم لأنهم كانوا على حال كذا و كذا و قد حفظناها عليهم فجزيناها بها جزاء وفاقا.

وقوله تعالى: فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا تفریع على ما تقدم من تفصيل عذابهم مسوق لإيئاسهم من أن يرجوا نجاه من الشقوه و راحه ينالونها.

و الالتفات الى خطابهم بقوله: «فَذُوقُوا» تقدير لحضورهم ليخاطبوا بالتوبيخ و التقرع بلا واسطه.

و المراد بقوله: «فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا» أن ما تذوقونه بعد عذاب ذقتموه عذاب آخر فهو عذاب بعد عذاب و عذاب على عذاب فلا تزالون يضاعف عذاب جديد الى عذابكم القديم فاقنطوا من أن تنالوا شيئاً مما تطلبون و تحبون.

و الآيه لا تخلو من ظهور فى كون المراد بقوله: «لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا» الخلود دون الانقطاع.

ق

و له تعالى: إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا - الى قوله- كَذَابًا الْفُوزَ الظفر بالخير مع حضور السلامه-على ما قاله الراغب-فيه معنى النجاه و التخلص من الشر و الحصول على الخير، و المفاز مصدر ميمى أو اسم مكان من الفوز و الآيه تحتل الوجهيين جميعا.

و قوله: حِدَائِقَ وَ أَعْنَابًا الحدائق جمع حديقه و هى البستان المحووط، و الأعناب جمع عنب و هو ثمر شجره الكرم و ربما يطلق على نفس الشجره.

و قوله: وَ كَوَاعِبَ جمع كاعب و هى الفتاه التى تكعب ثديها و استدار مع ارتفاع يسير، و الترائب جمع ترب و هى المماثله لغيرها من اللذات.

و قوله: وَ كَأْسًا دِهَاقًا أى ممتلئه شرابا مصدر بمعنى اسم الفاعل.

و قوله: لَا يَشِيْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا كِذَابًا أى لا يسمعون فى الجنه لغوا من القول لا يترتب عليه أثر مطلوب و لا تكذيبا من بعضهم لبعضهم فيما قال فقولهم حق له أثره المطلوب و صدق مطابق للواقع.

قوله تعالى: جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا أى فعل بالمتقين ما فعل حالكونه جزاء من ربك عطيه محسوبه فقوله: «جَزَاءٌ» حال و كذا «عَطَاءٌ» و «حِسَابًا» بمعنى اسم المفعول صفة لعطاء، و يحتمل أن يكون عطاء تمييزا أو مفعولا مطلقا.

قيل: إضافة الجزاء الى الرب مضافا الى ضميره صلى الله عليه و آله و سلم تشریف له، و لم يضاف جزاء

الطاغين اليه تعالى تنزها منه تعالى فليس يغشاهم شر إلا من عند أنفسهم قال تعالى: **ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (الأنفال ٥١)**.

و وقوع لفظ الحساب فى ذيل جزاء الطاغين و المتقين معا لتبيين ما يلوح اليه يوم الفصل الواقع فى أول الكلام.

قوله تعالى: **رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ** بيان لقوله:

«رَبِّكَ» أريد به أن ربوبيته تعالى عامه لكل شىء و أن الرب الذى يتخذه النبى صلى الله عليه و آله و سلم ربا و يدعو اليه رب كل شىء لا- كما كان يقول المشركون: إن لكل طائفه من الموجودات ربا و الله سبحانه ربا الأرباب أو كما كان يقول بعضهم: إنه رب السماء.

و فى توصيف الرب بالرحمن-صيغه مبالغه من الرحمة-إشاره الى سعه رحمته و أنها سمه ربوبيه لا يحرم منها شىء إلا أن يمتنع منها شىء بنفسه لقصوره و سوء اختياره فمن شقوه هؤلاء الطاغين أنهم حرّموها على أنفسهم بالخروج عن طور العبوديه.

قوله تعالى: **لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ قَالَ صَوَاباً وَ قُوعَ صَدْرِ** الآيه فى سياق قوله:

«رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ» -و شأن الربوبيه هو التدبير و شأن الرحمانيه بسط الرحمة-دليل على أن المراد بخطابه تعالى تكليمه فى بعض ما فعل من الفعل بنحو السؤال عن السبب الداعى الى الفعل كأن يقال: لم فعلت هذا؟ و لم لم تفعل كذا؟ كما يسأل الفاعل منا عن فعله فتكون الجملة «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً» فى معنى قوله تعالى: **لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ** (الأنبياء ٢٣) و قد تقدم الكلام فى معنى الآيه.

لكن وقوع قوله: «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا» بعد قوله: «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً» الظاهر فى اختصاص عدم الملك بيوم الفصل مضافا الى وقوعه فى سياق تفصيل جزاء الطاغين و المتقين منه تعالى يوم الفصل يعطى أن يكون المراد به أنهم لا يملكون أن يخاطبوه فيما يقضى

و يفعل بهم باعتراض عليه أو شفاعه فيهم لكن الملائكه-و هم ممن لا يملكون منه خطابا- منزهون عن وصمه الاعتراض عليه تعالى وقد قال فيهم: **طِبَّادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ** (الأنبياء ٢٧/) وكذلك الروح الذى هو (١) كلمته و قوله، و قوله (٢) حق، و هو تعالى (٣) الحق المبين و الحق لا يعارض الحق و لا يناقضه.

و من هنا يظهر أن المراد بالخطاب الذى لا يملكونه هو الشفاعه و ما يجرى مجراها من وسائل التخلص من الشر كالعدل و البيع و الخله و الدعاء و السؤال قال تعالى: **مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ وَ لَا خَلَّةٌ وَ لَا شَفَاعَةٌ** (البقره ٢٥٤)، و قال: **وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ** (البقره ١٢٣/)، و قال: **يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ** (هود ١٠٥/).

و بالجمله قوله: «**لَا- يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا**» ضمير الفاعل فى «**لَا- يَمْلِكُونَ**» لجميع المجموعين ليوم الفصل من الملائكه و الروح و الإنس و الجن كما هو المناسب للسياق الحاكى عن ظهور العظمه و الكبرياء دون خصوص الملائكه و الروح لعدم سبق الذكر و دون خصوص الطاغين كما قيل لكثرة الفصل، و المراد بالخطاب الشفاعه و ما يجرى مجراها كما تقدم.

و قوله: **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا** ظرف لقوله: «**لَا يَمْلِكُونَ**» و قيل:

لقوله: «**لَا يَتَكَلَّمُونَ**» و هو بعيد مع صلاحيه ظرفيته لما سبقه.

و المراد بالروح المخلوق الأمري الذى يشير اليه قوله تعالى: **قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** (الإسراء ٨٥/).

و قوله: **لَا يَتَكَلَّمُونَ** بيان لقوله: «**لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا**» و ضمير الفاعل لأهل الجمع من الروح و الملائكه و الإنس و الجن على ما يفيد السياق.

ص: ٥٧٥

١- ١). النحل: ٤٠.

٢- ٢). الانعام: ٧٣.

٣- ٣). النور: ٢٥.

وقيل: الضمير للروح و الملائكة، وقيل: للناس و وقع «لَا يَمْلِكُونَ» بما مرّ من معناه و «لَا يَتَكَلَّمُونَ» فى سياق واحد لا يلائم شيئا من القولين.

وقوله: «إِلَّا مَنْ أَدَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ بَدَلًا مِنْ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ فِي «لَا يَتَكَلَّمُونَ» أُرِيدَ بِهِ بَيَانٌ مِنْ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ بِإِذْنِ اللَّهِ فَالْجَمْلَةُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ (هود ١٠٥) عَلَى ظَاهِرِ إِطْلَاقِهِ.

وقوله: وَقَالَ صَوَابًا أَى قَالَ قَوْلًا- صَوَابًا لَا يَشُوبُهُ خَطَأٌ وَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَدَاخِلُهُ بَاطِلٌ، وَ الْجَمْلَةُ فِي الْحَقِيقَةِ قَيْدٌ لِلْإِذْنِ كَأَنَّهُ قِيلَ: «إِلَّا- مَنْ أَدَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ لَا يَأْذَنُ إِلَّا لِمَنْ قَالَ صَوَابًا فَالْآيَةُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ لَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (الزخرف ١٨٦) (١).

قوله تعالى: ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ إشاره الى يوم الفصل المذكور فى السوره الموصوف بما مر من الأوصاف و هو فى الحقيقه خاتمه الكلام المنعطفه الى فاتحه السوره و ما بعده أعنى قوله: «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَهًا رَبًّا مَابًا» الخ؛ فضل تفریع على البيان السابق.

و الإشاره اليه بالإشاره البعيده للدلاله على فخامه أمره و المراد بكونه حقا ثبوته حتما مقضيا لا يتخلف عن الوقوع.

قوله تعالى: «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَهًا رَبًّا مَابًا أَى مَرَجَعًا إِلَى رَبِّهِ يَنَالُ بِهِ ثَوَابَ الْمُتَّقِينَ وَ يَنجُو بِهِ مِنْ عَذَابِ الطَّاغِينَ، وَ الْجَمْلَةُ كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ تَفْرِيعٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَخْبَارِ بِيَوْمِ الْفَصْلِ وَ الْاِحْتِجَاجِ عَلَيْهِ وَ وَصْفِهِ، وَ الْمَعْنَى إِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَنْ شَاءَ الرَّجُوعَ إِلَى رَبِّهِ فَلْيَرْجِعْ.

قوله تعالى: «إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا» الخ؛ المراد به عذاب الآخرة، و كونه قريبا

ص: ٥٧٦

لكونه حقاً لا ريب في إتيانه و كل ما هو آت قريب.

على أن الأعمال التي سيجزى بها الانسان هي معه أقرب ما يكون منه.

و قوله: **يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ** أى ينتظر المرء جزاء أعماله التي قدمتها يدها بالاكْتِسَابِ، وقيل: المعنى ينظر المرء الى ما قدمت يدها من الأعمال لحضورها عنده قال تعالى: **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ (آل عمران / ٣٠).**

و قوله: **وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا** أى يتمنى من شدة اليوم أن لو كان تراباً فاقدا للشعور و الاراده فلم يعمل و لم يجز.

ص: ٥٧٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 وَ النَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَ السَّابِقَاتِ سَبِيحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبِيحًا (٤)  
 فَالْمُتَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرِّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أِنَّا  
 لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَيَاةِ (١٠) أِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ  
 بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) إِذْ هَبَّ إِلَيْهِ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ يَنْتَهِزَ  
 لَكَ الْبُرْجُ (١٧) فَأَنذَرْتَهُ بِالْآيَاتِ فَكَذَّبَ وَ هَوَّى (١٨) وَ أَهْدَيْكَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكُتُبَ (١٩) فَارَآهُمُ الْقَحْبَانَ (٢٠) فَلَمَّا نَسُوا مَا آلَمَّتْهُمُ  
 فَخَشَرَ فَنَادَى (٢١) فَسَأَلَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ (٢٢) أَأَنزَلْنَاهُ سِجِّينًا (٢٣) فَقَالَ إِنَّا نَزَّلْنَاهُ بِاللَّيْلِ مُقْتَدِرًا (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْهَارُونَ  
 أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بُنْيَانًا (٢٥) رَفَعْنَا سَمَاكُمُ الطُّورَ (٢٦) وَ أَعْرَضْنَا الْوَادِ الْيَمِينَ (٢٧) وَ أَعْرَضْنَا الْوَادِ الْشَمَالَ (٢٨) وَ أَعْرَضْنَا  
 الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٢٩) وَ أَعْرَضْنَا الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٣٠) وَ أَعْرَضْنَا الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٣١) وَ أَعْرَضْنَا الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٣٢) وَ أَعْرَضْنَا  
 الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٣٣) وَ أَعْرَضْنَا الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٣٤) وَ أَعْرَضْنَا الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٣٥) وَ أَعْرَضْنَا الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٣٦) وَ أَعْرَضْنَا  
 الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٣٧) وَ أَعْرَضْنَا الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٣٨) وَ أَعْرَضْنَا الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٣٩) وَ أَعْرَضْنَا الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٤٠) وَ أَعْرَضْنَا  
 الْوَادِ الْبَيْتَانَ (٤١)



فى السوره إخبار مؤكد بوقوع البعث و القيامة، و احتجاج عليه من طريق التدبير الربوبى المنتج أن الناس سينقسمون يومئذ طائفتين أصحاب الجنة و أصحاب الجحيم و تختتم السوره بالإشاره الى سؤالهم النبى صلى الله عليه و آله و سلم عن وقت قيام الساعه و الجواب عنه.

و السوره مكّيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا اختلف المفسرون فى تفسير هذه الآيات الخمس اختلافا عجيبا مع اتفاقهم على أنها إقسام، و قول أكثرهم بأن جواب القسم محذوف، و التقدير

أقسم بكذا و كذا لتبعثن.

فقوله: **وَ النَّازِعَاتِ غَرَقًا** قيل: المراد بها ملائكة الموت تنزع الأرواح من الأجساد، و «غَرَقًا» مصدر مؤكد بحذف الزوائد أى إغراقا و تشديدا فى النزاع.

و قيل: المراد بها الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفار من أجسادهم بشده، و قيل: هو الموت ينزع الأرواح من الأبدان نزعا بالغا.

و قيل: المراد بها النجوم تنزع من أفق لتغيب فى افق أى تطلع من مطالعها لتغرب فى مغاربها، و قيل: المراد بها القسى تنزع بالسهم أى تمتد بجذب وترها إغراقا فى المد فالإقسام بقسى المجاهدين فى سبيل الله أو بالمجاهدين أنفسهم، و قيل: المراد بها الوحش تنزع الى الكلاء.

و قوله: **وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا** النشط الجذب و الخروج و الإخراج برفق و سهوله و حل العقده، قيل: المراد بها الملائكة الذين يخرجون الأرواح من الأجساد، و قيل المراد بها خصوص الملائكة يخرجون أرواح المؤمنين من أجسادهم برفق و سهوله، كما أن المراد بالنازعات غرقا الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفار من أجسادهم.

و قيل: هم الملائكة الذين ينشطون أرواح الكفار من أجسادهم، و قيل: المراد بها أرواح المؤمنين أنفسهم، و قيل: هى النجوم تنشط و تذهب من افق الى افق، و قيل: هى السهام تنشط من قسيها فى الغزوات، و قيل: هو الموت ينشط و يخرج الأرواح من الأجساد، و قيل:

هى الوحش تنشط من قطر الى قطر.

و قوله: **وَ السَّابِحَاتِ سَبْحًا** قيل: المراد بها الملائكة تقبض الأرواح فتسرع بروح المؤمن الى الجنة و بروح الكافر الى النار، و السبح الإسراع فى الحركة كما يقال: الفرس سابع إذا أسرع فى جريه، و قيل: المراد بها الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسألونها من الأبدان سلا رفيقا ثم يدعونها حتى يستريح كالسباح بالشىء فى الماء يرمى، و قيل: هى الملائكة

ينزلون من السماء مسرعين، وقيل: هي النجوم تسبح في فلکها كما قال تعالى: وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ .

وقيل: هي خيل الغزاه تسبح في عدوها و تسرع، وقيل: هي المنايا تسبح في نفوس الحيوان، وقيل: هي السفن تسبح في المياه، وقيل: السحاب، وقيل: دواب البحر.

وقوله: فَالْمُتَدَبِّرَاتِ سَبَقًا قِيلَ المراد بها مطلق الملائكة لأنها سبقت ابن آدم بالخير و الإيمان و العمل الصالح، وقيل ملائكة الموت تسبق بروح المؤمن الى الجنة و بروح الكافر الى النار، وقيل الملائكة القابضون لروح المؤمن تسبق بها الى الجنة، وقيل، ملائكة الوحي تسبق الشياطين بالوحي الى الأنبياء، وقيل أرواح المؤمنين تسبق الى الملائكة التي يقبضونها شوقا الى لقاء الله سبحانه، وقيل هي النجوم تسبق بعضها بعضا في السير، وقيل هي خيل الغزاه تسبق بعضها بعضا في الحرب، وقيل هي المنايا تسبق الآمال.

وقوله: فَالْمُتَدَبِّرَاتِ أَمْراً قِيلَ: المراد بها مطلق الملائكة المدبرين للأمور، كذا فسر الأكثرون حتى ادعى بعضهم اتفاق المفسرين عليه، وقيل المراد بها الملائكة الأربعة المدبرون لامور الدنيا: جبرائيل و ميكائيل و عزرائيل و إسرافيل، فجبرائيل يدبر أمر الرياح و الجنود و الوحي، و ميكائيل يدبر أمر القطر و النبات، و عزرائيل موكل بقبض الأرواح، و إسرافيل ينتزل بالأمر عليهم و هو صاحب الصور، وقيل: إنها الأفلاك يقع فيها أمر الله فيجرى بها القضاء في الدنيا.

و هناك قول بأن الإقسام في الآيات بمضاف محذوف و التقدير و رب النازعات نزعا، الخ.

و أنت خبير بأن سياق الآيات الخمس سياق واحد متصل متشابه الأجزاء لا يلائم كثيرا من هذه الأقوال القاضيه باختلاف المعاني المقسم بها ككون المراد بالنازعات الملائكة القابضين لأرواح الكفار، و بالناشطات الوحش، و بالسابحات السفن، و بالسابقات المنايا

تسبق الآمال و بالمدبرات الأفلاك.

مضافا الى أن كثيرا منها لا دليل عليها من جهة السياق إلا مجرد صلاحية اللفظ بحسب اللغة للاستعمال فيه أعم من الحقيقة و المجاز.

على أن كثيرا منها لا تناسب سياق آيات السورة التي تذكر يوم البعث و تحتج على وقوعه على ما تقدم في سورة المرسلات من حديث المناسبه بين ما في كلامه تعالى من الإقسام و جوابه.

و الذى يمكن أن يقال-و الله أعلم-أن ما فى هذه الآيات من الأوصاف المقسم بها يقبل الانطباق على صفات الملائكة فى امثالها للأوامر الصادره عليهم من ساحه العزه المتعلقة بتدبير امور هذا العالم المشهود ثم قيامهم بالتدبير بإذن الله.

و الآيات شديده الشبه سياقاً بآيات مفتتح سورة الصافات «و الصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً» و آيات مفتتح سورة المرسلات «و المزيلات عزفاً فالعاصيات عصفاً و الناشطات نشراً فالفارقات فرقا فالملقيات ذكراً» و هى تصف الملائكة فى امثالهم لأمر الله غير أنها تصف ملائكة الوحي، و الآيات فى مفتتح هذه السوره تصف مطلق الملائكة فى تدبيرهم أمر العالم بإذن الله.

ثم إن أظهر الصفات المذكوره فى هذه الآيات الخمس فى الانطباق على الملائكة قوله:

«فالمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا» و قد أطلق التدبير و لم يقيد بشيء دون شيء فالمراد به التدبير العالمى بإطلاقه، و قوله: «أمرًا» تمييز أو مفعول به للمدبرات و مطلق التدبير شأن مطلق الملائكة فالمراد بالمدبرات مطلق الملائكة.

و إذ كان قوله: «فالمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا» مفتتحا بفاء التفریع الدال على تفرع صفه التدبير على صفه السبق، و كذا قوله: «فالسابغات سبغاً» مقرونا بفاء التفریع الداله على تفرع السبق على السبغ دل ذلك على مجانسه المعانى المراده بالآيات الثلاث «و السابغات سبغاً»  
فالسابغات

ص: ٥٨٣

سَبَقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا» فمدلولها أنهم يدبرون الأمر بعد ما سبقوا اليه و يسبقون اليه بعد ما سبحوا أى أسرعوا اليه عند النزول فالمراد بالسابحات و السابقات هم المدبرات من الملائكة باعتبار نزولهم الى ما أمروا بتدبيره.

فالأيات الثلاث فى معنى قوله تعالى: لَمَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِّن خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّن أَمْرِ اللَّهِ (الرعد ١١) على ما تقدم من توضيح معناه فالملائكة ينزلون على الأشياء و قد تجمعت عليها الأسباب و تنازعت فيها وجودا و عدما و بقاء و زوالا و فى مختلف أحوالها فما قضاء الله فيها من الأمر و أبرم قضاءه أسرع اليه الملك المأمور به-بما عين له من المقام-و سبق غيره و تتم السبب الذى يقتضيه فكان ما أراه الله، فافهم ذلك.

و إذا كان المراد بالآيات الثلاث الإشارة الى إسراع الملائكة فى النزول على ما أمروا به من أمر و سبقهم اليه و تدبيره تعين حمل قوله: «وَ النَّازِعَاتِ غَزَقًا وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا» على انتزاعهم و خروجهم من موقف الخطاب الى ما أمروا به فنزعهم غرقا شروعهم فى النزول نحو المطلوب بشده و جد، و نشطهم خروجهم من موقفهم نحوه كما أن سبحهم إسراعهم اليه بعد الخروج و يتعقب ذلك سبقهم اليه و تدبير الأمر بإذن الله.

فالأيات الخمس إقسام بما يتلبس به الملائكة من الصفات عند ما يؤمرون بتدبير أمر من امور هذا العالم المشهود من حين يأخذون فى النزول اليه الى تمام التدبير.

و فيها إشاره الى نظام التدبير الملكوتى عند حدوث الحوادث كما أن الآيات التالية أعنى قوله: «هَلْ أَتَاكَ» الخ؛ إشاره الى التدبير الربوبى الظاهر فى هذا العالم.

و فى التدبير الملكوتى حجه على البعث و الجزاء كما أن فى التدبير الدنيوى المشهود حجه عليه على ما سيوافيك إن شاء الله بيانه.

هذا ما يعطيه التدبر فى سياق الآيات الكريمة و يؤيده بعض التأييد ما سيأتى من الأخبار

فى البحث الروائى الآتى إن شاء الله (١).

قوله تعالى: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعَهَا الرَّادِفَةُ فَسِيرَتِ الرَّاجِفَةُ بِالصَّيْحَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي فِيهَا تَرَدُّدٌ وَاضْطِرَابٌ وَرَادِفُهُ بِالْمَتَأَخَّرِ التَّابِعِ، وَعَلَيْهِ تَنْطَبِقُ الْآيَاتَانِ عَلَى نَفْحَتِي الصُّورِ الَّتِي يَدُلُّ عَلَيْهِمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَيَّرَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِّخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يَنْظُرُونَ (الزمر ٦٨).

وَالْأَنْسَبُ بِالسِّيَاقِ عَلَى أَى حَالٍ كَوْنُ قَوْلِهِ: «يَوْمَ تَرْجُفُ» الْخُ؛ ظَرْفًا لَجَوَابِ الْقِسْمِ الْمَحذُوفِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى فِخَامَتِهِ وَبُلُوغِهِ الْغَايَةَ فِي الشَّدَةِ وَهُوَ لِتَبَعْتِنَّ، وَقِيلَ: «يَوْمٌ» مَنْصُوبٌ عَلَى مَعْنَى قُلُوبٍ يَوْمِئِذٍ وَاجْفَهُ يَوْمٌ تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ، وَلَا يَخْلُو مِنْ بَعْدِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: قُلُوبٌ يَوْمِئِذٍ وَاجْفَهُ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ تَنْكِيْرُ «قُلُوبٌ» لِلتَّنْوِيْعِ وَهُوَ مَبْتَدَأُ خَبْرِهِ «وَاجْفَهُ» وَالْوَجِيْفُ الْاضْطِرَابُ، وَ«يَوْمِئِذٍ» ظَرْفٌ مَتَعَلِّقٌ بِوَاجْفِهِ وَ الْجَمْلَةُ اسْتِثْنَاءٌ مَبِيْنٌ لَصِفِهِ الْيَوْمِ.

وَقَوْلُهُ: أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ضَمِيْرُ «أَبْصَارُهَا» لِلْقُلُوبِ وَنَسْبَةُ الْأَبْصَارِ وَإِضَافَتُهَا إِلَى الْقُلُوبِ لِمَكَانِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقُلُوبِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَصَافُ إِلَيْهَا الصِّفَاتُ الْإِدْرَاقِيَّةُ كَالْعِلْمِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَمَا يَشْبِهُهَا هِيَ النُّفُوسُ، وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا.

وَنَسْبَةُ الْخُشُوعِ إِلَى الْأَبْصَارِ وَهُوَ مِنْ أَحْوَالِ الْقَلْبِ إِنَّمَا هِيَ لظُهُورِ أَثَرِهِ الدَّالِّ عَلَيْهِ فِي الْأَبْصَارِ أَقْوَى مِنْ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ إِخْبَارٌ وَحِكَايَةٌ لِقَوْلِهِمْ فِي الدُّنْيَا اسْتِبْعَادًا مِنْهُمْ لَوْقُوعِ الْبَعْثِ وَالْجِزَاءِ وَإِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لِقُلُوبِهِمْ وَجِيْفٌ وَأَبْصَارُهُمْ خُشُوعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمُ الَّذِينَ يَنْكُرُونَ الْبَعْثَ وَهُمْ فِي الدُّنْيَا يَقُولُونَ كَذًا وَكَذًا.

ص: ٥٨٥



و الحافره-على ما قيل-أول الشيء و مبتداه،و الاستفهام للإنكار استبعاداً،و المعنى يقول هؤلاء: إنا لمردودون بعد الموت الى حالتنا الاولى و هى الحياه.

قوله تعالى: أ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً تَكَرَّرَ لِّلْإِسْتِفْهَامِ لِتَأْكِيدِ الْإِسْتِبْعَادِ فَلَوْ كَانَتْ الْحَيَاةُ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَبْعَدَةً فَهِيَ مَعَ فَرَضِ نَخْرِ الْعِظَامِ وَ تَفْتَتِ الْأَجْزَاءِ أَشَدَّ اسْتِبْعَادًا،و النخر بفتح الحين البلى و التفتت يقال: نخر العظم ينخر نخرا فهو ناخر و نخر.

قوله تعالى: قَالُوا تَلْمِزُكَ إِذَا كَرَّهْتَ خَاسِرَةً الْإِشَارَةَ بِتَلْمِزِكَ إِلَى مَعْنَى الرَّجْعَةِ الْمَفْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ: «أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ» وَ الْكِرْهُ الرَّجْعَةُ وَ الْعُطْفَةُ،وَ عَدَّ الْكِرْهُ خَاسِرَةً إِمَّا مَجَازًا وَ الْخَاسِرَ بِالْحَقِيقَةِ صَاحِبِهَا،أَو الْخَاسِرَةَ بِمَعْنَى ذَاتِ خُسْرَانٍ،وَ الْمَعْنَى قَالُوا:تَلْمِزُكَ الرَّجْعَةُ -و هى الرجعة الى الحياه بعد الموت-رجعه متلبسه بالخسران.

و هذا قول منهم أوردوه استهزاء-على أن يكون قولهم: «أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ» الخ؛مما قالوه فى الدنيا-و لذا غير السياق و قال: «قَالُوا تَلْمِزُكَ إِذَا» الخ؛بعد قوله: «يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ» الخ؛و أما على تقدير أن يكون مما سيقولونه عند البعث فهو قول منهم على سبيل التشؤم و التحسر.

قوله تعالى: فَأَيْنَمَا هِيَ زَجْرًا وَاحِدًا فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ضَمِيرٌ «هِيَ» لِلزَّجْرِ وَ قِيلَ:لِلرَّادِفَةِ وَ الْمُرَادُ بِهَا النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ؛وَ الزَّجْرُ طَرْدُ بَصُوتٍ وَ صِيَاحٍ عَبَّرَ عَنِ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ بِالزَّجْرِ لِمَا فِيهَا مِنْ نَقْلِهِمْ مِنْ نَشْأَةِ الْمَوْتِ إِلَى نَشْأَةِ الْحَيَاةِ وَ مِنْ بَطْنِ الْأَرْضِ إِلَى ظَهْرِهَا، وَ «فَإِذَا» فَجَائِيَةٌ،وَ السَّاهِرَةُ الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَّةُ أَوِ الْأَرْضُ الْخَالِيَةُ مِنَ النَّبَاتِ.

و الآيات فى محل الجواب عما يدل عليه قولهم: «أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ» الخ؛من استبعاد البعث و استصعابه و المعنى لا يصعب علينا إحيائهم بعد الموت و كرتهم فإنما كرتهم-أو الرادفه التى هى النفخه الثانيه-زجره واحده فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتا فى بطنها.

فالأيتان فى معنى قوله تعالى: وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ (النحل / ٧٧).

قوله تعالى: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ الْآيَةِ إِلَىٰ تَمَامِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ آيَةً إِشَارَةً إِلَىٰ إِجْمَالِ قِصَّةِ مُوسَىٰ وَرِسَالَتِهِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَرَدَّهُ دَعْوَتِهِ إِلَىٰ أَنْ أَخَذَهُ اللَّهُ نِكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ.

و فيها عظه و إنذار للمشركين المنكرين للبعث و قد توسلوا به الى رد الدعوه الدينيه إذ لا معنى لتشريع الدين لو لا المعاد، و فيها مع ذلك تسليه للنبي صلى الله عليه و آله و سلم من تكذيب قومه، و تهديد لهم كما يؤيده توجيه الخطاب فى قوله: «هَلْ أَتَاكَ»

و فى القصة مع ذلك كله حجه على وقوع البعث و الجزاء فإن هلاك فرعون و جنوده تلك الهلكة الهائلة دليل على حقيقته رساله موسى من جانب الله الى الناس و لا تتم رسالته من جانبه تعالى إلا برؤيته منه تعالى للناس على خلاف ما يزعمه المشركون أن لا برؤيه له تعالى بالنسبه الى الناس و أن هناك أربابا دونه و أنه سبحانه رب الأرباب لا غير.

ففى قوله: «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ» استفهام بداعى ترغيب السامع فى استماع الحديث ليتسلى به هو و يكون للمنكرين إنذارا بما فيه من ذكر العذاب و إتماما للحجه كما تقدم.

و لا- ينافى هذا النوع من الاستفهام تقدم علم السامع بالحديث لأن الغرض توجيه نظر السامع الى الحديث دون السؤال و الاستعلام حقيقه فمن الممكن أن تكون الآيات أول ما يقصه الله من قصه موسى أو تكون مسبوقة بذكر قصته كما فى سوره المزمّل إجمالا- و هى أقدم نزولا من سوره النازعات- و فى سوره الأعراف و طه و غيرهما تفصيلا.

قوله تعالى: إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِاللَّوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ظرف للحديث و هو أول ما أوحى الله اليه فقلده الرساله، و طوى اسم للوادي المقدس.

قوله تعالى: اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ تفسير للنداء، و قيل: الكلام على تقدير القول أى قائلا اذهب، الخ؛ أو بتقدير أن المفسره أى أن اذهب، الخ؛ و فى الوجهين أن

التقدير مستغنى عنه، و قوله: «إِنَّهُ طَغَى» تعليل للأمر.

قوله تعالى: فَقُلْ هَلْ لَكُمْ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَزَكَّى مَتَلَقَ «إِلَى» محذوف و التقدير هل لك ميل الى أن تزكَّى أو ما فى معناه، و المراد بالتزكَّى التطهّر من قذاره الطغيان.

قوله تعالى: وَ أَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى عطف على قوله: «تَزَكَّى»، و المراد بهدايته إياه الى ربه- كما قيل- تعريفه له و إرشاده الى معرفته تعالى و ترتب عليه الخشية منه الرادعه عن الطغيان و تعدّى طور العبوديه قال تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (فاطر ٢٨).

و المراد بالتزكَّى إن كان هو التطهر عن الطغيان بالتوبه و الرجوع الى الله تعالى كانت الخشية مترتبة عليه و المراد بها الخشية الملازمه للإيمان الداعيه الى الطاعة و الرادعه عن المعصيه، و إن كان هو التطهر بالطاعة و تجنب المعصيه كان قوله: «وَ أَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى» مفسّرا لما قبله و العطف عطف تفسير.

قوله تعالى: فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى الفاء فصيححه و فى الكلام حذف و تقدير و الأصل فأتاه و دعاه فأراه، الخ.

و المراد بالآيه الكبرى على ما يظهر من تفصيل القصه آيه العصا، و قيل: المراد به مجموع معجزاته التى أراها فرعون و ملأه و هو بعيد.

قوله تعالى: فَكَذَّبَ وَ عَصَى أى كذّب موسى فجحده رسالته و سمّاه ساحرا و عصاه فيما أمره به أو عصى الله.

قوله تعالى: ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْرِعَى الإدبار التولّى و السعى هو الجد و الاجتهاد أى ثم تولى فرعون يجد و يجتهد فى ابطال أمر موسى و معارضته.

قوله تعالى: فَحَشَرَ فَنَادَى الحشر جمع الناس يازعاج و المراد به جمعه الناس من أهل مملكته كما يدل عليه تفرّيع قوله: «فنادى» فقال أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى عليه فإنه كان يدعى

الربوبية لأهل مملكته جميعا لا لطائفه خاصة منهم.

وقيل: المراد بالحشر جمع السحره لقوله تعالى: فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (الشعراء ٥٣/)، وقوله: فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (طه ٦٠/). وفيه أنه لا دليل على كون المراد بالحشر في هذه الآية هو عين المراد بالحشر و الجمع في تينك الآيتين.

قوله تعالى: فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى دعوى الربوبية و ظاهره أنه يدعى أنه أعلى في الربوبية من سائر الأرباب التي كان يقول بها قومه الوثنيون فيفضل نفسه على سائر آلهتهم.

و لعل مراده بهذا التفضيل مع كونه و ثنيا يبعد الآلهه كما يدل عليه قوله تعالى حكاية عن ملائته يخاطبونه: أَ تَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يُدْرِكَ آلِهَتَكَ (الأعراف / ١٢٧) أنه أقرب الآلهه منهم تجرى بيده أرزاقهم و تصلح بأمره شئون حياتهم و يحفظ بمشيتته شرفهم و سؤددهم، و سائر الآلهه ليسوا على هذه الصفة.

قوله تعالى: فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَىٰ الْأَخَذَ كناية عن التعذيب، و النكال التعذيب الذي يردع من رآه أو سمعه عن تعاطي مثله، و عذاب الآخرة نكال حيث إن من شأنه أن يردع من سمعه عن تعاطي ما يؤدي اليه من المعصية كما أن عذاب الاستئصال في الدنيا نكال.

و المعنى: فأخذ الله فرعون أى عذبه و نكله نكال الآخرة و الاولى و أما عذاب الدنيا فأغراقه و إغراق جنوده، و أما عذاب الآخرة فعذابه بعد الموت، فالمراد بالأولى و الآخرة الدنيا و الآخرة.

قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى الإِشَارَةَ إِلَى حَدِيثِ مُوسَى، و الظاهر أن مفعول «يَخْشَى» منسى معرض عنه، و المعنى إن في هذا الحديث - حديث موسى - لعبره لمن كان له خشية و كان من غريزته أن يخشى الشقاء و العذاب و الانسان من غريزته ذلك

ففيه عبره لمن كان انسانا مستقيما الفطره.

قوله تعالى: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بِئُهَا - الى قوله- وَ لَأَنْعَامِكُمْ خُطَابٌ تُوْبِيخِي لِّلْمُشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ لِّلْبَعْثِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْعِتَابِ وَيَتَضَمَّنُ الْجَوَابُ عَنْ اسْتِبْعَادِهِمُ الْبَعْثُ بِقَوْلِهِمْ: «أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّجْرَةً» بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْكُمْ خُلُقًا فَهُوَ عَلَى خَلْقِكُمْ وَإِنْشَائِكُمُ النَّشْأَةَ الْآخِرَى لِقَدِيرٍ.

و يتضمن أيضا الإشاره الى الحجه على وقوع البعث حيث يذكر التدبير العام العالمى و ارتباطه بالعالم الإنسانى و لازمه ربوبيته تعالى، و لازم الربوبيه صحه النبوه و جعل التكليف، و لازم ذلك الجزء الذى موطنه البعث و الحشر، و لذا فرع عليه حديث البعث بقوله: «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى» الخ.

فقوله: أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ اسْتِفْهَامٌ تُوْبِيخِي بِدَاعَى رَفْعِ اسْتِبْعَادِهِمُ الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَ الْإِشَارَةُ إِلَى تَفْصِيلِ خُلُقِ السَّمَاءِ بِقَوْلِهِ: «بِئُهَا» الخ؛ دَلِيلٌ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ تَقْرِيرُ كَوْنِ السَّمَاءِ أَشَدَّ خُلُقًا.

و قوله: بِئُهَا اسْتِثْنَاءٌ وَ بَيَانٌ تَفْصِيلِيٌّ لَخُلُقِ السَّمَاءِ.

و قوله: رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا أَى رَفَعَ سَقْفَهَا وَ مَا ارْتَفَعَ مِنْهَا، وَ تَسْوِيَّتُهَا تَرْتِيبَ أَجْزَائِهَا وَ تَرْكِيْبَهَا بِوَضْعِ كُلِّ جِزْءٍ فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي (الحجر ٢٩).

و قوله: وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُجَاهَا أَى أَظْلَمَ لَيْلَهَا وَ أَبْرَزَ نَهَارَهَا، وَ الْأَصْلُ فِي مَعْنَى الضَّحَى انْبِسَاطُ الشَّمْسِ وَ امْتِدَادُ النَّهَارِ أَرِيدُ بِهِ مَطْلَقُ النَّهَارِ بِقَرِينِهِ الْمَقَابِلَةَ وَ نَسَبَهُ اللَّيْلَ وَ الضَّحَى إِلَى السَّمَاءِ لِأَنَّ السَّبَبَ الْأَصْلِيَّ لَهَا سَمَاوِيٌّ وَ هُوَ ظُهُورُ الْأَجْرَامِ الْمَظْلَمَةِ بِشُرُوقِ الْأَنْوَارِ السَّمَاويَّةِ كَنُورِ الشَّمْسِ وَ غَيْرِهِ وَ خَفَاؤُهَا بِالِاسْتِتَارِ وَ لَا يَخْتَصُّ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ بِالْأَرْضِ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا بَلْ يِعْمَانُ سَائِرُ الْأَجْرَامِ الْمَظْلَمَةِ الْمُسْتَتِرَةِ.

وقوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَي بسطها ومدّها بعد ما بنى السماء و رفع سمكها و سوّاها و أغطش ليلها و أخرج ضحاها.

وقوله: أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا قيل: المرعى يطلق على الرعى بالكسر فالسكون و هو الكلاً كما يجيء مصدرا ميميا، و اسم زمان و مكان، و المراد باخراج مائها منها تفجير العيون و إجراء الأنهار عليها، و إخراج المرعى إنبات النبات عليها مما يتغذى به الحيوان و الإنسان فالظاهر أن المراد بالمرعى مطلق النبات الذى يتغذى به الحيوان و الانسان كما يشعر به قوله: «مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ» لا ما يختص بالحيوان كما هو الغالب فى استعماله.

وقوله: وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا أَي أثبتها على الارض لثلا تميد بكم و ادّخر فيها المياه و المعادن كما ينبى عنه سائر كلامه تعالى.

وقوله: مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ أَي خلق ما ذكر من السماء و الأرض و دبر ما دبر من أمرها ليكون متاعا لكم و لأنعامكم التى سخرها لكم تتمتعون به فى حياتكم فهذا الخلق و التدبير الذى فيه تمتيعكم يوجب عليكم معرفه ربكم و خوف مقامه و شكر نعمته فهناك يوم تجزون فيه بما عملتم فى ذلك إن خيرا فخييرا و إن شرا فشرا كما أن هذا الخلق و التدبير أشد من خلقكم فليس لكم أن تستبعدوا خلقكم ثانيا و تستصعبوه عليه تعالى.

قوله تعالى: فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ فِي الْمَجْمَعِ: و الطامه العالیه الغالبه يقال:

هذا أطم من هذا أى أعلى منه، و طمّ الطائر الشجره أى علاها و تسمى الداهيه التى لا يستطيع دفعها طامه. انتهى، فالمراد بالطامه الكبرى القيامه لأنها داهيه تعلقو و تغلب كل داهيه هائله، و هذا معنى اتصافها بالكبرى و قد اطلقت إطلاقا.

و تصدير الجمله بفاء التفريع للإشاره الى أن مضمونها أعنى مجيء القيامه من لوازم خلق السماء و الارض و جعل التدبير الجارى فيهما المترتبه على ذلك كما تقدمت الإشاره اليه.

قوله تعالى: يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْأُنْسَانُ مَا سَعَىٰ ظرف لمجىء الطامه الكبرى، والسعى هو العمل بجهد.

قوله تعالى: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَىٰ التبريز لإظهار و مفعول «يرى» منسى معرض عنه و المراد بمن يرى من له بصر يرى به، والمعنى و اظهرت الجحيم بكشف الغطاء عنها لكل ذى بصر فيشاهدونها مشاهده عيان.

فالأيه فى معنى قوله تعالى: لَقَدْ كُنْتَ فِي عَقْلِهِ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصُرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (ق ٢٢) غير أن آيه ق أوسع معنى.

و الآيه ظاهره فى أن الجحيم مخلوقه قبل يوم القيامة و إنما تظهر يومئذ ظهورا بكشف الغطاء عنها.

قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ تفصيل حال الناس يومئذ فى انقسامهم قسمين اقيم مقام الإجمال الذى هو جواب إذا المحذوف استغناء بالتفصيل عن الاجمال، و التقدير فإذا جاءت الطامه الكبرى انقسم الناس قسمين فأما من طغى، الخ.

و قد قسم تعالى الناس فى الآيات الثلاث الى أهل الجحيم و أهل الجنة - و قدم صفه أهل الجحيم لأن وجه الكلام الى المشركين - و عرّف أهل الجحيم بما وصفهم به فى قوله: «مَنْ طَغَىٰ وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» و قابل تعريفهم بتعريف أهل الجنة بقوله: «مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ» و سبيل ما وصف به الطائفتين على أى حال سبيل بيان الضابط.

و إذ كانت الطائفتان متقابلتين بحسب حالهما كان ما بين لكل منهما من الوصف مقابلا - لوصف الآخر فوصف أهل الجنة بالخوف من مقام ربهم - و الخوف تأثر الضعيف المقهور من القوى القاهر و خشوعه و خضوعه له - يقتضى كون طغيان أهل الجحيم - و الطغيان التعدى

عن الحد-هو عدم تأثرهم من قام ربهم بالاستكبار و خروجهم عن زى العبوديه فلا يخشعون و لا يخضعون و لا يجرون على ما أراده منهم و لا يختارون ما اختاره لهم من السعاده الخالده بل ما تهواه أنفسهم من زينه الحياه الدنيا.

وقوله: **وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ** الخ؛المقام اسم مكان يراد به المكان الذى يقوم فيه جسم من الأجسام و هو الأصل فى معناه ككونه اسم زمان و مصدرا ميميا لكن ربما يعتبر ما عليه الشىء من الصفات و الأحوال محلا و مستقرا للشىء بنوع من العناية فيطلق عليه المقام كالمنزله كما فى قوله تعالى فى الشهاده: **فَأَخْرَجْنَا مِنْ مَقَامَهُمَا** (المائدہ١٠٧) و قول نوح عليه السلام لقومه على ما حكاه الله **إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَ تَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ** (يونس ٧١)،و قول الملائكه على ما حكاه الله **وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ** (الصافات /١٦٤).

فمقامه تعالى المنسوب اليه بما أنه رب هو صفه ربوبيته بما تستلزمه أو تتوقف عليه من صفاته الكريمة كالعلم و القدره المطلقه و القهر و الغلبه و الرحمه و الغضب و ما يناسبها قال إيذانا به: **وَ لَا تَطْعُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَ مَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ وَ إِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا** ثم اهتدى (طه ٨٢)،و قال: **نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ** (الحجر ٥٠).

فمقامه تعالى الذى يخوف منه عباده مرحله ربوبيته التى هى المبدأ لرحمته و مغفرته لمن آمن و اتقى و لأليم عذابه و شديد عقابه لمن كذب و عصى.

### [سوره النازعات (٧٩): الآيات ٤٢ الى ٤٦]

يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيْمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبُتُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)



تعرض لسؤالهم عن وقت قيام الساعة و رد له بأن علمه ليس لأحد إلا الله فقد خصه بنفسه.

قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا الظاهر أن التعبير يسألونك لإفاده الاستمرار فقد كان المشركون بعد ما سمعوا حديث القيامة يراجعون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يَعِينَهُمْ وَقْتَهَا مَصْرِينَ عَلَى ذَلِكَ وَ قَدْ تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ.

و المرسى مصدر ميمي بمعنى الإثبات و الإقرار و قوله: «أَيَّانَ مُرْسَاهَا» بيان للسؤال و المعنى يسألك هؤلاء المنكرون للساعة المستهزون به عن الساعة متى إثباتها و إقرارها؟ أى متى تقوم القيامة.

قوله تعالى: فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا استفهام إنكارى و «فِيمَ أَنْتَ» مبتدأ و خبر، و «مِنْ» لابتداء الغايه، و الذكرى كثره الذكر و هو أبلغ من الذكر على ذكره الراغب.

و المعنى فى أى شىء أنت من كثره ذكر الساعة أى ما ذا يحصل لك من العلم بوقتها من ناحيه كثره ذكرها و بسبب ذلك أى لست تعلمها بكثره ذكرها.

أو الذكرى بمعنى حضور حقيقه معنى الشىء فى القلب، و المعنى -على الاستفهام الإنكارى- لست فى شىء من العلم بحقيقتها و ما هى عليه حتى تحيط بوقتها و هو أنسب من المعنى السابق.

قوله تعالى: إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا فى مقام التعليل لقوله: «فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا»

و المعنى لست تعلم وقتها لأن انتهاءها الى ربك فلا يعلم حقيقتها و صفاتها و منها تعين الوقت إلا ربك فليس لهم أن يسألوا عن وقتها و ليس فى وسعك أن تجيب عنها.

و ليس من البعيد-و الله أعلم- أن تكون الآيه فى مقام التعليل بمعنى آخر و هو أن الساعه تقوم بفاء الأشياء و سقوط الأسباب و ظهور أن لا ملك إلا لله الواحد القهار فلا ينتسب اليوم إلا اليه تعالى من غير أن يتوسط بالحقيقه بينه تعالى و بين اليوم أى سبب مفروض و منه الزمان فليس يقبل اليوم توقيتا بحسب الحقيقه.

و لذا لم يرد فى كلامه تعالى من التحديد إلا تحديد اليوم بانقراض نشأه الدنيا كقوله:

وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ (الزمر ٦٨) و ما فى معناه من الآيات الداله على خراب الدنيا بتبدل الأرض و السماء و انتشار الكواكب و غير ذلك.

و إلا تحديده بنوع من التمثيل و التشبيه كقوله تعالى: «كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا»، و قوله: «كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ (الأحقاف ٣٥)»، و قوله: «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ» ثم ذكر حق القول فى ذلك فقال: «وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ (الروم ٥٦)».

و يلوح الى ما مر ما فى مواضع من كلامه أن الساعه لا تأتى إلا بغته، قال تعالى: «ثُقُلْتَ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكَ كَانَتْكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمْتُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (الأعراف ١٨٧)» الى غير ذلك من الآيات.

و هذا وجه عميق يحتاج فى تمامه الى تدبر واف ليرتفع به ما يترأى من مخالفته لظواهر عدده من آيات القيامة و عليك بالتدبر فى قوله تعالى: «لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ فَصِبْرُكُمْ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (ق ٢٢)» و ما فى معناه من الآيات و الله المستعان.

قوله تعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا أَى إِنَّمَا كَلَفْنَاكَ بِإِنذَارٍ مَنْ يَخْشَى

الساعة دون الإخبار بوقت قيام الساعة حتى تجيبهم عن وقتها إذا سألوكم عنه فالقصر فى الآيه قصر أفراد بقصر شأنه صلى الله عليه وآله وسلم فى الإنذار و تنفى عنه العلم بالوقت و تعيينه لمن يسأل عنه.

و المراد بالخشيه على ما يناسب المقام الخوف منها إذا ذكر بها أى شأنه الخشيه لا فعليتها قبل الإنذار.

قوله تعالى: كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا بيان لقرب الساعة بحسب التمثيل و التشبيه بأن قرب الساعة من حياتهم الدنيا بحيث مثلهم حين يرونها مثلهم لو لبثوا بعد حياتهم فى الأرض عشيه أو ضحى تلك العشيه أى وقتا نسبته الى نهار واحد نسبه العشيه الى ما قبلها منه أو نسبه الضحى الى ما قبله منه.

و قد ظهر بما تقدم أن المراد باللبث لبث ما بين الحياه الدنيا و البعث أى لبثهم فى القبور لأن الحساب يقع على مجموع الحياه الدنيا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
(١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى  
(٤) أَمَا مِنْ إِسْتِغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ  
تَلْهَى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ  
(١٦)

وردت الروايات من طرق أهل السنه أن الآيات نزلت في قصه ابن ام مكتوم الأعمى دخل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعنده قوم من صناديد قريش يناجيهم في أمر الإسلام فعبس النبي عنه فعاتبه الله تعالى بهذه الآيات و في بعض الأخبار من طرق الشيعة إشاره الى ذلك.

و في بعض روايات الشيعة أن العابس المتولى رجل من بنى أميّه كان عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فدخّل عليه ابن ام مكتوم فعبس الرجل وقبض وجهه فنزلت الآيات: و سيوافيك تفصيل البحث عن ذلك في البحث الروائي التالي إن شاء الله تعالى.

و كيف كان الأمر فغرض السوره عتاب من يقدم الأغنياء و المترفين على الضعفاء و المساكين من المؤمنين فيرفع أهل الدنيا و يضع أهل الآخرة ثم ينجر الكلام الى الإشاره الى هوان أمر الإنسان في خلقه و تناهيه في الحاجه الى تدبير أمره و كفره مع ذلك بنعم ربه و تدبيره العظيم لأمره و تتخلص الى ذكر بعته و جزائه إنذاراً، و السوره مكيه بلا كلام.

قوله تعالى: عَبَسَ وَ تَوَلَّى أَي بَسْرٍ وَ قَبْضٍ وَ جِهَةٍ وَ أَعْرَضَ.

قوله تعالى: أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى تعليل لما ذكر من العبوس بتقدير لام التعليل.

قوله تعالى: وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى حال من فاعل

«عَبَسَ وَ تَوَلَّى» و المراد بالتركي التطهر بعمل صالح بعد التذكر الذي هو الاتعاظ و الانتباه للاعتقاد الحق، و نفع الذكرى هو دعوتها الى التركي بالإيمان و العمل الصالح.

و محصل المعنى: بسر و أعرض عن الأعمى لما جاءه و الحال أنه ليس يدري لعل الأعمى الذي جاءه يتطهر بصالح العمل بعد الإيمان بسبب مجيئه و تعلمه و قد تذكر قبل أو يتذكر بسبب مجيئه و اتعاظه بما يتعلم فتنفعه الذكرى فيتطهر.

و فى الآيات الأربع عتاب شديد و يزيد شدة بإتيان الآيتين الاوليين فى سياق الغيبة لما فيه من الإعراض عن المشافهه و الدلاله على تشديد الإنكار و إتيان الآيتين الأخيرتين فى سياق الخطاب لما فيه من تشديد التوبيخ و إلزام الحجه بسبب مواجهه بعد الإعراض و التقرير من غير واسطه.

و فى التعبير عن الجائى بالأعمى مزيد توبيخ لما أن المحتاج الساعى فى حاجته إذا كان أعمى فاقدا للبصر و كانت حاجته فى دينه دعتة الى السعى فيها خشيه الله كان من الحرى أن يرحم و يخص بمزيد الإقبال و التعطف لا أن ينقبض و يعرض عنه.

و قيل-بناء على كون المراد بالمعاتب هو النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ-: أن فى التعبير عنه أولا بضمير الغيبه إجلالا له لإيهام أن من صدر عنه العبوس و التولى غيره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لأنه لا يصدر مثله عن مثله، و ثانيا بضمير الخطاب إجلالا له أيضا لما فيه من الإيناس بعد الإيحاش و الإقبال بعد الإعراض.

و فيه أنه لا يلائمه الخطاب فى قوله بعد: «أَمَا مِنْ اسْتَعْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى» الخ؛ و العتاب و التوبيخ فيه أشد مما فى قوله: «عَبَسَ وَ تَوَلَّى» الخ؛ و لا إيناس فيه قطعا.

قوله تعالى: «أَمَا مِنْ اسْتَعْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَ مَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى الْغَنَى وَ اسْتِغْنَاءُ وَ التَّغْنَى وَ التَّغْنَى بِمَعْنَى عَلَى مَا ذَكَرَهُ الرَّاعِبُ فَالمراد بمن استغنى من تلبس بالغنى و لازمه التقدم و الرئاسه و العظمه فى أعين الناس و الاستكبار عن اتباع الحق قال تعالى: إِنَّ

الْإِنْسَانَ لِيَطْغَىٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ (العلق ٧) والتصدى التعرض للشىء بالإقبال عليه و الاهتمام بأمره.

و فى الآيه الى تمام ست آيات إشاره الى تفصيل القول فى ملاك ما ذكر من العبوس و التولى فعوتب عليه و محصله أنك تعتنى و تقبل على من استغنى و استكبر عن اتباع الحق و ما عليك أن لا يزكى و تلهى و تعرض عن يجهد فى التزكى و هو يخشى.

و قوله: وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزْكِي قِيل: «مَا» نافية و المعنى و ليس عليك بأس أن لا يتزكى حتى يبعثك الحرص على إسلامه الى الاعراض و التلهى عن أسلم و الإقبال عليه.

و قيل: «مَا» للاستفهام الإنكارى و المعنى و أى شىء يلزمك إن لم يتطهر من الكفر و الفجور فإنما أنت رسول ليس عليك إلا البلاغ.

و قيل: المعنى و لا تبالى بعدم تطهره من دنس الكفر و الفجور و هذا المعنى أنسب لسياق العتاب ثم الذى قبله ثم الذى قبله.

قوله تعالى: وَمَا مِنْ جَاءِكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَىٰ السعى الإسراع فى المشى فمعنى قوله: «وَمَا مِنْ جَاءِكَ يَسْعَىٰ» بحسب ما يفيد المقام: و أما من جاءك مسرعا ليتذكر و يتزكى بما يتعلم من معارف الدين.

و قوله: وَهُوَ يَخْشَىٰ أى يخشى الله و الخشيه آيه التذكر بالقرآن قال تعالى: مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ إِلَّا تَذَكْرًا لِمَنْ يَخْشَىٰ (طه ٣)، و قال: سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ (الأعلى ١٠).

و قوله: فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَىٰ أى تلهى و تتشاغل بغيره و تقديم ضمير «أنت» فى قوله: «فَأَنْتَ لَهُ تَصِيدُ» و قوله: «فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَىٰ» و كذا الضميرين «لَهُ» و «عَنْهُ» فى الآيتين لتسجيل العتاب و تشيته.

قوله تعالى: كَلَّا إِنَّهَا تَذَكَّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ «كَلَّا» ردع عما عوتب عليه من

العبوس و التولى و التصدى لمن استغنى و التلهى عنم يخشى.

و الضمير فى «إِنَّهَا تَذَكَّرُهُ» للآيات القرآنيه أو للقرآن و تأنيث الضمير لتأنيث الخبر و المعنى إن الآيات القرآنيه أو القرآن تذكره أى موعظه يتعظ بها من اعظ أو مذكر يذكر حق الاعتقاد و العمل.

و قوله: فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ جملة معترضه و الضمير للقرآن أو ما يذكر به القرآن من المعارف، و المعنى فمن شاء ذكر القرآن أو ذكر ما يذكر به القرآن و هو الانتقال الى ما تهدى اليه الفطره مما تحفظه فى لوحها من حق الاعتقاد و العمل.

و فى التعبير بهذا التعبير «فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ» تلويح الى أن لا- إكراه فى الدعوه الى التذكر فلا- نفع فيها يعود الى الداعى و إنما المنتفع بها المتذكر فليختر ما يختاره.

قوله تعالى: فى صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ قال فى المجمع: الصحف جمع صحيفه، و العرب تسمى كل مكتوب فيه صحيفه كما تسميه كتابا رقا كان أو غيره انتهى.

و «فى صُحُفٍ» خبر بعد خبر لأن و ظاهره أنه مكتوب فى صحف متعدده بأيدي ملائكه الوحي، و هذا يضعف القول بأن المراد بالصحف اللوح المحفوظ و لم يرد فى كلامه تعالى إطلاق الصحف و لا- الكتب و لا- الألواح بصيغه الجمع على اللوح المحفوظ، و نظيره فى الضعف القول بأن المراد بالصحف كتب الأنبياء الماضين لعدم ملاءمته لظهور قوله: «بِأَيْدِي سَفَرَةٍ» الخ؛ فى أنه صفة لصفح.

و قوله: مُّكْرَمَةٍ أى معظمه، و قوله: «مَرْفُوعَةٍ» أى قدرا عند الله، و قوله: «مُطَهَّرَةٍ» أى من قذاره الباطل و لغو القول و الشك و التناقض قال تعالى: لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ (حم السجده ٤٢/)، و قال: إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ (الطارق/ ١٤) و قال: ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ (البقره ٢/)، و قال: وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (النساء ٨٢/).



قوله تعالى: بِأَيْدِي سَفَرِهِ كِرَامٌ بَرَزَهُ صَفَهُ بَعْدَ صَفِهِ لَصَحْفٍ، وَالسَّفَرُهُ هُمُ السَّفَرَاءُ جَمْعُ سَفِيرٍ بِمَعْنَى الرَّسُولِ وَ«كِرَامٌ» صَفَهُ لَهُمْ بِاعْتِبَارِ ذَوَاتِهِمْ وَ«بَرَزَهُ» صَفَهُ لَهُمْ بِاعْتِبَارِ عَمَلِهِمْ وَهُوَ الْإِحْسَانُ فِي الْفِعْلِ.

وَمَعْنَى الْآيَاتِ أَنَّ الْقُرْآنَ تَذَكَّرَهُ مَكْتُوبُهُ فِي صَحْفٍ مُتَعَدِّدَةٍ مَرْفُوعَةٍ قَدْرًا مَطْهَرًا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وَقَذَارَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَاءٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كِرَامٍ عَلَى رَبِّهِمْ بَطْهَارُهُ ذَوَاتِهِمْ بِرَبِّهِ عِنْدَهُ تَعَالَى بِحَسَنِ أَعْمَالِهِمْ.

وَيُظْهِرُ مِنَ الْآيَاتِ أَنَّ لِلْوَحْيِ مَلَائِكَةً يَتَصَدَّقُونَ لِحَمْلِ الصَّحْفِ وَإِيْحَاءٍ مَا فِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ فَهَمُ أَعْوَانُ جَبْرِيلَ وَتَحْتَ أَمْرِهِ وَنَسْبِهِ إِلْقَاءِ الْوَحْيِ إِلَيْهِمْ لَا- تَنَافَى نَسَبْتَهُ إِلَى جَبْرِيلَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ (الشعراء ١٩٤/) وَقَدْ قَالَ تَعَالَى فِي صِفَتِهِ: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ (التكوير ٢١/) فَهُوَ مَطَاعٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ يَصْدُرُ عَنْ أَمْرِهِ وَيَأْتِي بِمَا يَرِيدُهُ وَالإِيْحَاءُ الَّذِي هُوَ فِعْلٌ أَعْوَانُهُ فَعَلَهُ كَمَا أَنَّ فَعْلَهُ وَفَعْلَهُمْ جَمِيعًا فَعَلَ اللَّهُ وَذَلِكَ نَظِيرُ كَوْنِ التَّوْفِي الَّذِي هُوَ فِعْلٌ أَعْوَانُ مَلِكِ الْمَوْتِ فَعَلَهُ، وَفَعْلَهُ وَفَعْلَهُمْ جَمِيعًا فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى، وَوَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى هَذَا الْبَحْثِ مَرَارًا (١).

### [سورة عبس (٨٠): الآيات ١٧ إلى ٤٢]

قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَبْنًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِهَةٌ (٣٨) ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ (٤٢)

ص: ٦٠٢

١-١. عبس ١-١٦: بحث روائي حول نزول سورة عبس؛ ليست الآيات ظاهره الدلالة على ان المراد بالذئ عبس و تولى هو النبى صلى الله عليه و آله و سلم، خلق رسول الله العظيم.



بيان:

قوله تعالى: قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ دعاء على الإنسان لما أنّ في طبعه التوغل في اتباع الهوى و نسيان ربوبيه ربه و الاستكبار عن اتباع أوامره.

و قوله: مَا أَكْفَرَهُ تعجيب من مبالغه في الكفر و ستر الحق الصريح و هو يرى أنه مدبر بتدبير الله لا يملك شيئاً من تدبير أمره غيره تعالى.

فالمراد بالكفر مطلق ستر الحق و ينطبق على إنكار الربوبيه و ترك العباده و يؤيده ما في ذيل الآيه من الاشاره الى جهات من التدبير الربوبى المتناسبه مع الكفر بمعنى ستر الحق و ترك العباده، و قد فسر بعضهم الكفر بترك الشكر و كفران النعمه و هو و إن كان معنى صحيحاً في نفسه لكن الأنسب بالنظر الى السياق هو المعنى المتقدم.

قال في الكشاف: «قُتِلَ الْإِنْسَانُ» دعاء عليه و هى من أشنع دعواتهم لأن القتل قصارى شدائد الدنيا و فظائعها و «مَا أَكْفَرَهُ» تعجب من إفراطه في كفران نعمه الله و لا ترى اسلوباً أغلظ منه، و لا- أخشن مساً، و لا أدل على سخط، و لا أبعد شوطاً في المذمه مع تقارب طرفيه، و لا أجمع للأئمه على قصر متنه، انتهى.

قوله تعالى: مِنْ أَىِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ معناه على ما يعطيه المقام من أى شىء خلق الله الإنسان حتى يحق له أن يطغى و يستكبر عن الإيمان و الطاعه، و حذف فاعل قوله: «خَلَقَهُ» و ما بعده من الأفعال للإشعار بظهوره فمن المعلوم بالفطره- و قد اعترف به المشركون- أن لا خالق إلا الله تعالى.

ص: ٦٠٤

والاستفهام بداعى تأكيد ما فى قوله: «مَا أَكْفَرَهُ» من العجب-و العجب إنما هو فى الحوادث التى لا يظهر لها سبب-فأفيد أولاً: أن من العجب إفراط الإنسان فى كفره ثم سئل ثانياً: هل فى خلقته إذ خلقه الله ما يوجب له الإفراط فى الكفر فاجيب بنفيه و أن لا حجة له يحتج بها و لا عذر يعتذر به فإنه مخلوق من ماء مهين لا يملك شيئاً من خلقته و لا من تدبير أمره فى حياته و مماته و نشره، و بالجمله الاستفهام توطئه للجواب الذى فى قوله: «مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ» الخ.

قوله تعالى: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ تَكْوِينًا لِّلْحَقِّيرِ «نُطْفَةٍ» للتحقير أى من نطفه مهينه حقيره خلقه فلا يحق له و أصله هذا الأصل أن يطغى بكفره و يستكبر عن الطاعة.

و قوله: فَقَدَرَهُ أى أعطاه القدر فى ذاته و صفاته و أفعاله فليس له أن يتعدى الطور الذى قدر له و يتجاوز الحد الذى عين له فقد أحاط به التدبير الربوبى من كل جانب ليس له أن يستقل بنيل ما لم يقدر له.

قوله تعالى: ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ ظاهر السياق المقصود به نفى العذر من الإنسان فى كفره و استكباره أن المراد بالسبيل-و قد أطلق- السبيل الى طاعه الله و امتثال أوامره و إن شئت فقل: السبيل الى الخير و السعادة.

فتكون الآيه فى معنى دفع الدخلى فإنه إذا قيل «مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ» أمكن أن يتوهم السامع أن الخلق و التقدير إذا كانا محيطين بالإنسان من كل جهه كانت أفعال الانسان لذاته و صفاته مقدره مكتوبه و متعلقه لمشيه الربوبيه التى لا تتخلف فتكون أفعال الانسان ضروريه الثبوت واجبه التحقق و الإنسان مجبراً عليها فاقدلاً للاختيار فلا صنع للإنسان فى كفره إذا كفر و لا فى فسقه إذا فسق و لم يقض ما أمره الله به و إنما ذلك بتقديره تعالى و إرادته فلا ذم و لا لائمه على الإنسان و لا دعوه دينيه تتعلق به لأن ذلك كله فرع للاختيار و لا اختيار.

فدفع الشبهه بقوله: «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ» و محصله أن الخلق و التقدير لا ينافيان كون

الانسان مختاراً فيما أمر به من الإيمان و الطاعة له طريق الى السعاده التى خلق لها فكل ميسر لما خلق له و ذلك أن التقدير واقع على الأفعال الانسانيه من طريق اختياره، و الإراده الربوبيه متعلقه بأن يفعل الانسان بإرادته و اختياره كذا و كذا فالفعل صادر عن الانسان باختياره و هو بما أنه اختيارى متعلق للتقدير.

فالانسان مختار فى فعله مسئول عنه و إن كان متعلقاً للقدر، و قد تقدم البحث عن هذا المعنى كرارا فى ذيل الآيات المناسبه له فى هذا الكتاب.

قوله تعالى: **ثُمَّ أَمَّا تَهُ فَأَقْبَرَهُ** الإمامه إيقاع الموت على الانسان، و المراد بالإقبار دفنه فى القبر و إخفاؤه فى بطن الأرض و هذا بالبناء على الغالب الذى جرى عليه ديدن الناس و بهذه المناسبه نسب اليه تعالى لأنه تعالى هو الذى هداهم الى ذلك و ألهمهم إياه فللفعل نسبه اليه كما له نسبه الى الناس.

قوله تعالى: **ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ** فى المجمع: الإنشاز الإحياء للتصرف بعد الموت كنشر الثوب بعد الطى. انتهى، فالمراد به البعث إذا شاء الله، و فيه إشاره الى كونه بغته لا يعلمه غيره تعالى.

قوله تعالى: **كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ** الذى يعطيه السياق أن «كَلَّا» ردع عن معنى سؤال يستدعيه السياق و يلوح اليه قوله: **لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ** كأنه لما أشير الى أن الإنسان مخلوق مدبر له تعالى من أول وجوده الى آخره من خلق و تقدير و تيسير للسبيل و إمامته و إقبار و إنشاز و كل ذلك نعمه منه تعالى سئل فقيل: فما ذا صنع الإنسان و الحال هذه الحال و هل خضع للربوبيه أو هل شكر النعمه فاجيب و قيل: كلا، ثم أوضح فقيل: لما يقض ما أمره الله به بل كفر و عصى.

قوله تعالى: **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ** متفرع على ما تقدم تفرع التفصيل على الإجمال ففيه توجيه نظر الإنسان الى طعامه الذى يقات به و يستمد منه لبقائه و هو واحد مما

لا يحصى مما هياه التدبير الربوبى لرفع حوائجه فى الحياه حتى يتأمله فيشاهد سعه التدبير الربوبى التى تدهش لبه و تحير عقله، و تعلق العنايه الإلهيه-على دقتها و إحاطتها-بصلاح حاله و استقامه أمره.

و المراد بالانسان-كما قيل-غير الإنسان المتقدم المذكور فى قوله: «قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ» فإن المراد به خصوص الإنسان المبالغ فى الكفر بخلاف الإنسان المذكور فى هذه الآيه المأمور بالنظر فإنه عام شامل لكل إنسان، و لذلك أظهر و لم يضم.

قوله تعالى: «أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا»-الى قوله- «وَلِنَعْلَمَ كُفْرَ الْقِرَاءِ الدَّائِرَةَ» «أَنَا» بفتح الهمزة و هو بيان تفصيلى لتدبيره تعالى طعام الإنسان نعم هو مرحله ابتدائيه من التفصيل و أما القول المستوفى لبيان خصوصيات النظام الذى هيا له هذه الامور و النظام الواسع الجارى فى كل من هذه الامور و الروابط الكونيه التى بين كل واحد منها و بين الإنسان فمما لا يسعه نطاق البيان عاده.

و بالجملة قوله: «أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا» الصب اراقه الماء من العلو، و المراد بصب الماء إنزال الأمطار على الأرض لإنبات النبات، و لا يبعد أن يشمل إجراء العيون و الأنهار فإن ما فى بطن الأرض من ذخائر الماء إنما يتكون من الأمطار.

و قوله: «ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ظَاهِرًا» شق الأرض بالنبات الخارج منها و لذا عطف على صب الماء بثم و عطف عليه إنبات الحب بالفاء.

و قوله: «فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ضَمِيرًا فِيهَا» للأرض، و المراد بالحب جنس الحب الذى يقات به الإنسان كالحنطة و الشعير و نحوهما و كذا فى العنب و القضب و غيرهما.

و قوله: «وَعِنَبًا وَقَضْبًا» العنب معروف، و يطلق على شجر الكرم و لعله المراد فى الآيه و نظيره الزيتون.

و القضب هو الغض الرطب من البقول الذى يأكله الإنسان يقضب أى يقطع مره بعد

أخرى، وقيل: هو ما يقطع من النبات فتعلف به الدواب.

و قوله: وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا معروفان.

و قوله: وَ حِدَائِقَ غُلْبًا الحدائق جمع حديقه و هى على ما فسر البستان المحوط و الغلب جمع غلباء يقال: شجره غلباء أى عظيمه غليظه فالحدائق الغلب البساتين المشتمله على أشجار عظام غلاظ.

و قوله: وَ فَاكِهَةً وَ أَبًا قِيلَ: الفاكهه مطلق الثمار، و قيل: ما عدا العنب و الزمان. قيل:

ان ذكر ما يدخل فى الفاكهه أولا كالزيتون و النخل للاعتناء بشأنه و الأب الكلاء و المرعى.

و قوله: مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ مفعول له أى أنبتنا ما أنبتنا مما تطعمونه ليكون تمتعا لكم و للأنعام التى خصصتموها بأنفسكم.

و الالتفات عن الغيبه الى الخطاب فى الآيه لتأكيد الامتتان بالتدبير أو بإنعام النعمه.

قوله تعالى: فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ إشارة الى ما ينتهى اليه ما ذكر من التدبير العام الربوبى للانسان بما أن فيه أمرا ربوبيا إلهيا بالعبودية يقضيه الانسان أو لا يقضيه و هو يوم القيامة الذى يوفى فيه الانسان جزاء أعماله.

و الصاخه: الصيحه الشديده التى تصم الأسماع من شدتها، و المراد بها نفخه الصور.

قوله تعالى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ إشارة الى شدة اليوم فالذين عدوا من أقرباء الانسان و أخصائه هم الذين كان يأوى اليهم و يأنس بهم و يتخذهم أعضاءا و أنصارا يلوذ بهم فى الدنيا لكنه يفر منهم يوم القيامة لما أن الشده أحاطت به بحيث لا تدعه يشغل بغيره و يعتنى بما سواه كائننا من كان فالبلبله اذا عظمت و اشتدت و أطلت على الانسان جذبته الى نفسها و صرفته عن كل شىء.

و الدليل على هذا المعنى قوله بعد: «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» أى يكفيه من أن يشغل بغيره.

قوله تعالى: **وَجُودٌ يُؤْمِنُ مَسِيرَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ** بيان لانقسام الناس يومئذ الى قسمين: أهل السعادة و أهل الشقاء، وإشاره الى أنهم يعرفون بسيماهم فى وجوههم و إسفار الوجه إشراقه و إضاءته فرحا و سرورا و استبشاره تهلله بمشاهده ما فيه البشرى.

قوله تعالى: **وَجُودٌ يُؤْمِنُ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ** هى الغبار و الكدوره و هى سيماء الهم و الغم.

قوله تعالى: **تَرْهُقُهُمْ قَتْرَةٌ** أى يعلوها و يغشاها سواد و ظلمه، و قد بين حال الطائفتين فى الآيات الأربع ببيان حال وجوههما لأن الوجه مرآة القلب فى سروره و مساءته.

قوله تعالى: **أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ** أى الجامعون بين الكفر اعتقادا و الفجور و هو المعصية الشنيعه عملا أو الكافرون بنعمه الله الفاجرون، و هذا تعريف للطائفة الثانيه و هم أهل الشقاء و لم يأت بمثله فى الطائفة الاولى و هم أهل السعادة لأن الكلام مسوق للانذار و الاعتناء بشأن أهل الشقاء.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (۱) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (۲) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (۳) وَإِذَا الْعِشَارُ  
عُطِّلَتْ (۴) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (۵) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (۶) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (۷) وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ (۸) بِأَيِّ ذَنْبٍ  
قُتِلَتْ (۹) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (۱۰) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (۱۱) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (۱۲) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (۱۳) عَلِمَتْ نَفْسٌ  
مَا أُخْضِرَتْ (۱۴)

تذكر السوره يوم القيامه بذكر بعض أشراتها و ما يقع فيه أو تصفه بأنه يوم ينكشف فيه للإنسان ما عمله من عمل ثم تصف القرآن بأنه مما ألقاه الى النبي صلى الله عليه و آله و سلم رسول سماوى و هو ملك الوحي و ليس بإلقاء شيطانى و لا أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم مجنون يمسه الشيطان.

و يشبه أن تكون السوره من السور العتائق النازله فى أوائل البعثه كما يشهد به ما فيها من تنزيهه صلى الله عليه و آله و سلم مما رموه به من الجنون و قد اتهموه به فى أوائل الدعوه و قد اشتملت على تنزيهه منه سوره «ن» و هى من العتائق.

و السوره مكيه بلا كلام.

قوله تعالى: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ التكوير اللف على طريق الإيداره كلف العمامه على الرأس، و لعل المراد بتكوير الشمس انظلام جرمها على نحو الإحاطه استعاره.

قوله تعالى: وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ انكدار الطائر من الهواء انقضاضه نحو الأرض، و عليه فالمراد سقوط النجوم كما يفيد قوله: وَ إِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (الانفطار / ٢) و يمكن أن يكون من الانكدار بمعنى التغير و قبول الكدوره فيكون المراد به ذهاب ضوئها.

قوله تعالى: وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ بما يصيبها من زلزلت الساعه من التسيير فتندكك و تكون هباء منبثا و تصير سرايا على ما ذكره سبحانه فى مواضع من كلامه.

قوله تعالى: وَ إِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ قيل: «العِشَارُ جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء و هى الناقه الحامل التى أتت عليها عشره أشهر فتسمى عشراء حتى تضع حملها و ربما سميت

عشراء بعد الوضع أيضا و هي من أنفس المال عند العرب.

و تعطيل العشار تركها مهملة لا- راعى لها و لا- حافظ يحفظها و كأن فى الجملة إشاره على نحو الكنايه الى أن نفائس الأموال التى يتنافس فيها الإنسان تبقى اليوم و لا صاحب لها يملكها و يتصرف فيها لأنهم مشغولون بأنفسهم عن كل شىء كما قال: لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (عبس ٣٧).

قوله تعالى: وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ الْوُحُوشُ جمع وحش و هو من الحيوان ما لا يتأنس بالإنسان كالسباع و غيرها.

و ظاهر الآيه من حيث وقوعها فى سياق الآيات الواصفه ليوم القيامة أن الوحوش محشوره كالإنسان، و يؤيده قوله تعالى: وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (الأنعام ٣٨).

و أما تفصيل حالها بعد الحشر و ما يؤول اليه أمرها فلم يرد فى كلامه تعالى و لا فيما يعتمد عليه من الاخبار ما يكشف عن ذلك نعم ربما استفيد من قوله فى آيه الأنعام: «أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ»، و قوله: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» بعض ما يتضح به الحال فى الجملة لا- يخفى على الناقد المتدبر، و ربما قيل: إن حشر الوحوش من أشراط الساعة لا- مما يقع يوم القيامة و المراد به خروجها من غاباتها و أكنانها.

قوله تعالى: وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ فَسِيرِ التَّسْجِيرِ بإضرام النار و فسر بالملا و المعنى على الأول و إذا البحار أضرمت نارا، و على الثانى و إذا البحار ملئت.

قوله تعالى: وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ أَمَا نفوس السعداء فبنساء الجنة قال تعالى:

لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ (النساء ٥٧)، و قال: وَ زُوِّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (الدخان ٥٤) و أما نفوس الأشقياء فبقراء الشياطين قال تعالى: أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوَاجَهُمْ وَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (الصافات ٢٢)، و قال: وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا

فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (الزخرف ٣٦).

قوله تعالى: وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ الْمَوْؤُدَةُ البنت التي تدفن حيه و كانت العرب تند البنات خوفا من لحقوق العار بهم من أجلهن كما يشير اليه قوله تعالى:

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْمُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ (النحل ٥٩).

و المسئول بالحقيقه عن قتل الموؤده أبوها الوائد لها لينتصف منه و ينتقم لكن عد المسئول في الآيه هي الموؤده نفسها فسئلت عن سبب قتلها لنوع من التعريض و التوبيخ لقاتلها و توطئه لأن تسأل الله الانتصاف لها من قاتلها حتى يسأل عن قتلها فيؤخذ لها منه، فالكلام نظير قوله تعالى في عيسى عليه السلام: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ (المائدة ١١٦).

قوله تعالى: وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ أَى للحساب، و الصحف كتب الأعمال.

قوله تعالى: وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ فِي المجمع الكشط القلع عن شده التراق فينطبق على طيها كما في قوله: وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ (الزمر ٦٧)، و قوله: وَ يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (الفرقان ٢٥) و غير ذلك من الآيات المفصحه عن هذا المعنى.

قوله تعالى: وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ التسعير تهيج النار حتى تتأجج.

قوله تعالى: وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ الإزلاف التقريب و المراد تقريبا من أهلها للدخول.

قوله تعالى: عَلِمَتْ نَفْسٌ مِمَّا أَحْضَرَتْ جواب اذا، و المراد بالنفس الجنس و المراد بما أحضرت عملها الذي عملته يقال: أحضرت الشيء أى وجدته حاضرا كما يقال:

أحمدته أى وجدته محمودا.

فَالآيَةِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ (آل عمران ٣٠) (١).

### [سورة التكوير (٨١): الآيات ١٥ إلى ٢٩]

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُوسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمِمَّا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَ لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمِمَّا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمِمَّا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمِمَّا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)

ص: ٦١٤

١-١). التكوير ١-١٤: بحث روائي حول قوله تعالى: «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» .

تنزيه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الجنون-وقد اتهموه به-ولما يأتي به-من القرآن-من مداخله الشيطان، وأنه كلامه تعالى يلقيه إليه ملك الوحي الذي لا يخون في رسالته، وأنه ذكر للعالمين هاد بإذن الله لمن اهتدى منهم.

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ الْخُنْسُ جَمْعُ خَانَسٍ كَطَلَبِ جَمْعِ طَالِبٍ، وَالْخُنُوسُ الْانْقِبَاضُ وَالتَّأَخُّرُ وَالِاسْتِتَارُ، وَالْجَوَارِيُّ جَمْعُ جَارِيَةٍ، وَالْجَرِيُّ السَّيْرُ السَّرِيعُ مُسْتَعَارٌ مِنْ جَرَى الْمَاءِ، وَالْكَنَسُ جَمْعُ كَانَسٍ وَالْكَنُوسُ دُخُولُ الْوَحْشِ كَالطَّبِيِّ وَالطَّيْرِ كِنَاسِهِ أَيْ بَيْتِهِ الَّذِي اتَّخَذَهُ لِنَفْسِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ فِيهِ.

و تعقب قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ الخ؛ بقوله: ﴿وَ اللَّيْلِ إِذَا عَسَيْتَ عَسَ وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسْتَ﴾ يؤيد كون المراد بالخنس الجوار الكنس الكواكب كلها أو بعضها لكن صفات حركه بعضها أشد مناسبه و أوضح انطباقا على ما ذكر من الصفات المقسم بها: الخنوس و الجرى و الكنوس و هى السيارات الخمس المتحيره: زحل و المشترى و المريخ و الزهره و عطارد فإن لها فى حركاتها على ما تشاهد استقامه و رجعه و إقامه فهى تسير و تجرى حركه متشابهه زمانا و هى الاستقامه و تنقبض و تتأخر و تخنس زمانا و هى الرجعه و تقف عن الحركه استقامه و رجعه زمانا كأنها الوحش تنكس فى كناسها و هى الإقامه.

قوله تعالى: ﴿وَ اللَّيْلِ إِذَا عَسَيْتَ عَسَ عَطْفَ عَلَى الْخُنُسِ، وَ «إِذَا عَسَيْتَ عَسَ» قِيدٌ لِلَّيْلِ، وَ الْعَسْعَسَةُ تَطْلُقُ عَلَى إِقْبَالِ اللَّيْلِ وَ عَلَى إِدْبَارِهِ قَالَ الرَّاعِبُ: «وَ اللَّيْلِ إِذَا عَسَيْتَ عَسَ» أَيْ أَقْبَلَ وَ أَدْبَرَ وَ ذَلِكَ فِي مَبْدِئِ اللَّيْلِ وَ مَتْنَاهُ فَالْعَسْعَسَةُ وَ الْعَسَّاسُ رِقَّةُ الظَّلامِ وَ ذَلِكَ فِي طَرْفِ اللَّيْلِ.

انتهى و الأنسب لاتصال الجملة بقوله: ﴿وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسْتَ﴾ أن يراد بها إدبار الليل.

قوله تعالى: ﴿وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسْتَ عَطْفَ عَلَى الْخُنُسِ، وَ «إِذَا تَنَفَّسْتَ» قِيدٌ لِلصُّبْحِ،

وعدّ الصيغ متنفسا بسبب انبساط ضوئه على الافق و دفعه الظلمه التي غشيتها نوع من الاستعاره بتشبيهه الصيغ و قد طلع بعد غشيان الظلام للآفاق بمن أحاطت به متاعب أعمال شاقه ثم وجد خلاء من الزمان فاستراح فيه و تنفس فعد إضاءته للآفاق تنفسا منه كذا يستفاد من بعضهم.

قوله تعالى: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ جَوَابَ الْقَسْمِ، وَضَمِيرٌ «إِنَّهُ» لِلْقُرْآنِ أَوْ لِمَا تَقْدُمُ مِنْ آيَاتِ السُّورَةِ بِمَا أَنَّهَا قُرْآنٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «لَقَوْلُ رَسُولٍ» الخ؛ والمراد بالرسول جبريل كما قال تعالى: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ (البقره ٩٧).

و في إضافه القول اليه بما أنه رسول دلالة على أن القول لله سبحانه، و نسبتبه الى جبريل نسبة الرساله الى الرسول و قد وصفه الله بصفات ست مدحه بها.

فقوله: رَسُولٍ يدل على رسالته و إلقائه وحي القرآن الى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و قوله:

«كَرِيمٍ» أى ذى كرامه و عزه عند الله بإعزازه، و قوله: «ذِي قُوَّةٍ» أى ذى قدره و شده بالغه، و قوله: «عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ» أى صاحب مكانه عند الله و المكانه القرب و المنزله، و قوله:

«مُطَاعٍ ثُمَّ» أى مطاع عند الله فهناك ملائكه يأمرهم فيطيعونه، و من هنا يظهر أن له أعوانا من الملائكه يأمرهم فيأتمرون بأمره، و قوله: «أَمِينٍ» أى لا يخون فيما امر به يبلغ ما حمّله من الوحي و الرساله من غير أى تصرف فيه.

قوله تعالى: وَ مَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ عطف على قوله: «إِنَّهُ لَقَوْلُ» الخ؛ وورد لرميهم له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالجنون.

و فى التعبير عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «صَاحِبُكُمْ» تكذيب لهم فى رميهم له بالجنون و تنزيه لساحته- كما قيل- ففيه إيماء الى أنه صاحبكم لبث بينكم معاشرًا لكم طول عمره و أنتم أعرف به قد وجدتموه على كمال من العقل و رزانه من الرأى و صدق من القول و من هذه صفته

لا يرمى بالجنون.

و توصيف جبريل بما مر من صفات المدح دون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا دلالة فيه على أفضليته من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأن الكلام مسوق لبيان أن القرآن كلام الله سبحانه منزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من عنده سبحانه من طريق الوحي لا من أوهام الجنون بالقاء من شيطان و الذي يفيد في هذا الغرض بيان سلامه طريق الإنزال و تجليل المنزل-اسم فاعل-بذكر أوصافه الكريمه و المبالغه في تنزيهه عن الخطأ و الخيانه، و أما المنزل عليه فلا- يتعلق به غرض إلا بمقدار الإشاره الى دفع ما يرتاب فيه من صفته و قد افيد بنفى الجنون الذي رموه به و التعبير عنه بقوله: «صَاحِبُكُمْ» كما تقدم توضيحه، كذا قيل.

و في مطاوى كلامه تعالى من نعوت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الكريمه ما لا يرتاب معه في أفضليته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على جميع الملائكه، و قد أسجد الله الملائكه كلهم أجمعين للإنسان الذي هو خليفته في الأرض.

قوله تعالى: وَ لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ضمير الفاعل في «رَأَاهُ» للصاحب و ضمير المفعول للرسول الكريم و هو جبريل.

و الافق المبين الناحيه الظاهره، و الظاهر أنه الذي أشار اليه بقوله: وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (النجم ٧).

و المعنى و اقسام لقد رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جبريل حال كون جبريل كائنا في الافق المبين و هو الافق الأعلى من سائر الآفاق بما يناسب عالم الملائكه.

و فيه أن لا- دليل من اللفظ يدل عليه و خاصه في تعلق لرؤيه بصورته الأصليه و رؤيته في أى مثال تمثل به رؤيته، و كأنه مأخوذ مما ورد في بعض الروايات أنه رآه في أول البعثه و هو بين السماء و الأرض جالس على كرسى، و هو محمول على التمثل.

قوله تعالى: وَ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ الضمير للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و المراد بالغيب



الوحي النازل عليه، والذين صفة مشبهه من الضن بمعنى البخل يعنى أنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يبخل بشيء مما يوحى إليه فلا يكتمه ولا يحسبه ولا يغيره بتبديل بعضه أو كله شيئاً آخر بل يعلم الناس كما علمه الله ويبلغهم ما أمر بتبليغه.

قوله تعالى: وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ نفى لاستناد القرآن الى إلقاء شيطان بما هو أعم من طريق الجنون فإن الشيطان بمعنى الشرير والشيطان الرجيم كما اطلق في كلامه تعالى على إبليس وذريته كذلك اطلق على أشرار سائر الجن قال تعالى: قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (ص ٧٧)، وقال: وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (الحجر ١٧).

فالمعنى أن القرآن ليس بتسويل من إبليس وجنوده ولا بإلقاء من أشرار الجن كما يلقونه على المجانين.

قوله تعالى: فَأَيَّنَ تَذْهَبُونَ أوضح سبحانه في الآيات السبع المتقدمة ما هو الحق في أمر القرآن دافعا عنه ارتيابهم فيه بما يرمون به الجائى به من الجنون وغيره على إيجاز متون الآيات فبين أولا أنه كلام الله و اتكاء هذه الحقيقة على آيات التحدى، وثانيا أن نزوله برسالة ملك سماوى جليل القدر عظيم المنزله وهو أمين الوحي جبريل لا حاجز بينه وبين الله ولا بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا صارف من نفسه أو غيره يصرفه عن أخذه ولا حفظه ولا تبليغه، وثالثا أن الذى انزل عليه وهو يتلوه لكم وهو صاحبكم الذى لا يخفى عليكم حاله ليس بمجنون كما يبهتونه به وقد رأى الملك الحامل للوحي وأخذ عنه وليس بكاتم لما يوحى إليه ولا بمغتر، ورابعا أنه ليس بتسويل من إبليس وجنوده ولا بإلقاء من بعض أشرار الجن.

و نتيجة هذا البيان أن القرآن كتاب هدى يهتدى به من أراد الاستقامة على الحق وهو قوله: «إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» الخ.

فقوله: «فَأَيَّنَ تَذْهَبُونَ» توطئه و تمهيد لذكر نتيجة البيان السابق، وهو استضلال لهم فيما يرونه في أمر القرآن الكريم أنه من طوارى الجنون أو من تسويلات الشيطان الباطله.

فالاستفهام فى الآيه توييخى و المعنى إذا كان الأمر على هذا فأين تذهبون و تتركون الحق وراءكم؟

قوله تعالى: **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** أى تذكره لجماعات الناس كائنين من كانوا يمكنهم بها أن يتبصروا للحق، و قد تقدم بعض الكلام فى نظيره الآيه.

قوله تعالى: **لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ** بدل من قوله: **«لِلْعَالَمِينَ»** مسوق لبيان أن فعليه الانتفاع بهذا الذكر مشروط بأن يشاءوا الاستقامه على الحق و هو التلبس بالثبات على العبوديه و الطاعه.

قوله تعالى: **وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** تقدم الكلام فى معناه فى نظائر الآيه.

و الآيه بحسب ما يفيدته السياق فى معنى دفع الدخل فإن من الممكن أن يتوهموا من قوله:

**«لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ»** أن لهم الاستقلال فى مشيه الاستقامه ان شاءوا استقاموا و ان لم يشاءوا لم يستقيموا، فلهه اليهم حاجه فى الاستقامه التى يريدونها منهم.

فدفع ذلك بأن مشيتهم متوقفه على مشيه الله سبحانه فلا يشاءون الاستقامه الا أن يشاء الله أن يشاؤها، فأفعال الإنسان الإراديه مراده لله تعالى من طريق ارادته و هو أن يريد الله أن يفعل الإنسان فعلا كذا و كذا عن ارادته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ; وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْمَآبِرَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصِيلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)

تحدّ السوره يوم القيامه ببعض أشرطه الملازمه له المتصله به و تصفه بما يقع فيه و هو ذكر الانسان ما قدم و ما أخر من أعماله الحسنه و السيئه-على أنها محفوظه عليه بواسطه حفظه الملائكه الموكلين عليه-و جزاؤه بعمله إن كان برا فبنعيم و إن كان فاجرا مكذبا بيوم الدين فبجحيم يصلها مخلدا فيها.

ثم يستأنف وصف اليوم بأنه يوم لا يملكك نفس لنفس شيئا و الأمر يومئذ لله، و هي من غرر الآيات، و السوره مكيه بلا كلام.

قوله تعالى: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ الْفَطْرِ الشَّقِ وَالانْفِطَارِ الْانْشِقَاقِ وَالْآيَةِ كَقَوْلِهِ:

وَ انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَهِيَةٌ (الحاقه ١٦).

قوله تعالى: وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَبَثَتْ أَى تفرقت بتركها مواضعها التى ركزت فيها شبهت الكواكب بالآلى منظومه قطع سلكها فانثرت و تفرقت.

قوله تعالى: وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ قَالَ فِي الْمَجْمَعِ: التفجير خرق بعض مواضع الماء الى بعض التكثير، ومنه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج الى كثير من الذنوب، ومنه الفجر لانفجاره بالضياء، انتهى. و اليه يرجع تفسيرهم لتفجير البحار بفتح بعضها في بعض حتى يزول الحائل و يختلط العذب منها و المالح و يعود بحرا واحدا، وهذا المعنى يناسب تفسير قوله:

وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (التكوير ٦) بامتلاء البحار.

قوله تعالى: وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ قَالَ فِي الْمَجْمَعِ: بعثت الحوض و بحثرته إذا جعلت أسفله أعلاه، و البعثره و البحثره إثارة الشيء بقلب باطنه الى ظاهره، انتهى. فالمعنى و إذا قلب تراب القبور و أثير باطنها الى ظاهرها لإخراج الموتى و بعثهم للجزاء.

قوله تعالى: عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا قَدَّمْتُ وَ أَخَّرْتُ الْمَرَادُ بِالْعِلْمِ عِلْمُهَا التَّفْصِيلِي بِأَعْمَالِهَا الَّتِي عَمَلْتَهَا فِي الدُّنْيَا، وَ هَذَا غَيْرَ مَا يَحْصُلُ لَهَا مِنَ الْعِلْمِ بِنَشْرِ كِتَابِ أَعْمَالِهَا لِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: بَلِ الْإِنْسَانُ عَلِيٌّ نَفْسِهِ بِصَبْرَةٍ وَ لَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (القيامة ١٥) وَ قَوْلِهِ: يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (النازعات ٣٥)، وَ قَوْلِهِ: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ (آل عمران ٣٠).

و المراد بالنفس جنسها فتفيد الشمول، و المراد بما قدمت و ما أخرت هو ما قدمته مما عملته في حياتها، و بما أخرت ما سنته من سنه حسنه أو سيئه فعملت بها بعد موتها فتكتب صحيفه عملها قال تعالى: وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَارَهُمْ (يس ١٢).

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ - الى قوله - رَكَّبَكَ عِتَابَ وَ تَوَيْخَ لِلْإِنْسَانِ، و المراد بهذا الإنسان المكذب ليوم الدين - على ما يفيد السباق المشتمل على قوله: «بل تكذبون بيوم الدين» و في تكذيب يوم الدين كفر و إنكار لتشريع الدين و في إنكاره إنكار لرَبِّيهِ الرب تعالى، و إنما وجه الخطاب اليه بما أنه إنسان ليكون حجه أو كالحجه لثبوت الخصال التي يذكرها من نعمه عليه المختصه من حيث المجموع بالإنسان.

وقد علقت الغرور بصفتي ربوبيته و كرمه تعالى ليكون ذلك حجه في توجه العتاب و التوبيخ فإن تمرد المربوب و توغله في معصيه ربه الذى يدبر أمره و يغشيه نعمه ظاهره و باطنه كفران لا ترتاب الفطره السليمه فى قبحه و لا فى استحقاق العقاب عليه و خاصه إذا كان الرب المنعم كريما لا يريد فى نعمه و عطايه نفعا ينتفع به و لا عضوا يقابله به المنعم عليه، و يسامح فى إحسانه و يصفح عما يأتى به المربوب من الخطيئه و الإثم بجهاله فإن الكفران حينئذ أقبح و أقبح و توجه الدم و اللائمه أشد و أوضح.

فقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ استفهام توبيخى يوبخ الإنسان بكفران خاص لا عذر له يعتذر به عنه و هو كفران نعمه رب كريم.

و ليس للانسان أن يجيب فيقول: أى رب غرنى كرمك فقد قضى اللّٰمه سبحانه فيما قضى و بلغه بلسان أنبيائه لئن شكرتم لأزيدنكم و لئن كفرتم إن عذابى لشديد (إبراهيم ٧)، و قال: فَأَمَّا مَن ظَعِنَ وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (النازعات ٣٩)، الى غير ذلك من الآيات الناصه فى أن لا مخلص للمعاندین من العذاب و أن الكرم لا يشملهم يوم القيامة قال: وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ (الأعراف ١٥٦).

و لو كفى الانسان العاصى قوله: «غرنى كرمك» لصرف العذاب عن الكافر المعاند كما يصرفه عن المؤمن العاصى، و لا عذر بعد البيان.

و قوله: الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ بيان لربوبيته المتلبسه بالكرم فإن من تدبيره خلق الانسان بجمع أجزاء وجوده ثم تسويته بوضع كل عضو فيما يناسبه من الموضع على ما يقتضيه الحكمة ثم عدله بعدل بعض أعضائه و قواه ببعض يجعل التوازن و التعادل بينها فما يضعف عنه عضو يقوى عليه عضو فيتم به فعله كما أن الأكل مثلا بالالتقام و هو للفم، و يضعف الفم عن قطع اللقمه و نهشها و طحنها فيتم ذلك بمختلف الأسنان، و يحتاج ذلك الى نقل اللقمه من جانب من الفم الى آخر و قلبها من حال الى حال فجعل ذلك للسان ثم الفم

يحتاج في فعل الأكل الى وضع الغذاء فيه فتوصل الى ذلك باليد و تتم عملها بالكف و عملها بالأصابع على اختلاف منافعها و عملها بالأنامل، و تحتاج اليد في الأخذ و الوضع الى الانتقال المكاني نحو الغذاء و عدل ذلك بالرجل.

و على هذا القياس في أعمال سائر الجوارح و القوى و هى الوف و الوف لا- يحصيها العد، و الكل من تدبيره تعالى و هو المفيض لها من غير أن يريد بذلك انتفاعا لنفسه و من غير أن يمنعه من إفاضتها ما يقابله به الانسان من نسيان الشكر و كفران النعمه فهو تعالى ربه الكريم.

و قوله: فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ بَيَانٌ لِقَوْلِهِ: «فَعَيَّدَلَكَ» و لذا لم يعطف على ما تقدمه و الصورة ما ينتقش به الأعيان و يتميز به الشيء من غيره و «مَا» زائده للتأكيد.

و المعنى: في أى صورته شاء أن يركبك- و لا- يشاء إلا- ما تقتضيه الحكمة- ركبك من ذكر و أنثى و أبيض و أسود و طويل و قصير و وسيم و دميم و قوى و ضعيف الى غير ذلك و كذا الأعضاء المشتركة بين أفراد الإنسان المميزه لها من غيرها كاليدين و الرجلين و العينين و الرأس و البدن و استواء القامه و نحوها فكل ذلك من عدل بعض الأجزاء ببعض في التركيب قال تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (التين ٤/٤) و الجميع ينتهى الى تدبير الرب الكريم لا صنع للانسان فى شيء من ذلك.

قوله تعالى: كَلَّا- يَلُ تُكَدُّبُونَ بِاللِّدِينِ «كَلَّا» ردع عن اغترار الانسان بكرم الله و جعل ذلك ذريعه الى الكفر و المعصيه أى لا تغتروا فلا ينفعكم الاغترار.

و قوله: يَلُ تُكَدُّبُونَ بِاللِّدِينِ أى بالجزاء. إضراب عما يفهم من قوله: «مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» من غرور الانسان بربه الكريم على اعتراف منه و لو بالقوه بالجزاء لقضاء الفطره السليمه به.

فإذ عاتب الإنسان و وبخه على غروره بربه الكريم و اجترائه على الكفران و المعصيه من غير أن يخاف الجزاء أضرب عنه مخاطبا للانسان و كل من يشاركه فى كفره و معصيته فقال: بل

أنت و من حاله حالك تكذبون بيوم الدين و الجزاء فتجحدونه ملحين عليه.

قوله تعالى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ إشاره الى أن أعمال الانسان حاضره محفوظه يوم القيامة من طريق آخر غير حضورها للانسان العامل لها من طريق الذكر و ذلك حفظها بكتابه كتاب الاعمال من الملائكه الموكلين بالانسان فيحاسب عليها كما قال تعالى: وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (الإسراء/١٤).

فقوله: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ أى إن عليكم من قبلنا حافظين يحفظون أعمالكم بالكتابه كما يفيدہ السياق.

و قوله: كِرَامًا كَاتِبِينَ أى اولى كرامه و عزه عند الله تعالى و قد تكرر فى القرآن الكريم وصف الملائكه بالكرامه و لا يبعد أن يكون المراد به بإعانه من السياق كونهم بحسب الخلقه مصونين عن الإثم و المعصيه مفطورين على العصمه، و يؤيده قوله: بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (الأنبياء/٢٦) حيث دل على أنهم لا يريدون إلا ما أَرَادَهُ اللهُ و لا يفعلون إلا ما أمرهم به، و كذا قوله: كِرَامٌ بَرَزَهُ (عبس/١٦).

و المراد بالكتابه فى قوله: «كَاتِبِينَ» كتابه الأعمال بقريته قوله: «يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» و قد تقدم فى تفسير قوله: إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (الجاثيه/٢٩) كلام فى معنى كتابه الأعمال فليراجعه من شاء.

و قوله: يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ نفى لخطئهم فى تشخيص الخير و الشر و تمييز الحسنه و السيئه كما أن الآيه السابقه متضمنه لتنزيههم عن الإثم و المعصيه فهم محيطون بالأفعال على ما هى عليه من الصفه و حافظون لها على ما هى عليه.

و لا تعيين فى هذه الآيات لعدده هؤلاء الملائكه الموكلين على كتابه أعمال الانسان نعم



المستفاد من قوله تعالى: إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ (ق١٧/١) أن على كل إنسان منهم اثنين عن يمينه و شماله، وقد ورد في الروايات المأثوره أن الذى على اليمين كاتب الحسنات و الذى على الشمال كاتب السيئات.

و ورد أيضا فى تفسير قوله: إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (الإسراء٧٨) أخبار مستفيضه من طرق الفريقين داله على أن كتبه الأعمال بالنهار يصعدون بعد غروب الشمس و ينزل آخرون فيكتبون أعمال الليل حتى إذا طلع الفجر صعدهوا و نزل ملائكه النهار و هكذا.

و فى الآيه أعنى قوله: «يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» دلالة على أن الكتبه عالمون بالنيات إذ لا- طريق الى العلم بخصوصيات الافعال و عناوينها و كونها خيرا أو شرا أو حسنه أو سيئه إلا العلم بالنيات فعلمهم بالأفعال لا يتم إلا عن العلم بالنيات.

قوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ استئناف مبين لنتيجه حفظ الاعمال بكتابه الكتبه و ظهورها يوم القيامة. و الأبرار هم المحسنون عملا، و الفجار هم المنخرقون بالذنوب و الظاهر أن المراد بهم المتهتكون من الكفار إذ لا خلود لمؤمن فى النار، و فى تنكير «نَعِيمٍ» و «جَحِيمٍ» إشعار بالتفخيم و التهويل - كما قيل -.

قوله تعالى: يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ الضمير للجحيم أى يلزمون يعنى الفجار الجحيم يوم الجزاء و لا يفارقونها.

قوله تعالى: وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ عطف تفسيري على قوله: «يَصْلَوْنَهَا» الخ؛ يؤكد معنى ملازمتهم للجحيم و خلودهم فى النار، و المراد بغيبتهم عنها خروجهم منها فالآيه فى معنى قوله: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (البقره١٦٧).

قوله تعالى: وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ تهويل و تفخيم لأمر يوم الدين، و المعنى لا تحيط علما بحقيقه يوم الدين و هذا التعبير كناية عن فخامه أمر الشئ و علوه من أن يناله

وصف الواصف، و فى إظهار اليوم-و المحل محل الضمير- تأكيد لأمر التفخيم.

قوله تعالى: ثُمَّ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ فى تكرار الجملة تأكيد للتفخيم.

قوله تعالى: يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ الظرف منصوب بتقدير اذكر و نحوه، و فى الآية بيان إجمالى لحقيقته يوم الدين بعد ما فى قوله: «وَمَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ» من الحث على معرفته.

و ذلك أن رابطة التأثير و التأثير بين الأسباب الظاهرية و مسبباتها منقطعه زائله يومئذ كما يستفاد من أمثال قوله تعالى: وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (البقره ١٦٦)، و قوله: وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (البقره ١٦٥) فلا تملكك نفس لنفس شيئاً فلا تقدر على دفع شر عنها و لا جلب خير لها، و لا ينافى ذلك آيات الشفاعة لأنها بإذن الله فهو المالك لها لا غير.

و قوله: وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ أى هو المالك للأمر ليس لغيره من الأمر شىء.

و المراد بالأمر كما قيل واحد الأوامر لقوله تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (المؤمن ١٦) و شأن الملك المطاع، الأمر بالمعنى المقابل للنهى، و الأمر بمعنى الشأن لا يلائم المقام تلك الملاءمه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ  
يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي  
سَجِّينٍ (٧) وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكْذَبُ  
بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ  
عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ  
لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١)

تفتتح السوره بوعيد أهل التطفيؑ في الكيل و الوزن و تنذرهم بأنهم مبعوثون للجزاء في يوم عظيم و هو يوم القيامة ثم تتخلص لتفصيل ما يجرى يومئذ على الفجار و الأبرار.

و الأنسب بالنظر الى السياق أن يكون أول السوره المشتمل على وعيد المطففين نازلا بالمدينه و أما ما يتلوه من الآيات الى آخر السوره فيقبل الانطباق على السياقات المكيه و المدينه.

قوله تعالى: وَيَلُّ لِلْمُطَفِّينَ دعاء على المطففين و التطفيؑ نقص المكيال و الميزان، و قد نهى الله تعالى عنه و سماه إفسادا في الأرض كما فيما حكاه من قول شعيب و يَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (هود/

٨٤)، وقد تقدم الكلام فى تفسير الآيه فى معنى كونه إفسادا فى الأرض.

قوله تعالى: الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ الاكتيال من الناس الأخذ منهم بالكيل، و تعديته بعلی لإفاده معنى الضرر، و الكيل إعطاؤهم بالمكيال يقال: كاله طعامه و وزنه و كال له طعامه و وزن له و الأول لغه أهل الحجاز و عليه التنزيل و الثانى لغه غيرهم كما فى المجمع، و الاستيفاء أخذ الحق تاما كاملا، و الإخسار الإيقاع فى الخساره.

و المعنى: الذين إذا أخذوا من الناس بالكيل يأخذون حقهم تاما كاملا، و إذا أعطوا الناس بالكيل أو الوزن ينقصون فيوقعونهم فى الخسران.

قوله تعالى: أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ الاستفهام للإنكار و التعجيب، و الظن بمعناه المعروف و الإشاره الى المطففين باولئك الموضوعه للإشاره البعيده للدلاله على بعدهم من رحمه الله، و اليوم العظيم يوم القيامة الذى يجازون فيه بعملهم.

و الاكتفاء بظن البعث و حسابه- مع أن من الواجب الاعتقاد العلمى بالمعاد- لأن مجرد حسابان الخطر و الضرر فى عمل يوجب التجنب عنه و التحرز عن اقترافه و إن لم يكن هناك علم فالظن بالبعث ليوم عظيم يؤاخذ الله فيه الناس بما كسبوا من شأنه أن يردعهم عن اقتراف هذا الذنب العظيم الذى يستتبع العذاب الاليم.

و قيل: الظن فى الآيه بمعنى العلم.

قوله تعالى: يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ المراد به قيامهم من قبورهم - كناية عن تلبسهم بالحياه بعد الممات - لحكمه تعالى و قضائه بينهم.

قوله تعالى: كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ رَدَعٌ - كما قيل - عما كانوا عليه من التطفيف و الغفله عن البعث و الحساب.

وقوله: إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينِ الخ؛ الذى يعطيه التدبر فى سياق الآيات الأربع بقياس بعضها الى بعض و قياس المجموع الى مجموع قوله: «كَلَّا- إِنَّ كِتَابَ الْمُنِيرِ لَفِي عِلِّيِّينَ» الى تمام أربع آيات أن المراد بسجّين ما يقابل عليين و معناه علو على علو مضاعف ففيه شىء من معنى السفلى و الانحباس فيه كما يشير اليه قوله: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (التين / ٥) فالأقرب أن يكون مبالغه من السجن بمعنى الحبس كسكير و شرب من السكر و الشرب فمعناه الذى يحبس من دخله على التخليد كما قيل.

و الكتاب بمعنى المكتوب من الكتابه بمعنى القضاء المحتوم و المراد بكتاب الفجار ما قدره الله لهم من الجزاء و أثبته بقضائه المحتوم.

فمحصل الآيه أن الذى أثبته الله من جزائهم أو عده لهم لفي سجّين الذى هو سجن يحبس من دخله حبسا طويلا أو خالدا.

وقوله: وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَجِّينٌ مَسُوقٌ لِلتَّهْوِيلِ.

وقوله: كِتَابٌ مَرْقُومٌ خبر لمبتدأ محذوف هو ضمير راجع الى سجّين و الجملة بيان لسجّين و «كِتَابٌ» أيضا بمعنى المكتوب من الكتابه بمعنى القضاء و الإثبات، و «مَرْقُومٌ» من الرقم، قال الراغب: الرقم الخط الغليظ، و قيل: هو تعجيم الكتاب، و قوله تعالى: «كِتَابٌ مَرْقُومٌ» حمل على الوجهين. انتهى، و المعنى الثانى أنسب للمقام فيكون إشاره الى كون ما كتب لهم متبيننا لا- إبهام فيه أى إن القضاء حتم لا يتخلف.

و المحصل أن سجّين مقضى عليهم مثبت لهم متبين متميز لا إبهام فيه.

ولا- ضمير فى لزوم كون الكتاب ظرفا للكتاب على هذا المعنى لأن ذلك من ظرفيه الكل للجزء و هى مما لا ضمير فيه فيكون سجّين كتابا جامعا فيه ما قضى على الفجار و غيرهم من مستحقى العذاب.

وقوله: وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ نَعْيٌ و دعاء على الفجار و فيه تفسيرهم

بالمكذبين، و«يَوْمَئِذٍ» ظرف لقوله: «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ» بحسب المعنى أى ليهلكك الفجار- وهم المكذبون- يومئذ تحقق ما كتب الله لهم وقضى عليهم من الجزاء و حل بهم ما أعد لهم من العذاب.

هذا ما يفيدته التدبر فى هذه الآيات الأربع، و هى ذات سياق واحد متصل متلائم الأجزاء.

قوله تعالى: الَّذِينَ يُكذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ تفسير للمكذبين و ظاهر الآيه -و يؤيده الآيات التالية- أن المراد بالتكذيب هو التكذيب القولى الصريح فيختص الذم بالكفار و لا يشمل الفسقه من أهل الإيمان فلا يشمل مطلق المطففين بل الكفار منهم.

اللهم إلا أن يراد بالتكذيب ما يعم التكذيب العملى كما ربما أيده قوله السابق: «أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ» فيشمل الفجار من المؤمنين كالكفار.

قوله تعالى: وَمَا يُكذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ المعتدى اسم فاعل من الاعتداء بمعنى التجاوز و المراد به المتجاوز عن حدود العبوديه، و الأثيم كثير الآثام بحيث تراكم بعضها على بعض بانهماكه فى الأهواء.

و من المعلوم أن المانع الوحيد الذى يردع عن المعصيه هو الإيمان بالبعث و الجزاء، و المنهمك فى الأهواء المتعلق قلبه بالاعتداء و الإثم تأبى نفسه التسليم لما يردع عنها و التزهّد عن المعاصى و ينتهى الى تكذيب البعث و الجزاء قال تعالى: ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوَاىَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ (الروم ١٠).

قوله تعالى: إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ المراد بالآيات آيات القرآن بقرينه «تُتْلَىٰ» و الاساطير ما سطروه و كتبه و المراد بها أباطيل الامم الماضين و المعنى إذا تتلى عليه آيات القرآن مما يحذرهم المعصيه و ينذرهم بالبعث و الجزاء قال: هى أباطيل.

قوله تعالى: كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ردى عما قاله

المكذبون: «أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» قال الراغب: الرين صدأ يعلو الشيء الجليل (١)، قال تعالى:

«بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أى صار ذلك كصدأ على جلاء قلوبهم فعلم عليهم معرفه الخير من الشر، انتهى. فكون ما كانوا يكسبون و هو الذنوب رينا على قلوبهم هو حيلولة الذنوب بينهم و بين أن يدركوا الحق على ما هو عليه.

قوله تعالى: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ردع عن كسب الذنوب الحائله بين القلب و إدراك الحق، و المراد بكونهم محجوبين عن ربهم يوم القيامة حرمانهم من كرامه القرب و المنزله و لعله مراد من قال: إن المراد كونهم محجوبين عن رحمه ربهم.

و أما ارتفاع الحجاب بمعنى سقوط الأسباب المتوسطه بينه تعالى و بين خلقه و المعرفه التامه به تعالى فهو حاصل لكل أحد قال تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (المؤمن ١٦) و قال: وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (النور ٢٥).

قوله تعالى: ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ أى داخلون فيها ملازمون لها أو مقاسون حرها على ما فسره بعضهم و «ثُمَّ» فى الآيه و ما بعدها للتراخي بحسب رتبه الكلام.

قوله تعالى: ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ هو توبيخ و تقريع و القائل خزنه النار أو أهل الجنه.

قوله تعالى: كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَأَذْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ردع فى معنى الردع الذى فى قوله: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ» و عليون- كما تقدم- علو على علو مضاعف، و ينطبق على الدرجات العاليه و منازل القرب من الله تعالى كما أن السجين بخلافه.

و الكلام فى معنى الآيات الثلاث نظير الكلام فى الآيات الثلاث المتقدمه التى تحاذيها من

ص: ٦٣٣

١- ١). الجلى ظ.



قوله: «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ» .

فالمعنى أن الذي كتب للأبرار وقضى جزاء لبرهم لفي عليين و ما أدراك ما عليون هو أمر مكتوب و مقضى قضاء حتما لازما متبين لا إبهام فيه.

و للقوم أقاويل في هذه الآيات نظير ما لهم في الآيات السابقة من الأقوال غير أن من أقوالهم في عليين أنه السماء السابعة تحت العرش فيه أرواح المؤمنين، و قيل سدره المنتهى التي إليها تنتهى الأعمال، و قيل: لوح من زبرجده تحت العرش معلق مكتوبه فيه أعمالهم، و قيل:

هي مراتب عاليه محفوفه بالجلاله، و الكلام فيها كالكلام فيما تقدم من أقوالهم.

قوله تعالى: يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ الأنسب لما تقدم من معنى الآيات السابقة أن يكون «يَشْهَدُهُ» من الشهود بمعنى المعايينه و المقربون قوم من أهل الجنة هم أعلى درجة من عامه الأبرار على ما سيأتى استفادته من قوله: «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» فالمراد معابنتهم له بإراءه الله إياه لهم و قد قال الله تعالى في مثله من أمر الجحيم: كَلَّا- لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (التكاثر ٦) و منه يظهر أن المقربين هم أهل اليقين (١).

### [سوره المطففين (٨٣): الآيات ٢٢ الى ٣٦]

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذَلِكَ فَلَيْتِنَافْسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَ مَرَّاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ (٣٠) وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ (٣٢) وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ (٣٥) هَلْ تُؤْبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

ص: ٦٣٤

(١-١). المطففين ١-٢١: بحث روائى فى خلقه الائمة و الشيعة؛ العليين؛ السجين؛ تأثير الذنوب على القلب.

بيان:

قوله تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ النعيم النعمه الكثيره و فى تنكيه دلالة على فخامه قدره، و المعنى إن الابرار لفي نعمه كثيره لا يحيط بها الوصف.

قوله تعالى: عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ الْأرائك جمع أريكه و الأريكه السرير فى الجملة و هى البيت المزين للعروس و إطلاق قوله: «يَنْظُرُونَ» من غير تقييد يؤيد أن يكون المراد نظرهم الى مناظر الجنه البهجه و ما فيها من النعيم المقيم، و قيل: المراد به النظر الى ما يجزى به الكفار و ليس بذاك.

قوله تعالى: تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ النضره البهجه و الرونق، و الخطاب للنبي صلى الله عليه و آله و سلم باعتبار أن له أن ينظر فيعرف فالحكم عام و المعنى كل من نظر الى وجوههم يعرف فيها بهجه النعيم الذى هم فيه.

ص: ٦٣٥

قوله تعالى: يُسَيِّقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ الرحيق الخالص من الغش، و يناسبه وصفه بأنه مختوم فإنه إنما يختم على الشيء النفيس الخالص ليسلم من الغش و الخلط و إدخال ما يفسده فيه.

قوله تعالى: خَتَمَهُمْ مَسِيكٌ وَ فِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ قيل الختام بمعنى ما يختم به أى إن الذى يختم به مسك بدلا من الطين و نحوه الذى يختم به فى الدنيا، و قيل:

أى آخر طعمه الذى يجده شاربه رائحه المسك.

و قوله: وَ فِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ التغالب على الشيء و يفيد بحسب المقام معنى التسابق قال تعالى: سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ (الحديد / ٢١).

و قال: فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ (المائدة ٤٨)، فيه ترغيب الى ما وصف من الرحيق المختوم.

قوله تعالى: وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ المزاج ما يمزج به، و التسنيم على ما تفسره الآيه التاليه عين فى الجنه سماه الله تسنيم و فى لفظه معنى الرفع و الملء يقال: سنمه أى رفعه و منه سنام الإبل، و يقال: سنم الإناء أى ملأه.

قوله تعالى: عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ يقال: شربه و شرب به بمعنى و «عَيْنًا» منصوب على المدح أو الاختصاص و «يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» وصف لها و المجموع تفسير للتسليم.

و مفاد الآيه أن المقربين يشربون التسنيم صرفا كما أن مفاد قوله: «وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ» أنه يمزج بها ما فى كأس الأبرار من الرحيق المختوم، و يدل ذلك أولا على أن التسنيم أفضل من الرحيق المختوم الذى يزيد لذه بمزجها، و ثانيا أن المقربين أعلى درجه من الأبرار الذين يصفهم الآيات.

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ يعطى السياق أن المراد بالذين آمنوا هم الأبرار الموصوفون فى الآيات و إنما عبر عنهم بالذين آمنوا لأن سبب ضحك الكفار منهم و استهزائهم بهم إنما إيمانهم كما أن التعبير عن الكفار بالذين اجرموا للدلالة على أنهم بذلك من المجرمين.

قوله تعالى: وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ عطف على قوله: «يَضْحَكُونَ» أى كانوا إذا مروا بالذين آمنوا يغمز بعضهم بعضا و يشيرون بأعينهم استهزاء بهم.

قوله تعالى: وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ الفكه بالفتح فالكسر المرح البطر، و المعنى و كانوا إذا انقلبوا و صاروا الى أهلهم عن ضحكهم و تغامزهم انقلبوا ملتذين فرحين بما فعلوا أو هو من الفكاهه بمعنى حديث ذوى الانس و المعنى انقلبوا و هم يحدثون بما فعلوا تفكها.

قوله تعالى: وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ عَلَىٰ سَبِيلِ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ أَوْ الْقَضَاءُ عَلَيْهِمُ وَالثانى أقرب.

قوله تعالى: وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ أَى و ما ارسل هؤلاء الذين أجرموا حافظين على المؤمنين يقضون فى حقهم بما شاءوا أو يشهدون عليهم بما هووا، و هذا تهكم بالمستهزئين.

قوله تعالى: فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ المراد باليوم يوم الجزاء، و التعبير عن الذين أجرموا بالكفار رجوع الى حقيقه صفتهم. قيل: تقديم الجارّ و المجرور على الفعل أعنى «مِنَ الْكُفَّارِ» على «يَضْحَكُونَ» لإفاده قصر القلب، و المعنى فالיום الذين آمنوا يضحكون من الكفار لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا.

قوله تعالى: عَلَىٰ الْأَرْءَانِكِ يَنْظُرُونَ هَيْلٌ تُنُوبُ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ الثواب فى الأصل مطلق الجزاء و إن غلب استعماله فى الخير، و قوله: «عَلَىٰ الْأَرْءَانِكِ» خبر بعد

خبر للذين آمنوا و «يَنْظُرُونَ» خبر آخر، وقوله: «هَلْ تُؤْتَبُ» الخ؛ متعلق بقوله: «يَنْظُرُونَ» قائم مقام المفعول.

و المعنى: الذين آمنوا على سرر فى الحجال ينظرون الى جزاء الكفار بأفعالهم التى كانوا يفعلونها فى الدنيا من انواع الإجرام و منها ضحكهم من المؤمنين و تغامزهم إذا مروا بهم و انقلبهم الى أهلهم فكهم و قولهم: إن هؤلاء لضالون.

ص: ٦٣٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (۱) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (۲) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (۳) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (۴) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (۵) أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (۶) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (۷) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (۸) وَنُقِلَتْ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (۹) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (۱۰) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (۱۱) وَيَضَلُّ سَعِيرًا (۱۲) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (۱۳) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحْجُرَ (۱۴) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (۱۵) فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (۱۶) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (۱۷) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (۱۹) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (۲۰) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (۲۱) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكذِّبُونَ (۲۲) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (۲۳) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (۲۴) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (۲۵)

قوله تعالى: إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ شرط جزاؤه محذوف يدل عليه قوله: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ» و التقدير: لاقى الإنسان ربه فحاسبه و جازاه على ما عمل.

و انشقاق السماء و هو تصدعه و انفراجه من أشرط الساعه كمد الارض و سائر ما ذكر فى مواضع من كلامه تعالى من تكوير الشمس و اجتماع الشمس و القمر و انتشار الكواكب و نحوها.

قوله تعالى: وَ أَذِنْتُ لِرَبِّيهِمْ وَ حُقَّتْ الْإِذْنُ الْاسْتِمَاعِ وَ مِنْهُ الْإِذْنُ لِحَارِحَةِ السَّمْعِ وَ هُوَ مَجَازٌ عَنِ الْإِنْقِيَادِ وَ الطَّاعَةِ، وَ «حُقَّتْ» أَى جَعَلَتْ حَقِيقَهُ وَ جَدِيرَهُ بِأَنْ تَسْمَعَ، وَ الْمَعْنَى أَطَاعَتْ وَ انْقَادَتْ لِرَبِّهَا وَ كَانَتْ حَقِيقَهُ وَ جَدِيرَهُ بِأَنْ تَسْمَعَ وَ تَطِيعَ.

قوله تعالى: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ اتساع الارض، وَ قَدْ قَالَ تَعَالَى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ (إبراهيم ٤٨).

قوله تعالى: وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ أَى أَلْقَتْ الْأَرْضَ مَا فِي جَوْفِهَا مِنَ الْمَوْتَى وَ بَالِغَتْ فِي الْخَلْوِ مِمَّا فِيهَا مِنْهُمْ.

قوله تعالى: وَ أَذِنْتُ لِرَبِّيهِمْ وَ حُقَّتْ ضَمَائِرُ التَّأْنِيثِ لِلْأَرْضِ كَمَا أَنَّهَا فِي نَظِيرَتِهَا الْمَتَقَدِّمَةِ لِلسَّمَاءِ، وَ قَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى الْآيَةِ.

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ قَالَ الرَّاعِبُ: الْكَدْحُ السَّعْيُ وَ الْعَنَاءُ. انْتَهَى. فِيهِ مَعْنَى السَّيْرِ، وَ قِيلَ: الْكَدْحُ جَهْدُ النَّفْسِ فِي الْعَمَلِ حَتَّى يُوْثِرَ فِيهَا انْتَهَى. وَ عَلَى هَذَا فَهُوَ مُضْمَنٌ مَعْنَى السَّيْرِ بِدَلِيلِ تَعْدِيهِ بِأَلَى فِي الْكَدْحِ مَعْنَى السَّيْرِ عَلَى أَى حَالٍ.

وَ قَوْلُهُ: فَمُلَاقِيهِ عَطْفٌ عَلَى «كَادِحٌ» وَ قَدْ بَيَّنَّ بِهِ أَنَّ غَايَةَ هَذَا السَّيْرِ وَ السَّعْيِ وَ الْعَنَاءِ هُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِمَا أَنَّ لَهُ الرَّبُوبِيَّةَ أَى إِنْ الْإِنْسَانَ بِمَا أَنَّهُ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ وَ مَمْلُوكٌ مُدَبَّرٌ سَاعَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِمَا أَنَّهُ رَبُّهُ وَ مَالِكُهُ الْمُدَبَّرُ لِأَمْرِهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ إِرَادَةَ وَ لَا عَمَلًا فَعَلِيَّهُ أَنْ يَرِيدَ وَ لَا يَعْمَلَ إِلَّا مَا أَرَادَهُ رَبُّهُ وَ مَوْلَاهُ وَ أَمْرُهُ بِهِ فَهُوَ مُسْتَوَلٌّ عَنِ إِرَادَتِهِ وَ عَمَلِهِ.



قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَصَبِلْ مُرْتَبِ عَلٰى مَا يَلُوْح اِلَيْهِ قَوْلُهُ:

«إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ» أن هناك رجوعاً و سؤالاً عن الاعمال و حساباً، و المراد بالكتاب صحيفه الأعمال بقريته ذكر الحساب، و قد تقدم الكلام فى معنى إعطاء الكتاب باليمين فى سورتي الإسراء و الحاقه.

قوله تعالى: فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا الحساب اليسير ما سهل فيه و خلا عن المناقشه.

قوله تعالى: وَيَتَقَلَّبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا المراد بالأهل من أعده الله له فى الجنة من الحور و الغلمان و غيرهم و هذا هو الذى يفيد السياق.

قوله تعالى: وَ أَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ الظرف منصوب بنزع الخافض و التقدير من وراء ظهره، و لعلهم إنما يؤتون كتبهم من وراء ظهورهم لرد وجوههم على أديبارهم كما قال تعالى: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلٰى أَدْبَارِهَا (النساء ٤٧).

و لا منافاه بين إيتاء كتبهم من وراء ظهورهم و بين إيتائهم بشمالهم كما وقع فى قوله تعالى:

وَ أَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهٗ (الحاقه ٢٧)، و سيأتى فى البحث الروائى التالى ما ورد فى الروايات من معنى إيتاء الكتاب من وراء ظهورهم.

قوله تعالى: فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا الثبور كالبويل الهلاك و دعاؤهم الثبور قولهم:

وا ثبورا.

قوله تعالى: وَ يَصْلٰى سَعِيرًا أى يدخل ناراً مؤججه لا يوصف عذابها، أو يقاسى حرها.

قوله تعالى: إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا يسره ما يناله من متاع الدنيا و تنجذب نفسه الى زينتها و ينسيه ذلك أمر الآخرة و قد ذم تعالى فرح الإنسان بما يناله من خير الدنيا و سماه فرحاً بغير حق قال تعالى بعد ذكر النار و عذابها: ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ

ص: ٦٤٢

بَغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرُحُونَ (المؤمن ٧٥).

قوله تعالى: إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ أَي لَنْ يَرْجِعَ وَ الْمَرَادُ الرَّجُوعُ إِلَى رَبِّهِ لِلْحِسَابِ وَ الْجَزَاءِ، وَ لَا سَبَبَ يُوجِبُهُ عَلَيْهِمْ إِلَّا التَّوَعُّلُ فِي الذُّنُوبِ وَ الْآثَامِ الصَّارِفَةِ عَنِ الْآخِرَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى اسْتِبْعَادِ الْبَعْثِ.

قوله تعالى: بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا رَدُّ لظنه أَي لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَّهُ بَلْ يَحُورُ وَ يَرْجِعُ، وَ قَوْلُهُ: «إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا» تَعْلِيلٌ لِلرَّدِّ الْمَذْكُورِ فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ كَانَ رَبُّهُ الْمَالِكُ لَهُ الْمُدْبِرُ لِأَمْرِهِ وَ كَانَ يَحِيطُ بِهِ عِلْمًا وَ يَرَىٰ مَا كَانَ مِنْ أَعْمَالِهِ وَ قَدْ كَلَفَهُ بِمَا كَلَفَ وَ لِأَعْمَالِهِ جَزَاءٌ خَيْرًا أَوْ شَرًّا فَلَا بُدَّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ وَ يَجْزَىٰ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ بِعَمَلِهِ (١).

قوله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ الْحَمْرَةِ ثُمَّ الصَّفْرَةِ ثُمَّ الْبَيَاضِ الَّتِي تَحْدُثُ بِالْمَغْرَبِ أَوَّلَ اللَّيْلِ.

قوله تعالى: وَ اللَّيْلُ وَ الْمَسَّاءُ وَ سَقَىٰ أَي ضَمَّ وَ جَمَعَ مَا تَفَرَّقَ وَ انْتَشَرَ فِي النَّهَارِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَ الْحَيْوَانِ فَإِنَّهَا تَتَفَرَّقُ وَ تَنْتَشِرُ بِالطَّبَعِ فِي النَّهَارِ وَ تَرْجِعُ إِلَى مَا وَاهَا فِي اللَّيْلِ فَتَسْكُنُ.

وَ فسر بعضهم «وَسَقَىٰ» بِمَعْنَى طَرَدَ أَي طَرَدَ الْكَوَاكِبَ مِنَ الْخِفَاءِ إِلَى الظُّهُورِ.

قوله تعالى: وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ أَي اجْتَمَعَ وَ انضَمَّ بَعْضُ نُورِهِ إِلَى بَعْضٍ فَاكْتَمَلَ نُورُهُ وَ تَبَدَّرَ.

قوله تعالى: لَمَّا كَبَبْنَا طَبَقًا عَنْ طَبَقِ جَوَابِ الْقَسَمِ وَ الْخَطَابِ لِلنَّاسِ وَ الطَّبَقُ هُوَ الشَّيْءُ أَوْ الْحَالُ الَّذِي يَطَابِقُ آخِرَ سَوَاءٍ كَانَ أَحَدُهُمَا فَوْقَ الْآخَرِ أَمْ لَا- وَ الْمَرَادُ بِهِ كَيْفَ كَانَ الْمَرْحَلَةُ بَعْدَ الْمَرْحَلَةِ يَقْطَعُهَا الْإِنْسَانُ فِي كَدْحِهِ إِلَى رَبِّهِ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ الْمَوْتِ ثُمَّ الْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ ثُمَّ الْإِنْتِقَالَ إِلَى الْآخِرَةِ ثُمَّ الْحَيَاةِ الْآخِرَةَ ثُمَّ الْحِسَابَ وَ الْجَزَاءَ.

ص: ٦٤٣

و فى هذا الإقسام- كما ترى- تأكيد لما فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ الآية؛ وما بعده من نبأ البعث و توطئه و تمهيد لما فى قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ من التعجيب و التوبيخ و ما فى قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ﴾ الخ؛ من الإنذار و التبشير.

و فى الآية إشاره الى أن المراحل التى قطعها الإنسان فى مسيره الى ربه مترتبه متطابقه.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْتَجِدُونَ الاستفهام للتعجيب و التوبيخ و لذا ناسب الالتفات الذى فيه من الخطاب الى الغيبه كأنه لما رأى أنهم لا يتذكرون بتذكيره و لا يتعظون بعظته أعرض عنهم الى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فخطبه بقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الخ.

قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يكذبون» يفيد الاستمرار، و التعبير عنهم بالذين كفروا للدلاله على عله التكذيب، و الايعاء كما قيل جعل الشىء فى وعاء.

و المعنى: أنهم لم يتركوا الإيمان لقصور فى البيان أو لانقطاع من البرهان لكنهم اتبعوا أسلافهم و رؤساءهم فرسخوا فى الكفر و استمروا على التكذيب و الله يعلم بما جمعوا فى صدورهم و أضمروا فى قلوبهم من الكفر و الشرك.

قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التعبير عن الأخبار بالعذاب بالتبشير مبنى على التهكم، و الجملة متفرعه على التكذيب.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ استثناء منقطع من ضمير «فَبَشِّرْهُمْ» و المراد بكون أجرهم غير ممنون خلوه من قول يثقل على المأجور.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
(١) وَالْبُرُوجِ (٢) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٣) قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ  
(٤) الدَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ  
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ  
يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ  
الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَالٌ  
لَمَّا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ  
(٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)

سوره إنذار و تبشير فيها وعيد شديد للذين يفتنون المؤمنين و المؤمنات لإيمانهم بالله كما كان المشركون من أهل مكة يفعلون ذلك بالذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم فيعذبونهم ليرجعوا الى شركهم السابق فمنهم من كان يصبر و لا يرجع بلغ الأمر ما بلغ، و منهم من رجع و ارتد و هم ضعفاء الإيمان كما يشير الى ذلك قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي

اللَّهُ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ (العنكبوت ١٠)، وقوله: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْزِيذُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَبِأَنۢ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنۢ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَيْهِ وَجْهَهُ (الحج ١١).

وقد قدم سبحانه على ذلك الاشارة الى قصه اصحاب الاخدود، وفيه تحريض المؤمنين على الصبر فى جنب الله تعالى، واتباعها بالإشارة الى حديث الجنود فرعون و ثمود وفيه تطيب لنفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم بوعده النصر و تهديد للمشركين.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ البروج جمع برج و هو الأمر الظاهر و يغلب استعماله فى القصر العالى لظهوره على الناظرين و يسمى البناء المعمول على سور البلد الدفاع برجا و هو المراد فى الآيه لقوله تعالى: وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَاتٍ لِلنَّازِحِينَ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (الحجر ١٧)، فالمراد بالبروج مواضع الكواكب من السماء.

قوله تعالى: وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ عطف على السماء و إقسام باليوم الموعود و هو يوم القيامة الذى وعد الله القضاء فيه بين عباده.

قوله تعالى: وَ شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ معطوفان على السماء و الجميع قسم بعد قسم على ما ازيد بيانه فى السوره و هو- كما تقدمت الإشاره اليه- الوعيد الشديد لمن يفتن المؤمنين و المؤمنات لإيمانهم و الوعد الجميل لمن آمن و عمل صالحا.

فكأنه قيل: اقسام بالسماء ذات البروج التى يدفع الله بها عنها الشياطين إن الله يدفع عن إيمان المؤمنين كيد الشياطين و أوليائهم من الكافرين، و اقسام باليوم الموعود الذى يجزى فيه الناس بأعمالهم، و اقسام بشاهد يشهد و يعاين أعمال أولئك الكفار و ما يفعلونه بالمؤمنين لإيمانهم بالله و اقسام بمشهود سيشهده الكل و يعاينونه إن الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات، الى آخر الآيتين.

و من هنا يظهر أن الشهاده فى «شَاهِدٍ» و «مَشْهُودٍ» بمعنى واحد و هو المعاينه بالحضور، على أنها لو كانت بمعنى تأديه الشهاده لكان حق التعبير «و مشهود عليه» لأنها بهذا المعنى إنما تتعدى بعلی.

و على هذا يقبل «شَاهِدٍ» الانطباق على النبى صلی الله علیه و آله و سلم لشهادته أعمال امته ثم يشهد عليها يوم القيامة، و يقبل «مَشْهُودٍ» الانطباق على تعذيب الكفار لهؤلاء المؤمنین و ما فعلوا بهم من الفتنه و إن شئت فقل: على جزائه و إن شئت فقل: على ما يقع يوم القيامة من العقاب و الثواب لهؤلاء الظالمین و المظلومین، و تنكير «مَشْهُودٍ» و «و شَاهِدٍ» على أى حال للتفخيم.

قوله تعالى: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ إشارة الى قصه الاخدود لتكون توطئه و تمهيدا لما سيجىء من قوله: «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا» الخ؛ و ليس جوابا للقسم البتة.

و الاخدود الشق العظيم فى الأرض، و أصحاب الاخدود هم الجابره الذين خدوا اخدودا و أضرموها فيها النار و أمروا المؤمنین بدخولها فأحرقوهم عن آخرهم نقما منهم لإيمانهم.

فقوله: قُتِلَ الخ؛ دعاء عليهم و المراد بالقتل اللعن و الطرد.

و قيل: المراد بأصحاب الاخدود المؤمنون و المؤمنات الذين احرقوا فيه، و قوله: «قُتِلَ» إخبار عن قتلهم بالإحراق و ليس من الدعاء فى شىء. و يضعفه ظهور رجوع الضمائر فى قوله:

«إِذْ هُمْ عَلَيْهَا» و «هُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ» و «مَا نَقَمُوا» الى أصحاب الاخدود، و المراد بها و خاصه بالثانى و الثالث الجابره الناقمون دون المؤمنین المعذبين.

قوله تعالى: النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ بدل من الاخدود، و الوقود ما يشعل به النار من حطب و غيره، و فى توصيف النار بذات الوقود إشارة الى عظمه أمر هذه النار و شدة اشتعالها و أجيحها.

قوله تعالى: إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ أى فى حال اولئك الجابره قاعدون فى أطراف

النار المشرفه عليها.

قوله تعالى: وَ هُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ أَى حضور ينظرون و يشاهدون إحراقهم و احتراقهم.

قوله تعالى: وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ النَّقْم بفتحتين الكراهه الشديده أى ما كرهوا من اولئك المؤمنين إلا إيمانهم بالله فأحرقوهم لأجل إيمانهم.

قوله تعالى: الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أوصاف جاريه على اسم الجلاله تشير الى الحجه على أن اولئك المؤمنين كانوا على الحق فى ايمانهم مظلومين فيما فعل بهم لا يخفى حالهم على الله و سيجزيهم خير الجزاء، و على أن اولئك الجباره كانوا على الباطل مجترين على الله ظالمين فيما فعلوا و سيدوقون وبال أمرهم.

و ذلك أنه تعالى هو الله العزيز الحميد أى الغالب غير المغلوب على الاطلاق و الجميل فى فعله على الاطلاق فله وحده كل الجلال و الجمال فمن الواجب أن يخضع له و أن لا- يتعرض لجانبه، و إذ كان له ملك السماوات و الأرض فهو المليك على الإطلاق له الأمر و له الحكم فهو رب العالمين فمن الواجب أن يتخذ إليها معبودا و لا يشرك به أحد فالؤمنون به على الحق و الكافرون فى ضلال.

ثم إن الله- هو الموجد لكل شىء- على كل شىء شهيد لا يخفى عليه شىء من خلقه و لا عمل من أعمال خلقه و لا يحتجب عنه إحسان و لا إساءه مسيء فسيجزي كلا بما عمل.

و بالجملة إذا كان تعالى هو الله المتصف بهذه الصفات الكريمة كان على هؤلاء المؤمنين أن يؤمنوا به و لم يكن لاولئك الجباره أن يتعرضوا لحالهم و لا أن يمسوهم بسوء.

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ الفتنة المحنه و التعذيب، و الذين فتحوا، الخ؛ عام



يشمل أصحاب الاخدود و مشركي قريش الذين كانوا يفتنون من آمن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من المؤمنين و المؤمنات بأنواع من العذاب ليرجعوا عن دينهم.

قال في المجمع: يسأل فيقال: كيف فصل بين عذاب جهنم و عذاب الحريق و هما واحد؟ اجيب عن ذلك بأن المراد لهم أنواع العذاب في جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم و الغسلين و المقامع و لهم مع ذلك الإحراق بالنار انتهى.

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ وعد جميل للمؤمنين يطيب به نفوسهم كما أن ما قبله وعيد شديد للكفار الفاتنين المعذبين.

قوله تعالى: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ الآية الى تمام سبع آيات تحقيق و تأكيد لما تقدم من الوعيد و الوعد، و البطش - كما ذكره الراغب - تناول الشيء بصوله.

و في إضافة البطش الى الرب و إضافة الرب الى الكاف تطيب لنفس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالتأييد و النصر، و إشاره الى أن الجباره امته نصيبا من الوعيد المتقدم.

قوله تعالى: إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ المقابلة بين المبدئ و المعيد يعطى أن المراد بالإبداء البدء، و الافتتاح بالشيء، قالوا: و لم يسمع من العرب الإبداء لكن القراء ذلك و في بعض القراءات الشاذة يبدأ بفتح الياء و الدال.

و على أى حال فالآية تعليل لشده بطشه تعالى و ذلك أنه تعالى مبدئ يوجد ما يريده من شيء ايجادا ابتداءيا من غير أن يستمد على ذلك من شيء غير نفسه، و هو تعالى يعيد كل ما كان الى ما كان و كل حال فاتته الى ما كانت عليه قبل الفوت فهو تعالى لا يمتنع عليه ما أراد و لا يفوته فائت زائل و إذا كان كذلك فهو القادر على أن يحمل على العبد المتعدى حده، من العذاب ما هو فوق حده و وراء طاقته و يحفظه على ما هو عليه ليدوق العذاب قال تعالى:

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا (فاطر)

و هو القادر على أن يعيد ما أفسده العذاب الى حالته الاولى ليدوق المجرم بذلك العذاب من غير انقطاع قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلِّئَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ (النساء ٥٦).

قوله تعالى: وَ هُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ أى كثير المغفرة و الموده ناظر الى وعد المؤمنين كما أن قوله: «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ» الخ؛ ناظر الى وعيد الكافرين.

قوله تعالى: ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ العرش عرش الملك، و ذو العرش كناية عن الملك أى هو ملك له أن يتصرف فى مملكته كيفما تصرف و يحكم بما شاء و المجيد صفة من المجد و هو العظمة المعنوية و هى كمال الذات و الصفات، و قوله: «فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ» أى لا- يصرفه عما أراد صارف لا من داخل لضجر و كسل و ملل و تغيير إرادته و غيرها و لا من خارج لمانع يحول بينه و بين ما أراد.

فله تعالى أن يوعد الدين فتنوا المؤمنين و المؤمنات بالنار و يعد الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالجنة لأنه ذو العرش المجيد و لن يخلف وعده لأنه فعال لما يريد.

قوله تعالى: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ تقرير لما تقدم من شدة بطشه تعالى و كونه ملكا مجيدا فعلا لما يريد، و فيه تسليه للنبي صلى الله عليه و آله و سلم و تطيب لنفسه الشريفه بالاشارة الى حديثهم، و معنى الآيتين ظاهر.

قوله تعالى: بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ لا يبعد أن يستفاد من السياق كون المراد بالذين كفروا هم قوم النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

و فى الآيه اضراب عما تقدم من الموعظه و الحججه من حيث الأثر، و المعنى لا ينبغي أن يرجى منهم الإيمان بهذه الآيات البينات فإن الذين كفروا مصرون على تكذيبهم لا ينتفعون بموعظه أو حججه.

و من هنا ظهر أن المراد بكون الذين كفروا في تكذيب أى بظرفيه التكذيب لهم اصرارهم عليه.

قوله تعالى: **وَ اللّٰهُ مِنْ وَّرَائِهِمْ مُّحِيطٌ** وراء الشىء الجهات الخارجه منه المحيطه به. إشاره الى أنهم غير معجزين لله سبحانه فهو محيط بهم قادر عليهم من كل جهه، وفيه أيضا تطيب لنفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

و عن بعضهم أن فى قوله: «**مِنْ وَّرَائِهِمْ**» تلويحا الى الى أنهم اتخذوا الله وراءهم ظهريا، وهو بمنى على أخذ وراء بمعنى خلف.

قوله تعالى: **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ** إضراب عن اصرارهم على تكذيب القرآن، والمعنى ليس الأمر كما يدعون بل القرآن كتاب مقروء عظيم فى معناه غزير فى معارفه فى لوح محفوظ عن الكذب و الباطل مصون من مسّ الشياطين (1).

ص: ٦٥٢

---

١-١). البروج ١-٢٢: بحث روائى حول: السماء ذات البروج؛ اليوم الموعود؛ الشاهد و المشهود؛ اصحاب الاخدود.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالطَّارِقِ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا  
حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ  
تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ (١٣) وَمَا  
هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَ أَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوَيْدًا (١٧)

فى السوره إنذار بالمعاد و تستدل عليه بإطلاق القدره و تؤكد القول فى ذلك، و فيها إشاره الى حقيقه اليوم، و تختتم بوعيد الكفار.

و السوره ذات سياق مكى.

قوله تعالى: وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ الطَّرْقُ فى الأصل-على ما قيل-هو الضرب بشده يسمع له صوت و منه المطرقه و الطريق لأن السابله تطرقها بأقدامها ثم شاع استعماله فى سلوك الطريق ثم اختص بالإتيان ليلا لأن الآتى بالليل فى الغالب يجد الأبواب مغلقة فيطرقها و يدقها ثم شاع الطارق فى كل ما يظهر ليلا، و المراد بالطارق فى الآيه النجم الذى يطلع بالليل.

و الثقب فى الأصل بمعنى الخرق ثم صار بمعنى النير المضىء لأنه يثقب الظلام بنوره و يأتى بمعنى العلو و الارتفاع و منه ثقب الطائر أى ارتفع و علا كأنه يثقب الجو بطيرانه.

فقوله: وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ إِقْسَامٌ بِالسَّمَاءِ وَ بِالنَّجْمِ الطَّالِعِ لَيْلًا و قوله: «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ» تفخيم لشأن المقسم به و هو الطارق، و قوله: «النَّجْمُ الثَّاقِبُ» بيان للطارق

و الجملة فى معنى جواب استفهام مقدر كأنه لما قيل: و ما أدراك ما الطارق؟ سئل فقيل: فما هو الطارق؟ فاجيب، و قيل: النجم الثاقب.

قوله تعالى: **إِنْ كُنْ نَفْسٌ لَّمَّا عَلَيْنَا** **حَافِظٌ** جواب للقسم و لما بمعنى إلا و المعنى ما من نفس إلا عليها حافظ، و المراد من قيام الحافظ على حفظها كتابه أعمالها الحسنه و السيئه على ما صدرت منها ليحاسب عليها يوم القيامة و يجرى بها فالحافظ هو الملك و المحفوظ العمل كما قال تعالى: **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** (الانفطار ١٢).

و لا- يبعد أن يكون المراد من حفظ النفس حفظ ذاتها و أعمالها، و المراد بالحافظ جنسه فتفيد أن النفوس محفوزه لا تبطل بالموت و لا تفسد حتى إذا أحيأ الله الأبدان أرجع النفوس إليها فكان الإنسان هو الإنسان الدنيوى بعينه و شخصه ثم يجرى به بما يقتضيه أعماله المحفوزه عليه من خير أو شر.

قوله تعالى: **فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ** أى ما هو مبدأ خلقه؟ و ما هو الذى صيره الله إنسانا.

و الجملة متفرعه على الآيه السابقه و ما تدل عليه بفحواها بحسب السياق و محصل المعنى و إذ كانت كل نفس محفوزه بذاتها و عملها من غير أن تفنى أو ينسى عملها فليدعن الإنسان أن سيرجع الى ربه و يجرى بما عمل و لا يستبعد ذلك و لينظر لتحصيل هذا الإذعان الى مبدأ خلقه و يتذكر أنه خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب.

فالذى بدء خلقه من ماء هذه صفته يقدر على رجعه و إحيائه بعد الموت.

و فى الإتيان بقوله: «**خُلِقَ**» مبنا للمفعول و ترك ذكر الفاعل و هو الله سبحانه إيماء الى ظهور أمره، و نظيره قوله: «**خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ**» الخ.

قوله تعالى: **خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ** الدفق تصبب الماء و سيلانه بدفع و سرعه الماء الدافق هو المنى و الجملة جواب عن استفهام مقدر يهدى اليه قوله: «**مِمَّ خُلِقَ**» .

قوله تعالى: يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ الصلب الظهر، والترائب جمع تربيه هي عظم الصدر.

وقد اختلفت كلماتهم فى الآيه و ما قبلها اختلافا عجبيا، و الظاهر أن المراد بقوله: «بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ» البعض المحصور من البدن بين جدارى عظام الظهر و عظام الصدر (١).

قوله تعالى: إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ الرجوع الإعادة، و ضمير «إِنَّهُ» له تعالى و اكتفى بالإضمار مع أن المقام مقام الإظهار لظهوره نظير قوله: «خُلِقَ» مبنيا للمفعول.

و المعنى أن الذى خلق الإنسان من ماء صفته تلك الصفه، على إعادته و احيائه بعد الموت -و إعادته مثل بدئه- لقادر لأن قدره على الشىء قدره على مثله إذ حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لا يجوز واحد.

قوله تعالى: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ظرف للرجع، و السريره ما أسره الإنسان و أخفاه فى نفسه، و البلاء الاختبار و التعرف و التصفح.

فالمعنى يوم يختبر ما أخفاه الإنسان و أسره من العقائد و آثار الأعمال خيرا و شرها فيميز خيرا من شرها و يجزى الإنسان به فالآيه فى معنى قوله تعالى: إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ (البقره ٢٨٤).

قوله تعالى: فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لَا نَاصِرٍ أى لا قدره له فى نفسه يمتنع بها من عذاب الله و لا ناصر له يدفع عنه ذلك أى لا قدره هناك يدفع عنه الشر لا من نفسه و لا من غيره.

قوله تعالى: وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إقسام بعد إقسام لتأكيد أمر القيامة و الرجوع الى الله.

و المراد بكون السماء ذات رجح ما يظهر للحس من سيرها بطلوع الكواكب بعد غروبها

ص: ٦٥٦

١- ١). و قد أورد المراغى فى تفسيره فى ذيل الآيه عن بعض الاطباء توجيهها دقيقا علميا لهذه الآيه من اراده فليراجع.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (۱) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (۲) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (۳) وَالَّذِي أَخْرَجَ  
الْمَرْعَى (۴) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (۵) سُنُقِرُنَّكَ فَلَا تَنْسَى (۶) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (۷) وَنُيْسِرُنَّكَ لِلْإِنْسَى (۸)  
فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذُّكْرَى (۹) سَيِّدًا كَرُمًا يَخْشَى (۱۰) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (۱۱) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (۱۲) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ  
لَا يَحْيَى (۱۳) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (۱۴) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (۱۵) بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (۱۶) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (۱۷) إِنَّ  
هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (۱۸) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (۱۹)

أمر بتوحيده تعالى على ما يليق بساحته المقدسه و تنزيه ذاته المتعاليه من أن يذكر مع اسمه اسم غيره أو يسند الى غيره ما يجب أن يسند اليه كالخلق و التدبير و الرزق و وعد له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتأييده بالعلم و الحفظ و تمكينه من الطريقه التي هي أسهل و أيسر للتبليغ و أنسب للدعوه.

□  
و سياق الآيات في صدر السوره سياق مكى و أما ذيلها أعنى قوله: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» الخ؛ فقد ورد من طرق أئمه أهل البيت عليهم السَّلام و كذا من طريق أهل السنه أن المراد به زكاه الفطره و صلاه العيد و من المعلوم أن الصوم و ما يتبعه من زكاه الفطره و صلاه العيد إنما شرعت بالمدينه بعد الهجره فتكون آيات الذيل نازله بالمدينه.

فالسوره صدرها مكى و ذيلها مدنى، و لا ينافى ذلك ما جاء في الآثار أن السوره مكيه فإنه لا يأبى الحمل على صدر السوره.

قوله تعالى: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى أمر بتنزيه اسمه تعالى و تقديسه، و إذ علق التنزيه على الاسم- و ظاهر اللفظ الدال على المسمى- و الاسم إنما يقع فى القول فتنزيهه أن لا يذكر معه ما هو تعالى منزه عنه كذكر الآلهه و الشركاء و الشفعاء و نسبه الربوبيه اليهم و كذكر بعض ما يختص به تعالى كالخلق و الإيجاد و الرزق و الإحياء و الإماتة و نحوها و نسبه الى غيره تعالى أو كذكر بعض ما لا يليق بساحه قدسه تعالى من الأفعال كالعجز و الجهل و الظلم و الغفله و ما يشبهها من صفات النقص و الشين و نسبه اليه تعالى.

و بالجمله تنزيه اسمه تعالى أن مجرد القول عن ذكر ما لا- يناسب ذكره ذكر اسمه تعالى و هو تنزيهه تعالى فى مرحله القول الموافق لتنزيهه فى مرحله الفعل.

و هو يلازم التوحيد الكامل بنفى الشرك الجلى كما فى قوله: وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (الزمر ٤٥/)، و قوله: وَإِذَا ذُكِرَتْ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخِـدَهُ وَلَوْأَ عَلَيَّ أَذُـبٌ رَّهِمَ نَفْسُورًا (الإسراء ٤٦/).

و فى إضافه الاسم الى الرب و الرب الى ضمير الخطاب تأييد لما قدمناه فإن المعنى سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الذى اتخذته ربا و أنت تدعو الى أنه الرب الإله فلا- يقعن فى كلامك مع ذكر اسمه بالربوبيه ذكر من غيره بحيث ينافى تسميه بالربوبيه على ما عرّف نفسه لك.

و قوله: «الْأَعْلَى» و هو الذى يعلو كل عال و يقهر كل شىء صفة «رَبِّكَ» دون الاسم و يعلل بمعناه الحكم أى سبّح اسمه لأنه أعلى.

قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى خَلَقَ الشىء جمع أجزائه، و تسويته جعلها متساويه بحيث يوضع كل فى موضعه الذى يليق به و يعطى حقه كوضع كل عضو من أعضاء الانسان فيما يناسبه من الموضع.

و الخلق و التسويه و إن كانا مطلقين لكنهما إنما يشملان ما فيه تركيب أو شائبه تركيب من المخلوقات.

و الآيه الى تمام أربع آيات تصف التدبير الإلهي و هي برهان على ربوبيته تعالى المطلقة.

قوله تعالى: وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهْدَىٰ أَي جعل الأشياء التي خلقها على مقادير مخصوصه و حدود معينه في ذواتها و صفاتها و أفعالها لا تتعداها و جهّزها بما يناسب ما قدر لها فهداها الى ما قدر فكل يسلك نحو ما قدر له بهدايه ربانيه تكوينيه كالطفل يهتدى الى ثدى أمه و الفرخ الى زق أمه و أبيه، و الذكر الى الانثى و ذى النفع الى نفعه و على هذا القياس.

قال تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (الحجر ٢١)، و قال: ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (عبس ٢٠)، و قال: لِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيُّهَا (البقره ١٤٨).

قوله تعالى: وَ الَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى الْمَرْعَى ما ترعاه الدواب فالله تعالى هو الذي أخرجها أى أنبتها.

قوله تعالى: فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى الغناء ما يقذفه السيل على جانب الوادى من الحشيش و النبات، و المراد هنا- كما قيل -اليابس من النبات، و الأحوى الأسود.

و إخراج المرعى لتغذى الحيوان ثم جعله غشاء أحوى من مصاديق التدبير الربوبى و دلائله كما أن الخلق و التسويه و التقدير و الهدايه كذلك.

قوله تعالى: سَيُثْرِكُكَ فَلَا تَنْسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ قال في المفردات: و القراءه ضم الحروف و الكلمات بعضها الى بعض في الترتيل، و ليس يقال ذلك لكل جمع لا يقال: قرأت القوم إذا جمعهم، و يدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءه، انتهى، و قال في المجمع: و الإقراء أخذ القراءه على القارئ بالاستماع لتقويم الزلل، و القارى التالى. انتهى.

و ليس إقراؤه تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم القرآن مثل إقراء بعضنا بعضا باستماع المقرئ لما يقرؤه القارى و اصلاح ما لا يحسنه أو يغلط فيه فلم يعهد من النبى صلى الله عليه و آله و سلم أن يقرأ شيئا من القرآن فلا

يحسنه أو يغلط فيه عن نسيان للوحي ثم يقرأ فيصلح بل المراد تمكينه من قراءة القرآن كما أنزل من غير أن يغيره بزياده أو نقص أو تحريف بسبب النسيان.

فقوله: **سَيُنْفِرُكَ فَلَا تَنْسَى** وعد منه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يمكنه من العلم بالقرآن و حفظه على ما أنزل بحيث يرتفع عنه النسيان فيقرؤه كما أنزل وهو الملاك في تبليغ الوحي كما اوحى اليه.

وقوله: **إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** استثناء مفيد لبقاء قدره الإلهيه على اطلاقها و أن هذه العطيه و هى الإقراء بحيث لا تنسى لا ينقطع عنه سبحانه بالإعطاء بحيث لا يقدر بعد على انسائك بل هو باق على اطلاق قدرته له أن يشاء انشاء ك متى شاء و إن كان لا يشاء ذلك فهو نظير الاستثناء الذى فى قوله: **وَ أَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوزٍ** (هود ١٠٨) و قد تقدم توضيحه.

و ليس المراد بالاستثناء اخراج بعض افراد النسيان من عموم النفي و المعنى سنقرئك فلا تنسى شيئا الا ما شاء الله ان تنساه و ذلك ان كل انسان على هذه الحال يحفظ اشياء و ينسى اشياء فلا معنى لاختصاصه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بلحن الامتنان مع كونه مشتركاً بنيه و بين غيره فالوجه ما قدمناه.

قوله تعالى: **وَ يُسِّرْكَ لِلْيُسْرَى** اليسرى- مؤنث أيسر- هو وصف قائم مقام موصوفه المحذوف أى الطريقه اليسرى و التيسير التسهيل أى و نجعلك بحيث تتخذ دائماً أسهل الطرق للدعوه و التبليغ قولاً و فعلاً فتهدى قوما و تتم الحججه على آخرين و تصبر على أذاهم.

و كان مقتضى الظاهر أن يقال: و يسر لك اليسرى كما قال: **وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي** (طه/ ٢٦) و انما عدل عن ذلك الى قوله: **«وَ يُسِّرْكَ لِلْيُسْرَى»** لأن الكلام فى تجهيزه تعالى نفس النبي الشريفه و جعله إياها صالحه لتأديه رساله و نشر الدعوه. على ما فى يسر اليسرى من

فالمراد جعله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صافٍ الفطره حقيقا على اختيار الطريقه اليسرى التي هي طريقه الفطره فالآيه في معنى حكايه عن موسى حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَيَّ اللَّهُ إِلَّا الْحَقَّ (الأعراف ١٠٥).

قوله تعالى: فَذَكَرْهُ إِذَا نَفَعْتَ الذُّكْرَى تفرّيع على ما تقدم من أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتنزيه اسم ربه و وعده إقراء الوحي بحيث لا ينسى و تيسيره لليسرى و هي الشرائط الضرورية التي يتوقف عليها نجاح الدعوه الدينيه.

و المعنى إذ تم لك الأمر بامثال ما أمرناك به و إقراءك فلا تنسى و تيسيرك لليسرى فذكر إن نفعت الذكرى.

و قد اشترط في الأمر بالتذكرة أن تكون نافعه و هو شرط على حقيقته فإنها إذا لم تنفع كانت لغوا و هو تعالى يجلب عن أن يأمر باللغو فالتذكرة لمن يخشى لأول مره تفيد ميلا من نفسه الى الحق و هو نفعها و كذا التذكرة بعد التذكرة كما قال: «سَيِّدُكَرُّ مَنْ يَخْشَى» و التذكرة للأشقى الذى لا خشيه فى قلبه لأول مره تفيد تمام الحجه عليه و هو نفعها و يلزمها تجنبه و توليه عن الحق كما قال: «وَ يَتَجَبَّبُهَا الْأَشْقَى» و التذكرة بعد التذكرة له لا تنفع شيئا و لذا امر بالإعراض عن ذلك قال تعالى: فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (النجم / ٢٩).

قوله تعالى: سَيِّدُكَرُّ مَنْ يَخْشَى أى سيتذكر و يتعظ بالقرآن من فى قلبه شىء من خشيه الله و خوف عقابه.

قوله تعالى: وَ يَتَجَبَّبُهَا الْأَشْقَى الضمير للذكرى و المراد بالأشقى بقرينه المقابله من ليس فى قلبه شىء من خشيه الله تعالى، و تجنب الشىء التباعد عنه، و المعنى و سيتباعد عن الذكرى من لا يخشى الله.

قوله تعالى: الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكَبْرَى الظاهر أن المراد بالنار الكبرى نار جهنم و هي نار كبرى بالقياس الى نار الدنيا، وقيل: المراد بها أسفل دركات جهنم و هي أشدها عذابا.

قوله تعالى: ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ثُمَّ لِلتَّرَاخَى بحسب رتبه الكلام، و المراد من نفى الموت و الحياه عنه معا نفى النجاه نفيا مؤبدا فإن النجاه بمعنى انقطاع العذاب بأحد أمرين إما بالموت حتى ينقطع عنه العذاب بانقطاع وجوده و اما يتبدل صفه الحياه من الشقاء الى السعاده و من العذاب الى الراحة فالمراد بالحياه فى الآيه الحياه الطيبه على حد قولهم فى الحرض: لا حى فيرجى و لا ميت فينسى.

قوله تعالى: فَدَأْفَلْحَ مَنْ تَزَكَّى وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى التزكى هو التطهر و المراد به التطهر من ألواث التعلقات الدنيويه الصارفه عن الآخره بدليل قوله بعد: «بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» الخ؛ و الرجوع الى الله بالتوجه اليه تطهر من الإخلاق الى الأرض، و الإنفاق فى سبيل الله تطهر من لوث التعلق المالى حتى أن وضوء الصلاه تمثيل للتطهر عما كسبته الوجوه و الأيدي و الأقدام.

و قوله: وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى الظاهر أن المراد بالذكر الذكر اللفظى، و بالصلاه التوجه الخاص المشروع فى الإسلام.

و الآيتان بحسب ظاهر مدلولهما على العموم لكن ورد فى المأثور عن أئمه أهل البيت عليهم السّلام أنهما نزلتا فى زكاه الفطر و صلاه العيد و كذا من طريق أهل السنه.

قوله تعالى: بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا اضراب بالخطاب لعامه الناس على ما يدعو اليه طبعهم البشرى من التعلق التام بالدنيا و الاشتغال بتعميرها، و الإيثار الاختيار، و قيل: الخطاب للكفار، و الكلام على أى حال مسوق للعتاب و الالتفات لتأكيده.

قوله تعالى: وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى عد الآخره أبقى بالنسبه الى الدنيا مع أنها باقيه

أبديه في نفسها لأن المقام مقام الترجيح بين الدنيا والآخرة و يكفى في الترجيح مجرد كون الآخرة خيرا و أبقى بالنسبه الى الدنيا و ان قطع النظر عن كونها باقيه أبديه.

ق

وله تعالى: إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ الْإِشَارَه بهذا الى ما بين في قوله: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» الى تمام أربع آيات، وقيل: هذا اشاره الى مضمون قوله: «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ» .

قيل: و في ابهام الصحف و وصفها بالتقدم أولا ثم بيانها و تفسيرها بصحف ابراهيم و موسى ثانيا ما لا يخفى من تفخيم شأنها و تعظم أمرها (1).

ص: ٦٦٥

---

١- ١). الأعلى ١-٢٦: بحث روائي في ذكر الركوع و السجود؛ صلاة العيد؛ زكاه الفطره، عدد الانبياء و المرسلين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَعْيَةٍ (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)

## بيان:

سوره انداز و تبشير تصف الغاشيه و هى يوم القيامه الذى يحيط بالناس تصفه بحال الناس فيه من حيث انقسامهم فريقين:السعداء  
و الأشقياء و استقرارهم فيما اعد لهم من الجنه و النار

ص: ٦٦٧

و تنتهى الى امره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ ان يذكر الناس بفنون من التدبير الربوبى فى العالم الداله على ربوبيته تعالى لهم و رجوعهم اليه لحساب اعمالهم.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ استفهام بداعى التفخيم و الإعظام، و المراد بالغايشيه يوم القيامة سُميت بذلك لأنها تغشى الناس و تحيط بهم كما قال: وَ حَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (الكهف ٤٧/)، أو لأنها تغشى الناس بأهوالها بغته كما قيل، أو لأنها تغشى وجوه الكفار بالعذاب.

قوله تعالى: وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ أى مذلله بالغم و العذاب يغشاها، و الخشوع إنما هو لأرباب الوجوه و إنما نسب الى الوجوه لأن الخشوع و المذله يظهر فيها.

قوله تعالى: عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ النصب التعب و «عَامِلَةٌ» خبر بعد خبر لوجوه، و كذا قوله: «نَاصِبَةٌ» و «تَضِيلٌ» و «تُسْقَى» و «لَيْسَ لَهُمْ» ، و المراد من عملها و نصبها بقرينه مقابلهما فى صفة أهل الجنة الآتية بقوله: «لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ» عملها فى الدنيا و نصبها فى الآخرة فإن الإنسان إنما يعمل ما يعمل فى الدنيا ليسعد به و يظفر بالمطلوب لكن عملهم خبط باطل لا ينفعهم شيئاً كما قال تعالى: وَ قَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا (الفرقان / ٢٣) فلا- يعود اليهم من عملهم إلا- النصب و التعب بخلاف أهل الجنة فإنهم لسعيهم الذى سعوه فى الدنيا راضون لما ساقهم الى الجنة و الراحة.

قوله تعالى: تَضَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً أى تلزم نارا فى نهايه الحراره.

قوله تعالى: تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ أى حاره بالغه فى حرارتها.

قوله تعالى: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ قيل: الضريح نوع من الشوك يقال له: الشبرق و أهل الحجاز يسمونه الضريح إذا يبس و هو أخبث طعام و أبشعه لا ترعاه دابه، و لعل تسميه ما فى النار به لمجرد المشابهه شكلا

و خاصه.

قوله تعالى: «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ» من النعمه فيكون كناية عن البهجه و السرور الظاهر على البشره كما قال: «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (المطففين ٢٤)»، أو من النعمه أى متنعمه. قيل: و لم يعطف على قوله: «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ» إشاره الى كمال بينونه بين حالى الفريقين.

قوله تعالى: «لِسَعِيدِهَا رَاضِيَةٌ» اللام للتقويه، و المراد بالسعى سعيها فى الدنيا بالعمل الصالح، و المعنى رضيت سعيها و هو عملها الصالح حيث جوزيت به جزاء حسنا.

قوله تعالى: «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ» -الى قوله- «وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ» المراد بعلوها ارتفاع درجاتها و شرفها و جلالتها و غزراه عيشها فإن فيها حياه لا موت معها، و لذه لا ألم يشوبها و سرورا لا غم و لا حزن يداخله لهم فيها فوق ما يشاءون.

و قوله: «لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَعْيُنٍ» أى لا تسمع تلك الوجوه فى الجنه كلمه ساقطه لا فائده فيها.

و قوله: «فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ» المراد بالعين جنسها فقد عد تعالى فيها عيونا فى كلامه كالسلسيل و الشراب الطهور و غيرهما.

و قوله: «فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ» السرر جمع سرير و فى ارتفاعها جلاله القاعد عليها، «وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ» الأكواب جمع كوب و هو الإبريق لا خرطوم له و لا عروه يتخذ فيه الشراب «وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ» النمارق جمع نمرقه و هى الوساده و كونها مصفوفه وضعها فى المجلس بحيث يتصل بعضها ببعض على هيئه المجالس الفاخره فى الدنيا «وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ» الزرابى جمع زريبه مثلثه الزاى و هى البساط الفاخر و بنها بسطها للقعود عليها.

قوله تعالى: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ» بعد ما فرغ من وصف الغاشيه و بيان حال الفريقين، المؤمنين و الكفار عقبه بإشاره إجماليه الى التدبير الربوبى الذى

يفصح عن ربوبيته تعالى المقتضيه لوجوب عبادته و لازم ذلك حساب الأعمال و جزاء المؤمن بإيمانه و الكافر بكفره و الظرف الذى فيه ذلك هو الغاشيه.

و قد دعاهم أولا- أن ينظروا الى الإبل كيف خلقت؟ و كيف صورّ الله سبحانه أرضا عادمه للحياه فاقده للشعور بهذه الصوره العجيبه فى أعضائها و قواها و أفاعيلها فسخرها لهم ينتفعون من ركوبها و حملها و لحمها و ضرعها و جلدتها و وبرها حتى بولها و بعرتها فهل هذا كله توافق اتفاقي غير مطلوب بحياله؟

و تخصيص الإبل بالذكر من جهه أن السوره مكيه و أول من تتلى عليهم الأعراب و اتخاذ الآبال من أركان عيشتهم.

قوله تعالى: **وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ** و زينت بالشمس و القمر و سائر النجوم الزواهر بما فيها من المنافع لأهل الأرض و قد جعل دونها الهواء الذى يضطر اليه الحيوان فى تنفسه.

قوله تعالى: **وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ** و هى أوتاد الأرض المانعه من مورها و مخازن الماء التى تتفجر منها العيون و الأنهار و محافظ للمعادن.

قوله تعالى: **وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** أى بسطت و سويت فصلحت لكنى الإنسان و سهل فيها النقل و الانتقال و أغلب التصرفات الصناعيه التى للإنسان.

فهذه تدبيرات كليه مستنده اليه تعالى بلا ريب فيه فهو رب السماء و الأرض ما بينهما فهو رب العالم الإنسانى يجب عليهم أن يتخذوه ربا و يوحده و يعبدوه و أمامهم الغاشيه و هو يوم الحساب و الجزاء.

قوله تعالى: **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ** تفريع على ما تقدم و المعنى إذا كان الله سبحانه هو ربهم لا رب سواه و أمامهم يوم الحساب و الجزاء لمن آمن منهم أو كفر فذكرهم بذلك.

وقوله: **إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ** بيان أن وظيفته-و هو رسول-التذكرة رجاء أن يستجيبوا و يؤمنوا من غير إكراه و إجاء.

قوله تعالى: **لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ** المصيطر-و أصله المسيطر-المتسلط، و الجملة بيان و تفسير لقوله: **إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ**.

قوله تعالى: **إِلَّا مَنْ تَوَلَّى** وَ كَفَرَ استثناء من المفعول المحذوف لقوله السابق:

«فَذَكَّرْ» و التقدير فذكر الناس إلا من تولى منهم عن التذكرة و كفر إذ تذكرته لغو لا فائده فيها، و معلوم أن التولى و الكفر إنما يكون بعد التذكرة فالمنفى بالاستثناء هو التذكرة بعد التذكرة كأنه قيل: ذكركم و آدم التذكرة إلا لمن ذكرته فتولى عنها و كفر، فليس عليك إدامه تذكرته بل أعرض عنه فيعذبه الله العذاب الأكبر.

فقوله: **فَذَكَّرْ** -الى قوله- **إِلَّا مَنْ تَوَلَّى** وَ كَفَرَ **فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ** فى معنى قوله: **فَذَكَّرْ** **إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى** -الى أن قال- وَ **يَتَجَبَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى** (الأعلى ١٢) و قد تقدم بيانه.

و قيل: الاستثناء من ضمير «عليهم» فى قوله: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ» و المعنى لست عليهم بمتسلط إلا- على من تولى منهم عن التذكرة و أقام على الكفر فسيسلطك الله عليه و يأمرك بالجهاد فتقاتله فتقتله.

و قيل: الاستثناء منقطع و المعنى لست عليهم بمتسلط لكن من تولى و كفر منهم يعذبه الله العذاب الأكبر، و ما قدمناه من الوجه أرجح و أقرب.

قوله تعالى: **فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ** هو عذاب جهنم فالآيه كما تقدم محاذيه لقوله فى سورة الأعلى: **الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى**.

قوله تعالى: **إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمُ** الإياب الرجوع و «إِلَيْنَا» خبر إن و إنما قدم للتأكيد و لرعايه الفواصل دون الحصر إذ لا قائل برجوع الناس الى غير الله سبحانه و الآيه فى مقام

التعليل للتعذيب المذكور في الآيه السابقه.

قوله تعالى: **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمُ الْكَلَامِ فِيهِ كَالْكَلَامِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.**

ص: ٦٧٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) وَ لِيَالِ عَشْرِ (٢) وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ (٣) وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسِر (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي  
 حِجْرِ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعِمَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَ ثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ  
 بِالْوَادِ (٩) وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣)  
 إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمٍ صَادٍ (١٤) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ  
 فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَ لَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَ تَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَ  
 تُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ  
 يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أَنَّى لَهُ الذُّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا (٢٥) وَ لَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ  
 أَحَدًا (٢٦) يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) إِرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَ ادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)





فى السوره ذم التعلق بالدنيا المتعقب للطغيان و الكفران و إبعاد أهله بأشد عذاب الله فى الدنيا و الآخرة فتبين أن الانسان لقصور نظره و سوء فكره يرى أن ما آتاه الله من نعمه من كرامته على الله و أن ما يتلبس به من الفقر و العدم من هوانه فيطغى و يفسد فى الأرض إذا وجد و يكفر إذا فقد و قد اشتبه عليه الأمر فما يصيبه من القدره و الثروه و من الفقر و ضيق المعاش امتحان و ابتلاء إلهى ليظهر به ما ذا يقدم من دنياه لآخره.

فليس الأمر على ما يتوهمه الإنسان و يقوله بل الأمر كما سيتذكره إذا وقع الحساب و حضر العذاب أن ما أصابه من فقر أو غنى أو قوه أو ضعف كان امتحانا إلهيا و كان يمكنه أن يقدم من يومه لغده فلم يفعل و آثر العقاب على الثواب فليس ينال الحياه السعيده فى الآخرة إلا النفس المطمئنه الى ربها المسلمه لأمره التى لا تتزلزل بعواصف الابتلاءات و لا يطغيه الوجدان و لا يكفره الفقدان.

و السوره مكيه بشهاده سياق آياتها.

قوله تعالى: وَ الْفَجْرِ وَ لَيَالٍ عَشْرٍ وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسِيرٌ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ الْفَجْرِ الصَّبْحِ وَ الشَّفْعِ الزَّوْجِ، قال الراغب: الشفع ضم الشىء الى مثله و يقال للمشفوع شفع. انتهى. و سرى الليل مضيه و إدباره، و الحجر العقل فقوله:

«وَ الْفَجْرِ» إقسام بالصبح و كذا الحال فيما عطف عليه من ليال و الشفع و الوتر و الليل.

و لعل ظاهر قوله: «وَ الْفَجْرِ» أن المراد به مطلق الفجر و لا يبعد أيضا أن يراد به فجر يوم النحر و هو عاشر ذى الحجه.

وقوله: وَ لَيَالٍ عَشْرٍ لَعَلَّ الْمُرَادَ بِهَا اللَّيَالِي الْعَشْرَ مِنْ أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى عَاشِرِهَا وَ التَّنْكِيرُ لِلتَّفْخِيمِ.

وقيل: المراد بها الليالي العشر من آخر شهر رمضان، وقيل: الليالي العشر من أول المحرم، وقيل: المراد عبادة ليال عشر على تقدير أن يراد بالفجر صلاه الفجر.

وقوله: وَ الشَّفْعِ وَ الوَتْرِ يَقْبَلُ الانطِبَاقَ عَلَى يَوْمِ التَّرْوِيهِ وَ يَوْمِ عَرَفَةَ وَ هُوَ الْأَنْسَبُ عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَرَادَ بِالْفَجْرِ وَ لَيَالٍ عَشْرَ فَجْرٍ ذِي الْحِجَّةِ وَ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ لَيَالِيهَا.

وقوله: وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ أَي يَمْضَى فَهُوَ كَقَوْلِهِ: وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (المدثر ٣٣) وَ ظَاهِرُهُ أَنَّ اللَّامَ لِلجِنْسِ فَالْمُرَادُ بِهِ مَطْلَقَ آخِرِ اللَّيْلِ، وَ قِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ لَيْلَةُ الْمَزْدَلِفَةِ وَ هِيَ لَيْلَةُ النَّحْرِ الَّتِي يَسْرَى فِيهَا الْحَاجُّ مِنْ عَرَفَاتٍ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ فَيَجْتَمِعُ فِيهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ثُمَّ يَغْدُو مِنْهَا إِلَى مَنَى وَ هُوَ كَمَا تَرَى وَ خَاصَّةً عَلَى الْقَوْلِ بِكَوْنِ الْمُرَادِ بِلَيَالٍ عَشْرَ هُوَ اللَّيَالِي الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْهَا.

وقوله: هَيْلٌ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِئِنِّي حَجَرُ الْإِشَارَةِ بِذَلِكَ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْقَسَمِ، وَ الْإِسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، وَ الْمَعْنَى أَنَّ فِي ذَلِكَ الَّذِي قَدَّمَ نَاهٍ قَسَمًا كَافِيًا لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ يَفْقَهُ بِهِ الْقَوْلَ وَ يَمَيِّزُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَ إِذَا أَقْسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَمْرٍ— لَا يَقْسِمُ إِلَّا بِمَا لَهُ شَرَفٌ وَ مَنَزَلَةٌ— كَانَ مِنَ الْقَوْلِ الْحَقِّ الْمَوْكَدِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِي صَدَقَتِهِ.

وَ جَوَابُ الْأَقْسَامِ الْمَذْكُورَةِ مَحْذُوفٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا سَيَذْكَرُ مِنْ عَذَابِ أَهْلِ الطَّغْيَانِ وَ الْكُفْرَانِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ ثَوَابِ النُّفُوسِ الْمَطْمَئِنَّةِ، وَ أَنَّ إِعْنَامَهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَ إِمْسَاكِهِ عَنْهُ فِيمَنْ أَمْسَكَهُ إِنَّمَا هُوَ ابْتِلَاءٌ وَ امْتِحَانٌ.

وَ حَذْفُ الْجَوَابِ وَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ عَلَى طَرِيقِ التَّكْنِيهِ أَوْقَعٌ وَ آكَدٌ فِي بَابِ الْإِنذَارِ وَ التَّبَشِيرِ.

قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ هُمُ الْأُولَى قَوْمٌ هُودٌ تَكَرَّرَتْ

قصتهم فى القرآن الكرىم و أشير الى أنهم كانوا بالأحقاف، و قد قدمنا ما يتحصل من قصصهم فى القرآن الكرىم فى تفسير سورة هود.

قوله تعالى: **إِرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد العماد و جمعه عمد ما يعتمد عليه الأبنية، و ظاهر الآيتين أن إرم كانت مدينه لهم معموره عديمه النظير ذات قصور عاليه و عمد ممدده، و قد انقطعت أخبار القوم عهدهم و انمحت آثارهم، فلا سبيل الى الحصول على تفصيل حالهم تطمئن إليها النفس إلا- ما قصه القرآن الكرىم من إجمال قصتهم أنهم كانوا بعد قوم نوح قاطنين بالأحقاف و كانوا ذوى بسطه فى الخلق أولى قوه و بطش شديد، و كان لهم تقدم ورقى فى المدينه و الحضاره لم بلاد عامره و أراض خصبه ذات جنات و نخيل و زروع و مقام كرىم و قد تقدمت القصه.**

قوله تعالى: **وَ ثمود الذين جابوا الصخر بالواد الجوب القطع أى قطعوا صخر الجبال بنحتها بيوتا فهو فى معنى قوله: وَ تَنحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا (الشعراء ١٤٩).**

قوله تعالى: **وَ فِرْعَوْنَ ذى الأوتاد هو فرعون موسى، و سمي ذا الأوتاد-على ما فى بعض الروايات-لأنه كان إذا أراد أن يعذب رجلا بسطه على الأرض و وتد يديه و رجله بأربعة أوتاد فى الأرض و ربما بسطه على خشب و فعل به ذلك، و يؤيده ما حكاه الله من قوله يهدد السحره إذ آمنوا بموسى: **وَ لَأَصْلَبَنَّكُمْ فى جُدُوعِ النَّخْلِ (طه ٧١)** فإنهم كانوا يوتدون يدي المصلوب و رجله على خشبه الصليب.**

قوله تعالى: **الَّذِينَ طَعَوْا فى البلاد فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفسادَ صفه للمذكورين من عاد و ثمود و فرعون، و المعنى ظاهر.**

قوله تعالى: **فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَيْطَ عَذَابٍ صب الماء معروف و صب سوط العذاب كناية عن التعذيب المتتابع المتواتر الشديد، و تنكير عذاب للتفخيم.**

و المعنى فأنزل ربك على كل من هؤلاء الطاغين المكثرين للفساد إثر طغيانهم و اكثارهم

الفساد عذابا شديدا متتابعًا متواليًا لا يوصف.

قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ المرصاد المكان الذى يرصد منه ويرقب و كونه تعالى على المرصاد استعاره تمثليه شبه فيها حفظه تعالى لأعمال عباده بمن يقعد على المرصاد يرقب من يراد رقبه فيأخذه حين يمر به و هو لا يشعر فالله سبحانه رقيب يرقب أعمال عباده حتى إذا طغوا و أكثروا الفساد أخذهم بأشد العذاب.

و فى الآيه تعليل ما تقدم من حديث تعذيب الطغاه المكثرين للفساد من الماضين و فى قوله: «رَبِّكَ» باضافه الرب الى ضمير الخطاب تلويح الى أن سنه العذاب جاريه فى أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ على ما جرت عليه فى الامم الماضين.

قوله تعالى: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ متفرع على ما قبله، فيه تفصيل حال الإنسان إذا أوتى من نعم الدنيا أو حرم كأنه قيل: إن الإنسان تحت رقوب إلهي يرصده ربه هل يصلح أو يفسد؟ و يبتليه و يمتحنه فيما آتاه من نعمه أو حرمه هذا هو الأمر فى نفسه و أما الإنسان فإنه إذا أنعم الله عليه بنعمه حسب أن ذلك اكرام الهى له أن يفعل بها ما يشاء فيطغى و يكثر الفساد، و إذا أمسك و قدر عليه رزقه حسب أنه اهانه الهيه فيكفر و يجزع.

فقوله: «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ» المراد به النوع بحسب الطبع الأولى فاللام للجنس دون الاستغراق.

و قوله: إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ أى امتحنه و اختبره، و العامل فى الظرف محذوف تقديره كائنا اذا، الخ؛ و قيل: العامل فيه «فَيَقُولُ» .

و قوله: فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ تفسير للابتلاء، و المراد بالإكرام و التنعيم الصوريان و ان شئت فقل: الإكرام و التنعيم حدوثا لإبقاء أى أنه تعالى أكرمه و آتاه النعمه ليشكره و يعبده لكنه جعلها نقمه على نفسه تستتبع العذاب.

وقوله: **فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ** أى جعلنى على كرامه منه بالنعمة التى آتانيها و ان شئت فقل: القدره و الجده الموهوبتان اكرام و تنعيم حدوثا و بقاء فلى أن افعل ما أشاء.

و الجملة أعنى قوله: **«فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ»** حكاية ما يراه الإنسان بحسب الطبع، و قول الإنسان: **«رَبِّي أَكْرَمَنِ»** الظاهر فى نسبه التدبير الى الله سبحانه- و لا- يقول به الوثنيه و المنكرون للصانع- مبنى على اعترافه بحسب الفطره به تعالى و إن استنكف عنه لسانا، و أيضا لرعايه المقابله مع قوله: **«إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ»**.

قوله تعالى: **وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ** أى و أما إذا ما امتحنه و اختبره فضيق عليه رزقه فيقول ربي أذلنى و استخف بي.

قوله تعالى: **كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَ لَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ** ردع لقولهم: إن الكرامه هى فى الغنى و التمتع، و فى الفقر و الفقران هوان و مذله، و المعنى ليس كما تقولون و إنما يتأوه تعالى النعمة و امساكه عنه كل ذلك ابتلاء و امتحان يختبر به حال الإنسان من حيث عبوديته.

و فى قوله: **بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ** الخ؛ إضراب يؤكده الردع بذكر بعض التمتع الذى لا يجامع الكرامه البته كعدم إكرامهم اليتيم بأكل تراثه و منعه منه و عدم التحريض على إطعام المسكين حبا للمال فالفطره الإنسانية لا يرتاب فى أن لا كرامه فى غنى هذا شأنه.

و فى الإضراب مضافا الى أصل الردع تقريع و لتشديد هذا التقريع وقع الالتفات من الغيبه الى الخطاب.

فقوله: **بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ** عدم إكرامه حرمانه من تراث أبيه- كما كانوا يحرمون صغار الأولاد من الإرث- و تركه صفر الكف بلغ به الجهد ما بلغ كما يؤيده الآيه التاليه **«وَ تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ»** الخ.

و قوله: **وَ لَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ** أصله و لا تتحاضون، و هو

تحريض بعضهم بعضاً على التصدق على المساكين المعدمين، و منشؤه حب المال كما فى الآيه الآتية «و تُحِبُّونَ الْمَالَ» الخ.

قوله تعالى: وَ تَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمَّا لَلَّمْ أَكَلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَ غَيْرَهُ وَ أَكَلَهُ مَا يَجِدُهُ مِنْ دُونِ أَنْ يَمِيزَ الطَّيِّبَ مِنَ الْخَبِيثِ، وَ الْآيَةُ تَفْسِيرٌ لِعَدَمِ إِكْرَامِهِمُ الْيَتِيمَ كَمَا تَقْدَمُ.

قوله تعالى: وَ تُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا الْجَمُّ الْكَثِيرُ الْعَظِيمُ، وَ الْآيَةُ تَفْسِرُ عَدَمَ تَحَاضِهِمْ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ كَمَا تَقْدَمُ.

قوله تعالى: كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا الدَّكُّ هُوَ الدَّقُّ الشَّدِيدُ، وَ الْمَرَادُ بِالظَّرْفِ حُضُورُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ردع ثان عما يقول الإنسان فى حالى الغنى و الفقر، و قوله: «إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ» الخ؛ فى مقام التعليل للردع، و محصل المعنى ليس كما يقوله الإنسان فإنه سيتذكر إذا قامت القيامة أن الحياه الدنيا و ما فيها من الغنى و لا فقر و أضرابهما لم تكن مقصوده بالذات بل كانت ابتلاء و امتحاناً من الله تعالى يميز به السعيد من الشقى و يهيئ الإنسان فيها ما يعيش به فى الآخرة و قد التبس عليه الأمر فحسبها كرامه مقصوده بالذات فاشتغل بها و لم يقدم لحياته الآخرة شيئاً فيتمنى عند ذلك و يقول: يا ليتنى قدمت لحياتى و لن يصرف التمنى عنه شيئاً من العذاب.

قوله تعالى: وَ لِحِجَاءِ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صِهْفًا صِهْفًا نَسَبَهُ الْمَجِيءُ إِلَيْهِ تَعَالَى مِنَ الْمُشَابَهَةِ الَّتِى يَحْكُمُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (الشورى ١١) و ما ورد فى آيات القيامة من خواص اليوم كتقطع الأسباب و ارتفاع الحجب عنهم و ظهور أن الله هو الحق المبين.

و الى ذلك يرجع ما ورد فى الروايات أن المراد بمجيئه تعالى مجيء أمره قال تعالى:

وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (الانفطار ١٩)، و يؤيد هذا الوجه بعض التأييد قوله تعالى: هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ (البقره ٢١٠) إذا

انضم الى قوله: هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ (النحل ٣٣) و عليه فهناك مضاف محذوف و التقدير جاء أمر ربك أو نسبه المجيء اليه تعالى من المجاز العقلي.

و الكلام فى نسبه المجيء الى الملائكه و كونهم صفا صفا كما مر.

قوله تعالى: وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ الى آخر الآيه؛ لا يبعد أن يكون المراد بالمجىء بجهنم إبرازها لهم كما فى قوله تعالى: وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (النازعات ٣٦) و قوله:

وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (الشعراء ٩١)، و قوله: لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَ كَيْفَ بَصُرْتُمْ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (ق ٢٢).

و قوله: يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ أى يتذكر أجلي التذكر أن ما كان يؤتاه فى الحياه الدنيا من خير أو شر كان من ابتلاء الله و امتحانه و أنه قصر فى أمره، هذا ما يفيد السباق.

و قوله: «وَ أَنَّى لَهُ الذُّكْرَى» أى و من أين له الذكرى كناية عن عدم انتفاعه بها فإن الذكرى إنما تنفع فيما أمكنه أن يتدارك ما فرط فيه بتوبه و عمل صالح و اليوم يوم الجزاء لا يوم الرجوع و العمل.

قوله تعالى: يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي أى لحياتى هذه و هى الحياه الآخره أو المراد الحياه الحقيقيه و هى الحياه الآخره على ما نبه تعالى عليه بقوله: وَ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (العنكبوت ٦٤).

و المراد بالتقديم للحياه تقديم العمل الصالح للحياه الآخره و ما فى الآيه تمن يتمناه الإنسان عند ما يتذكر يوم القيامة و يشاهد أنه لا ينفعه.

قوله تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَ لَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ضَمِيرًا «عَذَابُهُ وَ وَثَاقُهُ» لله تعالى و المعنى فيومئذ لا يعذب عذاب الله أحد من الخلق و لا يوثق وثاق الله أحد من الخلق أى إن عذابه و وثاقه تعالى يومئذ فوق عذاب الخلق و وثاقهم، تشديد فى



و قرء «لَا يُعَذِّبُ» بفتح الذال و «وَلَا يُوثِقُ» بفتح التاء بالبناء للمفعول و ضميرا «عَذَابُهُ وَثَاقَهُ» على هذا للإنسان و المعنى لا يعذب أحد يومئذ مثل عذاب الانسان و لا يوثق أحد يومئذ مثل وثاقه.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ الّذِي يعطيه سياق المقابلة بين هذه النفس بما ذكر لها من الأوصاف و عين لها من حسن المنقلب و بين الإنسان المذكور قبل بما ذكر له من وصف التعلق بالدنيا و الطغيان و الفساد و الكفران، و ما أوعد من سوء المصير هو أن النفس المطمئنة هي التي تسكن الى ربها و ترضى بما رضى به فترى نفسها عبدا لا يملك لنفسه شيئا من خير أو شر أو نفع أو ضرر و يرى الدنيا دار مجاز و ما يستقبله فيها من غنى أو فقر أو أى نفع و ضرر ابتلاء و امتحانا إلهيا فلا يدعوه تواتر النعم عليه الى الطغيان و إكثار الفساد و العلو و الاستكبار، و لا يوقعه الفقر و الفقران فى الكفر و ترك الشكر بل هو فى مستقر من العبودية لا ينحرف عن مستقيم صراطه بإفراط أو تفريط.

قوله تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ خطاب ظرفه جميع يوم القيامة من لدن إحيائها الى استقرارها فى الجنة بل من حين نزول الموت الى دخول جنة الخلد و ليس خطابا واقعا بعد الحساب كما ذكره بعضهم.

و توصيفها بالراضية لأن اطمئنانها الى ربها يستلزم رضاها بما قدّر و قضى تكويننا أو حكم به تشريعا فلا تسخطها سانحه و لا تزيغها معصية، و إذا رضى العبد من ربه رضى الرب منه إذ لا يسخطه تعالى إلا خروج العبد من زى العبودية فإذا لزم طريق العبودية استوجب ذلك رضى ربه و لذا عقب قوله: «رَاضِيَةً» بقوله: «مَرْضِيَةً» .

قوله تعالى: ﴿فَمَا دُخِلِي فِي عِبَادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي﴾ تفريع على قوله: «ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ» و فيه دلالة على أن صاحب النفس المطمئنة فى زمرة عباد الله حائز مقام العبودية.

و ذلك أنه لما اطمأن الى ربه انقطع عن دعوى الاستقلال و رضى بما هو الحق من ربه فرأى ذاته و صفاته و أفعاله ملكا طلقا لربه فلم يرد فيما قدر و قضى و لا فيما أمر و نهى إلا ما أراد ربه، و هذا ظهور العبوديه التامه فى العبد ففى قوله: «فَادْخُلِي فِي عِبَادِي» تقرير لمقام عبوديتها.

و فى قوله: «وَ ادْخُلِي جَنَّتِي» تعيين لمستقرها، و فى إضافه الجنه الى ضمير التكلم تشرىف خاص، و لا- يوجد فى كلامه تعالى إضافه الجنه الى نفسه تعالى و تقدس الى فى هذه الآيه (1).

ص: ٦٨٣

---

١ - ١). الفجر ١-٣٠: بحث روائى فى: الشفع و الوتر، تسميه فرعون ذا الاوتاد يوم القيامة؛ قبض روح المؤمن و تمثل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و امير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين و الاثمه من ذريتهم عليهم السلام له.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَالْإِثْمِ وَالْإِثْمِ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ (٩) وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ (٢٠)

تذكر السوره أن خلقه الانسان مبنيه على التعب و المشقه فلا تجد شأنا من شئون الحياه إلا مقرونا بمراره الكد و التعب من حين يلج في جثمانه الروح الى أن يموت فلا- راحه له عاريه من التعب و المشقه و لا سعادته له خالصه من الشقاء و المشأمه إلا في الدار الآخره عند الله.

فليتحمل ثقل التكليف الإلهيه بالصبر على الطاعه و عن المعصيه و ليجد في نشر الرحمه على المبتلين بنوائب الدهر كاليتيم و الفقر و المرض و اضرابها حتى يكون من أصحاب اليمينه و إلا فأخرته كاواه و هو من أصحاب المشأمه عليهم نار مؤصده.

و سياق آيات السوره، يشبه السياق المكي فيؤيد به كون السوره مكيه و قد ادعى بعضهم عليه الاجماع، و قيل: السوره مدنيه و السياق لا يساعد عليه، و قيل: مدنيه إلا أربع آيات من

أولها و سيأتي في البحث الروائي التالي إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ذكروا أن المراد بهذا البلد مكة و تؤيده مكيه سياق السوره و قوله: «وَالِدٍ وَمَا وَلَدٍ» خاصه بناء على كون المراد بوالد هو ابراهيم عليه السلام على ما سيحىء.

قوله تعالى: وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ حال من هذا البلد، و وضع الظاهر موضع الضمير فى قوله: «بِهَذَا الْبَلَدِ» للدلاله على عظم شأنه و الاعتناء بأمره و هو البلد الحرام، و الحل مصدر كالحلول بمعنى الإقامه و الاستقرار فى مكان و المصدر بمعنى الفاعل.

و المعنى أقسم بهذا البلد و الحال أنك حال به مقيم فيه و فى ذلك تنبيه على تشرف مكة بحلولة صلى الله عليه و آله و سلم فيها و كونه مولده و مقامه.

قوله تعالى: وَ وَالِدٍ وَمَا وَلَدٍ لزم نوع من التناسب و الارتباط بين القسم و المقسم عليه يستدعى أن يكون المراد بوالد و ما ولد من بينه و بين البلد المقسم به نسبه ظاهره و ينطبق على ابراهيم و ولده إسماعيل عليهما السلام و هما السببان الأصلان لبناء بلده مكة و البانيان للبيت الحرام قال تعالى: وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ (البقره ١٢٧) و ابراهيم عليه السلام هو الذى سأل الله أن يجعل مكة بلدا آمنا قال تعالى: وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا (ابراهيم ٣٥). و تنكير «وَالِدٍ» للتعظيم و التفخيم، و التعبير بقوله:

«وَمَا وَلَدٍ» دون أن يقال: و من ولد، للدلاله على التعجيب من أمره مدحا كما فى قوله: وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ (آل عمران ٣٦).

و المعنى و اقسام بوالد عظيم الشأن هو ابراهيم و ما ولد من ولد عجيب أمره مبارك اثره و هو إسماعيل ابنه و هما البانيان لهذا البلد فمفاد الآيات الثلاث الإقسام بمكة المشرفه و بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم الذى هو حل فيها و بابراهيم و إسماعيل اللذين بناها.

قوله تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ الكبد الكد و التعب، و الجملة جواب

القسم فاشتمال الكبد على خلق الإنسان و إحاطه الكدّ و التعب به فى جميع شئون حياته مما لا يخفى على ذى لب فليس يقصد نعمه من نعم الدنيا إلا- خالصه فى طيبتها محضه فى هئائها و لا- ينال شيئاً منها إلا- مشوبه بما ينغص العيش مقرونه بمقاساه و مكابده مضافا الى ما يصيبه من نوائب الدهر و يفاجئه من طوارق الحدثان.

قوله تعالى: أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ بِمَنْزَلِهِ التَّيْجَةَ لِحُجَّةِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ تَقْرِيرُهَا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَمَّا كَانَتْ خَلَقْتَهُ مَبْنِيَةً عَلَى كِبَدٍ مَظْرُوفَةٍ لَهُ لَا يَنَالُ قَطُّ شَيْئًا مِمَّا يَرِيدُ إِلَّا دُونَ مَا يَرِيدُ أَوْ غَيْرَ مَا يَرِيدُ فَهُوَ مُحَاطٌ فِي خَلْقِهِ مَغْلُوبٌ فِي إِرَادَتِهِ مَقْهُورٌ فِيمَا قَدَرَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ وَ الَّذِي يَغْلِبُهُ فِي إِرَادَتِهِ وَ يَقْهَرُهُ عَلَى التَّلَبُّسِ بِمَا قَدَرَ لَهُ وَ هُوَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ فَلَهُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيهِ بِمَا شَاءَ وَ يَأْخُذَهُ إِذَا أَرَادَ.

فليس للإنسان أن يحسب أن لن يقدر عليه أحد فيدعوه ذلك الى أن يعلو على الله و يستكبر عن عبادته أو يعطيه فى بعض ما أمر به كالإنفاق فى سبيله فيستكثره و يمتن به على الله أو يمكر به تعالى بعد ما عمله رياء و سمعه عملا- لوجه الكريم فيقول: أهلك ما لا لبدا.

قوله تعالى: يُقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا الْبَدُّ الْكَثِيرُ، سِيَاقُ الْآيَةِ وَ مَا يَتْلُوهَا مِنَ الْآيَاتِ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ مَشْعُرٌ بِأَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ بَعْضٌ مِنْ أَظْهَرِ الْإِسْلَامِ أَوْ مَالٍ إِلَيْهِ فَقَدْ أَنْفَقَ بَعْضُ مَالِهِ وَ ائْتَمَّنَ بِهِ مُسْتَكْتَرًا لَهُ بِقَوْلِهِ: «أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا» فَتَزَلَّتِ الْآيَاتُ وَ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِأَنَّ الْفَوْزَ بِمَيْمَنَةِ الْحَيَاةِ لَا- يَتِمُّ إِلَّا- بِاِقْتِحَامِ عَقْبِهِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الدَّخُولِ فِي زَمَرِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ الْمَرْحَمَةِ، وَ يَتَأَيَّدُ بِهِ مَا سَيَأْتِي فِي الْبَحْثِ الرَّوَائِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قوله تعالى: أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ يُنْكِرُ لَمَّا هُوَ لَازِمٌ قَوْلُ الْإِنْسَانِ «أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا» عَلَى طَرِيقِ التَّكْنِيهِ وَ مُحْصَلُ الْمَعْنَى أَنَّ لَازِمَ إِخْبَارِ الْإِنْسَانِ بِأَهْلَاكِهِ مَالًا لُبَدًا أَنَّهُ يَحْسَبُ أَنَا فِي غَفْلَةٍ وَ جَهْلٍ بِمَا أَنْفَقَ وَ قَدْ أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ فَاللَّهُ سَبْحَانَهُ بِصِيرٍ بِمَا أَنْفَقَ لَكِنْ هَذَا الْمَقْدَارُ لَا يَكْفِي فِي الْفَوْزِ بِمَيْمَنَةِ الْحَيَاةِ بَلْ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَحَمَّلَ مَا هُوَ أَزِيدُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ مَشَاقِّ

العبودية فيفتحهم العقبة و يكون مع المؤمنين في جميع ما هم فيه.

قوله تعالى: أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ النجد الطريق المرتفع، و المراد بالنجدين طريق الخير و طريق الشر و سميا النجدين لما في سلوك كل منهما من الجهد و الكدح، و فسرا بثدي الام و هو بعيد.

و قوله: أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ أى جهزناه في بدنه بما يبصر به فيحصل له العلم بالمرئيات على سعه نطاقها، و قوله: «وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ» أى أ و لم نجعل له لسانا و شفيتين يستعين بها على التكلم و الدلالة على ما في ضميره من العلم و يهتدى بذلك غيره على العلم بالامور الغائبة عن البصر.

و قوله: وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ أى علمناه طريق الخير و طريق الشر بالهام منا فهو يعرف الخير و يميزه من الشر فالآية في معنى قوله تعالى: وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا (الشمس ٨).

قوله تعالى: فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ الاقتحام الدخول بسرعه و ضغط و شدة، و العقبة الطريق الصعب الوعر الذى فيه صعود من الجبل، و اقتحام العقبة إشاره الى الإنفاق الذى يشق على منفقته كما سيصرح به.

قوله تعالى: وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ تفخيم لشأنها كما مر في نظائره.

قوله تعالى: فَكُ رَقَبَةٍ أى عتقها و تحريرها أو التقدير هى أى العقبة فك رقبه فالمراد بالعقبه نفس الفك الذى هو العمل و اقتحامه الإتيان به، و الإتيان بالعمل نفس العمل.

و ما ذكر في بيان العقبة من فك الرقبه و الإطعام فى يوم ذى مسغبه من مصاديق نشر الرحمه خص بالذكر لمكان الأهميه، و قدم فك الرقبه و ابتدئ به لكمال عناية الدين بفك الرقاب.

قوله تعالى: أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْخَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ المسغبه المجاعه، و المقربه القرابه بالنسب، و المتربه من التراب و معناها الالتصاق

بالتراب من شدة الفقر، والمعنى أو إطعام في يوم المجاعة يتيما من ذى القربى أو مسكينا شديد الفقر.

قوله تعالى: **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** المرحمة مصدر ميمى من الرحمة، والتواصى بالصبر وصيه بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله والتواصى بالمرحمة وصيه بعضهم بعضا بالرحمة على ذوى الفقر والفاقة والمسكنه.

او الجملة أعنى قوله: **«ثُمَّ كَانَ»** الخ؛ معطوفه على قول **«أَفْتَحَمَ»** و التقدير فلا اقتحم العقبه و لا كان من الذين آمنوا، الخ؛ وقيل فيها غير ذلك مما لا جدوى فيه.

قوله تعالى: **أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ** بمعنى اليمن مقابل الشؤم، والإشارة بأولئك الى ما يدل عليه السياق السابق أى الذين اقتحموا العقبه و كانوا من الذين آمنوا و تواصوا بالصبر و المرحمة أصحاب اليمين لا- يرون مما قدموه من الإيمان و عملهم الصالح إلا أمرا مباركا جميلا مرضيا.

قوله تعالى: **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ** الآيات الآفقيه و الانفسيه آيات و أدله عليه تعالى تدل على توحيده فى الربوبيه و الالهويه و سائر ما يتفرع عليه و ردها كفر بها و الكفر بها كفر بالله و كذا القرآن الكريم و آياته، و كذا ما نزل و بلغ طريق الرساله.

و الظاهر أن المراد بالآيات مطلقها، و المشأمه خلاف الميمنه.

قوله تعالى: **عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ** أى مطبقه (1).

ص: ٦٨٩

(١- ١). البلد ١-٢٠: بحث روائى فى حرمه مكه و الكعبه؛ النجدين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَرَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)

تذكر السوره أن فلاح الانسان-و هو يعرف التقوى و الفجور بتعريف إلهى و إلهام باطنى- أن يزكى نفسه و ينميها إنماء صالحا بتحليلتها بالتقوى و تطهيرها من الفجور، و الخيبة و الحرمان من السعاده لمن يدسّـيها، و يستشهد لذلك بما جرى على ثمود من عذاب الاستئصال لما كذبوا رسولهم صالحا و عقروا الناقه، و فى ذلك تعريض لأهل مكه، و السوره مكيه بشهاده من سياقها.

قوله تعالى: وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا فى المفردات: الضحى انبساط الشمس و امتداد النهار و سمي الوقت به انتهى. و الضمير للشمس، و فى الآيه إقسام بالشمس و انبساط ضوئها على الأرض.

قوله تعالى: وَ الْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا عَظْفُ عَلَى الشَّمْسِ وَ الضمير لها و إقسام بالقمر حال كونه تاليا للشمس، و المراد بتلوه لها إن كان كسبه النور منها فالحال حال دائمه و إن كان طلوعه بعد غروبها فالإقسام به من حال كونه هلالا الى حال تبدره.

قوله تعالى: وَ النَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا التجليه الإظهار و الإبراز، و ضمير التأنيث للأرض، و المعنى و أقسم بالنهار إذا أظهر الأرض للأبصار.

وقيل: ضمير الفاعل في «جَلَّالَهَا» للنهار و ضمير المفعول للشمس، و المراد الإقسام بحال إظهار النهار للشمس فإنها تنجلي و تظهر إذا انبسط النهار، و فيه أنه لا يلائم ما تقدمه فان الشمس هي المظهره للنهار دون العكس.

قوله تعالى: وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا أَي يَغْطِي الْأَرْضَ، فالضمير للأرض كما في «جَلَّالَهَا» .

و التعبير عن غشيان الليل الأرض بالمضارع بخلاف تجليه النار لها حيث قيل «وَ النَّهَارِ إِذَا جَلَّالَهَا وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا» للدلالة على الحال ليكون فيه إيحاء الى غشيان الفجور الارض في الزمن الحاضر الذي هو أوائل ظهور الدعوه الاسلاميه لما تقدم أن بين هذه الاقسام و بين المقسم بها نوع اتصال و ارتباط، هذا مضافا الى رعايه الفواصل.

قوله تعالى: وَ السَّمَاءِ وَ مَا بَنَاهَا وَ الْأَرْضِ وَ مَا طَحَّاهَا طحو الأرض و دحوها بسطها، و «مَا» في «وَ مَا بَنَاهَا» و «مَا طَحَّاهَا» موصوله، و الذي بناها و طحاها هو الله تعالى و التعبير عنه تعالى بما دون من لإيثار الإبهام المفيد للتفخيم و التعجيب فالمعنى و أقسم بالسماء و الشئ القوي العجيب الذي بناها و أقسم بالأرض و الشئ القوي العجيب الذي بسطها.

قوله تعالى: وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا أَي و أقسم بنفس و الشئ ذى القدره و العلم و الحكمة الذى سواها و رتب خلقتها و نظم أعضائها و عدل بين قواها.

و تنكير «نَفْسٍ» قيل: للتنكير، و قيل: للتفخيم و لا يبعد أن يكون التنكير للإشارة الى أن لها وصفا و أن لها نبأ.

و المراد بالنفس النفس الانسانيه مطلقا و قيل: المراد بها نفس آدم عليه السَّلام و لا يلائمه السياق و خاصه قوله: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» إلا بالاستخدام على أنه لا موجب للتخصيص.

قوله تعالى: فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا الفجور-على ما ذكره الراغب-شق ستر الديانته فاللهي عن فعل أو عن ترك حجاب مضروب دونه حائل بين الانسان و بينه و اقرار المنهى عنه شق للستر و خرق للحجاب.

و التقوى-على ما ذكره الراغب-جعل النفس في وقايه مما يخاف،و المراد بها بقريته المقابله في الآيه بينها و بين الفجور التجنب عن الفجور و التحرز عن المنافى و قد فسرت في الروايه بأنها الورع عن محارم الله.

و الإلهام الإلقاء في الروح و هو إفاضته تعالى الصور العلميه من تصور أو تصديق على النفس.

و تعليق الإلهام على عنوانى فجور النفس و تقواها للدلاله على أن المراد تعريفه تعالى للانسان صفة فعله من تقوى أو فجور وراء تعريفه متن الفعل بعنوانه الأولى المشترك بين التقوى و الفجور كأكل المال مثلا المشترك بين أكل مال اليتيم الذى هو فجور و بين أكل مال نفسه الذى هو من التقوى،و المباشرة المشتركه بين الزنا و هو فجور و النكاح و هو من التقوى و بالجمله المراد أنه تعالى عرّف الانسان كون ما يأتى به من فعل فجورا أو تقوى و ميز له ما هو تقوى مما هو فجور.

و تفرّيع الإلهام على التسويه فى قوله: «وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا» الخ؛ للإشاره الى أن إلهام الفجور و التقوى و هو العقل العملى من تكميل تسويه النفس فهو من نعوت خلقتها كما قال تعالى: فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ (الروم ٣٠).

و اضافه الفجور و التقوى الى ضمير النفس للإشاره الى أن المراد بالفجور و التقوى الملهمين الفجور و التقوى المختصين بهذه النفس المذكوره و هى النفس الانسانيه و نفوس الجن على ما يظهر من الكتاب العزيز من كونهم مكلفين بالإيمان و العمل الصالح.

قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا الفلاح هو الظفر بالمطلوب و إدراك البغيه، و الخيهه خلافه، و الزكاه نمو النبات نموا صالحا ذا بركه و التزكيه إنماؤه كذلك، و التندسى -و هو من الدس بقلب إحدى السينين ياء- إدخال الشيء فى الشيء بضرب من الإخفاء، و المراد بها بقرينه مقابله التزكيه: الانماء على غير ما يقتضيه طبعها و ركبت عليه نفسها.

و الآيه أعنى قوله: «قَدْ أَفْلَحَ» الخ؛ جواب القسم، و قوله: «وَقَدْ خَابَ» الخ؛ معطوف عليه.

و التعبير بالتزكيه و التندسى عن إصلاح النفس و افسادها مبتن على ما يدل عليه قوله:

«فَاللَّهُمَّهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا» على أن من كمال النفس الانسانيه أنها ملهمه مميزه-بحسب فطرتها- للفجور من التقوى أى أن الدين و هو الاسلام لله فيما يريده فطرى للنفس فتحليه النفس بالتقوى تزكيه و انماء صالح و تزويد لها بما يمددها فى بقائها قال تعالى: وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَ اتَّقُونِ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ (البقره ١٩٧/) و أمرها فى الفجور على خلاف التقوى.

قوله تعالى: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا الطغوى مصدر كالطغيان، و الباء للسببيه.

و الآيه و ما يتلوها الى آخر السوره استشهد و تقرير لما تقدم من قوله: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» الخ.

قوله تعالى: إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ظرف لقوله: «كَذَّبَتْ» أو لقوله: «بِطَغْوَاهَا» و المراد بأشقى ثمود هو الذى عقر الناقه و اسمه على ما فى الروايات قدار بن سالف و قد كان انبعثه ببعث القوم كما تدل عليه الآيات التاليه بما فيها من ضمائر الجمع.

قوله تعالى: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا المراد برسول الله صالح عليه السلام نبي ثمود، و قوله: «نَاقَةَ اللَّهِ» منصوب على التحذير، و قوله: «وَسُقْيَاهَا» معطوف

عليه.

و المعنى فقال لهم صالح برسالة من الله: احذروا ناقة الله و سقياها و لا تتعرضوا لها بقتلها أو منعها عن نوبتها فى شرب الماء، و قد فصل الله القصة فى سورة هود و غيرها.

قوله تعالى: فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِم رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا العقر إصابه أصل الشىء و يطلق على نحر البعير و القتل، و الدمدمه على الشىء الاطباق عليه يقال:

دمدم عليه القبر أى أطبقه عليه و المراد شمولهم بعذاب يقطع دابرهم و يمحو أثرهم بسبب ذنبهم.

و قوله: فَسَوَّاهَا الظاهر أن الضمير لثمود باعتبار أنهم قبيله أى فسواها بالأرض أو هو تسويه الأرض بمعنى تسطيحها و اعفاء ما فيها من ارتفاع و انخفاض.

قوله تعالى: وَ لَا يَخَافُ عُقْبَاهَا الضمير للدمدمه أو التسويه، و الواو للاستئناف أو الحال.

و المعنى: و لا- يخاف ربهم عاقبه الدمدمه عليهم و تسويتهم كما يخاف الملوك و الأقوياء عاقبه عقاب أعدائهم و تبعته، لأن عواقب الامور هى ما يريد و على وفق ما يأذن فيه فالآيه قريبه المعنى من قوله تعالى: لا- يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ (الأنبياء ٢٣/١).

ص: ٦٩٥

١-١). الشمس ١-١٦: بحث روائى فى النفس و ما سواها، القضاء و القدر، معنى انتساب التزكيه و التخيب؛ الى الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
(١) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٣) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٤) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى (٥) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٦) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٧) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٨) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٩) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (١٠) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١١) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١٢) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٣) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٤) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٥) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٦) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٧) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٨) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٩) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (٢٠) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢١) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢٢)

غرض السوره الانذار و تسلك اليه بالإشاره الى اختلاف مساعى الناس و أن منهم من أنفق و اتقى و صدق بالحسنى فسيمكّنه الله من حياه خالده سعيده و منهم من بخل و استغنى و كذب بالحسنى فسيسلك الله به الى شقاء العاقبه، و فى السوره اهتمام و عنايه خاصه بأمر الإنفاق المالى.

و السوره تحتل المكيه و المدنيه بحسب سياقها.

قوله تعالى: وَ اللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ ۖ إِقْسَامٌ بِاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ النَّهَارَ عَلَىٰ حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:

يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ (الأعراف ٥٤)، و يحتمل أن يكون المراد غشيانه الأرض أو الشمس.



قوله تعالى: وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى عَظْفِ اللَّيْلِ، والتجلى ظهور الشيء بعد خفائه، والتعبير عن صفه الليل بالمضارع و عن صفه النهار بالماضى حيث قيل «يُعْشَى» و «تَجَلَّى» تقدم فيه وجه فى تفسير أول السوره السابقه.

قوله تعالى: وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى عَظْفِ عَلَى اللَّيْلِ كسابقه، و «مَا» موصوله و المراد به الله سبحانه و إنما عبّر بما دون من، إيثارا للإبهام المشعر بالتعظيم و التفخيم و المعنى و أقسم بالشيء العجيب الذى أوجد الذكر و الانثى المختلفين على كونهما من نوع واحد.

قوله تعالى: إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى السعى هو المشى السريع، و المراد به العمل من حيث يهتم به، و هو فى معنى الجمع، و شتى جمع شتيت بمعنى المتفرق كمرضى جمع مريض.

و الجمله جواب القسم و المعنى أقسم بهذه المتفرقات خلقا و أثرا إن مساعىكم لمتفرقات فى نفسها و آثارها فمنها إعطاء و تقوى و تصديق و لها أثر خاص بها، و منها بخل و استغناء و تكذيب و لها أثر خاص بها.

قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى تفصيل تفرق مساعيتهم و اختلاف آثارها.

و المراد بالإعطاء إنفاق المال لوجه الله بقرينه مقابلته للبخل الظاهر فى الإمساك عن إنفاق المال و قوله بعد: «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» .

و قوله: وَ اتَّقَى كالمفسر للإعطاء يفيد أن المراد هو الإعطاء على سبيل التقوى الدينيه.

و قوله: وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى صفه قائمه مقام الموصوف و الظاهر أن التقدير بالعده الحسنى و هى ما وعد الله من الثواب على الانفاق لوجهه الكريم و هو تصديق البعث و الايمان به و لآزمه الايمان بوحدانته تعالى فى الربوبيه و الالوهيه، و كذا الايمان بالرساله فإنها

طريق بلوغ وعده تعالى للشواب.

و محصل الآيتين أن يكون مؤمنا بالله و رسوله و اليوم الآخر و ينفق المال لوجه الله و ابتغاء ثوابه الذى وعده بلسان رسوله.

و قوله: فَسَيُسِّرُهُ لِلْعُسْرَى التيسير التهيئة و الإعداد و اليسرى الخصله التى فيها يسر من غير عسر، و توصيفها باليسر بنوع من التجوز فالمراد من تيسيره لليسرى توفيقه للأعمال الصالحه بتسهيلها عليه من غير تعسير أو جعله مستعدا للحياه السعيده عند ربه و دخول الجنه بسبب الأعمال الصالحه التى يأتى بها، و الوجه الثانى أقرب و أوضح انطباقا على ما هو المعهود من مواعد القرآن.

قوله تعالى: وَ أَمْ أَمْ مَنْ بَحِلَّ وَ اسْتِغْنَى وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَيُسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَ مَا يُغْنَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى الْبَخْلُ مِقَابِلَ الْإِعْطَاءِ، و الاستغناء طلب الغنى و الثروه بالإمساك و الجمع، و المراد بالتكذيب بالحسنى الكفر بالعهده الحسنى و ثواب الله الذى بلغه الأنبياء و الرسل و يرجع الى انكار البعث.

و المراد بتيسيره للعسرى خذلانه بعدم توفيقه للأعمال الصالحه، بتثقلها عليه و عدم شرح صدره للإيمان أو اعداده للعباد.

و قوله: وَ مَا يُغْنَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى التردى هو السقوط من مكان عال و يطلق على الهلاك فالمراد سقوطه فى حفرة القبر أو فى جهنم أو هلاكه.

و «مَا» استفهاميه أو نافية أى أى شىء يغنيه ماله اذا مات و هلك أو ليس يغنى عنه ماله إذا مات و هلك.

قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ تَعْلِيلَ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ تَيْسِيرِهِ لِلْيُسْرَى وَ لِلْعُسْرَى أَوْ الْإِخْبَارِ بِهِ بِأَوْجِزِ بَيَانٍ، محصله أنا إنما نفعل هذا التيسير أو نبين هذا البيان لأنه من الهدى و الهدى علينا لا يزاحمنا فى ذلك شىء و لا يمنعنا

فقوله: إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَىٰ يُفِيدُ أَنْ هَدَى النَّاسَ مِمَّا قَضَىٰ سَبْحَانَهُ بِهِ وَأَوْجِبَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِمَقْتَضَىٰ الْحِكْمَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ لِيَعْبُدُوهُ  
كَمَا قَالَ: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (الذاريات ٥٦) فجعل عبادته غايه لخلقهم وجعلها صراطا مستقيما اليه كما قال:

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (آل عمران ٥١)، وقال: وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ  
(الشورى ٥٣) وقضى على نفسه أن يبين لهم سبيله ويهديهم اليه بمعنى إراءه الطريق سواء سلكوها أم تركوها كما قال: وَعَلَىٰ  
اللَّهِ قَضِيْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِزٌ (النحل ٩)، وقال: وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (الأحزاب ٤) وقال: إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا  
شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (الإنسان ٣) ولا ينافى ذلك قيام غيره تعالى بأمر هذا المعنى من الهدى بإذنه كالأنبياء كما قال تعالى: وَإِنَّكَ  
لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (الشورى ٥٢)، وقال: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي (يوسف ١٠٨).

وقوله: وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ أَى عالم البدء وعالم العود فكل ما يصدق عليه أنه شىء فهو مملوك له تعالى بحقيقه الملك  
الذى هو قيام وجوده بربه القيوم ويتفرغ عليه الملك الاعتبارى الذى من آثاره جواز التصرفات.

فهو تعالى يملك كل شىء من كل جهه فلا يملك شىء منه شيئا فلا معارض يعارضه ولا مانع يمنعُه ولا شىء يغلبه كما قال:  
وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ (الرعد ٤١) وقال: وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ (يوسف ٢١)، وقال: وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (إبراهيم ٢٧).

قوله تعالى: فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْتَظِي لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى تفرّيع على ما تقدم أى إذا كان الهدى علينا فأندرتكم  
نار جهنم وبذلك يوجه ما فى قوله: «فَأَنْذَرْتُكُمْ» من الالتفات عن التكلم مع الغير الى التكلم وحده أى إذا كان الهدى

مقضيته محتومه فالمنذر بالأصالة هو الله و إن كان بلسان رسوله.

و تلظى النار تلهبها و توهجها، و المراد بالنار التي تتلظى جهنم كما قال تعالى: **كَلَّا إِنَّهَا لَلظَى** (المعارج/١٥).

و المراد بالأشقى مطلق الكافر الذي يكفر بالتكذيب و التولى فإنه أشقى من سائر من شقى في دنياه فمن ابتلى في بدنه شقى و من أصيب في ماله أو ولده مثلا شقى و من خسر في أمر آخرته شقى و الشقى في أمر آخرته أشقى من غيره لكون شقوته أبعده مطمع في التخلص منها بخلاف الشقوه في شأن من شئون الدنيا فإنها مقطوعه لا محاله مرجوه الزوال عاجلا.

فالمراد بالأشقى هو الكافر المكذب بالدعوه الحقه المعرض عنها على ما يدل عليه توصيفه بقوله: «الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» و يؤيده إطلاق الإنذار، و أما الأشقى بمعنى أشقى الناس كلهم فمما لا يساعد عليه السياق البته.

و المراد بصلى النار اتباعها و لزومها فيفيد معنى الخلود و هو مما قضى الله به في حق الكافر، قال تعالى: **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (البقره / ٣٩).

قوله تعالى: **وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ** التجنيب التباعد، و ضمير «سَيُجَنَّبُهَا» للنار، و المعنى سيبعد عن النار الأتقى.

و المراد بالأتقى من هو أتقى من غيره ممن يتقى المخاطر فهناك من يتقى ضيعة النفوس كالموت و القتل و من يتقى فساد الأموال و من يتقى العدم و الفقر فيمسك عن بذل المال و هكذا و منهم من يتقى الله فيبذل المال، و أتقى هؤلاء الطوائف من يتقى الله فيبذل المال لوجهه و إن شئت فقل يتقى خسران الآخرة فيتزكى بالإعطاء.

فالمفضّل عليه للأتقى هو من يتقى بإعطاء المال و إن اتقى سائر المخاطر الدينويه أو اتقى الله

فالأية عامه بحسب مدلولها غير خاصه و يدل عليه توصيف الاتقى بقوله: «الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ» الخ؛ وهو وصف عام و كذا ما يتلوه، و لا ينافى ذلك كون الآيات أو جميع السوره نازله لسبب خاص كما ورد فى أسباب النزول.

و أما إطلاق المفضل عليه بحيث يشمل جميع الناس من طالح أو صالح و لازمه انحصار المفضل فى واحد مطلقاً أو واحد فى كل عصر، و يكون المعنى و سيجنبها من هو أتقى الناس كلهم و كذا المعنى فى نظيره: لا- يصلها إلا أشقى الناس كلهم فلا يساعد عليه سياق آيات صدر السوره، و كذا الإنذار العام الذى فى قوله: «فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَطَّى» فلا معنى لأن يقال:

أنذرتكم جميعاً نارا لا يخلد فيها إلا واحد منكم جميعاً و لا ينجو منها إلا واحد منكم جميعاً.

و قوله: «الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى» صفة للاتقى أى الذى يعطى و ينفق ماله يطلب بذلك أن ينمو نماء صالحاً.

و قوله: «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى» تقرير لمضمون الآية السابقه أى ليس لأحد عنده من نعمه تجزى تلك النعمه بما يؤتیه من المال و تكافأ و إنما يؤتیه لوجه الله و يؤيد هذا المعنى تعقيبه بقوله: «إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى» .

فالتقدير من نعمه تجزى به، و إنما حذف الظرف رعايه للفواصل، و يندفع بذلك ما قيل لا إن بناء «تُجْزَى» للمفعول لأن القصد ليس لفاعل معين.

قوله تعالى: «إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى» استثناء منقطع و المعنى و لكنه يؤتى ماله طلباً لوجه ربه الأعلى و قد تقدم كلام فى معنى وجه الله و فى معنى الاسم الأعلى.

قوله تعالى: «وَلَسَوْفَ يَرْضَى» أى و لسوف يرضى هذا الأتقى بما يؤتیه ربه الأعلى من الأجر الجزيل و الجزاء الحسن الجميل.

و فى ذكر صفتى الرب الأعلى إشعار بأن ما يؤتاه من الجزاء أنعم الجزاء و أعلاه و هو

المناسب لربوبيته تعالى و علوه، و من هنا يظهر وجه الالتفات فى الآيه السابقه فى قوله:

«وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى» من سياق التكلم وحده الى الغيبه بالإشاره الى الوصفين: ربه الأعلى (١).

ص: ٧٠٣

---

١-١). الليل ١-٢١: بحث روائى فى قوله تعالى: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ»، اقسام الله تعالى، وصف على عليه السلام، الهدايه و الاضلال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
(۱) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (۲) وَمَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (۳) وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ  
الْأُولَىٰ (۴) وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (۵) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (۶) وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (۷) وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ  
(۸) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (۹) وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (۱۰) وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (۱۱)

قيل: انقطع الوحي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أياما حتى قالوا: إن ربه ودَّعه فنزلت السوره فطِيبَ اللهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَ السوره تحتل المكيه والمدنيه.

قوله تعالى: وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ إقسام، والضحي-على ما فى المفردات-انبساط الشمس و امتداد النهار و سمي الوقت به، و سجو الليل سكونه و هو غشيان ظلمته.

قوله تعالى: ۞ مَا قَلَىٰ التَّوْدِيعَ التَّرِكَ، و القلى بكسر القاف البغض أو شدته، و الآيه جواب القسم، و مناسبه نور النهار و ظلمه الليل لتزول الوحي و انقطاعه ظاهره.

قوله تعالى: وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ فى معنى الترقى بالنسبه الى ما تفيده الآيه السابقه من كونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على ما هو عليه من موقف الكرامه و العنايه الإلهيه كأنه قيل:

أنت على ما كنت عليه من الفضل و الرحمه ما دمت حيا فى الدنيا و حياتك الآخره خير لك من حياتك الدنيا.

قوله تعالى: وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ تقرير و تثبيت لقوله: «وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ» و قد اشتمل الوعد على عطاء مطلق يتبعه رضى مطلق.

و قيل: الآيه ناظره الى الحياتين جميعا دون الحياه الآخره فقط.

قوله تعالى: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ الآيه و ما يتلوها من الآيتين إشاره الى بعض نعمه تعالى العظام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقد مات أبوه و هو فى بطن أمه ثم ماتت أمه و هو ابن ستين ثم مات جدّه الكفيل له و هو ابن ثمان سنين فكفله عمه و رباه.

و قيل: المراد باليتيم الوحيد الذى لا نظير له فى الناس كما يقال: در يتيم، و المعنى أ لم يجدك



وحيدا بين الناس فأوى الناس اليك و جمعهم حولك.

قوله تعالى: وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى المراد بالضلال عدم الهداية و المراد بكونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ ضالاً حاله فى نفسه مع قطع النظر عن هدايته تعالى فلا هدى له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و لا لأحد من الخلق إلا بالله سبحانه فقد كانت نفسه فى نفسها ضاله و إن كانت الهداية الإلهية ملازمه لها منذ وجدت فالآيه فى معنى قوله تعالى: مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ (الشورى / ٥٢)، و من هذا الباب قول موسى على ما حكى الله عنه فَعَلَّمْتُهَا إِذَا وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (الشعراء ٢٠) أى لم أهدت بهدى الرساله بعد.

قوله تعالى: وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى العائل الفقير الذى لا مال له و قد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فقيرا لا مال له فأغناه الله بعد ما تزوج بخديجه بنت خويلد عليها السلام فوهبت له مالها و كان لها مال كثير، و قيل المراد بالإغناء استجابته دعوته.

قوله تعالى: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ قَالَ الراغب: القهر الغلبه و التدليل معا و يستعمل فى كل واحد منهما، انتهى.

قوله تعالى: وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ النَّهْرُ هو الزجر و الرد بغلظه.

قوله تعالى: وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ التحديث بالنعمة ذكرها قولاً و إظهارها فعلاً و ذلك شكرها، و هذه الأوامر عامه للناس و ان كانت موجهه الى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ (١).

ص: ٧٠٦

١- ١). الضحى ١-١١: بحث روائى فى نعمه تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.

## سوره أ لم نشرح مكيه أو مدنيه و هي ثمان آيات

اشاره

[سوره الشرح (٩٤): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا  
لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)

بيان:

أمر بالنصب في الله و الرغبة اليه توصل اليه بتقديمه الامتان و السوره تحتل المكيه

ص: ٧٠٧

و فى بعض الروايات عن أئمه أهل البيت عليهم السّلام أن الضحى و أ لم نشرح سوره واحده، و يروى ذلك أيضا عن طاوس و عمر بن عبد العزيز قال الرازى فى التفسير الكبير بعد نقله عنهما: و الذى دعاها الى ذلك هو أن قوله تعالى: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ» كالعطف على قوله: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا» و ليس كذلك لأن الأول كان نزوله حال اغتمام الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم من إيذاء الكفار فكانت حال محنه و ضيق صدره، و الثانى يقتضى أن يكون حال النزول منشراح الصدر طيب القلب فأنى يجتمعان انتهى.

و فيه أن المراد بشرح صدره صَلَّى الله عليه و آله و سلم فى الآيه جعله بحيث يسع ما يلقى اليه من الحقائق و لا يضيق بما ينزل عليه من المعارف و ما يصيبه من أذى الناس فى تبليغها كما سيجىء لا طيب القلب و السرور كما فسره.

قوله تعالى: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صِدْرَكَ» قال الراغب: أصل الشرح بسط اللحم و نحوه يقال: شرحت اللحم و شرحته و منه شرح الصدر أى بسطته بنور إلهى و سكينه من جهه الله و روح منه قال تعالى: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صِدْرِي» «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صِدْرَكَ» «فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ» انتهى.

و ترتب الآيات الثلاث الاول فى مضامينها ثم تعليلها بقوله: «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» الظاهر فى الانطباق على حاله صَلَّى الله عليه و آله و سلم فى أوائل دعوته و أواسطها و أواخرها ثم تكرار التعليل ثم تفریع آيتى آخر السوره كل ذلك يشهد على كون المراد بشرح صدره صَلَّى الله عليه و آله و سلم بسطه بحيث يسع ما يلقى اليه من الوحي و يؤمر بتبليغه و ما يصيبه من المكاره و الأذى فى الله، و بعبارة اخرى جعل نفسه المقدسه مستعده تامه الاستعداد لقبول ما يفاض عليها من جانب الله تعالى.

قوله تعالى: «وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ الوزر الحمل الثقيل،

و إنقاض الظهر كسره بحيث يسمع له صوت كما يسمع من السرير و نحوه عند استقرار شىء ثقيل عليه، و المراد به ظهور ثقل الوزر عليه ظهوراً بالغاً.

و وضع الوزر إذهب ما يحس من ثقله و جملة «و وَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ» معطوفه على قوله:

«أَلَمْ نَشْرَحْ» الخ؛ لما أن معناه قد شرحنا لك صدرك.

و المراد بوضع وزره صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ على ما يفيد السياق -و قد أشرنا اليه- إنفاذ دعوته و إمضاء مجاهدته فى الله بتوفيق الأسباب فإن الرسالة و الدعوه و ما يتفرع على ذلك هى الثقل الذى حمله إثر شرح صدره.

قوله تعالى: وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ رفع الذكر إعلاؤه عن مستوى ذكر غيره من الناس و قد فعل سبحانه به ذلك، و من رفع ذكره أن قرن الله اسمه صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ باسمه فاسمه قرين اسم ربه فى الشهادتين اللتين هما أساس دين الله، و على كل مسلم أن يذكره مع ربه كل يوم فى الصلوات الخمس المفروضة، و من اللطف وقوع الرفع بعد الرفع فى الآيتين.

قوله تعالى: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا لا يبعد أن يكون تعليلاً لما تقدم من وضع الوزر و رفع الذكر فما حمله الله من الرسالة و أمر به من الدعوه -و ذلك أثقل ما يمكن لبشر أن يحمله- كان قد اشتد عليه الأمر بذلك، و كذا تكذيب قومه دعوته و استخفافهم به و إصرارهم على امحاء ذكره كان قد اشتد عليه فوضع الله وزره الذى حمله بتوفيق الناس لإجابه دعوته و رفع ذكره الذى كانوا يريدون إمحاءه و كان ذلك جرياً على سنته تعالى فى الكون من الإتيان باليسر بعد العسر فعلى رفع الشده عنه صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ بما أشار اليه من سنته، و على هذا فاللام فى «الْعُسْرِ» للجنس دون الاستغراق و لعل السنه سنه تحوّل الحوادث و تقلب الأحوال و عدم دوامها.

قوله تعالى: إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا تكرر للتأكيد و التثبيت و قيل: استئناف و ذكروا أن فى الآيتين دلالة على أن مع العسر واحد يسران بناء على أن المعرفة إذا أعيدت ثانياً فى الكلام كان المراد بها عين الاولى بخلاف النكره كما أنه لو قيل: إذا اكتسبت الدرهم أو درهما

فأنفق الدرهم كان المراد بالثاني هو الأول بخلاف ما لو قيل: إذا اكتسبت درهما فأنفق درهما و ليست القاعده بمطرده.

و التووين فى «يُسْرًا» للتووين لا للتفخيم كما ذكره بعضهم، و المعيه معيه التوالى دون المعيه بمعنى التحقق فى زمان واحد.

قوله تعالى: **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ** خطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ متفرع على ما بين قبل من تحميلة الرساله و الدعوه و منه تعالى عليه بما من من شرح الصدر و وضع الوزر و رفع الذكر و كل ذلك من اليسر بعد العسر.

و عليه فالمعنى إذا كان العسر يأتى بعده اليسر و الأمر فيه الى الله لا غير فإذا فرغت مما فرض عليك فاتعب نفسك فى الله- بعبادته و دعائه- و ارغب فيه ليمن عليك بما لهذا التعب من الراحة و لهذا العسر من اليسر.

## سوره التين مكيه و هي ثمان آيات

اشاره

[سوره التين (٩٥): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ (٨)

بيان:

تذكر السوره البعث و الجزاء و تسلك اليه من طريق خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم

ص: ٧١١

اختلافهم بالبقاء على الفطره الاولى و خروجهم منها بالانحطاط الى أسفل سافلين و وجوب التمييز بين الطائفتين جزاء باقتضاء الحكمة.

و السوره مكيه و تحتمل المدنيه و يؤيد نزولها بمكه قوله: «وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ» و ليس بصريح فيه لاحتمال نزولها بعد الهجره و هو صلى الله عليه و آله و سلم بمكه.

قوله تعالى: وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ وَ طُورِ سَيْنِينَ وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ قيل: المراد بالتين و الزيتون الفاكهتان المعروفتان أقسم الله بهما لما فيهما من الفوائد الجمه و الخواص النافعه، و قيل المراد بهما شجرتا التين و الزيتون، و قيل: المراد بالتين الجبل الذى عليه دمشق و بالزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس، و لعل اطلاق اسم الفاكهتين على الجبلين لكونهما منبئتهما و لعل الإقسام بهما لكونهما مبعثى جم غفير من الأنبياء و قيل غير ذلك.

و المراد بطول سينين الجبل الذى كلم الله تعالى فيه موسى بن عمران عليه السلام، و يسمى أيضا طور سيناء.

و المراد بهذا البلد الأمين مكه المشرفه لأن الأمن خاصه مشرعه للحرم و هى فيه قال تعالى: أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا (العنكبوت ٦٧) و فى دعاء ابراهيم عليه السلام على ما حكى الله عنه رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا (البقره ١٢٦)، و فى دعائه ثانيا رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا (إبراهيم ٣٥).

و فى الإشاره بهذا الى البلد تثبت التشريف عليه بالتشخيص و توصيفه بالأمين إما لكونه فعلا بمعنى الفاعل و يفيد معنى النسبه و المعنى ذى الأمن كاللابن و التامر و إما لكونه فعلا بمعنى المفعول و المراد البلد الذى يؤمن الناس فيه أى لا يخاف فيه من غوائلهم ففى نسبه الأمن الى البلد نوع تجوز.

قوله تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ جواب للقسم و المراد بكون خلقه فى أحسن تقويم اشتمال التقويم عليه فى جميع شئونه و جهات وجوده، و التقويم

جعل الشيء ذا قوام وقوام الشيء ما يقوم به ويثبت فالإنسان والمراد به الجنس ذو أحسن قوام بحسب الخلقه.

و معنى كونه ذا أحسن قوام بحسب الخلقه على ما يستفاد من قوله بعد: «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ» الخ؛ صلوحه بحسب الخلقه للعروج الى الرفيع الأعلى و الفوز بحياه خالده عند ربه سعيده لا- شقوه معها، و ذلك بما جهزه الله به من العلم النافع و مكنه منه من العمل الصالح قال تعالى: وَ نَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا (الشمس ٨) فإذا آمن بما علم و زاول صالح العمل رفعه الله اليه كما قال: إِلَيْهِ يَصِيرُ عِدُّ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ (فاطر ١٠)، و قال: وَ لَكِنْ يَدْعُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ (الحج ٣٧).

و قال: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (المجادله ١١) و قال: فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (طه ٧٥) الى غير ذلك من الآيات الداله على ارتفاع مقام الإنسان و ارتقائه بالإيمان و العمل الصالح عطاء من الله غير مجدوذ، و قد سمّاه تعالى أجرا كما يشير اليه قوله الآتى: «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» .

قوله تعالى: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ظاهر الرد أن يكون بمعناه المعروف فأسفل منصوب بنزع الخافض، و المراد بأسفل سافلين مقام منحط هو أسفل من سفلى من أهل الشقوه و الخسران و المعنى ثم رددنا الإنسان الى أسفل من سفلى من أهل العذاب.

و احتمال أن يكون الرد بمعنى الجعل أى جعلناه أسفل سافلين، و أن يكون بمعنى التغيير و المعنى ثم غيرناه حال كونه أسفل جمع سافلين، و المراد بالسفاله على أى حال الشقاء و العذاب.

قوله تعالى: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ أى غير مقطوع استثناء متصل من جنس الإنسان، و تفریع قوله: «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» عليه يؤيد كون المراد من رده الى أسفل سافلين رده الى الشقاء و العذاب.



قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ الخطاب للإنسان باعتبار الجنس، وقيل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمراد غيره، و«ما» استفهامية توبيخية، و«بالذِّين» متعلق بيكذبك، والسدين الجزاء والمعنى -على ما قيل- ما الذى يجعلك مكذبا بالجزاء يوم القيامة بعد ما جعلنا الإنسان طائفتين طائفه مردوده الى أسفل سافلين و طائفه مأجوره اجرا غير ممنون.

□ وقوله: أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ الاستفهام للتقرير و كونه تعالى أحكم الحاكمين هو كونه فوق كل حاكم فى إتقان الحكم و حقيقته و نفوذه من غير اضطراب و وهن و بطلان فهو تعالى يحكم فى خلقه و تدبيره بما من الواجب فى الحكمه أن يحكم به الناس من حيث الإتقان و الحسن و النفوذ و إذا كان الله تعالى أحكم الحاكمين و الناس طائفتان مختلفتان اعتقادا و عملا فمن الواجب فى الحكمه أن يميّز بينهم بالجزاء فى حياتهم الباقية و هو البعث.

فالتفريع فى قوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ من قبيل تفريع النتيجة على الحجة و قوله:

□ «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ» تتميم للحجة المشار إليها بما يتوقف عليه تمامها.

و المحصل أنه إذا كان الناس خلقوا فى أحسن تقويم ثم اختلفوا فطائفه خرجت عن تقويمها الأحسن و ردت الى أسفل سافلين و طائفه بقيت فى تقويمها الأحسن و على فطرتها الاولى و الله المدبر لأمرهم أحكم الحاكمين، و من الواجب فى الحكمه أن تختلف الطائفتان جزاء، فهناك يوم تجزى فيه كل طائفه بما عملت و لا مسوغ للتكذيب به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ (٦) أَلَمْ يَرَأْهُ إِسْتَنْعَى (٧) إِذَا سَأَلَ عَنْ رَبِّهِ لَئِنْ أُتِيَ بِهِ لَكُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّهِ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِعَهْدِ عَهْدِهِ إِذْ عَاهَدَهُ أَنِ لَا يَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ عِندَ ذِكْرِهِ (٩) عَجْبًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسِفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تَطَعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)

أمر للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتلقى القرآن بالوحي منه تعالى و هي أول سورة نزلت من القرآن، و سياق آياتها لا يأبى نزولها دفعه واحده كما سنشير اليه، و هي مكيه قطعا.

قوله تعالى: **إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ** قال الراغب: و القراءه ضم الحروف و الكلمات بعضها الى بعض فى الترتيل، و ليس يقال ذلك لكل جمع لا يقال: قرأت القوم إذا جمعتهم، و يدل على ذلك أنه لا يقال: للحرف الواحد إذا تفوه به: قراءه انتهى.

و على أى حال، يقال: قرأت الكتاب إذا جمعت ما فيه من الحروف و الكلمات بضم بعضها الى بعض فى الذهن و إن لم تتلفظ بها، و يقال: قرأته إذا جمعت الحروف و الكلمات بضم بعضها الى بعض فى التلفظ، و يقال قرأته عليه إذا جمعت بين حروفه و كلماته فى سمعه و يطلق عليها بهذا المعنى التلاوه أيضا قال تعالى: **رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً** (البينه ٢).

و ظاهر إطلاق قوله: «أقرأ» المعنى الأول و المراد به الأمر بتلقى ما يوحى إليه ملك الوحي من القرآن فالجمله أمر بقراءة الكتاب و هى من الكتاب كقول القائل فى مفتتح كتابه لمن أرسله إليه: اقرأ كتابى هذا و اعمل به فقوله هذا أمر بقراءة الكتاب و هو من الكتاب.

و هذا السياق يؤيد أولا ما ورد أن الآيات أول ما نزل من القرآن على النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

و ثانيا أن التقدير اقرأ القرآن أو ما فى معناه، و ليس المراد مطلق القراءة باستعمال «أقرأ» استعمال الفعل اللازم بالإعراض عن المفعول، و لا المراد القراءة على الناس بحذف المتعلق و إن كان ذلك من أغراض النزول كما قال: وَ قُرْآنًا فَرَقْنَا لَهُ لِيَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (الإسراء ١٠٦)، و لا أن قوله: «بِاسْمِ رَبِّكَ» مفعول «أقرأ» و الباء زائده و التقدير اقرأ اسم ربك أى بسمل.

و قوله: بِاسْمِ رَبِّكَ متعلق بمقدّر نحو مفتتحا و مبتدأ أو باقرا و الباء للملابسه و لا ينافى ذلك كون البسملة المبتدأه بها السوره جزء من السوره فهى من كلام الله افتتح سبحانه بها و أمر أن يقرأ مبتدأ بها كما أمر أن يقرأ قوله: «أقرأ باسم» الخ؛ ففیه تعليم بالعمل نظير الأمر بالاستثناء فى قوله: وَ لَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ (الكهف / ٢٤) فافهم ذلك.

و فى قوله: رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ إشاره الى قصر الربوبيه فى الله عز اسمه و هو توحيد الربوبيه المقتضيه لقصر العباده فيه فإن المشركين كانوا يقولون: إن الله سبحانه ليس له إلا الخلق و الإيجاد و أما الربوبيه و هى الملك و التدبير فلمقرَّبى خلقه من الملائكه و الجن و الإنس فدفعه الله بقوله: «رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ» الناص على أن الربوبيه و الخلق له وحده.

و قوله: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ المراد جنس الإنسان المتناسل و العلق الدم المنجمد و المراد به ما يستحيل اليه النطفه فى الرحم.

ففى الآيه إشاره الى التدبير الإلهى الوارد على الإنسان من حين كان علقه الى حين يصير

إنسانا تاما كاملا له من أعاجيب الصفاف و الأفعال ما تتحير فيه العقول فلم يتم الإنسان إنسانا و لم يكمل إلا بتدبير متعاقب منه تعالى و هو بعينه خلق بعد خلق فهو تعالى رب مدبر لأمر الإنسان بعين أنه خالق له فليس للإنسان إلا أن يتخذه وحده ربا ففى الكلام احتجاج على توحيد الربوبية.

قوله تعالى: اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ أمر بالقراءة ثانيا تأكيد للأمر الأول على ما هو ظاهر سياق الإطلاق.

وقوله: وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ أى الذى يفوق عطاؤه عطاء ما سواه فهو تعالى يعطى لا عن استحقاق و ما من نعمه إلا و ينتهى إيتاؤها اليه تعالى.

وقوله: الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ الباء للسببية أى علّم القراءة أو الكتابة و القراءة بواسطة القلم و الجملة حاله او استثنافيه، و الكلام مسوق لتقوية نفس النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و إزاله القلق و الاضطراب عنها حيث أمر بالقراءة و هو امى لا يكتب و لا يقرأ كأنه قيل: اقرأ كتاب ربك الذى يوحى اليك و لا تخف و الحال أن ربك الأكرم الذى علّم الإنسان القراءة بواسطة القلم الذى يخط به فهو قادر على أن يعلمك قراءة كتابه و أنت امى و قد أمرك بالقراءة و لو لم يقدرك عليها لم يأمرك بها.

ثم عمم سبحانه النعمة فذكر تعليمه للإنسان ما لم يعلم فقال: «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» و فيه مزيد تقوية لقلب النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و تطيب لنفسه.

و المراد بالإنسان الجنس كما هو ظاهر السياق و قيل: المراد به آدم عليه السلام.

قوله تعالى: كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لِيَطْغَى أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى رَدَع عما يستفاد من الآيات السابقة أنه تعالى أنعم على الإنسان بعظائم نعم مثل التعليم بالقلم و سائر ما علّم و التعليم من طريق الوحي فعلى الانسان أن يشكره على ذلك لكنه يكفر بنعمته تعالى و يطغى.

وقوله: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ، وهو إخبار بما فى طبع الإنسان ذلك كقوله: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ (إبراهيم ٣٤).

وقوله: أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَلِيَّ مِنْ الرَّأْيِ دُونَ الرَّؤْيَةِ الْبَصْرِيَّةِ، وفاعل «رَأَاهُ» ومفعوله الإنسان. وجملة «أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَلِيَّ» فى مقام التعليل أى ليطغى لأنه يعتقد نفسه مستغنيا عن ربه المنعم عليه فيكفر به، وذلك أنه يشتغل بنفسه والأسباب الظاهرية التى يتوصل بها الى مقاصده فيغفل عن ربه من غير أن يرى حاجه منه اليه تبعثه الى ذكره و شكره على نعمه فينساه و يطغى.

قوله تعالى: إِنَّ إِلِيَّ رُجُوعُكُمْ الرجعى هو الرجوع و الظاهر من سياق الوعيد الآتى أنه وعيد و تهديد بالموت و البعث، و الخطاب للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، وقيل: الخطاب للإنسان بطريق الالتفات للتشديد، و الأول أظهر.

قوله تعالى: أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَىٰ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّىٰ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ بمنزله ذكر بعض المصاديق للإنسان الطاغى و هو كالتوطئه لوعيده بتصريح العقاب و النهى عن طاعته و الأمر بعبادته تعالى، و المراد بالعبد الذى كان يصلى هو النبي صلى الله عليه و آله و سلم على ما يستفاد من آخر الآيات حيث ينهاه صلى الله عليه و آله و سلم عن طاعه ذلك الناهى و يأمره بالسجود و الاقتراب.

و سياق الآيات-على تقدير كون السوره أول ما نزل من القرآن و نزولها دفعه واحده- يدل على صلاحه النبي صلى الله عليه و آله و سلم قبل نزول القرآن و فيه دلالة على نبوته قبل رسالته بالقرآن.

وقوله: أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ المراد به العلم على طريق الاستلزام فإن لازم الاعتقاد بأن الله خالق كل شىء هو الاعتقاد بأن له علما بكل شىء و إن غفل عنه و قد كان الناهى وثنيا مشركا و الوثنية معترفون بأن الله هو خالق كل شىء و ينزهونه عن صفات النقص فيرون أنه تعالى لا يجهل شيئا و لا يعجز عن شىء و هكذا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)  
تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ (٥)

تذكر السوره إنزال القرآن في ليله القدر و تعظم الليله بتفضيلها على ألف شهر و تنزل الملائكه و الروح فيها، و السوره تحتل المكيه و المدينه و لا يخلو بعض (١) ما روى في سبب نزولها عن أئمه أهل البيت عليهم السلام و غيرهم من تأييد لكونها مدينه.

١- ١). و هو ما دل على أن السوره نزلت بعد رؤيا النبي صلى الله عليه و آله و سلم أن بنى اميه يصعدون منبره فاغتم فسلاه الله بها.



قوله تعالى: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ضمير «**أَنْزَلْنَاهُ**» للقرآن و ظاهره جملة الكتاب العزيز لا بعض آياته و يؤيده التعبير بالإنزال الظاهر في اعتبار الدفعه دون التنزيل الظاهر في التدريج.

و في معنى الآية قوله تعالى: **وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ** (الدخان ٣) و ظاهره الإقسام بجملة الكتاب المبين ثم الإخبار عن إنزال ما اقسام به جملة.

فمدلول الآيات أن للقرآن نزولا- جمليا على النبي صلى الله عليه و آله و سلم غير نزوله التدريجي الذي تم في مده ثلاث و عشرين سنة كما يشير اليه قوله: **وَ قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** (الإسراء ١٠٦)، و قوله: **وَ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَمْ نُزَّلْ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ لَغَوَّيْنَاهُ وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَ رَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** (الفرقان ٣٢).

فمحصل الآيات- كما ترى- أنها ليله بعينها من شهر رمضان من كل سنة فيها إحكام الامور بحسب التقدير، و لا ينافي ذلك وقوع التغير فيها بحسب التحقق في ظرف السنه فإن التغير في كيفية تحقق المقدر أمر و التغير في التقدير أمر آخر كما أن إمكان التغير في الحوادث الكونية بحسب المشيه الإلهيه لا ينافي تعيينها في اللوح المحفوظ قال تعالى: **وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** (الرعد ٣٩).

على ان لاستحكام الامور بحسب تحققها مراتب من حيث حضور أسبابها و شرائطها تامه و ناقصه و من المحتمل أن تقع في ليله القدر بعض مراتب الإحكام و يتأخر تمام الإحكام الى وقت آخر لكن الروايات كما ستأتى لا تلائم هذا الوجه.

قوله تعالى: **وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ كُنَاهُ** عن جلاله قدر الليله و عظم منزلتها و يؤكد ذلك إظهار الاسم مره بعد مره حيث قيل **«وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ»** و لم يقل:

و ما أدراك ما هي هي خير.

قوله تعالى: **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** بيان إجمالي لما اشير اليه بقوله: **«وَ مَا**

أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ» من فخامه أمر الليله.

و المراد بكونها خيرا من الف شهر خيريتها منها من حيث فضيله العباده على ما فسره المفسرون و هو المناسب لغرض القرآن و عنايته بتقريب الناس الى الله فإحيائها بالعباده خير من عباده الف شهر، و يمكن أن يستفاد ذلك من المباركه المذكوره فى سورة الدخان فى قوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ» و هناك معنى آخر سيأتى فى البحث الروائى التالى إن شاء الله.

قوله تعالى: تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أُمَّرٍ تَنْزَلُ أَصْلُهُ تَنْزَلُ، و الظاهر من الروح هو الروح من الأمر قال تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي (الإسراء ٨٥) و الإذن فى الشىء الرخصه فيه و هو إعلام عدم المانع منه.

و «مِنْ» فى قوله: «مِنْ كُلِّ أُمَّرٍ» قيل: بمعنى الباء و قيل: لابتداء الغايه و تفيد السببيه أى بسبب كل أمر إلهى، و قيل: للتعليل بالغايه أى لأجل تدبير كل امر من الامور و الحق ان المراد بالأمر إن كان هو الأمر الإلهى المفسر بقوله: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ (يس ٨٢)» فمن لابتداء و تفيد السببيه و المعنى تنزل الملائكه و الروح فى ليله القدر بإذن ربهم مبتدأ تنزلهم و صادرا من كل أمر إلهى.

و إن كان هو الأمر من الامور الكونيه و الحوادث الواقعه فمن بمعنى اللام التعليليه و المعنى تنزل الملائكه و الروح فى الليله بإذن ربهم لأجل تدبير كل امر من الامور الكونيه.

قوله تعالى: سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ قال فى المفردات: السلام و السلامه التعرى من الآفات الظاهره و الباطنه انتهى فيكون قوله: «سَلَامٌ هِيَ» إشاره الى العنايه الإلهيه بشمول الرحمه لعباده المقبلين اليه و سد باب نقمه جديده تختص بالليله و يلزمه بالطبع و هن كيد الشياطين كما اشير اليه فى بعض الروايات.

و الآيتان أعنى قوله: «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ» الى آخر السوره فى معنى التفسير لقوله: «لَيْلَةُ

الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»

[\(١\)](#)

ص: ٧٢٤

---

١-١). القدر ١-٥: بحث روائي حول ليله القدر؛ نزول القرآن؛ الملائكة و الروح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنْ  
اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا  
لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ  
الْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)  
جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)

تسجّل السوره رساله محمد صَلَّى الله عليه وآله و سلم لعامه أهل الكتاب و المشركين و بعبارة اخرى للملئين و غيرهم و هم عامه البشر فتفيد عموم الرساله و أنها مما كانت تقتضيه السنه الإلهيه-سنه الهدايه-التي تشير إليها أمثال قوله تعالى: **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** (الإنسان ٣)، و قوله: **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** (فاطر ٢٤)، و تحتج على عموم دعوته صَلَّى الله عليه وآله و سلم بأنها لا تتضمن إلا ما يصلح المجتمع الانساني من الاعتقاد و العمل على ما سيتضح إن شاء الله.

و السوره تحتل المكيه و المدنيه و إن كان سياقها بالمدينه أشبه.

قوله تعالى: **لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ** ظاهر الآيات-وهي في سياق يشير الى قيام الحججه على الذين كفروا بالدعوه الإسلاميه من أهل الكتاب و المشركين و على الذين اتوا الكتاب حينما بدا فيهم الاختلاف-أن المراد هو الإشاره الى ان الرسول صَلَّى الله عليه وآله و سلم من مصاديق الحججه البينه القائمه على الناس التي تقتضى قيامها السنه الإلهيه الجاربه في عباده فقد كانت توجب مجيء البينه اليهم كما أوجبه من قبل ما تفرقوا في دينهم.

و على هذا فالمراد بالذين كفروا في الآيه هم الكافرون بالدعوه النبويه الإسلاميه من أهل الكتاب و المشركين، و «مِنْ» في قوله: **«مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»** للتبعيض لا للتبيين، و قوله:

**«وَ الْمُشْرِكِينَ»** عطف على **«أَهْلِ الْكِتَابِ»** و المراد بهم غير اهل الكتاب من عبده الأصنام و غيرهم.

وقوله: مُنْفَكِينَ مِنَ الْانْفِكَائِ وَهُوَ الْانْفِصَالُ عَنْ شِدَّةِ اتِّصَالٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ -عَلَى مَا يَسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «حَيَّتِي تَأْتِيهِمُ الْعَمِيْنَةُ» - انْفِكَائِهِمْ عَمَّا تَقْتَضِي سُنَّةَ الْهَدْيِ وَالْبَيَانُ أَنَّ السُّنَّةَ الْإِلَهِيَّةَ كَانَتْ قَدْ أَخَذَتْهُمْ وَ لَمْ تَكُنْ تَتْرَكُهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيْنَةُ وَ لَمَّا أَتَتْهُمْ الْبَيْنَةُ تَرَكْتَهُمْ وَ شَأْنَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ» (التوبة/ ١١٥).

وقوله: حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيْنَةُ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنَ الْاِسْتِقْبَالِ وَ الْبَيْنَةُ هِيَ الْحِجَّةُ الظَّاهِرَةُ وَ الْمَعْنَى لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ أَوْ بَدْعُوته أَوْ بِالْقُرْآنِ لِيَنْفِكُوا حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيْنَةُ وَ الْبَيْنَةُ هِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ.

و للقوم اختلاف عجيب فى تفسير الآيه و معانى مفرداتها حتى قال بعضهم -على ما نقل :-:

إن الآيه من أصعب الآيات القرآنيه نظما و تفسيرا. انتهى، و الذى أوردناه من المعنى هو الذى يلائمه سياقها من غير تناقض بين الآيات و تدافع بين الجمل و المفردات، و من أراد الاطلاع على تفصيل ما قيل و يقال فعليه أن يراجع المطولات.

قوله تعالى: رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ بَيِّنَةٌ لِلْبَيْنَةِ وَ الْمُرَادُ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قَطْعًا عَلَى مَا يَعْطِيهِ السِّيَاقُ.

و الصحف جمع صحيفه و هى ما يكتب فيها، و المراد بها أجزاء القرآن النازل و قد تكرر فى كلامه تعالى إطلاق الصحف على أجزاء الكتب السماويه و منها القرآن الكريم قال تعالى: فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ (عبس/ ١٦).

و المراد بكون الصحف مطهره تقدسها من قذاره الباطل بمس الشياطين، و قد تكرر منه تعالى أنه حق مصون من مداخله الشياطين و قال: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (الواقعه/ ٧٩).

و قوله: فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ الْكُتُبِ جَمْعُ كِتَابٍ وَ مَعْنَاهُ الْمَكْتُوبُ وَ يُطْلَقُ عَلَى اللَّوْحِ

و القرطاس و نحوهما المنقوشه فيها الألفاظ و على نفس الألفاظ التى تحكى عنها النقوش، و ربما يطلق على المعانى بما أنها محكيه بالألفاظ، و يطلق أيضا على الحكم و القضاء يقال كتب عليه كذا أى قضى أن يفعل كذا قال تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ (البقره ١٨٣) و قال: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ (البقره ٢١٦).

و الظاهر أن المراد بالكتب التى فى الصحف الأحكام و القضايا الإلهيه المتعلقه بالاعتقاد و العمل، و من الدليل عليه توصيفها بالقيمه فإنها من القيام بالشىء بمعنى حفظه و مراعاة مصلحته و ضمان سعادته قال تعالى: أَمَرَ الْأَنْعَابُ دُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ (يوسف / ٤٠)، و معلوم أن الصحف السماويه إنما تقوم بأمر المجتمع الإنسانى و تحفظ مصلحته بما فيها من الأحكام و القضايا المتعلقه بالاعتقاد و العمل.

فمعنى الآيتين: الحججه البينه التى أتتهم رسول من الله يقرأ صحائف سماويه مطهره من دنس الباطل فى تلك الصحائف أحكام و قضايا قائمه بأمر المجتمع الإنسانى حافظه لمصالحه.

قوله تعالى: وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْحَقِيقَةُ كَانَتِ الْآيَةُ الْاُولَى «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» الخ؛ تشير الى كفرهم بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم و كتابه المتضمن للدعوه الحقه و هذه الآيه تشير الى اختلافهم السابق على الدعوه الإسلاميه و قد أشير الى ذلك فى مواضع من القرآن الكريم كما قال تعالى: وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ (آل عمران ١٩) الى غير ذلك من الآيات.

و مجيء البينه لهم هو البيان النبوى الذى تبين لهم فى كتابهم أو أوضحه لهم أنبياءهم قال تعالى: وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِتُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ (الزخرف ٦٥).

قوله تعالى: **﴿ مَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ الْحَخِّ؛ ضَمِير «أَمْرُوا» لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ أَى لَمْ يَتَّضَمَّنْ رِسَالَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْكِتَابَ الْقِيَمَةَ الَّتِي فِي صَحْفِ الْوَحْيِ إِلَّا- أَمْرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَيْدِ الْإِخْلَاصِ فِي الدِّينِ فَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.**

و قوله: **﴿ حُنَفَاءَ حَالٍ مِنْ ضَمِيرِ الْجَمْعِ وَ هُوَ جَمْعُ حَنِيفٍ مِنَ الْحَنْفِ وَ هُوَ الْمَيْلُ عَنْ جَانِبِي الْإِفْرَاطِ وَ التَّفْرِيطِ إِلَى حَاقِّ وَسَطِ الْإِعْتِدَالِ وَ قَدْ سَمِيَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِسْلَامَ دِينًا حَنِيفًا لِأَنَّهُ يَأْمُرُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ بِالزُّوْمِ الْإِعْتِدَالِ وَ التَّحَرُّزِ عَنِ الْإِفْرَاطِ وَ التَّفْرِيطِ.**

و قوله: **﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ مِنْ قَبِيلِ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ أَوْ الْجُزْءِ بَعْدَ الْكُلِّ اِهْتِمَامًا بِأَمْرِهِ فَالصَّلَاةُ وَ الزَّكَاةُ عَلَى أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَ هُمَا التَّوَجُّهُ الْعِبُودِي الْخَاصُّ إِلَى اللَّهِ وَ انْفَاقَ الْمَالِ فِي اللَّهِ.**

و قوله: **﴿ وَ ذَلِكُمْ دِينُ الْقِيَمَةِ أَى دِينِ الْكِتَابِ الْقِيَمَةِ عَلَى مَا فَسَّرُوا، وَ الْمُرَادُ بِالْكِتَابِ الْقِيَمَةِ إِنْ كَانَ جَمِيعَ الْكِتَابِ السَّمَاوِيِّ أَعْنَى كِتَابِ نُوحٍ وَ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَالْمَعْنَى إِنْ هَذَا الَّذِي أَمَرُوا بِهِ وَ دَعَا إِلَيْهِ فِي الدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ هُوَ الدِّينُ الَّذِي كَلَّفُوا بِهِ فِي كِتَابِهِمُ الْقِيَمَةَ وَ لَيْسَ بِأَمْرٍ بَدَعَ فِدِينَ اللَّهِ وَاحِدٌ وَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَدِينُوا بِهِ لِأَنَّهُ الْقِيَمُ.**

و إِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِهِ مَا كَانَ يَتْلُوهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكِتَابِ الْقِيَمَةِ الَّتِي فِي الصَّحْفِ الْمَطْهَرِ فَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا فِي الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَّا- بِأَحْكَامٍ وَ قَضَايَا هِيَ الْقِيَمَةُ الْحَافِظَةُ لِمَصَالِحِ الْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ فَلَا يَسْعَهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِهَا وَ يَتَدِينُوا.

فَالْآيَةُ عَلَى أَى حَالٍ تَشِيرُ إِلَى كَوْنِ دِينِ التَّوْحِيدِ الَّذِي يَتَّضَمَّنُهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْمَصْدُوقُ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ الْمَهِيمِنِ **(١) عَلَيْهِ فِيمَا يَأْمُرُ الْمَجْتَمَعُ الْبَشَرِي قَائِمًا بِأَمْرِهِمْ حَافِظًا لِمَصَالِحِ**

ص: ٧٢٩



حياتهم كما بيّنه بأوفى البيان قوله تعالى: فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ (الروم ٣٠).

وبهذه الآية يكمل بيان عموم رساله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وشمول الدعوه الإسلاميه لعامه البشر فقوله: «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ» الخ؛ يشير الى أنه كان من الواجب في سنه الهدايه الإلهيه أن تتم الحججه على من كفر بالدعوه من أهل الكتاب و المشركين، و هؤلاء و إن كانوا بعض أهل الكتاب و المشركين لكن من الضروري أن لا فرق بين البعض و البعض في تعلق الدعوه فتعلقها بالبعض لا ينفك عن تعلقها بالكل.

و قوله: رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ الخ؛ يشير الى أن تلك السبيله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و قوله: «وَمَا تَفَرَّقَ» الخ؛ يشير الى أن تفرقهم و كفرهم السابق بالحق أيضا كان بعد مجيء السبيله.

و قوله: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ» الخ؛ يفيد أن الذي دعوا اليه و امروا به دين قيم حافظ لمصالح المجتمع البشرى فعليهم جميعا أن يؤمنوا به و لا يكفروا.

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ لما فرغ من الإشاره الى كفرهم بالسبيله التي كانت توجهها سنه الهدايه الإلهيه و ما كانت تدعو اليه من الدين القيم أخذ في الإنذار و التبشير بوعيد الكفار و وعد المؤمنين، و البريه الخلق، و المعنى ظاهر.

قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ فيه قصر الخيره في المؤمنين الصالحين كما أن في الآية السابقيه قصر الشريه في الكفار.

قوله تعالى: جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ - الى قوله - لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ العدن الاستقرار و الثبات فجئات عدن جئات خلود و دوام و توصيفها بقوله: «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» تأكيد بما يدل على الاسم.

و قوله: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرضى منه تعالى صفه فعل و مصداقه الثواب الذي

أعطاهموه جزاء لإيمانهم و عملهم الصالح.

وقوله: ذَلِكْ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ علامه مضروبه لسعاده الدار الآخره وقد قال تعالى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (فاطر ٢٨) فالعلم بالله يستتبع الخشيه منه، و الخشيه منه تستتبع الإيمان به بمعنى الالتزام القلبي بربوبيته و الوهيته ثم العمل الصالح.

و اعلم أن لهم فى تفسير مفردات هذه الآيات اختلافا شديدا و أقوالا كثيرة لا جدوى فى التعرض لها من أراد الوقوف عليها فليراجع المطولات.

ص: ٧٣١

## سوره الزلزال مدنيه و هي ثمان آيات

اشاره

[سوره الزلزاله (٩٩): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَسْتَاتًا لِّيرَوُوا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)

بيان:

ذكر للقيامه و صدور الناس للجزاء و إشاره الى بعض أشراتها و هي زلزاله الأرض

ص: ٧٣٢

و تحديتها أخبارها. و السوره تحتل المكيه و المدينه.

قوله تعالى: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا الزلزال مصدر كالزلزله، و إضافته الى ضمير الأرض تفيد الاختصاص، و المعنى إذا زلزلت الأرض زلزلتها الخاصه بها فتفيد التعظيم و التفخيم أى إنها منتهيه فى الشده و الهول.

قوله تعالى: وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا الأثقال جمع ثقل بفتحين بمعنى المتاع أو خصوص متاع المسافر أو جمع ثقل بالكسر فالسكون بمعنى الحمل، و على أى حال المراد بأثقالها التى تخرجها، الموتى على ما قيل أو الكنوز و المعادن التى فى بطنها أو الجميع و لكل قائل و أول الوجوه أقربها ثم الثالث لتكون الآية إشارة الى خروجهم للحساب، و قوله: «يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ» إشاره الى انصرافهم الى الجزاء.

قوله تعالى: وَقَالَ الْإِنْسَانُ إِنَّ مَالِي لَهَا أى يقول مدهوشا متعجبا من تلك الزلزه الشديده الهائله: ما للأرض تتزلزل هذا الزلزال، و قيل: المراد بالإنسان الكافر غير المؤمن بالبعث، و قيل غير ذلك كما سيجىء.

قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا فتشهد على أعمال بنى آدم كما تشهد بها أعضاؤهم و كتاب الأعمال من الملائكه و شهداء الأعمال من البشر و غيرهم.

و قوله: «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا» اللام بمعنى الى لأن الايحاء يتعدى بىالى و المعنى تحدث أخبارها بسبب أن ربك أوحى إليها أن تحدث فهى شاعره بما يقع فيها من الأعمال خيرها و شرها متحملة لها يؤذن لها يوم القيامه بالوحى أن تحدث أخبارها و تشهد بما تحملت، و قد تقدم فى تفسير قوله تعالى: وَ إِن مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (الإسراء / ٤٤)، و قوله: قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ (حم السجده ٢١)، أن المستفاد من كلامه سبحانه أن الحياه و الشعور ساريان فى الأشياء و إن كنا فى غفله من ذلك.

و قد اشدت الخلاف بينهم فى معنى تحديث الارض بالوحى أ هو بإعطاء الحياه و الشعور للأرض الميتة حتى تخبر بما وقع فيها أو بخلق صوت عندها وعد ذلك تكلمها منها أو دلالتها بلسان الحال بما وقع فيها من الأعمال، و لا محل لهذا الاختلاف بعد ما سمعت و لا أن الحججه تتم على أحد بهذا النوع من الشهاده.

قوله تعالى: **يَوْمَئِذٍ يَصِيدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمُ الصُّدُورُ انْصِرَافُ الْإِبِلِ عَنِ الْمَاءِ بَعْدَ وِرْوَدِهِ، وَأَشْتَاتٍ كَشْتِى جَمْعِ شَيْتٍ** بمعنى المتفرق، و الآيه جواب بعد جواب لإذا.

و المراد بصدور الناس متفرقين يومئذ انصرافهم عن الموقف الى منازلهم فى الجنه و النار و أهل السعاده و الفلاح منهم متميزون من أهل الشقاء و الهلاك، و إراءتهم أعمالهم إراءتهم جزاء أعمالهم بالحلول فيه أو مشاهدتهم نفس أعمالهم بناء على تجسيم الأعمال.

قوله تعالى: **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** المثال ما يوزن به الأثقال، و الدرّه ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء، و تقال لصغار النمل.

تفريع على ما تقدم من إراءتهم أعمالهم، فيه تأكيد البيان فى أنه لا يستثنى من الاراءه عمل خيرا أو شرا كبيرا أو صغيرا حتى مثقال الدرّه من خير أو شر، و بيان حال كل من عمل الخير و الشر فى جمله مستقله لغرض إعطاء الضابط و ضرب القاعده.

و لا منافاه بين ما تدل عليه الآياتان من العموم و بين الآيات الداله على حبط الأعمال، و الداله على انتقال أعمال الخير و الشر من نفس الى نفس كحسنتات القاتل الى المقتول و سيئات المقتول الى القاتل، و الداله على تبديل السيئات حسنتات فى بعض التائبين الى غير ذلك مما تقدمت الاشاره اليه فى بحث الأعمال فى الجزء الثانى من الكتاب و كذا فى تفسير قوله:

**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ الْآيَةُ (الأنفال ٣٧).**

و ذلك لأن الآيات المذكوره حاكمه على هاتين الآيتين فإن من حبط عمله الخير محكوم بأنه لم يعمل خيرا فلا عمل له خيرا حتى يراه و على هذا القياس فى غيره فافهم.

ص: ٧٣٥

## سوره العاديات مدنيه و هي إحدى عشره آيه

اشاره

[سوره العاديات (١٠٠): الآيات ١ الى ١١]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ  
جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩)  
وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)

ص: ٧٣٦

تذكر السوره كفران الإنسان لنعم ربه و حبه الشديد للخير عن علم منه به و هو حجه عليه و سيحاسب على ذلك.

و السوره مدنيه بشهاده ما فى صدرها من الإقسام بمثل قوله: «وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا» الخ؛ الظاهر فى فى خيل الغزاه المجاهدين على ما سيجىء، و إنما شرع الجهاد بعد الهجره و يؤيد ذلك ما ورد من طرق الشيعة عن أئمه أهل البيت عليهم السلام أن السوره نزلت فى على عليه السلام و سريته فى غزوه ذات السلاسل، و يؤيده أيضا بعض الروايات من طرق أهل السنه على ما سنشير اليه فى البحث الروائى التالى إن شاء الله.

قوله تعالى: وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا العاديات من العدو و هو الجرى بسرعه و الضبح صوت أنفاس الخيل عند عدوها و هو المعهود المعروف من الخيل و إن ادعى أنه يعرض لكثير من الحيوان غيرها، و المعنى أقسم بالخيل اللاتى يعدون يضبحن ضبحا.

قوله تعالى: فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا الإيراء إخراج النار و القدح الضرب و الصك المعروف يقال: قدح فأورى إذا أخرج النار بالقدح، و المراد بها الخيل تخرج النار بحوافرها إذا عدت على الحجاره و الأرض المحصبه.

قوله تعالى: فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا الإغاره و الغاره الهجوم على العدو بغته بالخيل و هى صفه أصحاب الخيل و نسبتها الى الخيل مجاز، و المعنى فاقسم بالخيل الهاجمات على العدو بغته فى وقت الصبح.

قوله تعالى: فَاتَّزَنَ بِهِ نَقْعًا أثرن من الإثاره بمعنى تهيج الغبار و نحوه، و النقع الغبار، و المعنى فهيجن بالعدو و الإغاره غبارا.

قوله تعالى: فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا وسط و توسط بمعنى، و ضمير «به» للصبح و الباء



بمعنى فى او الضمير للنفع و الباء للملابسه.

و المعنى فصرن فى وقت الصبح فى وسط جمع و المراد به كتيبه العدو أو المعنى فتوسطن جمعا ملابسین للنقع.

فالمتمعين حملها على خيل الغزاه و سياق الآيات و خاصه قوله: «فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا» «فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا» يعطى أنها غزاه بعينها أقسم الله فيها بخيل المجاهدين العاديات و الفاء فى الآيات الأربع تدل على ترتب كل منها على ما قبلها.

قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ الكنود الكفور، و الآية كقوله: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (الحج ١٦٦)، و هو إخبار عما فى طبع الإنسان من اتباع الهوى و الانكباب على عرض الدنيا و الانقطاع به عن شكر ربه على ما أنعم عليه.

و فيه تعريض للقوم المغار عليهم، و كأن المراد بكفرانهم كفرانهم بنعمه الإسلام التى أنعم الله بها عليهم و هى أعظم نعمه أو توها فيها طيب حياتهم الدنيا و سعاده حياتهم الأبدية الاخرى.

قوله تعالى: وَ إِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكٍ لَّشَهِيدٌ ظاهر اتساق الضمائر أن يكون ضمير «وَ إِنَّهُ» للإنسان فيكون المراد بكونه شهيدا على كفران نفسه بكفران نفسه علمه المذموم و تحمله له.

فالمعنى و إن الانسان على كفرانه بربه شاهد متحمل فالآيه فى معنى قوله: بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (القيامة ١٤).

قوله تعالى: وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ قيل: اللام فى «لِحُبِّ الْخَيْرِ» للتعليل و الخير المال، و المعنى و إن الانسان لأجل حب المال لشديد أى بخيل شحيح، و قيل: المراد أن الانسان لشديد الحب للمال و يدعوه ذلك الى الامتناع من إعطاء حق الله، و الإنفاق فى الله. كذا فسروا.

و لا يبعد أن يكون المراد بالخير مطلقه و يكون المراد أن حب الخير فطرى للإنسان ثم إنه

يرى عرض الدنيا وزينتها خيرا فتنجذب اليه نفسه و ينسيه ذلك ربه أن يشكره.

قوله تعالى: أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ -الى قوله- لَخَبِيرُ الْبَعْثِ كَالْبَحْثِ الْبَعْثِ وَ الشَّرِّ، وَ تَحْصِيلُ مَا فِي الصُّدُورِ تَمَيِّزُ مَا فِي بَاطِنِ النَّفُوسِ مِنْ صِفَةِ الْإِيمَانِ وَ الْكُفْرِ وَ رَسْمِ الْحَسَنَةِ وَ السَّيِّئَةِ قَالَ تَعَالَى: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (الطارق ٩/٩)، وَ قِيلَ: هُوَ إِظْهَارُ مَا أَخْفَتْهُ الصُّدُورُ لِتَجَازِي عَلَى السَّرِّ كَمَا تَجَازَى عَلَى الْعَلَانِيَةِ.

وَ قَوْلُهُ: أَفَلَا- يَعْلَمُ الْإِسْتِفْهَامُ فِيهِ لِلانْكَارِ، وَ مَفْعُولُ يَعْلَمُ جَمَلُهُ قَائِمُهُ مَقَامُ الْمَفْعُولِينَ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَقَامُ. ثُمَّ اسْتَوْنَفَ فَقِيلَ: إِذَا بَعَثَ مَا فِي الْقُبُورِ، الْخ؛ تَأْكِيدٌ لِلانْكَارِ، وَ الْمُرَادُ بِمَا فِي الْقُبُورِ الْأَبْدَانُ.

وَ الْمَعْنَى- وَ اللَّهُ أَعْلَمُ- أَفَلَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ أَنْ لِكُنُودِهِ وَ كُفْرَانِهِ رَبَّهُ تَبِعَهُ سَتْلِحَقَهُ وَ يَجَازَى بِهَا، إِذَا خَرَجَ مَا فِي الْقُبُورِ مِنَ الْأَبْدَانِ وَ حَصَلَ وَ مِيزَ مَا فِي سَرَائِرِ النَّفُوسِ مِنَ الْإِيمَانِ وَ الْكُفْرِ وَ الطَّاعَةِ وَ الْمَعْصِيَةِ إِنْ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ فَيَجَازِيهِمْ بِمَا فِيهَا.

## سوره القارعه مكيه و هي إحدى عشره آيه

اشاره

[سوره القارعه (١٠١): الآيات ١ الى ١١]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
(١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ  
(٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاغِبٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ  
هَٰوِيَةٌ (٩) وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَةٌ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)

ص: ٧٤٠

إنذار و تبشير بالقيامة يغلب فيه جانب الانذار، والسوره مكيه.

قوله تعالى: الْقَارِعَةُ مَيَّا الْقَارِعَةُ مبتدأ و خبر، والقارعه من القرع و هو الضرب باعتماد شديد، و هي من أسماء القيامة في القرآن. قيل: سميت بها لأنها تفرع القلوب بالفزع و تفرع أعداء الله بالعذاب.

و السؤال عن حقيقه القارعه فى قوله: «مَيَّا الْقَارِعَةُ» مع كونها معلومه إشاره الى تعظيم أمرها و تفخيمه و أنها لا تكنته علما، و قد اكّد هذا التعظيم و التفخيم بقوله بعد: «وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ» .

قوله تعالى: يَوْمَ يَكُونُ الدَّاسُ كَالْفُرَّاشِ الْمَبْثُوثِ ظرف متعلق بفعل مقدر نحو اذكر و تفرع و تأتي، و الفراش على ما نقل عن الفراء الجراد الذى ينفرش و يركب بعضه بعضا و هو غوغاء الجراد. قيل: شبه الناس عند البعث بالفراش لأن الفراش إذا ثار لم يتجه الى جهه واحده كسائر الطير و كذلك الناس إذا خرجوا من قبورهم أحاط بهم الفزع فتوجهوا جهات شتى أو توجهوا الى منازلهم المختلفه سعاده و شقاء. و المبتوث من البث و هو التفريق.

قوله تعالى: وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ العهن الصوف ذو ألوان مختلفه، و المنفوش من النفش و هو نشر الصوف بندف و نحوه فالعهن المنفوش الصوف المنتشر ذو ألوان مختلفه إشاره الى تلاشى الجبال على اختلاف ألوانها بزلزله الساعه.

قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عَيْشِهِ رَاضِيًّا بِهِ إشاره الى وزن الأعمال و أن الأعمال منها ما هو ثقيل فى الميزان و هو ما له قدر و منزله عند الله و هو الإيمان و أنواع الطاعات، و منها ما ليس كذلك و هو الكفر و أنواع المعاصى و يختلف القسمان أثرا فيستتبع الثقيل السعاده و يستتبع الخفيف الشقاء، و قد تقدم البحث عن معنى الميزان فى تفسير

و قوله: فِي عَيْشِهِ رَاضِيَهُ الْعَيْشَهُ بِكسر العين كالجلسه بناء نوع، و توصيفها براضيهِ- و الراضى صاحبها- من المجاز العقلى أو المعنى فى عيشه ذات رضى.

قوله تعالى: وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ الظاهر أن المراد بهاويه جهنم و تسميتها بهاويه لهوى من القى فيها أى سقوطه الى أسفل سافلين قال تعالى: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا (التين ١٦).

فتوصيف النار بالهاويه مجاز عقلى كتوصيف العيشه بالراضيه و عدّ هاويه اما للداخل فيها لكونها مأواها مرجعه الذى يرجع إليه كما يرجع الولد الى أمه.

قوله تعالى: وَ مَا أَذْرَاكَ مَا هَيْهَ ضَمِير هى لهاويه، و الهاء فى «هَيْهَ» للوقف و الجملة تفسير تفيد تعظيم أمر النار و تفخيمه.

قوله تعالى: نَارٌ حَامِيَةٌ أى حاره شديده الحراره و هو جواب الاستفهام فى «مَا هَيْهَ» و تفسير لهاويه.

## سوره التكاثر مكيه و هي ثمان آيات

اشاره

[سوره التكاثر (١٠٢): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)  
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)

بيان:

توبيخ شديد للناس على تلهيهم بالتكاثر في الأموال والأولاد والأعضاء وغفلتهم عما

ص: ٧٤٣

وراءه من تبعه الخسران و العذاب، و تهديد بأنهم سوف يعلمون و يرون ذلك و يسألون عن هذه النعم التي اوتوها ليشكروا فتلهاوا بها و بدّلوا نعمه الله كفرا.

و السوره بما لها من السياق تحتمل المكيه و المدينه، و سيأتي ما ورد في سبب نزولها في البحث الروائي إن شاء الله.

قوله تعالى: **أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ** قال في المفردات: اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه و يهمله. قال، و يقال: ألهاه كذا أى شغله عما هو أهم إليه، قال تعالى: **«أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ»**، انتهى.

و قال: و المكاثره و التكاثر التبارى في كثره المال و العز، انتهى. و قال: المقبره- بكسر الميم- و المقبره- بفتحها- موضع القبور و جمعها مقابر، قال تعالى: **«حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ»** كناية عن الموت؛ انتهى.

فالمعنى على ما يعطيه السياق شغلكم التكاثر في متاع الدنيا و زينتها و التسابق في تكثير العده و العدد عما يهتمكم و هو ذكر الله حتى لقيتم الموت فعمتكم الغفله مدى حياتكم.

قوله تعالى: **كَلَّا- سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ردع عن اشتغالهم بما لا- يهتمهم عما يعينهم و تخطئه لهم، و قوله: **«سَوْفَ تَعْلَمُونَ»** تهديد معناه على ما يفيد المقام سوف تعلمون تبعه تلهيكم هذا و تعرفونها إذا انقطعتم عن الحياه الدنيا.

قوله تعالى: **ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** تأكيد للردع و التهديد السابقين، و قيل: المراد بالأول علمهم بها عند الموت و بالثاني علمهم بها عند البعث.

قوله تعالى: **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ** ردع بعد ردع تأكيد و اليقين العلم الذي لا يداخله شك و ريب.

و قوله: **لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ** جواب لو محذوف و التقدير لو تعلمون الأمر علم

اليقين لشغلكم ما تعلمون عن التباهى و التفاخر بالكثرة، و قوله: «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ» استئناف فى الكلام، و اللام للقسم، و المعنى اقسام لترون الجحيم التى جزاء هذا التلهى كذا فسروا.

قالوا: و لا يجوز أن يكون قوله: «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ» جواب لو الامتناعيه لأن الرؤيه محقق الوقوع و جوابها لا يكون كذلك.

و هذا مبنى على أن يكون المراد رؤيه الجحيم يوم القيامة كما قال: وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (النازعات ٣٦) و هو غير مسلم بل الظاهر أن المراد رؤيتها قبل يوم القيامة رؤيه البصيره و هى رؤيه القلب التى هى من آثار اليقين على ما يشير اليه، قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (الأنعام ٧٥)، و قد تقدم الكلام فيها، و هذه الرؤيه القلبيه قبل يوم القيامة غير محققه لهؤلاء المتلهين بل ممتنعه فى حقهم لامتناع اليقين عليهم.

قوله تعالى: ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ المراد بعين اليقين نفسه، و المعنى لترونها محض اليقين، و هذه بمشاهدتها يوم القيامة، و من الدليل عليه قوله بعد ذلك: «ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» فالمراد بالرؤيه الاولى رؤيتها قبل يوم القيامة و بالثانيه رؤيتها يوم القيامة.

قوله تعالى: ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ظاهر السياق أن هذا الخطاب و كذلك الخطابات المتقدمه فى السوره للناس بما أن فيهم من اشتغل بنعمه ربه عن ربه فأنساه التكاثر فيها عن ذكر الله، و ما فى السوره من التوبيخ و التهديد متوجه الى عامه الناس ظاهرا واقع على طائفه خاصه منهم حقيقه و هم الذين ألهاهم التكاثر.

و كذا ظاهر السياق أن المراد بالنعيم مطلقه و هو كل ما يصدق عليه أنه نعمه فالإنسان مسؤل عن كل نعمه أنعم الله بها عليه.

و ذلك أن النعمه—و هى الأمر الذى يلائم المنعم عليه و يتضمن له نوعا من الخير و النفع—



إنما تكون بالنسبه الى المنعم عليه إذا استعملها بحيث يسعد بها فينتفع و أما لو استعملها على خلاف ذلك كانت نغمه بالنسبه إليه و إن كانت نعمه بالنظر الى نفسها (١).

ص: ٧٤٤

---

١-١). التكاثر ١-٨: بحث روائى فى السؤال عن النعيم يوم القيامة؛ ما النعيم الذى يسأل عنه.

## سوره العصر مكيه و هي ثلاث آيات

### اشاره

[سوره العصر (١٠٣): الآيات ١ الى ٣]

### اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)

### بيان:

تلخص السوره جميع المعارف القرآنيه و تجمع شتات مقاصد القرآن في أوجز بيان، و هي تحتل المكيه و المدنيه لكنها أشبه بالمكيه.

قوله تعالى: وَالْعَصْرِ إقسام بالعصر و الأنسب لما تتضمنه الآيتان التاليتان من شمول الخسران للعالم الإنسانى إلا لمن اتبع الحق و صبر عليه و هم المؤمنون الصالحون عملاء، أن يكون المراد بالعصر عصر النبى صلى الله عليه و آله و سلم و هو عصر طلوع الإسلام على المجتمع البشرى و ظهور

ص: ٧٤٧

الحق على الباطل.

وقيل: المراد به وقت العصر وهو الطرف الأخير من النهار لما فيه من الدلالة على التدبير الربوبي بإدبار النهار وإقبال الليل وذهاب سلطان الشمس، وقيل: المراد به صلاة العصر وهي الصلاة الوسطى التي هي أفضل الفرائض اليومية، وقيل: الليل والنهار يطلق عليهما العصران، وقيل: الدهر لما فيه من عجائب الحوادث الدالة على قدره الربوبيه وغير ذلك.

وقد ورد في بعض الروايات أنه عصر ظهور المهدي عليه السلام لما فيه من تمام ظهور الحق على الباطل.

قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ المراد بالإنسان جنسه، والخسر والخسران والخسار والخساره نقص رأس المال قال الراغب: وينسب ذلك الى الانسان فيقال: خسر فلان و الى الفعل فيقال: خسرت تجارته، انتهى. و التنكير في «خُسْرٍ» للتعظيم و يحتمل التنويع أى فى نوع من الخسر غير الخسارات الماليه و الجاهيه قال تعالى: الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (الزمر ١٥).

قوله تعالى: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ استثناء من جنس الانسان الواقع فى الخسر، والمستثنون هم الأفراد المتلبسون بالإيمان والأعمال الصالحة فهم آمنون من الخسر.

و ذلك أن كتاب الله يبين أن للإنسان حياه خالده مؤييده لا تنقطع بالموت و إنما الموت انتقال من دار الى دار كما تقدم فى تفسير قوله تعالى: عَلِيٌّ أَنْ يُدَلَّ أَمْثَالَكُمْ وَ نُشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (الواقعه ٦١/١)، و يبين أن شطرا من هذه الحياه و هى الحياه الدنيا حياه امتحانيه تتعين بها صفه الشطر الأخير الذى هو الحياه الآخره المؤبده من سعاده و شقاء قال تعالى:

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (الرعد ٢٦/١)، و قال: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً (الأنبياء ٣٥/١).

و يبين أن مقدميه هذه الحياه لتلك الحياه إنما هي بمظاهرها من الاعتقاد و العمل فالاعتقاد الحق و العمل الصالح ملاك السعاده الاخرويه و الكفر و الفسوق ملاك الشقاء فيها قال تعالى:

وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ (النجم / ٤١)، و قال: مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (الروم / ٤٤)، و قال: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا (حم السجده / ٤٦)، و قد سَمَى اللَّهُ تعالى ما سيلقاه الإنسان في الآخرة جزاء و أجرا في آيات كثيرة.

و يتبين بذلك كله أن الحياه رأس مال للإنسان يكسب به ما يعيش به في حياته الآخرة فإن اتبع الحق في العقد و العمل فقد ربحت تجارته و بورك في مكسبه و أمن الشر في مستقبله، و إن اتبع الباطل و أعرض عن الإيمان و العمل الصالح فقد خسرت تجارته و حرم الخير في عقباه و هو قوله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» .

و المراد بالإيمان الإيمان بالله و من الايمان بالله الإيمان بجميع رسله و الإيمان باليوم الآخر فقد نصّ تعالى فيمن لم يؤمن ببعض رسله (١) أو باليوم الآخر أنه غير مؤمن بالله.

و ظاهر قوله: «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» التلبس بجميع الأعمال الصالحه فلا- يشمل الاستثناء الفساق بترك بعض الصالحات من المؤمنين و لا يزمه أن يكون الخسر أعم من الخسر في جميع جهات حياته كما في الكافر المعاند للحق المخلد في العذاب، و الخسر في بعض جهات حياته كالمؤمن الفاسق الذي لا يخلد في النار و ينقطع عنه العذاب بشفاعه و نحوها.

قوله تعالى: وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ التواصى بالحق هو أن يوصى بعضهم بعضا بالحق أى باتباعه و الدوام عليه فليس دين الحق إلا- اتباع الحق اعتقادا و عملا و التواصى بالحق أوسع من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لشموله الاعتقادات و مطلق

ص: ٧٤٩

الترغيب و الحث على العمل الصالح.

ثم التواصى بالحق من العمل الصالح فذكره بعد العمل الصالح من قبيل ذكر الخاص بعد العام اهتماما بأمره كما أن التواصى بالصبر من التواصى بالحق و ذكره بعده من ذكر الخاص بعد العام اهتماما بأمره، و يؤكد تكرار ذكر التواصى حيث قال: «وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» و لم يقل:

و تواصوا بالحق و الصبر.

و على الجملة ذكر تواصيههم بالحق و بالصبر بعد ذكر تلبسهم بالإيمان و العمل الصالح للاشارة الى حياه قلوبهم و انشراح صدورهم للإسلام لله فلهم اهتمام خاص و اعتناء تام بظهور سلطان الحق و انبساطه على الناس حتى يتبع و يدوم اتباعه قال تعالى: أَمْ مَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (الزمر ٢٢/).

و قد أطلق الصبر فالمراد به أعم من الصبر على طاعة الله، و الصبر عن معصيته، و الصبر عند النوائب التي تصيبه بقضاء من الله و قدر.

ص : ٧٥٠

## سوره الهمزه مكيه و هي تسع آيات

اشاره

[سوره الهمزه (١٠٤): الآيات ١ الى ٩]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ (١) الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُبَدَنَّ  
فِي أَلْحُطَمِهِ (٤) وَمِمَّا أَدْرَاكَ مَيَّا أَلْحُطَمُهُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْفُتُوحَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّيْدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ  
مُمَدَّدَةٍ (٩)

ص: ٧٥١

وعيد شديد للمغرمين بجمع المال المستعدين به على الناس المستكبرين عليهم فيزرون بهم و يعيونهم بما ليس بعيب، و السوره مكيه.

قوله تعالى: وَيَلُّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ قَالَ فِي الْمَجْمَعِ: الهمزه الكثير الطعن على غيره بغير حق العائب له بما ليس بعيب، و أصل الهمز الكسر قال: و اللمز العيب أيضا و الهمزه و اللمزه بمعنى، و قد قيل: بينهما فرق فإن الهمزه الذى يعيبك بظهر الغيب، و اللمزه الذى يعيبك فى وجهك. عن الليث.

و قيل: الهمزه الذى يؤذى جليسه بسوء لفظه، و اللمزه الذى يكسر عينه على جليسه و يشير برأسه و يومئ بعينه. قال: و فعله بناء المبالغه فى صفة من يكثر منه الفعل و يصير عاده له تقول: رجل نكحه كثير النكاح و ضحكه كثير الضحك و كذا همزه و لمزه انتهى.

فالمعنى ويل لكل عيَاب مغتاب، و فسّر بمعان آخر على حسب اختلافهم فى تفسير الهمزه و اللمزه.

قوله تعالى: الَّذِي جَمَعَ مَالًا - وَ عَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ بَيَان لَهْمَزِهِ لَمْزِهِ وَ تَنْكِيرِ «مَالًا» لِلتَّحْقِيرِ فَإِنَّ الْمَالَ وَ إِنْ كَثُرَ مَا كَثُرَ لَا يَغْنَى عَنْ صَاحِبِهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنْ لَهُ مِنْهُ مَا يَصْرِفُهُ فِي حَوَائِجِ نَفْسِهِ الطَّبِيعِيَّةِ مِنْ أَكْلِهِ تَشْبَعُهُ وَ شَرْبِهِ مَاءٌ تَرْوِيهِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ وَ «عَدَّدَهُ» مِنَ الْعَدِّ بِمَعْنَى الْإِحْصَاءِ أَيْ إِنَّهُ لِحُبِّهِ الْمَالَ وَ شَغْفِهِ بِجَمْعِهِ يَجْمَعُ الْمَالَ وَ يَعِدُهُ عَدًّا بَعْدَ عَدِّ التَّنَادَا بِتَكَثُّرِهِ. وَ قِيلَ: الْمَعْنَى جَعَلَهُ عَدَّهُ وَ ذَخَرَ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ.

و قوله: يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ أَيْ يَخْلُدُهُ فِي الدُّنْيَا وَ يَدْفَعُ عَنْهُ الْمَوْتَ وَ الْفَنَاءَ فَالْمَاضِي أُرِيدَ بِهِ الْمُسْتَقْبَلُ بِقَرِينِهِ قَوْلُهُ: «يَحْسَبُ» .

فهذا الإنسان لإخلاقه الى الأرض و انغماره فى طول الأمل لا يقنع من المال بما يرتفع به

حوائج حياته القصيره و ضروريات أيامه المعدوده بل كلما زاد مالا زاد حرصا الى ما لا نهايه له فظاهر حاله أنه يرى أن المال يخلده، و لجه الغريزي للبقاء يهتم بجمعه و تعديده، و دعاه ما جمعه و عدده من المال و ما شاهده من الاستغناء الى الطغيان و الاستعلاء على غيره من الناس كما قال تعالى: إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لِّيْطَغِي أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (العلق ٧)، و يورثه هذا الاستكبار و التعدى الهمز و اللمز.

و من هنا يظهر أن قوله: «يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ» بمنزله التعليل لقوله: «الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ»، و قوله: «الَّذِي جَمَعَ» الخ؛ بمنزله التعليل لقوله: «وَيُلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» .

قوله تعالى: كَلَّا لِيُنَبِّئَنَّ فِي الْحُطَمَةِ رَدَعٍ عَنْ حَسْبَانِهِ الْخُلُودَ بِالْمَالِ، و اللام في «لِيُنَبِّئَنَّ» للقسم، و النبذ القذف و الطرح، و الحطمه مبالغه من الحطم و هو الكسر و جاء بمعنى الأكل، و هي من أسماء جهنم على ما يفسرها قوله الآتي: «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ» .

و المعنى ليس مخلدا بالمال كما يحسب أقسم ليموتن و يقذفن في الحطمه.

قوله تعالى: وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ تَفْخِيمٌ وَ تَهْوِيلٌ .

قوله تعالى: نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِبْقَادِ النَّارِ إِشْعَالِهَا وَ الْإِطْلَاعِ وَ الْطُلُوعِ عَلَى الشَّيْءِ الْإِشْرَافِ وَ الظُّهُورِ، و الأفئده جمع فؤاد و هو القلب، و المراد به في القرآن مبدأ الشعور و الفكر من الانسان و هو النفس الإنسانيه.

و كأن المراد من اطلاعها على الأفئده أنها تحرق باطن الانسان كما تحرق ظاهره بخلاف النار الدنيويه التي إنما تحرق الظاهر فقط قال تعالى: وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ (البقره / ٢٤).

قوله تعالى: إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ أَى مطبقه لا مخرج لهم منها و لا منجى.

قوله تعالى: فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ الْعَمَدُ بفتحين جمع عمود و التمديد مبالغه في المد قيل: هي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار، و قيل: عمد ممدده يوثقون فيها مثل



المقاطر و هي خشب أو جذوع كبار فيها خروق توضع فيها أرجل المحبوسين من اللصوص و غيرهم، و قيل غير ذلك.

ص: ٧٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَ أَرْسَلَ  
عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَزِمِيهِمْ بِحِجَارِهِ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)

فيها اشاره الى قصه أصحاب الفيل إذ قصدوا مکه لتخريب الكعبه المعظمه فأهلكهم الله بإرسال طير أبابيل ترميهم بحجاره من سجّيل فجعلهم كعصف مأكول، و هي من آيات الله الجليه التي لا ستره عليها، و قد أُرخوا بها و ذكرها الجاهليون في أشعارهم، و السوره مكيه.

قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ المراد بالرؤيه العلم

الظاهر ظهور الحس، والاستفهام إنكارى، والمعنى ألم تعلم كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، وقد كانت الواقعة عام ولد فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: «أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ الْمَرَادُ بِكَيْدِهِمْ سُوءُ قَصْدِهِمْ بِمَكِهِ وَ إِرَادَتُهُمْ تَخْرِيْبَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَ التَّضْلِيلِ وَ الْإِضْلَالِ وَاحِدًا، وَ جَعَلَ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ جَعَلَ سَعِيَهُمْ ضَالًّا لَا يَهْتَدِي إِلَى الْغَايَةِ الْمَقْصُودَةِ مِنْهُ فَقَدْ سَارُوا لِتَخْرِيْبِ الْكَعْبَةِ وَ انْتَهَى بِهِمْ إِلَى هَلَاكِ أَنْفُسِهِمْ.

قوله تعالى: «وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ الْأَبَابِيلُ - كَمَا قِيلَ - جَمَاعَاتٌ فِي تَفْرَقِهِ زَمْرُهُ زَمْرُهُ، وَ الْمَعْنَى وَ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ جَمَاعَاتٌ مَتَفَرِّقَهُ مِنَ الطَّيْرِ وَ الْآيَةِ الَّتِي تَتَلَوْنَهَا عَطْفٌ تَفْسِيرٌ عَلَى قَوْلِهِ: «أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ».

قوله تعالى: تَزْمِيهِمْ بِحِجَارِهِ مِنْ سَجِيلٍ أَيْ تَرْمِي أَبَابِيلَ الطَّيْرِ أَصْحَابَ الْفِيلِ بِحِجَارِهِ مِنْ سَجِيلٍ، وَ قَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى السَّجِيلِ فِي تَفْسِيرِ قِصَصِ قَوْمِ لُوطٍ.

قوله تعالى: فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ الْعَصْفُ وَرَقُ الزَّرْعِ وَ الْعَصْفُ الْمَأْكُولُ وَرَقُ الزَّرْعِ الَّذِي أَكَلَ حَبَّهُ أَوْ قَشَرَ الْحَبَّ الَّذِي أَكَلَ لَبَّهُ وَ الْمَرَادُ أَنَّهُمْ عَادُوا بَعْدَ وَقُوعِ السَّجِيلِ عَلَيْهِمْ أَجْسَادًا بَلَاءَ أَرْوَاحٍ أَوْ أَنَّ الْحِجْرَ بِحَرَارَتِهِ أَحْرَقَ أَجْوَافَهُمْ.

## سوره قريش مكيه و هي أربع آيات

### اشاره

[سوره قريش (١٠٦): الآيات ١ الى ٤]

### اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي  
أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)

### بيان:

تتضمن السوره امتنانا على قريش بإيلافهم الرحلتين و تعقبه بدعوتهم الى التوحيد و عباده رب البيت، و السوره مكّيه.

و لمضمون السوره نوع تعلق بمضمون سوره الفيل و لذا ذهب قوم من أهل السنه الى كون الفيل و لإيلاف سوره واحده كما قيل  
بمثله في الضحى و أ لم نشرح لما بينهما من الارتباط كما نسب ذلك الى المشهور بين الشيعة و الحق أن شيئا مما استندوا إليه لا  
يفيد ذلك.

ص: ٧٥٧

أما القائلون بذلك من أهل السنه فإنهم استندوا فيه الى ما روى أن أبي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه بالبسملة، و بما روى عن عمرو بن ميمون الأزدي قال: صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب فقرأ في الركعه الاولى و التين و في الثانيه أ لم تر و لإيلاف قريش من غير أن يفصل بالبسملة.

و أجيب عن الروايه الاولى بمعارضتها بما روى أنه أثبت البسملة بينهما في مصحفه، و عن الثانيه بأن من المحتمل على تقدير صحتها أن يكون الراوى لم يسمع قراءتها أو يكون قرأها سرا. على أنها معارض بما روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم إن الله فضل قريشا بسبع خصال و فيها «و نزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم: لإيلاف قريش». الحديث على أن الفصل متواتر.

و أما القائلون بذلك من الشيعة فاستندوا فيه الى ما فى المجمع عن أبي العباس عن أحدهما عليهما السلام قال: أ لم تر كيف فعل ربك و لإيلاف قريش سورة واحده، و ما فى التهذيب باسناده عن العلاء عن زيد الشحام قال: صلى بنا أبو عبد الله عليه السلام الفجر فقرأ الضحى و أ لم نشرح فى ركعه، و ما فى المجمع عن العياشى عن المفضل بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

سمعتة يقول: لا تجمع بين سورتين فى ركعه واحده إلا الضحى و أ لم نشرح و أ لم تر كيف و لإيلاف قريش، و رواه المحقق فى المعبر نقلا من كتاب الجامع لأحمد بن محمد بن أبي نصر عن المفضل مثله.

أما روايه أبي العباس فضعيف لما فيها من الرفع.

و أما روايه الشحام فقد رويت عنه بطريقتين آخرين: أحدهما ما فى التهذيب باسناده عن ابن مسكان عن زيد الشحام قال: صلى بنا أبو عبد الله عليه السلام فقرأ بنا بالضحى و أ لم نشرح، و ثانيهما عنه عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا عن زيد الشحام قال: صلى بنا أبو عبد الله عليه السلام فقرأ فى الاولى الضحى و فى الثانيه أ لم نشرح لك صدرك.

و هذه أعنى صحيحه ابن أبي عمير صريحه فى قراءه السورتين فى ركعتين و لا يبقى معها لروايه العلاء ظهور فى الجمع بينهما، و أما روايه ابن مسكان فلا ظهور لها فى الجمع و لا صراحه، و أما حمل ابن أبي عمير على النافله فيدفعه قوله فيها: «صلى بنا» فإنه صريح فى الجماعه و لا جماعه فى نفل.

و أما روايه المفضل فهى أدل على كونهما سورتين منها على كونهما سوره واحده حيث قيل:

لا تجمع بين سورتين ثم استثنى من السورتين الضحى و أ لم نشرح و كذا الفيل و لإيلاف.

فالحق أن الروايه إن دلت فإنما تدل على جواز القران بين سورتى الضحى و أ لم نشرح و سورتى الفيل و لإيلاف فى ركعه واحده من الفرائض و هو ممنوع فى غيرها، و يؤيده روايه الراوندى فى الخرائج عن داود الرقى عن أبى عبد الله عليه السلام فى حديث قال: فلما طلع الفجر قام فأذن و أقام و أقامنى عن يمينه و قرء فى أول ركعه الحمد و الضحى و فى الثانية بالحمد و قل هو الله أحد ثم قنت ثم سلم ثم جلس.

قوله تعالى: <sup>□</sup>لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ <sup>□</sup>إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ <sup>□</sup>وَ الصَّيْفِ <sup>□</sup>الإلف بكسر الهمزه اجتماع مع التثام كما قاله الراغب و منه الالفه، و قال فى الصحاح: و فلان قد ألف هذا الموضوع بالكسر يألفه إلفا و آلفه إياه غيره، و يقال أيضا: آلفت الموضوع أولفه إيلافا، انتهى.

و قريش عشيره النبى صلى الله عليه و آله و سلم و هم ولد النضر بن كنانه المسمى قريشا، و الرحله حال السير على الراحله و هى الناقه القويه على السير كما فى المجمع، و المراد بالرحله خروج قريش من مكه للتجاره و ذلك أن الحرم واد جديب لا زرع فيه و لا ضرع فكانت قريش تعيش فيه بالتجاره، و كانت لهم فى كل سنه رحلتان للتجاره رحله فى الشتاء الى اليمن و رحله بالصيف الى الشام، و كانوا يعيشون بذلك و كان الناس يحترمونهم لمكان البيت الحرام فلا يتعرضون لهم بقطع طريقهم أو الإغاره على بلدهم الآمن.

و قوله: <sup>□</sup>لِإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ <sup>□</sup>اللام فيه للتعليل، و فاعل الإيلاف هو الله سبحانه

و قريش مفعوله الاول و مفعوله الثانى محذوف يدل عليه ما بعده، و قوله: «إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ» بدل من إيلاف قريش، و فاعل إيلافهم هو الله و مفعوله الأول ضمير الجمع و مفعوله الثانى رحله، الخ؛ و التقدير لإيلاف الله قريشا رحله الشتاء و الصيف.

قوله تعالى: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الفاء فى «فَلْيَعْبُدُوا» لتوهم معنى الشرط أى أى شىء كان فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافه أيام الرحلتين أو لتوهم التفصيل أى مهما يكن من شىء فليعبدوا رب هذا البيت، الخ؛ فهو كقوله تعالى: وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (المدثر/ ٧).  
و محصل معنى الآيات الثلاث ليعبد قريش رب هذا البيت لأجل إيلافه إياهم رحله الشتاء و الصيف و هم عائشون بذلك فى أمن.

هذا بالنظر الى كون السوره منفصله عما قبلها ذات سياق مستقل فى نفسها، و أما على تقدير كونها جزء من سوره الفيل متممه لها فذكروا أن اللام فى «إِيْلَافِ» تعليليه متعلقه بمقدر يدل عليه المقام و المعنى فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمه منا على قريش مضافه الى نعمتنا عليهم فى رحله الشتاء و الصيف فكأنه قال: نعمه الى نعمه و لذا قيل: إن اللام مؤديه معنى الى و هو قول الفراء.

قوله تعالى: الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ إشاره الى ما فى إيلافهم الرحلتين من منه الواضح و نعمته الظاهره عليهم و هو الإطعام و الأمن فيعيشون فى أرض لا خصب فيها و لا أمن لغيرهم فليعبدوا ربا يدبر أمرهم أحسن التدبير و هو رب البيت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
(١) فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ  
(٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)

وعيد لمن كان من המתحلين بالدين متخلقا بأخلاق المنافقين كالسهو عن الصلاه و الرياء في الأعمال و منع الماعون مما لا يلائم التصديق بالجزاء.



و السوره تحمل المكيه و المدينه، و قيل: نصفها مكي و نصفها مدني.

قوله تعالى: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ الرَّؤْيِيهِ تحتل الرؤيه البصريه و تحتل أن تكون بمعنى المعرفه، و الخطاب للنبي صلى الله عليه و آله و سلم بما أنه سامع فيتوجه الى كل سامع، و المراد بالدين الجزاء يوم الجزاء فالمكذب بالدين منكر المعاد و قيل: المراد به الدين بمعنى المله.

قوله تعالى: فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ الدَّعِ هُوَ الرَّدُّ بَعْفٌ وَ جَفَاءٌ، وَ الْفَاءُ فِي «فَذَلِكِ» لِتَوْهَمٍ مَعْنَى الشَّرْطِ وَ التَّقْدِيرِ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالْجِزَاءِ فَعَرَفْتَهُ بِصِفَاتِهِ اللَّازِمَهُ لِتَكْذِيبِهِ فَإِنْ لَمْ تَعْرِفْهُ فَذَلِكَ الَّذِي يَرُدُّ الْيَتِيمَ بَعْفٌ وَ يَجْفُوهُ وَ لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ السَّيِّئِ وَ لَوْ لَمْ يَكْذِبْ بِهِ لَخَافَهَا وَ لَوْ خَافَهَا لَرَحِمَهُ.

قوله تعالى: وَ لَا يَخُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ الْحِضَّ التَّرْغِيبَ، وَ الْكَلَامُ عَلَىٰ تَقْدِيرِ مُضَافٍ أَيْ لَا يَرِغِبُ النَّاسُ عَلَىٰ إِطْعَامِ طَعَامِ الْمَسْكِينِ قِيلَ: إِنْ التَّعْبِيرُ بِالطَّعَامِ دُونَ الْإِطْعَامِ لِلشَّعَارِ بِأَنَّ الْمَسْكِينِ كَأَنَّهُ مَالِكٌ لِمَا يُعْطَىٰ لَهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (الذاريات ١٩) و قيل: الطعام في الآيه بمعنى الاطعام.

و التعبير بالحض دون الاطعام لأن الحض أعم من الحض العملي الذي يتحقق بالاطعام.

قوله تعالى: فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ أَيْ غَافِلُونَ لَا يَهْتَمُونَ بِهَا وَ لَا يَبَالُونَ أَنْ تَفُوتَهُمْ بِالْكَلِيهِ أَوْ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ أَوْ تَتَأَخَّرُ عَنْ وَقْتِ فَضِيلَتِهَا وَ هَكَذَا.

و في الآيه تطبيق من يكذب بالدين على هؤلاء المصلين لمكان فاء التفرع و دلالة على أنهم لا يخلون من نفاق لأنهم يكذبون بالدين عملا و هم يتظاهرون بالايمان.

قوله تعالى: الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ أَيْ يَأْتُونَ بِالْعِبَادَاتِ لِمَرَاةِ النَّاسِ فَهَمَّ يَعْمَلُونَ لِلنَّاسِ لَا لِلَّهِ تَعَالَى.

قوله تعالى: وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ الماعون كل ما يعين الغير فى رفع حاجه من حوائج الحياه كالقرض تقرضه و المعروف تصنعه و متاع البيت تعيره، و الى هذا يرجع متفرقات ما فسر به فى كلماتهم.

ص: ٧٤٣

## سوره الكوثر مكيه و هي ثلاث آيات

اشاره

[سوره الكوثر (١٠٨): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)

بيان:

امتنان على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بإعطائه الكوثر و تطيب لنفسه الشريفه بأن شائئه هو الأبتَر، و هي أقصر سورته في القرآن و قد اختلفت الروايات في كون السوره مكيه أو مدنيه، و الظاهر أنها مكيه، و ذكر بعضهم أنها نزلت مرتين جمعا بين الروايات.

قوله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ قال في المجمع الكوثر فوعل و هو الشيء الذي من شأنه الكثره، و الكوثر الخير الكثير، انتهى.

و قد اختلفت أقوالهم في تفسير الكوثر اختلافا عجيبا ف قيل: هو الخير الكثير، و قيل: نهر

ص: ٧٦٤

فى الجنة، وقيل: حوض النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الجنة أو فى المحشر، وقيل: أولاده، وقيل: أصحابه وأشياعه صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة، وقيل: علماء أمته صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل: القرآن وفضائله كثيرة، وقيل: النبوه، وقيل: تيسير القرآن وتخفيف الشرائع، وقيل: الإسلام، وقيل: التوحيد، وقيل: العلم والحكمة، وقيل: فضائله صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل: المقام المحمود، وقيل: هو نور قلبه صلى الله عليه وآله وسلم، إلى غير ذلك مما قيل؛ وقد نقل عن بعضهم أنه أنهى الأقوال إلى ستة وعشرين.

وقد استند فى القولين الأولين إلى بعض الروايات، وباقى الأقوال لا تخلو من تحكم وكيفما كان فقوله فى آخر السوره: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» - وظاهر الأبتَر هو المنقطع نسله و ظاهر الجملة انها من قبيل قصر القلب - ان كثره ذريته صلى الله عليه وآله وسلم هى المراده وحدها بالكوثر الذى اعطيه النبى صلى الله عليه وآله وسلم او المراد بها الخير الكثير وكثره الذريه مراده فى ضمن الخير الكثير ولو لا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» خاليا عن الفائدة.

وقد استفاضت الروايات أن السوره إنما نزلت فىمن عابه صلى الله عليه وآله وسلم بالبتر بعد ما مات ابنه القاسم وعبد الله، وبذلك يندفع ما قيل: ان مراد الشانئ بقوله: «الأبتر» المنقطع عن قومه أو المنقطع عن الخير فردّ الله عليه بأن هو المنقطع من كل خير.

ولما فى قوله: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ» من الامتنان عليه صلى الله عليه وآله وسلم جىء بلفظ المتكلم مع الغير الدال على العظمة، ولما فيه من تطيب نفسه الشريفه أكدت الجملة بأن وعبر بلفظ الإعطاء الظاهر فى التمليك.

والجملة لا تخلو من دلالة على أن ولد فاطمه عليهما السلام ذريته صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا فى نفسه من ملاحم القرآن الكريم فقد كثر الله تعالى نسله بعده كثره لا يعادلهم فيها أى نسل آخر مع ما نزل عليهم من النوائب وأفنى جموعهم من المقاتل الذريعه.

قوله تعالى: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ظاهر السياق فى تفريع الأمر بالصلاه والنحر على الامتنان فى قوله: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ» انه من شكر النعمه والمعنى إذا مننا عليك بإعطاء

الكوثر فاشكر لهذه النعمه بالصلاه و النحر.

و المراد بالنحر عى ما رواه الفريقان عن النبى صَلَّى الله عليه و آله و سلّم و عن على عليه السّلام و روته الشيعة عن الصادق عليه السّلام و غيره من الأئمّه هو رفع اليدين فى تكبير الصلاه الى النحر.

و قيل:معنى الآية صل لربك صلاه العيد و انحر البدن، و قيل:يعنى صل لربك و استوق قائما عند رفع رأسك من الركوع، و قيل غير ذلك.

قوله تعالى: إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ الشانئ هو المبغض و الأبتّر من لا عقب له و هذا الشانئ هو العاصى بن وائل.

ص: ٧٦٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا  
عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)

فيها أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يظهر للكفار براءته من دينهم و يخبرهم بامتناعهم من دينه فلا دينه يتعداه إليهم و لا  
دينهم يتعداهم إليه فلا يعبد ما يعبدون أبدا و لا يعبدون ما يعبد أبدا فليأسوا من أى نوع من المداهنه و المساهله.

و اختلفوا فى كون السوره مكيه أو مدنيه، و الظاهر من سياقها أنها مكيه.

قوله تعالى: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الظاهر أن هؤلاء قوم معهودون لا كل كافر و يدل على ذلك أمره صَلَّى الله عليه و آله و سلم أن يخاطبهم ببراءته من دينهم و امتناعهم من دينه.

قوله تعالى: لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ الْآيَه الى آخر السوره مقول القول، و المراد بما تعبدون الأصنام التى كانوا يعبدونها، و مفعول تَعْبُدُونَ ضمير راجع الى الموصول محذوف لدلاله الكلام عليه و لرعايه الفواصل، و كذا مفاعيل الأفعال التاليه «أَعْبُدُ» و «عَبَدْتُمْ» و «أَعْبُدُ» .

و قوله: لَا أَعْبُدُ نَفِي استقبالى فَإِنَّ «لَا» لنفى الاستقبال كما أن «مَا» لنفى الحال، و المعنى لا أعبد أبدا ما تعبدونه اليوم من الأصنام. قوله تعالى: وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ نَفِي استقبالى أيضا لعبادتهم ما يعبده صَلَّى الله عليه و آله و سلم و هو اخبار عن امتناعهم عن الدخول فى دين التوحيد فى مستقبل الأمر.

و بانضمام الأمر الذى فى مفتتح الكلام تفيد الآيتان أن الله سبحانه أمرنى بالدوام على عبادته و أن أخبركم أنكم لا تعبدونه أبدا فلا يقع بينى و بينكم اشتراك فى الدين أبدا.

فالآيه فى معنى قوله تعالى: لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (يس ٧)، و قوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (البقره ٦).

و كان من حق الكلام أن يقال: و لا أنتم عابدون من أعبد. لكن قيل: ما أعبد ليطابق ما فى قوله: «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» .

قوله تعالى: وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ تكرار لمضمون الجملتين السابقتين لزياده التأكيد، كقوله: كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ (التكاثر ٤) وقوله: فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (المدثر ٢٠) (١).

قوله تعالى: لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِىَ دِينِ تَأْكِيدٌ بِحَسَبِ الْمَعْنَى لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ نَفْيِ الْإِشْتِرَاكِ، وَاللَّامُ لِلإِخْتِصَاصِ أَى دِينِكُمْ وَ هُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ يَخْتَصُّ بِكُمْ وَ لَا يَتَعَدَّكُمْ إِلَى وَ دِينِى يَخْتَصُّ بى وَ لَا يَتَعَدَّنِى إِلَيْكُمْ وَ لَا مَحَلَّ لِتَوْهَمِ دَلَالَةِ الْآيَةِ عَلَى إِبَاحِهِ أَخْذِ كُلِّ بِمَا يَرْضِيهِ مِنَ الدِّينِ وَ لَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لَا يَتَعَرَّضُ لِذِينِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَالِدَعْوَةُ الْحَقُّهُ الَّتِى يَتَضَمَّنُهَا الْقُرْآنُ تَدْفَعُ ذَلِكَ أَسَاسًا.

ص: ٧٦٩

---

١- ١). الكافرون ١-٦: بحث روائى فى نزول سورة الكافرون.



## سوره النصر مدنيه و هى ثلاث آيات

اشاره

[سوره النصر (١١٠): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)

بيان:

وعد له صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر و الفتح و أنه سيرى الناس يدخلون فى الإسلام فوجا بعد فوج و أمره بالتسبيح حينئذ و التحميد و الاستغفار، و السوره مدنيه نزلت بعد صلح الحديبيه و قبل فتح مكه على ما سنستظهر.

قوله تعالى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ظهور «إِذَا» المصدره بها الآيه فى الاستقبال يستدعى أن يكون مضمون الآيه إخبارا بتحقيق أمر لم يتحقق بعد، و إذا كان المخبر به هو النصر و الفتح و ذلك تقرر به عين النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهو وعد جميل و بشرى له صلى الله عليه وآله وسلم و يكون من

ص: ٧٧٠

و ليس المراد بالنصر و الفتح جنسهما حتى يصدقا على جميع المواقف التى أيد الله فيها نبيه صلى الله عليه و آله و سلم على أعدائه و أظهر دينه على دينهم كما فى حروبه و مغازيه و إيمان الأنصار و أهل اليمن كما قبل إذ لا يلائمه قوله بعد: «و رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» .

و ليس المراد بذلك أيضا صلح الحديبيه الذى سمّاه الله تعالى فتحا إذ قال: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (الفتح ١) لعدم انطباق الآيه الثانیه بمضمونها عليه.

و أوضح ما يقبل الانطباق عليه النصر و الفتح المذكوران فى الآيه هو فتح مكه الذى هو أم فتوحاته صلى الله عليه و آله و سلم فى زمن حياته و النصر الباهر الذى انهدم به بنیان الشرك فى جزيره العرب.

و يؤيده وعد النصر الذى فى الآيات النازله فى الحديبيه إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَ يُنْصِرَكَ اللَّهُ نَصِيرًا عَزِيزًا (الفتح ١٣) فإن من القريب جدا أن يكون ما فى الآيات وعدا بنصر عزيز يرتبط بفتح الحديبيه و هو نصره تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم على قريش حتى فتح مكه بعد مضى سنتين من فتح الحديبيه.

و هذا الذى ذكر أقرب من حمل الآيه على إجابته أهل اليمن الدعوه الحقه و دخولهم فى الإسلام من غير قتال، فالأقرب الى الاعتبار كون المراد بالنصر و الفتح نصره تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم على قريش و فتح مكه، و أن تكون السوره نازله بعد صلح الحديبيه و نزول سوره الفتح و قبل فتح مكه.

قوله تعالى: وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا قال الراغب:

الفوج الجماعه الماره المسرعه، و جمعه أفواج. انتهى. فمعنى دخول الناس فى دين الله أفواجا دخولهم فيه جماعه بعد جماعه، و المراد بدين الله الإسلام قال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (آل عمران ١٩).

قوله تعالى: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا لما كان هذا النصر و الفتح إذلالاً منه تعالى للشرك و إعزازاً للتوحيد و عبارته أخرى إبطالا- للباطل و إحقاقاً للحق ناسب من الجهه الاولى تنزيهه تعالى و تسيححه، و ناسب من الجهه الثانيه-التي هي نعمه- الثناء عليه تعالى و حمده فلذلك أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» .

و هاهنا وجه آخر يوجه به الأمر بالتسبيح و التحميد و الاستغفار جميعاً و هو أن للرب تعالى على عبده أن يذكره بصفات كماله و يذكر نفسه بما له من النقص و الحاجه و لما كان في هذا الفتح فراغه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من جل ما كان عليه من السعى في إماطه الباطل و قطع دابر الفساد أمر أن يذكره عند ذلك بجلاله و هو التسبيح و جماله و هو التحميد و أن يذكره بنقص نفسه و حاجته الى ربه و هو طلب المغفره و معناه فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ -و هو مغفور-سؤال إدامه المغفره فإن الحاجه الى المغفره بقاء كالحاجه إليها حدوثاً فافهم ذلك، و بذلك يتم شكره لربه تعالى و قد تقدم (1) كلام في معنى مغفره الذنب في الأبحاث السابقه (2).

و قوله: إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا تعليل للأمر بالاستغفار لا يخلو من تشويق و تأكيد.

ص: ٧٧٢

١-١). في آخر الجزء السادس من الكتاب.

٢-٢). النصر ١-٣: بحث روائي في نزول سورة النصر؛ أول سورة نزلت و آخرها؛ قصه فتح مكه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَ  
إِمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)

وعيد شديد لأبي لهب بهلاك نفسه و عمله و بنار جهنم و لامرأته، و السوره مكيه.

قوله تعالى: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ التَّبُّ و التَّبَابُ هو الخسران و الهلاك على ما ذكره الجوهري، و دوام الخسران على ما ذكره الراغب، و قيل: الخيبة، و قيل: الخلو من كل خير، و المعانى - كما قيل - متقاربه فيد الإنسان هي عضوه الذي يتوصل به الى تحصيل

مقاصده و ينسب اليه جل أعماله، و تباب يديه خسرانها فيما تكتسبانه من عمل و إن شئت فقل: بطلان أعماله التي يعملها بهما من حيث عدم انتهائها الى غرض مطلوب و عدم انتفاعه بشيء منها و تباب نفسه خسرانها في نفسها بحرمانها من سعادته دائمة و هو هلاكها المؤبد.

فقوله: **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ** أى أبو لهب، دعاء عليه بهلاك نفسه و بطلان ما كان يأتيه من الأعمال لإطفاء نور النبوة أو قضاء منه تعالى بذلك.

و أبو لهب هذا هو أبو لهب بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان شديد المعاداة للنبي صلى الله عليه و آله و سلم مصرافاً في تكذيبه مبالغاً في إيذائه بما يستطيعه من قول و فعل و هو الذى قال للنبي صلى الله عليه و آله و سلم: تبا لك لما دعاهم الى الإسلام لأول مره فنزلت السوره و رد الله التباب عليه.

و ذكر بعضهم أن أبا لهب اسمه و إن كان فى صورته الكنيه، و قيل: اسمه عبد العزى و قيل:

عبد مناف و أحسن ما قيل فى ذكره فى الآيه بكينته لا باسمه أن فى ذلك تهكما به لأن أبا لهب يشعر بالنسبه الى لهب النار كما يقال: أبو الخير و أبو الفضل و أبو الشر فى النسبه الى الخير و الفضل و الشر فلما قيل: «سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ» فهم منه أن قوله: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ» فى معنى قولنا: تبت يدا جهنمى يلازم لهبها.

و قيل: لم يذكر باسمه و هو عبد العزى لأن عزى اسم صنم فكره أن يعد بحسب اللفظ عبداً لغير الله و هو عبد الله و إن كان الاسم إنما يقصد به المسمى.

قوله تعالى: **مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ** ما الاولى نافية و ما الثانى موصوله و معنى «مَا كَسَبَ» الذى كسبه بأعماله و هو أثر أعماله أو مصدرية و المعنى كسبه بيديه و هو عمله، و المعنى ما أغنى عنه عمله.

و معنى الآيه على أى حال لم يدفع عنه ماله و لا عمله-أو أثر عمله-تباب نفسه و يديه الذى كتب عليه أو دعى عليه.

قوله تعالى: **سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ** أى سيدخل ناراً ذات لهب و هى نار جهنم

الخالده، و فى تنكير لهب تفخيم له و تهويل.

قوله تعالى: وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ عطف على ضمير الفاعل المستكن فى «سَيِّئِلِي» و التقدير: و ستصلى امرأته، الخ؛ و «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» بالنصب وصف مقطوع عن الوصفيه للذم أى أذم حماله الحطب، و قيل: حال من «امْرَأَتُهُ» و هو معنى لطيف على ما سيأتى.

قوله تعالى: فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ المسد حبل مفتول من الليف، و الجملة حال ثانيه من امرأته.

و الظاهر أن المراد بالآيتين أنها ستمثل فى النار التى تصلاها يوم القيامه فى هيئتها التى كانت تتلبس بها فى الدنيا و هى أنها كانت تحمل اغصان الشوك و غيرها تطرحها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تؤذيه بذلك فتعذب بالنار و هى تحمل الحطب و فى جيدها حبل من مسد.

قال فى مجمع البيان: و إذا قيل: هل كان يلزم أبا لهب الإيمان بعد هذه السوره و هل كان يقدر على الايمان و لو آمن لكان فيه تكذيب خبر الله سبحانه بأنه سيصلى نارا ذات لهب.

فالجواب أن الايمان يلزمه لأن تكليف الايمان ثابت عليه و إنما توعدده الله بشرط أن لا يؤمن انتهى موضع الحاجه.

أقول: مبنى الاشكال على الغفله من أن تعلق القضاء الحتمى منه تعالى بفعل الانسان الاختيارى لا يستوجب بطلان الاختيار و اضطرار الانسان على الفعل فان الإراده الإلهيه - و كذا فعله تعالى - إنما يتعلق بفعله الاختيارى على ما هو عليه أى أن يفعل الإنسان باختياره كذا و كذا فلو لم يقع الفعل اختياريا تخلف مراده تعالى عن إرادته و هو محال و إذا كان الفعل المتعلق للقضاء الموجب اختياريا كان تركه أيضا اختياريا و إن كان لا يقع فافهم و قد تقدم هذا البحث فى غير موضع من المباحث السابقه.

فقد ظهر بذلك أن أبا لهب كان في اختياره أن يؤمن و ينجو بذلك عن النار التي كان من المقضى المحتوم أن يدخلها بكفره.

و من هذا الباب الآيات النازله في كفار قريش أنهم لا يؤمنون كقوله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (البقره ١٦)، و قوله: لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (يس ٧)، و من هذا الباب أيضا آيات الطبع الى القلوب (١).

ص: ٧٧٤

---

١-١). تب ١-٥: بحث روائى حول قوله تعالى: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» ايذاء ابى لهب رسول الله.

## سوره الإخلاص مكيه و هي أربع آيات

اشاره

[سوره الإخلاص (١١٢): الآيات ١ الى ٤]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)

بيان:

السوره تصفه تعالى بأحديه الذات و رجوع ما سواه اليه فى جميع حوائجه الوجوديه من دون أن يشاركه شىء لافى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله، و هو التوحيد القرآنى الذى يختص به القرآن الكريم و يبنى عليه جميع المعارف الاسلاميه.

وقد تكاثرت الأخبار فى فضل السوره حتى ورد من طرق الفريقين انها تعدل ثلث القرآن كما سيجىء إن شاء الله.

ص: ٧٧٧



و السوره تحتمل المكيه و المدنيه، و الظاهر من بعض ما ورد في سبب نزولها أنها مكيه.

□  
قوله تعالى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ هو ضمير الشأن و القصه يفيد الاهتمام بمضمون الجمله التاليه له، و الحلق أن لفظ الجلاله علم بالغلبه له تعالى بالعرييه كما أن له في غيرها من اللغات اسما خاصا به، و قد تقدم بعض الكلام فيه في تفسير سوره الفاتحه.

و أحد وصف مأخوذ من الوحده كالواحد غير أن الأحد إنما يطلق على ما لا يقبل الكثره لا خارجا و لا ذهنا و لذلك لا يقبل العد و لا- يدخل في العدد بخلاف الواحد فإن كل واحد له ثانيا و ثالثا إما خارجا و إما ذهنا بتوهم أو بفرض العقل فيصير بانضمامه كثيرا، و أما الأحد فكل ما فرض له ثانيا كان هو هو لم يزد عليه شيء.

و اعتبر ذلك في قولك: ما جاءني من القوم أحد فإنك تنفي به مجيء اثنين منهم و أكثر كما تنفي مجيء واحد منهم بخلاف ما لو قلت: ما جاءني واحد منهم فإنك إنما تنفي به مجيء واحد منهم بالعدد و لا ينافيه مجيء اثنين منهم أو أكثر، و لإفادته هذا المعنى لا يستعمل في الإيجاب مطلقا إلا فيه تعالى و من لطيف البيان في هذا الباب قول علي عليه أفضل السلام في بعض خطبه في توحيده تعالى: كل مسمى بالوحده غيره قليل، و قد أوردنا طرفا من كلامه عليه السّلام في التوحيد في ذيل البحث عن توحيد القرآن في الجزء السادس من الكتاب.

□  
قوله تعالى: اللَّهُ الصَّمَدُ الأصل في معنى الصمد القصد أو القصد مع الاعتماد يقال:

صمده يصمده صمدا من باب نصر أى قصده أو قصده معتمدا عليه، و قد فسروا الصمد -و هو صفه- بمعانى متعدده مرجع اكثرها الى انه السيد المصمود إليه اى المقصود في الحوائج، و اذا اطلق في الآيه و لم يقيد بقيد فهو المقصود في الحوائج على الإطلاق.

و اذا كان الله تعالى هو الموجد لكل ذى وجود مما سواه يحتاج اليه فيقصده كل ما صدق عليه انه شيء غيره، في ذاته و صفاته و آثاره قال تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ (الأعراف / ٥٤) و قال و اطلق: وَ أَنَّ إِلِيَّ رُبَّكَ الْمُنتَهَى (النجم / ٤٢) فهو الصمد في كل حاجه في

الوجود لا يقصد شيئاً إلا وهو الذى ينتهى اليه قصده و ينجح به طلبته و يقضى به حاجته.

و من هنا يظهر وجه دخول اللام فى الصمد و انه لإفاده الحصر فهو تعالى وحده الصمد على الإطلاق، و هذا بخلاف احد فى قوله: «اللَّهُ أَحَدٌ» فإن احدا بما يفيد من معنى الوحده الخاصه لا يطلق فى الإثبات على غيره تعالى فلا حاجه فيه الى عهد او حصر.

□  
و اما إظهار اسم الجلاله ثانيا حيث قيل «اللَّهُ الصَّمَدُ» و لم يقل: هو الصمد، و لم يقل: الله احد صمد فالظاهر ان ذلك للإشارة الى كون كل من الجملتين وحدها كافيه فى تعريفه تعالى حيث إن المقام مقام تعريفه تعالى بصفه تختص به فقيل: الله احد الله الصمد إشاره الى ان المعرفه به حاصله سواء قيل كذا او قيل كذا.

□  
و الآيتان مع ذلك تصفانه تعالى بصفه الذات و صفه الفعل جميعا فقوله: «اللَّهُ أَحَدٌ» يصفه بالأحديه التى هى عين الذات، و قوله: «اللَّهُ الصَّمَدُ» يصفه بانتهاء كل شىء اليه و هو من صفات الفعل.

و قيل: الصمد بمعنى للصمت الذى ليس بأجوف فلا يأكل و لا يشرب و لا ينام و لا يلد و لا يولد و على هذا يكون قوله: «لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُؤَلَدْ» تفسيراً للصمد.

قوله تعالى: لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُؤَلَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الآيتان الكريمتان تنفيان عنه تعالى أن يلد شيئاً بتجزيه فى نفسه فيفصل عنه شىء سنخه بأى معنى أريد من الانفصال و الاشتقاق كما يقول به النصارى فى المسيح عليه السلام انه ابن الله و كما يقول الوثنيه فى بعض آلهتهم أنهم أبناء الله سبحانه.

و تنفيان عنه أن يكون متولدا من شىء آخر و مشتقا منه بأى معنى اريد من الاشتقاق كما يقول الوثنيه فى آلهتهم من هو إله أبو إله و من هو إله ام إله و من هو إله ابن إله.

و تنفيان أن يكون له كفؤ يعدله في ذاته أو في فعله (1) و هو الإيجاد و التدبير و لم يقل أحد من المليين و غيرهم بالكفاء الذاتى بأن يقول بتعدد واجب الوجود عز اسمه، و أما الكفؤ في فعله و هو التدبير فقد قيل به كآلهه الوثنيه من البشر كفرعون و نمرود من المدعين للالوهيه و ملاك الكفاءه عندهم استقلال من يرون الوهيته في تدبير ما فؤض اليه تدبيره كما أنه تعالى مستقل في تدبيره من يدبره و هم الأرباب و الآلهه و هو رب الأرباب و إله الآلهه.

و في معنى كفاءه هذا النوع من الإله ما يفرض من استقلال الفعل في شيء من الممكنات فإنه كفاءه مرجعها استغناؤه عنه تعالى و هو محتاج من كل جهه و الآيه تنفيها.

و هذه الصفات الثلاث المنفيه و إن امكن تفريع نفيها على صفه احديته تعالى بوجه لكن الأسبق الى الذهن تفرعها على صفه صمديته.

اما كونه لم يلد فإن الولاده التي هي نوع من التجزى و التبعض بأى معنى فسّرت لا تخلو من تركيب فيمن يلد، و حاجه المربك الى اجزائه ضروريه و الله سبحانه صمد ينتهى اليه كل محتاج في حاجته و لا حاجه له، و اما كونه لم يولد فان تولد شيء من شيء لا- يتم إلا- مع حاجه من المتولد الى ما ولد منه في وجوده و هو سبحانه صمد لا حاجه له، و اما انه لا كفؤ له فلأن الكفؤ سواء فرض كفوا له في ذاته او في فعله لا تتحقق كفاءته إلا مع استقلاله و استغنائه عنه تعالى فيما فيه الكفاءه و الله سبحانه صمد على الإطلاق يحتاج اليه كل من سواه من كل جهه مفروضه.

فقد تبين ان ما في الآيتين من النفي متفرع على صمديته تعالى و مآل ما ذكر من صمديته تعالى و ما يتفرع عليه الى إثبات توحده تعالى في ذاته و صفاته و افعاله بمعنى انه واحد لا يناظره شيء و لا يشبهه فذاته تعالى بذاته و لذاته من غير استناد الى غيره و احتياج الى من

ص : ٧٨٠

---

(١- ١). لم نذكر الصفه لانها اما صفه الذات فهي عين الذات و اما صفه الفعل منتزعه عن الفعل، منه.

سواء و كذا صفاته و افعاله، و ذوات من سواء و صفاتهم و افعالهم بإفاضه منه على ما يليق بساحه كبريائه و عظمته فمحصل السوره وصفه تعالى بأنه حد واحد (١).

ص: ٧٨١

---

١-١). الاخلاص ١-٤: بحث روائى حول نزول سوره الاخلاص؛ فضل سوره الاخلاص؛ الاسم الاعظم؛ الصمد؛ سؤال اهل البصره من الحسين بن على عليهما السلام فى معنى الصمد و جوابه عليه السلام معنى لم يلد و لم يولد.

## سوره الفلق مكيه و هي خمس آيات

### اشاره

[سوره الفلق (١١٣): الآيات ١ الى ٥]

### اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ  
فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)

### بيان:

أمر للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعُوذَ بِاللَّهِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَمِنْ بَعْضِهِ خَاصَّةً وَالسُّورَةَ مَدِينَهُ عَلَى مَا يَظْهَرُ مِمَّا وَرَدَ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا.

قوله تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ العوذ هو الاعتصام و التحرز من الشر بالالتجاء الى من يدفعه، و الفلق بالفتح فالسكون الشق و الفرق، و الفلق بفتحيتين صفه مشبهه

ص: ٧٨٢

بمعنى المفعول كالمقصص بمعنى المقصوص، والغالب إطلاقه على الصبح لأنه المشقوق من الظلام، و عليه فالمعنى أعوذ برب الصبح الذى يفلقه و يشقه و مناسبه هذا التعبير للعوذ من الشر الذى يستر الخير و يحجب دونه ظاهر.

و قيل: المراد بالفلق كل ما يخطر و يفلق عنه بالخلق و الإيجاد فإن فى الخلق و الإيجاد شقا للعدم و إخراجا للموجود الى الوجود فيكون مساويا للمخلوق، و قيل هو جب فى جهنم و يؤيده بعض الروايات.

قوله تعالى: **مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ** أى من شر من يحمل شرا من الإنس و الجن و الحيوانات و سائر ما له شر من الخلق فان اشتمال مطلق ما خلق على الشر لا يستلزم الاستغراق.

قوله تعالى: **وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ** فى الصباح: الغسق أول ظلمه الليل، غسق الليل يغسق إذا أظلم و الغاسق الليل إذا غاب الشفق. انتهى، و الوقوب الدخول فالمعنى و من شر الليل إذا دخل بظلمته. و نسبة الشر الى الليل إنما هى لكونه بظلمته يعين الشرير فى شره لستره عليه فيقع فيه الشر أكثر مما يقع منه بالنهار، و الإنسان فيه أضعف منه فى النهار تجاه هاجم الشر، و قيل: المراد بالغاسق كل هاجم يهجم بشره كائنا ما كان.

و ذكر شر الليل اذا دخل بعد ذكر شر ما خلق من ذكر الخاص بعد العام لزياده الاهتمام و قد اهتم فى السوره بثلاثه من أنواع الشر خاصه هى شر الليل اذا دخل و شر سحر السحره و شر الحاسد إذا حسد لغلبه الغفله فيهن.

قوله تعالى: **وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** أى النساء الساحرات اللاتى يسحرن بالعقد على المسحور و ينفثن فى العقد. و خصت النساء بالذكر لأن السحر كان فيهن و منهن أكثر من الرجال، و فى الآيه تصديق لتأثير السحر فى الجملة، و نظيرها قوله تعالى: فى قصه هارون و ماروت **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ** **وَمَا هُمْ بِبَصَائِرِينَ بِهِ مِنْ**

أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (البقره ١٠٢/١) ونظيره ما فى قصه سحره فرعون.

وقيل: المراد بالنفاثات فى العقد النساء اللاتى يملن آراء أزواجهن الى ما يرينه و يردنه فالعقد هو الرأى و النفث فى العقد كناية عن حله، و هو بعيد.

قوله تعالى: وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ أَي إذا تلبس بالحسد و عمل بما فى نفسه من الحسد بترتيب الأثر عليه.

وقيل: الآيه تشمل العائن فعين العائن نوع حسد نفسانى يتحقق منه اذا عاين ما يستكثره و يتعجب منه (١).

ص: ٧٨٤

---

١- ١). الفلق ١-٤: بحث روائى فى نزول المعوذتين.

## سوره الناس مدنيه و هي ست آيات

### اشاره

[سوره الناس (١١٤): الآيات ١ الى ٦]

### اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي  
يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنْ أَلْحِنِّهِ وَ النَّاسِ (٦)

### بيان:

أمر للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أَنْ يَعُوذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ وَ السُّورَةُ مَدِينِيَّةٌ كَسَابِقَتِهَا عَلَى مَا يَسْتَفَادُ مِمَّا وَرَدَ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا بَلِ الْمُسْتَفَادُ مِنَ الرِّوَايَاتِ أَنَّ السُّورَتَيْنِ نَزَلَتَا مَعًا.

قوله تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ طَبَعِ الْإِنْسَانِ

ص: ٧٨٥



إذا أقبل عليه شر يحذره و يخافه على نفسه و أحس من نفسه الضعف أن يلتجئ بمن يقوى على دفعه و يكفيه وقوعه و الذى يراه صالحا للعوذ و الاعتصام به أحد ثلاثه إما رب يلى أمره و يدبره و يريه يرجع إليه فى حوائجه عامه، و مما يحتاج إليه فى بقائه دفع ما يهدده من الشر، و هذا سبب تام فى نفسه، و إما ذو قوه و سلطان بالغه قدرته نافذ حكمه يجيره إذا استجاره فيدفع عنه الشر بسلطته كملك من الملوك، و هذا أيضا سبب تام مستقل فى نفسه.

و هناك سبب ثالث و هو الإله المعبود فإن لازم معبوديه الإله و خاصه إذا كان واحدا لا شريك له إخلاص العبد نفسه له فلا يدعو إلا إياه و لا يرجع فى شىء من حوائجه إلا إليه فلا يريد إلا ما أراه و لا يعمل إلا ما يشاؤه.

و الله سبحانه رب الناس و ملك الناس و إله الناس كما جمع الصفات الثلاث لنفسه فى قوله:

ذِكْرُكُمْ لِلَّهِ رَبِّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنى تُضَيَّرُونَ (الزمر ١٦) و أشار تعالى الى سببيه ربوبيته و ألوهيته بقوله: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (المزمل ٩)، و الى سببيه ملكه بقوله: لَهُ الْمُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (الحديد ٥) فإن عاذ الإنسان من شر يهدده الى رب فالله سبحانه هو الرب لا رب سواه و إن أراد بعوذه ملكا فالله سبحانه هو الملك الحق له الملك و له الحكم (١) و إن أراد لذلك إلهها فهو الإله لا إله غيره.

فقوله تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ الخ؛ أمر لنبىه صلى الله عليه و آله و سلم أن يعوذ به لأنه من الناس و هو تعالى رب الناس ملك الناس إله الناس.

و مما تقدم ظهر أولا وجه تخصيص الصفات الثلاث: الرب و الملك و الإله من بين سائر صفاته الكريمه بالذكر و كذا وجه ما بينها من الترتيب فذكر الرب أولا لأنه أقرب من الإنسان

و أخص ولايه ثم الملك لأنه أبعد منالا و أعم ولايه يقصده من لا ولى له يخصّه و يكفيه ثم الإله لأنه ولى يقصده الإنسان عن إخلاصه لا عن طبعه المادى.

و ثانيا وجه عدم وصل قوله: «مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ» بالعطف و ذلك للإشارة الى كون كل من الصفات سببا مستقلا فى دفع الشر فهو تعالى سبب مستقل لكونه ربا لكونه ملكا لكونه إلها فله السببيه بأى معنى أريد السبب و قد مر نظير الوجه فى قوله: «اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ» .

و بذلك يظهر أيضا وجه تكرار لفظ الناس من غير أن يقال: ربهم و إلههم فقد أشير به الى أن كلا من الصفات الثلاث يمكن أن يتعلق بها العوذ وحدها من غير ذكر الاخرين لاستقلالها و لله الأسماء الحسنى جميعا، و للقوم فى توجيه اختصاص هذه الصفات و سائر ما مر من الخصوصيات وجوه لا تغنى شيئا.

قوله تعالى: مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ قال فى المجمع: الوسواس حديث النفس بما هو كالصوت الخفى انتهى فهو مصدر كالوسوسة كما ذكره و ذكروا أنه سماعى و القياس فيه كسر الواو كسائر المصادر من الرباعى المجرد و كيف كان فالظاهر كما استظهر أن المراد به المعنى الوصفى مبالغه، و عن بعضهم أنه صفة لا مصدر.

و الخَنَّاس صيغه مبالغه من الخنوس بمعنى الاختفاء بعد الظهور قيل: سُمى الشيطان خناسا لأنه يوسوس للإنسان فاذا ذكر الله تعالى رجع و تأخر ثم إذا غفل عاد الى وسوسته.

قوله تعالى: الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ صفة للوسواس الخناس، و المراد بالصدر هي النفوس لأن متعلق الوسوسة هو مبدأ الإدراك من الإنسان و هو نفسه و إنما أخذت الصدر مكانا للوسواس لما أن الإدراك ينسب بحسب شيوع الاستعمال الى القلب و القلب فى الصدر كما قال تعالى: وَ لَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (الحج / ٤٦).

قوله تعالى: مِنَ الْجِنَّهِ وَالنَّاسِ بيان للوسواس الخناس و فيه اشاره الى أن من الناس من هو ملحق بالشياطين و في زمريهم كما قال تعالى: شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ (الأنعام ١١٢).

تم الكتاب و الحمد لله و اتفق الفراغ من تأليفه في ليله القدر المباركه الثالثه و العشرين من ليالى شهر رمضان من شهر سنه اثنتين و تسعين و ثلاث مائه بعد الألف من الهجره و الحمد لله على الدوام، و الصلاه على سيدنا محمد و آله و السلام.

ص: ٧٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩